الجــــزء الرابـع

من

كتاب منهاج السـنة النبويه في نقض كلام الشيعة والقدريه

تصنيف الامام الهـمام ومقتدى العلماء الاعلام خاتمـة
المجتهـدين وسيف السـنة المسلول على المبتدعين
شيخ الاسلام أبى العباس تقى الدين أحـمد بن
عبد الحليم الشهير بابن تيميـة الحرانى
الدمشـــق الحنبـــلى المتوفى
ســـنة ٧٢٨ نفع
الله به آمين

﴿ وبهامشه الكتاب المسمى بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ﴾
للمـــؤلف المـــذكور

(الطبعـــــة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٢ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الرافضى) المنهج الثانى فى الادلة المأخوذة من القرآن والبراهين الدالة على امامة على من الكتاب العزيز كثيرة الاول قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وقد أجمعوا أنها نزلت فى على قال الثعلبى فى اسناده الى أبى ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين والاصمتا ورأيته بهاتين والاعميتا يقول على قائد البررة وقاتل الكفرة فمنصور من نصره ومخذول من خذله أما انى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيأ فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم انك تشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعطنى أحد شيأ وكان على راكعا فأومأ بخنصره اليمنى وكان متختما فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم وذلك بعين النبى صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من صلاته رفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان موسى سألك وقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى فأنزلت عليه قرآنا ناطقا سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واجعل لى وزيرا من أهلى عليا اشدد به ظهرى قال أبوذر فما استتم كلامه حتى نزل عليه جبريل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال ما أقرأ قال اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ونقل الفقيه ابن المغازلى الواسطى الشافعى أن هذه نزلت فى على والولى هو المتصرف وقد أثبت له الولاية فى الآية كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله

(والجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل) (١) واذ قد عرف ما قاله الناس من جميع الطوائف فى مسئلة الافعال الاختيارية القائمة بذات الله تعالى وضعف أدلة النفاة واعتراف أبى عبد الله الرازى وغيره بذلك وأنه اعتمد على حجة الكمال والنقصان وهى ضعيفة أيضا كما تقدم وذكر هو وأبو الحسن الآمدى ومن اتبعهما أدلة نفاة ذلك وأبطلوها كلها ولم يستدلوا على نفى ذلك الا بأن ما يقوم به ان كان صفة كمال كان عدمه قبل حدوثه نقصا وان كان نقصا لزم اتصافه بالنقص والله منزه عن ذلك وهذه الحجة ضعيفة ولعلها أضعف مما ضعفوه فان لقائل أن يبطلها من وجوه كثيرة

* أحدها أن يقال القول فى الافعال القائمة به الحادثة بمشيئته وقدرته كالقول فى أفعاله التى هى المفعولات المنفصلة التى يحدثها بمشيئته وقدرته فان القائلين بقدم العالم أوردوا عليهم هذا السؤال فقالوا الفعل ان كان صفة كمال لزم عدم الكمال له فى الازل وان كان صفة نقص لزم اتصافه بالنقائص فأجابوهم بأنه ليس صفة نقص ولا كمال وهذا كما أن من حجج النفاة أنه لو كان قابلا

(١) انظر متعلق الظرف فانه لم يذكره كتبه مصححه

(والجواب) من وجوه أحدها أن يقال ليس فيما ذكره ما يصلح أن يقبل ظنا بل كل ما ذكره كذب وباطل من جنس السفسطة وهو لو أفاده ظنونا كان تسميته براهين تسمية منكرة فان البرهان فى القرآن وغيره يطلق على ما يفيد العلم واليقين كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقال تعالى أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فالصادق لابد له من برهان على صدقه والصدق المجزوم بأنه صدق هو المعلوم وهذا الرجل جميع ما ذكره من الحجج فيها كذب فلا يمكن أن يذكر حجة واحدة جميع مقدماتها صادقة فان المقدمات الصادقة يمتنع أن تقوم على باطل وسنبين ان شاء الله تعالى فى كل واحدة منها ما يبين كذبها فتسمية هذه براهين من أقبح الكذب ثم انه يعتمد فى تفسير القرآن على قول يحكى عن بعض الناس مع أنه قد يكون كذبا عليه وان كان صدقا فقد خالفه أكثر الناس فان كان قول الواحد لم يعلم صدقه وقد خالفه الأكثرون برهانا فانه يقيم براهين كثيرة من هذا الجنس على نقيض ما يقوله فتتعارض البراهين فتتناقض والبراهين لا تتناقض بل سنبين ان شاء الله تعالى قيام البراهين الصادقة التى لا تتناقض على كذب ما يدعيه من البراهين وأن الكذب فى عامتها كذب ظاهر لا يخفى إلا على من أعمى الله قلبه وأن البراهين الدالة على نبوة الرسول حق وأن القرآن حق وأن دين الاسلام حق تناقض ما ذكره من البراهين فان غاية ما يدعيه من البراهين اذا تأمله اللبيب وتأمل لوازمه وجده يقدح فى الايمان والقرآن والرسول وهذا لأن أصل الرافضى كان من وضع قوم زنادقة منافقين مقصودهم الطعن فى القرآن والرسول ودين الاسلام فوضعوا من الاحاديث ما يكون التصديق به طعنا فى دين الاسلام وروجوها على أقوام فمنهم من كان صاحب هوى وجهل فقبلها لهواه ولم ينظر فى حقيقتها ومنهم من كان له نظر فتدبرها فوجدها تقدح فى الاسلام فقال بموجبها وقدح بها فى دين الاسلام إما لفساد اعتقاده فى الدين واما لاعتقاده أن هذه صحيحة وقدحت فيما كان يعتقده من دين الاسلام ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب فان ما تنقله الرافضة من الاكاذيب تسلطوا به على الطعن فى الاسلام وصارت شبها عند من لم يعرف أنه كذب وكان عنده خبرة بحقيقة الاسلام وضلت طوائف كثيرة من الاسمعيلية والنصيرية وغيرهم من الزنادقة الملاحدة المنافقين وكان مبدأ ضلالهم تصديق الرافضة فى أكاذيبهم التى يذكرونها فى تفسير القرآن والحديث كان أئمة العبيديين انما يقيمون مبدأ دعواهم بالاكاذيب التى اختلقتها الرافضة ليستجيب لهم بذلك الشيعة الضلال ثم ينقلون الرجل من القدح فى الصحابة الى القدح فى على ثم فى النبى صلى الله عليه وسلم ثم فى الالهية كما رتبه لهم صاحب البلاغ الاكبر والناموس الاعظم ولهذا كان الرفض أعظم باب ودهليز الى الكفر والالحاد

(نقول ثانيا) الجواب عن هذه الآية حق من وجوه ۞ (الاول) أنا نطالبه بصحة هذا النقل ولا نذكر هذا الحديث على وجه تقوم به الحجة فان مجرد عزوه الى تفسير الثعلبى أو نقل الاجماع على ذلك من غير العالمين بالمنقولات الصادقين فى نقلها ليس بحجة باتفاق أهل العلم وان لم نعرف ثبوت اسناده وكذلك اذا روى فضيلة لابى بكر وعمر لم يجز اعتقاد ثبوت ذلك بمجرد ثبوت روايته باتفاق أهل العلم فالجمهور أهل السنة لا يثبتون بمثل هذا شيأ يريدون اثباته لا حكما ولا فضيلة ولا غير ذلك وكذلك الشيعة واذا كان هذا بمجرده ليس بحجة باتفاق كلهما

لقيام الحادث به لكان القبول من لوازم ذاته ووجود المقبول فى الازل محال فأجيبوا بأنه لا فرق بين حدوث ما يقوم به أو بغيره فاذا قيل لو كان قادرا على فعل الحوادث لكان ذلك من لوازم ذاته وذلك فى الازل محال فما كان جوابا عن هذا كان جوابا عن هذا وقد أورد الرازى على ذلك فى بعض كتبه أن القادر يتقدم المقدور والقابل لا يجب أن يتقدم المقبول وهذا فرق فى غاية الضعف لوجوه ۞ أحدها أن الكلام انما هو فى مقبول مقدور لا فى مقبول غير مقدور فان ما كان حادثا فالرب قادر عليه وهو قادر على أفعاله القائمة به كما هو قادر على مفعولاته المنفصلة قال تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى وقال تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية وقال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقال تعالى وهو على جمعهم اذا يشاء قدير فبين أنه قادر على الاحياء والبعث والخلق والجمع وهذه أفعال وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى مسعود البدرى لما رآه يضرب عبد الله أقدر عليك منك عليه فتعين أنه قادر على نفسه والمقصود هنا أن الكلام انما هو فى الحوادث التى هى مقدورة ليس فى كل مقبول فاذا كان

بطل الاحتجاج به وهكذا القول فى كل مانقله وعزاه الى أبى نعيم أوالثعلبى أوالنقاش أوابن المغازى ونحوهم (الثانى) قوله قدأجمعوا أنهانزلت فى على من أعظم الدعاوى الكاذبة بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنهالم تنزل فى على بخصوصه وأن عليالم يتصدق بخاتمه فى الصلاة وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية فى ذلك من الكذب الموضوع وأمامانقله من تفسير الثعلبى فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبى روى طائفة من الاحاديث الموضوعات كالحديث الذى يرويه فى أول كل سورة عن أبى أمامة فى فضل تلك السورة وكأمثال ذلك ولهذا يقولون هو كحاطب ليل وهكذا الواحدى تلميذه وأمثالهما من المفسرين ينقلون الصحيح والضعيف ولهذا لما كان البغوى عالما بالحديث أعلم به من الثعلبى والواحدى وكان تفسيره مختصر تفسير الثعلبى لم يذكر فى تفسيره شيأ من هذه الاحاديث الموضوعة التى يرويها الثعلبى ولاذكر تفاسير أهل البدع التى ذكرها الثعلبى مع أن الثعلبى فيه خير ودين لكنه لاخبرة له بالصحيح والسقيم من الاحاديث ولايميز بين السنة والبدعة فى كثير من الاقوال وأما أهل العلم الكبار أهل التفسير مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى وبقى بن مخلد وابن أبى حاتم وابن المنذر وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وأمثالهم فلم يذكروا بهامثل هذه الموضوعات دع من هو أعلم منهم مثل تفسير أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ولاتذكر مثل هذه عند ابن حميد ولاعبد الرزاق مع أن عبد الرزاق كان يميل الى التشيع ويروى كثيرا من فضائل على وان كانت ضعيفة لكنه أجل قدرا من أن يروى مثل هذا الكذب الظاهر وقد أجمع أهل العلم بالحديث على أنه لايجوز الاستدلال بمجرد خبر يرويه الواحد من جنس الثعلبى والنقاش والواحدى وأمثال هؤلاء المفسرين لكثرة مايروونه من الحديث ويكون ضعيفا بل موضوعا فنحن لو لم نعلم كذب هؤلاء من وجوه أخرى لم يجز أن نعتمد عليه لكون الثعلبى وأمثاله رووه فكيف اذا كنا عالمين بأنه كذب وسنذكر ان شاء الله تعالى ما يبين كذبه عقلا ونقلا وانما المقصود هنا بيان افتراء هذا المصنف وكثرة جهله حيث قال قدأجمعوا أنهانزلت فى على فياليت شعرى من نقل هذا الاجماع من أهل العلم العالمين بالاجماع فى مثل هذه الامور فان نقل الاجماع فى مثل هذا لايقبل من غير أهل العلم بالمنقولات ومافيها من اجماع واختلاف فالمتكلم والمفسر والمؤرخ ونحوهم لوادعى أحدهم نقلا مجردا بلا اسناد ثابت لم يعتمد عليه فكيف اذا ادعى اجماعا (الوجه الثالث) أن يقال هؤلاء المفسرون الذين ينقل من كتبهم هم ومن هم أعلم منهم قدنقلوا ما يناقض هذا الاجماع المدعى ونقل الثعلبى فى تفسيره أن ابن عباس يقول نزلت فى أبى بكر ونقل عن عبد الملك قال سألت أباجعفر قال هم المؤمنون قلت فان ناسا يقولون هو على قال فعلى من الذين آمنوا وعن الضحاك مثله وروى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه قال حدثنا أبوصالح كاتب الليث حدثنا معاوية حدثنا على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه قال كل من آمن فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا قال وحدثنا أبوسعيد الأشج عن المحاربى عن عبد الملك بن أبى سليمن قال سألت أباجعفر محمد بن على عن هذه الآية فقال هم الذين آمنوا قلت نزلت فى على قال على من الذين آمنوا وعن السدى مثله (الوجه الرابع) انانعفيه من الاجماع ونطالبه أن ينقل ذلك باسناد واحد صحيح وهذا الاسناد الذى ذكره الثعلبى اسناد ضعيف فيه رجال متهمون وأمانقل ابن المغازى الواسطى فأضعف وأضعف فان هذا قدجمع فى كتابه من الاحاديث الموضوعة مالايخفى أنه كذب على من له أدنى معرفة

المقدور لايوجد فى الازل امتنع وجود الحوادث كذلك فلايصح ان يفرق بين مقبول مقدور ومقبول غير مقدور اذ كلاهما مقدور * الوجه الثانى أن يقال اماأن يكون وجود الحادث فى الازل ممكنا واماأن يكون ممتنعا فان كان ممكنا أمكن وجود المقدور فى الازل وان كان ممتنعا امتنع وجوده مقبولا ومقدورا * الثالث أن يقال اثبات المقدور حال امتناع المقدور جمع بين المتناقضين فلا يعقل اثبات القدرة فى حال امتناع المقدور بل فى حال امكانه ولهذا أنكر المسلمون وغيرهم على من قال من أهل الكلام انه قادر فى الازل مع امتناع المقدور فى الازل وقالوا هذا جمع بين المتناقضين وقالوا انه يستلزم انتقال المقدور من الامكان الى الامتناع بدون سبب يوجب هذا الانتقال ويوجب أن يصير الرب قادرا بعد أن لم يكن قادرا بدون سبب يوجب ذلك وقد بسط الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع (الوجه الثانى) أن يقال كونه بحيث يتكلم ويفعل مايشاء صفة كمال وهو لم يزل متصفا بذلك وأما الشئ المعين فحدوثه لانقص ولا كمال (الوجه الثالث) أن يقال ماتعنى بقولك عدم ذلك نقص أتعنى به أن ذاته ناقصة وأنها ليست متصفة بصفات الكمال الواجبة لها أم تعنى به عدم

بالحديث والمطالبة باسناد يتناول هذا وهذا (الوجه الخامس) أن يقال لو كان المراد بالآية
أن يؤتى الزكاة حال ركوعه كما يزعمون أن عليا تصدق بخاتمه فى الصلاة لوجب أن يكون ذلك
شرطا فى الموالاة وأن لا يتولى المسلمون الا عليا وحده فلا يتولى الحسن ولا الحسين ولا سائر بنى
هاشم وهذا خلاف اجماع المسلمين (الوجه السادس) أن قوله الذين صيغة جمع فلا يصدق
على على وحده (الوجه السابع) أن الله تعالى لا يثنى على الانسان الا بما هو محمود عنده
اما واجب واما مستحب والصدقة والعتق والهدية والهبة والاجارة والنكاح والطلاق
وغير ذلك من العقود فى الصلاة ليست واجبة ولا مستحبة باتفاق المسلمين بل كثير منهم يقول
ان ذلك يبطل الصلاة وان لم يتكلم بل تبطل بالاشارة المفهمة وآخرون يقولون لا يحصل
الملك بها لعدم الايجاب الشرعى ولو كان هذا مستحبا لكان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله
ويحض عليه أصحابه ولكان على يفعله فى غير هذه الوقعة فلما لم يكن شىء من ذلك علم أن التصدق
فى الصلاة ليس من الاعمال الصالحة واعطاء السائل لا يفوت فيمكن المتصدق اذا سلم أن يعطيه
وإن فى الصلاة لشغلا (الوجه الثامن) أنه لو قدر أن هذا مشروع فى الصلاة لم يختص بالركوع
بل يكون فى القيام والقعود أولى منه فى الركوع فكيف يقال لا ولى الا الذين يتصدقون
(١) فى كل الركوع فلو تصدق المتصدق فى حال القيام والقعود أما كان يستحق هذه الموالاة فان
قيل هذه أراد بها التعريف بعلى على خصوصه قيل له أوصاف على التى يعرف بها كثيرة
ظاهرة فكيف يترك تعريفه بالامور المعروفة ويعرفه بالامر لا يعرفه الا من سمع هذا
وصدقه وجمهور الامة لا تسمع هذا الخبر ولا هو فى شىء من كتب المسلمين المعتمدة لا الصحاح
ولا السنن ولا الجوامع ولا المعجمات ولا شىء من الامهات فأحد الامرين لازم ان قصد به المدح
بالوصف فهو باطل وان قصد به التعريف فهو باطل (الوجه التاسع) أن يقال قوله
ويؤتون الزكاة وهم راكعون على قولهم يقتضى أن يكون قد آتى الزكاة فى حال ركوعه وعلى
رضى الله عنه لم يكن ممن تجب عليه على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان فقيرا وزكاة
الفضة انما تجب على من ملك النصاب حولا وعلى لم يكن من هؤلاء (الوجه العاشر) أن
اعطاء الخاتم فى الزكاة لا يجزى عند كثير من الفقهاء الا اذا قيل بوجوب الزكاة فى الحلى وقيل
انه يخرج من جنس الحلى ومن جوز ذلك بالقيمة فالتقويم فى الصلاة متعذر والقيم تختلف
باختلاف الاحوال (الوجه الحادى عشر) أن هذه الآية بمنزلة قوله وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة واركعوا مع الراكعين هذا أمر بالركوع وكذلك قوله يا مريم اقنتى لربك واسجدى
واركعى مع الراكعين وهذا أمر بالركوع قد قيل ذكر ذلك ليبين أنهم يصلون جماعة لان
المصلى فى الجماعة انما يكون مدركا للركعة بادراك ركوعها بخلاف الذى لم يدرك الا السجود
فانه قد فاتته الركعة وأما القيام فلا يشترط فيه الادراك وبالجملة الواو إما واو الحال وإما
واو العطف والعطف هو الاكثر وهى المعروفة فى مثل هذا الخطاب وقوله انما يتضح اذا كانت
واو الحال فان لم يكن لهم دليل على تعيين ذلك بطلت الحجة (الوجه الثانى عشر) انه من
المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفا عن سلف أن هذه الآية نزلت فى النهى عن موالاة
الكفار والامر بموالاة المؤمنين لما كان بعض المنافقين كعبد الله بن أبى يوالى اليهود ويقول
انى أخاف الدوائر فقال بعض المؤمنين هو عبادة بن الصامت انى أتولى الله ورسوله وأبرأ الى الله
ورسوله من هؤلاء الكفار وولايتهم (٢) ولهذا لما جاءتهم بنو قينقاع وسبب تأمرهم عبد الله

ماسيوجد لها أما الاول فباطل
وأما الثانى فلم قلت ان هذا ممتنع
(الرابع) أن يقال أنتم قلتم ما ذكره
أبو المعالى والرازى وغيرهما من
أن تنزيهه عن النقائص انما علم
بالسمع لا بالعقل فاذا قلتم انه ليس
فى العقل ما ينفى ذلك لم يبق نفى
ذلك الا بالسمع الذى هو الاجماع
عندكم ومعلوم أن السمع الذى هو
الاجماع والاجماع وغيره لم ينف
هذه الامور وانما نفى ما يناقض
صفات الكمال كالموت المنافى
للحياة والسنة والنوم المنافى
للقيومية واللغوب المنافى لكمال
القدرة ولهذا كان الصواب أن
الله منزه عن النقائص شرعا وعقلا
فان العقل كما دل على اتصافه بصفات
الكمال من العلم والقدرة والحياة
والسمع والبصر والكلام دل أيضا
على نفى اضداد هذه فان اثبات
الشىء يستلزم نفى ضده ولا معنى
للنقائص الا ما ينافى صفة الكمال
وأيضا فكل كمال اتصف به المخلوق
اذا لم يكن فيه نقص بوجه ما
فالخالق أحق به لانه هو الذى خلقه
وكل كمال اتصف به موجود ممكن
وحادث فالموجود الواجب القديم
أولى به وكل نقص تنزه عنه مخلوق

---

(١) قوله فى كل الركوع لعل لفظة كل من زيادة الناسخ وحرر

(٢) قوله ولهذا لما جاءتهم الخ كذا فى الاصل ولعل فيه سقطا وتحريفا فليحرر كتبه مصححه

ابن أبي ابن سلول فأنزل الله هذه الآية يبين فيها وجوب موالاة المؤمنين عموما وينهى عن موالاة الكفار عموما وقد تقدم كلام الصحابة والتابعين أنها عامة (الوجه الثالث عشر) ان سياق الكلام يدل على ذلك لمن تدبر القرآن فانه قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فهذا نهى عن موالاة اليهود والنصارى ثم قال فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده الى قوله فأصبحوا خاسرين فهذا وصف الذين فى قلوبهم مرض الذين يوالون الكفار كالمنافقين ثم قال يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فذكر فضل المرتدين وأنهم لن يضروا الله شيأ وذكر من يأتى به بعدهم ثم قال انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فتضمن هذا الكلام ذكر أحوال من دخل فى الاسلام من المنافقين وممن يرتد عنه وحال المؤمنين الثابتين عليه ظاهرا وباطنا فهذا السياق مع إتيانه بصيغة الجمع مما يوجب الجمع لمن يريد ذلك علما يقينا لا يمكنه دفعه عن نفسه أن الآية عامة فى كل المؤمنين المتصفين بهذه الصفات لا تختص بواحد بعينه لا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا غيرهم لكن هؤلاء أحق الامة بالدخول فيها (الوجه الرابع عشر) ان الالفاظ المذكورة فى الحديث مما يعلم أنها كذب على النبى صلى الله عليه وسلم فان عليا ليس قائدا لكل البررة بل لهذه الامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا هو أيضا قاتلا لكل الكفرة بل قتل بعضهم كما قتل غيره بعضهم وما أحد من المجاهدين القاتلين لبعض الكفار الا وهو قاتل لبعض الكفرة وكذلك قوله منصور من نصره مخذول من خذله هو خلاف الواقع والنبى صلى الله عليه وسلم لا يقول الاحقا لاسيما على قول الشيعة فانهم يدعون ان الامة كلها خذلته الى قتل عثمان ومن المعلوم أن الامة كانت منصورة فى أعصار الخلفاء الثلاثة نصرا لم يحصل لها بعده مثله ثم لما قتل عثمان وصار الناس ثلاثة أحزاب حزب نصره وقاتل معه وحزب قاتلوه وحزب خذلوه لم يقاتلوا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء لم يكن الذين قاتلوا معه منصورين على الحزبين الآخرين ولا على الكفار بل أولئك الذين نصروا عليهم وصار الامر لهم لما تولى معاوية فانتصروا على الكفار وفتحوا البلاد وانما كان على منصورا كنصر أمثاله فى قتال الخوارج والكفار والصحابة الذين قاتلوا الكفار والمرتدين كانوا منصورين نصرا عظيما والنصر وقع كما وعد الله به حيث قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد فالقتال الذى كان بأمر الله وأمر رسوله من المؤمنين للكفار والمرتدين والخوارج كانوا فيه منصورين اذا اتقوا وصبروا فان التقوى والصبر من تحقيق الايمان الذى علق به النصر وأيضا فالدعاء الذى ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم عقب التصدق بالخاتم من أظهر الكذب فمن المعلوم أن الصحابة أنفقوا فى سبيل الله وقت الحاجة اليه ما هو أعظم قدرا ونفعا من إعطاء سائل خاتما وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر إن أمن الناس على فى صحبته وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقد تصدق عثمان بألف بعير فى سبيل الله فى غزوة العسرة حتى قال

النبى

موجود حادث اذا لم يكن فيه نقص بوجه ما فالخالق أولى بتنزيهه عنه (١) (السادس) ان يقال اذا عرضنا على العقل الصريح ذاتا لا علم لها ولا قدرة ولا حياة ولا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر أو لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات وذاتا موصوفة بالحياة والعلم والقدرة والكلام والمشيئة كان صريح العقل قاضيا بان المتصفة بهذه الصفات التى هى صفات الكمال بل القابلة للاتصاف بها أكمل من ذات لا تتصف بهذه ولا تقبل الاتصاف بها ومعلوم بصريح العقل ان الخالق المبدع لجميع الذوات وكمالاتها أحق بكل كمال وأحق بالكمال الذى باين به جميع الموجودات وهذا الطريق ونحوه مما سلكه أهل الاثبات للصفات فيقال واذا عرضنا على العقل الصريح ذاتا لا فعل لها ولا حركة ولا تقدر أن تصعد ولا تنزل ولا تأتى ولا تجىء ولا تقرب ولا تقبض ولا تطوى ولا تحدث شيأ بفعل يقوم بها وذاتا تقدر على هذه الافعال وتحدث الاشياء بفعل لها كانت هذه الذات أكمل فان تلك كالجمادات أو الحى الزمن المجدع والحى أكمل من الجماد والحى القادر على العمل أكمل من العاجز

(١) سقط الخامس من الاصل المنقول منه كذا فى هامش كتبه مصححه

النبي صلى الله عليه وسلم ماضر عثمان مافعل بعد اليوم والانفاق في سبيل الله وفي إقامة الدين في أول الاسلام أعظم من صدقة على سائل محتاج ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه أخرجاه في الصحيحين قال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فكذلك الانفاق الذي صدر في أول الاسلام في اقامة الدين مابقي له نظير يساويه وأما اعطاء السؤال لحاجتهم فهذا البر يوجد مثله الى يوم القيامة فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لاجل تلك النفقات العظيمة النافعة الضرورية لا يدعو بمثل هذا الدعاء فكيف يدعو به لاجل اعطاء خاتم لسائل قد يكون كاذبا في سؤاله ولا ريب أن هذا ومثله من كذب جاهل أراد أن يعارض ماثبت لابي بكر بقوله وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى بأن يذكر لعلي شيأ من هذا الجنس فما أمكنه أن يكذب أنه فعل ذلك في أول الاسلام فكذب هذه الاكذوبة التي لا تروج الا على مفرط في الجهل وأيضا فكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة والنصرة واجعل لي وزيرا من أهلي عليا اشدد به ظهري مع أن الله قد أعزه بنصره وبالمؤمنين كما قال تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فالذي كان معه حين نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا هو أبو بكر وكانا اثنين الله ثالثهما وكذلك لما كان يوم بدر لما صنع له عريش كان الذي دخل معه في العريش دون سائر الصحابة أبا بكر وكل من الصحابة له في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعي مشكور وعمل مبرور وروى أنه لما جاء علي بسيفه يوم أحد قال لفاطمة اغسليه غير ذميم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تك أحسنت فقد أحسن فلان وفلان وفلان فعدد جماعة من الصحابة ولم يكن لعلي اختصاص بنصر النبي صلى الله عليه وسلم دون أمثاله ولا اعرف موطن احتاج النبي صلى الله عليه وسلم فيه الى معونة علي وحده لا باليد ولا باللسان ولا كان ايمان الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعتهم له لاجل علي بسبب دعوة علي لهم وغير ذلك من الاسباب الخاصة كما كان هرون مع موسى فان بني اسرائيل كانوا يحبون هرون جدا ويهابون موسى وكان هرون يتألفهم والرافضة تدعي أن الناس كانوا يبغضون عليا وأنهم لبغضهم له لم يبايعوه فكيف يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم احتاج اليه كما احتاج موسى الى هرون وهذا أبو بكر الصديق أسلم على يديه ستة أو خمسة من العشرة عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ولم يعلم أنه أسلم على يد علي وعثمان وغيرهما أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والانصار ومصعب بن عمير هو الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة لما بايعه الانصار ليلة العقبة وأسلم على يديه رؤس الانصار كسعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته وأسيد بن حضير وغير هؤلاء وكان أبو بكر يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو معه الكفار الى الاسلام في الموسم ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة بخلاف غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال أيها الناس اني جئت اليكم فقلت اني رسول الله فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت فهل أنتم تاركو لي صاحبي ثم ان موسى دعا بهذا الدعاء قبل أن يبلغ الرسالة الى الكفار

عنه كما ان مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم كالجماد أو كالاعمى الاصم الاخرس والحي أكمل من الجماد والحي الذي يسمع ويبصر ويتكلم أكمل من الاصم الاعمى الاخرس واذا كان كذلك فاذا أراد نافي الفعل ان ينفيه لئلا يصفه في الازل بالنقص فقال لو كان فعالا بنفسه لكان الفعل المتأخر معدوما في الازل وعدمه صفة نقص فكان متصفا بالنقص كان بمنزلة من يقول انه لا يقدر أن يحدث الحوادث ولا يفعل ذلك لانه لو قدر على ذلك وفعله لكان احداثه للحادث الثاني معدوما قبل احداثه وذلك نقص فيكون متصفا بالنقص فيقال أنت وصفته بكمال النقص حذرا من ان تصفه بما هو عندك نوع نقص فان من لا يفعل قط ولا يقدر أن يفعل هو أعظم نقصا ممن يقدر على الفعل ويفعله والفعل لا يكون الا حادثا شيأ بعد شيء وهذه عادة النفاة لا ينفون شيأ من الصفات فرارا من محذور الا لزمهم في النفي أعظم من ذلك المحذور كنفاة الصفات من الباطنية من المتفلسفة وغيرهم لما قيل لهم اذا لم يوصف بالعلم والقدرة والحياة لزم أن يتصف بما يقابل ذلك كالعجز والجهل والموت فقالوا انما يلزم ذلك لو كان قابلا للاتصاف بذلك فان المتقابلين تقابل السلب والايجاب كالوجود والعدم اذا عدم أحدهما ثبت الآخر وأما المتقابلان تقابل العدم والملكة كالحياة

ليعاونوا عليها ونبينا صلى الله عليه وسلم كان قد بلغ الرسالة لما بعثه الله بلغها وحده وأول من آمن به باتفاق أهل الارض أربعة أول من آمن به من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان على ومن الموالى زيد وكان أنفع الجماعة فى الدعوة باتفاق الناس أبو بكر ثم خديجة لان أبا بكر هو أول رجل حر بالغ آمن به باتفاق الناس وكان له قدر عند قريش لما كان فيه من المحاسن فكان أمنّ الناس عليه فى صحبته وذات يده ومع هذا فما دعا الله أن يشد أزره بأحد لا بأبى بكر ولا بغيره بل قام مطيعا لربه متوكلا عليه صابرا له كما أمره بقوله قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر وقال فاعبده وتوكل عليه فمن زعم أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يشد أزره بشخص من الناس كما سأل موسى أن يشد أزره بهرون فقد افترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخسه حقه ولا ريب أن الرفض مشتق من الشرك والالحاد والنفاق لكن تارة يظهر ذلك وتارة يخفى (الوجه الخامس عشر) أن يقال غاية ما فى الآية أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين فيوالون عليا ولا ريب أن موالاة على واجبة على كل مؤمن كما يجب على كل مؤمن موالاة أمثاله من المؤمنين قال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فبين الله أن كل صالح من المؤمنين مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أن الله مولاه وجبريل مولاه لا أن يكون صالح المؤمنين متوليا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا متصرفا فيه وأيضا فقد قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فجعل كل مؤمن وليا لكل مؤمن وذلك لا يوجب أن يكون أميرا عليه معصوما لا يتولى عليه الا هو وقال تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون فكل مؤمن تقى فهو ولى لله والله وليه كما قال تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الى قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فهذه النصوص كلها ثبتت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وان هذا ولى هذا وهذا ولى هذا وأنهم أولياء الله وأن الله وملائكته والمؤمنين موالى رسوله كما أن الله ورسوله والذين آمنوا هم أولياء المؤمنين وليس فى شئ من هذه النصوص أن من كان وليا للآخر كان أميرا عليه دون غيره وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس (الوجه السادس عشر) أن الفرق بين الولاية بالفتح والولاية بالكسر معروف فالولاية ضد العداوة وهى المذكورة فى هذه النصوص ليست هى الولاية بالكسر التى هى الامارة وهؤلاء الجهال يجعلون الولى هو الامير ولم يفرقوا بين الولاية والولاية والامير يسمى الوالى ولكن قد يقال هو ولى الامر كما يقال وليت أمركم ويقال أولو الامر وأما اطلاق القول بالمولى وارادة الولى فهذا لا يعرف بل يقال فى الولى المولى ولا يقال الوالى ولهذا قال الفقهاء اذا اجتمع فى الجنازة الوالى والولى فقيل يقدم الوالى وهو قول أكثرهم وقيل يقدم الولى فبين أن الآية دلت على الموالاة المخالفة للمعاداة الثابتة لجميع المؤمنين بعضهم على بعض وهذا مما يشترك فيه الخلفاء الاربعة وسائر أهل بدر وأهل بيعة الرضوان فكلهم بعضهم أولياء بعض ولم تدل الآية على أحد منهم يكون أميرا على غيره بل هذا باطل من وجوه كثيرة اذ لفظ الولى والولاية غير لفظ الوالى والآية عامة فى المؤمنين والامارة لا تكون عامة (الوجه السابع عشر) انه لو أراد الولاية التى هى الامارة لقال انما يتولى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا ولم يقل ومن يتول الله ورسوله فانه لا يقال لمن ولى عليهم

ولا

والموت والعمى والبصر فقد يخلو المحل عنهما كالجماد فانه لا يوصف لا بهذا ولا بهذا فيقال لهم فررتم عن تشبيهه بالحيوان الناقص الذى لا يسمع ولا يبصر مع امكان ذلك عنه فشبهتموه بالجماد الذى لا يقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا فكان ما فررتم اليه شرا مما فررتم منه ولهذا نظائر مبسوطة فى غير هذا الموضع والمقصود هنا أن من نفى الافعال الاختيارية القائمة به لئلا يكون قبل وجود الحادث منها ناقصا كان قد وصفه بالنقص التام فرارا بزعمه مما يظنه نقصا (الوجه السابع) أن يقال الافعال التى حدثت بعد أن لم تكن لم يكن وجودها قبل وجودها كمالا ولا عدمها نقصا فان النقص انما يكون اذا عدم ما يصلح وجوده وما به يحصل الكمال وما ينبغى وجوده ونحو ذلك والرب تعالى حكيم فى أفعاله وهو المقدم والمؤخر فما قدمه كان الكمال فى تقديمه وما أخره كان الكمال فى تأخيره كما أن ما خصصه بما خصصه به من الصفات فقد فعله على وجه الحكمة وان لم نعلم نحن تفاصيل ذلك واعتبر ذلك بما يحدثه من المحدثات (الوجه الثامن) أن يقال الحوادث يمتنع قدمها ويمتنع أن توجد معا ولو وجدت معا لم تكن حوادث ومعلوم أنه اذا دار الامر بين احداث الحوادث وعدم احداثها كان احداثها أكمل

ولا انهم يقولون تولوه بل يقال تولى عليهم (الوجه الثامن عشر) أن الله سبحانه لا يوصف بانه متول على عباده وانه أمير عليهم جل جلاله وتقدست أسماؤه فانه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والامر لا يقال ان الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولى مثل على وغيره أمير المؤمنين بل الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا لا يقال انه متول على الناس وانه أمير عليهم فان قدره أجل من هذا بل أبو بكر الصديق رضى الله عنه لم يكونوا يسمونه الا خليفة رسول الله وأول من سمى من الخلفاء أمير المؤمنين هو عمر رضى الله عنه وقد روى أن عبد الله بن جحش كان أميرا في سرية فسمى أمير المؤمنين لكن امارة خاصة في تلك السرية لم يسم أحد بامارة المؤمنين عموما قبل عمر وكان خليقا بهذا الاسم وأما الولاية المخالفة للعداوة فانه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة وهذه الولاية من رحمته واحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته اليه قال تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل فالله تعالى لم يكن له ولى من الذل بل هو القائل من كان يريد العزة فلله العزة جميعا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذاته اذا لم يكن له ولى ينصره (الوجه التاسع عشر) أنه ليس كل من تولى عليه امام عادل يكون من حزب الله ويكون غالبا فان أئمة العدل يتولون على المنافقين والكفار كما كان في مدينة النبى صلى الله عليه وسلم تحت حكمه ذميون ومنافقون وكذلك كان تحت ولاية على كفار ومنافقون والله تعالى يقول ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فلو أراد الامارة لكان المعنى ان كل من تأمر عليهم الذين آمنوا يكونون من حزبه الغالبين وليس كذلك وكذلك الكفار والمنافقون تحت أمر الله الذى هو قضاؤه وقدره مع كونه لا يتولاهم بل يبغضهم

﴿فصل﴾ قال الرافضى البرهان الثانى قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته اتفقوا على نزولها في على وروى أبو نعيم الحافظ من الجمهور باسناده عن عطية قال نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في على بن أبى طالب ومن تفسير الثعلبى قال معناه بلغ ما أنزل اليك من ربك في فضل على فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على فقال من كنت مولاه فعلى مولاه والنبى صلى الله عليه وسلم مولى أبى بكر وعمر وباقى الصحابة بالاجماع فيكون على مولاهم فيكون هو الامام ومن تفسير الثعلبى لما كان النبى صلى الله عليه وسلم بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد على وقال من كنت مولاه فعلى مولاه فشاع ذلك وطار بالبلاد فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى أتى الابطح فنزل عن ناقته وأناخها فعقلها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ملا من الصحابة فقال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلى خمسا فقبلناه منك وأمرتنا أن نزكى أموالنا فقبلناه منك وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلناه منك وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك وفضلته علينا وقلت من كنت مولاه فعلى مولاه وهذا منك أم من الله قال النبى صلى الله عليه وسلم والله الذى لا إله إلا هو أمر الله فولى الحرث يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل اليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته

ولا يكون احداثها الا مع عدم الحادث منها في الازل واذا كان كذلك كان هذا بمنزلة جعل الشئ موجودا معدوما فلا يقال عدم فعل هذا أو عدم تعلق القدرة به صفة نقص بل النقص عدم القدرة على جعله موجودا فاذا كان قادرا على ذلك كان موصوفا بصفة الكمال التى لا يمكن غيرها فكذلك المحدث للامور المتعاقبة هو موصوف بالكمال الذى لا يمكن في الحدوث غيره (الوجه التاسع) أن يقال لا ريب أن الحوادث مشهودة وأن لها محدثا أحدثها فالمحدث لها إما أن يحدثها بفعل اختيارى يقوم به وإما أن تحدث عنه شيأ بعد شئ من غير فعل يقوم به ولا حدوث شئ منه ومعلوم أن اتصافه بالاول أولى لو كان الثانى ممكنا فان الاول فيه وصفه بصفة الكمال بخلاف الثانى فكيف والثانى ممتنع لان حدوث الحوادث من غير سبب حادث ممتنع واذا كان حال الفاعل قبل حدوثها كحاله مع حدوثها وبعد حدوثها وهى في الحالين حادثة لم يكن الفاعل قد فعل شيأ ولا أحدث شيأ بل حدثت بذاتها وهذا الدليل قد بسط في غير هذا الموضع وبين فساد قول الفلاسفة الدهرية القائلين بأن حركات الافلاك تصدر عن قديم أزلى لا يحدث منه شئ وأن قولهم أفسد من قول المعتزلة ونحوهم من أهل الكلام

وخرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله
وقد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور في تفسيره

(والجواب) من وجوه أحدها أن هذا أعظم كذبا وفرية من الاول كما سنبينه ان شاء الله تعالى وقوله اتفقوا على نزولها في علي أعظم كذبا مما قاله في تلك الآية فلم يقل لاهذا ولاذاك أحد من العلماء الذين يدرون ما يقولون وما يرويه أبو نعيم في الحلية أو في فضائل الخلفاء والنقاش والثعلبي والواحدي ونحوهم في التفسير قد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيرا من الكذب الموضوع واتفقوا على أن هذا الحديث المذكور الذي رواه الثعلبي في تفسيره هو من الموضوع وسنبين أدلة يعرف بها أنه موضوع وليس من أهل العلم بالحديث ولكن المقصود هنا انا نذكر قاعدة فنقول المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب والمرجع في التمييز بين هذا وهذا الى علم الحديث كما نرجع الى النحاة في الفرق بين نحو العرب وغير نحو العرب ونرجع الى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك فلكل علم رجال يعرفون به والعلماء بالحديث أجل قدرا من هؤلاء وأعظمهم صدقا وأعلاهم منزلة وأكثر دينا وهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وعلما وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل مثل مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك ووكيع والشافعي وأحمد واسحق بن راهويه وأبي عبيد وابن معين وابن المديني والبخاري ومسلم وأبي داود وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي والعجلي وأبي أحمد بن عدي وأبي حاتم البستي والدارقطني وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى عددهم من أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل وان كان بعضهم أعلم بذلك من بعض وبعضهم أعدل من بعض في وزن كلامه كما أن الناس في سائر العلوم كذلك وقد صنف الناس كتبا في نقلة الاخبار كبارا وصغارا مثل الطبقات لابن سعد وتاريخي البخاري والكتب المنقولة عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما وقبلها عن يحيى بن سعيد القطان وغيره وكتاب يعقوب بن سفيان وابن أبي خيثمة وابن أبي حاتم وكتاب ابن عدي وكتاب أبي حازم وأمثال ذلك وصنفت كتب الحديث تارة على المسانيد فتذكر ما أسنده الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كمسند أحمد واسحق وأبي داود الطيالسي وأبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن أبي عمر والعدني وأحمد بن منيع وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار البصري وغيرهم وتارة على الابواب فمنهم من قصد الصحيح كالبخاري ومسلم وابن خزيمة وأبي حاتم وغيرهم وكذلك من خرج على الصحيحين كالاسمعيلي والبرقاني وأبي نعيم وغيرهم ومنهم من خرج أحاديث السنن كأبي داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم ومنهم من خرج الجامع الذي يذكر فيه الفضائل وغيرها كالترمذي وغيره وهذا علم عظيم من أعظم علوم الاسلام ولا ريب أن الرافضة أقل معرفة بهذا الباب وليس في أهل الاهواء والبدع أجهل منهم به فان سائر أهل الاهواء كالمعتزلة والخوارج يقصرون في معرفة هذا لكن المعتزلة أعلم بكثير من الخوارج والخوارج أعلم بكثير من الرافضة والخوارج أصدق من الرافضة وأدين وأورع بل الخوارج لا نعرف عنهم أنهم يتعمدون الكذب بل هم أصدق الناس والمعتزلة مثل سائر الطوائف فيهم من يكذب وفيهم من يصدق لكن ليس لهم من العناية بالحديث ومعرفته ما لاهل الحديث والسنة فان هؤلاء لا يتدينون فيحتاجون الى أن يعرفوا ما هو الصدق وأهل البدع سلكوا طريقا آخر ابتدعوها واعتمدوها ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن في أصولهم

فان هؤلاء الفلاسفة استدلوا على قدم العالم بحجتهم العظمى وهو أنه لو حدث بعد أن لم يكن لاحتاج الى سبب حادث والقول في ذلك السبب كالقول فيه فيلزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح فيقال لهم أنتم تقولون بحدوث الحوادث شيأ بعد شئ عن فاعل قائم بنفسه لا تقوم به صفة ولا فعل ولا يحدث له فعل ولا غير فعل فقولكم بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عن لافعل له ولا صفة ولا يحدث منه شئ أعظم فسادا من قول من يقول انه تارة تصدر عنه الحوادث وتارة لا تصدر فانه ان كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شئ فيه محالا فصدورها دائما عنه من غير حدوث شئ فيه أشد احالة (الوجه العاشر) أن يقال أفعال الله تعالى إما أن يكون لها حكمة هي غايتها المطلوبة وإما أن لا يكون والناس لهم في هذا المقام قولان مشهوران أحدهما قول من لا يثبت الا المشيئة والثاني قول من يثبت حكمة قائمة بالمخلوق أو حكمة قائمة بالخالق والاقوال الثلاثة معروفة في عامة الطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم فان نفيتم الحكمة جوزتم أن يفعل أفعالا لا يحصل له بها كمال فيقال لهم قولوا في أفعاله القائمة بنفسه الاختيارية ما تقولون في حدوث المفعولات عنه وهو الفعل عندكم وان أثبتم الحكمة قيل لكم الحكمة

الا

الا للاعتضاد لا للاعتماد والرافضة أقل معرفة وعناية بهذا اذا كانوا لا ينظرون فى الاسناد ولا فى سائر الادلة الشرعية والعقلية هل توافق ذلك أو تخالفه ولهذا لا يوجد لهم أسانيد متصلة صحيحة قط بل كل اسناد متصل لهم فلا بد أن يكون فيه ما هو معروف بالكذب أو كثرة الغلط وهم فى ذلك شبيه باليهود والنصارى فانه ليس لهم اسناد والاسناد من خصائص هذه الامة وهو من خصائص الاسلام ثم هو فى الاسلام من خصائص أهل السنة والرافضة من أقل الناس عناية اذا كانوا لا يصدقون الا بما يوافق أهواءهم وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدى أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الاهواء لا يكتبون الا ما لهم ثم ان أولهم كانوا كثيرى الكذب فانتقلت أحاديثهم الى قوم لا يعرفون الصحيح من السقيم فلم يمكنهم التمييز الا بتصديق الجميع أو تكذيب الجميع والاستدلال على ذلك بدليل منفصل غير الاسناد فيقال ما رويه مثل أبى نعيم والثعلبى والنقاش وغيرهم أتقبلونه مطلقا أم تردونه مطلقا أم تقبلونه اذا كان لكم لا عليكم وتردونه اذا كان عليكم فان تقبلوه مطلقا ففى ذلك أحاديث كثيرة فى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان تناقض قولكم وقد روى أبو نعيم فى أول الحلية فى فضائل الصحابة وفى كتاب مناقب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أحاديث بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة بل منكرة وكان رجلا عالما بالحديث فيما ينقله لكن هو وأمثاله يروون ما فى الباب لا يعرف أنه روى كالمفسر الذى ينقل أقوال الناس فى التفسير والفقيه الذى يذكر الاقوال فى الفقه والمصنف الذى يذكر حجج الناس ليذكر ما ذكروه وان كان كثير من ذلك لا يعتقد صحته بل يعتقد ضعفه لانه يقول أنا نقلت ما ذكر غيرى فالعهدة على القائل لا على الناقل وهكذا كثير ممن صنف فى فضائل العبادات وفضائل الاوقات وغير ذلك يذكرون أحاديث كثيرة وهى ضعيفة بل موضوعة باتفاق أهل العلم كما يذكرون فى فضل صوم رجب أحاديث كلها ضعيفة بل موضوعة عند أهل العلم ويذكرون صلاة الرغائب فى أول جمعة منه وألفية نصف شعبان وكما يذكرون فى فضائل عاشوراء ما ورد من التوسعة على العيال وفضائل المصافحة والحناء والخضاب والاغتسال ونحو ذلك ويذكرون فيها صلاة وكل هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصح فى عاشوراء الا فضل صيامه قال حرب الكرمانى قلت لاحمد بن حنبل الحديث الذى يروى من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فقال لا أصل له وقد صنف فى فضائل الصحابة على وغيره غير واحد مثل خيثمة بن سليمن الاطرابلسى وغيره وهذا قبل أبى نعيم وأبو نعيم يروى عنه اجازة وهذا وأمثاله جروا على العادة المعروفة لامثالهم ممن يصنف فى الابواب أنه يروى ما سمعه فى هذا الباب وهكذا المصنفون فى التواريخ مثل تاريخ دمشق لابن عساكر وغيره اذا ذكر ترجمة واحد من الخلفاء الاربعة أو غيرهم يذكر كل ما رواه فى ذلك الباب فيذكر لعلى ومعاوية من الاحاديث المروية فى فضلهما ما يعرف أهل العلم بالحديث أنه كذب ولكن لعلى من الفضائل الثابتة فى الصحيحين وغيرهما ومعاوية ليس له بخصوصه فضيلة فى الصحيح لكن قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف وتبوك وحج معه حجة الوداع وكان يكتب الوحى فهو ممن ائتمنه النبى صلى الله عليه وسلم على كتابة الوحى كما ائتمن غيره من الصحابة فان كان المخالف يقبل كل ما رواه هؤلاء وأمثالهم فى كتبهم فقد رووا أشياء كثيرة تناقض مذهبهم وان كان يرد الجميع بطل احتجاجه بمجرد عزوه الحديث وان قال أقبل ما يوافق مذهبى وأرد ما يخالفه أمكن منازعه أن يقول له مثل

الحاصلة بالفعل الحادث حادثة بعده لحدوث هذه الحكمة بعد أن لم تكن سواء كانت قائمة بنفسه أو بغيره أهى صفة كمال أم لا فان قلتم صفة كمال فقولوا فى نفس الفعل الحادث ما قلتموه فى الحكمة المطلوبة به وان قلتم ليست صفة كمال فقولوا أيضا فى نفس الفعل الحادث ما قلتموه فى الحكمة المطلوبة فقد لزمكم فى الحكمة ان أثبتموها أو نفيتموها ما يلزمكم فى نفس الفعل سواء بسواء وهذا بين واضح (الوجه الحادى عشر) أن يقول من يثبت الفعل القائم به والحكمة القائمة به معلوم بصريح العقل أن هذا صفة كمال وأن من يكون كذلك أكمل ممن لا يفعل أو يفعل لا لحكمة فلم قلتم ان هذا ممتنع فاذا قيل لئلا يلزم الكمال بعد النقص قيل لهم لم قلتم وجود مثل هذا الكمال ممتنع ولفظ النقص مجمل كما تقدم فان غايته أن يفسر بعدم ما وجد قبل أن يوجد فيعود الامر الى أن هذا الموجود اذا وجد بعد أن لم يكن لزم أن يكون معدوما قبل وجوده فيقال ومن أين علمتم أن وجود هذا بعد عدمه محال وليس فى ذلك افتقار الرب الى غيره ولا استكماله بفعل غيره بل هو الحى الفعال لما يشاء العليم القدير الحكيم الخبير الرحيم الودود لا اله الا هو وكل ما سواه فقير اليه وهو غنى عما سواه لا يكمل بغيره ولا يحتاج الى سواه

هذا باطل لا يجوز أن يحتج على صحة مذهب بمثل هذا فانه يقال ان كنت انما عرفت صحة
هذا الحديث بدون المذهب فاذكر ما يدل على صحته وان كنت انما عرفت صحته لانه يوافق
المذهب امتنع تصحيح الحديث بالمذهب لانه يكون حينئذ صحة المذهب موقوفة على صحة الحديث
وصحة الحديث موقوفة على صحة المذهب فيلزم الدور الممتنع وأيضا فالمذهب ان كنت عرفت
صحته بدون هذا الطريق لم يلزم صحة هذا الطريق فان الانسان قد يكذب على غيره قولا وان كان
ذلك القول حقا فكثير من الناس يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يلزم من كون الشئ
صدقا في نفسه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله وان كنت انما عرفت صحته بهذا
الطريق امتنع أن تعرف صحة الطريق بصحته لافضائه الى الدور فثبت أنه على التقديرين لا يعلم
صحة هذا الحديث لموافقته للمذهب سواء كان المذهب معلوم الصحة أو غير معلوم الصحة فكل
من له أدنى علم وانصاف يعلم أن المنقولات فيها صدق وكذب وأن الناس كذبوا في المثالب
والمناقب كما كذبوا في غير ذلك وكذبوا فيما يوافقه ويخالفه ونحن نعلم أنهم كذبوا في كثير
مما يروونه في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان كما كذبوا في كثير مما يروونه في فضائل علي وليس
في أهل الاهواء أكثر كذبا من الرافضة بخلاف غيرهم فان الخوارج لا يكادون يكذبون بل هم
من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم وأما أهل العلم والدين فلا يصدقون بالنقل ويكذبون
بمجرد موافقة ما يعتقدون بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي صلى الله عليه
وسلم وأمته وأصحابه فيردونها لعلمهم بأنها كذب ويقبلون أحاديث كثيرة لصحتها وان كان
ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه إما لاعتقادهم أنها منسوخة أو لها تفسير لا يخالفونه ونحو ذلك
فالاصل في النقل أن يرجع فيه الى أئمة النقل وعلمائه ومن يشركهم في علمهم علم ما يعلمون وأن
يستدل على الصحة والضعف بدليل منفصل عن الرواية فلا بد من هذا أو هذا والا فمجرد قول القائل
رواه فلان لا يحتج به لا أهل السنة ولا الشيعة وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل
مصنف فكل حديث يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته ومجرد عزوه الى رواية الثعلبي ونحوه
ليس دليلا على صحته باتفاق أهل العلم بالنقل ولهذا لم يروه أحد من علماء الحديث في شئ من
كتبهم التي ترجع الناس اليها في الحديث لا الصحاح ولا السنن ولا المساند ولا غير ذلك لأن
كذب مثل هذا لا يخفى على من له أدنى معرفة بالحديث وانما هذا عند أهل العلم بمنزلة ظن
من يظن من العامة وبعض من يدخل في غمار الفقهاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على
أحد المذاهب الاربعة وأن أبا حنيفة ونحوه كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم أو كما يظن
طائفة من الترك أن حمزة له مغاز عظيمة وينقلونها بينهم والعلماء متفقون على أنه لم يشهد الا
بدرا وأحدا وقتل يوم أحد ومثل ما ظن كثير من الناس أن في مقابر دمشق من أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم أم سلمة وغيرها ومن أصحابه أبي بن كعب وأويس القرني وغيرهما وأهل
العلم يعلمون أن أحدا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لم يقدم دمشق ولكن كان في الشام
أسماء بنت يزيد بن السكن الانصاري وكان أهل الشام يسمونها أم سلمة فظن الجهال أنها أم
سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب مات بالمدينة وأويس تابعي لم يقدم الشام
ومثل من يظن من الجهال أن قبر علي بباطن النجف وأهل العلم بالكوفة وغيرها يعلمون بطلان
هذا ويعلمون أن عليا ومعاوية وعمرو بن العاص كل منهم دفن في قصر الامارة ببلده خوفا
عليه من الخوارج أن ينبشوه فانهم كانوا قد تحالفوا على قتل الثلاثة فقتلوا عليا وجرحوا

معاوية

ولا يستعين بغيره في فعل ولا يبلغ
العباد نفعه فينفعوه ولا ضره
فيضروه بل هو خالق الاسباب
والمسببات وهو الذي يلهم عبده الدعاء
ثم يجيبه وييسر عليه العمل ثم يثيبه
ويلهمه التوبة ويحبه ويفرح
بتوبته وهو الذي استعمل المؤمنين
فيما يرضيه ورضي عنهم فلم يحتج
في فعله لما يحبه ويرضاه الى سواه
بل هو الذي خالق حركات العباد
التي يحبها ويرضاها وهو الذي
خلق ما لا يحبه ولا يرضاه من
أعمالهم لما له في ذلك من الحكمة
التي يحبها ويرضاها وهو الله لا اله
الا هو له الحمد في الاولى والآخرة
وله الحكم واليه ترجعون فلا اله
الا هو ولو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا اذ كان هو الذي يستحق
أن تكون العبادة له وكل عمل
لا يراد به وجهه فهو باطل لا منفعة
فيه فما لا يكون به لا يكون فانه
لا حول ولا قوة الا به وما لا يكون
له لا ينفع ولا يدوم كما قال تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وقال مثل الذين
كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به
الريح في يوم عاصف لا يقدرون
مما كسبوا على شئ وهو سبحانه
يحب عباده الذين يحبونه والمحبوب
لغيره أولى أن يكون محبوبا فاذا
كنا اذا أحببنا شيئا لله كان الله هو
المحبوب في الحقيقة وحبنا لذلك
بطريق التبع وكنا نحب من يحب
الله لانه يحب الله فالله تعالى هو

معاوية وكان عمرو بن العاص قد استخلف رجلا يقال انه خارجة فضربه القاتل يظنه عمرا فقتله فتبين أنه خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة فصار مثلا ومثل هذا كثير مما يظنه كثير من الجهال وأهل العلم بالمنقولات يعلمون خلاف ذلك (الوجه الثاني) أن نقول في نفس هذا الحديث ما يدل على أنه كذب من وجوه كثيرة فان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير يدعى خما نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيدي علي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه وان هذا قد شاع وطار بالبلاد وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري وأنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم على ناقته وهو في الابطح وأتى وهو في ملا من الصحابة فذكر أنهم امتثلوا أمره بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج ثم قال ألم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه وهذا منك أو من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو من أمر الله فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل اليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله وأنزل الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين الآية (فيقال) لهؤلاء الكذابين أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بغدير خم كان مرجعه من حجة الوداع والشيعة تسلم هذا وتجعل ذلك اليوم عيدا وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع الى مكة بعد ذلك بل رجع من حجة الوداع الى المدينة وعاش تمام ذي الحجة والمحرم وصفر وتوفي في أول ربيع الاول وفي هذا الحديث يذكر أنه بعد أن قال هذا بغدير خم وشاع في البلاد جاءه الحرث وهو بالابطح والابطح بمكة فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصة غدير خم فان هذه السورة سورة سأل سائل مكية باتفاق أهل العلم نزلت بمكة قبل الهجرة فهذه نزلت قبل غدير خم بعشر سنين أو أكثر من ذلك فكيف نزلت بعده وأيضا قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك في سورة الانفال وقد نزلت ببدر بالاتفاق قبل غدير خم بسنين كثيرة وأهل التفسير متفقون على أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة كأبي جهل وأمثاله وأن الله ذكر نبيه بما كانوا يقولون بقوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أي اذكر قولهم كقوله واذ قال ربك للملائكة واذ غدوت من أهلك ونحو ذلك يأمره بأن يذكر كل ما تقدم فدل على أن هذا القول كان قبل نزول هذه السورة وأيضا فانهم لما استفتحوا بين الله أنه لا ينزل عليهم العذاب ومحمد صلى الله عليه وسلم فيهم فقال واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ثم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون واتفق الناس على أن أهل مكة لم تنزل عليهم حجارة من السماء لما قالوا ذلك فلو كان هذا آية لكان من جنس آية أصحاب الفيل ومثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ولو أن الناقل طائفة من أهل العلم فلما كان هذا لا يرويه أحد من المصنفين في العلم لا المسند ولا الصحيح ولا الفضائل ولا التفسير ولا السير ونحوها الا ما يروى بمثل هذا الاسناد المنكر علم أنه كذب وباطل وأيضا فقد ذكر هذا في الحديث أن هذا القائل أمر بمباني الاسلام الخمس وعلى هذا فقد كان مسلما فانه قال فقبلنا منك ومن المعلوم بالضرورة أن أحدا من المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يصبه هذا وأيضا فهذا الرجل لا يعرف في الصحابة بل هو من جنس الاسماء التي يذكرها الطرقية من جنس

يحب الذين يحبونه فهو المستحق أن يكون هو المحبوب المألوه المعبود وان يكون غاية كل حب كيف وهو سبحانه الذي يحمد نفسه ويثني على نفسه ويحب الحمد من خلقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا أحد أحب اليه المدح من الله وقال له الاسود بن سريع يا رسول الله اني حمدت ربي بمحامد فقال ان ربك يحب الحمد وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد روي أنه كان يقول ذلك في آخر الوتر فهو المثني على نفسه وهو كما أثنى على نفسه اذ أفضل خلقه لا يحصي ثناء عليه والثناء تكرير المحامد وتثنيتها كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رفع رأسه من الركوع قال ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد

الاحاديث التى فى سيرة عنتر ودلهمة وقد صنف الناس كتبا كثيرة فى أسماء الصحابة الذين ذكروا فى شئ من الحديث حتى فى الاحاديث الضعيفة مثل كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وكتاب ابن منده وأبى نعيم الاصبهانى والحافظ أبى موسى ونحو ذلك ولم يذكر أحد منهم هذا الرجل فعلم أنه ليس له ذكر فى شئ من الروايات فان هؤلاء لا يذكرون الا مارواه أهل العلم لا يذكرون أحاديث الطرقية مثل تنقلات الانوار للبكرى الكذاب وغيره (الوجه الثالث) أن يقال أنتم ادعيتم أنكم أثبتم إمامته بالقرآن والقرآن ليس فى ظاهره ما يدل على ذلك أصلا فانه قال بلغ ما أنزل اليك من ربك وهذا اللفظ عام فى جميع ما أنزل اليه من ربه لا يدل على شئ معين فدعوى المدعى أن إمامة على هى مما بلغها أو أمر بتبليغها لا تثبت بمجرد القرآن فان القرآن ليس فيه دلالة على شئ معين فان ثبت ذلك بالنقل كان ذلك اثباتا بالخبر لا بالقرآن فمن ادعى أن القرآن يدل على أن امامة على مما أمر بتبليغه فقد افترى على القرآن فالقرآن لا يدل على ذلك عموما ولا خصوصا (الوجه الرابع) أن يقال هذه الآية مع ما علم من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم تدل على نقيض ماذكروه وهو أن الله لم ينزلها عليه ولم يأمره بها فانها لو كانت مما أمره الله بتبليغه لبلغه فانه لا يعصى الله فى ذلك ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا كتم شيأ من الوحى فقد كذب والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته لكن أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ شيأ من امامة على ولهم على هذا طرق كثيرة يثبتون بها هذا العلم منها أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله فلو كان له أصل لنقل كما نقل أمثاله من حديثه لاسيما مع كثرة ما ينقل فى فضائل على من الكذب الذى لا أصل له فكيف لا ينقل الحق الذى قد بلغ للناس ولان النبى صلى الله عليه وسلم أمر أمته بتبليغ ما سمعوا منه فلا يجوز عليهم كتمان ما أمرهم الله بتبليغه

ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات وطلب بعض الانصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير فأنكروا ذلك عليه وقالوا الامارة لا تكون الا فى قريش وروى الصحابة فى متفرقة الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الامامة فى قريش ولم يرو واحد منهم لا فى ذلك المجلس ولا غيره ما يدل على امامة على وبايع المسلمون أبا بكر وكان أكثر بنى عبد مناف من بنى أمية وبنى هاشم وغيرهم لهم ميل قوى الى على بن أبى طالب يختارون ولايته ولم يذكر أحد منهم هذا النص وهكذا اجرى النص فى عهد عمر وعثمان وفى عهده أيضا لما صارت له ولاية لم يذكر هو ولا أحد من أهل بيته ولا من الصحابة المعروفين هذا النص وانما ظهر هذا النص بعد ذلك وأهل العلم بالحديث والسنة الذين يتولون عليا ويحبونه يقولون انه كان الخليفة بعد عثمان كأحمد بن حنبل وغيره من الائمة وقد نازعهم فى ذلك طوائف من أهل العلم وغيرهم وقالوا كان زمانه زمان فتنة واختلاف بين الامة لم تتفق الامة فيه لا عليه ولا على غيره وقال طوائف من الناس كالكرامية بل هو كان اماما ومعاوية اماما وجوزوا أن يكون للناس امامان للحاجة وهكذا قالوا فى زمن ابن الزبير ويزيد حيث لم يجدوا الناس اتفقوا على امام وأحمد بن حنبل مع أنه أعلم أهل زمانه بالحديث احتج على امامة على بالحديث الذى فى السنن تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا وبعض الناس ضعف هذا الحديث لكن أحمد وغيره يثبتونه فهذا عمدتهم من النصوص على خلافة على فلو ظفروا بحديث مسند أو مرسل موافق لهذا لفرحوا به فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال

رسول

وكما قال لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فذكر الحمد والثناء والمجد هنا كما ذكره فى أول الفاتحة فالحمد يتناول جنس المحامد والثناء يقتضى تكريرها وتعديدها والزيادة فى عددها والمجد يقتضى تعظيمها وتوسيعها والزيادة فى قدرها وصفتها فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد ولا أحد يحسن أن يحمده كما يحمد نفسه ولا يثنى عليه كما يثنى على نفسه ولا يمجده كما يمجد نفسه كما فى حديث ابن عمر الذى فى الصحيح لما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال يقبض الله سمواته بيده والارضون بيده الاخرى ثم يمجد نفسه فيقول أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيأ أنا الذى أعدتها أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون أو كما قال وفى الحديث الآخر يقول الله تعالى انى جواد ماجد واجد انما أمرى اذا أردت شيأ أن أقول له كن فيكون

(فصل) ونحن نذكر ماذكره أبو الحسن الآمدى فى هذا الاصل ونتكلم عليه قال فى

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قديما ولا حديثا ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل كما يعلمون كذب غيره من المنقولات المكذوبة وقد جرى تحكيم الحكمين ومعه أكثر الناس فلم يكن في المسلمين من أصحابه ولا غيرهم من ذكر هذا النص مع كثرة شيعته ولا فيهم من احتج به في مثل هذا المقام الذي تتوفر فيه الهمم والدواعي على اظهار مثل هذا النص ومعلوم أنه لو كان النص معروفا عند شيعة علي فضلا عن غيرهم لكانت العادة المعروفة تقتضي أن يقول أحدهم هذا نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافته فيجب تقديمه على معاوية وأبو موسى نفسه كان من خيار المسلمين لو علم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص عليه لم يستحل عزله ولو عزله لكان من أنكر عزله عليه يقول كيف تعزل من نص النبي صلى الله عليه وسلم على خلافته وقد احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية وهذا الحديث خبر واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوهم وليس هذا متواترا والنص عند القائلين به متواتر فياالله العجب كيف ساغ عند الناس احتجاج شيعة علي بذلك الحديث ولم يحتج أحد منهم بالنص

(فصل) قال الرافضي البرهان الثالث قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا روى أبو نعيم باسناده الى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى غدير خم وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقام فدعا عليا فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس الى ابطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر على إكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي ثم قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله

(والجواب) من وجوه أحدها أن المستدل عليه بيان صحة الحديث ومجرد عزوه الى رواية أبي نعيم لا تفيد الصحة باتفاق الناس علماء السنة والشيعة فان أبا نعيم روى كثيرا من الاحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء أهل الحديث السنة والشيعة وهو وان كان حافظا ثقة كثير الحديث واسع الرواية لكن روى كما عادة المحدثين أمثاله يروون جميع ما في الباب لاجل المعرفة بذلك وان كان لا يحتج من ذلك الا ببعضه والناس في مصنفاتهم منهم من لا يروي عمن يعلم أنه يكذب مثل مالك وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل فان هؤلاء لا يروون عن شخص ليس بثقة عندهم ولا يروون حديثا يعلمون أنه عن كذاب فلا يروون أحاديث الكذابين الذين يعرفون بتعمد الكذب لكن قد يتفق فيما يروونه ما يكون صاحبه أخطأ فيه وقد يروي الامام أحمد واسحق وغيرهما أحاديث تكون ضعيفة عندهم لاتهام رواتها بسوء الحفظ ونحو ذلك ليعتبر بها ويستشهد بها فانه قد يكون لذلك الحديث ما يشهد له أنه محفوظ وقد يكون له ما يشهد بأنه خطأ وقد يكون صاحبها كذابا في الباطن ليس مشهورا بالكذب بل يروي كثيرا من الصدق فيروى حديثه وليس كل ما رواه الفاسق يكون كذبا بل يجب التبين في خبره كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية فيروى لتنظر سائر الشواهد هل تدل على الصدق أو الكذب وكثير من المصنفين يعز عليه تمييز ذلك على وجهه بل يعجز عن ذلك فيروي ما سمعه كما سمعه والدرك على غيره لا عليه

كتابه الكبير المسمى أبكار الافكار المسئلة الرابعة من النوع الرابع الذي سماه ابطال التشبيه في بيان امتناع حلول الحوادث بذاته تبارك وتعالى قال وقبل الخوض في الحجاج لابد من تلخيص محل النزاع فنقول المراد بالحادث المتنازع فيه الموجود بعد العدم كان ذاتا قائمة بنفسها أو وصفة لغيره كالاعراض وأما ما لا وجود له كالعدم أو الاحوال عند القائلين بها فانها غير موصوفة بالوجود ولا بالعدم كالعالمية والقادرية والمريدية ونحو ذلك أو النسب والاضافات فانها عند المتكلم أمور وهمية لا وجود لها فما تحقق من ذلك بعد أن لم يكن فيقال له متجدد ولا يقال له حادث قال وعند هذا فنقول العقلاء من أرباب الملل وغيرهم متفقون على استحالة قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى (١) غير أن الكرامية لم يجوزوا قيام كل حادث بذات الرب تعالى بل قال أكثرهم هو ما يفتقر اليه في الايجاد والخلق ثم اختلفوا في هذا الحادث

(١) قوله غير أن الكرامية الخ لعل في الكلام سقطا وعبارة المواقف فقد اختلف في كونه تعالى محل الحوادث فمنعه الجمهور وقال المجوس كل حادث قائم به والكرامية كل حادث يحتاج اليه في الايجاد الخ وانظره اه كتبه مصححه

وأهل العلم ينظرون فى ذلك وفى رجاله واسناده (الوجه الثانى) أن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات وهذا يعرفه أهل العلم بالحديث والمرجع اليهم فى ذلك ولذلك لا يوجد هذا فى شئ من كتب الحديث التى يرجع اليها أهل العلم بالحديث (الوجه الثالث) أنه قد ثبت فى الصحاح والمساند والتفسير أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيدا فقال له عمر وأى آية هى قال قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر إنى لأعلم أى يوم نزلت وفى أى مكان نزلت يوم عرفة بعرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وهذا مستفيض من وجوه أخرى وهو منقول فى كتب المسلمين الصحاح والمساند والجوامع والسير والتفسير وغير ذلك وهذا اليوم كان قبل يوم غدير خم بتسعة أيام فانه كان يوم الجمعة تاسع ذى الحجة فكيف يقال انها نزلت يوم الغدير (الوجه الرابع) أن هذه الآية ليس فيها دلالة على على ولا إمامته بوجه من الوجوه بل فيها إخبار الله باكمال الدين واتمام النعمة على المؤمنين ورضا الاسلام دينا فدعوى المدعى أن القرآن يدل على امامته من هذا الوجه كذب ظاهر وان قال الحديث يدل على ذلك فيقال الحديث ان كان صحيحا فتكون الحجة من الحديث لا من الآية وان لم يكن صحيحا فلا حجة فى هذا ولا فى هذا فعلى التقديرين لا دلالة فى الآية على ذلك وهذا مما يبين به كذب الحديث فان نزول الآية لهذا السبب وليس فيها ما يدل عليه أصلا تناقض (الوجه الخامس) أن هذا اللفظ وهو قوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث وأما قوله من كنت مولاه فعلى مولاه فلهم فيه قولان وسنذكره ان شاء الله تعالى فى موضعه (الوجه السادس) أن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم مجاب وهذا الدعاء ليس بمجاب فعلم أنه ليس من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه من المعلوم أنه لما تولى كان الصحابة وسائر المسلمين ثلاثة أصناف صنف قاتلوا معه وصنف قاتلوه وصنف قعدوا عن هذا وهذا وأكثر السابقين الاولين كانوا من القعود وقد قيل ان بعض السابقين الاولين قاتلوه وذكر ابن حزم أن عمار بن ياسر قتله أبو العادية وان أبا العادية هذا من السابقين ممن بايع تحت الشجرة وأولئك جميعهم قد ثبت فى الصحيحين أنه لا يدخل النار منهم أحد ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وفى الصحيح أن غلام حاطب بن أبى بلتعة قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت انه شهد بدرا والحديبية وحاطب هذا هو الذى كاتب المشركين بخبر النبى صلى الله عليه وسلم وبسبب ذلك نزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآية وكان مسيأ الى مماليكه ولهذا قال مملوكه هذا القول وكذبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال انه شهد بدرا والحديبية وفى الصحيح لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وهؤلاء فيهم ممن قاتل عليا طلحة والزبير وان كان قاتل عمار فيهم فهو أبلغ من غيره وكان الذين بايعوه تحت الشجرة نحو ألف وأربعمائة وهم الذين فتح الله عليهم خيبر كما وعدهم الله بذلك فى سورة الفتح وقسمها بينهم النبى صلى الله عليه وسلم (١) على ثمانية عشر سهما لانه كان فيهم مائتا فارس فقسم للفارس ثلاثة أسهم سهما له وسهمين لفرسه فصار لاهل الخيل ستمائة سهم ولغيرهم ألف ومائتا سهم هذا هو الذى ثبت فى الاحاديث الصحيحة وعليه أكثر أهل

فمنهم من قال هو قوله كن ومنهم من قال هو الارادة فخلق الارادة أو القول فى ذاته يستند الى القدرة القديمة لانه حادث باحداث وأما خلق باقى المخلوقات فيستند الى الارادة أو القول على اختلاف مذهبهم فالمخلوق القائم بذاته يعبرون عنه بالحادث والخارج عن ذاته يعبرون عنه بالمحدث ومنهم من زاد على ذلك حادثين آخرين وهما السمع والبصر قال وأجمعت الكرامية على أن ما قام بذاته من الصفات الحادثة لا يتجدد له منها اسم ولا يعود اليه منها حكم حتى لا يقال انه قائل بقول ولا مريد بارادة بل قائل بالقائلية ومريد بالمريدية ولم يجوزوا عليه اطلاق اسم متجدد لم يكن فيما لا يزال بل قالوا أسماؤه كلها أزلية حتى فى الخالق والرازق وان لم يكن فى الازل خلق ولا رزق قال وأما ما كان من الصفات المتجددة التى لا وجود لها فى الاعيان فما كان منها حالا فقد اتفق المتكلمون على امتناع اتصاف الرب به غير أبى الحسين البصرى فانه قال تتجدد عالميات لله تعالى بتجدد المعلومات وما كان من النسب والاضافات والتعلقات فتتفق بين أرباب العقول

(١) قوله على ثمانية عشر كذا فى النسخة ولعله على ألف وثمانمائة سهم كما يدل عليه بقية العبارة وحرر
كتبه مصححه

العلم كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم وقد ذهب طائفة الى أنه أسهم للفارس سهمين وأن الخيل كانت ثلثمائة كما يقول ذلك من يقوله من أصحاب أبي حنيفة وأما علي فلا ريب أنه قاتل معه طائفة من السابقين الاولين كسهل بن حنيف وعمار بن ياسر لكن الذين لم يقاتلوا معه كانوا أفضل فان سعد بن أبي وقاص لم يقاتل معه ولم يكن قد بقي من الصحابة بعد علي أفضل منه وكذلك محمد بن مسلمة من الانصار وقد جاء في الحديث أن الفتنة لا تضره فاعتزل وهذا مما استدل به على أن القتال كان قتال فتنة بتأويل لم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب وعلي ومن معه أولى بالحق من معاوية وأصحابه كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق فدل هذا الحديث على أن عليا أولى بالحق ممن قاتله فانه هو الذي قتل الخوارج لما افترق المسلمون فكان قوم معه وقوم عليه ثم ان هؤلاء الذين قاتلوه لم يخذلوا بل كانوا منصورين يفتحون البلاد ويقتلون الكفار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة قال معاذ بن جبل وهم بالشام وفي مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة قال أحمد ابن حنبل وغيره أهل الغرب هم أهل الشام وهذا كما ذكروه فان كل بلد له غرب وشرق والاعتبار في لفظ النبي صلى الله عليه وسلم بغرب مدينته ومن الفرات هو غرب المدينة فالبيرة ونحوها على سمت المدينة كما أن حران والرقة وسميساط ونحوها على سمت مكة ولهذا يقال ان قبلة هؤلاء أعدل القبل بمعنى انك تجعل القطب الشمالي خلف ظهرك فتكون مستقبل الكعبة فما كان غربي الفرات فهو غربي المدينة الى آخر الارض وأهل الشام أول هؤلاء والعسكر الذين قاتلوا مع معاوية ما خذلوا قط بل ولا في قتال علي فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اخذل من خذله وانصر من نصره فأين نصر الله لمن نصره وهذا وغيره مما يبين كذب هذا الحديث

(فصل) قال الرافضي البرهان الرابع قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى روى الفقيه ابن علي المغازي الشافعي باسناده عن ابن عباس قال كنت جالسا مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ انقض كوكب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي فقام فتية من بني هاشم فنظروا فاذا الكوكب قد انقض في منزل علي قالوا يا رسول الله قد غويت في حب علي فأنزل الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحته كما تقدم وذلك أن القول بلا علم حرام بالنص والاجماع قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وقال ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا والسلطان الذي أتاهم هو الحجة الآتية من عند الله كما قال أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقال أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وقال ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان

على جواز اتصاف الرب تعالى بها حتى يقال انه موجود مع العالم بعد أن لم يكن وانه خالق العالم بعد أن لم يكن وما كان من الاعدام والسلوب فان كان سلب أمر يستحيل تقدير وجوده لله تعالى فلا يكون متجددا بالاجماع مثل كونه غير جسم ولا جوهر ولا عرض الى غير ذلك وان كان سلب أمر لا يستحيل تقدير اتصاف الرب به كالنسب والاضافات فغير ممتنع أن يتصف به الرب تعالى بعد أن لم يكن بالاتفاق فانه اذا كان الحادث موجودا صح أن يقال الرب تعالى موجود مع وجوده وتنعدم هذه المعية عند فرض عدم ذلك الحادث فيتجدد له صفة سلب بعد أن لم تكن ۞ قلت قد ذكر أن لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم سواء كان قائما بنفسه كالجوهر أو صفة لغيره كالاعراض وسمى ما ليس بموجود كالاحوال والسلوب والاضافات متجددات وهذا الفرق أمر اصطلاحي والا فلا فرق بين معنى المتجدد ومعنى الحادث وأيضا فان الاحوال عند القائلين بها منهم من يقول بوجودها وقالوا يصح أن تكون معلومة تبعا لغيرها وان يكون وجودها تبعا لغيرها وخالفوا أبا هاشم في قوله ليست معلومة ولا مجهولة ولا موجودة ولا معدومة وأيضا فالنسب والاضافات عند الفلاسفة

فما جاءت به الرسل عن الله فهو سلطان والقرآن سلطان والسنة سلطان لكن لا يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء به الا بالنقل الصادق عن الله فكل من احتج بشيء منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم فعليه أن يعلم صحته قبل أن يعتقد موجبه ويستدل به واذا احتج به على غيره فعليه بيان صحته والا كان قائلا بلا علم مستدلا بلا علم واذا علم أن في الكتب المصنفة في الفضائل ما هو كذب صار الاعتماد على مجرد ما فيها مثل الاستدلال بشهادة الفاسق الذي يصدق تارة ويكذب أخرى بل لو لم يعلم أن فيها كذبا لم يفدنا علما حتى يعلم ثقة من رواها وبيننا وبين الرسول مئون من المسلمين ونحن نعلم بالضرورة أن فيما ينقل الناس عنه وعن غيره صدقا وكذبا وقد روي عنه أنه قال سيكذب علي فان كان هذا الحديث صدقا فلا بد أن يكذب عليه وان كان كذبا فقد كذب عليه واذا كان كذلك لم يجز لأحد أن يحتج في مسئلة فرعية بحديث حتى يبين ما به يثبت فكيف يحتج في مسائل الاصول التي يقدح فيها في خيار القرون وجماهير المسلمين وسادات أولياء الله المقربين بحيث لا يعلم المحتج به صدقه وهو لو قيل له أتعلم أن هذا وقع فان قال أعلم ذلك فقد كذب فأين يعلم وقوعه ويقال له من أين علمت صدق ذلك وذلك لا يعرف الا بالاسناد ومعرفة أحوال الرواة وأنت لا تعرفه ولو أنك عرفته لعرفت أن هذا كذب وان قال لا أعلم ذلك فكيف يسوغ له الاحتجاج بما لا يعلم صحته (الثاني) أن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وهذا المغازلي ليس من أهل الحديث كأبي نعيم وأمثاله وهؤلاء أيضا من جامعي العلم الذين يذكرون ما غالبه حق وبعضه باطل كالثعلبي وأمثاله بل هذا لم يكن الحديث من صنعته فعمد الى ما وجده من كتب الناس من فضائل علي فجمعها كما فعل أخطب خوارزم وكلاهما لا يعرف الحديث وكل منهما روى فيما جمعه من الاكاذيب الموضوعة ما لا يخفى أنه كذب على أقل علماء النقل بالحديث ولسنا نعلم أن أحدهما يتعمد الكذب فيما ينقله لكن الذي تيقناه أن الاحاديث التي يروونها فيها ما هو كذب كثير باتفاق أهل العلم وما قد كذبه الناس قبلهم وهما وأمثالهما قد يروون ذلك ولا يعلمون أنه كذب وقد يعلمون أنه كذب فلا أدري هل كانا من أهل العلم بأن هذا كذب أو كانا مما لا يعلمان ذلك وهذا الحديث ذكره الشيخ أبو الفرج في الموضوعات لكن بسياق آخر من حديث محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال لما عرج النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة وأراه الله من العجائب في كل سماء فأصبح جعل يحدث الناس عن العجائب فكذبه من أهل مكة من كذبه وصدقه من صدقه فعند ذلك انقض نجم من السماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا في دار من وقع فهو خليفتي من بعدي فطلبوا ذلك النجم فوجدوه في دار علي بن أبي طالب فقال أهل مكة ضل محمد وغوى وهوى أهل بيته ومال الى ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعند ذلك نزلت هذه السورة والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى قال أبو الفرج هذا حديث موضوع لا شك فيه وما أبرد الذي وضعه وما أبعد ما ذكر وفي اسناده ظلمات منها أبو صالح وكذلك الكلبي ومحمد بن مروان السدي والمتهم به الكلبي قال أبو حاتم بن حبان كان الكلبي من الذين يقولون ان عليا لم يمت وانه يرجع الى الدنيا وان رأوا سحابة قالوا أمير المؤمنين فيها لا يحل الاحتجاج به قال والعجب من تغفل من وضع هذا الحديث كيف رتب ما لا يصلح في المعقول من أن النجم يقع في دار ويثبت الى أن يرى ومن بلهه أنه وضع هذا الحديث على ابن عباس وكان ابن عباس زمن المعراج ابن سنتين فكيف يشهد تلك الحالة ويرويها ۞ قلت اذا لم يكن

هذا

قد تكون وجودية وأما المذاهب فيقال لفظ الحوادث والمتجددات في لغة العرب يتناول أشياء كثيرة وربما أفهم أو أوهم في العرف استحالات كالامراض والغموم والاحزان ونحوها اذا قيل فلان حدث به حادث وكثير منهم يعبر بالاحداث عن المعاصي والذنوب ونحو ذلك كما قد عرف هذا وأما مورد النزاع أنه هل يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته إما من باب الافعال كالاستواء الى غيره والاستواء عليه والاتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك واما من باب الاقوال والكلمات واما من باب الاحوال كالفرح والغضب والارادات والرضا والضحك ونحو ذلك واما من باب العلوم والادراكات كالسمع والبصر والعلم بالموجود بعد العلم بأنه سيوجد واذا كان كذلك فقوله ان العقلاء من أرباب الملل وغيرهم متفقون على استحالة ذلك غير أن الكرامية الى آخره ليس بنقل مطابق أما أهل الملل فلا يضاف اليهم من حيث هم أرباب ملة الا ما ثبت عن صاحب الملة صلوات الله عليه وسلامه أو ما أجمع عليه أهل العلم وأما ما قاله بعض أهل الملة برأيه واستنباطه مع منازعة غيره له فلا يجوز اضافته الى الملة ومن المعلوم أنه لا يمكن أصلا أن ينقل عن محمد صلى الله عليه وسلم ولا عن اخوانه المرسلين كموسى

هـذا الحديث فى تفسير الكلبى المعروف عنه فهو مما وضع بعده وهذا هو الاقرب قال أبو الفرج وقد سرق هذا الحديث بعينه قوم وغيروا اسناده ورووه باسناد غريب من طريق أبى بكر العطار عن سليمان بن أحمد المصرى ومن طريق أبى قضاعة ربيعة بن محمد حدثنا ثوبان ابن ابراهيم حدثنا مالك بن غسان النهشلى عن أنس قال انقض كوكب على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الكوكب فمن انقض فى داره فهو خليفة من بعدى قال فنظرنا فاذا هو قد انقض فى منزل على فقال جماعة قد غوى محمد فى حب على فأنزل الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى الآيات قال أبو الفرج وهذا هو المتقدم سرقه بعض هؤلاء الرواة فغير اسناده ومن تغفيله وضعه اياه على أنس فان أنسا لم يكن بمكة زمن المعراج ولا حين نزول هذه الآية لان المعراج كان قبل الهجرة بسنة وأنس انما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفى هذا الاسناد ظلمات أما مالك النهشلى فقال ابن حبان يأتى عن الثقات بما لا يشبه حديث الاثبات وأما ثوبان فهو أخو ذى النون المصرى ضعيف فى الحديث وأبو قضاعة منكر الحديث متروكه وأبو بكر العطار وسليمان ابن أحمد مجهولان (الوجه الثالث) أنه مما يبين أنه كذب أن فيه ابن عباس شهد نزول سورة النجم حين انقض الكوكب فى منزل على وسورة النجم باتفاق الناس من أول ما نزل بمكة وابن عباس حين مات النبى صلى الله عليه وسلم كان مراهقا للبلوغ لم يحتلم بعد هكذا ثبت عنه فى الصحيحين فعند نزول هذه الآية إما أن ابن عباس لم يكن ولد بعد واما أنه كان طفلا لا يميز فان النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان لابن عباس نحو خمس سنين والاقرب أنه لم يكن ولد عند نزول سورة النجم فانها من أوائل ما نزل من القرآن (الوجه الرابع) أنه لم ينقض قط كوكب الى الارض بمكة ولا بالمدينة ولا غيرهما ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كثر الرمى بالشهب ومع هذا فلم ينزل كوكب الى الارض وهذا ليس من الخوارق التى تعرف فى العالم بل هو من الخوارق التى لا يعرف مثلها فى العالم ولا يروى مثل هذا الا من أوقح الناس وأجرئهم على الكذب وأقلهم حياء ودينا ولا يروج الا على من هو من أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم معرفة وعلما (الوجه الخامس) أن نزول سورة النجم كان فى أول الاسلام وعلى اذ ذاك كان صغيرا والاظهر أنه لم يحتلم ولا تزوج بفاطمة ولا شرع بعد فرائض الصلاة أربعا وثلاثا واثنتين ولا فرائض الزكاة ولا حج البيت ولا صوم رمضان ولا عامة قواعد الاسلام وأمر الوصية بالامامة لو كان حقا انما يكون فى آخر الامر كما ادعوه يوم غدير خم فكيف يكون قد نزل فى ذلك الوقت (الوجه السادس) أن أهل العلم بالتفسير متفقون على خلاف هذا وأن النجم المقسم به إما نجوم السماء واما نجوم القرآن ونحو ذلك ولم يقل أحد إنه كوكب نزل فى دار أحد بمكة (الوجه السابع) أن من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم غويت فهو كافر والكفار لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالفروع قبل الشهادتين والدخول فى الاسلام (الوجه الثامن) أن هذا النجم ان كان صاعقة فليس نزول الصاعقة فى بيت شخص كرامة له وان كان من نجوم السماء فهذه لا تفارق الفلك وان كان من الشهب فهذه يرمى بها رجوما للشياطين وهى لا تنزل الى الارض ولو قدر أن الشيطان الذى رمى بها وصل الى بيت على حتى احترق بها فليس هذا كرامة له مع أن هذا لم يقع قط

(فصل) قال الرافضى البرهان الخامس قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم

وعيسى صلوات الله عليهما ما يدل على قول النفاة لا نصا ولا ظاهرا بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والاحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة وتوافق قول أهل الاثبات وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم باحسان وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهورة وشيوخ المسلمين المتقدمون لا يمكن أحدا أن ينقل نقلا صحيحا عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة تنازعوا فى هذا الاصل لما حدث فى أهل الملة مذهب الجهمية نفاة الصفات وذلك بعد المائة الاولى فى أواخر عصر التابعين ولم يكن قبل هذا يعرف فى أهل الملة من يقول بنفى الصفات ولا بنفى الأمور الاختيارية القائمة بذاته فلما حدث هذا القول وقالت به المعتزلة وقالوا لا تحل به الاعراض والحوادث وأرادوا بذلك أنه لا تقوم به صفة كالعلم والقدرة ولا فعل كالخلق والاستواء أنكر أئمة السلف ذلك عليهم كما هو متواتر معروف وعن هذا قالت المعتزلة ان القرآن مخلوق لانه لو قام بذاته للزم أن تقوم به الافعال والصفات وأطبق السلف والائمة على انكار

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فروى أحمد بن حنبل في مسنده عن واثلة بن الأسقع قال طلبت عليا في منزله فقالت فاطمة ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجا آجميعا فدخلا ودخلت معهما فأجلس عليا عن يساره وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين بين يديه ثم التفع عليهم بثوبه وقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اللهم ان هؤلاء أهلي حقا وعن أم سلمة قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو وهم على منام له على وكان تحته كساء خيبري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله تعالى هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فأخذ فضل الكساء وكساهم به ثم أخرج يده فألوى بهما الى السماء وقال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فكرر ذلك قالت فأدخلت رأسي وقلت وأنا معهم يارسول الله قال انك الى خير وفي هذه الآية دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظة انما وادخال اللام في الخبر والاختصاص في الخطاب بقوله تطهيرا وغيرهم ليس بمعصوم فيكون الامام في علي ولاية ادعاها في عدة من أقواله كقوله والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا وقد ثبت نفي الرجس عنه فيكون صادقا فيكون هو الامام

(والجواب) أن هذا الحديث صحيح في الجملة فانه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين اللهم ان هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وروى ذلك مسلم عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهو مشهور من رواية أم سلمة من رواية أحمد والترمذي لكن ليس في هذا دلالة على عصمتهم ولا امامتهم وتحقيق ذلك في مقامين أحدهما أن قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا كقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما فان ارادة الله في هذه الآيات متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ورضاه به وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد ولا أنه قضاه وقدره ولا أنه يكون لا محالة والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب من الله لهم اذهاب الرجس والتطهير فلو كانت الآية تتضمن اخبار الله بأنه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج الى الطلب والدعاء وهذا على قول القدرية أظهر فان ارادة الله عندهم لا تتضمن وجود المراد بل قد يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد فليس في كونه تعالى مريدا لذلك ما يدل على وقوعه وهذا الرافضي وأمثاله قدرية فكيف يحتجون بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت على وقوع المراد وعندهم أن الله قد أراد ايمان من على وجه الارض فلم يقع مراده وأما على قول أهل الاثبات فالتحقيق في ذلك أن الارادة في كتاب الله نوعان ارادة شرعية دينية تتضمن

هذا عليهم وكل من خالفهم قبل ابن كلاب كان يقول بقيام الصفات والاقوال والافعال المتعلقة بمشيئته وقدرته به لكن ابن كلاب ومتبعوه فرقوا بين ما يلزم الذات من أعيان الصفات كالحياة والعلم وبين ما يتعلق بالمشيئة والقدرة فقالوا هذا لا يقوم بذاته لان ذلك يستلزم تعاقب الحوادث عليه كما سيأتي وابن كرام كان متأخرا بعد محنة الامام أحمد بن حنبل وتوفي ابن كرام في حدود ستين ومائتين فكان بعد ابن كلاب بمدة وكان أكثر أهل القبلة قبله على مخالفة المعتزلة والكلابية حتى طوائف أهل الكلام من الشيعة والمرجئة كالهشامية وأصحاب أبي معاذ التومني وزهير الاثري وغيرهما كما ذكر ذلك عنهم الاشعري في المقالات وأمثال هؤلاء كانوا يقولون بقيام الحوادث به حتى صرح طوائف منهم بالحركة كما صرح بذلك طوائف من أئمة الحديث والسنة وصرحوا بأنه لم يزل متكلما اذا شاء وان الحركة من لوازم الحياة وأمثال ذلك بل هم يقولون انه انما ابتدع من ابتدع من أهل الكلام البدع المخالفة للنصوص والمعقول لقولهم بهذا الاصل كقول من قال ان الكلام معنى واحد قديم وقول من قال ان المعدوم يرى ويسمع وقول من قال بقدم صوت معين

محبته ورضاه وإرادة كونية قدرية تتضمن خلقه وتقديره الاولى مثل هؤلاء الآيات والثانية
مثل قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كأنما يصعد فى السماء وقول نوح ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان
الله يريد أن يغويكم وكثير من المثبتة والقدرية يجعل الارادة نوعا واحدا كما يجعلون الارادة
والمحبة شيأ واحدا ثم القدرية ينفون ارادته لما بين أنه مراد فى الآيات التشريع فانه عندهم
كل ما قيل انه مراد فلا يلزم أن يكون كائنا والله قد أخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين وأن
يطهرهم وفيهم من تاب وفيهم من لم يتب وفيهم من تطهر وفيهم من لم يتطهر واذا كانت
الآية دالة على وقوع ما أراده من التطهير واذهاب الرجس لم يلزم بمجرد الآية ثبوت ما ادعاه
ومما يبين ذلك أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مذكورات فى الآية والكلام فى الامر بالتطهير
بايجابه ووعد الثواب على فعله والعقاب على تركه قال تعالى يا نساء النبى من يأت منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله
ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبى لستن كأحد من
النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض الى قوله وأطعن الله ورسوله
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فالخطاب كله لازواج
النبى صلى الله عليه وسلم ومعهن الامر والنهى والوعد والوعيد لكن لما تبين ما فى هذا من المنفعة
التى تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره ليس مختصا بأزواجه
بل هو متناول لاهل البيت كلهم وعلى وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك
ولذلك خصهم النبى صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم وهذا كما أن قوله لمسجد أسس على التقوى
من أول يوم نزلت بسبب مسجد قباء لكن الحكم يتناوله ويتناول ما هو أحق منه بذلك وهو
مسجد المدينة وهذا يوجه ما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن
المسجد الذى أسس على التقوى فقال هو مسجدى هذا وثبت عنه فى الصحيح أنه كان يأتى
قباء كل سبت ماشيا وراكبا فكان يقوم فى مسجده يوم الجمعة ويأتى قباء يوم السبت وكلاهما
مؤسس على التقوى وهكذا أزواجه وعلى وفاطمة والحسن والحسين أخص بذلك من أزواجه
ولهذا خصهم بالدعاء وقد تنازع الناس فى آل محمد من هم فقيل أمته وهذا قول طائفة من
أصحاب محمد ومالك وغيرهم وقيل المتقون من أمته ورووا حديثا آل محمد كل مؤمن تقى رواه
الخلال وتمام فى الفوائد له وقد احتج به طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم وهو حديث موضوع
وبنى على ذلك طائفة من الصوفية أن آل محمد هم خواص الاولياء كما ذكر الحكيم الترمذى
والصحيح أن آل محمد هم أهل بيته وهذا هو المنقول عن الشافعى وأحمد وهو اختيار الشريف
أبى جعفر وغيرهم لكن هل أزواجه من أهل بيته على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما
أنهن لسن من أهل البيت ويروى هذا عن زيد بن أرقم والثانى وهو الصحيح أن أزواجه من
آله فانه قد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه علمهم الصلاة عليه اللهم صل على
محمد وأزواجه وذريته ولان امرأة ابراهيم من آله وأهل بيته وامرأة لوط من آله وأهل بيته
بدلالة القرآن فكيف لا يكون أزواج محمد من آله وأهل بيته ولان هذه الآية تدل على أنهن
من أهل بيته والا لم يكن لذكر ذلك فى الكلام معنى وأما الاتقياء من أمته فهم أولياؤه كما ثبت
فى الصحيح أنه قال ان آل بنى فلان ليسوا لى بأولياء وانما وليى الله وصالح المؤمنين فبين أن

وأما غير أهل الملل فالفلاسفة
متنازعون فى هذا الاصل والمحكى
عن كثير من أساطينهم القدماء أنه
كان يقول بذلك كما تقدم نقل
المقالات عنهم حتى صرح بالحركة
من صرح منهم بل الذين كانوا
قبل أرسطو من الاساطين كانوا
يقولون بحدوث العالم عن أسباب
حادثة وهم يقولون بهذا الاصل
إما تصريحا وإما لزوما وكذلك
غير واحد من متأخريهم كأبى
البركات البغدادى صاحب
المعتبر وهذا اختيار طائفة من
النظار كالاثير الابهرى وغيره وما
حكاه عن أبى الحسين البصرى فهو
قول غير واحد قبل أبى الحسين
وبعده كهشام وغيره وابن عقيل
يختار قول أبى الحسين وهو معنى
قول السلف والرازى يميل الى قول
أبى الحسين بل والى زيادة على قوله
كما ذكره فى المطالب العالية بل
ينصره وقوله عن الكرامية
انهم قالوا أسماؤه كلها أزلية أى
معانى أسمائه أى ما لاجله
استحق تلك الاسماء كالخالقية
والرازقية وأما نفس الاسم
فهو من كلامه وكلامه عندهم
حادث قائم بذاته ويمتنع عندهم
أن يكون فى الازل كلام أو أسماء
لان ذلك يقتضى حوادث لا أول
لها أو يقتضى قدم القول المعين
وكلاهما باطل عندهم وحكايته
عن الكرامية أنهم يقولون خلق

أولياء صالح المؤمنين وكذلك فى حديث آخر إن أوليائى المتقون حيث كانوا وأين كانوا وقد قال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين وفى الصحاح عنه أنه قال وددت أنى رأيت اخوانى قالوا أولسنا اخوانك قال بل أنتم اخوانى وأصحابى قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى واذا كان كذلك فأولياؤه المتقون بينه وبينهم قرابة الدين والايمان والتقوى وهذه القرابة الدينية أعظم من القرابة الطبيعية والقرب بين القلوب والارواح أعظم من القرب بين الابدان ولهذا كان أفضل الخلق أولياؤه المتقون وأما أقاربه ففيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر فان كان فاضل منهم كعلى رضى الله عنه وجعفر والحسن والحسين ففضلهم بما فيهم من الايمان والتقوى وهم أولياؤه بهذا الاعتبار لا بمجرد النسب فأولياؤه أعظم درجة من آله وان صلى على آله تبعا لم يقتض ذلك أن يكونوا أفضل من أوليائه الذين لم يصل عليهم فان الانبياء والمرسلين هم من أوليائه وهم أفضل من أهل بيته وان لم يدخلوا فى الصلاة معه تبعا فالمفضول قد يختص بأمر ولا يلزم أن يكون أفضل من الفاضل ودليل ذلك أن أزواجه هم ممن يصلى عليه كما ثبت ذلك فى الصحيحين وقد ثبت باتفاق الناس كلهم أن الانبياء أفضل منهن كلهن فان قيل فهب أن القرآن لا يدل على وقوع ما أريد من التطهير واذهاب الرجس لكن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم بذلك يدل على وقوعه فان دعاءه مستجاب قيل المقصود أن القرآن لا يدل على ما ادعاه بثبوت الطهارة واذهاب الرجس فضلا عن أن يدل على العصمة والامامة وأما الاستدلال بالحديث فذلك مقام آخر ثم نقول فى المقام الثانى هب أن القرآن دل على طهارتهم وعلى ذهاب رجسهم كما أن الدعاء المستجاب لا بد أن يستحق معه طهارة المدعو له واذهاب الرجس عنهم لكن ليس فى ذلك ما يدل على العصمة من الخطا والدليل عليه أن الله لم يرد بما أمر به أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يصدر من واحدة منهن خطأ فان الخطأ مغفور لهن ولغيرهن وسياق الآية يقتضى أنه يريد ليذهب عنهم الرجس الذى هو الخبث كالفواحش ويطهرهم تطهيرا من الفواحش وغيرها من الذنوب والتطهير من الذنب على وجهين كما فى قوله وثيابك فطهر وقوله انهم أناس يتطهرون فانه قال فيهما من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين والتطهير من الذنب إما بأن لا يفعله العبد واما بأن يتوب منه كما فى قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ما أمر الله به من الطهارة ابتداء وارادة فانه يتضمن نهيه عن الفاحشة لا يتضمن الاذن فيها بحال لكن هو سبحانه ينهى عنها ويأمر من فعلها بأن يتوب منها وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب واغسلنى بالثلج والبرد والماء البارد اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وفى الصحيحين أنه قال لعائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قبل أن يعلم النبى صلى الله عليه وسلم براءتها وكان قد ارتاب فى أمرها فقال ياعائشة ان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وبالجملة لفظ الرجس أصله القذر ويراد به الشرك كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات كقوله قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا وقوله انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان واذهاب ذلك اذهاب لكله ونحن نعلم أن الله أذهب عن أولئك السادة

الارادة والقول فى ذاته مستند الى القدرة القديمة وخلق ما فى المخلوقات مستند الى الارادة والقول تعبير عن مذهبهم بعبارته والافهم لا يسمون شيأ مما يقوم بذات الرب لا مخلوقا ولا محدثا وانما يقولون حادث ولا يقولون ان ارادته وكلامه لا مخلوق ولا محدث قال وقد احتج أهل الحق على امتناع قيام الحوادث به بحجج ضعيفة الاولى قالوا لو كان البارى تعالى قابلا لحلول الحوادث بذاته لما خلا عنها أو عن اضدادها وضد الحادث حادث وما لا يخلو عن الحوادث فيجب أن يكون حادثا والرب تعالى ليس بحادث قال وهذه الحجة مبنية على خمس مقدمات الاولى أن كل صفة حادثة لا بد لها من ضد والثانية أن ضد الصفة الحادثة لا بد وأن يكون حادثا والثالثة أن ما قبل حادثا فلا يخلو عنه وعن ضده والرابعة أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث والخامسة أن الحدوث على الله تعالى محال أما أن الرب تعالى ليس بحادث فقد سبق تقريره ﴿قلت﴾ هذا معلوم باتفاق أهل الملل وسائر العقلاء ممن أثبت الصانع ومعلوم بالادلة اليقينية بل معلوم بالضرورة وقد قدمنا أنه قرر ذلك وهو لم يقرره فانه انما قرره بناء على اثبات واجب الوجود وبنى ذلك على نفى

الشرك والخبائث ولفظ الرجس عام يقتضى أن الله يذهب جميع الرجس فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا بذلك وأما قوله وطهرهم تطهيرا فهو سؤال مطلق بما يسمى طهارة وبعض الناس يزعم أن هذا مطلق فيكتفى فيه بفرد من أفراد الطهارة ويقول مثل ذلك فى قوله فاعتبروا يا أولى الابصار ونحو ذلك والتحقيق أنه أمر بمسمى الاعتبار الذى يقال عند الاطلاق كما اذا قيل أكرم هذا أى افعل معه ما يسمى عند الاطلاق اكراما وكذلك ما يسمى عند الاطلاق اعتبارا والانسان لا يسمى معتبرا اذا اعتبر فى قصة وترك ذلك فى نظيرها وكذلك لا يقال هو طاهر أو متطهر او مطهر اذا كان متطهرا من شئ متنجسا بنظيره ولفظ الطاهر كلفظ الطيب قال تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات كما قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وقد روى أنه قال لعمار ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب وهذا أيضا كلفظ المتقى ولفظ المزكى قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال قد أفلح من تزكى وقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب ولا أن يكونوا معصومين من الخطا والذنوب فان هذا لو كان كذلك لم يكن فى الامة متق بل من تاب من ذنوبه دخل فى المتقين كما قال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما فدعاء النبى صلى الله عليه وسلم بأن يطهرهم تطهيرا كدعائه بأن يزكيهم ويطيبهم ويجعلهم متقين ونحو ذلك ومعلوم أن من استقر أمره على ذلك فهو داخل فى هذا لا تكون الطهارة التى دعا بها لهم بأعظم مما دعا به لنفسه وقد قال اللهم طهرنى من خطاياى بالثلج والبرد والماء البارد فمن وقع ذنبه مغفورا أو مكفرا فقد طهره الله منه تطهيرا ولكن من مات متوسخا بذنوبه فانه لم يطهر منها فى حياته وقد يكون من تمام تطهيرهم صيانتهم عن الصدقة التى هى أوساخ الناس والنبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا بدعاء أجابه الله بحسب استعداد المحل فاذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات لم يلزم أن لا يوجد مؤمن مذنب فان هذا لو كان واقعا لما عذب مؤمن لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بل يغفر الله لهذا بالتوبة ولهذا بالحسنات الماحية ويغفر الله لهذا ذنوبا كثيرة وان واحدة بأخرى وبالجملة فالتطهير الذى أراده الله والذى دعا به النبى صلى الله عليه وسلم ليس هو العصمة بالاتفاق فان أهل السنة عندهم لا معصوم الا النبى صلى الله عليه وسلم والشيعة يقولون لا معصوم غير النبى صلى الله عليه وسلم والامام فقد وقع الاتفاق على انتفاء العصمة المختصة بالنبى صلى الله عليه وسلم والامام عن أزواجه وبناته وغيرهن من النساء واذا كان كذلك امتنع أن يكون التطهير المدعو به للاربعة متضمنا العصمة التى يختص بها النبى صلى الله عليه وسلم والامام عندهم فلا يكون من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بهذا العصمة لا لعلى ولا لغيره فانه دعا بالطهارة لاربعة مشتركين لم يختص بعضهم بدعوة وأيضا فالدعاء بالعصمة من الذنوب ممتنع على أصل القدرية بل وبالتطهير أيضا فان الافعال الاختيارية التى هى فعل الواجبات وترك المحرمات عندهم غير مقدورة للرب ولا يمكنه أن يجعل العبد مطيعا ولا عاصيا ولا متطهرا من الذنوب ولا غير متطهر فامتنع على أصلهم أن يدعو لاحد بأن يجعله فاعلا للواجبات تاركا للمحرمات وانما المقدور عندهم قدرة تصلح للخير والشر كالسيف الذى يصلح لقتل المسلم والكافر والمال الذى يمكن انفاقه فى الطاعة والمعصية ثم العبد يفعل باختياره إما الخير واما الشر بتلك القدرة وهذا

التسلسل فى العلل وابطال حوادث لا أول لها وحجته على ذلك ضعيفة وقد أورد فى كتابه المسمى بدقائق الحقائق على ابطال تسلسل العلل سؤالا زعم أنه لا يعرف عنه جوابا فبطل بقوله ما ذكره من تقريره لكن هذا بحمد الله أجل من أن يحتاج الى مثل هذا التقرير قال واما ان ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فسيأتى تقريره فى حدوث الجواهر ۞ قلت لم يقرر ذلك الا بدليل حدوث الاعراض وأنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها وانما أبطل ذلك بابطال التسلسل فى الآثار وقرر ذلك بأن الحادث يمتنع أن يكون أزليا وقد تقدم فساد ذلك بأن لفظ الحادث يراد به النوع الدائم ويراد به الحادث المعين والمعلوم امتناعه انما هو النوع الثانى والنزاع انما هو فى الاول وأيضا فان الذى قرر به امتناع تسلسل العلل فى دقائق الحقائق أورد عليه سؤالا واعترف بأنه لا جواب له عنه واذا كان تقريره لنفى تسلسل العلل قد تبين أنه ورد عليه سؤال لا يعرف جوابه فكيف بتقرير نفى تسلسل الحوادث ومن المعلوم أن العقلاء اتفقوا على نفى تسلسل العلل وتنازعوا فى نفى تسلسل الحوادث فان كان لم يقم على نفى ذلك عنده دليل عقلى

الاصل يبطل حجتهم والحديث حجة عليهم في إبطال هذا الاصل حيث دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالتطهير فان قالوا المراد بذلك أنه يغفر لهم ولا يؤاخذهم كان ذلك أدل على البطلان من دلالته على العصمة فتبين أن الحديث لا حجة لهم فيه بحال على ثبوت العصمة والعصمة مطلقا التي هي فعل المأمور وترك المحظور ليست مقدورة عندهم لله ولا يمكنه أن يجعل أحدا فاعلا لطاعة ولا تاركا لمعصية لا لنبي ولا لغيره (١) فيمتنع عندهم أن من يعلم أنه اذا عاش يطيعه باختياره نفسه لا باعانة الله وهدايته وهذا مما يبين تناقض قولهم في مسائل العصمة كما تقدم ولو قدر ثبوت العصمة فقد قدمنا أنه لا يشترط في الامام العصمة والاجماع على انتفاء العصمة في غيرهم وحينئذ فتبطل حجتهم بكل طريق وأما قوله ان عليا ادعاها وقد ثبت نفي الرجس عنه فيكون صادقا فجوابه من وجوه أحدها أنا لا نسلم أن عليا ادعاها بل نحن نعلم بالضرورة أن عليا ما ادعاها قط حتى قتل عثمان وان كان يميل بقلبه الى أن يولى لكن ما قال اني أنا الامام ولا اني معصوم ولا ان الرسول الله صلى الله عليه وسلم جعلني الامام بعده ولا انه أوجب على الناس متابعتي ولا نحو هذه الالفاظ بل نحن نعلم بالاضطرار أن من نقل هذا ونحوه عنه فهو كاذب عليه ونحن نعلم أن عليا كان أتقى لله من أن يدعي الكذب الظاهر الذي تعلم الصحابة كلهم أنه كذب وأما نقل الناقل عنه أنه قال لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا فنقول أولا أين اسناد هذا النقل بحيث ينقله ثقة عن ثقة متصلا اليه وهذا لا يوجد قط وانما يوجد مثل هذا في كتاب نهج البلاغة وأمثاله وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها اسناد معروف فهذا الذي نقلها من أين نقلها ولكن هذه الخطب بمنزلة من يدعي أنه علوي أو عباسي ولا نعلم أحدا من سلفه ادعى ذلك قط ولا ادعي ذلك له فيعلم كذبه فان النسب يكون معروفا من أصله حتى يتصل بفرعه وكذلك المنقولات لا بد أن تكون ثابتة معروفة عمن نقل عنه حتى تتصل بنا فاذا صنف واحد كتابا ذكر فيه خطبا كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يرو أحد منهم تلك الخطب قبله باسناد معروف علمنا قطعا أن ذلك كذب وفي هذه الخطب أمور كثيرة قد علمنا يقينا من علي ما يناقضها ونحن في هذا المقام ليس علينا أن نبين أن هذا كذب بل يكفينا المطالبة بصحة النقل فان الله لم يوجب على الخلق أن يصدقوا بما لم يقم له دليل على صدقه بل هذا ممتنع بالاتفاق لا سيما على القول بامتناع تكليف ما لا يطاق فان هذا من أعظم تكليف ما لا يطاق فكيف يمكن الانسان أن يثبت ادعاء علي للخلافة بمثل حكاية ذكرت عنه في أثناء المائة الرابعة لما كثر الكاذبون عليه وصار لهم دولة تقبل منهم ما يقولون سواء كان صدقا أو كذبا وليس عندهم من يطالبهم بصحة النقل وهذا الجواب عمدتنا في نفس الامر وفيما بيننا وبين الله تعالى ثم نقول هب أن عليا قال ذلك فلم قلت انه أراد اني امام معصوم منصوص عليه ولم لا يجوز أنه أراد اني كنت أحق بها من غيري لاعتقاده في نفسه أنه أفضل وأحق من غيره وحينئذ لا يكون مخبرا عن أمر تعمد فيه الكذب ولكن يكون متكلما باجتهاده والاجتهاد يصيب ويخطئ ونفي الرجس لا يكون معصوما من الخطأ بالاتفاق بدليل أن الله لم يرد من أهل البيت أن يذهب عنهم الخطأ فان ذلك غير مقدور عليه عندهم والخطأ مغفور فلا يضر وجوده وأيضا فيه عموم الرجس وأيضا فانه لا معصوم من أن يقر على خطأ الا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يخصون ذلك بالائمة بعده واذهاب

الرجس

فهذا أولى والسؤال الذي أورده يرد على النوعين وقد ذكرنا الجواب عنه فيما تقدم ومضمونه أنه لم لا يجوز أن يكون مجموع المعلولات التي لا تتناهى وان كان ممكنا في نفسه لكنه واجب بوجوب آحاده المتعاقبة وكل واحد واجب بما قبله وهذا وان كان باطلا لكن المقصود التنبيه على أن من خالف الكتاب والسنة وقال انه ينصر بالمعقول أصول الدين يخل بمثل هذا الواجب في أعظم أصول الدين مع أنه يقرر ما لا يحتاج اليه في الدين أو ما يعارض ما ثبت أنه من الدين وكذلك من قال مثل هذا وأمثاله انه يتكلم بالعقليات يظهر منه في أعظم المعقولات التقصير والتوقف والحيرة فيها ويحقق من المعقولات ما تقل الحاجة اليه أو ما يكون وسيلة الى غيره مع أن المقصود بالوسيلة لم يحققه وقد احتج على ابطال حوادث لا أول لها بعد أن أبطل حجج موافقيه بأن ذلك يستلزم كون الحادث أزليا وهذا الوجه ضعيف فان المنازع يقول أشخاص الحوادث ليست أزلية وانما الازلي النوع فالموصوف بأنه أزلي ليس هو الموصوف بأنه حادث ثم يقال اذا لم تقدر أن تقيم حجة على امتناع تسلسل المعلولات

(١) قوله فيمتنع عندهم أن من يعلم الخ كذا في الأصل وفيه سقط ظاهر فليحرر كتبه مصححه

الرجس قد اشترك فيه علي وفاطمة وغيرهما من أهل البيت وأيضا فنحن نعلم أن عليا كان أتقى لله من أن يتعمد الكذب كما أن أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم كانوا أتقى لله من أن يتعمدوا الكذب لكن لو قيل لهذا المحتج بالآية أنت لم تذكر دليلا على أن الكذب من الرجس وإذا لم تذكر على ذلك دليلا لم يلزم من اذهاب الرجس اذهاب الكذبة الواحدة ان قدر أن الرجس ذاهب فهو ضمن أن يحتج بالقرآن وليس في القرآن ما يدل على اذهاب الرجس ولا ما يدل على أن الكذب والخطأ من الرجس ولا أن عليا قال ذلك ولكن هذا كله لو صح شيء منه لم يصح الا بمقدمات ليست في القرآن فأين البراهين التي في القرآن على الامامة وهل يدعي هذا الا من هو من أهل الخزي والندامة

(فصل) قال الرافضي البرهان السادس في قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال الى قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قال الثعلبي باسناده عن أنس وبريدة قالا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقام رجل فقال أي بيوت هذه يا رسول الله فقال بيوت الانبياء فقام اليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي وفاطمة قال نعم من أفضلها وصف فيها الرجال بما يدل على أفضليتهم فيكون علي هو الامام والا لزم تقديم المفضول

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا النقل ومجرد عزو ذلك الى الثعلبي ليس بحجة باتفاق أهل السنة والشيعة وليس كل خبر رواه واحد من الجمهور يكون حجة عند الجمهور بل علماء الجمهور متفقون على أن ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به لا في فضيلة أبي بكر وعمر ولا في اثبات حكم من الاحكام الا أن يعلم ثبوته بطريقه فليس له أن يقول انا نحتج عليكم بالاحاديث التي يرويها واحد من الجمهور فان هذا بمنزلة من يقول أنا أحكم عليكم بما يشهد عليكم من الجمهور فهل يقول أحد من علماء الجمهور ان كل من شهد منهم فهو عدل أو قال أحد من علمائهم ان كل من روى منهم حديثا كان صحيحا ثم علماء الجمهور متفقون على أن الثعلبي وأمثاله يروون الصحيح والضعيف ومتفقون على أن مجرد روايته لا توجب اتباع ذلك ولهذا يقولون في الثعلبي وأمثاله انه حاطب ليل يروي ما وجد سواء كان صحيحا أو سقيما فتفسيره وان كان غالب الاحاديث التي فيه صحيحة ففيه ما هو كذب موضوع باتفاق أهل العلم ولهذا لما اختصره أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي وكان أعلم بالحديث والفقه منه والثعلبي اعلم بأقوال المفسرين والنحاة وقصص الانبياء فهذه الامور نقلها البغوي من الثعلبي وأما الاحاديث فلم يذكر في تفسيره شيأ من الموضوعات التي رواها الثعلبي بل يذكر الصحيح منها ويعزوه الى البخاري وغيره فانه مصنف كتاب شرح السنة وكتاب المصابيح وذكر ما في الصحيحين والسنن ولم يذكر الاحاديث التي تظهر لعلماء الحديث أنها موضوعة كما يفعله غيره من المفسرين كالواحدي صاحب الثعلبي وهو أعلم بالعربية منه وكالزمخشري وغيرهم من المفسرين الذين يذكرون من الاحاديث ما يعلم أهل الحديث أنه موضوع (الثاني) أن هذا الحديث موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ولهذا لم يذكره علماء الحديث في كتبهم التي يعتمد في الحديث عليها كالصحاح والسنن والمساند مع أن في بعض هذا ما هو ضعيف بل ما يعلم أنه كذب لكن هذا قليل جدا وأما هذا الحديث وأمثاله فهو أظهر كذبا من أن يذكر وفي مثل ذلك (الثالث) أن يقال الآية باتفاق الناس هي في المساجد كما قال في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال

وإثبات الصانع عندك موقوف على هذا فأي شيء ينفعك نفي حلول الحوادث عالم تقم حجة على اثباته فضلا عن قدمه قال وانما الاشكال في المقدمات الثلاثة الاول قال وذلك أن لقائل أن يقول قولكم ان كل صفة حادثة لا بد لها من ضد فاما أن يراد بالضد معنى وجودي يستحيل اجتماعه مع تلك الصفة لذاتيهما واما أن يراد به ما هو أعم من ذلك وهو ما لا يتصور اجتماعه مع وجود الصفة لذاتيهما وان كان عدما حتى يقال فان عدم الصفة يكون ضدا لوجودها فان كان الاول فلا نسلم أنه لا بد وأن يكون للصفة ضد بذلك الاعتبار والاستدلال على موقع المنع عسير جدا وان كان الثاني فلا نسلم أنه يلزم أن يكون ضد الحادث حادثا والا كان عدم العالم السابق على وجوده حادثا ولو كان عدمه حادثا كان وجوده سابقا على عدمه وهو محال قال وان سلمنا أنه لا بد أن يكون ضد الحادث معنى وجوديا ولكن لا نسلم امتناع خلو المحل عن الصفة وضدها بهذا الاعتبار وحيث قررنا في مسألة الكلام والادراكات أن القابل لصفة لا يخلو عنها وعن ضدها انما كان بالمعنى الاعم لا بالمعنى الاخص فلا مناقضة

*قلت هذا كلام حسن جيد لو كان قد وفى بموجبه فان هذه الطريقة مما كان يحتج بها السلف

الآية وبيت علي ليس موصوفا بهذه الصفة (الرابع) أن يقال بيت النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من بيت علي باتفاق المسلمين ومع هذا لم يدخل في هذه الآية لانه ليس في بيته رجال وانما فيه هو والواحدة من نسائه ولما أراد بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتدخلوا بيوت النبي وقال واذكرن مايتلى في بيوتكن (الوجه الخامس) أن قوله هي بيوت الانبياء كذب فانه لو كان كذلك لم يكن لسائر المؤمنين فيها نصيب وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله متناول لكل من كان بهذه الصفة (الوجه السادس) أن قوله في بيوت أذن الله أن ترفع نكرة موصوفة (١) ليس تغيير وقوله أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ان أراد بذلك مالايختص به المساجد من الذكر في البيوت والصلاة فيها دخل في ذلك بيوت أكثر المؤمنين المتصفين بهذه الصفة فلا يختص بيوت الانبياء وان أراد بذلك مايختص به المساجد من وجود الذكر في الصلوات الخمس ونحو ذلك كانت مختصة بالمساجد وأما بيوت الانبياء فليس فيها خصوصية المساجد وان كان لها فضل بسكنى الانبياء فيها (الوجه السابع) أن يقال ان أريد ببيوت الانبياء ماسكنه النبي صلى الله عليه وسلم فليس في المدينة من بيوت الانبياء الابيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فلا يدخل فيها بيت علي وان أريد مادخله الانبياء فالنبي صلى الله عليه وسلم دخل بيوت كثير من الصحابة وأي تقدير قدر في الحديث لايمكن تخصيص بيت علي بأنه من بيوت الانبياء دون بيت أبي بكر وعمر وعثمان ونحوهم واذا لم يكن له اختصاص فالرجال مشتركون بينه وبين غيره (الوجه الثامن) أن يقال قوله الرجال المذكورون موصوفون بأنهم لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ليس في الآية مايدل على أنهم أفضل من غيرهم وليس فيها ذكر ماوعدهم الله به من الخير وفيها من الثناء عليهم وليس كل من اثني عليه ووعده بالجنة يكون أفضل من غيره فلا يلزم أن يكون هو أفضل من الانبياء (الوجه التاسع) أن يقال هب أن هذا يدل على أنهم أفضل ممن ليس كذلك من هذا الوجه لكن لم قلت ان هذه الصفة مختصة بعلي بل من كانت لاتلهيه التجارة والبيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ويخاف يوم القيامة فهو متصف بهذه الصفة فلم قلت انه ليس متصف بذلك الاعليا ولفظ الآية يدل على أنهم رجال ليسوا رجلا واحدا فهذا دليل على أن هذا لايختص بعلي بل هو وغيره مشتركون فيها وحينئذ فلا يلزم أن يكون أفضل من المشاركين له فيها (الوجه العاشر) أنه لو سلم أن عليا أفضل من غيره في هذه الصفة فلم قلت ان ذلك يوجب الامامة وأما امتناع تقديم المفضول على الفاضل اذا سلم فانما هو في مجموع الصفات التي تناسب الامامة والا فليس كل من فضل في خصلة من الخير استحق أن يكون هو الامام ولو جاز هذا لقيل في الصحابة من قتل من الكفار أكثر مما قتل علي وفيهم من أنفق من ماله أكثر مما أنفق علي وفيهم من كان أكثر صلاة وصياما من علي وفيهم من كان عنده من العلم ماليس عند علي وبالجملة لايمكن أن يكون واحد من الانبياء له مثل ماللكل واحد من الانبياء من كل وجه ولا أحد من الصحابة يكون له مثل ماللكل أحد من الصحابة من كل وجه بل يكون في المفضول نوع من الامور التي يمتاز بها عن الفاضل ولكن الاعتبار في التفضيل بالمجموع

(فصل) قال الرافضي البرهان السابع قوله تعالى قل لاأسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى روى أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس قال لما نزلت قل لاأسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى قالوا يارسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة

والأئمة في اثبات صفات الكمال كالكلام والسمع والبصر وقد اتبعهم في ذلك متكلمة الصفات من أصحاب ابن كلاب وابن كرام والاشعري وغيرهم بل أثبتوا بها عامة صفات الكمال وقد أورد عليها مايورده نفاة الصفات وزعم أن ذلك قادح فيها فقال أما أهل الاثبات يعني للصفات فقد سلك بعضهم في الاثبات مسلكا ضعيفا وهو أنهم تعرضوا الاثبات أحكام الصفات ثم توصلوا منها الى اثبات العلم بالصفات ثانيا فقالوا ان العالم لامحالة على غاية من الحكمة والاتقان وهو مع ذلك جائز وجوده وجائز عدمه كما سيأتي وهو مستند في التخصيص والايجاد الى واجب الوجود كما سيأتي أيضا فيجب أن يكون قادرا عليه مريدا له عالما به كما وقع الاستقراء في الشاهد فان من لم يكن قادرا لايصح صدور شئ عنه ومن لم يكن مريدا لم يكن تخصيص بعض الجائزات عنه دون بعض بأولى من العكس اذ نسبتهما اليه واحدة ومن لم يكن عالما بالشئ لايتصور منه القصد الى ايجاده قالوا واذا ثبت كونه قادرا مريدا عالما وجب أن يكون حيا اذ الحياة شرط في هذه الصفات على ماعرف في الشاهد

(١) قوله ليس تغيير كذا في النسخة ولعله ليس بتعيين وحرر كتبه مصححه

وكذلك

وكذلك في تفسير الثعلبي ونحوه في الصحيحين وغيرعلي من الصحابة والثلاثة لاتجب مودته فيكون علي أفضل فيكون هو الامام ولان مخالفته تنافي المودة وبامتثال أوامره تكون مودته فيكون واجب الطاعة وهو معنى الامامة

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا الحديث وقوله ان أحمد روى هذا في مسنده كذب بين فان مسند أحمد موجود به من النسخ ماشاء الله وليس فيه هذا الحديث وأظهر من ذلك كذبا قوله ان هذا في الصحيحين وليس هو في الصحيحين بل فيهما وفي المسند ما يناقض ذلك ولا ريب أن هذا الرجل وأمثاله جهال بكتب أهل العلم لا يطالعونها ولا يعلمون مافيها ورأيت بعضهم جمع لهم كتابا في أحاديث من كتب متفرقة معزوة تارة الى الصحيحين وتارة الى مسند أحمد وتارة الى المغازي والموفق خطيب خوارزم والثعلبي وأمثاله وسماه الطرائف في الرد على الطوائف وآخر صنف كتابا لهم سماه العمدة واسم مصنفه ابن البطريق وهؤلاء مع كثرة الكذب فيما يروونه فهم أمثل حالا من أبي جعفر محمد بن علي الذي صنف لهم وأمثاله فان هؤلاء يروون من الاكاذيب مالا يخفى الاعلى من هو من أجهل الناس ورأيت كثيرا من ذلك المعزو الذي عزاه أولئك الى المسند والصحيحين وغيرهما باطلا لا حقيقة له يعزون الى مسند أحمد ماليس فيه أصلا لكن أحمد صنف كتابا في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقد يروى في هذا الكتاب ماليس في المسند وليس كل مارواه أحمد في المسند وغيره يكون حجة عنده بل يروى مارواه أهل العلم وشرطه في المسند أن لا يروى عن المعروفين بالكذب عنده وان كان في ذلك ماهو ضعيف وشرطه في المسند مثل شرط أبي داود في سننه وأما كتب الفضائل فيروى ماسمعه من شيوخه سواء كان صحيحا أو ضعيفا فانه لم يقصد أن لا يروى في ذلك الاماثبت عنده ثم زاد ابن أحمد زيادات وزاد أبو بكر القطيعي زيادات وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة موضوعة فظن ذلك الجاهل أن تلك من رواية أحمد وأنه رواها في المسند وهذا خطأ قبيح فان الشيوخ المذكورين شيوخ القطيعي كلهم متأخر عن أحمد وهم ممن يروى عن أحمد لا ممن يروى أحمد عنه وهذا مسند أحمد وكتاب الزهد له وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب التفسير وغير ذلك من كتبه يقول حدثنا وكيع حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الرزاق فهذا أحمد وتارة يقول حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو نصر التمار فهذا عبد الله وكتابه في فضائل الصحابة له فيه هذا وهذا وفيه من زيادات القطيعي يقول حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي وأمثاله ممن هو مثل عبد الله بن أحمد في الطبقة وهو ممن غايته أن يروى عن أحمد فان أحمد ترك الرواية في آخر عمره لما طلب الخليفة أن يحدثه ويحدث ابنه ويقيم عنده فخاف على نفسه من فتنة الدنيا فامتنع من الحديث مطلقا ليسلم من ذلك لانه قد حدث بما كان عنده قبل ذلك فكان يذكر الحديث باسناده بعد شيوخه ولا يقول حدثنا فلان فكان من يسمعون منه ذلك يفرحون بروايتهم عنه فهذا القطيعي يروى عن شيوخه زيادات وكثير منها كذب موضوع وهؤلاء قد وقع لهم هذا الكتاب ولم ينظروا مافيه من فضائل سائر الصحابة (١) بل عرض ذلك على وكلما زاد حديثا ظنوا أن القائل ذلك هو أحمد بن حنبل فانهم لا يعرفون الرجال وطبقاتهم وان شيوخ القطيعي يمتنع أن يروى أحمد عنهم شيأ ثم انهم لفرط جهلهم ماسمعوا كتابا الا المسند فلما ظنوا أن أحمد رواه وأنه انما يروى في المسند صاروا يقولون لما رواه القطيعي رواه أحمد في المسند هذا ان لم يزيدوا على القطيعي مالم يروه فان

. وما كان له في وجوده أو عدمه شرط لا يختلف شاهدا ولا غائبا ويلزم من كونه حيا أن يكون سميعا بصيرا متكلما فان من لم تثبت له هذه الصفات من الاحياء فهو متصف باضدادها كالعمى والطرش والخرس على ماعرف في الشاهد أيضا والاله تعالى يتقدس عن الاتصاف بهذه الصفات قالوا واذا ثبت له هذه الاحكام فهي في الشاهد معللة بالصفات فالعلم في الشاهد علة كون العالم عالما والقدرة علة كون القادر قادرا وعلى هذا النحو باقي الصفات والعلة لا تختلف لا شاهدا ولا غائبا وأيضا فان حد العالم في الشاهد من قام به العلم والقادر من قامت به القدرة وعلى هذا النحو والحد لا يختلف شاهدا ولا غائبا وأيضا فان شرط العالم في الشاهد قيام العلم به وكذلك في القدرة وغيرها والشرط لا يختلف شاهدا ولا غائبا ۞ قلت وهذه الطريقة مع امكان تقريرها على هذا الوجه فانه يمكن تقريرها على وجه أكمل منه ومع هذا فقد قال هذه الحجة مما يضعف التمسك بها جدا وأورد عليها أنها مبنية على الجمع بين الشاهد والغائب وقد تكلمنا على ماذكره هو وغيره في غير هذا الموضع وبينا أن الحجة لا يحتاج

(١) قوله بل عرض ذلك على كذا في النسخة وحرر كتبه مصححه

الكذب عندهم غير مأمون ولهذا يعزو صاحب الطرائف وصاحب العمدة أحاديث الى أحمد لم يروها أحد لا في هذا ولا في هذا ولا سمعها أحد قط وأحسن حال هؤلاء أن تكون تلك مما رواه القطيعي ومارواه القطيعي فيه من الموضوعات القبيحة الوضع ما لا يخفى على عالم ونقل هذا الرافضي من جنس صاحب كتاب العمدة والطرائف فما أدري نقل عنه أو عمن ينقل عنه والا فمن له بالنقل أدنى معرفة يستحيي أن يعزو مثل هذا الحديث الى مسند أحمد والصحيحين والصحيحان والمسند نسخهما ملء الارض وليس هذا في شئ منها وهذا الحديث لم يروفي شئ من كتب العلم المعتمدة أصلا وانما يروى مثل هذا من يحطب بالليل كالثعلبي وأمثاله الذين يروون الغث والسمين بلا تمييز (الوجه الثاني) أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع اليهم في هذا ولهذا لا يوجد في شئ من كتب الحديث التي يرجع اليها (الوجه الثالث) أن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة بل جميع آل حم مكيات وكذلك آل طس ومن المعلوم أن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر والحسن ولد في السنة الثالثة من الهجرة والحسين في السنة الرابعة فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ولم تخلق (الوجه الرابع) أن تفسير الآية الذي في الصحيحين عن ابن عباس يناقض ذلك ففي الصحيحين عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى فقلت أن لا تؤذوا محمدا في قرابته فقال ابن عباس عجلت انه لم يكن بطن من قريش الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة فقال لا أسألكم عليه أجرا لكن أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم فهذا ابن عباس ترجمان القرآن وأعلم أهل البيت بعد علي يقول ليس معناها مودة ذوي القربى لكن معناها لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجرا لكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم فهو سأل الناس الذين أرسل اليهم أولا أن يصلوا رحمه فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه (الوجه الخامس) أنه قال لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى لم يقل الا المودة للقربى ولا المودة لذوي القربى فلو أراد المودة لذوي القربى لقال المودة لذوي القربى كما قال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى وكذلك قوله فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى وهكذا في غير موضع فجميع ما في القرآن من التوصية بحقوق ذوي قربى النبي صلى الله عليه وسلم وذوي قربى الانسان انما قيل فيها ذوي القربى لم يقل في القربى فلما ذكر هنا المصدر دون الاسم دل على أنه لم يرد ذوي القربى (الوجه السادس) أنه لو أريد المودة لهم لقال المودة لذوي القربى ولم يقل في القربى فانه لا يقول من طلب المودة لغيره أسألك المودة في فلان ولا في قربى فلان ولكن أسألك المودة لفلان والمحبة لفلان فلما قال المودة في القربى علم أنه ليس المراد لذوي القربى (الوجه السابع) أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل على تبليغ رسالة ربه أجرا البتة بل أجره على الله كما قال قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وقوله أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون وقوله قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله ولكن الاستثناء هنا منقطع كما قال قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا ولا ريب أن محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واجبة لكن لم يثبت وجوبها

فيها الى هذا الجمع فهو صحيح فانه من باب قياس الاولى وهو أن ما كان من لوازم الكمال فثبوته للخالق أولى منه للمخلوق كما قد ذكر في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا أنه اعترض على قولهم لو لم يتصف بهذا لاتصف بضده العام الذي يتضمن النفي وهو قد ذكر هنا أنه قرر قال وأما قولهم انه لو لم يتصف بهذه الصفات مع كونه حيا لكان متصفا بما يقابلها فالتحقيق فيه موقوف على بيان حقيقة المتقابلين يعني المتنافيين وذكر التقسيم المشهور فيه للفلاسفة وأنه أربعة أقسام تقابل السلب والايجاب والعدم والملكة والتضايف والتضاد وأن تقابل العلم والجهل والعمى والبصر هو عندهم من باب تقابل العدم والملكة والملكة على اصطلاحهم كل معنى وجودي أمكن أن يكون ثابتا للشئ اما بحق جنسه كالبصر للانسان فان البصر يمكن ثبوته لجنسه وهو الحيوان أو بحق نوعه ككتابة زيد فان هذا ممكن لنوع الانسان أو بحق شخصه كاللحية للرجل فانها ممكنة في حق الرجل قال والعدم المقابل لها ارتفاع هذه الملكة قال فان أريد بتقابل الادراك ونفيه تقابل التناقض بالسلب والايجاب وهو أنه لا يخلو من كونه سميعا وبصيرا ومتكلما أوليس فهو ما يقوله الخصم ولا

بهذه الآية ولا محبتهم أجر النبي صلى الله عليه وسلم بل هو مما أمرنا الله به كما أمرنا بسائر العبادات وفي الصحيح عنه أنه خطب أصحابه بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة فقال أذكركم الله في أهل بيتي وفي السنن عنه أنه قال والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي فمن جعل محبة أهل بيته أجراله يوفيه اياه فقد أخطأ خطأ عظيما ولو كان أجراله لم نثب عليه نحن لانا أعطيناه أجره الذي يستحقه بالرسالة فهل يقول مسلم مثل هذا (الوجه الثامن) أن القربى معرفة باللام فلا بد أن يكون معروفا عند المخاطبين الذين أمر أن يقول لهم لا أسألكم عليه أجرا وقد ذكر أنها لما نزلت لم يكن قد خلق الحسن والحسين ولا تزوج علي بفاطمة فالقربى التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون هذه بخلاف القربى التي بينه وبينهم فانها معروفة عندهم كما تقول لا أسألك الا المودة في الرحم التي بيننا وكما تقول لا أسألك الا العدل بيننا وبينكم ولا أسألك الا أن تتقي الله في هذا الامر (الوجه التاسع) انا نسلم أن عليا تجب مودته وموالاته بدون الاستدلال بهذه الآية لكن ليس في وجوب موالاته ومودته ما يوجب اختصاصه بالامامة ولا الفضيلة وأما قوله والثلاثة لا تجب موالاتهم فممنوع بل يجب أيضا مودتهم وموالاتهم فانه قد ثبت أن الله يحبهم ومن كان الله يحبه وجب علينا أن نحبه فان الحب في الله والبغض في الله واجب وهو أوثق عرى الايمان وكذلك هم من أكابر أولياء الله المتقين وقد أوجب الله موالاتهم بل قد ثبت أن الله رضي عنهم ورضوا عنه بنص القرآن وكل من رضي الله عنه فانه يحبه والله يحب المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين وهؤلاء أفضل من دخل في هذه النصوص من هذه الامة بعد نبيها وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ان اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فهو أخبرنا أن المؤمنين يتوادون ويتعاطفون ويتراحمون وأنهم في ذلك كالجسد الواحد وهؤلاء قد ثبت ايمانهم بالنصوص والاجماع كما قد ثبت ايمان علي ولا يمكن من يقدح في ايمانهم أن يثبت ايمان علي بل كل طريق دل على ايمان علي فانها على ايمانهم أدل والطريق التي يقدح بها فيهم يجاب عنها كما يجاب عن القدح في علي وأولى فان الرافضي الذي يقدح فيهم ويتعصب لعلي فهو منقطع الحجة كاليهود والنصارى الذين يريدون اثبات نبوة موسى وعيسى والقدح في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا لا يمكن الرافضي أن يقيم الحجة على النواصب الذين يبغضون عليا أو يقدحون في ايمانه من الخوارج وغيرهم فانهم اذا قالوا له بأي شيء علمت أن عليا مؤمن أو ولي لله تعالى فان قال بالنقل المتواتر باسلامه وحسناته قيل له هذا النقل موجود في أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بل النقل المتواتر بحسنات هؤلاء السالمة عن المعارض أعظم من النقل المتواتر في مثل ذلك لعلي وان قال بالقرآن الدال على ايمان علي قيل له القرآن انما دل بأسماء عامة كقوله لقد رضي الله عن المؤمنين ونحو ذلك وأنت تخرج أكابر الصحابة فاخراج واحد أسهل وان قال بالاحاديث الدالة على فضائله أو نزول القرآن فيه قيل أحاديث أولئك أكثر وأصح وقد قدحت فيهم وقيل له تلك الأحاديث التي في فضائل علي انما رواها الصحابة الذين قدحت فيهم فان كان القدح صحيحا بطل النقل وان كان النقل صحيحا بطل القدح وان قال بنقل الشيعة أو تواترهم قيل له الصحابة لم يكن فيهم من الرافضة أحد والرافضة تطعن في جميع الصحابة الا نفرا قليلا بضعة عشر ومثل هذا قد يقال انهم تواطؤا على ما نقلوه فمن قدح في نقل الجمهور كيف يمكنه

يقبل نفيه من غير دليل وان أريد بالتقابل تقابل العدم والملكة فلا يلزم من نفي الملكة تحقق العدم الا بالعكس الا في محل يكون قابلا لهما ولهذا يصح أن يقال الحجر لا أعمى ولا بصير والقول بكون الباري تعالى قابلا للبصر والعمى دعوى محل النزاع والمصادرة على المطلوب وعلى هذا فقد امتنع نفي لزوم العمى والخرس والطرش في حق الله تعالى من ضرورة نفي البصر والسمع والكلام عنه فهذا كلامه في الخلو عن الضدين بالمعنى العام أورد عليه ما ذكر فكيف يدعي أنه قرره وهذا الايراد ايراد معروف للمعطلة نفاة الصفات وهو ايراد فاسد من وجوه أحدها أن يقال نحن نريد بالتقابل تقابل السلب والايجاب ونفي هذه الصفات يتضمن النقص لكل من نفيت عنه سواء قيل انه قابل لها أو لم يقل فانه من المعلوم بصريح العقل أن المتصف بالحياة والعلم والكلام والسمع والبصر أكمل ممن لم يتصف بذلك وما قدر انتفاء ذلك عنه كالجماد فهو أنقص بالنسبة الى من اتصف بذلك وهو قد سلك في اثبات الصفات طريقة الكمال وهي في الحقيقة من جنس هذه فقال واعلم أن ههنا طريقة رشيقة سهلة المعرك قريبة المدرك يعسر على المنصف المتحري الخروج عنها والقدح في دلالتها يمكن طردها في اثبات جميع الصفات النفسانية

اثبات نقل نفر قليل وهذا مبسوط فى موضعه والمقصود أن قوله وغير على من الثلاثة لا تجب مودته كلام باطل عند الجمهور بل مودة هؤلاء أوجب عند أهل السنة من مودة على لان وجوب المودة على مقدار الفضل فكل من كان أفضل كانت مودته أكمل وقد قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قالوا يحبهم ويحببهم الى عباده وهؤلاء أفضل من آمن وعمل صالحا من هذه الامة بعد نبيها كما قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود الى آخر السورة وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال أبوها وفى الصحيح أن عمر قال لابى بكر رضى الله عنهما يوم السقيفة بل أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديق ذلك ما استفاض فى الصحاح من غير وجه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن مودة الاسلام فهذا يبين أنه ليس فى أهل الارض أحق بمحبته ومودته من أبى بكر وما كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحب الى الله وما كان أحب الى الله ورسوله فهو أحق أن يكون أحب الى المؤمنين الذين يحبون ما أحبه الله ورسوله والدلائل الدالة على أنه أحق بالمودة كثيرة فضلا عن أن يقال ان المفضول تجب مودته وان الفاضل لا تجب مودته * وأما قوله ان مخالفته تنافى المودة وبامتثال أوامره تكون مودته فيكون واجب الطاعة وهو معنى الامامة فجوابه من وجوه أحدها ان كان المودة توجب الطاعة فقد وجبت مودة ذوى القربى فتجب طاعتهم فيجب أن تكون فاطمة أيضا اماما وان كان هذا باطلا فهذا مثله (الثانى) أن المودة ليست مستلزمة للامامة فى حال وجوب المودة فليس من وجبت مودته كان إماما حينئذ بدليل أن الحسن والحسين تجب مودتهما قبل مصيرهما إمامين وعلى تجب مودته فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن إماما بل تجب وان تأخرت امامته الى مقتل عثمان (الثالث) أن وجوب المودة ان كان ملزوم الامامة يقتضى انتفاء اللازم فلا تجب مودة الا من يكون إماما معصوما فحينئذ لا يود أحدا من المؤمنين ولا يحبهم فلا تجب مودة أحد من المؤمنين ولا محبته اذا لم يكونوا أئمة لا شيعة على ولا غيرهم وهذا خلاف الاجماع وخلاف ما علم بالاضطرار من دين الاسلام (الرابع) أن قوله والمخالفة تنافى المودة يقال متى اذا كان ذلك واجب الطاعة أو مطلقا الثانى ممنوع والا لكان من أوجب على غيره شيأ لم يوجبه الله عليه ان خالفه فلا يكون محباله فلا يكون مؤمن محبا لمؤمن حتى يعتقد وجوب طاعته وهذا معلوم الفساد وأما الاول فيقال اذا لم تكن المخالفة قادحة فى المودة الا اذا كان واجب الطاعة فحينئذ يجب أن يعلم أولا وجوب الطاعة حتى تكون مخالفته قادحة فى مودته فاذا أثبت وجوب الطاعة بمجرد وجوب المودة كان ذلك باطلا وكان ذلك دورا ممتنعا فانه لا يعلم أن المخالفة تقدح فى المودة حتى يعلم وجوب الطاعة ولا يعلم وجوب الطاعة الا اذا علم أنه امام ولا يعلم أنه امام حتى يعلم أن مخالفته تقدح فى مودته (الخامس) أن يقال المخالفة تقدح فى المودة اذا أمر بطاعته أو لم يؤمر والثانى منتف ضرورة وأما الاول فانا نعلم أن عليا لم يأمر الناس بطاعته فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان (السادس) أن يقال هذا بعينه يقال فى حق أبى بكر وعمر وعثمان فان مودتهم ومحبتهم وموالاتهم واجبة كما تقدم ومخالفتهم تقدح فى ذلك (السابع) الترجيح (١) من هذا الحديث لان القوم دعوا الناس الى ولايتهم وطاعتهم وادعوا الامامة

والله

وهى مما ألهمنى الله اياها ولم أجدها على صورتها وتحريرها لأحد غيرى وهو أن يقال المفهوم من كل واحد من هذه الصفات المذكورة مع قطع النظر عما يتصف به صفة كمال أو لا صفة كمال لا جائز أن تكون لا صفة كمال والا كان حال من اتصف بها فى الشاهد أنقص من حال من لم يتصف بها ان كان عدمها فى نفس الأمر كمالا أو مساويا لحال من لم يتصف بها ان لم يكن عدمها فى نفس الامر كمالا وهو خلاف ما نعلمه بالضرورة فى الشاهد فلم يبق الا القسم الاول وهو أنه فى نفسها وذواتها كمال وعند ذلك فلو قدر عدم اتصاف البارى تعالى بها لكان ناقصا بالنسبة الى من اتصف بها من مخلوقاته ومحال أن يكون الخالق أنقص من المخلوق * قلت وهذه الحجة التى تلوتها صحيحة وقد استدل بها ما شاء الله من السلف والخلف وان كان تصويرها والتعبير عنها يتنوع وهذه المادة بعينها يمكن نقلها الى الحجة الاولى التى زيفها بأن يقال لو لم يتصف بصفات الكمال لاتصف بنقائضها وهى صفات نقص فيكون أنقص من بعض مخلوقاته (الوجه الثانى) أن يقال هب أنهما متقابلان تقابل العدم

(١) قوله الترجيح من هذا الحديث الخ هكذا فى الاصل وحرر المقام فلعل هنا سقطا كتبه مصححه

والله أوجب طاعتهم فخالفهم عدو لله وهؤلاء القوم مع أهل السنة بمنزلة النصارى مع المسلمين فالنصارى يجعلون المسيح إلها ويجعلون ابراهيم وموسى ومحمدا أقل من الحواريين الذين كانوا مع عيسى وهؤلاء يجعلون عليا هو الامام المعصوم وهو النبي أو إله والخلفاء الاربعة أقل من مثل الاشتر النخعي وأمثاله الذين قاتلوا معه ولهذا كان جهلهم وظلمهم أعظم من أن يوصف يتمسكون بالمنقولات المكذوبة والالفاظ المتشابهة والاقيسة الفاسدة ويدعون المنقولات الصادقة المتواترة والنصوص البينة والمعقولات الصريحة

(فصل) قال الرافضي البرهان الثامن قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال الثعلبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده وأمره ليلة خرج الى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه فقال له يا علي اتشح ببردي الاخضر الحضرمي ونم على فراشي فانه لا يخلص اليك منهم مكروه ان شاء الله تعالى ففعل ذلك فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله اليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد عليه الصلاة والسلام فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب باهى الله بك الملائكة فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه الى المدينة في شأن علي ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقال ابن عباس انما نزلت في علي لما هرب النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين الى الغار وهذه فضيلة لم تحصل لغيره تدل على فضيلة علي على جميع أصحابه فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا النقل ومجرد نقل الثعلبي وأمثاله لذلك بل روايتهم ليس بحجة باتفاق طوائف أهل السنة والشيعة لان هذا مرسل متأخر ولم يذكر اسناده وفي نقله من هذا الجنس للاسرائيليات والاسلاميات أمور يعلم أنها باطلة وان كان هو لم يتعمد الكذب ثانيها أن هذا الذي نقله على هذا الوجه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسيرة والمرجع اليهم في هذا الباب الثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر هو وأبو بكر الى المدينة لم يكن للقوم غرض في طلب علي وانما كان مطلوبهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وجعلوا في كل واحد منهما دية لمن جاء به كما ثبت ذلك في الصحيح الذي لا يستريب أهل العلم في صحته وترك عليا في فراشه ليظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت فلا يطلبوه فلما أصبحوا وجدوا عليا فظهرت خيبتهم ولم يؤذوا عليا بل سألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أنه لا علم له به ولم يكن هناك خوف على أحد وانما كان الخوف على النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه ولو كان لهم في علي غرض لتعرضوا له لما وجدوه فلما لم يتعرضوا له دل على أنهم لا غرض لهم فيه فأي فداء هنا بالنفس والذي كان يفديه بنفسه بلا ريب ويقصد أن يدفع بنفسه عنه ويكون الضرر به دونه هو أبو بكر كان يذكر الطلب فيكون خلفه ويذكر الرصد فيكون أمامه وكان يذهب فيكشف له الخبر واذا كان هناك ما يخاف أحب أن يكون به لا بالنبي صلى الله عليه وسلم وغير واحد من الصحابة قد فداه بنفسه في مواطن الحروب فمنهم من قتل بين يديه ومنهم من شلت يده كطلحة بن عبد الله وهذا واجب على المؤمنين كلهم فلو قدر أنه كان هناك فداء بالنفس لكان

والملكة فقولكم لا يلزم من نفي أحدهما ثبوت الآخر الا اذا كان المحل قابلا جوابه أن يقال الموجودات نوعان نوع يقبل الاتصاف بأحد هذين كالحيوان وصنف لا يقبل ذلك كالجماد ومن المعلوم أن ما قبل أحدهما أكمل مما لا يقبل واحدا منهما وان كان موصوفا بالعمى والصمم والخرس فان الحيوان الذي هو كذلك أقرب الى الكمال ممن لا يقبل لا هذا ولا هذا اذ الحيوان الابكم الاعمى الاصم يمكن أن يتصف بصفات الكمال وما يقبل الاتصاف بصفات الكمال أكمل ممن لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال فاذا كان قد علم أن الرب تعالى مقدس عن أن يتصف بهذه النقائص مع قبوله للاتصاف بصفات الكمال فلأن يقدس عن كونه لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال أولى وأحرى وهذا معلوم ببداهة العقول (الوجه الثالث) أن نقول لا نسلم أن في الاعيان ما لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات فان الله قادر على أن يخلق الحياة في كل جسم وأن ينطقه كما أنطق ما شاء من الجمادات وقال تعالى والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات غير أحياء واذا كان كذلك فدعواهم أن من الاعيان ما لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات رجوع منهم الى مجرد ما شهدوه من العادة والا فمن كان مصدقا بأن الله قلب عصا موسى وهي جماد ثعبانا عظيما ابتلعت

هـذا من الفضائل المشتركة بينه و بين غيره من الصحابة فكيف اذا لم يكن هنالك خوف على على قال ابن اسحق فى السيرة مع أنه من المتولين لعلى المائلين اليه وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم من منزله واستخلاف على على فراشه ليلة مكر الكفار به قال فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هـذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامهم قال لعلى نم على فراشى واتشح ببردى هذا الحضرمى الاخضر فنم فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وعن محمد بن كعب القرظى قال لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل فقال وهم على بابه ان محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنات كجنات الاردن وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ولم يبق منهم رجلا الا وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا فقالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق الى حاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هـذا لمحمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا وكان مما أنزل الله ذلك اليوم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون الآية فأذن الله لنبيه فى الهجرة عند ذلك فهـذا يبين أن القوم لم يكن لهم غرض فى على أصلا وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال اتشح ببردى هـذا الأخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك منهم رجل بشئ تكرهه فوعده وهو الصادق أنه لا يخلص اليه مكروه وكان طمأنينته بوعد رسول الله (الرابع) ان هذا الحديث فيه من الدلائل على كذبه ما لا يخفى فان الملائكة لا يقال فيهم مثل هـذا الباطل الذى لا يليق بهم وليس أحدهما جائعا فيؤثره الآخر بالطعام ولا هنالك خوف فيؤثر أحدهما صاحبه بالأمن فكيف يقول الله لهما أيكما يؤثر صاحبه بالحياة ولا للمؤاخاة بين الملائكة أصل بل جبريل له عمل يختص به دون ميكائيل وميكائيل له عمل يختص به دون جبريل كما جاء فى الآثار ان الوحى والنصر لجبريل وان الرزق والمطر لميكائيل ثم ان كان الله قضى بأن عمر أحدهما أطول من الآخر فهو ما قضاه وان قضاه لواحد وأراد منهما أن يتفقا على تعيين الاطول أو يؤثر به أحدهما الآخر وهما راضيان بذلك فلا كلام وأما ان كانا يكرهان ذلك فكيف يليق بحكمة الله ورحمته أن يحرش بينهما أو يلقى بينهما العداوة ولو كان ذلك حقا تعالى الله عن ذلك ثم هـذا القدر لو وقع مع أنه باطل فكيف تأخر من حين خلقهما الله قبل آدم الى حين الهجرة وانما كان يكون ذلك لو كان عقب خلقهما (الخامس) ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ عليا ولا غيره بل كل ما روى فى هـذا فهو كذب وحديث المؤاخاة الذى يروى فى ذلك مع ضعفه وبطلانه انما فيه مؤاخاته له فى المدينة هكذا رواه الترمذى فأما بمكة فمؤاخاته له باطلة على التقديرين وأيضا فقد عرف أنه لم يكن فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة باتفاق علماء النقل (السادس) أن هبوط جبريل وميكائيل لحفظ واحد من

الحبال والعصى لم يمكنه أن يطرد هـذه الدعوى واذا كان سبحانه قادرا على أن يثبت هـذه الصفات صفات الكمال لما كان جمادا من مخلوقاته وكان كل مخلوق يقبل ذلك بقدرة الله تعالى فهو أحق بقبول ذلك بل بوجوبه له اذ ما كان ممكنا فى حقه من صفات الكمال كان واجبا له فانه لا يستفيد صفات الكمال من غيره بل هو مستحق لها بذاته فهى من لوازم ذاته

﴿ وهـذا فصل معترض ذكرناه تنبيها على تقصير من يقصر فى الاستدلال على الحق الذى قامت عليه الدلائل اليقينية العقلية مع السمعية مع مدافعتهم لما دلت عليه دلائل السمع والعقل وان كنا لا نظن بمسلم بل بعاقل أن يتكلم فى جهة الربوبية بما يراه تقصيرا ولكن لا يخلو صاحب هذه الطريق من عجز أو تفريط وكلاهما يظهر به نقصه عن حال السلف والأئمة الموافقين للشرع والعقل وأنهم كانوا فوق المخالفين لهم فى هـذه المطالب الالهية والمعارف الربانية وهـذه الحجة التى صدر بها الآمدى وزيفها هى الحجة التى اعتمد عليها الكلابية والأشعرية ومن وافقهم من السالمية والفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم كالقاضى أبى يعلى وابن عقيل وابن الزاغونى وغيرهم وهى مبنية على مقدمتين أن القابل للشئ لا يخلو عنه وعن

الناس من أعظم المنكرات فان الله يحفظ من يشاء من خلقه بدون هذا وانما روى هبوطهما يوم بدر للقتال وفي مثل ذلك من الامور العظام ولو نزل لحفظ واحد من الناس لنزل لحفظ النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه الذين كان الاعداء يطلبونهما من كل وجه وقد بذلوا في كل واحد منهما ديته وهم عليهما غلاظ شداد سود الأكباد (السابع) أن هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنية بلا خلاف وانما نزلت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة لم تنزل قبل هجرته وقد قيل انها نزلت لما هاجر صهيب وطلبه المشركون فأعطاهم ماله وأتى المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وهذه القصة مشهورة في التفسير نقلها غير واحد وهذا ممكن فان صهيبا هاجر من مكة الى المدينة قال ابن جرير اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ومن عنى بها فقال بعضهم نزلت في المهاجرين والانصار وعنى بها المجاهدون في سبيل الله وذكر باسناده هذا القول عن قتادة قال وقال بعضهم نزلت في قوم بأعيانهم وروى عن القاسم قال حدثنا الحسين حدثنا الحجاج حدثنا ابن جريج عن عكرمة قال نزلت في صهيب وأبي ذر جندب أخذ أهل أبي ذر أبا ذر فانفلت منهم فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجع مهاجرا عرضوا له وكانوا بمر الظهران فانفلت أيضا حتى قدم عليه وأما صهيب فأخذه أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجرا فأدركه منقذ بن عمير بن جدعان فخرج له مما بقي من ماله فخلى سبيله وقال آخرون عنى بذلك كل شار نفسه في طاعة الله وجاهد في سبيل الله وأمر بمعروف ونسب هذا القول الى عمر بل وابن عباس وأن صهيبا كان سبب النزول (الثامن) أن لفظ الآية مطلق ليس فيه تخصيص فكل من باع نفسه ابتغاء مرضات الله فقد دخل فيها وأحق من دخل فيها النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه فانهما شريا نفسهما ابتغاء مرضات الله وهاجرا في سبيل الله والعدو يطلبهما من كل وجه (التاسع) أن قوله هذه فضيلة لم تحصل لغيره فيكون هو الامام فيقال لا ريب أن الفضيلة التي حصلت لابي بكر في الهجرة لم تحصل لغيره من الصحابة بالكتاب والسنة والاجماع فتكون هذه الافضلية ثابتة له دون عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة فيكون هو الامام فهذا هو الدليل الصدق الذي لا كذب فيه يقول الله الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ومثل هذه الفضيلة لم تحصل لغير أبي بكر قطعا بخلاف الوقاية بالنفس فانها لو كانت صحيحة فغير واحد من الصحابة وقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وهذا واجب على كل مؤمن ليس من الفضائل المختصة بالاكابر من الصحابة والافضلية انما تثبت بالخصائص لا بالمشتركات يبين ذلك أنه لم ينقل أحد أن عليا أوذي في مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوذي غيره في وقايته النبي صلى الله عليه وسلم تارة بالضرب وتارة بالجرح وتارة بالقتل فمن فداه وأوذي أعظم ممن فداه ولم يؤذ وقد قال العلماء ما صح لعلي من الفضائل فهي مشتركة شاركه فيها غيره بخلاف الصديق فان كثيرا من فضائله وأكثرها خصائص له لا يشركه فيها غيره وهذا مبسوط في موضعه والله أعلم

(فصل) قال الرافضي البرهان التاسع قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين نقل الجمهور كافة أن أبناءنا اشارة الى الحسن والحسين ونساءنا اشارة الى فاطمة وأنفسنا اشارة الى علي وهذه الآية دليل على ثبوت الامامة لعلي لانه تعالى قد جعله

ضده وأكثر الناس ينازعونهم في ذلك بل جميع الطوائف من أهل النظر والأثر ينازعونهم كالمعتزلة والكرامية والشيعة والمرجئة وأهل الحديث والفقهاء والصوفية والفلاسفة والثانية على امتناع تسلسل الحوادث والنزاع فيها مشهور بين جميع الطوائف قال الآمدي الحجة الثانية أنه لو قامت الحوادث بذات الرب تعالى لكان لها سبب والسبب اما الذات واما خارج عنها فان كان هو الذات وجب دوامها بدوام الذات وخرجت عن أن تكون حادثة وان كان خارجا عن الذات فاما أن يكون معلولا للاله تعالى أولا يكون معلولا له فان كان الاول لزم الدور وان كان الثاني فذلك الخارج يكون واجب الوجود بذاته ومفيدا للاله تعالى صفاته فكان أولى أن يكون هو الاله وهذه المحالات انما لزمت من قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى فتكون محالا قال الآمدي ولقائل أن يقول وان افتقرت الصفات الحادثة الى سبب فالسبب انما هو القدرة القديمة والمشيئة الأزلية القائمة بذات الرب كما هو مذهب الكرامية على ما أوضحناه فليس السبب هو المسبب ولا خارجا ولا يلزم من دوام القدرة دوام المقدور والا كان العالم قديما وهو محال قال فان قيل اذا كان المرجح للصفة الحادثة هو القدرة القديمة

نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتحاد محال فيبقى المراد بالمساواة له الولاية وأيضا لو كان غير هؤلاء مساويا لهم وأفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه لانه في موضع الحاجة واذا كانوا هم الافضل تعينت الامامة فيهم وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب الا على من استحوذ الشيطان عليه وأخذ بمجامع قلبه وحببت اليه الدنيا التي لا ينالها الا بمنع أهل الحق من حقهم

(والجواب) أن يقال أما أخذه عليا والحسن والحسين في المباهلة فحديث صحيح رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال في حديث طويل لما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي ولكن لا دلالة في ذلك على الامامة ولا على الافضلية وقوله قد جعله الله نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتحاد محال فبقي المساواة له وله الولاية العامة فكذا لمساويه قلنا لا نسلم أنه لم يبق الا المساواة ولا دليل على ذلك بل حمله على ذلك ممتنع لان أحدا لا يساوي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عليا ولا غيره وهذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة قال تعالى في قصة الافك لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ولم يوجب ذلك أن يكون المؤمنون والمؤمنات متساوين وقد قال تعالى في قصة بني اسرائيل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم أي يقتل بعضكم بعضا ولم يوجب ذلك أن يكونوا متساوين ولا أن يكون من عبد العجل مساويا لمن لم يعبده وكذلك قد قيل في قوله ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضا وان كانوا غير متساوين وقال تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يلمز بعضكم بعضا فيطعن عليه ويعيبه وهذا نهي لجميع المؤمنين أن لا يفعل بعضهم ببعض هذا الطعن والعيب مع أنهم غير متساوين لا في الاحكام ولا في الفضيلة ولا الظالم كالمظلوم ولا الامام كالمأموم ومن هذا الباب قوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم أي يقتل بعضكم بعضا واذا كان اللفظ في قوله وأنفسنا وأنفسكم كاللفظ في قوله ولا تلمزوا أنفسكم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ونحو ذلك مع أن التساوي هنا ليس بواجب بل ممتنع فكذلك هناك وأشد بل هذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة والتجانس والمشابهة يكون بالاشتراك في الايمان فالمؤمنون اخوة في الايمان وهو المراد بقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقوله ولا تلمزوا أنفسكم وقد يكون بالاشتراك في الدين وان كان فيهم المنافق كاشتراك المسلمين في الاسلام الظاهر وان كان مع ذلك الاشتراك في النسب فهو أوكد وقوم موسى كانوا أنفسنا بهذا الاعتبار وقوله تعالى تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي رجالنا ورجالكم أي الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب والرجال الذين هم من جنسكم والمراد التجانس في القرابة فقط لانه قال أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم فذكر الاولاد وذكر الرجال فعلم أنه أراد الاقربين الينا من الذكور والاناث من الاولاد والعصبة ولهذا دعا الحسن والحسين من الابناء ودعا فاطمة من النساء ودعا عليا من رجاله ولم يكن عنده أحد أقرب اليه نسبا من هؤلاء وهم الذين أدار عليهم الكساء والمباهلة انما تحصل بالاقربين اليه والا فلو باهلهم بالابعدين في النسب وان كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود فان المراد أنهم يدعون الاقربين كما يدعو هو الاقرب اليه والنفوس تحنو على أقاربها ما لا تحنو على غيرهم وكانوا يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمون

انهم

والاختيار فلا بد وأن يكون الرب تعالى قاصدا لمحل حدوثها ومحل حدوثها ليس الا ذاته فيجب أن يكون قاصدا لذاته والقصد الى الشئ يستدعي كونه في الجهة وهو محال ثم ولجاز قيام كل حادث به وهو محال وأيضا فان الصفة الحادثة عند الكرامية انما هو قوله كن والارادة هي مستند المحدثات وعند ذلك فلا حاجة الى الحادث الذي هو القول والارادة لامكان اسناد جميع المحدثات الى القدرة القديمة

قلنا أما الاول فمندفع فان القصد الى ايجاد الصفة وان استدعى القصد الى محل حدوثها فانما يلزم من ذلك أن يكون المحل في الجهة أن لو كان القصد بمعنى الاشارة الى الجهة وليس كذلك بل بمعنى ارادة احداث الصفة فيه وذلك غير موجب للجهة ثم وان كان القصد الى ايجاد الصفة في المحل يوجب كون المحل في الجهة فيلزم من ذلك امتناع القصد من الله تعالى الى ايجاد الاعراض لان القصد الى ايجادها يكون قصدا لمحالها ويلزم من ذلك أن تكون محالها في الجهات والقصد الى ما هو في جهة ممن ليس في الجهة محال وذلك يفضي الى أن يكون الرب في الجهة عند قصد خلق الأعراض وهو محال وأما القول بأنه اذا جاز خلق بعض الحوادث في ذاته جاز خلق كل حادث فدعوى مجردة وقياس من

أنهم ان باهلوه نزلت البهلة عليهم وعلى أقاربهم فاجتمع الخوف على أنفسهم وعلى أقاربهم فكان ذلك أبلغ فى امتناعهم والا فالانسان قد يختار أن يهلك ويحيا ابنه والشيخ الكبير قد يختار الموت اذا بقى أقاربه فى نعمة ومال وهذا موجود كثير فطلب منهم المباهلة بالابناء والنساء والرجال والاقربين من الجانبين فلهذا دعا هؤلاء وآية المباهلة نزلت سنة عشر لما قدم وفد نجران ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم قد بقى من أعمامه الا العباس والعباس لم يكن من السابقين الاولين ولا كان له به اختصاص كعلى وأما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل على وكان جعفر قد قتل قبل ذلك فان المباهلة كانت لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر وجعفر قتل بموتة سنة ثمان فتعين على رضى الله عنه وكونه تعين للمباهلة اذ ليس فى الاقارب من يقوم مقامه لا يوجب أن يكون مساويا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شئ من الاشياء بل ولا يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقا بل له بالمباهلة نوع فضيلة وهى مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين ليست من خصائص الامامة فان خصائص الامامة لا تثبت للنساء ولا يقتضى أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفضل من جميع الصحابة وأما قول الرافضى لو كان غير هؤلاء مساويا لهم أو أفضل منهم فى استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه لأنه فى موضع الحاجة فيقال فى الجواب لم يكن المقصود اجابة الدعاء فان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وحده كاف ولو كان المراد من يدعو معه أن يستجاب دعاؤه لدعا المؤمنين كلهم ودعا بهم كما كان يستسقى بهم وكما كان يستفتح بصعاليك المهاجرين وكان يقول فهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم ومن المعلوم أن هؤلاء وان كانوا مجابين فكثرة الدعاء أبلغ فى الاجابة لكن لم يكن المقصود من دعوة من دعاه اجابة دعائه بل لاجل المقابلة بين الاهل والاهل ونحن نعلم بالاضطرار أن النبى صلى الله عليه وسلم لو دعا أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وغيرهم للمباهلة لكانوا من أعظم الناس استجابة لأمره وكان دعاء هؤلاء وغيرهم أبلغ فى اجابة الدعاء لكن لم يأمره الله سبحانه بأخذهم لان ذلك لا يحصل به المقصود فان المقصود أن أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعا كأبنائهم ونسائهم ورجالهم الذين هم أقرب الناس اليهم فلو دعا النبى صلى الله عليه وسلم قوما أجانب لأتى أولئك بأجانب ولم يكن يشتد عليهم نزول البهلة بأولئك الاجانب كما يشتد عليهم نزولها بالأقربين اليهم فان طبع البشر يخاف على أقربيه ما لا يخاف على الاجانب فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو قرابته وأن يدعوا أولئك قرابتهم والناس عند المقابلة تقول كل طائفة للاخرى ارهنوا عندنا أبناءكم ونساءكم فلو رهنت احدى الطائفتين أجنبيا لم يرض أولئك كما أنه لو دعا النبى صلى الله عليه وسلم الاجانب لم يرض أولئك المقابلون له ولا يلزم أن يكون أهل الرجل أفضل عند الله اذا قابل بهم لمن يقابله بأهله فقد تبين أن الآية لا دلالة فيها أصلا على مطلوب الرافضى لكنه وأمثاله ممن فى قلبه زيغ كالنصارى الذين يتعلقون بالالفاظ المجملة ويدعون النصوص الصريحة ثم قدح فى خيار الامة بزعمه الكاذب حيث زعم أن المراد بالانفس المساوون وهو خلاف المستعمل فى لغة العرب ومما يبين ذلك أن قوله نساءنا لا يختص بفاطمة بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها فى ذلك لكن لم يكن عنده اذ ذاك الا فاطمة فان رقية وأم كلثوم وزينب كن قد توفين قبل ذلك فكذلك أنفسنا ليس مختصا بعلى بل هذا صيغة جمع كما أن نساءنا صيغة جمع وكذلك أبناءنا صيغة جمع وانما دعا حسنا وحسينا لانه لم يكن ممن ينسب

غير جامع وهو باطل على ما أسلفناه فى تحقيق الدليل * وأما الثانى فحاصله يرجع الى لزوم رعاية الغرض والحكمة فى أفعال الله تعالى وهو غير موافق لاصولنا وان كان ذلك بطريق الالزام للخصم فلعله لا يقول به وان كان قائلا به فليس القول بتخطئته فى القول بحلول الحوادث بذات الرب تعالى ضرورة تصويبه فى رعاية الحكمة أولى من العكس ۞ قلت هذه الحجة مادتها من الفلاسفة الدهرية كابن سينا وأمثاله الذين يقولون ان الرب لا يحدث عنه شئ بعد أن لم يكن حادثا ولهذا يستدل بهذه الحجة على نفى الحوادث المنفصلة كما يستدل بها على نفى الحوادث المتصلة وهو أن الموجب لحدوث الحادث مطلقا من الذات ان كان الذات لزم دوامه وان كان خارجا عنها فان كان معلولا للذات لزم الدور لان ذلك الحادث موقوف على ذلك المعلول الخارج وذلك المعلول الخارج لابد أن يكون حادثا والا لو كان قديما لكان كمال المقتضى لذلك الحادث قديما وهو الذات ومعلولها القديم واذا كان المعلول الخارج حادثا فلا يحدث الا بسبب حادث فى الذات والا لزم حدوث الحادث بلا سبب فيلزم أن يكون ما حدث فى الذات من الذات موقوفا على الخارج الحادث وما حدث فى الخارج موقوفا على

اليه بالنبوة سواهما فان ابراهيم ان كان موجودا اذذاك فهو طفل لايدعى فان ابراهيم هو ابن مارية القبطية التى أهداها له المقوقس صاحب مصر وأهدى له البغلة ومارية وسيرين فأعطى سيرين لحسان بن ثابت وتسرى مارية فولدت له ابراهيم وعاش بضعة عشر شهرا ومات فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا فى الجنة تتم رضاعه وكان هذا بعد الحديبية بل بعد حنين

(فصل) قال الرافضى البرهان العاشر قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه روى ابن المغازلى الشافعى باسناده عن ابن عباس قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأله بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين أن يتوب عليه فتاب عليه وهذه فضيلة لم يلحقه أحد من الصحابة فيها فيكون هو الامام لمساواته النبى صلى الله عليه وسلم فى التوسل به الى الله

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا النقل فقد عرف أن مجرد رواية ابن المغازلى لايسوغ الاحتجاج بها باتفاق أهل العلم (الثانى) أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم وذكره أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات من طريق الدارقطنى فان له كتابا فى الافراد والغرائب قال الدارقطنى تفرد به عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبى المقدام لم يروه عنه غير حسين الاشقر قال يحيى بن معين عمرو بن ثابت ليس ثقة ولا مأمونا وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الاثبات (الثالث) أن الكلمات التى تلقاها آدم قد جاءت مفسرة فى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد روى عن السلف هذا وما يشبهه وليس فى شئ من النقل الثابت عنهم ماذكره من القسم (الرابع) أنه معلوم بالاضطرار أن من هو دون آدم من الكفار والفساق اذا تاب أحدهم الى الله تاب الله عليه وان لم يقسم عليه بأحد فكيف يحتاج آدم فى توبته الى مالا يحتاج اليه أحد من المذنبين لامؤمن ولا كافر وطائفة قدروا وأنه توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى قبل توبته وهذا كذب وروى عن مالك فى ذلك حكاية فى خطابه للمنصور وهو كذب على مالك وان كان ذكرها القاضى عياض فى الشفا (الخامس) أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر أحدا بالتوبة بمثل هذا الدعاء بل ولا أمر أحدا بمثل هذا الدعاء فى توبة ولا غيرها بل ولا شرع لامته أن يقسموا على الله بمخلوق ولو كان هذا الدعاء مشروعا لشرعه لأمته (السادس) أن الاقسام على الله بالملائكة والانبياء أمر لم يرد به كتاب ولا سنة بل قد نص غير واحد من أهل العلم كأبى حنيفة وأبى يوسف وغيرهما على أنه لايجوز أن يقسم على الله بمخلوق وقد بسطنا الكلام على ذلك (السابع) أن هذا لو كان مشروعا فآدم نبى كريم كيف يقسم على الله بمن هو أكرم عليه منه ولا ريب أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم لكن آدم أفضل من على وفاطمة وحسن وحسين (الثامن) أن يقال هذه ليست من خصائص الأئمة فانها قد ثبتت لفاطمة وخصائص الأئمة لاتثبت للنساء ومالم يكن من خصائصهم لم يستلزم الامامة فان دليل الامامة لابد أن يكون ملزوما لها يلزم من وجوده استحقاقها فلو كان هذا دليلا على الامامة لكان من يتصف به يستحقها والمرأة لاتكون اماما بالنص والاجماع

(فصل) قال الرافضى البرهان الحادى عشر قوله تعالى إنى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى روى الفقيه ابن المغازلى الشافعى عن ابن مسعود قال قال النبى صلى الله عليه وسلم انتهت الدعوة الىّ والى علىّ لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتخذنى نبيا واتخذ عليا وصيا وهذا نص فى الباب

الحادث فيها فيلزم الدور وان كان الخارج ليس من مقتضيات الذات لزم أن يكون واجبا بنفسه فيكون مايقوم بالرب من الحوادث موقوفا على ذلك الواجب بنفسه ثم قال فيكون أولى بالالهية فهذه عمدة هؤلاء الدهرية فى نفى فعله للحوادث سواء كانت قائمة به أو بغيره ولهذا بين الآمدى ضعفها بين المتكلمين المنازعين للكرامية فانه قال الكرامية يقولون فى الحوادث بذاته كما تقولون أنتم فى الحوادث المنفصلة عنه فكما أن تلك الحوادث تحدث عندكم بكونه قادرا أو بالقدرة أو المشيئة القديمة فهكذا نقول فيما يقوم بذاته ولا ريب أن ماذكره جواب تنقطع به عنهم مطالبة اخوانهم المتكلمين من المعتزلة والاشعرية ولكن لاتنقطع عنهم مطالبة الفلاسفة الابما يقوله الجميع من أن القادر المختار يرجح أحد المتساويين لالمرجح أو ان الارادة الازلية ترجح أحد المتساويين لالمرجح والمنازعون فى هذا من أهل الحديث والكلام والفلسفة يقولون ان هذا يجحد للضرورة وان هذا يقدح فيما به أثبتوا وجود الصانع فانهم أثبتوا الصانع بأن ترجيح أحد المتساويين لابد له من مرجح وقد عرف كلام الناس فى هذا المقام * ونحن نذكر ما تجاب به الفلاسفة عن أهل الملل جميعا وذلك من وجوه

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا كما تقدم (الثانى) أن هذا الحديث كذب موضوع باجماع أهل العلم بالحديث (الثالث) أن قوله انتهت الدعوة الينا كلام لا يجوز أن ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه ان أريد أنها لم تصب من قبلنا كان ممتنعا لان الانبياء من ذرية ابراهيم دخلوا فى الدعوة قال تعالى ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وقال عن بنى اسرائيل وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقال ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض فهذه عدة نصوص فى القرآن فى جعل الله أئمة من ذرية ابراهيم قبل امتنا وان أريد انتهت الدعوة الينا أنه لا امام بعدنا لزم أن لا يكون الحسن والحسين ولا غيرهما أئمة وهو باطل ثم التعليل بكونه لم يسجد لصنم هو علة موجودة فى سائر المسلمين بعدهم (الوجه الرابع) أن كون الشخص لم يسجد لصنم فضيلة يشاركه فيها جميع من ولد على الاسلام مع أن السابقين الاولين أفضل منه فكيف يجعل المفضول مستحقا لهذه المرتبة دون الفاضل (الخامس) أنه لو قيل انه لم يسجد لصنم لانه أسلم قبل البلوغ فلم يسجد بعد اسلامه فهكذا كل مسلم والصبى غير مكلف وان قيل انه لم يسجد قبل اسلامه فهذا النفى غير معلوم ولا قائله ممن يوثق به و يقال ليس كل من لم يكفر أومن لم يأت بكبيرة أفضل ممن تاب عنها مطلقا بل قد يكون التائب من الكفر والفسوق أفضل ممن لم يكفر ولم يفسق كما دل على ذلك الكتاب فان الله فضل الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا على الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وأولئك كلهم أسلموا من بعد وهؤلاء فيهم من ولد على الاسلام وفضل السابقين الاولين على التابعين لهم باحسان وأولئك آمنوا بعد الكفر والتابعون ولدوا على الاسلام وقد ذكر الله فى القرآن أن لوطا آمن لابراهيم و بعثه الله نبيا وقال شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وقال تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا وقد أخبر الله عن اخوة يوسف بما أخبر ثم نبأهم بعد توبتهم وهم الاسباط الذين أمرنا أن نؤمن بما أوتوا فى سورة البقرة وآل عمران والنساء واذا كان فى هؤلاء من صار نبيا فمعلوم أن الانبياء أفضل من غيرهم وهذا مما تنازع فيه الرافضة وغيرهم و يقولون من صدر منه ذنب لا يصير نبيا والنزاع فيمن أسلم أعظم لكن الاعتبار بما دل عليه الكتاب والسنة والذين منعوا من هذا عمدتهم أن التائب من الذنب يكون ناقصا مذموما لا يستحق النبوة ولو صار من أعظم الناس طاعة وهذا هو الاصل الذى نوزعوا فيه والكتاب والسنة يدلان على بطلان قولهم فيه

(فصل) قال الرافضى البرهان الثانى عشر قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا روى الحافظ أبو نعيم الاصبهانى باسناده الى ابن عباس قال نزلت فى على والود محبة فى القلوب المؤمنة وفى تفسير الثعلبى عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فأنزل الله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ولم يثبت لغيره ذلك فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها أنه لا بد من اقامة الدليل على صحة المنقول والا فالاستدلال

(الاول) أن يقال الحوادث إما أن يجب تناهيها أو لا يجب بل يجوز أن لا يكون لها نهاية فان وجب تناهيها لزم أن يكون للحوادث أول ولزم جواز حدوث الحوادث بدون سبب حادث و بطلت حجتكم وقولكم بدوام حركات الفلك وانها أزلية وان جاز دوام الحوادث فحينئذ ما من حادث الا وهو مسبوق بحادث وحينئذ فالافلاك اذا كانت حادثة لزم أن يكون قبلها حادث آخر وحينئذ فيمكن أن تكون تلك الارادات المتعاقبة القائمة بذات الواجب أو غيرها من الحوادث هى الشرط فى حدوث الافلاك كما تقولون أنتم كل حادث فهو مشروط بحادث قبله فان قالوا اذا نه لا تحلها الحوادث قيل لهم دليلكم على نفى قيام الحوادث به إما أن يكون نافيا لقيام الصفات مطلقا وإما أن يخص الحوادث فان كان الاول فقد عرف فساد قولكم فيه ببيان فساد حجتكم على نفى الصفات وابطال ما تذكرونه فى التوحيد الذى مضمونه نفى الصفات كما بسط فى موضعه وان كان مختصا فدليلكم على النفى هو هذا الدليل على امتناع حدوث الحوادث عنه فليس لكم أن تثبتوا هذا بهذا وهذا بهذا فانه يكون دورا وهذا من المصادرة على المطلوب فان نفيكم لحدوث الحوادث بذاته و بغيره سواء فاذا لم يمكنكم نفى ذلك

بما لا تثبت مقدماته باطل بالاتفاق وهو من القول بلا علم ومن قفو الانسان ما ليس له به علم ومن المحاجة بغير علم والعزو المذكور لا يقبل الثبوت باتفاق أهل السنة والشيعة (الوجه الثانى) أن هذين الحديثين من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث (الثالث) قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات عام فى جميع المؤمنين فلا يجوز تخصيصها بعلى بل هى متناولة لعلى وغيره والدليل على ذلك أن الحسن والحسين وغيرهما من المؤمنين الذين تعظمهم الشيعة داخلون فى الآية فعلم بذلك الاجماع على عدم اختصاصها بعلى وأما قوله ولم يثبت مثل ذلك لغيره من الصحابة فممنوع كما تقدم فانهم خير القرون فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيهم أفضل منهم فى سائر القرون وهم بالنسبة اليهم أكثر منهم فى كل قرن بالنسبة اليه (الرابع) ان الله قد أخبر أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات ودا وهذا وعد منه صادق ومعلوم أن الله قد جعل للصحابة مودة فى قلب كل مسلم لا سيما الخلفاء رضى الله عنهم لا سيما أبو بكر وعمر فان عامة الصحابة والتابعين كانوا يودونهما وكانوا خير القرون ولم يكن كذلك على فان كثيرا من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه و يسبونه و يقاتلونه وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما قد أبغضهما وسبهما الرافضة والنصيرية والغالية والاسمعيلية لكن معلوم أن الذين أحبوا ذينك أفضل وأكثر وان الذين أبغضوهما أبعد عن الاسلام وأقل بخلاف على فان الذين أبغضوه وقاتلوه هم خير من الذين أبغضوا أبا بكر وعمر بل شيعة عثمان الذين يحبونه و يبغضون عليا وان كانوا مبتدعين ظالمين فشيعة على الذين يحبونه و يبغضون عثمان أنقص منهم علما ودينا وأكثر جهلا وظلما فعلم أن المودة التى جعلت للثلاثة أعظم واذا قيل على قد ادعيت فيه الالهية والنبوة قيل قد كفرته الخوارج كلها وأبغضته المروانية وهؤلاء خير من الرافضة الذين يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فضلا عن الغالية والله أعلم

(فصل) قال الرافضى البرهان الثالث عشر قوله تعالى انما أنت منذر ولكل قوم هاد من كتاب الفردوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا المنذر وعلى الهادى بك يا على يهتدى المهتدون ونحوه رواه أبو نعيم وهو صريح فى ثبوت الولاية والامامة

(والجواب) من وجوه أحدها أن هذا لم يقم دليل على صحته فلا يجوز الاحتجاج به وكتاب الفردوس للديلمى فيه موضوعات كثيرة أجمع أهل العلم على أن مجرد كونه رواه لا يدل على صحة الحديث وكذلك رواية أبى نعيم لا تدل على الصحة (الثانى) أن هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث فيجب تكذيبه ورده (الثالث) أن هذا الكلام لا يجوز نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم فان قوله أنا المنذر وبك يا على يهتدى المهتدون ظاهره أنهم بك يهتدون دونى وهذا لا يقوله مسلم فان ظاهره أن النذارة والهداية مقسومة بينهما فهذا نذير لا يهتدى به وهذا هاد لا يقوله مسلم (الرابع) ان الله تعالى قد جعل محمدا هاديا فقال وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله فكيف يجعل الهادى من لم يوصف بذلك دون من وصف به (الخامس) أن قوله بك يهتدى المهتدون ظاهره أن كل من اهتدى من أمة محمد فبه اهتدى وهذا كذب بين فانه قد آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم خلق كثير واهتدوا به ودخلوا الجنة ولم يسمعوا من على كلمة واحدة وأكثر الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم واهتدوا به لم يهتدوا بعلى فى شئ وكذلك لما فتحت الامصار وآمن واهتدى الناس بمن سكنها من الصحابة وغيرهم

الا ينفى حلولها بذاته كنتم قد صادرتم على المطلوب (الوجه الثانى) أن يقال لهم قول القائل سبب الحوادث إما الذات أو خارج عنها أتريدون به سبب كل حادث أو سبب نوع الحوادث فان أردتم الاول منعوكم الحصر وقالوا لكم بل سبب كل حادث الذات بما قام بها من الحوادث المتعاقبة فان قلتم هذا يستدعى تعاقب الحوادث بذاته وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث قالوا لكم فهذا يبطل قولكم بقدم الافلاك ويوجب حدوثها وأيضا فيقال لكم ما لا يخلو عن جنس الحوادث ان لم يجب حدوثه بطلت هذه الحجة وان وجب حدوثه لزم حدوث الأفلاك وحينئذ فالموجب لحدوث الافلاك ان كان قديما لم يحدث به حادث جاز حدوث الحادث بدون سبب حادث ولا فرق حينئذ بين أن يكون الحادث بذاته أو منفصلا عنه فيلزم قول الكرامية وان كانت الحوادث لا تحدث الا بحوادث متعاقبة لزم تسلسل الحوادث وبطل قول القائل فما لا ينفك عن جنس الحوادث فهو حادث وحينئذ فتبطل هذه الحجة فتبين أنه يلزمكم إما بطلان هذه الحجة و إما تصحيح قول الكرامية وذلك يستلزم بطلان الحجة فثبت بطلانها على كل تقدير وان أردتم سبب نوع الحوادث فيقال لكم سبب نوع

كان جماهير المؤمنين لم يسمعوا من علي شيأ فكيف يجوز أن يقال بك يهتدي المهتدون
(السادس) أنه قد قيل معناه انما أنت نذير ولكل قوم هاد وهو الله تعالى وهو قول ضعيف وكذلك
قول من قال أنت نذير وهاد لكل قوم قول ضعيف والصحيح أن معناها انما أنت نذير كما أرسل من
قبلك نذيرا ولكل أمة نذير يهديهم أي يدعوهم كما في قوله وإن من أمة الا خلا فيها نذير وهذا
قول جماعة من المفسرين مثل قتادة وعكرمة وأبي الضحى وعبد الرحمن بن زيد قال ابن جرير
الطبري حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا أبو كريب حدثنا سفيان عن
السدي عن عكرمة ومنصور عن أبي الضحى انما أنت نذير ولكل قوم هاد قالا محمد هو المنذر وهو
الهادي حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد لكل قوم نبي الهادي النبي والمنذر النبي
أيضا وقرأ وإن من أمة الا خلا فيها نذير وقرأ هذا نذير من النذر الاولى قال نبي من الانبياء حدثنا
بشار حدثنا أبو عاصم حدثنا أبو سفيان عن ليث عن مجاهد قال النذير محمد ولكل قوم هاد قال نبي
وقوله يوم ندعو كل أناس بامامهم اذ الامام الذي يؤتم به أي يقتدى به وقد قيل ان المراد به هو الله
الذي يهديهم والاول أصح وأما تفسيره بعلي فانه باطل لانه قال ولكل قوم هاد وهذا يقتضي
أن يكون هادي هؤلاء غير هادي هؤلاء فتتعدد الهداة فكيف يجعل علي هاد بالكل قوم من
الاولين والآخرين (السابع) ان الاهتداء بالشخص قد يكون بغير تأميره عليهم كما يهتدي بالعالم
وكما جاء في الحديث الذي فيه أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم فليس هذا صريحا في
ثبوت الامامة كما زعمه هذا المفتري (الثامن) أن قوله لكل قوم هاد نكرة في سياق الاثبات
وهذا لا يدل على معين فدعوى دلالة القرآن على علي باطل والاحتجاج بالحديث ليس احتجاجا
بالقرآن مع انه باطل (التاسع) أن قوله كل قوم صيغة عموم ولو أريد أن هاديا واحدا لجميع
الناس لقيل لجميع الناس هاد (١) لا يقال لكل قوم فان هؤلاء القوم وهو لم يقل لجميع القوم ولا
يقال ذلك بل أضاف كلا الى نكرة لم يضفه الى معرفة كما في قولك كل الناس يعلم أن هنا قوما
وقوما متعددين وان كل قوم لهم هاد ليس هو هادي الآخرين وهذا يبطل قول من يقول الهادي
هو الله تعالى ودلالته على بطلان قول من يقول هو علي أظهر

﴿فصل﴾ قال الرافضي البرهان الرابع عشر قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون من
طريق أبي نعيم عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون عن ولاية علي
وكذا في كتاب الفردوس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا
سئلوا عن الولاية وجب أن تكون ثابتة له ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه (أحدها) المطالبة بصحة النقل والعزو الى الفردوس والى أبي نعيم لا تقوم
به حجة باتفاق أهل العلم (الثاني) أن هذا كذب موضوع بالاتفاق (الثالث) أن الله تعالى قال
بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم
ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين
ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون
مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم
كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما
طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب

الحادث المتصل كسبب نوع
الحادث المنفصل عندكم واذا جاز
عندكم أن تكون الذات سبب
الحوادث التي لا أول لها مع انفصاله
عنها فمع قيامها به بطريق الاولى فان
اقتضاء المقتضي لما قام به أولى من
اقتضائه لما باينه ولا محيص لهم
عن هذا الا بما ينفون به الصفات
مطلقا وقد عرف فساد قولهم في
ذلك وأن حجتهم عليه من أسقط
الحجج وحينئذ فيكون جماهير
الناس خصومهم في ذلك الاصل
(الوجه الثالث) أن يقال هب
أن سبب الحادث خارج عن الذات
وهو معلول الذات فقولهم يلزم الدور
يقال له انما يلزم الدور اذا كان
ذلك الحادث الخارج موقوفا على
الحادث المتصل والمتصل موقوفا على
الخارج وأما اذا كان ذلك الخارج
موقوفا على متصل وذلك المتصل
موقوف على خارج آخر والخارج
الآخر موقوف على متصل آخر
فانما يلزم التسلسل في الآثار وفي
تمام التأثيرات المعينة لا يلزم الدور
على هذا التقدير واذا كان اللازم
هو التسلسل في الآثار والتأثيرات
المعينة فذلك لا يلزم منه الدور
والتسلسل جائز عند هؤلاء

---

(١) قوله لا يقال لكل قوم الخ كذا في النسخة ولا يخفى ما فيه وان كان المراد منه ظاهرا فلعله تحرف على الناسخ وحرر كتبه مصححه

مستكبرون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين فهذا خطاب عن المشركين المكذبين بيوم الدين وهؤلاء يسئلون عن توحيد الله والايمان برسله واليوم الآخر وأي مدخل لحب علي في سؤال هؤلاء تراهم لو أحبوه مع هذا الكفر والشرك أكان ذلك ينفعهم أو تراهم لو أبغضوه أين كان بغضهم له في بغضهم لانبياء الله ولكتابه ودينه وما يفسر القرآن بهذا ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فسره بمثل هذا الا الزنديق الملحد المتلاعب بالدين قادح في دين الاسلام أو مفرط في الجهل لا يدري ما يقول وأي فرق بين حب علي وطلحة والزبير وسعد وأبي بكر وعمر وعثمان ولو قال قائل انهم مسؤلون عن حب أبي بكر لم يكن قوله أبعد من قول من قال عن حب علي ولا في الآية ما يدل على أن ذلك القول أرجح بل دلالتها على ثبوتهما وانتفائهما سواء والأدلة على وجوب حب أبي بكر أقوى (الرابع) أن قوله مسؤلون لفظ مطلق لم يوصل بضمير يخصه بشئ وليس في السياق ما يقتضي ذكر حب علي فدعوى المدعي دلالة اللفظ على سؤالهم عن حب علي من أعظم الكذب والبهتان (الخامس) أنه لو ادعى مدع أنهم مسؤلون عن حب أبي بكر وعمر لم يمكن ابطال ذلك بوجه الا وابطال السؤال عن حب علي أقوى وأظهر

(فصل) قال الرافضي البرهان الخامس عشر قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول روى أبو نعيم باسناده عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول قال ببغضهم عليا ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك فيكون أفضل منهم فيكون هو الامام

(والجواب) المطالبة بصحة النقل أولا والثاني أن هذا من الكذب على أبي سعيد عند أهل المعرفة بالحديث (الثالث) أن يقال لو ثبت أنه قاله فمجرد قول أبي سعيد قول واحد من الصحابة وقول الصاحب اذا خالفه صاحب آخر ليس بحجة باتفاق أهل العلم وقد علم قدح كثير من الصحابة في علي وانما احتج عليهم بالكتاب والسنة لا بقول آخر من الصحابة (الرابع) أنا نعلم بالاضطرار أن عامة المنافقين لم يكن ما يعرفون به في لحن القول هو بغض علي فتفسير القرآن بهذا فرية ظاهرة (الخامس) أن عليا لم يكن أعظم معاداة للكفار والمنافقين من عمر بل ولا نعرف أنهم كانوا يتأذون منه فكان بغضهم لعمر أشد (السادس) أن في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر فكان معرفة المنافقين في لحنهم ببغض الانصار أولى فان هذه الاحاديث أصح مما روى عن علي أنه قال لعهد النبي الامي الي أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق فان هذا من أفراد مسلم وهو من رواية عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي والبخاري أعرض عن هذا الحديث بخلاف أحاديث الانصار فانها مما اتفق عليه أهل الصحيح كلهم البخاري وغيره وأهل العلم يعلمون يقينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله وحديث علي قد شك فيه بعضهم (السابع) أن علامات النفاق كثيرة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان فهذه علامات ظاهرة فعلم أن علامات النفاق لا تختص بحب شخص أو طائفة ولا بغضهم ان كان ذلك من العلامات ولا ريب أن من أحب عليا لما يستحقه من المحبة لله فذلك من الدليل على ايمانه وكذلك من أحب الانصار لانهم نصروا الله ورسوله فذلك من علامات ايمانه ومن أبغض عليا والانصار لما فيهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله فهو منافق وأما من أحب الانصار

الفلاسفة وكثير من أهل الكلام والحديث وغيرهم وليس هذا تسلسلا ولا دورا في أصل التأثير فان هذا باطل باتفاق العقلاء كالدور والتسلسل في نفس المؤثر فان الدور والتسلسل في تمام أصل التأثير كالدور والتسلسل في نفس المؤثر بخلاف التسلسل في تمام التأثيرات المعينة فانه كالتسلسل في الآثار المعينة والتسلسل في أصل التأثير كالتسلسل في أصل الآثار ثم يقال ان كان هذا التسلسل جائزا بطلت هذه الحجة وان كان ممتنعا لزم أن يكون للحوادث أول وأن تصدر الحوادث كلها عن قديم بلا سبب حادث من غير أن يجب دوام الحوادث وحينئذ فيلزم صحة قول الكرامية كما يلزم صحة قول غيرهم من أهل الكلام الجهمية والقدرية وأتباعهم الذين يقولون بحدوث جميع الحوادث بدون سبب حادث وانما النزاع بينهم في المتصل والمنفصل (الوجه الرابع) في الجواب أن يقال هب أن ذلك الخارج اذا كان ليس معلول الذات يلزم أن يكون مفيدا للاله صفاته فيكون أولى بالالهية يقال لهم هذا وان كان باطلا عند المسلمين وغيرهم من أهل الملل ولكن على أصولكم لا يمتنع بطلانه وذلك أن هذا لا ينافي وجوب وجوده بذاته بمعنى أنه لا فاعل

أوعليا أوغيرهم لأمر طبيعي مثل قرابة بينهما فهو كمحبة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك لا ينفعه عند الله ومن غلا في الانصار أو في علي أو في المسيح أو في نبي فأحبه واعتقد فيه فوق مرتبته فانه لم يحبه في الحقيقة انما أحب ما لا وجود له كحب النصارى للمسيح فان المسيح أفضل من علي وهذه المحبة لا تنفعهم فانه انما ينفع الحب لله لا الحب مع الله قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ومن قدر أنه سمع عن بعض الانصار ما يوجب بغضه فأبغضه لذلك كان ضالا مخطئا ولم يكن منافقا بذلك وكذلك من اعتقد في بعض الصحابة اعتقادا غير مطابق وظن فيه أنه كان كافرا أو فاسقا فأبغضه لذلك كان جاهلا ظالما ولم يكن منافقا وهذا مما يبين به كذب ما روى عن بعض الصحابة كجابر أنه قال ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الا ببغضهم علي بن أبي طالب فان هذا النفي من أظهر الامور كذبا لا يخفى بطلان هذا النفي على جابر أو نحوه فان الله قد ذكر في سورة التوبة وغيرها من علامات المنافقين وصفاتهم أمورا متعددة ليس في شيء منها بغض علي كقوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وقوله ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله وقوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون الى أمثال ذلك من الصفات التي وصف بها المنافقون وذكر علاماتهم وذكر الاسباب الموجبة للنفاق وكل ما كان موجبا للنفاق فهو دليل عليه وعلامة له فكيف يجوز لعاقل أن يقول لم يكن للمنافقين علامة غير بغض علي وقد كان من علاماتهم التخلف عن الجماعة كما في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال أيها الناس حافظوا على الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فانهن من سنن الهدى والله شرع لنبيه سنن الهدى وانكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف وعامة علامات النفاق وأسبابه ليست في أحد من أصناف الامة أظهر منها في الرافضة حتى يوجد فيهم من النفاق الغليظ الظاهر ما لا يوجد في غيرهم وشعار دينهم التقية التي هي أن يقول بلسانه ما ليس في قلبه وهذا علامة النفاق كما قال وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون وقال تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا وقال تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وفيها قراآت يكذبون ويكذبون وفي الجملة النفاق مثل الكذب والخيانة واخلاف الوعد والغدر لا يوجد في طائفة أكثر منها في الرافضة وهذا من صفاتهم القديمة حتى انهم كانوا يغدرون بعلي وبالحسن والحسين وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا لبسطه موضع آخر والمقصود هنا أنه يمتنع أن يقال لا علامة للنفاق الا بغض علي ولا يقول هذا أحد من الصحابة لكن الذي قد يقال ان بغضه من علامات النفاق كما في الحديث

له فان ما كان لا فاعل له لم يمتنع من هذه الجهة أن يقوم به أمر بسبب منه ومن أمر مباين له وانما ينتفي ذلك بنفي واجب بذاته مباين له وذلك مبني على نفي واجبين بالذات وأنتم ادعيتم ذلك وأدرجتم في ذلك نفي الصفات كما ادعت الجهمية أن القديم واحد وأدرجوا في ذلك نفي الصفات فقلتم أنتم لو كان له صفات لتعدد الواجب بذاته كما قال أولئك لو كان له صفات لتعدد القديم وحجتكم على ذلك ضعيفة جدا حتى ان منكم من قال بقدم الافلاك ووجوب وجودها بذاتها اضعف ذلك وهذا حقيقة قول ارسطو وأصحابه في الافلاك وهو قول أهل وحدة الوجود في كل موجود الذين أظهروا التصوف والتحقيق وحقيقة قولهم قول هؤلاء الدهرية المعطلة وحينئذ فنخاطب الجميع خطابا يتناول الطوائف كلها ونقول إما أن تكون الافلاك واجبة الوجود بذاتها وإما أن لا تكون فان قيل انها واجبة الوجود بذاتها مع أن الحوادث تقوم بها بطل قولكم ان الواجب أو القديم لا تقوم به الحوادث وان قلتم انها معلولة مفعولة لغيرها فالموجب لها ان كان علة تامة لم يتأخر عنه شيء من معلوله فلا تصدر عنه الحركات والحوادث فتفتقر الحوادث المشاهدة الى واجب آخر والقول

المرفوع لا يبغضني الا منافق فهذا يمكن توجيهه فانه من علم ما قام به على رضى الله عنه من الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله ثم أبغضه على ذلك فهو منافق ونفاق من يبغض الانصار أظهر فان الانصار قبيلة عظيمة لهم مدينة وهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل المهاجرين وبالهجرة الى دارهم عز الايمان واستظهر أهله وكان لهم من نصر الله ورسوله مالم يكن لاهل مدينة غيرهم ولا لقبيلة سواهم فلا يبغضهم الا منافق ومع هذا فليسوا بأفضل من المهاجرين بل المهاجرون أفضل منهم فعلم أنه لا يلزم من كون بغض الشخص من علامات النفاق أن يكون أفضل من غيره ولا يشك من عرف أحوال الصحابة أن عمر كان أشد عداوة للكفار والمنافقين من على وأن تأثيره فى نصر الاسلام واعزازه واذلال الكفار والمنافقين أعظم من تأثير على وأن الكفار والمنافقين أعداء الرسول يبغضونه أعظم مما يبغضون عليا ولهذا كان الذى قتل عمر كافرا يبغض دين الاسلام ويبغض الرسول وأمته فقتله بغضا للرسول ودينه وأمته والذى قتل عليا كان يصلى ويصوم ويقرأ القرآن وقتله معتقدا أن الله ورسوله يحب قتل على وفعل ذلك محبة لله ورسوله فى زعمه وان كان فى ذلك ضالا مبتدعا والمقصود أن النفاق فى بغض عمر أظهر منه فى بغض على ولهذا لما كان الرافضة من أعظم الطوائف نفاقا كانوا يسمون عمر فرعون الأمة وكانوا يوالون أبا لؤلؤة قاتله الله الذى هو من أكفر الخلق وأعظمهم عداوة لله ورسوله والله أعلم

(فصل) قال الرافضى البرهان السادس عشر قوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون روى أبو نعيم عن ابن عباس قال فى هذه الآية سابق هذه الامة على بن أبى طالب روى الفقيه ابن المغازى الشافعى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله والسابقون السابقون قال سبق يوشع بن نون الى موسى وسبق موسى الى هرون وسبق صاحب يس الى عيسى وسبق على الى محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل فان الكذب كثير فيما يروبه هذا وهذا (الثانى) أن هذا باطل عن ابن عباس ولو صح لم يكن حجة اذا خالفه من هو أقوى منه (الثالث) أن الله يقول والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا الذين هم أفضل ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل ودخل فيهم أهل بيعة الرضوان وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة فكيف يقال ان سابق هذه الأمة واحد (الرابع) قوله وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة ممنوع فان الناس متنازعون فى أول من أسلم فقيل أبو بكر أول من أسلم فهو أسبق اسلاما من على وقيل ان عليا أسلم قبله لكن على كان صغيرا واسلام الصبى فيه نزاع بين العلماء ولا نزاع فى أن اسلام أبى بكر أكمل وأنفع فيكون هو أكمل سبقا بالاتفاق وأسبق على الاطلاق على القول الآخر فكيف يقال على أسبق منه بلا حجة تدل على ذلك (الخامس) أن هذه الافضلية للسابقين الاولين ولم تدل على أن كل من كان أسبق الى الاسلام كان أفضل من غيره وانما يدل على أن السابقين أفضل قوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فالذين سبقوا الى الانفاق والقتال قبل الحديبية أفضل ممن بعدهم

فيه كالقول فيه وان لم يكن علة تامة فلا بد لما يتأخر حدوثه أن يكون موقوفا على شرط حادث والقول فيه كالقول فى الذى قبله فيلزم التسلسل واذا لزم لزم دوام الحوادث المتسلسلة ويمتنع صدورها عن علة تامة أزلية لا يقوم بها حادث فان ذلك يقتضى مقارنة جميع معلولها لها لوجوب مقارنة جميع معلول العلة التامة لها وامتناع أن يصير علة لشئ ما بعد أن لم يكن علة بدون سبب منها واذا جاز أن تقوم به الحوادث المتعاقبة فيلزم قيام الحوادث المتعاقبة بالقديم على كل تقدير فبطلت هذه الحجة وأيضا فقدماؤهم يقولون ان الاول يحرك الافلاك حركة شوقية مثل حركة المحبوب لمحبه ولم يذكروا أن الافلاك مبدعة ولا معلولة لعلة فاعلة وحينئذ فلا بد أن يقال هى واجبة بنفسها وهى مفتقرة فى حركتها الى المحرك المنفصل عنها فلا يمكن من قال هذا أن يقول ان الواجب بنفسه لا يقوم به حادث بسبب مباين له كما لا يمكنه أن ينفى شيئين واجبين بأنفسهما كل منهما متوقف على الآخر اذ حقيقة قول هؤلاء أن الفلك والعلة الاولى كل منهما محتاج الى الآخر حاجة المشروط الى شرطه لا حاجة المصنوع الى مبدعه (الوجه الخامس) أن يقال غاية ماذكرتموه فى الحوادث

فان الفتح فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية واذا كان أولئك السابقون قد سبق بعضهم بعضا الى الاسلام فليس فى الآيتين ما يقتضى أن يكون أفضل مطلقا بل قد يسبق الى الاسلام من سبقه غيره الى الانفاق والقتال ولهذا كان عمر رضى الله عنه ممن أسلم بعد تسعة وثلاثين وهو أفضل من أكثرهم بالنصوص الصحيحة وباجماع الصحابة والتابعين وما علمت أحدا قط قال ان الزبير ونحوه أفضل من عمر والزبير أسلم قبل عمر ولا قال من يعرف من أهل العلم ان عثمان أفضل من عمر وعثمان أسلم قبل عمر وان كان الفضل بالسبق الى الانفاق والقتال فمعلوم أن أبا بكر أخص بهذا فانه لم يجاهد قبله أحد لا بيده ولا بلسانه بل هو من حين آمن بالرسول ينفق ماله ويجاهد بحسب الامكان فاشترى من المعذبين فى الله غير واحد وكان يجاهد مع الرسول قبل الامر بالقتال وبعد الامر بالقتال كما قال تعالى وجاهدهم به جهادا كبيرا فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم فى أنواع الجهاد بالنفس والمال ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان أمنّ الناس علينا فى صحبته وذات يده أبو بكر والصحبة بالنفس وذات اليد هو المال فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه أمنّ الناس عليه فى النفس والمال

(فصل) قال الرافضى البرهان السابع عشر قوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله الآيات روى رزين بن معاوية فى الجمع بين الصحاح الستة أنها نزلت فى على لما افتخر طلحة بن شيبة والعباس وهذه لم تثبت لغيره من الصحابة فيكون هو أفضل فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل ورزين قد ذكر فى كتابه أشياء ليست فى الصحاح (الثانى) أن الذى فى الصحيح ليس كما ذكره عن رزين بل الذى فى الصحيح ما روى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله الآية الخ أخرجه مسلم وهذا الحديث يقتضى أن قول على الذى فضل به الجهاد على السدانة والسقاية أصح من قول من فضل السدانة والسقاية وأن عليا كان أعلم بالحق فى هذه المسئلة ممن نازعه فيها وهذا صحيح وعمر قد وافق ربه فى عدة أمور يقول شيأ وينزل القرآن بموافقته قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن بالحجاب فنزلت آية الحجاب وقال عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات فنزلت كذلك وأمثال ذلك وهذا كله ثابت فى الصحيح وهذا أعظم من تصويب على فى مسئلة واحدة وأما التفضيل بالايمان والهجرة والجهاد فهذا ثابت لجميع الصحابة الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فليس ههنا فضيلة اختص بها على حتى يقال ان هذا لم يثبت لغيره (الثالث) أنه لو قدر أنه اختص بمزية فهذه ليست من خصائص الامامة ولا موجبة لان يكون أفضل مطلقا فان الخضر لما علم ثلاث مسائل لم يعلمها موسى لم يكن أفضل من موسى مطلقا والهدهد لما قال لسليمن أحطت بما لم تحط به لم يكن أعلم من سليمن مطلقا

منقوض بالمتجددات كالاضافات والعدميات فانهم سلموا حدوثها وهذه الحجة تتناول هذا كما تتناول هذا فما كان جوابكم عن هذا كان جواب منازعكم عن هذا فانه يقال تلك الامور الاضافية والعدمية اذا تجددت فلا بد لها من سبب متجدد والسبب اما الذات واما خارج عنها فان كان الاول لزم دوام الاضافات والعدميات وان كان الثانى لزم الدور أو التسلسل وان كان الثالث فالامر الخارجى الذى أوجب تجدد تلك الاضافات والأعدام يجب أن يكون واجب الوجود

وأما الاسولة التى ذكر أبو الحسن الآمدى أنهم أوردوها على هذه الحجة فهى ضعيفة كما ذكر ضعفها ويمكن الجواب عنها بغير ما ذكر أيضا أما قول القائل القاصد الى الحدوث فى محل يستدعى كون المحل فى جهة فان أراد به ما يقصد حدوثه فى محل مباين له فالكرامية تقول بموجب ذلك وليس هذا محل النزاع هنا ثم القائل لهذا اما أن يجوز كون الامور المباينة للرب فى جهة منه أولا يجوز ذلك فان جوزه قال بموجبه مع بقاء محل النزاع وان لم يجوزه كان ذلك دليلا على فساد قوله فى مسئلة الجهة وحينئذ فيكون ذلك أقوى لقول الكرامية

(الرابع) أن عليا كان يعلم هذه المسئلة فمن أين يعلم أن غيره من الصحابة لم يعلمها فدعوى اختصاصه بعلمها باطل فبطل الاختصاص على التقديرين بل من المعلوم بالتواتر أن جهاد أبي بكر بماله أعظم من جهاد علي فان أبا بكر كان موسرا قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال كمال أبي بكر وعلي كان فقيرا وأبو بكر أعظم جهادا بنفسه كما سنذكره ان شاء الله والله أعلم

(فصل) قال الرافضي البرهان الثامن عشر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة من طريق الحافظ أبي نعيم الى ابن عباس قال ان الله حرم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بتقديم الصدقة وبخلوا أن يتصدقوا قبل كلامه وتصدق علي ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره ومن تفسير الثعلبي قال ابن عمر كان لعلي ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى وروى رزين بن معاوية في الجمع بين الصحاح الستة عن علي ما عمل بهذه الآية غيري وبي خفف عن هذه الامة وهذا يدل على فضيلته عليهم فيكون هو أحق بالامامة

(والجواب) أن يقال أما الذي ثبت فهو أن عليا رضي الله عنه تصدق وناجى ثم نسخت الآية قبل أن يعمل بها غيره لكن الآية لم توجب الصدقة عليهم لكن أمرهم اذا ناجوا أن يتصدقوا فمن لم يناج لم يكن عليه أن يتصدق واذا لم تكن المناجاة واجبة لم يكن أحد ملوما اذا ترك ما ليس بواجب ومن كان منهم عاجزا عن الصدقة ولكن لو قدر لناجى فتصدق فله نيته وأجره ومن لم يعرض له سبب يناجي لاجله لم يجعل ناقصا ولكن من عرض له سبب اقتضى المناجاة فتركه بخلا فهذا قد ترك المستحب ولا يمكن أن يشهد على الخلفاء أنهم كانوا من هذا الضرب ولا يعلم أنهم ثلاثتهم كانوا حاضرين عند نزول هذه الآية بل يمكن غيبة بعضهم ويمكن حاجة بعضهم ويمكن عدم الداعي الى المناجاة ولم يطل زمان عدم نسخ الآية حتى يعلم أن الزمان الطويل لابد أن يعرض فيه حاجة الى المناجاة وبتقدير أن يكون أحدهم ترك المستحب فقد بينا غير مرة أن من فعل مستحبا لم يجب أن يكون أفضل من غيره مطلقا وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم جنازة قال أبو بكر أنا قال هل فيكم من عاد مريضا قال أبو بكر أنا قال هل فيكم من تصدق بصدقة فقال أبو بكر أنا قال ما اجتمع لعبد هذه الخصال الا وهو من أهل الجنة وهذه الاربعة لم ينقل مثلها لعلي ولا لغيره في يوم وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فان كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة وان كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد وان كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة فقال أبو بكر يا رسول الله فما على من يدعى من تلك الابواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم ولم يذكر هذا لغير أبي بكر رضي الله عنه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه فقالت اني لم أخلق لهذا ولكني انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما راع في غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس راع غيري فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال كمال أبي بكر وهذا صريح

ومن وافقهم وان أراد أن ما يقصد حدوثه في محل هو ذاته يوجب أن تكون ذاته في جهة من ذاته فيقال له هل يعقل كون الشيء في جهة من نفسه أم لا فان عقل ذلك قالوا بموجب التلازم وان لم يعقل ذلك منعوا التلازم يبين ذلك أن الانسان يحدث حوادث في نفسه بقصده وارادته وهذا السؤال يرد عليها فان عقل كون نفسه في جهة من نفسه أمكن المنازعين أن يقولوا بموجب ذلك في كل شيء والا فلا وأيضا فيقال قصد الشيء اما أن يستلزم كونه بجهة من القاصد واما أن لا يستلزم ذلك فان استلزم ذلك لزم كون جميع الاجسام بجهة من الرب فانه اذا أحدث فيها الاعراض الحادثة كان قاصدا لها على ما ذكروه فيلزم أن يكون بجهة منه على هذا التقدير وحينئذ فيكون هو أيضا بجهة منها لامتناع كون أحد الشيئين بجهة من الآخر من غير عكس كما ذكروه واذا كان كذلك لزم أن يكون الباري في جهة واذا كان كذلك بطلت حجتهم لان غايتها أن قصده للحوادث في ذاته يستلزم كون ذاته في جهة وهذا محال فاذا كان على هذا التقدير لزم أن تكون ذاته في جهة بطل نفي هذا اللازم واما أن يقال قصد الشيء لا يستلزم كونه بجهة من القاصد وحينئذ فبطلت هذه الحجة فثبت بطلانها على التقديرين وايضاح

فى اختصاصه بهذه الفضيلة لم يشركه فيها على ولا غيره وكذلك قوله فى الصحيحين ان أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين باب فى المسجد الاسد الاباب أبى بكر وفى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى وفى الترمذى وسنن أبى داود عن عمر رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق منى مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته قال فجئت بنصف مالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لاهلك قال الله ورسوله قلت لا أسابقه الى شئ أبدا وفى البخارى عن أبى الدرداء قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال انه كان بينى وبين ابن الخطاب شئ فأسرعت اليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى علىّ فأقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل أثم أبو بكر قالوا لا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لى صاحبى فهل أنتم تاركون لى صاحبى فما أوذى بعدها وفى لفظ آخر قلت انى رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وفى الترمذى مرفوعا لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره وتجهيز عثمان بالف بعير أعظم من صدقة على بكثير كثير فان الانفاق فى الجهاد كان فرضا بخلاف الصدقة أمام النجوى فانه مشروط بمريد النجوى فمن لم يردها لم يكن عليه أن يتصدق وقد أنزل الله فى بعض الانصار ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ثم الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء فقال من يضيفه هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله وانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ فقالت لا الا قوت صبياننا قال فعلليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فاذا هوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه قال فقعدوا فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة وفى رواية فنزلت هذه الآية ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وبالجملة فباب الانفاق فى سبيل الله وغيره لكثير من المهاجرين والانصار فيه من الفضيلة ما ليس لعلى فانه لم يكن له مال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل) قال الرافضى البرهان التاسع عشر قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا قال ابن عبد البر وأخرجه أبو نعيم أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به جمع الله بينه وبين الانبياء ثم قال سلهم يا محمد على ماذا بعثتم قالوا بعثنا على شهادة ان لا اله الا الله وعلى الاقرار بنبوتك والولاية لعلى بن أبى طالب وهذا صريح بثبوت الامامة لعلى

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة فى هذا وأمثاله بالصحة وقولنا فى هذا الكذب القبيح وأمثاله المطالبة بالصحة ليس بشك منا فى أن هذا وأمثاله من أسمج الكذب وأقبحه لكن على

فسادها أنها مبنية على مقدمتين وصحة احداهما تستلزم بطلان الاخرى وبطلانها يتضمن بطلان احدى المقدمتين فثبت بطلان احداهما على كل تقدير واذا بطلت احدى المقدمتين بطلت الحجة فان احدى المقدمتين أن القاصد لا يقصد الا ما هو فى جهة والثانية أن كون البارى فى الجهة محال فان كانت المقدمة الاولى صحيحة لزم أن يكون فى الجهة لانه يقصد حدوث حوادث قطعا فبطلت الثانية وان كانت الاولى باطلة بطلت الحجة أيضا لبطلان احدى مقدمتيها وكما أن فساد هذه الحجة ظاهر على أصول أهل الملل وغيرهم ممن يقول بحدوث العالم فبطلانها على رأى الفلاسفة الدهرية أظهر فان هؤلاء لا ينكرون حدوث الحوادث فان قالوا انها حادثة عن علة أزلية موجبة بنفسها كما يقوله ابن سينا وأمثاله فهؤلاء يقولون بأن الحوادث تحدث عنه بوسائط وحينئذ فيقال اما أن ذلك يستلزم كونها منه فى جهة أولا يستلزم وتبطل الحجة على التقديرين كما تقدم وان قالوا بل العالم واجب الوجود بنفسه فقد قالوا بحدوث الحوادث عن القديم الواجب بنفسه وقيامها به فان الحوادث قائمة بذات الافلاك وحينئذ فكل ما يحتج به على نقيض ذلك فهو باطل فان

طريق التنزل فى المناظرة وان هذا الولم يعلم أنه كذب لم يجز أن يحتج به حتى يثبت صدقه فان الاستدلال بما لا تعلم صحته لا يجوز بالاتفاق فانه قول بلا علم وهو حرام بالكتاب والسنة والاجماع (الوجه الثانى) أن مثل هذا مما اتفق أهل العلم انه كذب موضوع (الوجه الثالث) ان هذا مما يعلم من له علم ودين انه من الكذب الباطل الذى لا يصدق به من له عقل ودين وانما يختلق مثل هذا أهل الوقاحة والجراءة فى الكذب فان الرسل صلوات الله عليهم كيف يسئلون عما لا يدخل فى أصل الايمان وقد أجمع المسلمون على أن الرجل لو آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وأطاعه ومات فى حياته قبل أن يعلم أن الله خلق أبا بكر وعمر وعثمان وعليا لم يضره ذلك شيأ ولم يمنعه ذلك من دخول الجنة فاذا كان هذا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يقال ان الانبياء يجب عليهم الايمان بواحد من الصحابة والله تعالى قد أخذ الميثاق عليهم لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه هكذا قال ابن عباس وغيره قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول الى قوله قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فأما الايمان بتفصيل ما بعث به محمد فلم يؤخذ عليهم فكيف يؤخذ عليهم موالاة واحد من الصحابة دون غيره من المؤمنين (الرابع) أن لفظ الآية واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس فى هذا سؤال لهم بماذا بعثوا (الخامس) أن قول القائل انهم بعثوا بهذه الثلاثة ان أراد أنهم لم يبعثوا الا بها فهذا كذب على الرسل وان أراد أنها أصول ما بعثوا به فهذا أيضا كذب (١) فان أصول الدين التى بعثوا بها من الايمان بالله واليوم الآخر وأصول الشرائع عندهم من ذكر الايمان بواحد من أصحاب نبى غيرهم بل ومن الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاقرار بمحمد يجب عليهم مجملا كما يجب علينا نحن الاقرار بنبوآتهم مجملا لكن من أدركه منهم وجب عليه الايمان بشرعه على التفصيل كما يجب علينا وأما الايمان بشرائع الانبياء على التفصيل فهو واجب على أممهم ويذكرون ما ليس هو الأوجب (الوجه السادس) ان ليلة الاسراء كانت بمكة قبل الهجرة بمدة قيل انها سنة ونصف وقيل انها خمس سنين وقيل غير ذلك وكان على صغيرا ليلة المعراج لم يحصل له هجرة ولا جهاد ولا أمر يوجب أن يذكره به الانبياء والانبياء لم يذكر على فى كتبهم أصلا وهذه كتب الانبياء التى أخرج الناس ما فيها من ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ليس فى شئ منها ذكر على بل ذكروا أن فى التابوت الذى كان فيه عند المقوقس صور الانبياء صورة أبى بكر وعمر مع صورة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه بهما يقيم الله أمره وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم انه ذكر على عندهم فكيف يجوز أن يقال ان كلا من الانبياء بعثوا بالاقرار بولاية على ولم يذكروا ذلك لاممهم ولا نقله أحد منهم

﴿فصل﴾ قال الرافضى البرهان العشرون قوله تعالى وتعيها أذن واعية فى تفسير الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن يجعلها أذنك يا على ومن طريق أبى نعيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرنى أن أدنيك وأعلمك يا على ان الله أمرنى أن أدنيك وأعلمك لتعى وأنزل على هذه الآية وتعيها أذن واعية فأنت أذن واعية وهذه الفضيلة لم تحصل لغيره فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها بيان صحة الاسناد والثعلبى وأبو نعيم يرويان ما لا يحتج به بالاجماع (الثانى) أن هذا موضوع باتفاق أهل العلم (الثالث) أن قوله لما طغى الماء حملنا كم

صحة أحد النقيضين تستلزم بطلان الآخر وبطلان اللازم يقتضى بطلان الملزوم والدليل مستلزم للمدلول والمدلول لازم للدليل فاذا بطل اللازم الذى هو المدلول كانت أدلته المستلزمة له كلها باطلة وهذا الجواب خير من جواب الآمدى بقوله القصد الى ما هو فى جهة ممن ليس فى الجهة محال فان جميع نفاة الجهة من أهل الكلام يقولون ان الرب تعالى يقصد الى ما هو فى جهة من المخلوقات والقصد منه وليس هو فى جهة عندهم بل يقال جوابا قاطعا القصد فى الجهة ممن ليس فى الجهة ان كان ممكنا بطلت المقدمة الاولى من الاعتراض وان كان ممتنعا بطلت المقدمة الثانية وأما الاعتراض الثانى وهو قولهم لجاز قيام كل حادث به فظاهر الفساد فانا اذا جوزنا قيام صفة به لم يلزم قيام كل صفة به فاذا جوزنا أن تقوم به صفات الكمال كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام لم يلزم أن تقوم صفات النقص به كالجهل المركب والمرض والسنة والنوم وغير ذلك من النقائص الوجودية

(١) قوله فان أصول الدين التى بعثوا بها الخ الوجه كذا فى النسخة وفيه سقط وتحريف فايحرر كتبه مصححه

في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية لم يرد به أذن واحد من الناس فقط فان هذا خطاب لبني آدم وحملهم في السفينة من أعظم الآيات قال تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وقال ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فكيف يكون ذلك كله ليعي ذلك واحد من الناس ثم أذن علي من الآذان الواعية كأذن أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم وحينئذ فلا اختصاص لعلي بذلك وهذا مما يعلم بالاضطرار أن الآذان الواعية ليست أذن علي وحدها أترى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست واعية ولا أذن الحسن والحسين وعمار وأبي ذر والمقداد وسلمان الفارسي وسهل بن حنيف وغيرهم ممن يوافقون على فضيلتهم وايمانهم واذا كانت الأذن الواعية له ولغيره لم يجز أن يقال هذه الافضلية لم تحصل لغيره ولا ريب أن هذا الرافضي الجاهل الظالم يبني أمره على مقدمات باطلة فانه لا يعلم في طوائف أهل البدع أوهى من حجج الرافضة بخلاف المعتزلة ونحوهم فان لهم حججا وأدلة قد تشتبه على كثير من أهل العلم والعقل وأما الرافضة فليس لهم حجة قط تنفق الا على جاهل أو ظالم صاحب هوى يقبل ما وافق هواه سواء كان حقا أو باطلا ولهذا يقال فيهم ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصورة وقالت طائفة من العلماء لو علق حكما بأجهل الناس لتناول الرافضة مثل أن يحلف انى أبغض أجهل الناس ونحو ذلك وأما لو وصى لاجهل الناس فلا تصح الوصية لانها لا تكون الا قربة فاذا أوصى لقوم يدخل فيهم الكافر جاز بخلاف ما لو جعل الكفر والجهل جهة وشرطا في الاستحقاق ثم الرافضي يدعي في شئ أنه من فضائل علي وقد لا يكون كذلك ثم يدعي أن تلك الفضيلة ليست لغيره وقد تكون من الفضائل المشتركة فان فضائل علي الثابتة عامتها مشتركة بينه وبين غيره بخلاف فضائل أبي بكر وعمر فان عامتها خصائص لم يشاركهما فيها ثم يدعي أن تلك الفضيلة توجب الامامة ومعلوم أن الفضيلة الجزئية في أمر من الامور ليست مستلزمة للفضيلة المطلقة ولا للامامة ولا مختصة بالامامة بل تثبت للامام ولغيره وللفاضل المطلق وغيره فيبني هذا الرافضي أمره على هذه المقدمات الثلاث وهي باطلة ثم يردفها بالمقدمة الرابعة وتلك فيها نزاع لكن نحن لا ننازعه فيها بل نسلم أنه من كان أفضل كان أحق بالامامة لكن الرافضي لا حجة معه على ذلك والله أعلم

(فصل) قال الرافضي البرهان الحادي والعشرون سورة هل أتى في تفسير الثعلبي من طرق مختلفة قال مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة العرب فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر صوم ثلاثة أيام وكذا نذرت أمهما فاطمة وجارية لهم فضة فبرئا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فاستقرض علي ثلاثة آصع من شعير فقامت فاطمة الى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم المغرب ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم مسكين فقال السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي فأمر باعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيأ الا الماء القراح فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة فخبزت صاعا وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى المنزل فوضعوا الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب وقال السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة

واذا جوزنا أن يقوم به كلام لم يجوز قيام كل كلام به واذا جاز قيام ارادة به لم يجز قيام ارادة كل شئ به وانما يقوم به ما يليق بجلاله وما يناسب كبرياءه اذ هو موصوف بصفات الكمال ولا يوصف بنقائضها بحال وذلك لان كونه سبحانه قابلا لان تقوم به الصفات أو الحوادث لم يكن لمجرد كون ذلك صفة أو حادثا فيلزم طرد ذلك في كل صفة وحادث كما أنه اذا قيل تقوم به أمور وجودية لم يلزم أن يقوم به كل موجود لان قيام الصفات الوجودية به لم يكن لمجرد كونها موجودة حتى يقوم به كل موجود وهذا كما اذا قلنا ان رب العالمين قائم بنفسه وهو موجود وهو ذات متصفة بالصفات لم يلزم من ذلك أن يكون كل ما هو قائم بنفسه وهو موجود وهو ذات متصفة بالصفات أن يكون رب العالمين والناس متنازعون في صفاته هل تسمى أعراضا أو لا تسمى مع تنازعهم في ثبوتها ونفيها ففي مثبتة الصفات ونفاتها من يسميها أعراضا فاذا قيل لو جاز أن يقوم به عرض للزم أن يقوم به كل عرض لكان هذا أيضا باطلا فان ذلك لم يكن لكونه عرضا فيلزم قيام كل عرض به والمسلمون متفقون على أن الله خالق كل موجود سواه فلو قيل لو جاز أن يخلق موجودا للزم أن يخلق كل

أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي فأمر باعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا الا الماء القراح فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة الى الصاع الثالث فطحنته وخبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ أتى أسير فقال أتأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا أطعموني فاني أسير محمد أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي فأمر باعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا شيأ الا الماء القراح فلما كان اليوم الرابع ونفد ما عندهم أخذ علي بيده الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما أبصرهما النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أبا الحسن ما أشد ما يسيئني ما أرى بكم انطلق بنا الى منزل ابنتي فاطمة فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم قال واغوثاه بالله أهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد خذ ما هنأك الله في أهل بيتك فقال ما آخذ يا جبريل فأقرأه هل أتى على الانسان حين وهي تدل على فضائل جمة لم يسبقه اليها أحد ولا يلحقه أحد فيكون أفضل من غيره فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل كما تقدم ومجرد رواية الثعلبي والواحدي وأمثالهما لا تدل على أنه صحيح باتفاق أهل السنة والشيعة ولو تنازع اثنان في مسئلة من مسائل الاحكام والفضائل واحتج أحدهما بحديث لم يذكر ما يدل على صحته الا رواية الواحد من هؤلاء له في تفسيره لم يكن ذلك دليلا على صحته ولا حجة على منازعه باتفاق العلماء وهؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف ويروون من الاحاديث الاسرائيليات ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الامر لان وظيفتهم النقل لما نقل أو حكاية أقوال الناس وان كان كثير من هذا وهذا باطلا وربما تكلموا على صحة بعض المنقولات وضعفها ولكن لا يطردون هذا ولا يلتزمونه (الثاني) أن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث الذين هم أئمة هذا الشان وحكامه وقول هؤلاء هو المنقول في هذا الباب ولهذا لم يروا هذا الحديث في شيء من الكتب التي يرجع اليها في النقل لا في الصحاح ولا في المسانيد ولا في الجوامع ولا السنن ولا رواه المصنفون في الفضائل وان كانوا قد يتسامحون في رواية أحاديث ضعيفة كالنسائي فانه روى خصائص علي وذكر فيها عدة أحاديث ضعيفة ولم يروا هذا وأمثاله وكذلك أبو نعيم في الخصائص وابن أبي خيثمة أبو بكر بن سليمن والترمذي في جامعه روى أحاديث كثيرة في فضائل علي كثير منها ضعيف ولم يرو مثل هذا لظهور كذبه وأصحاب السير كابن اسحق وغيره يذكرون من فضائله أشياء ضعيفة ولم يذكروا مثل هذا ولا رووا مما قلنا فيه انه موضوع باتفاق أهل النقل من أئمة أهل التفسير الذين ينقلونها بالاسانيد المعروفة كتفسير ابن جريج وسعيد بن أبي عروبة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وأحمد واسحق وتفسير بقي بن مخلد وابن جرير الطبري ومحمد بن أسلم الطوسي وابن أبي حاتم وأبي بكر بن المنذر وغيرهم من العلماء الاكابر الذين لهم في الاسلام لسان صدق وتفاسيرهم متضمنة للمنقولات التي يعتمد عليها في التفسير (الوجه الثالث) أن الدلائل على كذب هذا كثيرة منها أن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة ولم يدخل بها الا بعد غزوة بدر كما ثبت ذلك في الصحيح والحسن والحسين ولدا بعد ذلك سنة ثلاث أو أربع والناس متفقون على أن عليا لم يتزوج فاطمة الا بالمدينة

موجود فيلزم أن يكون خالقا لنفسه وهو محال أو لو قيل لو جاز أن يخلق عالما قادرا حيا للزم أن يخلق كل حي عالم قادر وهو حي عالم قادر فيلزم أن يكون خالقا لنفسه وهو محال لكان هذا كلاما باطلا وأصل هذا أن السالب النافي لما نفي نفيا عاما أن يقوم بالله صفة أو أن يقوم به ما يريده و يقدر عليه لكونه حادثا فنفى نفيا عاما أن يقوم به حادث ونحو ذلك قابله المثبت فناقض هذا الخبر العام وهذه القضية السالبة الكلية وكذبها يحصل باثبات خاص وهو القضية الجزئية الموجبة فيجوز قيام صفة ما من الصفات وحادث ما من الحوادث وذلك الجائز لم يجز قيامه لمعنى المشترك بينه وبين سائر الصفات والحوادث وانما قام لمعنى يختص به وبأمثاله لا يشاركه فيه جميع الصفات والحوادث لكن المشترك كما أنه ليس هو المقتضي له للقيام بالذات فليس هو مانعا فكون القائم به صفة أو حادثا ليس أمرا موجبا للقيام به حتى يقوم كل صفة وحادث ولا مانعا من القيام به حتى يمنع كل صفة وحادث فمن نفى نفيا عاما لاجل ذلك فهو معارض بمن أثبت اثباتا عاما لاجل ذلك وكلاهما باطل بل هو المستحق لصفات الكمال العارية عن النقص وهو على كل شيء قدير ولم يزل قادرا على أن يتكلم و يفعل بمشيئة واختيار سبحانه وتعالى

ولم

ولم يولد له ولد الا بالمدينة وهذا من العلم العام المتواتر الذى يعرفه من عنده طرف علم بمثل هذه الامور وسورة هل أتى مكية باتفاق أهل التفسير والنقل لم يقل أحد منهم انها مدنية وهى على طريقة السور المكية فى تقرير أصول الدين المشتركة بين الانبياء كالايمان بالله واليوم الآخر وذكر الخلق والبعث ولهذا انه كان صلى الله عليه وسلم يقرؤها مع ألم تنزيل فى فجر يوم الجمعة لان فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه تقوم الساعة وهاتان السورتان متضمنتان لابتداء خلق السموات والارض وخلق الانسان الى أن يدخل فريق الجنة وفريق النار واذا كانت السورة نزلت بمكة قبل أن يتزوج على بفاطمة تبين أن نقل أنها نزلت بعد مرض الحسن والحسين من الكذب والمين (الوجه الرابع) أن سياق هذا الحديث وألفاظه من وضع جهال الكذابين فمنه قوله فعادهما جدهما وعامة العرب فان عامة العرب لم يكونوا بالمدينة والعرب الكفار ما كانوا يأتونهما يعودونهما ومنه قوله فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك وعلى لا يأخذ الدين من أولئك العرب بل يأخذه من النبى صلى الله عليه وسلم فان كان هذا أمرا بطاعة فرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يأمر به من أولئك العرب وان لم يكن طاعة لم يكن على يفعل ما يأمرون به ثم كيف يقبل منهم ذلك من غير مراجعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك (الوجه الخامس) أن فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال لا يأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل وفى طريق آخر إن النذر يرد ابن آدم الى القدر فان كان على وفاطمة وسائر أهلهما لم يعلموا مثل هذا وعلمه عموم الأمة فهذا قدح فى علمهم فأين المدعى للعصمة وان كانوا علموا ذلك وفعلوا ما لا طاعة فيه لله ولرسوله ولا فائدة لهما فيه بل قد نهيا عنه إما نهى تحريم واما نهى تنزيه كان هذا قدحا فى دينهم واما فى عقلهم وعلمهم فهذا الذى يروى مثل هذا فى فضائلهم جاهل يقدح فيهم من حيث يمدحهم ويخفضهم من حيث يرفعهم ويذمهم من حيث يحمدهم ولهذا قال بعض أهل البيت للرافضة ما معناه ان محبتكم لنا صارت معرة علينا وفى المثل «عدو عاقل خير من صديق جاهل» والله تعالى انما مدح على الوفاء بالنذر لا على نفس عقد النذر والرجل ينهى عن الظهار وان ظاهر وجبت عليه كفارة للظهار واذا عاد ومدح على فعل الواجب وهو التكفير لا على نفس الظهار المحرم وكذلك اذا طلق امرأته ففارقها بالمعروف مدح على فعل ما أوجبه الطلاق لا لنفس الطلاق المكروه وكذلك من باع أو اشترى فأعطى ما عليه مدح على فعل ما أوجبه العقد لا على نفس العقد الموجب ونظائر هذا كثيرة (الوجه السادس) أن عليا وفاطمة لم يكن لهما جارية اسمها فضة بل ولا لاحد من أقارب النبى صلى الله عليه وسلم ولا نعرف أنه كان بالمدينة جارية اسمها فضة ولا ذكر ذلك أهل العلم الذين ذكروا أحوالهم دقها وجلها ولكن فضة هذه بمنزلة ابن عقب الذى يقال انه كان معلم الحسن والحسين وانه أعطى تفاحة كان فيها علم الحوادث المستقبلة ونحو ذلك من الاكاذيب التى تجوز على الجهال وقد أجمع أهل العلم على أنهما لم يكن لهما معلم ولم يكن فى الصحابة أحد يقال له ابن عقب وهذه الملاحم المنسوبة الى ابن عقب هى من نظم بعض متأخرى الجهال الذين كانوا زمن نور الدين وصلاح الدين لما كان كثير من الشام بأيدى النصارى ومصر بأيدى القرامطة الملاحدة بقايا بنى عبيد فذكر من الملاحم ما يناسب تلك الامور بنظم جاهل عامى وهكذا هذه الجارية فضة وقد ثبت فى الصحيحين عن على أن فاطمة سألت النبى صلى الله عليه وسلم خادما فعلمها أن تسبح عند المنام ثلاثا وثلاثين وتكبر ثلاثا وثلاثين وتحمد أربعا

واذا قال القائل هذا يقتضى قيام الصفات أو الحوادث به قيل هذا المعنى عديم التأثير لا هو موجب للامتناع ولا للجواز والمثبتون يقولون كونه قادرا على الفعل والكلام بنفسه صفة كمال وكونه لا يقدر على ذلك صفة نقص فان القدرة على الفعل والكلام مما يعلم بصريح العقل أنه صفة كمال وأن من يقدر أن يخلق ويتكلم أكمل ممن لا يقدر أن يخلق ويتكلم فانه يكون بمنزلة الزمن ويقولون بالطريق التى تثبت له صفات الكمال يثبت هذا فان الفاعل بنفسه الذى يقدر بنفسه على الفعل من حيث هو كذلك أكمل ممن لا يمكنه ذلك كما قد بسط كلامهم فى غير هذا الموضع وأيضا فان أراد المريد بقوله تقوم به الحوادث كلها أنه قادر على أن يمسك العالم كله فى قبضته كما جاءت به الاخبار الالهية فهم يجوزون ذلك بل هذا عندهم من أعظم أنواع الكمال كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقد ثبت فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة وابن عمر وابن مسعود وابن عباس ما يوافق مضمون هذه الآية وان الله تعالى يقبض العالم العلوى والسفلى ويمسكه ويهزه ويقول أنا الملك أين ملوك الارض

وثلاثين وقال هذا خير لك من خادم قال علي فما تركتهن منذ سمعتهن من النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ولا ليلة صفين قال ولا ليلة صفين وهذا خبر صحيح باتفاق أهل العلم وهو يقتضي أنه لم يعطها خادما فان كان ذلك حصل لها خادما فهو ممكن لكن لم يكن اسم خادمها فضة بلا ريب (الوجه السابع) أنه قد ثبت في الصحيح عن بعض الانصار أنه آثر ضيفه بعشائهم ونوم الصبية وبات هو وامرأته طاويين فأنزل الله سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وهذا المدح أعظم من المدح بقوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا فان هذا كقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخاف الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالتصدق مما يحبه الانسان جنس تحته أنواع كثيرة وأما الايثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة فانه ليس كل متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يحب مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة فاذا كان الله مدح الانصار بايثار الضيف ليلة بهذا المدح والايثار المذكور في قصة أهل البيت هو أعظم من ذلك فكان ينبغي أن يكون المدح عليه أكثر ان كان هذا مما يمدح عليه وان كان مما لا يمدح عليه فلا يدخل في المناقب (الثامن) أن في هذه القصة ما لا ينبغي نسبته الى علي وفاطمة رضي الله عنهما فانه خلاف المأمور به المشروع وهو ابقاء الاطفال ثلاثة أيام جياعا ووصالهم ثلاثة أيام ومثل هذا الجوع قد يفسد العقل والبدن والدين وليس هذا مثل قصة الانصاري فان ذلك بيتهم ليلة واحدة بلا عشاء وهذا قد يحتمله الصبيان بخلاف ثلاثة أيام بلياليها (التاسع) أن في هذه القصة أن اليتيم قال استشهد والدي يوم العقبة وهذا من الكذب الظاهر فان ليلة العقبة لم يكن فيها قتال ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الانصار ليلة العقبة قبل الهجرة وقبل أن يؤمر بالقتال وهذا يدل على أن الحديث مع أنه كذب فهو من كذب أجهل الناس بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ولو قال استشهد والدي يوم أحد لكان أقرب (العاشر) أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكفي أولاد من قتل معه ولهذا قال لفاطمة لما سألته خادما لا أدع يتامى بدر وأعطيك فقول القائل انه كان من يتامى المجاهدين الشهداء من لا يكفيه النبي صلى الله عليه وسلم كذب عليه وقدح فيه (الحادي عشر) أنه لم يكن في المدينة قط أسير يسأل الناس بل كان المسلمون يقومون بالاسير الذي يستأسرونه فدعوى المدعي أن أسراهم كانوا محتاجين الى مسألة الناس كذب عليهم وقدح فيهم والاسراء الكثيرون كانوا يوم بدر قبل أن يتزوج علي بفاطمة وبعد ذلك فالأسرى في غاية القلة (الثاني عشر) أنه لو كانت هذه القصة صحيحة وهي من الفضائل لم تستلزم أن يكون صاحبها أفضل الناس ولا أن يكون هو الامام دون غيره فقد كان جعفر أكثر اطعاما للمساكين من غيره حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقي وخلقي وكان أبو هريرة يقول ما احتذى النعال بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحد أفضل من جعفر يعني في الاحسان الى المساكين الى غير ذلك من الفضائل ولم يكن بذلك أفضل من علي ولا غيره فضلا عن أن يكون مستحقا للامامة (الثالث عشر) أنه من المعلوم أن انفاق الصديق أمواله أعظم وأحب الى الله ورسوله فان إطعام الجائع من جنس الصدقة المطلقة التي يمكن كل واحد فعلها الى يوم القيامة بل وكل أمة

وفي بعض الآثار يدحوها كما يدحو أحدكم الكرة وقال ابن عباس ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم فان أراد مريد بقوله ان الحوادث كلها تقوم بذاته المعنى الذي دلت عليه النصوص فهو حق وهو من أعظم الأدلة على عظمة الله وعظم قدره وقدرته وعلى فعله القائم بنفسه وفي مخلوقاته وان أراد بذلك أنه يتصف بكل حادث فهذا يستلزم أن يتصف بالنقائص الوجودية مثل أن يتصف بالجهل المركب الحادث ونحو ذلك وهذا ممتنع لكونه نقصا لا لكونه حادثا فالموت والسنة والنوم والعجز واللغوب والجهل وغير ذلك من النقائص هو منزه عنها ومقدس أزلا وأبدا فلا يجوز أن تقوم به لا قديمة ولا حادثة لكونها نقائص تناقض ما وجب له من الكمال اللازم لذاته واذا كان أحد النقيضين لازما للذات لزم انتفاء النقيض الآخر فكل ما تنزه الرب عنه من الحوادث والصفات فهو منزه عنه لما أوجب ذلك لا للقدر المشترك بينه وبين ما قام به من الكمالات

(وأما السؤال الثالث) وهو قوله انه لا حاجة الى ذلك فيقال ليس كل ما لا تعلم الحاجة اليه يجزم بنفيه فان الله أخبر أنه كتب مقادير

يطعمون جياعهم من المسلمين وغيرهم وان كانوا لا يتقربون الى الله بذلك بخلاف المؤمنين فانهم يفعلون ذلك لوجه الله بهذا تميزوا كما قال تعالى عنهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وأما انفاق الصديق ونحوه فانه كان فى أول الاسلام لتخليص من آمن والكفار يؤذونه أو يريدون قتله مثل اشترائه بماله سبعة كانوا يعذبون فى الله منهم بلال حتى قال عمر أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا وانفاقه على المحتاجين من أهل الايمان فى نصر الاسلام حيث كان أهل الارض قاطبة أعداء الاسلام وتلك النفقة ما بقى يمكن مثلها ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحد ثم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهذا فى النفقة التى اختصوا بها وأما جنس إطعام الجائع مطلقا فهذا مشترك يمكن فعله الى يوم القيامة

(فصل) قال الرافضى البرهان الثانى والعشرون قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون من طريق أبى نعيم عن مجاهد فى قوله والذى جاء بالصدق وصدق به قال على بن أبى طالب ومن طريق الفقيه الشافعى عن مجاهد والذى جاء بالصدق وصدق به قال جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به على وهذه فضيلة اختص بها فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها أن هذا ليس منقولا عن النبى صلى الله عليه وسلم وقول مجاهد وحده ليس بحجة يجب اتباعها على كل مسلم ولو كان هذا النقل صحيحا عنه فكيف اذا لم يكن ثابتا عنه فانه قد عرف بكثرة الكذب والثابت عن مجاهد خلاف هذا وهو أن الصدق هو القرآن والذى صدق به هو المؤمن الذى عمل به فجعلها عامة رواه الطبرى عن مجاهد قال هم أهل القرآن يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا الذى أعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه رواه أبو سعيد الاشج قال حدثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فذكره وحدثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وصدق به قال المؤمنون جميعا قال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وصدق به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوجه الثانى) أن هذا معارض بما هو أشهر منه عند أهل التفسير وهو أن الذى جاء بالصدق محمد والذى صدق به أبو بكر فان هذا يقوله طائفة وذكره الطبرى باسناده الى على قال جاء به محمد وصدق به أبو بكر وفى هذا حكاية ذكرها بعضهم عن أبى بكر عبد العزيز بن جعفر غلام أبى بكر الخلال أن سائلا سأله عن هذه الآية فقال له هو أو بعض المهاجرين نزلت فى أبى بكر فقال السائل بل فى على فقال أبو بكر بن جعفر اقرأ ما بعدها أولئك هم المتقون ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا الآية فبهت السائل (الثالث) أن يقال لفظ الآية عام مطلق لا يختص بأبى بكر ولا بعلى بل كل من دخل فى عمومها دخل فى حكمها ولا ريب أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا أحق هذه الامة بالدخول فيها لكنها لا تختص بهم وقد قال تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية فقد ذم الله سبحانه وتعالى الكاذب على الله والمكذب بالصدق وهذا ذم عام والرافضة أعظم أهل البدع دخولا فى هذا الوصف المذموم فانهم أعظم الطوائف افتراء للكذب على الله وأعظمهم تكذيبا بالصدق لما جاءهم وأبعد الطوائف عن المجىء بالصدق والتصديق به وأهل السنة المحضة أولى الطوائف بهذا فانهم يصدقون ويصدقون

الخلائق قبل خلقهم ولا يعلم الى ذلك حاجة وكذلك قد خلق آدم بيده عند أهل الاثبات مع قدرته على أن يخلقه كما خلق غيره وأيضا فان عدم الحاجة الى الشئ ان أوجبت نفيه فينبغى أن تنفى جميع المخلوقات فان الله لا يحتاج الى شئ وأما ما يقوم بذاته فما كان الخلق محتاجا اليه وجب اثباته وما لم يكن الخلق محتاجا اليه كان قد انتفى هذا الدليل المعين الدال على اثباته وعدم الدليل مطلقا لا يستلزم عدم المدلول عليه فى نفس الامر وان استلزم عدم علم المستدل به فضلا عن عدم الدليل المعين وأيضا فان الرب تعالى يمكن أن يكون له من صفات الكمال ما لا يعلمه العباد ولا يمكنهم نفيه لانتفاء الحاجة اليه ولكن هذا السؤال يمكن تحريره على وجه آخر وهو أن يقال الكرامية انما أثبتوا ما أثبتوه لاحتياج الخلق اليه والقدرة والمشيئة الازلية كافية فى حدوث المخلوقات المنفصلة كما هى كافية فى حدوث ما قام بالذات فيكون دليلهم على ذلك باطلا وهذا الكلام انما يفيد ان أفاد ابطال هذا الدليل المعين ولا يبطل دليلا آخر ولا يبطل ثبوت المدلول فلا يجوز أن ينفى قيام الحوادث بذاته لعدم ما يثبت ذلك بل الواجب فيما لا يعرف دليل ثبوته وانتفائه الوقف فيه ثم هم قد يقولون صدور

بالحق فى كل ما جاءبه ليس لهم هوى الامع الحق والله تعالى مدح الصادق فيما يجىء به والمصدق بهذا الحق فهذا مدح للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وبما جاءبه وهو سبحانه لم يقل والذى جاء بالصدق والذى صدق به فلم يجعلهما صنفين بل جعلهما صنفا واحدا لان المراد مدح النوع الذى يجىء بالصدق ويصدق بالصدق فهو ممدوح على اجتماع الوصفين على أن لا يكون من شأنه الا أن يجىء بالصدق ومن شأنه أن يصدق بالصدق وقوله جاء بالصدق اسم جنس لكل صدق وان كان القرآن أحق بالدخول فى ذلك من غيره ولذلك صدق به من يحسن الصدق وقد يكون الصدق الذى صدق به هو عين الصدق الذى جاء به كما تقول فلان يسمع الحق ويقول الحق ويقبله ويأمر بالعدل ويعمل به أى هو موصوف بقول الحق لغيره وقبول الحق من غيره وأنه يجمع بين الامر بالعدل والعمل به وان كان كثير من العدل الذى يأمر به ليس هو عين العدل الذى يعمل به فلما ذم الله سبحانه من اتصف بأحد الوصفين الكذب على الله والتكذيب بالحق اذ كل منهما يستحق الذم مدح ضدهما الخالى عنهما بان يكون يجىء بالصدق لا بالكذب وأن يكون مع ذلك مصدقا بالحق لا يكون ممن يقوله هو واذا قاله غيره لم يصدقه فان من الناس من يصدق ولا يكذب لكن يكره أن غيره يقوم مقامه فى ذلك حسدا ومنافسة فيكذب غيره فى صدقه أو لا يصدقه بل يعرض عنه وفيهم من يصدق طائفة فيما قالت قبل أن يعلم ما قالوه أصدق هو أم كذب والطائفة الاخرى لا تصدقها فيما تقول وان كان صادقا بل اما أن تصدقها واما أن تعرض عنها وهذا موجود فى عامة أهل الاهواء تجد كثيرا منهم صادقا فيما ينقله لكن ما ينقله عن طائفته يعرض عنه فلا يدخل هذا فى المدح بل فى الذم لانه لم يصدق بالحق الذى جاءه والله قد ذم الكاذب والمكذب بالحق لقوله فى غير آية ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ولهذا لما كان مما وصف الله به الانبياء الذين هم أحق الناس بهذه الصفة أن كلا منهم يجىء بالصدق فلا يكذب فكل منهم صادق فى نفسه مصدق لغيره ولما كان قوله والذى صنفا من الاصناف لا يصدق به واحد بعينه أعاد الضمير بصيغة الجمع فقال والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وأنت تجد كثيرا من المنتسبين الى العلم والدين لا يكذبون فيما يقولون بل لا يقولون الا الصدق لكن لا يقبلون ما يخبر به غيرهم من الصدق بل يحملهم الهوى والجهل على تكذيب غيرهم وان كان صادقا إما تكذيب نظيره واما تكذيب من ليس من طائفته ونفس تكذيب الصادق هو من الكذب ولهذا قرنه بالكاذب على الله فقال فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه فكلاهما كاذب هذا كاذب فيما يخبر به عن الله وهذا كاذب فيما يخبر به عن المخبر عن الله والنصارى يكثر فيهم المفترون للكذب على الله واليهود يكثر فيهم المكذبون بالحق وهو سبحانه ذكر المكذب بالصدق نوعا ثانيا لانه أولا لم يذكر جميع أنواع الكذب بل ذكر من كذب على الله وأنت اذا تدبرت هذا وعلمت أن كل واحد من الكذب على الله والتكذيب بالصدق مذموم وأن المدح لا يستحقه الا من كان آتيا بالصدق مصدقا للصدق علمت أن هذا مما هدى الله به عباده الى صراطه المستقيم واذا تأملت هذا تبين لك أن كثيرا من الشر أو أكثره يقع من أحد هذين فتجد احدى الطائفتين والرجلين من الناس لا يكذب فيما يخبر به من العلم لكن لا يقبل ما تأتى به الطائفة الاخرى فربما جمع بين الكذب على الله والتكذيب بالصدق وهذا وان كان يوجد فى عامة الطوائف شئ منه فليس فى الطوائف أدخل فى ذلك من الرافضة فانها أعظم الطوائف كذبا على الله وعلى رسوله وعلى

المفعولات المنفصلة من غير سبب حادث يقوم بالفاعل أمر ممتنع كصدور المفعولات بدون قدرة وارادة للفاعل ويقولون أيضا قد علم أن الله خالق للعالم والخلق ليس هو المخلوق اذ هذا مصدر وهذا مفعول به والمصدر ليس هو المفعول به فلا بد من اثبات خلق قائم به ومن اثبات مخلوق منفصل عنه وهذا قول جمهور الناس وهو أشهر القولين عند أصحاب الائمة الاربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وهو قول جمهور الناس أهل الحديث والصوفية وكثير من أهل الكلام أو أكثرهم وكثير من أساطين الفلاسفة أو أكثرهم لكن النزاع بينهم فى الخلق المغاير للمخلوق هل هو قديم قائم بذاته أو هو منفصل عنه أو هو حادث قائم بذاته واذا كان حادثا فهل الحادث نوعه أو أن الحوادث هى الاعيان الحادثة ونوع الحوادث قديم لتكون صفات الكمال قديمة لله لم يزل ولا يزال متصفا بصفات الكمال هذه الاقوال الاربعة قد قال كل قول طائفة ويقولون أيضا ان قيام هذه الامور بذاته من صفات الكمال وذلك أنا قد علمنا أن الله متكلم وأن المتكلم لا يكون متكلما الا بكلام قائم بذاته وأنه مريد ولا يكون مريدا الا بارادة قائمة بذاته اذ ما قام بغيره من الكلام والارادة لا يكون كلاما له ولا ارادة اذ

الصحابة

الصحابة وعلى ذوى القربى وكذلك هم من أعظم الطوائف تكذيبا بالصدق فيكذبون بالصدق الثابت المعلوم من المنقول الصحيح والمعقول الصريح فهذه الآية ولله الحمد فيها من مدح فهو يشتمل على الصحابة الذين افترت عليهم الرافضة وظلمتهم فانهم جاؤا بالصدق وصدقوا به وهم من أعظم أهل الارض دخولا فى ذلك وعلى منهم وما فيها من ذم فالرافضة أدخل الناس فيه فهى حجة عليهم من الطرفين وليس فيها حجة على اختصاص على دون الخلفاء الثلاثة بشئ فهى حجة عليهم من كل وجه ولا حجة لهم فيها بحال

(فصل) قال الرافضى البرهان الثالث والعشرون قوله تعالى هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين من طريق أبى نعيم عن أبى هريرة قال مكتوب على العرش لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبدى و رسولى أيدته بعلى بن أبى طالب وذلك قوله فى كتابه هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين يعنى بعلى وهذه من أعظم الفضائل التى لم تحصل لغيره من الصحابة فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل وأما مجرد العزو الى رواية أبى نعيم فليس حجة بالاتفاق وأبو نعيم له كتاب مشهور فى فضائل الصحابة وقد ذكر قطعة من الفضائل فى أول الحلية فان كانوا يحتجون بما رواه فقد روى فى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان ما ينقض بنيانهم ويهدم أركانهم وان كانوا لا يحتجون بما رواه فلا يعتمدون على نقله ونحن نرجع فيما رواه هو وغيره الى أهل العلم بهذا الفن والطرق التى بها يعلم صدق الحديث وكذبه من النظر فى اسناده و رجاله وهل هم ثقات سمع بعضهم من بعض أولا وننظر الى شواهد الحديث وما يدل على أحد الامرين لا فرق عندنا بين ما يروى فى فضائل على أو فضائل غيره فما ثبت أنه صدق صدقناه وما كان كذبا كذبناه فنحن نجىء بالصدق ونصدق به لا نكذب ولا نكذب صادقا وهذا معروف عند أئمة السنة وأما من افترى على الله كذبا وكذب بالحق فعلينا أن نكذبه فى كذبه وتكذيبه للحق كأتباع مسيلمة الكذاب والمكذبين بالحق الذى جاء به الرسول واتبعه عليه المؤمنون به صديقه الاكبر وسائر المؤمنين (ولهذا نقول فى الوجه الثانى) ان هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث وهذا الحديث وأمثاله مما جزمنا أنه كذب موضوع يشهد له كذب موضوع فنحن والله الذى لا اله الا هو نعلم علما ضروريا فى قلوبنا لا سبيل لنا الى دفعه أن هذا الحديث ما حدث به أبو هريرة وهكذا نظيره مما نقول فيه مثل ذلك وكل من كان عارفا بعلم الحديث وبدين الاسلام يعرف وكل من لم يكن له بذلك علم لا يدخل معنا كما أن أهل الخبرة بالصرف يحلفون على ما يعلمون أنه مغشوش وان كان من لا خبرة له لا يميز بين المغشوش والصحيح (الثالث) أن الله تعالى قال هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وهذا نص فى أن المؤمنين عدد مؤلف بين قلوبهم وعلى واحد ليس له قلوب يؤلف بينها والمؤمنين صفة جمع فهذا نص صريح لا يحتمل أنه أراد به واحدا معينا وكيف يجوز أن يقال المراد بهذا على وحده (الوجه الرابع) أن يقال من المعلوم بالضرورة والتواتر أن النبى صلى الله عليه وسلم ما كان قيام دينه بمجرد موافقة على فان عليا من أول من أسلم فكان الاسلام ضعيفا فلولا أن الله هدى من هداه الى الايمان والهجرة والنصرة لم يحصل بعلى وحده شئ من التأييد ولا يكون ايمان الناس ولا هجرتهم ولا نصرتهم على يد على ولم يكن على منتصبا لا بمكة ولا بالمدينة للدعوة الى الايمان كما

الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره و يقولون قد أخبر الله أنه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وأن تدل على أن الفعل مستقبل فوجب أن يكون القول والارادة حادثين بالسمع وبالجملة عامة ما يذكر فى هذا الباب يعود الى نوع تناقض من الكرامية وهو عمدة منازعيهم ليس معهم ما يعتمدون عليه الا تناقضهم وتناقض أحد المتنازعين لا يستلزم صحة قول الآخر لجواز أن يكون الحق فى قول ثالث لا قول هذا ولا قول هذا لاسيما اذا عرف أن هناك قولا ثالثا وذلك القول يتضمن زوال الشبه القادحة فى كل من القولين الضعيفين (قال الآمدى) الحجة الثالثة أنه لو كان قابلا لحلول الحوادث بذاته لكان قابلا لها فى الازل والا كانت القابلية عارضة لذاته واستدعت قابلية أخرى وهو تسلسل ممتنع وكون الشئ قابلا للشئ فرع امكان وجود المقبول فيستدعى تحقق كل واحد منهما ويلزم من ذلك امكان حدوث الحوادث فى الازل وحدوث الحادث فى الازل ممتنع للتناقض بين كون الشئ أزليا و بين كونه حادثا (قال الآمدى) ولقائل أن يقول لا نسلم أنه لو كان قابلا لحلول الحوادث بذاته لكان قابلا لها فى الازل فانه لا يلزم من القبول للحادث فيما لا يزال مع امكانه

كان أبو بكر منتصبا لذلك ولم ينقل أنه أسلم على يد علي أحد من السابقين الأولين لا من المهاجرين ولا الانصار بل لا نعرف أنه أسلم على يد علي أحد من الصحابة لكن لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن قد يكون أسلم من أسلم ان كان وقع ذلك وليس أولئك من الصحابة وانما أسلم أكابر الصحابة على يد أبي بكر ولا كان يدعو المشركين ويناظرهم كما كان أبو بكر يدعوهم و يناظرهم ولا كان المشركون يخافونه كما يخافون أبا بكر وعمر بل قد ثبت في الصحاح والمساند والمغازي واتفق عليه الناس أنه لما كان يوم أحد وانهزم المسلمون صعد أبو سفيان الى الجبل وقال أفي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة أفي القوم ابن أبي قحافة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال لاصحابه أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه أن قال كذبت يا عدو الله ان الذين عددت لأحياء وقد بقي لك ما يسوءك فقال يوم بيوم بدر فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ثم أخذ أبو سفيان يرتجز و يقول أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه فقالوا وما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل فقال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه فقالوا وما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني فهذا جيش المشركين اذ ذاك لا يسأل الا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلو كان القوم خائفين من علي أو عثمان أو طلحة أو الزبير أو نحوهم أو كان للرسول تأييد بهؤلاء كتأييده بأبي بكر وعمر لكان يسأل عنهم كما يسأل عن هؤلاء فان المقتضى للسؤال قائم والمانع منتف ومع وجود القدرة والداعي وانتفاء الضد يجب وجود الفعل (الوجه الخامس) أنه لم يكن لعلي في الاسلام أثر حسن الا ولغيره من الصحابة مثله ولبعضهم آثار أعظم من آثاره وهذا معلوم لمن عرف السيرة الصحيحة الثابتة بالنقل وأما من يأخذ بنقل الكذابين وأحاديث الطرقية فباب الكذب مفتوح وهذا الكذب يتعلق بالكذب على الله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ومجموع المغازي التي كان فيها القتال مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع مغاز والمغازي كلها بضع وعشرون غزاة وأما السرايا فقد قيل انها تبلغ سبعين ومجموع من قتل من الكفار في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم يبلغون ألفا أو أكثر أو أقل ولم يقتل علي منهم عشرهم ولا نصف عشرهم وأكثر السرايا لم يكن يخرج فيها وأما بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يشهد شيأ من الفتوحات لا هو ولا عثمان ولا طلحة ولا الزبير الا أن يخرجوا مع عمر حين يخرج الى الشام وأما الزبير فقد شهد فتح مصر وسعد شهد فتح القادسية وأبو عبيدة فتح الشام فكيف يكون تأييد الرسول بواحد من الصحابة دون سائرهم والحال هذه وأين تأييده بالمؤمنين كلهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار الذين بايعوه تحت الشجرة والتابعين لهم باحسان وقد كان المسلمون يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ويوم أحد سبعمائة ويوم الخندق أكثر من ألف أو قريبا من ذلك ويوم بيعة الرضوان ألفا وأربعمائة وهم الذين شهدوا فتح خيبر ويوم فتح مكة كانوا عشرة آلاف ويوم حنين كانوا اثني عشر ألفا تلك العشرة والطلقاء ألفان وأما تبوك فلا يحصى من شهدها بل كانوا أكثر من ثلاثين وأما حجة الوداع فلا يحصى من شهدها معه وكان قد أسلم على عهدها أصناف من رآه وكان من أصحابه وأيده الله بهم في حياته

القبول له أزلا مع كونه غير ممكن أزلا والقول بأنه يلزم منه التسلسل يلزم عليه الايجاد بالقدرة للمقدور وكون الرب خالقا للحوادث فانه نسبة متجددة بعد أن لم يكن فما هو الجواب ههنا به يكون الجواب ثم سلمنا أنه يلزم من القبول فيما لا يزال القبول أزلا فلا نسلم أن ذلك يوجب امكان وجود المقبول أزلا ولهذا على أصلنا الباري موصوف في الازل بكونه قادرا على خلق العالم ولا يلزم امكان وجود العالم أزلا ﴿قلت﴾ قد ذكر في افساد هذه الحجة وجهين هما منع الكلتا مقدمتيها فان مبناها على مقدمتين احداهما أنه لو كان قابلا لكان القبول أزليا والثاني أنه يمكن وجود المقبول مع القبول فيقال في الاولى لا نسلم أنه اذا كان قابلا للحوادث في الابد يلزم قبولها في الازل لان وجودها فيما لا يزال ممكن ووجودها في الازل ممتنع فلا يلزم من قبول الممكن قبول الممتنع وهذا كما يقال اذا أمكن حدوث الحوادث فيما لا يزال أمكن حدوثها في الازل وقد احتجوا على ذلك بأنه يجب أن يكون القبول من لوازم الذات اذ لو كان من عوارضها لكان للقبول قبول آخر ولزم التسلسل فأجاب عن هذه الحجة بالمعارضة بالايجاد والاحداث فانه عند من

باليمن وغيرها وكل هؤلاء من المؤمنين الذين أيده الله بهم بل كل من آمن وجاهد الى يوم القيامة دخل فى هذا المعنى والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) قال الرافضى البرهان الرابع والعشرون قوله تعالى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين من طريق أبى نعيم قال نزلت فى على وهذه فضيلة لم تحصل لاحد من الصحابة غيره فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه (أحدها) منع الصحة (الثانى) أن هذا القول ليس بحجة (الثالث) أن يقال هذا كلام من أعظم الفرية على الله ورسوله وذلك أن قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين فهو وحده كافيك وكافى من معك من المؤمنين وهذا كما تقول العرب حسبك وزيدا درهم ومنه قول الشاعر

* فحسبك والضحاك سيف مهند * وذلك أن حسب مصدر فلما أضيف لم يحسن العطف عليه الا باعادة الجار فان العطف بدون ذلك وان كان جائزا فى أصح القولين فهو قليل واعادة الجار أحسن وأفصح فعطف على المعنى والمضاف اليه فى معنى المنصوب فان قوله فحسبك والضحاك مصدر والمصدر يعمل عمل الفعل لكن اذا أضيف عمل فى غير المضاف اليه ولهذا ان أضيف الى الفاعل نصب المفعول وان أضيف الى المفعول رفع الفاعل فتقول أعجبنى دق القصار الثوب وهذا أوجه الكلام وتقول أعجبنى دق الثوب القصار ومن النحاة من يقول اعماله منكرا أحسن من اعماله مضافا لانه بالاضافة قوى شبهه بالاسماء والصواب أن اضافته الى أحدهما واعماله فى الآخر أحسن من تنكيره واعماله فيهما فقول القائل أعجبنى دق القصار الثوب أحسن من قوله دق الثوب القصار فان التنكير أيضا من خصائص الاسماء والاضافة أخف لانه اسم والاصل فيه أن يضاف ولا يعمل لكن لما تعذرت اضافته الى الفاعل والمفعول جميعا أضيف الى أحدهما وأعمل فى الآخر وهكذا فى المعطوفات ان أضيف اليها كلها كالمضاف الى الظاهر فهو أحسن كقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم بيع الخمر والميتة والدم والخنزير والاصنام وكقولهم نهى عن بيع الملاقيح والمضامين وحبل الحبلة وان تعذر لم يحسن ذلك كقولك حسبك وزيدا درهم عطفا على المعنى ومما يشبه هذا قوله وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك نصب على هذا على محل الليل المجرور فان اسم الفاعل كالمصدر ويضاف تارة ويعمل تارة أخرى وقد ظن بعض العارفين أن معنى الآية أن الله والمؤمنين حسبك ويكون من اتبعك رفعا عطفا على الله وهذا خطأ قبيح مستلزم للكفر فان الله وحده حسب جميع الخلق كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل أى الله وحده كافينا كلنا وفى البخارى عن ابن عباس فى هذه الكلمة قالها ابراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فكل من النبيين قال حسبى الله فلم يشرك بالله غيره فى كونه حسبه فدل على أن الله وحده حسبه ليس معه غيره ومنه قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله الآية فدعاهم الى أن يرضوا ما آتاهم الله ورسوله والى أن يقولوا حسبنا الله ولا يقولوا حسبنا الله ورسوله لان الايتاء يكون باذن الرسول كما قال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وأما الرغبة فالى الله كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وكذلك التحسب الذى

يمنع تسلسل الآثار من عوارض الذات لا من لوازمها فالقول فى قبولها كالقول فى فعله لها اذ التسلسل فى القابل كالتسلسل فى الفاعل وهذا الجواب من جنس جوابه عن الحجة الاولى وهو جواب صحيح على أصل من وافق الكرامية من المعتزلة والاشعرية والسالمية وغيرهم وهؤلاء أخذوا هذا الاصل عن الجهمية والقدرية من المعتزلة ونحوهم وأما المقدمة الثانية فيقال لا نسلم أنه يلزم من ثبوت القبول فى الازل امكان وجود المقبول فى الازل بدليل أن القدرة ثابتة فى الازل ولا يمكن وجود المقدور فى الازل عند هذه الطوائف وهذا الجواب أيضا جواب لمن وافقه على ذلك والنكتة فى الجوابين أن ما ذكروه فى المقبول ينتقض عليهم فى المقدور فان المقبول من الحوادث هو نوع من المقدورات لكن فارق غيره فى المحل فهذا مقدور فى الذات وهذا مقدور منفصل عن الذات فان قدرته قائمة بذاته ومقدور القدرة هو فعله القائم بذاته وان كانت المخلوقات أيضا مقدورة عنده فهذا المنفصل عندهم مقدور وفعله القائم بذاته مقدور وقدرته قائمة بمحل هذا المقدور المتصل دون المنفصل والناس لهم فى وجود المقدور وعمل القدرة وخارجها أقوال منهم

هو التوكل على الله وحده فلهذا أمروا أن يقولوا حسبنا الله ولا يقولوا ورسوله فاذا لم يجز أن يكون الله ورسوله حسب المؤمن كيف يكون المؤمنون مع الله حسبا لرسوله وأيضا فالمؤمنون محتاجون الى الله كحاجة الرسول الى الله فلا بد لهم من حسبهم ولا يجوز أن يكون معونتهم وقوتهم من الرسول وقوة الرسول منهم فان هذا يستلزم الدور بل قوتهم من الله وقوة الرسول من الله فالله وحده يخلق قوتهم والله وحده يخلق قوة الرسول فهذا كقوله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم فانه وحده هو المؤيد للرسول بشيئين أحدهما نصره الذى بنصره والثانى بالمؤمنين الذين أتى بهم وهناك قال حسبك الله ولم يقل نصر الله فنصر الله منه كما أن المؤمنين مخلوقاته أيضا فعطف ما منه على ما منه اذ كلاهما منه وأما هو سبحانه فلا يكون معه غيره فى احداث شئ من الاشياء بل هو وحده الخالق لكل ما سواه ولا يحتاج فى شئ من ذلك الى غيره فاذا تبين هذا فهؤلاء الرافضة رتبوا جهلا على جهل فصاروا فى ظلمات بعضها فوق بعض فظنوا أن قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين معناه أن الله ومن اتبعك من المؤمنين حسبك ثم جعلوا المؤمنين الذين اتبعوه على بن أبى طالب وجهلهم فى هذا أظهر من جهلهم فى الاول فان الاول قد يشتبه على بعض الناس وأما هذا فلا يخفى على عاقل فان عليا لم يكن وحده كافيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن معه الا على لما أقام دينه وهذا على لم يغن عن نفسه ومعه أكثر جيوش الارض بل لما حاربه معاوية مع أهل الشام كان معاوية مقاوما له أو مستظهرا سواء كان ذلك بقوة قتال أو قوة مكر واختيار فالحرب خدعة

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لعبد مرة * بلغا من العلياء كل مكان

فاذا لم يغن عن نفسه بعد ظهور الاسلام واتباع أكثر أهل الارض له فكيف يغنى عن الرسول وأهل الارض كلهم أعداؤه واذا قيل ان عليا انما لم يغلب معاوية ومن معه لان جيشه لا يطيعونه بل كانوا مختلفين عليه قيل فاذا كان من معه من المسلمين لم يطيعوه فكيف يطيعه الكفار الذين يكفرون بنبيه وبه وهؤلاء الرافضة يجمعون بين النقيضين لفرط جهلهم وظلمهم يجعلون عليا أكمل الناس قدرة وشجاعة حتى يجعلوه هو الذى أقام دين الرسول وان الرسول كان محتاجا اليه ويقولون مثل هذا الكفر اذ يجعلونه شريكا لله فى اقامة دين محمد ثم يصفونه بغاية العجز والضعف والجزع والتقية بعد ظهور الاسلام وقوته ودخول الناس فيه ومن المعلوم قطعا أن الناس بعد دخولهم فى دين الاسلام أتبع للحق منهم قبل دخولهم فيه فمن كان مشاركا لله فى اقامة دين محمد حتى قهر الكفار وأسلم الناس كيف لا يفعل هذا فى قهر طائفة بغوا عليه هم أقل من الكفار الموجودين عند بعثة الرسول وأقل منهم شوكة وأقرب الى الحق منهم فان الكفار حين بعث الله محمدا كانوا أكثر ممن نازع عليا وأبعد عن الحق فان أهل الحجاز والشام واليمن ومصر والعراق وخراسان والمغرب كلهم كانوا كفارا ما بين مشرك وكتابى ومجوسى وصابئ ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم كانت جزيرة العرب قد ظهر فيها الاسلام ولما قتل عثمان كان الاسلام قد ظهر فى الشام ومصر والعراق وخراسان والمغرب فكان أعداء الحق عند موت النبى صلى الله عليه وسلم أقل منهم وأضعف عداوة منهم له حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فان جميع الحق الذى كان يقاتل عليه على هو جزء من الحق الذى قاتل عليه النبى صلى الله عليه وسلم فمن كذب بالحق الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم وقاتله عليه كذب

من يقول القدرة القديمة والمحدثة توجد فى محل المقدور كائمة الحديث والكرامية وغيرهم ومنهم من يقول القدرتان توجدان فى غير محل المقدور كالجهمية والمعتزلة وغيرهم ومنهم من يقول المحدثة لا تكون الا فى محل المقدور والقديمة لا تكون فى محل المقدور وهم الكلابية ومن وافقهم ومتنازعون أيضا هل يمكن أن تكون القدرتان أو احداهما متعلقة بالمقدور فى محلها وخارجة عن محلها جميعا والمقصود هنا أن ما عارضهم به معارضة صحيحة ولكن كثير من الناس من أهل الحديث والكلام والفلسفة وغيرهم يقولون فى المقدور ما يقولون فى المقبول ويقولون بجواز حوادث لا تتناهى ومنهم من يخص ذلك بالمقدورات فيقال لهؤلاء حينئذ فيجوز حوادث لا تتناهى فى المقبولات والمقدورات كما فى المقدورات المنفصلة لا فرق بينهما (والجواب) القاطع المركب أن يقال اما أن يكون وجود حوادث لا تتناهى ممكنا واما أن يكون ممتنعا فان كان الاول كان وجود نوع الحوادث فى الازل ممكنا وحينئذ فلا يكون اللازم منتفيا فتبطل المقدمة الثانية وان كان ممتنعا لم يجز أن يقال انه قابل لها فى الازل قبولا يستلزم امكان وجود المقبول وحينئذ فلا يلزم

عما قاتل عليه علي من ذلك فاذا كان علي في هذه الحال قد ضعف وعجز عن نصر الحق ودفع الباطل فكيف يكون حاله حين البعث وهو أضعف وأعجز وأعداء الحق أعظم وأكثر وأشد عداوة ومثل الرافضة في ذلك مثل النصارى ادعوا في المسيح الالهية وأنه رب كل شئ ومليكه وعلى كل شئ قدير ثم يجعلون أعداءه صفعوه ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه وأنه جعل يستغيث فلا يغيثوه فلا بدعوا تلك القدرة القاهرة ولا باثبات هذه الذلة التامة وان قالوا هذا كان برضاه قيل فالرب انما رضي بأن يطاع لا بأن يعصى فان كان قتله وصلبه برضاه كان ذلك عبادة وطاعة لله فيكون اليهود الذين صلبوه عابدين لله مطيعين في ذلك فيمدحون على ذلك لا يذمون وهذا من أعظم الجهل والكفر وهكذا يوجد من فيه شبه من النصارى والرافضة من الغلاة في أنفسهم وشيوخهم تجدهم في غاية الدعوى وفي غاية العجز كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وفقير مختال وفي لفظ مزهو وفي لفظ وعائل مستكبر وهذا معنى قول بعض العامة الفقر والزنطرة فهكذا شيوخ الدعاوى والشطح يدعي أحدهم الالهية وما هو أعظم من النبوة ويعزل الرب عن ربوبيته والنبي عن رسالته ثم آخرته شحاذ يطلب ما يقيته أو خائف يستعين بظالم على دفع مظلمته فيفتقر الى لقمة ويخاف من كلمة فأين هذا الفقر والذل من دعوى الربوبية المتضمنة للغنى والعز وهذه حال المشركين الذين قال الله فيهم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا والنصارى فيهم شرك بين كما قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وهكذا من أشبههم من الغالية من الشيعة والنساك فيه شرك وغلو واليهود فيهم كبر والمستكبر معاقب بالذل قال تعالى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وقال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فتكذيبهم وقتلهم الانبياء كان استكبارا فالرافضة فيهم شبه من اليهود من وجه وشبه من النصارى من وجه ففيهم شرك وغلو وتصديق بالباطل كالنصارى وفيهم جبن وكبر وحسد وتكذيب بالحق كاليهود وهكذا غير الرافضة من أهل الاهواء والبدع تجدهم في نوع من الضلال ونوع من الغي فيهم شرك وكبر لكن الرافضة أبلغ من غيرهم في ذلك ولهذا تجدهم أعظم الطوائف تعطيلا لبيوت الله ومساجده من الجمع والجماعات التي هي أحب الاجتماعات الى الله وهم أيضا لا يجاهدون الكفار أعداء الدين بل كثيرا ما يوالونهم ويستعينون بهم على عداوة المسلمين فهم يعادون أولياء الله المؤمنين ويوالون أعداءه المشركين وأهل الكتاب كما يعادون أفضل الخلق كالمهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ويوالون أكفر الخلق من الاسمعيلية والنصيرية ونحوهم من الملاحدة وان كانوا يقولون هم كفار فقلوبهم وأبدانهم اليهم أميل منها الى المهاجرين والانصار والتابعين وجماهير المسلمين وما من أحد من أهل الاهواء والبدع حتى المنتسبين الى العلم والكلام والفقه والحديث

وجودها في الازل فتبطل المقدمة الاولى فتبين أنه لا بد من بطلان احدى المقدمتين وأيهما بطلت بطلت الحجة فهذا جواب ليس بالزامي بل هو علمي يبطل الحجة قطعا وهنا طريقة ثالثة في الجواب على قول من قال انه لم يزل متكلما اذا شاء وان الحركة من لوازم الحياة من أهل السنة والحديث وغيرهم فان هؤلاء يقولون انه قابل لها في الازل وانها موجودة في الازل وما ذكره من الحجة يستلزم صحة قول هؤلاء في المقدور والمقبول فانهم يقولون هو قادر عليها فيما لا يزال وهي ممكنة فيما لا يزال فوجب أنه لم يزل قادرا وانها ممكنة فان هذه القدرة والامكان اما أن تكون قديمة واما أن تكون حادثة فان كانت قديمة حصل المطلوب وان كانت حادثة فلا بد لها من سبب حادث وذلك يستلزم التسلسل والتسلسل يتضمن دوام القدرة وامكان الفعل فثبت أنه لم يزل قادرا على الفعل والفعل ممكن له وهو المطلوب وايضاح ذلك أنه اذا كان قادرا على الفعل وجب أن يكون قادرا عليه في الازل والا كانت القادرية عارضة لذاته واستدعت القادرية قادرية أخرى وذلك يقتضي التسلسل فان كان التسلسل باطلا لزم دوام نوع القادرية لانه يمتنع أن تكون عارضة اذ كانت العارضة

والتصوف الا وفيه شعبة من ذلك كما يوجد أيضا شعبة من ذلك في أهل الاهواء من أتباع الملوك والوزراء والكتاب والتجار لكن الرافضة أبلغ في الضلال والغي من جميع الطوائف أهل البدع

(فصــل) قال الرافضي البرهان الخامس والعشرون قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال الثعلبي انما نزلت في علي وهذا دليل على أنه أفضل فيكون هو الامام (والجواب) من وجوه أحدها أن هذا كذب على الثعلبي وأنه قال في تفسيره هذه الآية قال علي وقتادة والحسن انهم أبو بكر وأصحابه وقال مجاهد أهل اليمن وذكر حديث عياض بن غنم أنهم أهل اليمن وذكر الحديث أتاكم أهل اليمن فقد نقل الثعلبي أن عليا فسر هذه الآية بانهم أبو بكر وأصحابه وأما أئمة التفسير فروى الطبري عن المثنى حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا سيف بن عمر عن أبي روق عن الضحاك عن أبي ايوب عن علي في قوله يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قال علم الله المؤمنين وأوقع معنى السوء على الحشو الذين فيهم من المنافقين ومن في علمه أن يرتدوا فقال من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله المرتدة في ديتهم بقوم يحبهم ويحبونه بأبي بكر وأصحابه رضي الله عنهم وذكر باسناده هذا القول عن قتادة والحسن والضحاك وابن جريج وذكر عن قوم أنهم الانصار وعن آخرين أنهم أهل اليمن ورجح هذا الآخر وأنهم رهط أبي موسى قال ولولا صحة الخبر بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان القول عندي في ذلك الا قول من قال هم أبو بكر وأصحابه قال ولما ارتد المرتدون جاء الله بهؤلاء على عهد عمر رضي الله عنه (الثاني) أن هذا قول بلا حجة فلا يجب قبوله (الثالث) أن هذا معارض لما هو أشهر منه وأظهر وهو أنها نزلت في أبي بكر وأصحابه الذين قاتلوا معه أهل الردة وهذا هو المعروف كما تقدم لكن هؤلاء الكذابون أرادوا أن يجعلوا الفضائل التي جاءت في أبي بكر لعلي وهذا من المكر السيء الذي لا يحيق الا بأهله وحدثني الثقة من أصحابنا أنه اجتمع بشيخ أعرفه وكان فيه دين وزهد وأحوال معروفة لكن كان فيه تشيع قال وكان عنده كتاب يعظمه ويدعي أنه من الاسرار وأنه أخذه من خزائن الخلفاء وبالغ في وصفه فلما أحضره واذا به كتاب قد كتب بخط حسن وقد عمدوا الى الاحاديث التي في البخاري ومسلم جميعها في فضائل أبي بكر وعمر ونحوهما جعلوها لعلي ولعل هذا الكتاب كان من خزائن بني عبيد المصريين فان خواصهم كانوا ملاحدة زنادقة غرضهم قلب الاسلام وكانوا قد وضعوا من الاحاديث المفتراة التي يناقضون بها الدين ما لا يعلمه الا الله ومثل هؤلاء الجهال يظنون أن الاحاديث التي في البخاري ومسلم انما أخذت عن البخاري ومسلم كما يظن مثل ابن الخطيب ونحوه ممن لا يعرف حقيقة الحال وأن البخاري ومسلما كان الغلط يروج عليهما أو كانا يتعمدان الكذب ولا يعلمون أن قولنا رواه البخاري ومسلم علامة لنا على صحته لا أنه كان صحيحا بمجرد رواية البخاري ومسلم بل أحاديث البخاري ومسلم رواها غيرهما من العلماء والمحدثين من لا يحصي عدده الا الله ولم ينفرد واحد منهما بحديث بل ما من حديث الا وقد رواه قبل زمانه وفي زمانه وبعد زمانه طوائف ولو لم يخلق البخاري ومسلم لم ينقص من الدين شيء وكانت تلك الأحاديث موجودة بأسانيد يحصل بها المقصود وفوق المقصود وانما قولنا رواه البخاري ومسلم كقولنا رواه القراء السبعة والقرآن منقول بالتواتر لم يختص هؤلاء السبعة بنقل شيء منه وكذلك التصحيح لم يقلد أئمة الحديث فيه البخاري ومسلما بل جمهور ما صححاه كان قبلهما عند أئمة الحديث صحيحا متلقى بالقبول وكذلك في عصرهما وكذلك بعدهما قد نظر أئمة هذا الفن في كتابيهما ووافقوهما على تصحيح ما صححاه الا مواضع يسيرة نحو عشرين حديثا غالبها

تستلزم التسلسل الباطل على هذا التقدير وما استلزم الباطل فهو باطل واذا امتنع كونها عارضة ثبت كونها لازمة لانه متصف بها قطعا وان كان ممكنا لزم امكان دوام قادريات لا تتناهى لانه يتصف بها ويمتنع تجددها له اذ كانت قدرته من لوازم ذاته لامتناع أن يكون غير القادر يجعل نفسه قادرا بعد أن لم يكن وذلك يقتضي دوام نوع القادرية فلا بد في الازل من ثبوت القادرية على التقديرين وهو المطلوب واذا كان كذلك فالقدرة على الشيء فرع امكان المقدور واذ القادرية نسبة بين القادر والمقدور فتستدعي تحقق كل منهما والا فما لا يكون ممكنا لا يكون مقدورا فلا تكون القادرية عليه ثابتة في الازل فدل على أنه يلزم من ثبوت القدرة في الازل امكان وجود المقدور في الازل وحينئذ فذلك يدل على امكان الفعل في الازل فلا يكون هنا ما يمنع وجود المقدور المقبول في الازل فصار ما ذكروه حجة على النفي هو حجة الاثبات لكن هذا الحجة لامكان وجود المقبول في الازل ويمكن أن يحتجوا على وجود المقبول في الازل بأن يقولوا لو لم يقم بذاته ما هو مقدور ومراد له دائما للزم أن لا يحدث شيأ لكنه قد أحدث الحوادث فثبت دوام فاعليته وقابليته لما يقوم بذاته من

في مسلم انتقدها عليهما طائفة من الحفاظ وهذه المواضع المنتقدة غالبها في مسلم وقد انتصر طائفة لهما فيها وطائفة قررت قول المنتقد والصحيح التفصيل فان فيهما مواضع منتقدة بلا ريب مثل حديث أم حبيبة وحديث خلق الله البرية يوم السبت وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وأكثر وفيهما مواضع لا انتقاد فيها في البخاري فانه أبعد الكتابين عن الانتقاد ولا يكاد يروي لفظا فيه انتقاد الا ويروي اللفظ الآخر الذي يبين أنه منتقد فما في كتابه لفظ منتقد الا وفي كتابه ما يبين أنه منتقد وفي الجملة من نقد سبعة آلاف درهم فلم يرج فيها الا دراهم يسيرة ومع هذا فهي مغيرة ليست مغشوشة محضة فهذا امام في صنعته والكتابان سبعة آلاف حديث وكسر والمقصود أن أحاديثهما نقدها الأئمة الجهابذة قبلهم وبعدهم ورواها خلائق لا يحصي عددهم الا الله فلم ينفردا لا برواية ولا بتصحيح والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ يحفظ هذا الدين كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهذا مثل غالب المسائل التي توجد في الكتب المصنفة في مذهب الأئمة مثل القدوري والتنبيه والخرقي والجلاب غالب ما فيها اذا قيل ذكره فلان علم أنه مذهب ذلك الامام وقد نقل ذلك سائر أصحابه وهم خلق كثير ينقلون مذهبه بالتواتر وهذه الكتب فيها مسائل انفرد بها بعض أهل المذهب وفيها نزاع بينهم لكن غالبها هو قول أهل المذهب وأما البخاري ومسلم فجمهور ما فيهما اتفق عليه أهل العلم بالحديث الذين هم أشد عناية بألفاظ الرسول وضبطها ومعرفة بها من أتباع الأئمة لألفاظ أئمتهم وعلماء الحديث أعلم بمقاصد الرسول من أتباع الأئمة بمقاصد أئمتهم والنزاع في ذلك أقل من تنازع أتباع الأئمة في مذاهب أئمتهم والرافضة لجهلهم يظنون أنهم اذا نقلوا ما في نسخة من ذلك وجعلوا فضائل الصديق لعلي أن ذلك يخفى على أهل العلم الذين حفظ الله بهم الذكر

(الرابع) أن يقال ان الذي تواتر عند الناس أن الذي قاتل أهل الردة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي قاتل مسيلمة الكذاب المدعي للنبوة وأتباعه بني حنيفة وأهل اليمامة وقد قيل كانوا نحو مائة ألف أو أكثر وقاتل طليحة الأسدي وكان قد ادعى النبوة بنجد واتبعه من أسد وتميم وغطفان ما شاء الله وادعى النبوة سجاح امرأة تزوجها مسيلمة الكذاب فتزوج الكذاب بالكذابة وأيضا فكان من العرب من ارتد عن الاسلام ولم يتبع متنبئا كذابا ومنهم قوم أقروا بالشهادتين لكن امتنعوا من أحكامهما كمانعي الزكاة وقصص هؤلاء مشهورة متواترة يعرفها كل من له بهذا الباب أدنى معرفة (١) ومن المقاتلين للمرتدين وهم أحق الناس بالدخول في هذه الآية وكذلك الذين قاتلوا سائر الكفار من الروم والفرس وهؤلاء أبو بكر وعمر ومن اتبعهما من أهل اليمن وغيرهم ولهذا روي أن هذه الآية لما نزلت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء فأشار الى أبي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا فهذا أمر يعلم بالتواتر والضرورة أن الذين أقاموا الاسلام وثبتوا عليه حين الردة وقاتلوا المرتدين والكفار هم داخلون في قوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وأما علي رضي الله عنه فلا ريب أنه ممن يحب الله ويحبه الله لكن ليس بأحق بهذه الصفة من أبي بكر وعمر وعثمان ولا كان جهاده للكفار والمرتدين أعظم من جهاد هؤلاء ولا حصل به من المصلحة للدين أعظم مما حصل بهؤلاء بل كل منهم له سعي مشكور وعمل مبرور وآثار صالحة في الاسلام والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خير جزاء فهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وأما أن يأتي الى

مقدورات ومرادات وبيان التلازم أن الحادث بعد أن لم يكن ان حدث بغير سبب لزم ترجيح الممكن بلا مرجح وتخصيص أحد المثلين من الوقتين وغيرهما بلا مخصص وهذا ممتنع وان حدث بالسبب فالقول في ذلك السبب كالقول في غيره فيلزم تسلسل الحوادث ثم تلك الحوادث الدائمة اما أن تحدث عن علة تامة مستلزمة لمعلولها وهو ممتنع لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها ولا شيء منه واما أن تحدث عن غير علة تامة وما ليس بعلة تامة ففعله للحادث موقوف على الشرط الذي به يتم فاعليته لذلك الحادث وذلك الشرط اما منه واما من غيره فان كان من غيره لزم أن يكون رب العالمين محتاجا في أفعاله الى غيره وان كان منه لزم أن يكون دائما فاعلا للحوادث وتلك الحوادث اما أن تحدث بغير أحوال تقوم به واما أنه لا بد من أحوال تقوم به والثاني يستلزم أنه لم يزل قادرا قابلا فاعلا تقوم به الافعال والاول باطل لانه اذا كان في نفسه أزلا وأبدا على

---

(١) قوله ومن المقاتلين للمرتدين الى قوله فهذا أمر يعلم الخ كذا في النسخة وفيه سقط ووجه الكلام فأبو بكر وعمر وعثمان من الذين يحبون الله ويحبهم ومن المقاتلين الخ وحرر كتبه مصححه

أئمة الجماعة الذين كان نفعهم في الدين والدنيا أعظم فيجعلهم كفارا وفساقا ظلمة ويأتي الى من لم يجر على يديه من الخير مثل ما جرى على يد واحد منهم ويجعله معصوما منصوصا عليه ومن خرج عن هذا فهو كافر ويجعل الكفار المرتدين الذين قاتلهم أولئك كانوا مسلمين ويجعل المسلمين الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان ويحجون البيت ويؤمنون بالقرآن كفارا لأجل قتال هؤلاء فهذا عمل أهل الجهل والكذب والظلم والالحاد في دين الاسلام عمل من لا عقل له ولا دين ولا ايمان والعلماء دائما يذكرون أن الذي ابتدع الرفض كان زنديقا ملحدا مقصوده افساد دين الاسلام ولهذا الرفض مأوى الزنادقة الملحدين من الغالية والمعطلة كالنصيرية والاسمعيلية ونحوهم وأول الفكرة آخر العمل فالذي ابتدع الرفض كان مقصوده افساد دين الاسلام ونقض عراه وقلعه بعروشه آخرا لكن صار يظهر منه ما يمكنه من ذلك ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا معروف عند ابن سينا وأتباعه وهو الذي ابتدع النص في علي وابتدع أنه معصوم فالرافضة الامامية هم أتباع المرتدين وغلمان الملحدين وورثة المنافقين لم يكونوا أعيان المرتدين الملحدين (الوجه الخامس) أن يقال هب أن الآية نزلت في علي هل يقول القائل انها مختصة به ولفظها يصرح بأنهم جماعة قال تعالى من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الى قوله لومة لائم أفليس هذا صريحا في أن هؤلاء ليسوا رجلا فان الواحد لا يسمى قوما في لغة العرب لا حقيقة ولا مجازا ولو قال المراد هو وشيعته لقيل اذا كانت الآية أدخلت مع علي غيره فلا ريب أن الذين قاتلوا الكفار والمرتدين أحق بالدخول فيها ممن لم يقاتل الا أهل القبلة فلا ريب أن أهل اليمن الذين قاتلوا مع أبي بكر وعمر وعثمان أحق بالدخول فيها من الرافضة الذين يوالون اليهود والنصارى والمشركين ويعادون السابقين الاولين فان قيل الذين قاتلوا مع علي كان كثير منهم من أهل اليمن قيل والذين قاتلوه أيضا كان كثير منهم من أهل اليمن فكلا العسكرين كانت اليمانية والقيسية فيهم كثيرة جدا وأكثر أذواء اليمن كانوا مع معاوية كذي كلاع وذي عمرو وذي رعين ونحوهم وهم الذين يقال لهم الذوين كما قال الشاعر

وما أعني بذلك أصغريهم ❊ ولكني أريد به الذوينا

(الوجه السادس) قوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه لفظ مطلق ليس فيه تعيين وهو متناول لمن قام بهذه الصفات كائنا ما كان لا يختص ذلك بأبي بكر ولا بعلي واذا لم يكن مختصا بأحدهما لم يكن هذا من خصائصه فبطل أن يكون بذلك أفضل ممن يشاركه فيه فضلا عن أن يستوجب بذلك الامامة بل هذه الآية تدل على أنه لا يرتد أحد الى يوم القيمة الا أقام الله قوما يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون هؤلاء المرتدين والردة قد تكون عن أصل الاسلام كالغالية من النصيرية والاسمعيلية فهؤلاء مرتدون باتفاق أهل السنة والشيعة وكالعباسية وقد تكون الردة عن بعض الدين كحال أهل البدع الرافضة وغيرهم والله تعالى يقيم قوما يحبهم ويحبونه يجاهدون من ارتد عن الدين أو عن بعضه كما يقيم من يجاهد الرافضة المرتدين عن الدين أو عن بعضه في كل زمان والله سبحانه المسؤل أن يجعلنا من الذين يحبهم ويحبونه الذين يجاهدون المرتدين ولا يخافون لومة لائم

(فصل) قال الرافضي البرهان السادس والعشرون قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم روى أحمد بن حنبل باسناده عن ابن أبي ليلى

حال واحدة لم يقم به حال من الأحوال أصلا كانت نسبة الأزمان والكائنات اليه واحدة فلم يكن تخصيص أحد الزمانين بحوادث تخالف الحوادث في الزمان الآخر أولى من العكس وتخصيص الازمنة بالحوادث المختلفة أمر مشهود ولان الفاعل الذي يحدث ما يحدثه من غير فعل يقوم بنفسه غير معقول بل ذلك يقتضي أن الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق وأن مسمى المصدر هو مسمى المفعول به وأن التأثير هو الاثر ❊ ونحن نعلم بالاضطرار أن التأثير أمر وجودي واذا كان دائما لزم قيامه بذاته دائما وأن تكون ذاته دائما موصوفة بالتأثير والتأثير صفة كمال فهو لم يزل متصفا بالكمال قابلا للكمال مستوجبا للكمال وهذا أعظم في اجلاله واكرامه سبحانه وتعالى وبهذه الطريق وأمثالها يتبين أن الحجة العقلية التي يحتج بها أهل الضلال فانه يحتج بها على نقيض مطلوبهم كما أن الحجج السمعية التي يحتجون بها حالها كذلك وذلك مثل احتجاجهم على قدم الافلاك بأنه اذا كان مؤثرا في العالم فاما أن يكون التأثير وجوديا أو عدميا والثاني معلوم الفساد بالضرورة لكن هذا قول كثير من المعتزلة والاشعرية وهو قول من يقول الخلق هو المخلوق وان كان

عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقون ثلاثة حبيب بن موسى النجار مؤمن آل ياسين الذي قال ياقوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم ونحوه رواه ابن المغازلي الفقيه الشافعي وصاحب كتاب الفردوس وهذه فضيلة تدل على امامته

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة الحديث وهذا ليس في مسند أحمد ومجرد روايته له في الفضائل لو كان رواه لا يدل على صحته عنده باتفاق أهل العلم فانه يروي مارواه الناس وان لم تثبت صحته وكل من عرف العلم يعلم أن ليس كل حديث رواه أحمد في الفضائل ونحوه يقول انه صحيح بل ولا كل حديث رواه في مسنده يقول انه صحيح بل أحاديث مسنده هي التي رواها الناس عمن هو معروف عند الناس بالنقل ولم يظهر كذبه وقد يكون في بعضها علة تدل على انه ضعيف بل باطل لكن غالبها وجمهورها أحاديث جيدة يحتج بها وهي أجود من أحاديث سنن أبي داود وأما مارواه في الفضائل فليس من هذا الباب عنده والحديث قد يعرف أن محدثه غلط فيه أو كذبه من غير علم بحال المحدث بل بدلائل أخر والكوفيون كان قد اختلط كذبهم بصدقهم فقد يخفى كذب أحدهم أو غلطه على المتأخرين ولكن يعرف ذلك بدليل آخر فكيف وهذا الحديث لم يروه أحمد لا في المسند ولا في كتاب الفضائل وانما هو من زيادات القطيعي رواه عن محمد بن يونس القرشي حدثنا الحسن بن محمد الانصاري حدثنا عمرو بن جميع حدثنا ابن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه القطيعي أيضا من طريق آخر قال كتب الينا عبد الله بن غنام يذكر أن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي ليلى المكفوف حدثهم قال حدثنا عمرو بن جميع حدثنا محمد بن أبي ليلى عن عيسى ثم ذكر الحديث وعمرو ابن جميع ممن لا يحتج بنقله بل قال فيه ابن عدي متهم بالوضع قال يحيى كذاب خبيث وقال النسائي والدارقطني متروك وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الاثبات والمناكير عن المشاهير لا يحل كتب حديثه الا على سبيل الاعتبار (الثاني) أن الحديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثالث) ان في الصحيح من غير وجه تسمية غير علي صديقا كتسمية أبي بكر الصديق فكيف يقال الصديقون ثلاثة وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اثبت أحد فما عليك الا نبي أو صديق وشهيدان رواه الامام أحمد عن يحيى بن سعد عن قتادة عن أنس وفي رواية ارتج بهم وفي الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا (الوجه الرابع) ان الله تعالى قد سمى مريم صديقة فكيف يقال الصديقون ثلاثة (الوجه الخامس) أن قول القائل الصديقون ثلاثة ان أراد به أنه لا صديق الا هؤلاء فانه كذب مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين وان أراد أن الكامل في الصديقية هم الثلاثة فهو أيضا خطأ لان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس فكيف يكون المصدق بموسى ورسل عيسى أفضل من المصدقين بمحمد والله تعالى لم يسم مؤمن آل فرعون صديقا ولا يسمى صاحب آل ياسين صديقا ولكنهم صدقوا بالرسل والمصدقون بمحمد أفضل منهم وقد سمى الله الانبياء

وجوديا فان كان حادثا لزم التسلسل ولزم كونه محلا للحوادث فيجب أن لا يكون قديما وان كان قديما لزم قدم مقتضاه فيلزم قدم الاثر * فيقال أولا هذا يقتضي أن لا يكون شئ من آثاره محدثا وهذا خلاف المشاهدة وموجب هذه الحجة أن الاثر مقترن بالمؤثر التام التأثير واذا كان كذلك فكلما حدث من الحوادث شئ كان التأثير التام له منتفيا في الازل وكذلك أيضا كلما تجدد شئ من المتجددات وحينئذ فيلزم أنه لم يكن في الازل تأثير يستلزم آثاره وهذا نقيض قولهم وحينئذ فيلزم حدوث التأثير وتسلسله واذا كان التأثير وجوديا وجب أن يكون قائما بالمؤثر وهذا يقتضي دوام مايقوم بذاته من أحواله وشؤنه التي هي آثار قدرته ومشيئته وهذه الحجج الثلاث المذكورة مبناها على جواز التسلسل في الآثار والكرامية لا تقول بذلك لكن يقول به غيرهم من المسلمين وأهل الملل وغير أهل الملل والكرامية تجيب من يوافقها على التسلسل بما تقدم من المعارضات والممانعات (قال الآمدي) الحجة الرابعة أنه لو قامت الحوادث بذاته لكان متغيرا والتغير على الله محال ولهذا قال الخليل عليه السلام لا أحب الآفلين أي المتغيرين قال

صديقين فى مثل قوله واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقانبيا واذكر فى الكتاب ادريس
انه كان صديقانبيا وقوله عن يوسف أيها الصديق (الوجه السادس) أن الله تعالى قال
والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم وهذا يقتضى أن كل مؤمن
آمن بالله ورسله فهو الصديق (السابع) أن يقال ان كان الصديق هو الذى يستحق الامامة
فأحق الناس بكونه صديقا أبو بكر فانه الذى ثبت له هذا الاسم بالدلائل الكثيرة وبالتواتر
الضرورى عند الخاص والعام حتى ان أعداء الاسلام يعرفون ذلك فيكون هو المستحق للامامة
وان لم يكن كونه صديقا يستلزم الامامة بطلت الحجة

(فصل) قال الرافضى البرهان السابع والعشرون قوله تعالى الذين ينفقون
أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية من طريق أبى نعيم باسناده الى ابن عباس نزلت فى على كان
معه أربعة دراهم فأنفق درهما بالليل ودرهما بالنهار ودرهما سرا ودرهما علانية وروى الثعلبى
ذلك ولم يحصل ذلك لغيره فيكون أفضل فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل ورواية أبى نعيم والثعلبى لاتدل على
الصحة (الثانى) أن هذا كذب ليس بثابت (الثالث) أن الآية عامة فى كل من ينفق بالليل
والنهار سرا وعلانية فمن عمل بها دخل سواء كان عليا أوغيره ويمتنع أن يراد بها واحد معين
(الرابع) أن ما ذكر من الحديث يناقض مدلول الآية فان الآية تدل على الانفاق فى الزمانين
اللذين لايخلو الوقت عنهما وفى الحالين اللذين لايخلو الفعل منهما فالفعل لابد له من زمان
والزمان إما ليل وإما نهار والفعل اما سرا واما علانية فالرجل اذا أنفق بالليل سرا كان قد
أنفق ليلا سرا واذا أنفق علانية نهارا كان قد أنفق علانية نهارا وليس الانفاق سرا وعلانية
خارجا عن الانفاق بالليل والنهار فمن قال ان المراد من أنفق درهما فى السر ودرهما فى العلانية
ودرهما بالليل ودرهما بالنهار كان جاهلا فان الذى أنفقه سرا وعلانية قد أنفقه ليلا ونهارا والذى
قد أنفقه ليلا ونهارا قد أنفقه سرا وعلانية فعلم أن الدرهم الواحد يتصف بصفتين لايجب أن
يكون المراد أربعة لكن هذه التفاسير الباطلة يقول مثلها كثير من الجهال كما يقولون محمد
رسول الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا علىّ
يجعلون هذه الصفات لموصوفات متعددة ويعينون الموصوف فى هؤلاء الاربعة والآية صريحة
فى ابطال هذا وهذا فانها صريحة فى أن هذه الصفات كلها لقوم يتصفون بها كلها وانهم
كثيرون ليسوا واحدا ولاريب أن الاربعة أفضل هؤلاء وكل من الاربعة موصوف بذلك كله
وان كان بعض الصفات فى بعض أقوى منها فى آخر وأغرب من ذلك قول بعض جهال المفسرين
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين انهم الاربعة فان هذا مخالف العقل والنقل
لكن الله أقسم بالاماكن الثلاثة التى أنزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن وظهر
منها موسى وعيسى ومحمد كما قال فى التوراة جاء الله من طور سينا وأشرق من ساعير واستعلن
من جبال فاران فالتين والزيتون الارض التى بعث فيها المسيح وكثيرا ما تسمى الارض بما ينبت
فيها فيقال فلان خرج الى الكرم والى الزيتون والى الرمان ونحو ذلك ويراد الارض التى فيها ذلك
فان الارض تتناول ذلك فعبر عنها ببعضها وطور سينين حيث كلم الله موسى وهذا البلد الأمين
مكة أم القرى التى بعث بها محمدا صلى الله عليه وسلم والجاهل بمعنى الآية لتوهمه أن الذى
أنفقه سرا وعلانية غير الذى أنفقه بالليل والنهار يقول نزلت فيمن أنفق أربعة دراهم إما على

ولقائل أن يقول ان أردتم بالتغير
حلول الحوادث بذاته فقد اتحد
اللازم والملزوم وصار حاصل
المقدمة الشرطية لوقامت
الحوادث بذاته لقامت الحوادث
بذاته وهو غير مفيد ويكون القول
بأن التغير على الله بهذا الاعتبار
محال دعوى محل النزاع فلا يقبل
وان أردتم بالتغير معنى آخر وراء
قيام الحوادث بذات الله تعالى فهو
غير مسلم ولاسبيل الى اقامة الدلالة
عليه ۞ قلت لفظ التغير فى كلام
الناس المعروف هو يتضمن
استحالة الشئ كالانسان اذا
مرض يقال غيره المرض ويقال فى
الشمس اذا اصفرت تغيرت
والأطعمة اذا استحالت يقال لها
تغيرت قال تعالى فيها أنهار من ماء
غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
وأنهار من خمر لذة للشاربين فتغير
الطعم استحالته من الحلاوة الى
الحموضة ونحو ذلك ومنه قول
الفقهاء اذا وقعت النجاسة فى الماء
الكثير لم ينجس الا أن يتغير طعمه
أو لونه أو ريحه وقولهم اذا نجس
الماء بالتغير زال بزوال التغير ولا
يقولون ان الماء اذا جرى مع بقاء
صفاته انه تغير ولايقال عند
الاطلاق الفاكهة والطعام اذا
حول من مكان الى مكان انه تغير
ولايقال للانسان اذا مشى أو قام
أو قعد قد تغير اللهم الا مع قرينة
ولايقولون للشمس والكواكب

واما

وإما غيره ولهـذا قال الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانيـة لم يعطف بالواو فيقول وسرا وعلانيـة بل هذان داخلان فى الليـل والنهار سواء قيل هما منصوبان على المصدر لانهما نوعان من الانفاق أو قيـل على الحال فسواء قدر اسرا وإعلانا أو مسرا ومعلنا فتبـين أن الذى كذب هـذا كان جاهلا بدلالة القرآن والجهل فى الرافضة ليس بمنكر (الخامس) أنا لو قدرنا أن عليا فعل ذلك ونزلت فيه الآية فهل هنا الا انفاق أربعة دراهم فى أربعة أحوال وهذا عمل مفتوح بأنه ميسر الى يوم القيامة والعاملون بهـذا وأضعافه أكثر من أن يحصوا وما من أحد فيه خير الا ولا بد أن ينفق ان شاء الله تارة بالليـل وتارة بالنهـار وتارة فى السر وتارة فى العـلانية فليس هـذا من الخصائص فلا يدل على فضيلة ولا إمامة

(فصـــل) قال الرافضى البرهان الثامن والعشرون ما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال ليس من آية فى القرآن يا أيها الذين آمنوا الا وعلى رأسها وأميرها وشريفها وسيدها ولقد عاتب الله تعالى أصحاب محمد فى القرآن وما ذكر عليا الا بخير وهذا يدل على أنه أفضل فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبـة بصحة النقل وليس هذا فى مسند أحمد ولا مجرد روايته له لو رواه فى الفضائل يدل على أنه صدق فكيف ولم يروه أحمد لا فى المسند ولا فى الفضائل وانما هو من زيادات القطيـعى رواه عن ابراهيـم عن شريك الكوفى حـدثنا زكريا بن يحيى الكسائى حدثنا عيسى عن على بن بذيمة عن عكرمة عن ابن عباس ومثل هذا الاسناد لا يحتج به باتفاق أهل العـلم فان زكريا بن يحيى الكسائى قال فيه يحيى رجل سوء يحـدث بأحاديث يستأهل أن يحفر له بئر فيلقى فيها وقال الدارقطنى متروك وقال ابن عدى كان يحدث بأحاديث فى مثالب الصحابة (الثانى) أن هذا كذب على ابن عباس والمتواتر عنه أنه كان يفضل علـيه أبا بكر وعمر وله معايبات يعيب بها عليا ويأخذ عليه فى أشياء من أموره حتى انه لما حرق الزنادقة الذين ادعوا فيه الالهيـة قال لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى النبى صـلى الله عليه وسـلم أن يعذب بعـذاب الله ولضربت أعناقهم لقول النبى صـلى الله عليه وسـلم من بدل دينـه فاقتلوه رواه البخارى وغيـره ولما بلغ عليا ذلك قال ويح أم ابن عباس ومن الثابت عن ابن عباس أنه كان يفتى اذا لم يكن معـه نص بقول أبى بكر وعمر فهـذا اتباعه لابى بكر وعمر وهذه معارضته لعلى وقد ذكر غير واحـد منهم الزبير بن بكار مجاوبته لعلى لما أخذ ما أخذ من مال البصرة فأرسـل اليه رسالة فيها تغليظ عليه فأجاب عليا بجواب يتضمن أن ما فعلتـه دون ما فعلته من سفك دماء المسلمين على الامارة ونحو ذلك (الثـالث) أن هذا الـكلام ليس فيه مدح لعلى فان الله كثيرا ما يخاطب الناس بمثل هذا فى مقام عتاب كقوله تعـالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون فان كان على رأس هذه الآية فقد وقع منه هذا الفـعل الذى أنكره الله وذمه وقال تعـالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عـدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وثبت فى الصحاح أنها نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة لما كاتب المشركين بمكة فأرسـل النبى صلى الله عليه وسـلم عليا والزبير ليأتيا المرأة التى كان معها الكتاب وعلى كان بريئا من ذنب حاطب فكيف يجعل رأس المخاطبين الملامين على هـذا الذنب وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السـلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا وهـذه الآية نزلت فى الذين وجدوا رجـلا فى غنيمة له فقال انى مسلم فلم يصدقوه

اذا كانت ذاهبة من المشرق الى المغرب انها متغـيرة بل يقولون اذا اصـفر لون الشمس انها تغيرت ويقال وقت العصر ما لم يتغير لون الشمس ويقال قـد أمر أهـل الذمـة بلباس الغيار أى اللباس الذى يخـالف لون لباس المسلمين وتقول العرب تغايرت الاشياء اذا اختلفت والغيار البـدال قال الشاعر

فلا تحسبنى لكم كافرا
ولا تحسبنى أريد الغيارا

ويقولون نزل القوم يغيـرون أى يصلحون الرحال ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى بأبى قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة فقال غيروا الشيب وجنبوه السواد أى غيروا لونه الى لون آخر أحمر أو أصـفر وتقول العرب غـيرت الشئ فتغير غيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسـلم عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غـيره أى قرب تغـيره من الجدب الى الخصب وغار الرجـل على أهله يغار اذا حصل له غضب أحال صفته من حال الى حال وقال النبى صلى الله عليه وسـلم من رأى منكم منكرا فليغـيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يســتطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وقال ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منـه وتغيير المنكر تبديل صـفته حتى يزول المنكر بحسب الامكان وان

وأخذوا غنمه فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالتثبت والتبين ونهاهم عن تكذيب مدعي الاسلام طمعا في دنياه وعلي رضي الله عنه بريء من ذنب هؤلاء فكيف يقال هو رأسهم وأمثال هذا كثير في القرآن (الرابع) هو ممن شمله لفظ الخطاب وان لم يكن هو سبب الخطاب فلا ريب أن اللفظ يشمله كما شمل غيره وليس في لفظ الآية تفريق بين مؤمن ومؤمن (الخامس) أن قول القائل عن بعض الصحابة انه رأس الآيات وأميرها وشريفها وسيدها كلام لا حقيقة له فان أريد أنه أول من خوطب بها فليس كذلك فان الخطاب يتناول المخاطبين تناولا واحدا لا يتقدم بعضهم بما تناوله عن بعض وان قيل انه أول من عمل بها فليس كذلك فان في الآيات آيات قد عمل بها من قبل علي وفيها آيات لم يحتج علي أن يعمل بها وان قيل ان تناولها لغيره أو عمل غيره بها مشروط به كالامام في الجمعة فليس الأمر كذلك فان شمول الخطاب لبعضهم ليس مشروطا بشموله لآخرين ولا وجوب العمل على بعضهم مشروط على آخرين بوجوبه وان قيل انه أفضل من عني بها فهذا يبني على كونه أفضل الناس فان ثبت ذلك فلا حاجة الى الاستدلال بهذه الآية وان لم يثبت لم يجز الاستدلال بها فكان الاستدلال بها باطلا على التقديرين وغاية ما عندكم أن تذكروا أن ابن عباس كان يفضل عليا ومع هذا انه كذب على ابن عباس وخلاف المعلوم عنه فلو قدر أنه قال ذلك مع مخالفة جمهور الصحابة لم يكن حجة (السادس) أن قول القائل لقد عاتب الله أصحاب محمد في القرآن وما ذكر عليا الا بخير كذب معلوم فانه لا يعرف أن الله عاتب أبا بكر في القرآن بل ولا انه ساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بل روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في خطبته أيها الناس اعرفوا لابي بكر حقه فانه لم يسؤني يوما قط والثابت من الاحاديث الصحيحة يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتصر لابي بكر وينهى الناس عن معارضته ولم ينقل أنه ساءه كما نقل ذلك عن غيره فان عليا لما خطب بنت أبي جهل خطب النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة المعروفة وما حصل مثل هذا في حق أبي بكر قط وأيضا فعلي لم يكن يدخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في الامور العامة كما كان يدخل معه أبو بكر مثل المشاورة في ولايته وحروبه واعطائه وغير ذلك فان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم مثل الوزيرين له شاورهما في أسرى بدر ما يصنع بهم وشاورهما في وفد بني تميم لمن يولى عليهم وشاورهما في غير ذلك من الامور العامة يخصهما بالشورى وفي الصحيحين عن علي أن عمر لما مات قال له والله اني لأرجو أن يحشرك الله مع صاحبيك فاني كنت كثيرا ما أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر وذهبت أنا وأبو بكر وعمر وكان يشاور أبا بكر بأمور حروبه يخصه كما شاوره في قصة الافك وكما استشار أسامة بن زيد وكما سأل بريرة وهذا أمر يخصه فانه لما اشتبه عليه أمر عائشة رضي الله عنها وتردد هل يطلقها لما بلغه عنها أم يمسكها صار يسأل عنها بريرة لتخبره بباطن أمرها ويشاور فيها عليا أيمسكها أم يطلقها فقال له أسامة أهلك ولا نعلم الا خيرا وقال علي لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسأل الجارية تصدقك ومع هذا فنزل القرآن ببراءتها وامساكها موافقة لما أشار به أسامة بن زيد حب النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر يدخل في مثل هذه الشورى ويتكلم مع نسائه فيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم حتى قالت له أم سلمة يا عمر لقد دخلت في كل شيء حتى دخلت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه وأما الامور العامة الكلية التي تعم المسلمين اذا لم يكن فيها وحي خاص فكان

لم يكن الا بتغير الانسان في نفسه غضبا لله ولهذا لم يطلق على الصفة الملازمة للموصوف انها مغايرة له لانه لا يمكن أن يستحيل عنها ولا يزايل والغير والتغير من مادة واحدة فاذا تغير الشيء صار الثاني غيرا ما كان فما لم يزل على صفة واحدة لم يتغير ولا تكون صفاته مغايرة له والناس اذا قيل لهم التغير على الله ممتنع فهموا من ذلك الاستحالة والفساد مثل انقلاب صفات الكمال الى صفات نقص أو تفرق الذات ونحو ذلك مما يجب تنزيه الله عنه وأما كونه سبحانه يتصرف بقدرته فيخلق ويستوي ويفعل ما يشاء بنفسه ويتكلم اذا شاء ونحو هذا فهذا لا يسمونه تغيرا ولكن ألفاظ النفاة مبناها على ألفاظ مجملة موهمة كما قال الامام أحمد يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بما يشبهون عليهم حتى يتوهم الجاهل أنهم يعظمون الله وهم انما يقودون قولهم الى فرية على الله ومن أعجب الاشياء احتجاجهم بقصة ابراهيم الخليل وهم مع افترائهم فيها على التفسير واللغة انما هي حجة عليهم لا لهم كما قال بعضهم في قوله لا أحب الآفلين أي المتغيرين وربما قال غيره المتحركين أو المنتقلين وقال بعض المتفلسفة المتأخرين الممكنين وأراد بالممكن ما يتناول القديم الازلي الذي يمتنع عدمه

يشاورفيها أبا بكر وعمر وان دخل غيرهما فى الشورى لكن هما الاصل فى الشورى وكان عمر تارة ينزل القرآن بموافقته فيما يراه وتارة يتبين له الحق فى خلاف ما رآه فيرجع عنه وأما أبو بكر فلم يعرف أنه أنكر عليه شيأ ولا كان أيضا يتقدم فى شئ اللهم الا لما تنازع هو وعمر فيمن يولى من بنى تميم حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول الآية وليس تأذى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بأكثر من تأذيه فى قصة فاطمة وقد قال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله وقد أنزل الله تعالى فى على يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما صلى فقرأ وخلط وقال النبى صلى الله عليه وسلم وكان الانسان أكثر شئ جدلا لما قال له ولفاطمة ألا تصليان فقال انما أنفسنا بيد الله سبحانه وتعالى

(فصل) قال الرافضى البرهان التاسع والعشرون قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما من صحيح البخارى عن كعب بن عجرة قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله علمنا كيف نسلم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وفى صحيح مسلم قلنا يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ولا شك أن عليا أفضل آل محمد فيكون أولى بالامامة

(والجواب) أنه لا ريب أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وأن عليا من آل محمد الداخلين فى قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولكن ليس هذا من خصائصه فان جميع بنى هاشم داخلون فى هذا كالعباس وولده والحرث بن عبد المطلب وكبنات النبى صلى الله عليه وسلم زوجتى عثمان رقية وأم كلثوم وبنته فاطمة وكذلك أزواجه كما فى الصحيحين عنه قوله اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته بل يدخل فيه سائر أهل بيته الى يوم القيامة ويدخل فيه اخوة على كجعفر وعقيل ومعلوم أن دخول كل هؤلاء فى الصلاة والتسليم لا يدل على أنه أفضل من كل من لم يدخل فى ذلك ولا أنه يصلح بذلك للامامة فضلا عن أن يكون مختصا بها ألا ترى أن عمارا والمقداد وأبا ذر وغيرهم ممن اتفق أهل السنة والشيعة على فضلهم لا يدخلون فى الصلاة على الآل ويدخل فيه عقيل والعباس وبنوه وأولئك أفضل من هؤلاء باتفاق أهل السنة والشيعة وكذلك يدخل فيها عائشة وغيرها من أزواجه ولا تصلح امرأة للامامة وليست أفضل الناس باتفاق أهل السنة والشيعة فهذه فضيلة مشتركة بينه وبين غيره وليس كل من اتصف بها أفضل ممن لم يتصف بها وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم فالتابعون أفضل من القرن الثالث وتفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم تفضيل الافراد على كل فرد فان القرن الثالث والرابع فيهم من هو أفضل من كثير ممن أدرك الصحابة كالاشتر النخعى وأمثاله من رجال الفتن وكالمختار بن عبيد وأمثاله من الكذابين والمفترين والحجاج بن يوسف وأمثاله من أهل الظلم والشر وليس على أفضل أهل البيت بل أفضل أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه داخل فى أهل البيت كما قال للحسن أما علمت أنا أهل بيت لا تأكل الصدقة وهذا الكلام يتناول المتكلم ومن معه وكما قالت الملائكة رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وابراهيم فيهم وكما قال اللهم صل على محمد

وزعم بعضهم كالرازى فى تفسيره أن هذا قول المحققين وهؤلاء من أعظم الناس تحريفا للفظ الافول ولفظ الامكان فانهم وسائر العقلاء يسلمون أن الممكن الذى يقبل الوجود والعدم لا يكون الا ما كان معدوما فأما القديم الازلى الذى لم يزل فممتنع عندهم وعند سائر العقلاء أن يكون ممكنا يقبل الوجود والعدم ولكن يتناقضون تناقضا بينا فقالوا الفلك ممكن يقبل الوجود والعدم وهو مع ذلك قديم أزلى ثم استعمال لفظ الافول فى الممكن الذى يقبل الوجود والعدم من أعظم الكذب على اللغة والتفسير فان المخلوقات الموجودة كالشمس والقمر والكواكب والآدميين وغيرهم لا يسمون فى حال حضورهم آفلين وهؤلاء اجترؤا على ذلك لما جعلت الجهمية وأهل الكلام المحدث المتحرك آفلا فجعلوا كل متحرك آفلا وزعموا أن ابراهيم عليه السلام احتج بالحركة على امتناع كون المتحرك رب العالمين فلما قال هؤلاء هذا قال أولئك نحن نجعل كل ما سوى الرب آفلا فجعلوا السموات والارض وكل ما سواه آفلا وفسروا بذلك القرآن وهذا لا يعرف فى لغة العرب أن الأفول بمعنى التحرك والانتقال ولا بمعنى التغير الذى هو استحالة من صفة الى صفة دع ما هو من باب التصرف الذى لا تستحيل فيه الصفات

وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وابراهيم داخل فيهم وكما في قوله تعالى إلا آل لوط نجيناهم فان لوطا داخل فيهم وكذلك قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فقد دخل ابراهيم في الاصطفائية وكذلك قوله سلام على آل ياسين فقد دخل ياسين في السلام وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى دخل في ذلك أبو أوفى وكذلك قوله لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وليس اذا كان علي أفضل أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون أفضل الناس بعده لان بني هاشم أفضل من غيرهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وأما اذا اخرج منهم فلا يجب أن يكون أفضلهم بعده أفضل ممن سواهم كما أن التابعين اذا كانوا أفضل من تابعي التابعين وكان فيهم واحد أفضل لم يجب أن يكون الثاني أفضل من أفضل تابعي التابعين بل الجملة اذا فضلت على الجملة فكان أفضلها أفضل من الجملة الأخرى حصل مقصود التفضيل وأما بعد ذلك فوقوف على الدليل بل قد يقال لا يلزم أن يكون أفضلها أفضل من فاضل الأخرى الا بدليل وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فاذا كان جملة قريش أفضل من غيرها لم يلزم أن يكون كل منهم أفضل من غيرهم بل في سائر العرب وغيرهم من المؤمنين من هو أفضل من أكثر قريش والسابقون الاولون من قريش معدودون وغالبهم انما أسلموا عام الفتح وهم الطلقاء وليس كل المهاجرين من قريش بل المهاجرون من قريش وغيرهم كأبي مسعود الهذلي وعمران بن حصين الخزاعي والمقداد بن الاسود الكندي وهؤلاء وغيرهم من البدريين أفضل من أكثر بني هاشم فالسابقون من بني هاشم حمزة وعلي وجعفر وعبيدة بن الحرث أربعة أنفس وأهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر فيهم من بني هاشم ثلاثة وسائرهم أفضل من سائر بني هاشم وهذا كله بناء على أن الصلاة والسلام على آل محمد وأهل بيته تقتضي أن يكونوا أفضل من سائر أهل البيوت وهذا مذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون بنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل بني آدم وهذا هو المنقول عن أئمة السنة كما ذكره حرب الكرماني عمن لقيهم مثل أحمد واسحق وسعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وغيرهم وذهبت طائفة الى منع التفضيل بذلك كما ذكره القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى في المعتمد وغيرهما والاول أصح فانه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى هاشما من بني كنانة واصطفاني من بني هاشم وروي ان الله اصطفى بني اسمعيل وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

(فصل) قال الرافضي البرهان الثلاثون قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال علي وفاطمة بينهما برزخ لا يبغيان النبي صلى الله عليه وسلم وأول يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ولم يحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة فيكون أولى بالامامة

(والجواب) أن هذا وأمثاله انما يقوله من لا يعقل ما يقول وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن بل هو شر من كثير منه والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه ولجهال منتسبين الى السنة تفاسير في الاربعة وهي وان كانت

وابراهيم انما قال لا أحب الآفلين ردا لمن كان يتخذ كوكبا يعبده من دون الله كما يفعله أهل دعوة الكواكب كما كان قومه يفعلون ذلك لا ردا على من قال ان الكوكب هو رب العالمين فان هذا لم يقله أحد لكن قومه كانوا مشركين ولو كان ابراهيم مقصوده نفي كون الكوكب رب العالمين واحتج على ذلك بالأفول لكانت حجة عليهم لانه لما رأى الكوكب والقمر والشمس بازغة كانت متحركة من حين بزوغها الى حين غروبها وهو في تلك الحال لا ينفي عنها المحبة كما نفاها حين غابت فعلم بذلك أن ما ذكره من التغير والحركة والانتقال لم يناف مقصود ابراهيم عليه السلام وانما نافاه التغيب والاحتجاب فان كان مقصوده نفي كونه رب العالمين كان ذلك حجة عليهم لا لهم وكانوا قد حكوا عن ابراهيم أنه لم يجعل التغير والحركة والانتقال مانعة من كون الموصوف بذلك رب العالمين فما ذكروه لو صح كان حجة عليهم لا لهم وبكل حال فابراهيم لم يجعل الحركة والانتقال مانعة من حب المتصف بذلك كما جعل الافول مانعا فعلم أن ذلك ليس من صفات النقص التي تنافي كون المتصف بها معبودا عند ابراهيم (قال الآمدي) وأما المعتزلة فهم من قال المفهوم من قيام الصفة بالموصوف حصولها في الحيز تبعا

باطلة فهي أمثل من هذا كقولهم الصابرين محمد والصادقين أبو بكر والقانتين عمر والمنفقين عثمان والمستغفرين بالاسحار على وكقولهم محمد رسول الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا على وكقولهم والتين أبو بكر والزيتون عمر وطور سينين عثمان وهذا البلد الأمين على وكقولهم والعصر إن الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتوصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر على فهذه التفاسير من جنس تلك التفاسير وهي أمثل من الخادات الرافضة كقولهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين على وكقولهم وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم انه على بن أبي طالب والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية وأمثال هذا الكلام الذي لا يقوله من يؤمن بالله وكتابه وكذلك قول القائل مرج البحرين يلتقيان على وفاطمة بينهما برزخ لا يبغيان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وكل من له أدنى علم وعقل يعلم بالاضطرار بطلان هذا التفسير وأن ابن عباس لم يقله وهذا من التفسير الذي في تفسير الثعلبي وذكره باسناد رواته مجهولون لا يعرفون عن سفيان الثوري وهو كذب على سفيان قال الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الدينوري حدثنا موسى بن محمد بن على بن عبد الله قال قرأ الى أبي محمد بن الحسن بن علوية القطان من كتابه وأنا اسمع حدثنا بعض أصحابنا حدثنا رجل من أهل مصر يقال له طسم حدثنا أبو حذيفة عن أبيه عن سفيان الثوري في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال فاطمة وعلى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وهذا الاسناد ظلمات بعضها فوق بعض لا يثبت عنه شئ ومما يبين كذب ذلك وجوه (أحدها) ان هذا في سورة الرحمن وهي مكية باجماع المسلمين والحسن والحسين انما ولدا بالمدينة (الثاني) أن تسمية هذين بحرين وهذا لؤلؤا وهذا مرجانا وجعل النكاح مرجا أمر لا تحتمله لغة العرب بوجه لا حقيقة ولا مجازا بل كما أنه كذب على الله وعلى القرآن فهو كذب على اللغة (الثالث) أنه ليس في هذا شئ زائد على ما يوجد في سائر بني آدم (١) فان كل من تزوج امرأة وولد لهما ولدان فلا موجب للتخصيص وان كان ذلك لفضيلة الزوجين والولدين فابراهيم واسحق ويعقوب أفضل من على وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس أكرم فقال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك فقال يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن اسحق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله وآل ابراهيم الذين أمرنا أن نسأل لمحمد وأهل بيته من الصلاة مثل ما صلى الله عليهم ونحن وكل مسلم نعلم أن آل ابراهيم أفضل من آل على لكن محمد أفضل من ابراهيم ولهذا وردهنا سؤال مشهور وهو أنه اذا كان محمد أفضل فلم قيل كما صليت على ابراهيم والمشبه دون المشبه به وقد أجيب عن ذلك بأجوبة منها أن يقال ان آل ابراهيم فيهم الانبياء ومحمد فيهم قال ابن عباس محمد من آل ابراهيم فمجموع آل ابراهيم بمحمد أفضل من آل محمد ومحمد قد دخل في الصلاة على آل ابراهيم ثم طلبنا له من الله ولاهل بيته مثل ما صلى على آل ابراهيم فيأخذ أهل بيته ما يليق بهم ويبقى سائر ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون قد طلب له من الصلاة ما جعل للانبياء من آل ابراهيم والذي يأخذه الفاضل من أهل بيته دونه لا يكون مثل ما يحصل لنبي فتعظم الصلاة عليه بهذا الاعتبار صلى الله عليه وسلم وقيل ان التشبيه في الاصل لا في القدر (الرابع) أن الله ذكر أنه مرج البحرين في آية أخرى فقال في الفرقان وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج فلو

لحصول محلها فيه والباري ليس بمتحيز فلا تقوم بذاته الصفة ومنهم من قال الجوهر انما صح قيام الصفات به لكونه متحيزا ولهذا فان الاعراض لما لم تكن متحيزة لم يصح قيام المعاني بها والباري ليس بمتحيز فلا يكون محلا للصفات قال وهذه الشبهة تدل على انتفاء الصفة عن الله تعالى مطلقا قديمة كانت أو حادثة وهي ضعيفة جدا أما الشبهة الاولى فلقائل أن يقول لا نسلم أنه لا معنى لقيام الصفة بالموصوف الا ما ذكروه بل معنى قيام الصفة بالموصوف تقوم الصفة بالموصوف في الوجود وعلى هذا فلا يلزم أن يكون المعلول قائما بالعلة لكونه متقوما بها في الوجود اذ ليس المعلول صفة ولا العلة موصوفة به وأما الشبهة الثانية فلقائل أن يقول لا نسلم أن قيام الصفات بالجوهر لكونه متحيزا بل أمكن أن يكون ذلك لمعنى مشترك بينه وبين الباري تعالى وان كان ذلك لكونه متحيزا فلا يلزم من انتفاء الدليل في حق الله تعالى انتفاء المدلول كما تقدم تحقيقه وقد أمكن أن يكون ذلك لمعنى اختص به الباري تعالى

(١) قوله فان كل من تزوج امرأة الخ كذلك في النسخة وفيه سقط ظاهر ولعله داخل في ذلك فلا الخ وحرر كتبه مصححه

أراد بذلك عليا وفاطمة لكان ذلك ذما لأحدهما باجماع أهل السنة والشيعة (الخامس) أنه قال بينهما برزخ لا يبغيان فلو أريد بذلك علي وفاطمة لكان البرزخ الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم بزعمهم أو غيره هو المانع لاحدهما أن يبغي على الآخر وهذا بالذم أشبه منه بالمدح (السادس) أن أئمة التفسير متفقون على خلاف هذا كما ذكره ابن جرير وغيره فقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام وقال الحسن مرج البحرين يعني بحر فارس والروم بينهما برزخ هو الجزائر وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال الزجاج من البحر الملح وانما جمعهما لانه اذا اخرج من أحدهما فقد خرج منهما مثل وجعل القمر فيهن نورا وقال الفارسي أراد من أحدهما فحذف المضاف وقال ابن جرير انما قال منهما لانه يخرج من أصداف البحر عن قطر السماء وأما اللؤلؤ والمرجان ففيهما قولان أحدهما أن المرجان ما صغر من اللؤلؤ واللؤلؤ العظام قاله الأكثرون منهم ابن عباس وقتادة والفراء والضحاك وقال الزجاج اللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخرج من البحر والمرجان صغاره الثاني أن اللؤلؤ الصغار والمرجان الكبار قاله مجاهد والسدي ومقاتل قال ابن عباس اذا أمطرت السماء فتحت الاصداف أفواهها فما وقع فيها من المطر فهو لؤلؤ وقال ابن جريج حيث وقعت قطرة كانت لؤلؤة وقال ابن مسعود المرجان الخرز الاحمر وقال الزجاج المرجان أبيض شديد البياض وحكي عن أبي يعلى أن المرجان ضرب من اللؤلؤ كالقضبان والله أعلم

(فصل) قال الرافضي البرهان الحادي والثلاثون قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب من طريق أبي نعيم عن ابن الحنفية قال هو علي بن أبي طالب وفي تفسير الثعلبي عن عبد الله بن سلام قال قلت من هذا الذي عنده علم الكتاب قال ذلك علي بن أبي طالب وهذا يدل على أنه أفضل فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل عن ابن سلام وابن الحنفية (الثاني) انه بتقدير ثبوته ليس بحجة مع مخالفة الجمهور لهما (الثالث) ان هذا كذب عليهما (الرابع) أن هذا باطل قطعا وذلك أن الله تعالى قال قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ولو أريد به علي لكان المراد أن محمدا يستشهد على ما قاله بابن عمه علي ومعلوم ان عليا لو شهد له بالنبوة وبكل ما قال لم ينتفع محمد بشهادته له ولا يكون ذلك حجة له على الناس ولا يحصل بذلك دليل المستدل ولا ينقاد بذلك أحد لانهم يقولون من أين لعلي ذلك وانما هو استفاد ذلك من محمد فيكون محمد هو الشاهد لنفسه ومنها أن يقال ان هذا ابن عمه ومن أول من آمن به فيظن به المحاباة والمداهنة والشاهد ان لم يكن عالما بما يشهد به بريئا من التهمة لم يحكم بشهادته ولم يكن حجة على المشهود عليه فكيف اذا لم يكن له علم بها الا من المشهود له ومعلوم أنه لو شهد له بتصديقه فيما قاله أبو بكر وعمر وغيرهما كان أنفع له لأن هؤلاء أبعد عن التهمة ولأن هؤلاء قد يقال انهم كانوا رجالا وقد سمعوا من أهل الكتاب ومن الكهان أشياء علموها من غير جهة محمد بخلاف علي فانه كان صغيرا فكان الخصوم يقولون لا يعلم ما شهد به الا من جهة المشهود له وأما أهل الكتاب فاذا شهدوا بما تواتر عندهم عن الانبياء وبما علم صدقه كانت تلك شهادة نافعة كما لو كان الانبياء موجودين وشهدوا له لان ما ثبت نقله عنهم بالتواتر وغيره كان بمنزلة شهادتهم أنفسهم ولهذا نحن نشهد على الامم بما علمناه من جهة نبينا كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فهذا الجاهل

ولا يمتنع تعليل الحكم الواحد بعلتين في صورتين * قلت أما الحجة الاولى فيقال قيام الصفة بالموصوف معروف يتصور بالبديهة وهو أوضح مما حدوه به حيث قالوا ان ذلك هو حصول الصفة في الحيز تبعا لحصول محلها فيه فان الناس يفهمون قيام اللون والطعم والريح بالموصوف بذلك وان لم يخطر بقلوبهم هذا الحصول فان ادعى مدع أن كل موصوف متحيز وأن قيام الصفة بدون التحيز ممتنع فيقال من الناس من ينازعك في هذا ومنهم من يوافقك عليه والموافقون لك منهم من يقول كل قائم بنفسه متحيز ولا أعلم قائما بنفسه الا المتحيز ومنهم من يقول بل أعلم قائما بنفسه غير المتحيز فقولك لا يصح الا اذا ثبت لك أن كل موصوف متحيز وثبت لك وجود موجود ليس بمتحيز حتى يستلزم ثبوت موجود ليس بموصوف وجمهور الخلق ينكرون هذه الدعوى بل يقولون اثبات موجود لا يوصف بشئ من الصفات بل هو ذات مجردة كاثبات وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص وهذا كله ممتنع لمن تصوره بضرورة العقل ويقولون هذا انما يعقل تصوره في الاذهان لا في الاعيان والذهن يقدر فيه الممتنعات كالجمع بين الضدين والنقيضين والجواب المركب أن يقال ما تعني بقولك

الذى جعل هذا فضيلة لعلى قدح بها فيه وفى النبى الذى صار به على من المؤمنين وفى الدلالة الدالة
على الاسلام ولا يقول هذا الا زنديق أو جاهل مفرط فى الجهل

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

(الخامس) ان الله سبحانه وتعالى قد ذكر الاستشهاد بأهل الكتاب فى غير آية كقوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله افترى علماؤه من بنى اسرائيل وقال تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فهل كان على من الذين يقرؤن الكتاب من قبله وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر فأهل الذكر الذين يسألونهم هل أرسل الله اليهم رجالا هم على بن أبى طالب
(السادس) أنه لو قدر أن عليا هو الشاهد لم يلزم أن يكون أفضل من غيره كما أن أهل الكتاب الذين يشهدون بذلك مثل عبد الله بن سلام وسلمان وكعب الاحبار وغيرهم ليسوا أفضل من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجعفر وغيرهم

﴿فصل﴾ قال الرافضى البرهان الثانى والثلاثون قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه روى أبو نعيم مرفوعا الى ابن عباس قال أول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم عليه السلام بخلته من الله ومحمد صلى الله عليه وسلم لانه صفوة الله ثم على يزف بينهما الى الجنان ثم قرأ ابن عباس يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه قال على وأصحابه وهذا يدل على أنه أفضل من غيره فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل لا سيما فى مثل هذا الذى لا أصل له (الثانى) أن هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث (الثالث) أن هذا باطل قطعا لان هذا يقتضى أن يكون على أفضل من ابراهيم ومحمد لانه وسط وهما طرفان وأفضل الخلق ابراهيم ومحمد فمن فضل عليهما عليا كان أكفر من اليهود والنصارى (الرابع) أنه قد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وليس فيه ذكر محمد ولا على وتقديم ابراهيم بالكسوة لا يقتضى أنه أفضل من محمد مطلقا كما أن قوله ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بالعرش فلا أدرى هل استفاق قبلى أم كان من الذين استثنى الله فيجوز أن يكون سبقه فى الافاقة أو لم يصعق بحال لا يمنعنا أن نعلم أن محمدا أفضل من موسى ولكن اذا كان التفضيل على وجه الغض من المفضول فى النقص له نهى عن ذلك كما نهى فى هذا الحديث عن تفضيله على موسى وكما قال لمن قال يا خير البرية قال ذلك ابراهيم وصح قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر وكذلك الكلام فى تفضيل الصحابة يتقى فيه نقص أحد عن رتبته أو النقص عن درجته أو دخول الهوى والفرية فى ذلك كما فعلت الرافضة والنواصب الذين يبخسون بعض الصحابة حقوقهم (الخامس) أن قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم نص عام فى المؤمنين الذين مع النبى صلى الله عليه وسلم وسياق الكلام يدل على عمومه والآثار المروية فى ذلك تدل على عمومه قال ابن عباس ليس أحد من المسلمين الا يعطى نورا يوم القيامة فأما المنافق فيطفأ نوره والمؤمن يشفق مما يرى من اطفاء نور المنافق فهو يقول ربنا أتمم لنا نورنا

متحيزا أتعنى به ما كان له حيز موجود يحيط به أم تعنى به ما يقدر المقدر له حيزا عدميا أو ما كان متحازا عن غيره فان عنيت الاول كان باطلا متناقضا فان الاجسام ان كانت متناهية لم تكن فى حيز وجودى فانها اذا كانت متناهية لو كانت فى حيز وجودى لزم أن يكون الجسم فى جسم آخر الى ما لا يتناهى ولزم وجود أبعاد لا تتناهى وان كانت غير متناهية امتنع كون ما لا يتناهى فى حيز وجودى لان ذلك الحيز هو أيضا داخل فيما لا يتناهى فهذا جواب برهانى والجواب الالزامى أن قولك كل موصوف يحيط به حيز وجودى يستلزم وجود أجسام لا تتناهى وهذا باطل عندك فان العالم متحيز موصوف وليس فى حيز وجودى وان قلت أعنى به أمرا عدميا قيل لك العدم لا شئ وما جعل فى لا شئ لم يجعل فى شئ فكأنك قلت المتحيز ليس فى غيره وحينئذ فلا نسلم لك امتناع كون الرب متحيزا بهذا الاعتبار وكذلك ان فسرته بالمتحاز المباين لغيره كان نفى اللازم ممتنعا فان قلت قد قام الدليل على حدوث ما كان كذلك لان ما كان كذلك لم يخل من الحوادث والاعراض أو كان مختصا بقدر أو صفة أو تميز منه شئ عن شئ وهذا تركيب عاد الكلام الى هذه المواد الثلاثة وقد علم أنها مادة الكلام الباطل وقد

فالعموم فى ذلك يعلم قطعا او يقينا وانه لم يرد به شخص واحد فكيف يجوز أن يقال انه على وحده ولو أن قائلا قال فى كل ما جعلوه عليا انه أبو بكر أو عمر أو عثمان أى فرق كان بين هؤلاء وهؤلاء إلا محض الدعوى والافتراء بل يمكن ذكر شبه لمن يدعى اختصاص ذلك بأبى بكر وعمر أعظم من شبه الرافضة التى تدعى اختصاص ذلك بعلى وحينئذ فدخول على فى هذه الآية كدخول الثلاثة بل هم أحق بالدخول فيها فلم يثبت بها أفضليته ولا امامته

(فصـــل) قال الرافضى البرهان الثالث والثلاثون قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية روى الحافظ أبو نعيم باسناده الى ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين و يأتى خصماؤك غضابا مقحمين واذا كان خير البرية وجب أن يكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل وان كنا غير مرتابين فى كذب ذلك لكن مطالبة المدعى بصحة النقل لا يأباه الا معاند ومجرد رواية أبى نعيم ليست بحجة باتفاق طوائف المسلمين (الثانى) ان هذا مما هو كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالمنقولات (الثالث) أن يقال هذا معارض بمن يقول ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم النواصب كالخوارج وغيرهم و يقولون ان من تولاه فهو كافر مرتد فلا يدخل فى الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يحتجون على ذلك بقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قالوا ومن حكم الرجال فى دين الله فقد حكم بغير ما أنزل الله فيكون كافرا ومن تولى الكفار فهو كافر لقوله ومن يتولهم وقالوا انه هو وعثمان ومن تولاهما مرتدون بقول النبى صلى الله عليه وسلم ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال فأقول أى رب أصحابى أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم قالوا وهم الذين حكموا فى دماء المسلمين وأموالهم بغير ما أنزل الله واحتجوا بقوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض قالوا والذين ضرب بعضهم رقاب بعض رجعوا بعده كفارا فهذا وأمثاله من حجج الخوارج وهو وان كان باطلا بلا ريب فحجج الرافضة أبطل منه والخوارج أعقل وأصدق وأتبع للحق من الرافضة فانهم صادقون لا يكذبون أهل دين ظاهرا وباطنا لكنهم ضالون جاهلون مارقون مرقوا من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وأما الرافضة فالجهل والهوى والكذب غالب عليهم وكثير من أئمتهم وعامتهم زنادقة ملاحدة ليس لهم غرض فى العلم ولا فى الدين بل ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى والمروانية الذين قاتلوا عليا وان كانوا لا يكفرونه فحججهم أقوى من حجج الرافضة وقد صنف الجاحظ كتابا للمروانية ذكر فيه من الحجج التى لهم ما لا يمكن الرافضة نقضه بل لا يمكن الزيدية نقضه دع الرافضة وأهل السنة والجماعة لما كانوا مقتصدين متوسطين صارت الشيعة تنتصر بهم فيما يقولونه فى حق على من الحق ولكن أهل السنة قالوا ذلك بأدلة تثبت بها فضل الاربعة وغيرهم من الصحابة ليس مع أهل السنة ولا غيرهم حجة تخص عليا بالمدح وغيره بالقدح وان هذا ممتنع لا ينال الا بالكذب المحال لا بالحق المقبول فى ميدان النظر والجدال (الوجه الرابع) أن يقال قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات عام فى كل من اتصف فما الذى أوجب تخصيصه بالشيعة فان قلت لان من سواهم كافر قيل ان ثبت كفر من سواهم بدليل كان ذلك مغنيا لكم عن هذا التطويل وان لم يثبت لم ينفعكم هذا الدليل فانه من جهة النقل لا يثبت فان أمكن اثباته بدليل منفصل فذاك هو

بين فساد ذلك بوجوه وحينئذ فلا يمكنك نفى شئ من موارد النزاع الا بنفى ذلك فيعود الكلام الى نفى ذلك

* وأما الحجة الثانية فقول القائل ان الجوهر انما صح قيام الصفة به لكونه متحيزا فيقال أولا لا نسلم أن قيام الصفة بمحلها يحتاج الى علة أعم من المحل بل كل صفة لازمة لمحلها وهى محتاجة الى ذلك المحل المعين لمعنى يخص ذلك المعين لا يعلل كونها فيه بأعم منه لان العلة اذا كانت أعم من المعلول كانت منتقضة وان قيل نحن نعلل جنس قيام الصفات بجنس التحيز قيل وجنس قيام الصفات لا يحتاج الى غير محل يقوم به وان لم يخطر بالقلب كونه متحيزا وان قيل ان التحيز لازم للمحل الذى تقوم به الصفات قيل وقيام الموصوف بنفسه لازم أيضا وغير ذلك ثم الكلام فى التحيز على ما تقدم وبالجملة فهذا كلام فى جنس الصفات لا فى خصوص الحوادث ولا ريب أن نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة كلامهم فى الموضعين وفساد أصولهم مبين فى غير هذا الموضع (قال الآمدى) والمعتمد فى المسئلة حجتان تقريرية والزامية أما التقريرية فهو أن يقال لو جاز قيام الصفات الحادثة بذات الرب تعالى فاما أن يوجب نقصا فى ذاته أو فى صفة من صفاته أو لا يوجب شيأ من ذلك فان كان الاول فهو محال باتفاق العقلاء

الذى يعتمد عليه لاهذه الآية (الوجه الخامس) أن يقال من المعلوم المتواتر أن ابن عباس كان يوالى غير شيعة على أكثر مما يوالى كثيرا من الشيعة حتى الخوارج كان يجالسهم و يفتيهم و يناظرهم فلو اعتقد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الشيعة فقط وأن من سواهم كفار لم يعمل مثل هذا وكذلك بنو أمية كانت معاملة ابن عباس وغيره لهم من أظهر الاشياء دليلا على أنهم مؤمنون عنده لا كفار فان قيل نحن لا نكفر من سوى الشيعة لكن نقول هم خير البرية قيل الآية تدل على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية فان قلتم ان من سواهم لا يدخل فى ذلك فاما أن تقولوا هو كافر أو فاسق بحيث لا يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وان دخل اسمهم فى الايمان والا فمن كان مؤمنا ليس بفاسق فهو داخل فى الذين آمنوا وعملوا الصالحات فان قلتم هو فاسق قيل لكم ان ثبت فسقهم كفاكم ذلك فى الحجة وان لم يثبت لم ينفعكم ذلك فى الاستدلال وما تذكرونه بطائفة من الطوائف الا وتلك الطائفة تبين لكم أنكم أولى بالفسق منهم من وجوه كثيرة وليس لكم حجة صحيحة تدفعون بها هذا والفسق غالب عليكم لكثرة الفسق فيكم والفواحش والظلم فان ذلك أكثر فيكم منه فى الخوارج وغيرهم من خصومكم وأتباع بنى أمية كانوا أقل ظلما وكذبا وفواحش ممن دخل فى الشيعة بكثير وان كان فى بعض الشيعة صدق ودين و زهد فهذا فى سائر الطوائف أكثر منهم ولو لم يكن الا الخوارج الذين قيل فيهم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم (الوجه السادس) انه قال قبل ذلك ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ثم قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وهذا يبين أن هؤلاء من سوى المشركين وأهل الكتاب وفى القرآن مواضع كثيرة ذكر فيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكلها عامة فما الموجب لتخصيص هذه الآية دون نظائرها واما دعوى الرافضة أو غيرهم من أهل الاهواء الكفر فى كثير ممن سواهم كالخوارج وكثير من المعتزلة والجهمية أنهم هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من سواهم كقول اليهود والنصارى ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وهذا عام فى كل من عمل لله بما أمره الله فالعمل الصالح هو المأمور به واسلام وجهه لله اخلاص وجهه

(فصل) قال الرافضى البرهان الرابع والثلاثون قوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فى تفسير الثعلبى عن ابن سيرين قال نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب زوج فاطمة عليا وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ولم يثبت لغيره ذلك فكان أفضل فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه (أولا) المطالبة بصحة النقل (وثانيا) أن هذا كذب على ابن سيرين بلا شك (وثالثا) أن مجرد قول ابن سيرين الذى خالفه فيه الناس ليس بحجة (الرابع) أن يقال هذه الآية فى سورة الفرقان وهى مكية وهذا من الآيات المكية باتفاق الناس قبل أن يتزوج على بفاطمة فكيف يكون ذلك قد أريد به على وفاطمة (الخامس) أن الآية مطلقة فى كل نسب وصهر لا اختصاص لها بشخص دون شخص فلا ريب أنها تتناول مصاهرته لعلى كما تتناول مصاهرته لعثمان مرتين و كما تتناول مصاهرة أبى بكر وعمر للنبى صلى الله عليه وسلم فان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر من أبويهما

وأهل الملل وان كان الثانى فاما أن تكون فى نفسها صفة كمال أولا صفة كمال لا جائز أن يقال بالاول والا كان الرب تعالى ناقصا قبل اتصافه بها وهو محال أيضا بالاتفاق ولا جائز أن يقال بالثانى لوجهين اتفاق الامة وأهل الملل قبل الكرامية على امتناع اتصاف الرب بغير صفات الكمال ونعوت الجلال والثانى أن وجود كل شئ أشرف من عدمه فوجود الصفة فى نفسها أشرف من عدمها فاذا كان اتصاف الرب بها لا يوجب نقصا فى ذاته ولا فى صفة من صفاته على ما وقع به الفرض فاتصافه اذا بما هو فى نفسه كمال لاعدم كمال ولو كان كذلك لكان ناقصا قبل اتصافه بها وهو محال كما سبق قلت فهذه عمدته وهو من أفضل هؤلاء المتأخرين وهى من أضعف الحجج كما قد بسط فى غير هذا الموضع وبيان ذلك من وجوه أحدها أن عمدته فى ذلك على مقدمة زعم أنها اجماعية فلا تكون المسئلة عقلية ولا ثابتة بنص بل بالاجماع المدعى ومثل هذا الاجماع عنده من الادلة الظنية فكيف يصلح أن يثبت بها مثل هذا الاصل واذا كانت هذه المسئلة مبنية على مقدمة اجماعية لم يمكن العلم بها قبل العلم بالسمع لان الاجماع دليل سمعى وهم بنوا عليها كون القرآن غير مخلوق قالوا لانه لو خلقه فى ذاته لكان محلا للحوادث

وزوج عثمان برقيـة وأم كلثوم بنتيـه وزوج عليا بفاطمة والمصاهرة ثابتة بينه وبين الاربعة وروى عنـه أنه قال لو كانت عندنا ثالثة لزوجناها عثمان وحينئذ فتكون المصاهرة مشتركة بين علي وغيره فليست من خصائصه فضـلا عن أن توجب أفضليته وامامته عليهم (السادس) أنه لوفرض أنه أريد بذلك مصاهرة على فمجرد المصاهرة لاتدل على أنه أفضل من غيره باتفاق أهل السنة والشيعة فان المصاهرة ثابتة لكل من الاربعة مع أن بعضهم أفضل من بعض فلو كانت المصاهرة توجب الافضلية للزم التناقض

(فصـل) قال الرافضى البرهان الخامس والثلاثون قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أوجب الله علينا الكون مع المعـلوم منهـم الصدق وليس الا المعصوم لتجويز الكذب فى غيره فيكون هو عليا اذ لامعصوم من الاربعة سواه وفى حديث أبى نعيم عن ابن عباس أنها نزلت فى على

(والجواب) من وجوه أحدها أن الصديق مبالغة فى الصادق فكل صديق صادق وليس كل صادق صـديقا وأبو بكر رضى الله عنه قد ثبت أنه صديق بالادلة الكثيرة فيجب أن تتناوله الآية قطعا وأن نكون معـه بل تناولها له أولى من تناولها لغـيره من الصحابة واذا كنا معـه مقرين بخلافته امتنع أن نقر بأن عليا كان هو الامام دونه فالآية تدل على نقيض مطلوبهـم (الثانى) أن يقـال على اما أن يكون صـديقا واما أن لايكون فان لم يكن صـديقا فأبو بكر الصـديق فالكون مع الصادق الصـديق أولى من الكون مع الصادق الذى ليس بصـديق وان كان صـديقا فعمر وعثمان أيضا صـديقون وحينئذ فاذا كان الاربعة صـديقين لم يكن على مختصا بذلك ولا بكونه صادقا فلا يتعـين الكون مع واحـد دون الثلاثة بل لو قدرنا التعارض لكان الثلاثة أولى من الواحد فانهم أكثر عدد الاسماء وهم أكمل فى الصـدق (الثالث) أن يقال هـذه الآية نزلت فى قصة كعب بن مالك لما تخلف عن غزوة تبوك وصدق النبى صلى الله عليه وسـلم فى أنه لم يكن له عذر وتاب الله عليه ببركة الصدق وكان جماعة أشاروا عليه بأن يعتذر و يكذب كما اعتـذر غيره من المنافقين وكذبوا وهـذا ثابت فى الصحاح والمساند وكتب التفسير والسـير والناس متفقون عليـه ومعـلوم أنه لم يكن لعلى اختصاص فى هذه القصـة بل قال كعب بن مالك فقام الى طلحة يهرول فعانقنى والله ماقام الى من المهاجرين غـيره فكان كعب لاينساها لطلحة واذا كان كذلك بطل حملها على على وحده (الوجه الرابع) أن هذه الآية نزلت فى هذه القصة ولم يكن أحد يقال انه معصوم لاعلى ولاغـيره فعلم أن الله أراد مع الصادقين ولم يشترط كونه معصوما (الخامس) انه قال مع الصادقين وهـذه صيغة جمع وعلى واحد فلا يكون هو المراد وحـده (السادس) أن قوله مع الصادقين اما أن يراد كونوا معهـم فى الصدق وتوابعه فاصدقوا كما يصدق الصادقون ولا تكونوا مع الكاذبين كما فى قوله واركعوا مع الراكعين وقوله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحـين وكما فى قوله فأولئك مع المؤمنـين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما واما أن يراد به كونوا مع الصادقين فى كل شئ وان لم يتعلق بالصـدق والثانى باطل فان الانسان لا يجب عليـه أن يكون مع الصادقين فى المباحات كالأكل والشرب واللباس ونحو ذلك فاذا كان الاول هو الصحيح فليس هذا أمرا بالكون مع شخص معـين بل المقصود اصدقوا اصدقوا ولاتكذبوا كما قال النبى صـلى الله عليه وسـلم فى الحديث الصحيح عليكم بالصـدق فان الصدق يهدى الى البر والبر

وحينئذ فقبـل العلم بهذا الاجماع يمكن تقـدير قيام كل أمر حادث بذاته وارادات حادثة بذاته وغـير ذلك فلا يكون شئ من هذه المسائل من المسائل العقلية واذا لم تكن من العقليـة لم تكن من العقليات التى يتوقف صحـة السمع عليها بطريق الاولى وحينئذ فلا يجوز معارضة نصوص الكتاب والسـنة بها ويقال قد عارض الظواهر العقليـة قواطع عقليـة فليس هنا عقلى لاقاطع ولاغير قاطع بل غاية ما هنا دعوى المدعى للاجماع وهؤلاء اذا احتج عليهـم المحتج فى اثبات الاستواء والنزول والمجئ والاتيان وغير ذلك بنصوص الكتاب والسنة ادعوا أن هذه المسائل لا يحتج فيها بالسمع وأن الادلة السمعية قـد عارضها العقل فاذا اعـترفوا بأنه لم يعارضها الا ما ادعوه من الدليـل المبنى على مقدمـة زعموا أنها معلومـة بالاجماع كان عليهم أن يسمعوا من الادلة السمعـية ماهو أقوى من هذا ويذكروا من الاجماعات ماهو أبين من هذا الاجماع لاسيما والادلة السمعية المثبتة للصـفات الخـبرية ولقـيام الحوادث به اضعاف أضـعـاف مايدل على كون الاجماع حجة من السمع وهى أقـوى دلالة فاذا كانت الادلة السمعية المثبتة لهـذه الصـفات أقوى مما يدل على كون الاجماع حجة امتنع أن تعارض هذه النصوص

يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وهذا كما يقال كن مع المؤمنين كن مع الابرار أى ادخل فى هذا الوصف وجامعهم عليه ليس المراد أنك مأمور بطاعتهم فى كل شئ (الوجه السابع) أن يقال اذا أريد كونوا مع الصادقين مطلقا فذلك لان الصدق مستلزم لسائر البر لقول النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر الحديث وحينئذ فهذا وصف ثابت لكل من اتصف به (الثامن) أن يقال ان الله أمرنا أن نكون مع الصادقين ولم يقل مع المعلوم فيهم الصدق كما أنه قال وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله لم يقل من علمتم أنهم ذو و عدل منكم وكما قال ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها لم يقل الى من علمتم أنهم أهلها وكما قال واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل لم يقل بما علمتم أنه عدل لكن علق الحكم بالوصف ونحن علينا الاجتهاد بحسب الامكان فى معرفة الصدق والعدالة وأهل الامانة والعدل ولسنا مكلفين فى ذلك بعلم الغيب كما أن النبى صلى الله عليه وسلم المأمور أن يحكم بالعدل قال انكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيأ فلا يأخذه فانما أقطع له من النار (الوجه التاسع) هب أن المراد مع المعلوم فيهم الصدق لكن العلم كالعلم فى قوله فان علمتموهن مؤمنات والايمان أخفى من الصدق فاذا كان العلم المشروط هناك يمتنع أن يقال فيه ليس الا العلم بالمعصوم كذلك هنا يمتنع أن يقال لا يعلم الاصدق المعصوم (الوجه العاشر) هب أن المراد علم ما صدقه لكن يقال ان أبا بكر وعمر وعثمان ونحوهم ممن علم صدقهم وأنهم لا يتعمدون الكذب وان جاز عليهم الخطأ أو بعض الذنوب فان الكذب أعظم ولهذا ترد شهادة الشاهد بالكذبة الواحدة فى أحد قولى العلماء وهو احدى الروايتين عن أحمد وقد روى فى ذلك حديث مرسل ونحن قد نعلم يقينا أن هؤلاء لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ولا يتعمدون الكذب بحال ولا نسلم أنا لا نعلم انتفاء الكذب الا عمن نعلم أنه معصوم مطلقا بل كثير من الناس اذا اختبرته تيقنت أنه لا يكذب وان كان يخطئ ويذنب ذنوبا أخرى ولا نسلم أن كل من ليس بمعصوم يجوز أن يتعمد الكذب وهذا خلاف الواقع فان الكذب لا يتعمده الا من هو من شر الناس وهؤلاء الصحابة لم يكن فيهم من يتعمد الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم وأهل العلم يعلمون بالاضطرار أن مثل مالك وشعبة ويحيى بن سعيد والثورى والشافعى وأحمد ونحوهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم بل ولا على غيره فكيف بابن عمر وابن عباس وأبى سعيد وغيرهم (الوجه الحادى عشر) أنه لو قدر أن المراد به المعصوم لا نسلم الاجماع على انتفاء العصمة عن غير على كما تقدم بيان ذلك فان كثيرا من الناس الذين هم خير من الرافضة يدعون فى شيوخهم هذا المعنى وان غير واعبارته وأيضا فنحن لا نسلم انتفاء عصمتهم مع ثبوت عصمته بل اما انتفاء الجميع واما ثبوت الجميع

(فصل) قال الرافضى البرهان السادس والثلاثون قوله تعالى واركعوا مع الراكعين من طريق أبى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خاصة وهما أول من صلى وركع وهذا يدل على فضيلته فيدل على امامته

(والجواب) من وجوه أحدها أنا لا نسلم صحة هذا ولم يذكر دليلا على صحته (الثانى) أن

بنصوص الاجماع فضلا عن نفس الاجماع فضلا عما هو مبنى على مقدمة مبنية على الاجماع لو كان البناء حقا فكيف اذا كان باطلا الوجه الثانى أن يقال هذا الاجماع لم ينقل بهذا اللفظ عن السلف والأئمة لكن لعلمنا بعظمة الله فى قلوبهم نعلم أنهم كانوا ينزهونه عن النقائص والعيوب وهذا كلام مجمل فكل من رأى شيأ عيبا أو نقصا نزه الله عنه بلا ريب وان كان من هؤلاء الجهمية الاتحادية من يقول انه موصوف بكل النقائص والعيوب كما هو موصوف عنده بكل المدائح اذ لا موجود عنده الا هو فله جميع النعوت محمودها ومذمومها وهذا القائل يدعى أن هذا غاية الكمال المطلق كما قال ابن عربى وغيره العلى لذاته هو الذى يكون له الكمال المطلق الذى يتضمن جميع الامور الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عقلا وشرعا وعرفا أو مذمومة عقلا وشرعا وعرفا وليس ذلك الا المسمى الله خاصة وجمهور العقلاء الذين يتصورون هذا القول يقولون هذا معلوم الفساد بالحس والضرورة كما هو كفر باتفاق أهل الملل ومن المعلوم أن كل متنازعين فى هذا الباب فان أحدهما يزعم أنه وصف الحق تعالى بصفة نقص لكن منازعه لا يسلم له ذلك فاذا قال أنت وافقتنى على تنزيهه عن النقص

هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث (الثالث) أن هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق المسلمين وهي في سياق مخاطبته لبني اسرائيل وسواء كان الخطاب لهم أولهم وللمؤمنين فهو خطاب أنزل بعد الهجرة وبعد أن كثر المصلون والراكعون لم تنزل في أول الاسلام حتى يقال انها مختصة بأول من صلى وركع (الرابع) أن قوله مع الراكعين صيغة جمع ولو أريد النبي صلى الله عليه وسلم وعلي لقيل مع الراكعين بالتثنية وصيغة الجمع لا يراد بها اثنان فقط باتفاق الناس بل اما الثلاثة فصاعدا واما الاثنان فصاعدا أما ارادة اثنين فقط فخلاف الاجماع (الخامس) أنه قال لمريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ومريم كانت قبل الاسلام فليس فيهم علي فكيف لا يكون راكعون في أول الاسلام ليس فيهم علي وصيغة الاثنين واحدة (السادس) أن الآية مطلقة لا تخص شخصا بعينه بل أمر الرجل المؤمن أن يصلي مع المصلين وقيل المراد به الصلاة مع الجماعة لان الركعة لا تدرك الا بادراك الركوع (السابع) أنه لو كان المراد الركوع معه مالا نقطع حكمها بموتهما فلا يكون أحد مأمورا أن يركع مع الراكعين (الثامن) أن قول القائل علي أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ممنوع بل أكثر الناس على خلاف ذلك وأن أبا بكر صلى خلفه (التاسع) أنه لو كان أمرا بالركوع معه لم يدل ذلك على أن من ركع معه يكون هو الامام فان عليا لم يكن اماما مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يركع معه

(فصل) قال الرافضي البرهان السابع والثلاثون قوله واجعل لي وزيرا من أهلي من طريق أبي نعيم عن ابن عباس قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي وبيدي ونحن بمكة وصلى أربع ركعات ورفع يده الى السماء فقال اللهم موسى بن عمران سألك وأنا محمد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي علي ابن أبي طالب أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري قال ابن عباس سمعت مناديا ينادي يا أحمد قد أوتيت ما سألت وهذا نص في الباب

(والجواب) المطالبة بالصحة كما تقدم أولا (الثاني) أن هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث بل هم يعلمون أن هذا من أسمج الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثالث) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة في أكثر الاوقات لم يكن ابن عباس قد ولد وابن عباس ولد وبنو هاشم في الشعب محصورون ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ابن عباس بلغ سن التمييز ولا كان ممن يتوضأ ولا يصلي فان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو لم يحتلم بعد فكان له عند الهجرة نحو خمس سنين أو أقل منها وهذا لا يؤمر بوضوء ولا صلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع ومن يكون بهذا السن لا يعقل الصلاة ولا يحفظ مثل هذا الدعاء الا بتلقين لا يحفظ بمجرد السماع (الرابع) أنهم قد قدموا في قوله انما وليكم الله ورسوله وحديث التصدق بالخاتم في الصلاة أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بهذا الدعاء وهنا قد ذكروا أنه قد دعا بهذا الدعاء بمكة قبل هذه الواقعة بسنين متعددة فان تلك كانت في سورة المائدة والمائدة من آخر القرآن نزولا وهذا في مكة فاذا كان قد دعا بهذا في مكة وقد استجيب له فأي حاجة الى الدعاء به بعد ذلك بالمدينة بسنين متعددة (الخامس) أنا قد بينا فيما تقدم وجوها متعددة في بطلان مثل هذا فان هذا الكلام كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه

والعيب قال له هذا الذي نازعتك فيه ليس هو عندي نقصا ولا عيبا فأي شيء تنفعك موافقتي لك على لفظ أنازعك في معناه وان قال بل اتفقنا على أن كل ما هو نقص في نفس الامر فالله منزه عنه وهذا نقص في نفس الامر فيجب تنزيه الله عنه قال له أنا وافقتك على أن كل ما هو نقص في نفس الامر فالله منزه عنه ولم أوافقك على ان كل ما أثبت أنت أنه نقص بدليل تدعي صحته فانه منزه عنه وحاصله أن الاجماع لم يقع بلفظ يعلم به دخول مورد النزاع فيه ولكن يعلم أن كل ما اعتقده الرجل نقصا فانه ينزه الله عنه وما تنازعا في ثبوته يقول المثبت أنا لم أوافقك على انتفاء هذا ولكن انت تقول هذا نقص فعليك أن تنفيه كما نفيت ذلك النقص الآخر وأنا أقول ليس هذا بنقص وذلك الامر الآخر الذي نفيته نفيته لمعنى منتف فيما أثبته وأنا ما نفيت ذلك الا لمعنى يختص به فان كان ذلك المأخذ صحيحا لم تجب التسوية وان كان باطلا لزم خطئي في نفي ذلك وحينئذ فان كانا مستويين لزم خطئي في الفرق بينهما وليس خطئي في اثبات ما أثبته بأولى من خطئي في نفي ما نفيته فانما يفيدك هذا تناقضي ان صح التسوية لا يفيد صحة مذهبك وان ثبت الفرق بطل قولك فتبين أن هذا الاجماع هو من

كثيرة

كثيرة ولكن هذا قد زادوا فيه زيادات كثيرة لم يذكر وها هنا لك وهى قوله وأشركه فى أمرى
فصرحوا هنا بأن عليا كان شريكه فى أمره كما كان هرون شريك موسى وهذا قول من يقول
بنبوته وهذا كفر صريح وليس هو قول الامامية وانما هو من قول الغالية وليس الشريك
فى الامر هو الخليفة من بعده فانهم يدعون امامته بعده ومشاركته له فى أمره فى حياته وهؤلاء
الامامية وان كانوا يكفرون من يقول بمشاركته له فى النبوة لكنهم يكثرون سوادهم فى المقال
والرجال بمن يعتقدون فيه الكفر والضلال وبما يعتقدون أنه من الكفر والضلال لفرط
منابذتهم للدين ومخالفتهم لجماعة المسلمين وبغضهم لخيار أولياء الله المتقين واعتقادهم فيهم
أنهم من المرتدين فهم كما قيل فى المثل رمتنى بدائها وانسلت وهذا الرافضى الكذاب
يقول وهذا نص فى الباب فيقال له يادبير هذا نص فى أن عليا شريكه فى أمره فى حياته كما كان
هرون شريكا لموسى فهل تقول بموجب هذا النص أم ترجع عن الاحتجاج بأكاذيب المفترين
وترهات اخوانك المبطلين

﴿فصل﴾ قال الرافضى البرهان الثامن والثلاثون قوله تعالى اخوانا على سرر
متقابلين من مسند أحمد باسناده الى زيد بن أبى أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسجده فذكر قصة مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على لقد ذهبت روحى
وانقطع ظهرى حين فعلت بأصحابك فان كان هذا من سخط الله على فلك العتبى والكرامة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا ما اخترتك الا لنفسى فأنت منى بمنزلة
هرون من موسى الا أنه لا نبى من بعدى وأنت أخى ووارثى وأنت معى فى قصرى فى الجنة ومع
ابنتى فاطمة فأنت أخى ورفيقى ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوانا على سرر متقابلين
المتحابين فى الله ينظر بعضهم الى بعض والمؤاخاة تستدعى المناسبة والمشاكلة فلما اختص على
بمؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم كان هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا الاسناد وليس هذا الحديث فى مسند
أحمد ولا رواه أحمد لا فى المسند ولا فى الفضائل ولا أبنه فقول هذا الرافضى فى مسند أحمد
كذب وافتراء على المسند وانما هو من زيادات القطيعى التى فيها من الكذب الموضوع ما اتفق
أهل العلم على أنه كذب موضوع رواه القطيعى عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى
حدثنا حسين بن محمد الدارع حدثنا عبد المؤمن بن عباد حدثنا يزيد بن معن عن عبد الله
ابن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى وهذا الرافضى لم يذكره بتمامه فان فيه عند قوله وأنت أخى
ووارثى قال وما أرث منك يا رسول الله قال ما ورث الانبياء من قبلى قال وما ورث الانبياء
من قبلك قال كتاب الله وسنة نبيهم وهذا الاسناد مظلم انفرد به عبد المؤمن بن عباد أحد
المجروحين ضعفه أبو حاتم عن يزيد بن معن ولا يدرى من هو فلعله الذى اختلقه عن عبد الله
ابن شرحبيل وهو مجهول عن رجل من قريش عن زيد بن أبى أوفى (الوجه الثانى) أنه
مكذوب مفترى باتفاق أهل المعرفة (الثالث) أن أحاديث المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم
مع بعض والانصار بعضهم مع بعض كلها كذب والنبى صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ عليا ولا
آخى بين أبى بكر وعمر ولا بين مهاجرى ومهاجرى لكن آخى بين المهاجرين والانصار كما آخى
بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وبين سلمان الفارسى وأبى الدرداء وبين على وسهل
ابن حنيف وكانت المؤاخاة فى دور بنى النجار كما أخبر بذلك أنس فى الحديث الصحيح لم تكن

الاجماعات المركبة التى ترجع الى
حجة جدلية ولو كانت صحيحة
لم تفد الا تناقض الخصم الوجه
الثالث أن يقال ماذكرته من الحجة
معارض بتجويزك على الله احداث
الحوادث بعد أن لم تكن وهو كونه
فاعلا فالفاعلية اما أن تكون
صفة كمال واما أن لا تكون صفة
كمال فان كانت كمالا كان قد فاته
الكمال قبل الفعل وان لم تكن كمالا
لزم اتصافه بغير صفات الكمال
وهذا محال لهذين الوجهين واذا
قلت ان الفعل نسبة واضافة قيل
لك واضافة هذا الحادث اليه نسبة
واضافة ولا فرق بينهما الا كون
أحدهما متصلا والآخر منفصلا
ومعلوم أن الاجماع على تنزيه الله
تعالى عن صفات النقص متناول
لتنزيهه عن كل نقص من صفاته
الفعلية وغير الفعلية وأنت وجميع
الطوائف تقسمون الصفات الى
صفات ذاتية وصفات فعلية
ومتفقون على تنزيهه عن النقص
فى هذا وفى هذا وأيضا فهذا
منقوض بسائر ماجوزوه من
تجدد الاضافات والسلوب فان
الرب منزه عن الاتصاف بالنقائص
فى الثبوت والسلب والاضافة
فما كان جوابهم فى المتجددات
كان جوابا لمنازعيهم فى المحدثات
وهم يجيبون فى المتجددات بأن
لا يمكن ثبوتها فى الازل فيقال لهم
وكذلك الحوادث المتعاقبة لا يمكن

في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر في الحديث الموضوع (١) ومسجده فان كان لبعض بني النجار وبناه في محلتهم فالمؤاخاة التي أخبر بها أنس ما في الصحيحين عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الاسلام فقال أنس قد حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار في داري (الرابع) أن قوله في هذا الحديث أنت أخي ووارثي باطل على قول أهل السنة والشيعة فانه ان أراد ميراث المال بطل قولهم ان فاطمة ورثته وكيف يرث ابن العم مع وجود العم وهو العباس وما الذي خصه بالارث دون سائر بني العم الذين هم في درجة واحدة وان أراد ارث العلم والولاية بطل احتجاجهم بقوله وورث سليمن داود وقوله هب لي من لدنك وليا يرثني اذ لفظ الارث اذا كان محتملا لهذا ولهذا أمكن ان الانبياء ورثوا كما ورث على النبي صلى الله عليه وسلم وأما أهل السنة فيعلمون أن ما ورثه النبي صلى الله عليه وسلم من العلم لم يختص به على بل كل من أصحابه حصل له نصيب بحسبه وليس العلم كالمال بل الذي يرثه هذا يرثه هذا ولا يتزاحمان اذ لا يمتنع أن يعلم هذا ما علمه هذا كما يمتنع أن يأخذ هذا المال الذي أخذه هذا (الوجه الخامس) أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أثبت الاخوة لغير على كما في الصحيحين أنه قال لزيد أنت أخونا ومولانا وقال له أبو بكر لما خطب ابنته ألست أخي قال أنا أخوك وبنتك حلال لي وفي الصحيح أنه قال في حق أبي بكر ولكن اخوة الاسلام وفي الصحيح وددت أن قد رأيت اخواني قالوا أولسنا اخوانك يا رسول الله قال لا أنتم أصحابي ولكن اخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني يقول أنتم لكم من الاخوة ما هو أخص منها وهو الصحبة وأولئك لهم اخوة بلا صحبة وقد قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا أخرجاه في الصحيحين وقال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وقال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وهذه الاحاديث وأمثالها في الصحاح واذا كان كذلك علم أن مطلق المؤاخاة لا تقتضي التماثل من كل وجه ولا تقتضي المناسبة والمشاكلة من كل وجه بل من بعض الوجوه واذا كان كذلك فلم قيل ان مؤاخاة على لو كانت صحيحة اقتضت الامامة والافضلية مع أن المؤاخاة مشتركة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح من غير وجه أنه قال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر إن أمن الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر وفي هذا اثبات خصائص لابي بكر لا يشركه فيها أحد وهو صريح في أنه ليس من أهل الارض من هو أحب اليه ولا أعلى منزلة عنده ولا أرفع درجة ولا أكثر اختصاصا به من أبي بكر وقد أجمع أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ولم يقدح فيها أحد من أهل العلم وحينئذ فان كانت المؤاخاة دون هذه المرتبة لم تعارضها وان كانت أعلى كانت هذه الاحاديث الصحيحة تدل على كذب أحاديث المؤاخاة وان كنا نعلم أنها كذب بدون هذه المعارضة لكن المقصود أن هذه الاحاديث الصحيحة تبين أن أبا بكر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من على وأعلى قدرا عنده منه وكل من سواه وشواهد هذا كثيرة وقد روى بضعة وثمانون نفسا عن على أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رواها البخاري في الصحيح عن على رضي الله عنه وهذا هو الذي يليق بعلى فانه من أعلم الصحابة بحق أبي بكر وعمر وأعرفهم بمكانهما من الاسلام وحسن تأثيرهما في الدين

ثبوتها في الازل وهو وأمثاله يجيبون الدهرية بمثل ذلك في مسئلة حدوث العالم فان من حججهم شبهة برقلس قالوا ان الجود صفة كمال وعدمه صفة نقص فلو كان العالم قديما لكان الرب تعالى في الازل جوادا ولو كان حادثا لما كان الرب تعالى في الازل جوادا العدم صدور العالم عنه وهو محال ثم قال في الجواب وأما الشبهة الرابعة فحاصل لفظ الجود فيها يرجع الى صفة فعلية وهو كون الرب تعالى موجدا وفاعلا لا لغرض يعود اليه من جلب نفع أو دفع ضر وعلى هذا فلا نسلم أن صفات الافعال من كمالاته تعالى وليس ذلك من الضروريات فلا بد له من دليل كيف وانه لو كان ذلك من الكمال لكان كمال واجب الوجود متوقفا على وجود معلوله عنه ومحال أن يستفيد الاشرف كماله من معلوله كما قرروه في كونه موجدا بالارادة وان سلمنا أنه كمال لكن انما يكون عدمه في الازل نقصا أن لو كان وجود العالم في الازل ممكنا وهو غير مسلم وهو على نحو قولهم في نفي النقص عنه بعد ايجاده للكائنات الفاسدات

(١) قوله ومسجده فان كان الخ كذا في النسخة ولا يخفى ما فيه وان كان المراد منه ظاهرا وهو امكان الجمع بين الحديث الصحيح والحديث الآخر تأمل كتبه مصححه

حتى انه تمنى أن يلقى الله بمثل عمل عمر رضى الله عنهم أجمعين وروى الترمذى وغيره مرفوعا عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين لا تخبرهما يا على فهذا الحديث وأمثاله لو عورض بها أحاديث المؤاخاة وحديث الطير ونحوه لكانت باتفاق المسلمين أصح منها فكيف اذا انضم اليها سائر الاحاديث التى لا شك فى صحتها مع الدلائل الكثيرة المتعددة التى توجب علما ضروريا لمن علمها أن أبا بكر كان أحب الصحابة الى النبى صلى الله عليه وسلم وأفضل عنده من عمر وعثمان وعلى وغيرهم وكل من كان بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله أعلم كان بهذا أعرف وانما يستريب فيه من لا يعرف الاحاديث الصحيحة من الضعيفة فاما أن يصدق الكل أو يتوقف فى الكل وأما أهل العلم بالحديث الفقهاء فيه فيعلمون هذا علما ضروريا دع هذا فلا ريب أن كل من له فى الامة لسان صدق من علمائها أو عبادها متفقون على تقديم أبى بكر وعمر كما قال الشافعى رضى الله عنه فيما نقله عنه البيهقى باسناده قال لم يختلف أحد من الصحابة والتابعين فى تفضيل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وتقديمهما على جميع الصحابة وكذلك أيضا لم يختلف علماء الاسلام فى ذلك كما هو قول مالك وأصحابه وأبى حنيفة وأصحابه وأحمد وأصحابه وداود وأصحابه والثورى وأصحابه والليث وأصحابه والاوزاعى وأصحابه واسحق وأصحابه وابن جرير وأصحابه وأبى ثور وأصحابه وكما هو قول سائر العلماء المشهورين الا من لا يؤبه له ولا يلتفت اليه وما علمت من نقل عنه فى ذلك نزاع من أهل الفتيا الا ما نقل عن الحسن بن صالح بن حى أنه كان يفضل عليا وقيل ان هذا كذب عليه ولو صح هذا عنه لم يقدح فيما نقله الشافعى رضى الله عنه من الاجماع فان الحسن بن صالح لم يكن من التابعين ولا من الصحابة والشافعى ذكر اجماع الصحابة والتابعين على تقديم أبى بكر ولو قاله الحسن فاذا أخطأ واحد من مائة ألف امام أو أكثر لم يكن ذلك بمنكر وليس فى شيوخ الرافضة امام فى شئ من علوم الاسلام لا علم الحديث ولا الفقه ولا التفسير ولا القرآن بل شيوخ الرافضة اما جاهل واما زنديق كشيوخ أهل الكتاب والسابقون الاولون وأئمة السنة والحديث متفقون على تقديم عثمان ومع هذا انهم لم يجتمعوا على ذلك رغبة ولا رهبة بل مع تباين آرائهم وأهوائهم وعلومهم واختلافهم وكثرة اختلافاتهم فيما سوى ذلك من مسائل العلم فأئمة الصحابة والتابعين رضى الله عنهم متفقون على هذا ثم من بعدهم كمالك بن أنس وابن أبى ذئب وعبد العزيز بن الماجشون وغيرهم من علماء المدينة ومالك يحكى الاجماع عمن لقيه أنهم لم يختلفوا فى تقديم أبى بكر وعمر وابن جريج وابن عيينة وسعد بن سالم ومسلم بن خالد وغيرهم من علماء مكة وأبى حنيفة والثورى وشريك بن عبد الله وابن أبى ليلى وغيرهم من فقهاء الكوفة وهى دار الشيعة حتى كان الثورى رضى الله عنه يقول من قدم عليا على أبى بكر ما أرى أن يصعد له الى الله عمل رواه أبو داود فى سننه وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسعيد بن أبى عروبة وأمثالهم من علماء البصرة والاوزاعى وسعيد بن عبد العزيز وغيرهم من علماء الشام والليث وعمرو بن الحرث وابن وهب وغيرهم من علماء مصر ثم مثل عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن ومثل الشافعى وأحمد بن حنبل واسحق بن ابراهيم وأبى عبيد ومثل البخارى وأبى داود وابراهيم الحربى ومثل الفضيل بن عياض وأبى سليمن الدارانى ومعروف الكرخى والسرى السقطى والجنيد وسهل بن عبد الله التسترى ومن لا يحصى عدده الا الله ممن له فى الاسلام لسان صدق كلهم يجزمون بتقديم

كالصور الجوهرية العنصرية والانفس الانسانية لتعذر وجودها ازلا من غير توسط ولا يلزم من كون العالم غير ممكن الوجود أزلا أن لا يكون ممكن الحدوث لما حققناه فهذا الجواب الذى أجاب به فى هذا الموضع اذا أجابت به الكرامية كان جوابهم له أحسن من جوابه لاولئك وأدنى أحواله أن يكون مثله فانه قال صفة الاحداث والفعل مطلقا ليست بصفة كمال مع كونه اتصف بها بعد أن لم تكن فيقال له لا فرق بينهما الا من جهة أن أحدهما بنفسه مباين عنه ومن المعلوم أن ما يتصرف بنفسه أكمل ممن لا يتصرف بنفسه (الوجه الرابع) أن يقال قول القائل اما أن تكون فى نفسها صفة كمال أو لا صفة كمال فان قلنا ليست فى نفسها صفة كمال فيلزم اتصاف الرب بما ليس من صفات الكمال وذلك ممتنع قلنا متى يكون الممتنع اذا كان ذلك مع غيره صفة كمال واذا لم يكن مع غيره صفة كمال وذلك أن الشئ وحده قد لا يكون صفة كمال لكن هو مع غيره صفة كمال وما كان كهذا لم يجز اتصاف الرب به وحده لكن يجوز اتصافه به مع غيره ولا يلزم من كونه ليس صفة كمال منع قيامه بالرب مطلقا وهذا كالارادة للفعل الخالية عن القدرة على المراد ليست صفة كمال فان من أراد شيأ وهو عاجز عنه كان ناقصا ولكن

أبي بكر وعمر كما يجزمون بامامتهما مع فرط اجتهادهم في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وموالاته فهل يوجب هذا الا ما علموه من تقديمه هو لأبي بكر وعمر وتفضيله لهما بالمحبة والثناء والمشاورة وغير ذلك من أسباب التفضيل

(فصل) قال الرافضي البرهان التاسع والثلاثون قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين في كتاب الفردوس لابن شيرويه يرفعه عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد قال تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا قالت الملائكة بلى فقال تبارك وتعالى أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم وهو صريح في الباب

(والجواب) من وجوه أحدها منع الصحة والمطالبة بتقريرها وقد أجمع أهل العلم بالحديث على أن مجرد رواية صاحب الفردوس لا يدل على أن الحديث صحيح فابن شيرويه الديلمي الهمذاني ذكر في هذا الكتاب أحاديث كثيرة صحيحة وأحاديث حسنة وأحاديث موضوعة وان كان من أهل العلم والدين ولم يكن ممن يكذب هو لكنه نقل ما في كتب الناس والكتب فيها الصدق والكذب فعل كما فعل كثير من الناس في جمع الاحاديث إما بالاسانيد وإما محذوفة الاسانيد (الثاني) أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث (الثالث) أن الذي في القرآن أنه قال ألست بربكم قالوا بلى ليس فيه ذكر النبي ولا الامير وفيه قوله أن تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فدل على أنه ميثاق التوحيد خاصة ليس فيه ميثاق النبوة فكيف ما دونها (الرابع) أن الاحاديث المعروفة في هذا التي في المسند والسنن والموطأ وكتب التفسير وغيرها ليس فيها شئ من هذا ولو كان ذلك مذكورا في الاصل لم يهمله جميع الناس وينفرد به من لا يعرف صدقه بل يعرف أنه كذب (الخامس) ان الميثاق أخذ على جميع الذرية فيلزم أن يكون علي أميرا على الانبياء كلهم من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كلام المجانين فان أولئك ماتوا قبل أن يخلق الله عليا فكيف يكون أميرا عليهم وغاية ما يمكن أن يكون أميرا على أهل زمانه أما الامارة على من خلق قبله وعلى من يخلق بعده فهذا من كذب من لا يعقل ما يقول ولا يستحي مما يقول ومن العجب أن هذا الحمار الرافضي هو أحمر من عقلاء اليهود الذين قال الله فيهم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا والعامة معذورون في قولهم الرافضي حمار اليهودي وذلك أن عقلاء اليهود يعلمون أن هذا ممتنع عقلا وشرعا وأن هذا كما يقال خر عليهم السقف من تحتهم فيقال لا عقل ولا قرآن وكذلك كون علي أميرا على ذرية آدم كلهم وانما ولد بعد موت آدم بألوف من السنين وأن يكون أميرا على الانبياء الذين هم متقدمون عليه في الزمان والمرتبة وهذا من جنس قول ابن عربي الطائي وأمثاله من ملاحدة المتصوفة الذين يقولون ان الانبياء كانوا يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الاولياء الذي وجد بعد محمد بنحو ستمائة سنة فدعوى هؤلاء في الامامة من جنس دعوى هؤلاء في الولاية وكلاهما يبني أمره على الكذب والغلو والشرك والدعاوى الباطلة ومناقضة الكتاب والسنة واجماع سلف الامة ثم ان هذا الحمار الرافضي يقول وهو صريح في الباب فهل يكون هذا حجة عند أحد من أولي الالباب

اذا كان قادرا على ما أراد كانت الارادة مع القدرة صفة كمال فلو قال قائل مجرد الارادة هل هو كمال أم لا فان قيل هو كمال انتقض بارادة العاجز المتمني المتحسر وان قيل ليس بكمال لزم اتصافه بما ليس بكمال قيل له الارادة مع القدرة كمال وكذلك قوله كن اما أن يكون صفة كمال أولا فان كان صفة كمال فينبغي أن يكون كمالا للعبد ومعلوم أن العبد لو قال للمعدوم كن كان هذيانا لا كمالا وان لم يكن كمالا فلا يوصف به الرب فيقال له كن من القادر على التكوين الذي اذا قال للشئ كن فيكون كمال ومن غيره نقص وكذلك الغضب اما أن يكون صفة كمال أولا فان كان كمالا فيحمد كل غضبان وان كان نقصا فكيف اتصف الرب به فيقال الغضب على من يستحق الغضب عليه من القادر على عقوبته صفة كمال وأما غضب العاجز أو غضب الظالم فلا يقال انه كمال ونظائر هذا كثيرة واذا كان كذلك فكونه قادرا على الافعال المتعاقبة وفعله لها شيأ بعد شئ صفة كمال وكل منها بشرط غيره كمال وأما الواحد منها مع عدم غيره فليس بكمال فانه من المعلوم أنا اذا عرضنا على العقل الصريح ذاتا لا تقدر أن تتصرف بنفسها وذاتا تتصرف دائما شيأ بعد شئ كانت هذه الذات أكمل من تلك وكان الكمال قدم هذا النوع

أو يحتج بهذا (١) فى حريره نقل من يستحق أن يؤهل للخطاب فضلا عن أن يحتج به فى تفسيق خيار هذه الامة وتضليلهم وتكفيرهم وتجهيلهم ولولا أن هذا المعتدى الظالم قد اعتدى على خيار أولياء الله وسادات أهل الارض خير خلق الله بعد النبيين اعتداء يقدح فى الدين ويسلط الكفار والمنافقين ويورث الشبه والضعف عند كثير من المؤمنين لم يكن بنا حاجة الى كشف أسراره وهتك أستاره والله حسيبه وحسيب أمثاله

(فصل) قال الرافضى البرهان الاربعون قوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير أجمع المفسرون أن صالح المؤمنين هو على روى أبو نعيم باسناده الى أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين على بن أبى طالب واختصاصه بذلك يدل على أفضليته فيكون هو الامام والآيات فى هذا المعنى كثيرة اقتصرنا على ماذكرناه للاختصار

(والجواب) من وجوه أحدها قوله أجمع المفسرون على أن صالح المؤمنين هو على كذب مبين فانهم لم يجمعوا على هذا ولا نقل الاجماع على هذا أحد من علماء التفسير ولا علماء الحديث ونحوهم ونحن نطالبهم بهذا النقل ومن نقل هذا الاجماع (الثانى) أن يقال كتب التفسير مملوأة بنقيض هذا قال ابن مسعود وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم هو أبو بكر وعمر وذكر هذا جماعة من المفسرين كابن جرير الطبرى وغيره وقيل هو أبو بكر رواه مكحول عن أبى امامة وقيل عمر قاله سعيد بن جبير ومجاهد وقيل خيار المؤمنين قاله الربيع ابن أنس وقيل هم الانبياء قاله قتادة والعلاء بن زياد وسفيان وقيل هو على حكاه الماوردى ولم يسم قائله فلعله بعض الشيعة (الثالث) أن يقال لم يثبت القول بتخصيص على به عمن قوله حجة والحديث المذكور كذب موضوع وهو لم يذكر دلالة على صحته ومجرد رواية أبى نعيم له لا تدل على الصحة (الرابع) أن يقال قوله وصالح المؤمنين اسم يعم كل صالح من المؤمنين كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين (الخامس) أن يقال ان الله جعل فى هذه الآية صالح المؤمنين مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر أن الله مولاه والمولى يمتنع أن يراد به المولى عليه فلم يبق المراد به الا الموالى ومن المعلوم أن كل من كان صالحا من المؤمنين كان مواليا للنبى صلى الله عليه وسلم قطعا فان لم يواله لم يكن من صالح المؤمنين بل قد يواليه المؤمن وان لم يكن صالحا لكن لا تكون موالاة كاملة وأما الصالح فيواليه موالاة كاملة فانه اذا كان صالحا أحب ما أحبه الله ورسوله وأبغض ما أبغضه الله ورسوله وأمر بما أمر به الله ورسوله ونهى عما نهى الله عنه ورسوله وهذا يتضمن الموالاة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر إن عبد الله رجل صالح لو كان يصلى من الليل فما نام بعدها وقال عن أسامة بن زيد انه من صالحيكم فاستوصوا به خيرا وأما قوله والآيات فى هذا المعنى كثيرة فغايته أن يكون المتروك من جنس المذكور والذى ذكره خلاصة ما عندهم وباب الكذب لا ينسد ولهذا كان من الناس من يقابل كذبهم بما يقدر عليه من الكذب ولكن الله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وللكذابين الويل مما يصفون وماذكر وقال أريد به على اذا ذكر أنه أريد به أبو بكر أو عمر أو عثمان لم يكن هذا القول بأبعد من قولهم بل يرجح على قوله لاسيما فى مواضع كثيرة فاذا قال فهذا لم يقله أحد بخلاف

وكذلك اذا قدر ناشيأ يتكلم اذا شاء عما شاء وهو لم يزل كذلك وآخر لا يمكنه الكلام الا بعض الاحيان أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن كان الاول أكمل ونكتة الجواب أن الواحد منهما اذا لم يكن وحده كمالا لا يلزم أن يكون مع سائر النوع كمالا لكن هذا الجواب انما يناسب قول من يقول لم يزل متصفا بهذا النوع والكرامية لا تقول بذلك بل تقول حدث له النوع بعد أن لم يكن لكن الكرامية تقول قولنا فى هذا النوع كقول غيرنا فى الحوادث المنفصلة وهو أن دوام هذا لما كان ممتنعا لامتناع الحوادث فى الازل لم يلزم أن لا يكون متصفا بصفات الكمال لان عدم الممتنع ليس بنقص وتحقيق هذا (٣) الجواب الخامس أن يقال قول القائل اذا كان هذا كمالا كان الرب ناقصا قبل اتصافه به يقال له متى يكون ناقصا اذا كان وجوده قبل ذلك ممكنا أو لم يكن ممكنا والاول ممتنع فان عدم الممتنعات لا يكون نقصا والحوادث عندهم يستحيل وجودها فى الازل فلا يكون عدمها نقصا (الجواب السادس) أن يقال متى يكون عدم الشئ نقصا اذا عدم فى الحال التى يصلح ثبوته فيها واذا عدم فى حال لا يصلح

(١) قوله فى حريره نقل الخ كذا فى النسخة وقد أذهب التحريف معناه فحرر كتبه مصححه

قولنا كان الجواب من وجهين أحدهما أن هذا ممنوع بل من الناس من يخص أبا بكر وعمر ببعض ماذكره من الآيات وغيرها (الثاني) أن قول القائل خص هذا أو احد من الصحابة اذا أمكن غيره أن يخصه بآخر تكون حجته من جنس حجته فانه يدل على فساد قوله وان كان لم يقله فان الانسان اذا كذب كذبة لم يمكن مقابلتها بمثلها ولم يمكنه دفع هذا الادعا بدفع به قوله ووجب اما تصديق الاثنين واما كذب الاثنين كالحكاية المشهورة عن قاسم بن زكريا المطرز قال دخلت على بعض الشيعة وقد قيل انه عبادبن يعقوب فقال لى من حفر البحر فقلت الله تعالى فقال تقول من حفره قلت من حفره قال على بن أبى طالب قال من جعل فيه الماء قلت الله قال تقول من هو الذى جعل فيه الماء قلت من هو قال الحسن قال فلما أردت أن أقوم قال من حفر البحر قلت معاوية قال ومن الذى جعل فيه الماء قلت يزيد فغضب من ذلك وقام وكان غرض القاسم أن يقول هذا القول مثل قولك وأنت تنكره ذلك وتدفعه وبما به تدفع ذلك فيدفع به قولك وكذلك ماتذكره الناس من المعارضات لتأويلات القرامطة والرافضة ونحوهم كقولهم فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر طلحة والزبير وأبوبكر وعمر ومعاوية فيقابل هذا بقول الخوارج انهم على والحسن والحسين وكل هذا باطل لكن الغرض أنهم يقابلون بمثل حجتهم والدليل على فسادها يعم النوعين فعلم بطلان الجميع

(فصل) المنهج الثالث فى الادلة المسندة الى السنة المنقولة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى اثنا عشر الاول مانقله الناس كافة أنه لما نزل قوله وأنذر عشيرتك الأقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب وهم أربعون رجلا وامر أن فصنع لهم طعاما (١) وأخذ شاة مع من البر وبعدكم صاعا من اللبن وكان الرجل منهم يأكل الجذعة فى مقعد واحد ويشرب الفرق من الشراب فى ذلك المقام فأكلت الجماعة كلهم من ذلك اليسير حتى شبعوا ولم يتبين ما أكلوا فبهرهم ذلك وتبين لهم أنه صادق فى نبوته فقال يابنى عبد المطلب ان الله بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الأقربين وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فمن يجيبنى الى هذا الامر ويوازرنى على القيام به يكن أخى ووزيرى ووصيى ووارثى وخليفتى من بعدى فلم يجبه أحد منهم فقال أمير المؤمنين أنا يارسول الله أوازرك على هذا الامر فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقال على فقمت فقلت مثل مقالتى الاولى فقال اجلس ثم أعاد القول ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقمت فقلت أنا أوازرك يارسول الله على هذا الامر فقال اجلس فأنت أخى ووزيرى ووصيى ووارثى وخليفتى من بعدى فنهض القوم وهم يقولون لابى طالب ليهنك اليوم ان دخلت فى دين ابن أخيك فقد جعل ابنك وزيرا عليك

(والجواب) من وجوه الاول المطالبة بصحة النقل وما ادعاه من نقل الناس كافة من أظهر الكذب عند أهل العلم بالحديث فان هذا الحديث ليس فى شئ من كتب المسلمين التى يستفيدون منها علم النقل لا فى الصحاح ولا فى المسانيد والسنن والمغازى والتفسير التى يذكر فيها الاسناد الذى يحتج به واذا كان فى بعض كتب التفسير التى ينقل فيها الصحيح والضعيف مثل تفسير الثعلبى والواحدى والبغوى بل وابن جرير وابن أبى حاتم لم يكن مجرد رواية واحد من هؤلاء دليلا على صحته باتفاق أهل العلم فانه اذا عرف أن تلك المنقولات فيها صحيح وضعيف

ثبوته فيها الاول مسلم والثانى ممنوع وهم يقولون كل حادث فانما حدث فى الوقت الذى كانت الحكمة مقتضية له وحينئذ فوجوده ذلك الوقت صفة كمال وقبل ذلك صفة نقص مثال ذلك تكليم الله لموسى صفة كمال لما أتى وقبل أن يتمكن من سماع كلام الله صفة نقص (السابع) أن يقال الامور التى لايمكن وجودها الاحادثة أومتعاقبة أيهاأكمل عدمها بالكلية أووجودها على الوجه الممكن ومعلوم أن وجودها على الوجه الممكن أكمل من عدمها وهكذا يقولون فى الحوادث (الوجه الثامن) أن يقال قول القائل اتفاق الملل قبل الكرامية على امتناع اتصاف الرب بغير صفات الكمال كلام مجمل فان أريد بذلك أن الناس مازالوا يقولون ان الله موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص فالكرامية تقول بذلك وان أردت أن الناس قبل الكرامية كانوا يقولون ان الله لايقوم به شئ من مقدوراته ومراداته فهذا غلط

(١) كذا فى النسخة على هذه الصورة ولا يخفى مافيه من فحش التحريف وقد أورد الحديث فى تفسير ابن جرير خطابا لعلى ومنه فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب الخ فتأمل كتبه مصححه

فلابد من بيان أن هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف وهذا الحديث غايته أن يوجد فى كتب التفسير التى فيها الغث والسمين وفيها أحاديث كثيرة موضوعة مكذوبة مع أن كتب التفسير التى يوجد فيها مثل تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم والثعلبى والبغوى ينقل فيها بالاسانيد الصحيحة ما يناقض هذا مثل بعض المفسرين الذين ذكروا هذا فى سبب نزول الآية فانهم ذكروا مع ذلك بالاسانيد الصحيحة الثابتة التى اتفق أهل العلم على صحتها ما يناقض ذلك ولكن هؤلاء المفسرون ذكروا ذلك على عادتهم فى أنهم ينقلون ما ذكر فى سبب نزول الآية من المنقولات الصحيحة والضعيفة ولهذا يذكر أحدهم فى سبب نزول الآية عدة أقوال ليذكر أقوال الناس وما نقلوه فيها وان كان بعض ذلك هو الصحيح وبعضه كذب واذا احتج بمثل هذا الضعيف وأمثاله واحد فذكر بعض ما نقل فى تفسير الآية من المنقولات وترك سائر ما ينقل مما يناقض ذلك كان هذا من أفسد الحجج لكن احتج بشاهد يشهد له ولم تثبت عدالته بل ثبت جرحه وقد ناقضه عدد كثيرون يشهدون بما يناقض شهادته أو يحتج برواية واحد لم تثبت عدالته بل ثبت جرحه ويدع روايات كثيرين عدول وقدر وا ما يناقض ذلك بل لو قدر أن هذا الحديث من رواية أهل الثقة والعدالة وقدر وى آخرون من أهل الثقة والعدالة ما يناقض ذلك لوجب النظر فى الروايتين أيهما أثبت وأرجح فكيف اذا كان أهل العلم بالنقل متفقين على أن الروايات المناقضة لهذا الحديث هى الثابتة الصحيحة بل هذا الحديث مناقض لما علم بالتواتر من أئمة التفسير الذين لم يذكروا هذا بحال لعلمهم أنه باطل (الثانى) أنا نرضى منه من هذا النقل العام باحد شيئين اما باسناد يذكره مما يحتج به أهل العلم فى مسائل النزاع ولو أنه مسئلة فرعية واما قول رجل من أهل الحديث الذين يعتمد الناس على تصحيحهم فانه لو تناظر فقيهان فى فرع من الفروع لم تقم الحجة على المناظر الا بحديث يعلم أنه مسند اسنادا تقوم به الحجة أو يصححه من يرجع اليه فى ذلك فأما اذا لم يعلم اسناده ولم يثبته أئمة النقل فمن أين يعلم لا سيما فى مسائل الاصول التى يبنى عليها الطعن فى سلف الأمة وجمهورها ويتوسل بذلك الى هدم قواعد المسئلة كيف ينقل فى مثل ذلك حديث لا يعرف اسناده أئمة النقل ولا يعرف أن عالما صححه (الثالث) أن هذا الحديث كذب موضوع ولهذا لم يروه أحد منهم فى الكتب التى يرجع اليها فى المنقولات لان أدنى من له معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب وقد رواه ابن جرير والبغوى باسناد فيه عبد الغفار بن القاسم ابن فهد أبو مريم الكوفى وهو مجمع على تركه كذبه سماك بن حرب وأبو داود وقال أحمد ليس بثقة عامة أحاديثه بواطل قال يحيى ليس بشئ قال ابن المدينى كان يضع الحديث وقال النسائى وأبو حاتم متروك الحديث وقال ابن حبان البستى كان عبد الغفار بن قاسم يشرب الخمر حتى يسكر وهو مع ذلك يقلب الاخبار لا يجوز الاحتجاج به وتركه أحمد ويحيى ورواه ابن أبى حاتم وفى اسناده عبد الله بن عبد القدوس وهو ليس بثقة وقال فيه يحيى بن معين ليس بشئ رافضى خبيث وقال النسائى ليس بثقة وقال الدارقطنى ضعيف واسناد الثعلبى أضعف لان فيه من لا يعرف وفيه من الضعفاء والمتهمين من لا يجوز الاحتجاج بمثله فى أقل مسئلة (الرابع) أن بنى عبد المطلب لم يبلغوا أربعين رجلا حين نزلت هذه الآية فانها نزلت بمكة فى أول الامر ثم ولا بلغوا أربعين رجلا فى مدة حياة النبى صلى الله عليه وسلم فان بنى عبد المطلب لم يعقب منهم باتفاق الناس الا أربعة العباس وأبو طالب والحرث وأبو لهب وجميع ولد عبد المطلب من هؤلاء الاربعة وهم بنو هاشم ولم يدرك النبوة من عمومته الا أربعة العباس وحمزة وأبو طالب

فان جمهور الخلائق على جواز ذلك قبل الاسلام وبعد الاسلام فالتوراة مملوأة من وصف الله بمثل ذلك وكذلك الانجيل وسائر نبوات الانبياء مثل الزبور ونبوة أشعياء وأرميا وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك والسلف من الصحابة والتابعين وأهل الحديث متواتر عنهم ذلك ثم هذا الرجل لما أوردت عليه الدهرية هذا فى صفة الخالقية قال صفة الخالقية لا صفة نقص ولا صفة كمال (الوجه التاسع) قوله ان وجود الشئ أشرف من عدمه يقال له وجوده أشرف مطلقا أم فى الوقت الذى يمكن وجوده فيه ويصلح وجوده فيه اما الاول فممنوع فان وجود الجهل المركب ليس أشرف من عدمه ولا وجود تكذيب الرسول أشرف من عدمه ولا وجود الممتنع أشرف من عدمه وان أريد وجود الممكن الصالح قيل فلا نسلم ان ما حدث كان يمكن حدوثه ويصلح حدوثه قبل وقت حدوثه وحينئذ فلا يلزم من كونه وقت وجوده كمالا أن يكون قبل وجوده نقصا ومدار الدليل على مقدمتين مغلطتين احداهما أن ما وجد من الكمال كان عدمه قبل ذلك نقصا وهذا فيه تفصيل كما تبين والثانى أن ما لا يكون وحده كمالا يجب نفيه عن الرب مطلقا وهذا فيه تفصيل كما سبق فانه يقال ان كان الحادث كمالا

وأبولهب فآمن اثنان وهما حمزة والعباس وكفر اثنان أحدهما نصره وأعانه وهو أبو طالب والآخر عاداه وأعان أعداءه وهو أبولهب وأما العمومة وبنو العمومة فأبو طالب كان له أربعة بنين طالب وعقيل وجعفر وعلي وطالب لم يدرك الاسلام وأدركه الثلاثة فآمن علي وجعفر في أول الاسلام وهاجر جعفر الى أرض الحبشة ثم الى المدينة عام خيبر وكان عقيل قد استولى على رباع بني هاشم لما هاجروا وتصرف فيها ولهذا لما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في حجته ننزل غدا في دارك بمكة قال وهل ترك لنا عقيل من دار وأما العباس فبنوه كلهم صغار اذ لم يكن فيهم بمكة رجل وهب أنهم كانوا رجالا فهم عبد الله وعبيد الله والفضل وأما قثم فولد بعدهم وأكبرهم الفضل وبه كان يكنى وعبد الله ولد في الشعب بعد نزول قوله وأنذر عشيرتك الاقربين وكان سنه في الهجرة نحو ثلاث سنين أو أربع سنين ولم يولد للعباس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم الا الفضل وعبد الله وعبيد الله وأما سائرهم فولدوا بعده وأما الحرث بن عبد المطلب وأبولهب فبنوهما قل والحرث كان له ابنان أبوسفيان وربيعة وكلاهما تأخر اسلامه وكان من مسلمة الفتح وكذلك بنو أبي لهب تأخر اسلامهم الى زمن الفتح وكان له ثلاثة ذكور فأسلم منهم اثنان عتبة ومغيث وشهد الطائف وحنينا وعتيبة دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكله الكلب فقتله السبع بالزرقاء من الشام كافرا فهؤلاء بنو عبد المطلب لا يبلغون عشرين رجلا فأين الاربعون (الخامس) قوله ان الرجل منهم كان يأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن كذب على القوم ليس بنو هاشم معروفين بمثل هذه الكثرة في الاكل ولا عرف فيهم من كان يأكل جذعة ولا يشرب فرقا (السادس) أن قوله للجماعة من يجيبني الى هذا الامر ويوازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي كلام مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز نسبته اليه فان مجرد الاجابة الى الشهادتين والمعاونة على ذلك لا يوجب هذا كله فان جميع المؤمنين أجابوا الى هاتين الكلمتين وأعانوه على هذا الامر وبذلوا أنفسهم وأموالهم في اقامته وطاعته وفارقوا أوطانهم وعادوا اخوانهم وصبروا على الشتات بعد الألفة وعلى الذل بعد العز وعلى الفقر بعد الغنى وعلى الشدة بعد الرخاء وسيرتهم معروفة مشهورة ومع هذا فلم يكن أحد منهم خليفة له وأيضا فان كان عرض هذا الامر على أربعين رجلا أمكن أن يجيبوه أو أكثرهم أو عدد منهم فلو أجابه منهم عدد من كان الذي يكون الخليفة بعده (١) يعين واحدا بلا موجب لم يجعل الجميع خلفاء في وقت واحد وذلك أنه لم يعلق الوصية والخلافة والاخوة والموازرة الا بأمر سهل وهو الاجابة الى الشهادتين والمعاونة على هذا الامر وما من مؤمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الى يوم القيامة الا وله من هذا نصيب وافر ومن لم يكن له من ذلك حظ فهو منافق فكيف يجوز نسبة مثل هذا الكلام الى النبي صلى الله عليه وسلم (السابع) أن حمزة وجعفرا وعبيدة بن الحرث أجابوا الى ما أجابه علي من الشهادتين والمعاونة على هذا الامر فان هؤلاء من السابقين الاولين الذين آمنوا بالله ورسوله في أول الامر بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم في دار الارقم بن أبي الارقم وكان اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم به في دار الارقم ولم يكن يجتمع هو وبنو عبد المطلب كلهم في دار واحدة فان أبا لهب كان مظهرا لمعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حصر بنو هاشم في الشعب لم يدخل معهم أبولهب (٢) ان الذي في الصحاح من نزول هذه الآية غير هذا ففي الصحيحين عن ابن عمر وأبي هريرة

واللفظ

فعدمه قبل ذلك نقص وان لم يكن كمالا لم يتصف الرب بما ليس بكمال وكلا المقدمتين فيهما من التمويه والاجمال ما قد بين ويحتمل من البسط أكثر من هذا

(قال الآمدي) الحجة الثانية من جهة المناقضة للخصم والالزام وذلك من ثمانية أوجه (الاول) ان مذهب الكرامية انهم لا يجوزون اطلاق اسم محدث على الله تعالى فيما لا يزال كما بيناه من قبل فلو قامت بذاته صفات حادثة لاتصف بها وتعدى اليه حكمها كالعلم فانه اذا قام بمحل وجب اتصافه بكونه عالما وكذا في سائر الصفات القائمة بمحالها وسواء كان المحل قديما أو حادثا وسواء كانت الصفة قديمة أو حادثة اذ لا فرق بين القديم والحادث من حيث انه محل قامت به صفة الا فيما يرجع الى أمر خارج فلا أثر له واذا ثبت ذلك فيلزم من ذلك تجدد اسم لم يكن له قبل قيام الصفة الحادثة به وهو مناقض لمذهبهم (قلت) ولقائل أن يقول هذا أمر اصطلاحي لفظي ليس بحثا عقليا فان كونهم

(١) قوله يعين واحدا الخ كذا في النسخة والعبارة ركيكة وان كان الغرض ظاهرا ولعله سقط منها شيء حرر كتبه مصححه

(٢) بياض بالاصل

واللفظ له عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يابني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يابني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذي نفسك من النار فاني لا أملك لكم من الله شيأ غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا لما نزلت هذه الآية قال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيأ ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيأ سلاني ماشئتما من مالي وخرجه مسلم من حديث ابن المخارق وزهير بن عمرو ومن حديث عائشة وقال فيه قام على الصفا وقال في حديث قبيصة انطلق الى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف اني لكم نذير انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل ينادي يابني فلان يابني عبد مناف يابني عبد المطلب وفي رواية يابني فهر يابني عدي يابني فلان لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ينظر ماهو فاجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال فقال أبو لهب تبا لك ماجمعتنا الا لهذا فقام فنزلت السورة تبت يدا أبي لهب وتب وفي رواية أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم ويمسيكم أكنتم تصدقوني قالوا بلى

فان قيل فهذا الحديث قد ذكره طائفة من المفسرين والمصنفين في الفضائل كالثعلبي والبغوي وأمثالهما والمغازي قيل له مجرد رواية هؤلاء لا توجب ثبوت الحديث باتفاق أهل العلم بالحديث فان في كتب هؤلاء من الاحاديث الموضوعة ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع وفيها شئ كثير يعلم بالادلة اليقينية السمعية والعقلية أنها كذب بل فيها ما يعلم بالاضطرار أنه كذب والثعلبي وأمثاله لا يتعمدون الكذب بل فيهم من الصلاح والدين ما يمنعهم من ذلك لكن ينقلون ما وجدوه في الكتب ويروون ما سمعوه وليس لاحدهم من الخبرة بالاسانيد ما للائمة الحديث كشعبة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين واسحق ومحمد بن يحيى الذهلي والبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين وأبي عبد الله بن منده والدارقطني وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحكامه وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة تامة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال من نقل العلم والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من نقلة العلم وقد صنفوا الكتب الكثيرة في معرفة الرجال الذين نقلوا الآثار وأسمائهم وذكروا أخبارهم وأخبار من أخذوا عنه ومن أخذ عنهم مثل كتاب العلل وأسماء الرجال عن يحيى القطان وابن المديني وأحمد بن معين والبخاري ومسلم وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي والترمذي وأحمد بن عدي وابن حبان وأبي الفتح الازدي والدارقطني وغيرهم وتفسير الثعلبي فيه أحاديث موضوعة وأحاديث صحيحة ومن الموضوع فيه الاحاديث التي في فضائل السور سورة سورة وقد ذكر هذا الحديث الزمخشري والواحدي وهو كذب موضوع باتفاق أهل

لا يسمونه الا بما هو لازم لذاته دون ما يعرض لها أمر اصطلحوا عليه ولا يرد عليهم العلم والقدرة ونحوهما فانه من لوازم ذاته ولعلهم يدعون في ذلك توقيفا كما يدعي غيرهم في كثير مما لا يطلقه من الاسماء وأيضا فيقال هذا اما أن يكون لازما لهم واما أن لا يكون لازما فان لم يكن لازما بطل النقض به وان كان لازما أمكن التزامه وليس فيه الا تجدد أسماء له مما تجدد من أفعاله والمنازع يقول بمثل ذلك في جميع الافعال فانه تجدد استحقاقه لاسمائها عند تجدد الافعال كالخالق والرازق ونحو ذلك وحينئذ فيمكن اذا كان هذا صوابا أن يجمع بين الصوابين فيقال بتجدد الحادث وتجدد الاسم أيضا وأيضا فيقال الكرامية قالوا هذا لكونه عندهم متصفا في الازل بصفات الكمال وكون أسمائه كلها الاسماء الحسنى التي تتضمن مدحا له وثناء عليه وكون ذلك الحادث لا يمكن أن يكون أزليا فلا يكون مما يوجب اسما وحينئذ فيقال اما أن يمكن دوام نوع ذلك الحادث واما أن لا يمكن فان أمكن كانوا قد أخطؤا في نفي دوامه وان لم يمكن فاما أن يكون تجدد اسم له ممكنا أولا يكون فان كان ممكنا أخطؤا في نفي ذلك الاسم وان لم يكن ممكنا كانوا مصيبين فبتقدير خطئهم على

الحديث وكذلك غيرهذا وكذلك الواحدى تلميذ الثعلبي والبغوى اختصر تفسيره من تفسير
الثعلبي والواحدى لكن هما أخبر بأقوال المفسرين منه والواحدى أعلم بالعربية من هذا
وهذا والبغوى أتبع للسنة منهما وليس كون الرجل من الجمهور الذين يعتقدون خلافة الثلاثة
يوجب له أن كل ما رواه صدق كما أن كونه من الشيعة لا يوجب أن يكون كل ما رواه كذبا بل
الاعتبار بميزان العدل وقد وضع الناس أحاديث كثيرة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الاصول والاحكام والزهد والفضائل ووضعوا كثيرا من فضائل الخلفاء الاربعة
وفضائل معاوية ومن الناس من يكون قصده رواية كل ما روى فى الباب من غير تمييز بين صحيح
وضعيف كما فعله أبو نعيم فى فضائل الخلفاء وكذلك غيره ممن صنف فى الفضائل ومثل ما جمعه أبو
الفتح بن أبى الفوارس وأبو على الاهوازى وغيرهما فى فضائل معاوية ومثل ما جمعه النسائى
فى فضائل على وكذلك ما جمعه أبو القاسم بن عساكر فى فضائل على وغيره فان هؤلاء وأمثالهم
قصدوا أن يرووا ما سمعوا من غير تمييز بين صحيح ذلك وضعيفه فلا يجوز أن يجزم بصدق الخبر
بمجرد رواية الواحد من هؤلاء باتفاق أهل العلم وأما من يذكر الحديث بلا اسناد من المصنفين
فى الاصول والفقه والزهد والرقائق فهؤلاء يذكرون أحاديث كثيرة صحيحة ويذكر بعضهم
أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة كما يوجد ذلك فى كتب الرقائق والرأى وغير ذلك

(فصل) قال الرافضى الثانى الخبر المتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما نزل
قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك خطب الناس فى غدير خم وقال للجمع
كله يا أيها الناس ألست أولى منكم بأنفسكم قالوا بلى قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فقال عمر بخ بخ أصبحت
مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة والمراد بالمولى هنا الاولى بالتصرف لتقدم التقوى منه صلى الله
عليه وسلم بقوله ألست أولى منكم بأنفسكم

(والجواب) عن هذه الآية والحديث المذكور قد تقدم وبينا أن هذا كذب وأن قوله بلغ
ما أنزل اليك من ربك نزل قبل حجة بمدة طويلة ويوم الغدير انما كان ثامن عشر ذى الحجة بعد
رجوعه من الحج وعاش بعد ذلك شهرين وبعض الثالث ومما يبين ذلك أن آخر المائدة نزولا
قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى وهذه الآية نزلت بعرفة تاسع ذى
الحجة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة كما ثبت ذلك فى الصحاح والسنن
وكما قاله العلماء قاطبة من أهل التفسير والحديث وغيرهم وغدير خم كان بعد رجوعه الى المدينة
ثامن عشر ذى الحجة بعد نزول هذه الآية بتسعة أيام فكيف يكون قوله بلغ ما أنزل اليك من
ربك نزل ذلك الوقت ولا خلاف بين أهل العلم أن هذه الآية نزلت قبل ذلك وهى من أوائل
ما نزل بالمدينة وان كان ذلك فى سورة المائدة كما أن فيها تحريم الخمر والخمر حرمت فى أوائل
الامر عقب غزوة أحد وكذلك فيها الحكم بين أهل الكتاب بقوله فان جاؤك فاحكم بينهم
أو أعرض عنهم وهذه الآية انما نزلت فى الحد لما رجم اليهوديين واما فى الحكم بين قريظة
والنضير لما تحاكموا اليه فى الدماء ورجم اليهوديين كان أول ما فعله بالمدينة وكذلك الحكم بين
قريظة والنضير فان بنى النضير أجلاهم قبل الخندق وقريظة قتلهم عقب غزوة الخندق
والخندق باتفاق الناس كان قبل الحديبية وقبل فتح خيبر وذلك كله قبل فتح مكة وغزوة حنين
وذلك كله قبل حجة الوداع وحجة الوداع قبل خطبة الغدير فمن قال ان المائدة نزل فيها شئ بعد

بعض التقديرات لا يلزم صواب
قول منازعيهم
(قال الآمدى) الوجه الثانى أن
الكرامية موافقون على أن القول
والارادة لا يقومان الا بحى كالسمع
والبصر وقد وافقوا على أن الحى
اذا خلا عن السمع والبصر لا يخلو
عن ضده وعند ذلك فاما أن يقولوا
بان الله يخلو عن القول الحادث
أو الارادة الحادثة وعن ضده فلا
يجدون الى الفرق بينه وبين السمع
والبصر سبيلا وان قالوا بأنه
لا يخلو الرب عن القول والارادة
وعن ضده فلا يخلو ذلك الضد
اما أن يكون قديما أو حادثا فان
كان الاول فيلزم من ذلك عدم
الموجود القديم ضرورة حدوث
ضده وهو محال بالاتفاق
وبالدليل على ما سيأتى وان كان
الثانى فالكلام فى ذلك الضد
كالكلام فى الاول ويلزم من ذلك
تعاقب الحوادث على الرب تعالى
على وجه لا يتصور خلوه عن واحد
منها والحوادث المتعاقبة لا بد وأن
تكون متناهية على ما سبق فى اثبات
واجب الوجود وما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث ضرورة
* فيقال ولقائل أن يقول نظير
القول الحادث والارادة الحادثة
عندهم التسمع الحادث والتبصر
الحادث فانهم يقولون انه عند
وجود المسموعات والمرئيات تجدد
ما يسمونه التسمع والتبصر فهذا

غدير خم فهو كاذب مفتر باتفاق أهل العلم وأيضا فان الله تعالى قال فى كتابه يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فضمن له سبحانه أنه يعصمه من الناس اذا بلغ الرسالة ليؤمنه بذلك من الاعداء ولهذا روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل نزول هذه الآية يحترس فلما نزلت هذه الآية ترك ذلك وهذا انما يكون قبل تمام التبليغ وفى حجة الوداع تم التبليغ وقال فى حجة الوداع ألا هل بلغت ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد وقال لهم أيها الناس انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وأنتم تسئلون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع اصبعه الى السماء وينكبها الى الناس ويقول اللهم اشهد اللهم اشهد وهذا اللفظ حديث جابر فى صحيح مسلم وغيره من الاحاديث الصحيحة وقال ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فتكون العصمة المضمونة موجودة قبل التبليغ المتقدم فلا تكون هذه الآية نزلت بعد حجة الوداع لانه قد بلغ قبل ذلك ولانه حينئذ لم يكن خائفا من أحد يحتاج أن يعتصم منه بل بحجة الوداع كانت وأهل مكة والمدينة وما حولهما كلهم مسلمون منقادون له ليس فيهم كافر والمنافقون مقموعون مسرون للنفاق ليس فيهم من يحاربه ولا من يخاف الرسول منه فلا يقال له فى هذه الحال بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وهذا مما يبين أن الذى جرى يوم الغدير لم يكن مما أمر بتبليغه كالذى بلغه فى حجة الوداع فان كثيرا من الذين حجوا معه أو أكثرهم لم يرجعوا معه الى المدينة بل رجع أهل مكة الى مكة وأهل الطائف الى الطائف وأهل اليمن الى اليمن وأهل البوادى القريبة من ذلك الى بواديهم وانما رجع معه أهل المدينة ومن كان قريبا منها فلو كان ما ذكره يوم الغدير مما أمر بتبليغه كالذى بلغه فى الحج لبلغه فى حجة الوداع كما بلغ غيره ولم يذكر فى حجة الوداع امامة ولا ما يتعلق بالامامة أصلا ولم ينقل أحد باسناد صحيح ولا ضعيف أنه فى حجة الوداع ذكر امامة على بل ولا ذكر عليا فى شئ من خطبته وهو المجمع العام الذى أمر فيه بالتبليغ العام علم أن امامة على لم تكن من الدين الذى أمر بتبليغه بل ولا حديث المؤاخاة وحديث الثقلين مما يذكر فى أمامته ونحو ذلك والذى رواه مسلم بانه بغدير خم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فذكر كتاب الله وحض عليه ثم قال وعترتى أهل بيتى أذكركم الله ثلاثا وهذا مما انفرد به مسلم ولم يروه البخارى وقد رواه الترمذى وزاد فيه وانهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض وقد طعن غير واحد من الحفاظ فى هذه الزيادة وقال انها ليست من الحديث والذين اعتقدوا صحتها قالوا انما يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون على ضلالة وهذا قد قاله طائفة من أهل السنة وهو من أجوبة القاضى أبى يعلى وغيره والحديث الذى فى مسلم اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قاله فليس فيه الا الوصية باتباع كتاب الله وهذا أمر قد تقدمت الوصية به فى حجة الوداع قبل ذلك وهو لم يأمر باتباع العترة ولكن قال أذكركم الله فى أهل بيتى وتذكر الامة لهم يقتضى أن يذكروا ما تقدم الامر به قبل ذلك من اعطائهم حقوقهم والامتناع من ظلمهم وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خم فعلم أنه لم يكن فى غدير خم أمر بشرع نزل اذ ذاك لا فى حق على ولا فى حق غيره لا امامته ولا غيرها لكن حديث المؤاخاة قد رواه الترمذى وأحمد فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كنت مولاه فعلى مولاه وأما الزيادة وهى قوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الخ فلا ريب أنه كذب ونقل الاثرم فى سننه عن أحمد أن العباس سأله عن حسين الاشقر وانه

الحادث نظير ذلك الحادث وعندهم أنه يخلو من وجود مثل هذا وضده العام بخلاف نفس السمع والبصر فان ذلك عندهم بمنزلة القائلية والمريدية وعندهم أنه لا يخلو عن القائلية والمريدية وضدها العام كما لا يخلو عن نفس السمع والبصر وضده العام فان قيل منهم من يفرق بين القول والارادة وبين التسمع والتبصر فيقال قد قيل ان هذا ليس هو المشهور عنهم وسواء كان هو المشهور أو لم يكن فانه يقال ان كان صورة الالزام كصورة الوفاق لزم خطأ من فرق بين الصورتين منهم وان كان بينهما فرق مؤثر فى الحكم لزم خطأ المسوى منهم وعلى التقديرين لا يلزم صواب المنازع لهم وأيضا فانه يقال اما أن يكون تعاقب الحوادث ممكنا واما أن يكون ممتنعا فان كان ممكنا كانوا أخطؤا فى قولهم يخلو عن القول والارادة وعن ضدهما اذ يمكن تعاقب ذلك عليه دائما وان كان ممتنعا كان هذا الامتناع هو الفرق بين ذلك وبين السمع والبصر فانه يمكن اتصافه فى الازل بالسمع والبصر دون اتصافه بالحادث من القول والارادة لكن على هذا لا يلزم تناقضهم فى أن القابل للشئ لا يخلو عنه وعن ضده فانهم يقولون ليس هو قابلا فى الازل للاتصاف بالحوادث لكن يقال لهم هذا فرع

حدثه بحديثين قوله لعلي انك ستعرض على البراءة مني فلا تبرأ والآخر اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فأنكره أبو عبيد الله جدا لم يشك أن هذين كذب وكذلك قوله أنت أولى بكل مؤمن ومؤمنة كذب أيضا وأما قوله من كنت مولاه فعلي مولاه فليس هو في الصحاح لكن هو مما رواه العلماء وتنازع الناس في صحته فنقل عن البخاري وابراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه ونقل عن أحمد بن حنبل أنه حسنه كما حسنه الترمذي وقد صنف أبو العباس بن عقدة مصنفا في جميع طرقه وقال ابن حزم الذي صح من فضائل علي فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي وقوله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مسلم ومؤمن وفاضل وعهده صلى الله عليه وسلم أن عليا لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وقد صح مثل هذا في الانصار أنهم لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر قال وأما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طرق الثقات أصلا وأما سائر الاحاديث التي يتعلق بها الروافض فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى المام بالاخبار ونقلها فان قيل لم يذكر ابن حزم ما في الصحيحين من قوله أنت مني وأنا منك وحديث المباهلة والكساء قيل مقصود ابن حزم الذي في الصحيح من الحديث الذي لا يذكر فيه الا علي وأما تلك ففيها ذكر غيره فانه قال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وحديث المباهلة والكساء فيهما ذكر علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فلا يرد هذا على ابن حزم ونحن نجيب بالجواب المركب فنقول ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فلا كلام فان قاله فلم يرد به قطعا الخلافة بعده اذ ليس في اللفظ ما يدل عليه ومثل هذا الامر العظيم يجب أن يبلغ بلاغا مبينا وليس في الكلام ما يدل دلالة بينة على أن المراد به الخلافة وذلك ان المولى كالولي والله تعالى قال انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا وقال وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فبين أن الرسول ولي المؤمنين وأنهم مواليه أيضا كما بين أن الله ولي المؤمنين وأنهم أولياؤه وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فالموالاة ضد المعاداة وهي تثبت من الطرفين وان كان أحد المتواليين أعظم قدرا وولايته احسان وتفضل وولاية الآخر طاعة وعبادة كما أن الله يحب المؤمنين والمؤمنون يحبونه فان الموالاة ضد المعاداة والمحاربة والمخادعة والكفار لا يحبون الله ورسوله ويحادون الله ورسوله ويعادونه وقد قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون وهو يجازيهم على ذلك كما قال تعالى فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وهو ولي المؤمنين ومولاهم يخرجهم من الظلمات الى النور واذا كان كذلك فمعنى كون الله ولي المؤمنين ومولاهم وكون الرسول وليهم ومولاهم وكون علي مولاهم هي الموالاة التي هي ضد المعاداة والمؤمنون يتولون الله ورسوله الموالاة المضادة للمعاداة وهذا حكم ثابت لكل مؤمن فعلي رضي الله عنه من المؤمنين الذين يتولون المؤمنين ويتولونه وفي هذا الحديث اثبات ايمان علي في الباطن والشهادة له بانه يستحق الموالاة باطنا وظاهرا وبرد ما يقوله فيه أعداؤه من الخوارج والنواصب لكن ليس فيه أنه ليس من المؤمنين مولى غيره فكيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم له موال وهم صالحو المؤمنين فعلي أيضا له مولى بطريق الاولى والاحرى وهم المؤمنون الذين يتولونه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أسلم وغفارا ومزينة وجهينة وقريشا والانصار ليس لهم مولى دون الله ورسوله وجعلهم موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جعل صالح المؤمنين مواليه

امكان اتصافه بالحوادث فلم قلتم ان ذلك ممكن فيقولون وهذا الالزام والمعارضة فرع امتناع اتصافه بالحوادث فلم قلتم ان ذلك ممتنع فعلم أن مثل هذا الالزام لا ينقطع به لا هم ولا خصومهم المسلمون لهم امتناع تسلسل الحوادث وأما من يقول انه يمكن تسلسل الحوادث فانه يبين خطأهم في هذا التفريق ويقول اذا كان الحي لا يخلو عما يقبله وعن ضده والرب تعالى قابل للاتصاف بالقول والارادة لزم أن لا يخلو عن ذلك وعن ضده لكن ضده صفة نقص كضد السمع والبصر فيلزم أنه ما زال متصفا بالقول والارادة والاتصاف بنوع ذلك ممكن ولهم جواب ثالث عما ذكره من الالزام وهو أن يقال نحن قلنا الحي القابل لهذا لا يخلو عنه وعن ضده العام الذي يدخل فيه عدم هذه الصفات لم نقل انه لا يخلو عنه وعن ضد وجودي فان هذا ليس قولنا فان القابل للشيء ولضده الوجودي قد يخلو عنهما عندنا ولكن الاشعرية يقولون ان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده الوجودي واذا كان كذلك فضد القول والارادة عدم ذلك فلا يقال القول في ضد ذلك كالقول فيه فيلزم تسلسل الحوادث لان ضد ذلك عدم والعدم لا يفتقر الى فاعل عندنا ولا يضر عدم الشيء في الازل ووجوده فيما لا يزال

والله ورسوله مولاهم وفى الجملة فرق بين الولى والمولى ونحو ذلك و بين الوالى فباب الولاية التى هى ضد العداوة شئ وباب الولاية التى هى الامارة شئ والحديث انما هو فى الاولى دون الثانية والنبى صلى الله عليه وسلم لم يقل من كنت واليه فعلى واليه وانما اللفظ من كنت مولاه فعلى مولاه وأما كون المولى بمعنى الوالى فهذا باطل فان الولاية تثبت من الطرفين فان المؤمنين أولياء الله وهو مولاهم وأما كونه أولى بهم من أنفسهم فلا يثبت الا من طرفه صلى الله عليه وسلم وكونه أولى بكل مؤمن من نفسه من خصائص نبوته ولو قدر أنه نص على خليفة من بعده لم يكن ذلك موجبا أن يكون أولى بكل مؤمن من نفسه كما أنه لا يكون أزواجه أمهاتهم ولو أريد هذا المعنى لقال من كنت أولى به من نفسه فعلى أولى به من نفسه وهذا لم يقله ولم ينقله أحد ومعناه باطل قطعا لان كون النبى صلى الله عليه وسلم أولى بكل مؤمن من نفسه أمر ثابت فى حياته ومماته وخلافة على لو قدر وجودها لم تكن الا بعد موته لم تكن فى حياته فلا يجوز أن يكون على خليفة فى زمنه فلا يكون حينئذ أولى بكل مؤمن من نفسه بل ولا يكون مولى أحد من المؤمنين اذا أريد الخلافة وهذا مما يدل على أنه لم يرد الخلافة فان كونه ولى كل مؤمن وصف ثابت له فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لم يتأخر حكمه الى الموت وأما الخلافة فلا يصير خليفة الا بعد الموت فعلم أن هذا ليس هذا واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فى حياته و بعد مماته الى يوم القيامة واذا استخلف أحدا على بعض الامور فى حياته أو قدر أنه استخلف أحدا بعد موته وصار له خليفة بنص أو اجماع فهو أولى بتلك الخلافة و بكل المؤمنين من أنفسهم فلا يكون قط غيره أولى بكل مؤمن من نفسه لا سيما فى حياته وأما كون على وغيره مولى كل مؤمن فهو وصف ثابت لعلى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و بعد مماته و بعد ممات على فعلى اليوم مولى كل مؤمن وليس اليوم متوليا على الناس وكذلك سائر المؤمنين بعضهم أولياء بعض

(فصل) قال الرافضى البرهان الثالث قوله أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى ومن جملة منازل هرون انه كان خليفة لموسى ولو عاش بعده لكان خليفة أيضا (١) والا بطريق النص اليه ولانه خلفه مع وجوده وغيبته مدة يسيرة فعند موته تطول الغيبة فيكون أولى بأن يكون خليفة

(والجواب) أن هذه الاحاديث ثبتت فى الصحيحين بلا ريب وغيرهما وكان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى غزوة تبوك وكان صلى الله عليه وسلم كلما سافر فى غزوة أو عمرة أو حج يستخلف على المدينة بعض الصحابة كما استخلف على المدينة فى غزوة ذى (٢) عثمان وفى غزوة بنى قينقاع بشير بن المنذر ولما غزا قريشا ووصل الى الفرع استعمل ابن أم مكتوم وذكر ذلك محمد بن سعد وغيره وبالجملة فمن المعلوم أنه كان لا يخرج من المدينة حتى يستخلف وقد ذكر المسلمون من كان يستخلفه فقد سافر من المدينة فى عمرتين عمرة الحديبية وعمرة القضاء وفى حجة الوداع وفى مغازيه أكثر من عشرين غزاة وفيها كلها استخلف وكان يكون بالمدينة رجال كثيرون يستخلف عليهم من يستخلفه فلما كان فى غزوة تبوك لم يأذن لاحد فى التخلف عنها وهى آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع معه أحد كما اجتمع معه فيها فلم يتخلف عنه الا النساء والصبيان أو من هو معذور لعجزه عن الخروج أو من هو منافق وتخلف الثلاثة الذين تيب عليهم لم يكن فى المدينة رجال من المؤمنين يستخلف عليهم كما كان يستخلف عليهم فى كل

كالافعال المحدثة وهذا جواب محقق لهم لكنه لا يتم الا بأن يكون عدم القول والارادة فى الازل ليس صفة نقص وقولهم فى ذلك كقول المعتزلة وهم خير من المعتزلة من وجهين من جهة أنهم يجعلون القول والارادة قائمة بذاته وهذا بحث آخر لا يختص بهذه المسئلة ومن جهة أنهم يثبتون مشيئة أزلية وقابلية أزلية وأيضا فما ادعاه من أنه أثبت أن الحوادث لابد وأن تكون متناهية ليس كما ذكر وقد عرف الكلام فيما ذكر هو وغيره وضعف ذلك

(قال أبو الحسن الآمدى) الوجه الثالث يعنى فى بيان تناقضهم أن مذهبهم أن القول الحادث والارادة الحادثة عرض كاللون والطعم والرائحة وأنه يجوز فى الشاهد تعرى الجواهر عن الاقوال والارادات والطعوم والروائح والالوان مع جواز اتصافها بها وقد أحالوا قيام الالوان والطعوم والروائح بذات الله تعالى وجوزوا ذلك فى القول والارادة ولو قيل لهم لم قضيتم بجواز قيام الطعوم والالوان والروائح بذات

---

(١) قوله والابطريق النص اليه كذا فى النسخة وهو غير منتظم ولعل هنا سقطا فليرجع الى أصل الرافضى اه كتبه مصححه

(٢) بياض بالاصل

مرة بل كان هذا الاستخلاف أضعف من الاستخلافات المعتادة منه لانه لم يبق فى المدينة
رجال من المؤمنين أقوياء يستخلف عليهم أحدا كما كان يبقى فى جميع مغازيه فانه كان يكون
بالمدينة رجال كثيرون من المؤمنين أقوياء يستخلف عليهم من يستخلف فكل استخلاف يستخلفه
فى مغازيه مثل استخلافه فى غزوة بدر الكبرى والصغرى وغزوة بنى المصطلق والغابة وخيبر
وفتح مكة وسائر مغازيه التى لم يكن فيها قتال ومغازيه بضع عشرة غزوة وقد استخلف فيها كلها
الا القليل وقد استخلف فى حجة الوداع وعمرتين قبل غزوة تبوك وفى كل مرة يكون بالمدينة
أفضل ممن بقى فى غزوة تبوك فكان كل استخلاف قبل هذه يكون على أفضل ممن استخلف عليه
عليا فلهذا خرج اليه على رضى الله عنه يبكى وقال أتخلفنى مع النساء والصبيان وقيل ان
بعض المنافقين طعن فيه وقال انما خلفه لانه يبغضه فبين له النبى صلى الله عليه وسلم أنى انما
استخلفتك لامانتك عندى وان الاستخلاف ليس بنقص ولا غض فان موسى استخلف هرون
على قومه فكيف يكون نقصا وموسى يفعله بهرون فطيب بذلك قلب على وبين أن جنس
الاستخلاف يقتضى كرامة المستخلف وأمانته لا يقتضى اهانته ولا تخوينه وذلك لان
المستخلف يغيب عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد خرج معه جميع الصحابة والملوك وغيرهم اذا
خرجوا فى مغازيهم أخذوا معهم من يعظم انتفاعهم به ومعاونته لهم ويحتاجون الى مشاورته
والانتفاع برأيه ولسانه ويده وسيفه والمتخلف اذا لم يكن له فى المدينة سياسة كثيرة لا يحتاج الى
هذا كله فظن من ظن أن هذا غضاضة من على ونقص منه وخفض من منزلته حيث لم يأخذه
معه فى المواضع المهمة التى تحتاج الى سعى واجتهاد بل تركه فى المواضع التى لا تحتاج الى كبير
سعى واجتهاد فكان قول النبى صلى الله عليه وسلم مبينا أن جنس الاستخلاف ليس نقصا ولا غضا
اذ لو كان نقصا أو غضا لما فعله موسى بهرون ولم يكن هذا الاستخلاف كاستخلاف هرون لان
العسكر كان مع هرون وانما ذهب موسى وحده وأما استخلاف النبى صلى الله عليه وسلم
فجميع العسكر كان معه ولم يتخلف بالمدينة غير النساء والصبيان الا معذور أو عاص وقول
القائل هذا بمنزلة هذا وهذا مثل هذا هو كتشبيه الشئ بالشئ وتشبيه الشئ بالشئ يكون بحسب
مادل عليه السياق لا يقتضى المساواة فى كل شئ ألا ترى الى ماثبت فى الصحيحين من قول النبى
صلى الله عليه وسلم فى حديث الاسارى لما استشار أبا بكر وأشار بالفداء واستشار عمر فأشار
بالقتل قال سأخبركم عن صاحبيكم مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم اذ قال فمن تبعنى فانه منى ومن
عصانى فانك غفور رحيم ومثل عيسى اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت
العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا أو مثل
موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
فقوله لهذا مثلك كمثل ابراهيم وعيسى ولهذا مثل نوح وموسى أعظم من قوله أنت منى بمنزلة
هرون من موسى فان نوحا وابراهيم وموسى وعيسى أعظم من هرون وقد جعل هذين مثلهم ولم
يرد أنهما مثلهم فى كل شئ لكن فيما دل عليه السياق من الشدة فى الله واللين فى الله وكذلك
هنا انما هو بمنزلة هرون فيما دل عليه السياق وهو استخلافه فى مغيبه كما استخلف موسى
هرون وهذا الاستخلاف ليس من خصائص على بل ولا هو مثل استخلافاته فضلا عن أن يكون
أفضل منها وقد استخلف من على أفضل منه فى كثير من الغزوات ولم تكن تلك الاستخلافات
توجب تقديم المستخلف على على اذا قعد معه فكيف يكون موجبا لتفضيله على على بل

الله تعالى من غير أن يلزم استحالة
التعرى عنها كما فى القول الحادث
والارادة الحادثة لم يجدوا الى الفرق
سبيلا فيقال ولقائل أن يقول
جوابهم فى هذا كجواب الاشعرية
والسالمية اذا قيل لهم لم وصفتم
الرب بالقول والارادة ولم تصفوه
بالطعم واللون والريح فاذا قالوا لان
القول والارادة من الصفات
المشروطة بالحياة وهى صفة كمال
بخلاف الطعم واللون والريح أو
غير هذا من الفرق قالت الكرامية
نظير ذلك فالفرق بين هذا وهذا
ليس من خصائص مسئلة حلول
الحوادث فان نفى ذلك عند من
ينفيه واجب سواء قال بحلول
الحوادث أو لم يقل ولو أثبته مثبت
لكان يثبته سواء قال بحلول
الحوادث أو لم يقل وانما يفترقان
فى أن هذا يجوز حدوث ذلك
بخلاف الآخر فحاصله أنهم لم
ينفوا الطعم واللون والريح لكونه
لو قبلها لم يخل منها فان هذا الاصل
عندهم فاسد بل نفوها لما فارقت
به صفات الحى وأيضا فيقال الفرق
الذى فرقوا به بين اللون والريح
وبين القول والارادة اما أن يكون
مؤثرا وإما أن لا يكون فان كان
مؤثرا بطل الالزام وان لم يكن
مؤثرا لزم خطؤهم فى احدى
الصورتين لا بعينها فلم لا يجوز أن
يكون الخطأ فيما نفوه لا فيما أثبتوه
فلا يدل على صحة قول المنازع لهم

قد استخلف على المدينة غير واحد وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هرون من موسى من جنس
استخلاف على بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلفه عليه عام تبوك
وكانت الحاجة الى الاستخلاف أكثر فانه كان يخاف من الاعداء على المدينة فأما عام تبوك
فانه كان قد أسلمت العرب بالحجاز وفتحت مكة وظهر الاسلام وعز ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو
أهل الكتاب بالشام ولم تكن المدينة تحتاج الى من يقاتل بها العدو ولهذا لم يدع النبي صلى الله
عليه وسلم عند على أحدا من المقاتلة كما كان يدع بها فى سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة كلهم
معه وتخصيصه لعلى بالذكر هنا هو مفهوم اللقب وهو نوعان لقب هو جنس ولقب يجرى مجرى
العلم مثل زيد وأنت وهذا المفهوم أضعف المفاهيم ولهذا كان جماهير أهل الاصول والفقه
على أنه لا يحتج به فاذا قال محمد رسول الله لم يكن هذا نفيا للرسالة عن غيره لكن اذا كان فى سياق
الكلام ما يقتضى التخصيص فانه يحتج به على الصحيح كقوله ففهمناها سليمان وقوله كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون وأما اذا كان التخصيص لسبب يقتضيه فلا يحتج به باتفاق الناس
فهذا من ذلك فانه انما خص عليا بالذكر لانه خرج اليه يبكى ويشكو تخليفه مع النساء والصبيان
ومن استخلفه سوى على لما لم يتوهموا أن فى الاستخلاف نقصا لم يحتج أن يخبرهم بمثل هذا الكلام
والتخصيص بالذكر اذا كان لسبب يقتضى ذلك لم يقتض الاختصاص بالحكم فليس فى الحديث
دلالة على أن غيره لم يكن منه بمنزلة هرون من موسى كما أنه لما قال للمضروب الذى نهى
عن لعنه دعه فانه يحب الله ورسوله لم يكن هذا دليلا على أن غيره لا يحب الله ورسوله بل ذكر
ذلك لاجل الحاجة اليه لينهى بذلك عن لعنه ولما استأذنه عمر رضى الله عنه فى قتل حاطب بن
أبى بلتعة قال دعه فانه قد شهد بدرا ولم يدل هذا على أن غيره لم يشهد بدرا بل ذكر المقتضى لمغفرة
ذنبه وكذلك لما شهد للعشرة بالجنة لم يقتض أن غيرهم لا يدخل الجنة لكن ذكر ذلك لسبب
اقتضاه وكذلك لما قال للحسن وأسامة اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما لا يقتضى
انه لا يحب غيرهما بل كان يحب غيرهما أعظم من محبتهما وكذلك لما قال لا يدخل النار أحد
بايع تحت الشجرة لم يقتض أن من سواهم يدخلها وكذلك لما شبه أبا بكر بابراهيم وعيسى
لم يمتنع أن يكون فى أمته من يشبه ابراهيم وعيسى وكذلك لما شبه عمر بنوح وموسى لم يمتنع
أن يكون فى أمته من يشبه نوحا وموسى فان قيل ان هذين أفضل من يشبههم من أمته قيل
الاختصاص بالكمال لا يمنع المشاركة فى أصل التشبيه وكذلك لما قال عن عروة بن مسعود انه
مثل صاحب ياسين وكذلك لما قال للاشعريين هم منى وأنا منهم لم يختص ذلك بهم بل قال لعلى
أنت منى وأنا منك وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وذلك لا يختص بزيد بل أسامة أخوهم
ومولاهم وبالجملة الامثال والتشبيهات كثيرة جدا وهى لا تثبت التماثل من كل وجه بل فيما
سيق الكلام له ولا تقتضى اختصاص المشبه بالتشبيه بل يمكن أن يشاركه غيره فى ذلك قال
الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة
مائة حبة وقال تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية وقال مثل ما ينفقون فى هذه الحياة
الدنيا كمثل ريح فيها صر وقد قيل ان فى القرآن اثنين وأربعين مثلا وقول القائل انه جعله
بمنزلة هرون فى كل الاشياء الا فى النبوة باطل فان قوله أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من
موسى دليل على أنه يسترضيه بذلك ويطيب قلبه لما توهم من وهن الاستخلاف ونقص درجته
فقال هذا على سبيل الجبر له وقوله بمنزلة هرون من موسى أى مثل منزلة هرون وان نفس منزلته

فيما أثبتوه فان أقام المنازع لهم
دليلا عقليا أو سمعيا على نفى اللون
والريح دون القول والارادة
كان ذلك فرقا مؤثرا وان أقام دليلا
على نفى حلول الجميع كان ذلك
حجة كافية دون الالزام
(قال الآمدى) الوجه الرابع هو
أن من مذهبهم أن الرب متحيز وأنه
مقابل للعرش وأكبر منه وليس
مقابلا لجوهر فرد من العرش وقد
قالوا بان العرض الواحد لا يقوم
بجوهرين والصفة الحادثة فى ذات
الله تعالى وهى القول أو الارادة كما
هو مذهبهم يجب قيامها مع اتحادها
بجزئين فصاعدا وهو مناقض
لمذهبهم ﴿ قلت ولقائل أن يقول
قولهم ان العرض لا يقوم
بجوهرين مع قولهم بقيام القول
والارادة بالله تعالى أمر لا يختص
بمسألة حلول الحوادث فان العلم
والقدرة والمشيئة القديمة قائمة
عندهم بذات الله تعالى فالقيام
بذاته لا يفترق الحال فيه بين أن
يكون قديما أو حادثا من جهة
كونه صفة واحدة قامت بجزأين
بل هذا بحث يتعلق بمسألة
الصفات مطلقا ولها موضع آخر
وأيضا فيقال اذا كان من مذهبهم
أن الرب متحيز كما حكاه عنهم مع أن
ابن الهيصم وغيره منهم ينكر أن
يكون متحيزا فاذكر من حجة
المعتزلة عليهم غايتها الزامهم اذا
قامت به الصفات والحوادث أن

من موسى بعينها لا تكون لغيره وانما يكون له ما يشابهها فصار هذا كقوله هذا مثل هذا وقوله عن أبي بكر مثله مثل ابراهيم وعيسى وعمر مثله مثل نوح وموسى ومما يبين ذلك أن ذلك كان عام تبوك ثم بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميرا على الموسم وأردفه بعلي فقال أميرا أم مأمور فكان أبو بكر أميرا عليه وعلي معه كالمأمور مع أميره يصلي خلفه وينادي مع الناس بالموسم ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وانما اردفه به لينبذ العهد الى العرب فانه كان من عادتهم أن لا يعقد العقود و ينبذها الا السيد المطاع أو رجل من أهل بيته فلم يكونوا يقبلون نقض العهود الا من رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يبين ذلك أنه لو أراد أن يكون خليفة على أمته بعده لم يكن هذا خطابا بينهما يناجيه به ولا كان أخره حتى يخرج اليه علي و يشتكي بل كان هذا من الحكم الذي يجب بيانه وتبليغه للناس كلهم بلفظ يبين المقصود ثم من جهل الرافضة أنهم يتناقضون فان هذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخاطب عليا بهذا الخطاب الا ذلك اليوم في غزوة تبوك فلو كان علي قد عرف أنه المستخلف من بعده كما رووا ذلك فيما تقدم لكان علي مطمئن القلب أنه مثل هرون بعده وفي حياته ولم يخرج اليه يبكي ولم يقل له أتخلفني مع النساء والصبيان ولو كان علي بمنزلة هرون مطلقا لم يستخلف عليه أحدا وقد كان يستخلف على المدينة غيره وهو فيها كما استخلف على المدينة عام خيبر غير علي وكان علي بها أرمد حتى لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الراية حين قدم وكان قد أعطى الراية رجلا فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأما قوله لانه خليفة مع وجوده وغيبته مدة يسيرة فعند موته تطول الغيبة يكون أولى بأن يكون خليفة (فالجواب) أنه مع وجوده وغيبته قد استخلف غير علي استخلافا أعظم من استخلاف علي واستخلف أولئك على أفضل من الذين استخلف عليهم عليا وقد استخلف بعد تبوك على المدينة غير علي في حجة الوداع فليس جعل علي هو الخليفة بعده لكونه استخلفه على المدينة بأولى من هؤلاء الذين استخلفهم على المدينة كما استخلفه وأعظم مما استخلفه وآخر الاستخلاف كان على المدينة عام حجة الوداع وكان علي باليمن وشهد معه الموسم لكن استخلف عليها في حجة الوداع غير علي فان كان الاصل بقاء الاستخلاف فبقاء من استخلفه في حجة الوداع أولى من بقاء استخلاف من استخلفه قبل ذلك وبالجملة فالاستخلافات على المدينة ليست من خصائصه ولا تدل على الافضلية ولا على الامامة بل قد استخلف عددا غيره ولكن هؤلاء جهال يجعلون الفضائل العامة المشتركة بين علي وغيره خاصة بعلي وان كان غيره أكمل منه فيها كما فعلوا في النصوص والوقائع وهكذا فعلت النصارى جعلوا ما أتى به المسيح من الآيات دالا على شئ يختص به من الحلول والاتحاد وقد شاركه غيره من الانبياء فيما أتى به وكان ما أتى به موسى من الآيات أعظم مما جاء به المسيح فليس هنالك سبب يوجب اختصاص المسيح دون ابراهيم وعيسى لا بحلول ولا اتحاد بل ان كان ذلك كله ممتنعا فلا ريب أنه كله ممتنع في الجميع وان فسر ذلك بأمر ممكن كحصول معرفة الله والايمان به والانوار الحاصلة بالايمان به ونحو ذلك فهذا قدر مشترك بأمر ممكن وهكذا الأمر مع الشيعة يجعلون الأمور المشتركة بين علي وغيره التي تعمه وغيره مختصة به حتى رتبوا عليه ما يختص به من العصمة والامامة والافضلية وهذا كله منتف فمن عرف سيرة الرسول وأحوال الصحابة ومعاني القرآن والحديث علم أنه ليس هنالك اختصاص بما يوجب أفضليته ولا امامته بل فضائله مشتركة

يكون متحيزا فاذا كانوا ملتزمين لذلك كان هذا اطرد قولهم ويبقى البحث ليس هو في هذه المسئلة بل يبقى الكلام كله مع المعتزلة يعود الى مسئلة التحيز والكلام اذا عاد الى أصل واحد كان الكلام فيه أخف مع انهم يمكنهم أن يلزموا المعتزلة بقيام الحوادث به وان لم يكن متحيزا اذا كان لكل من المسئلتين مأخذ يخصه وبينهما اتفاق وافتراق وأيضا فان ذكر قولهم في العرش ههنا لا يظهر له وجه الا أن يقال هم يقولون بالتحيز والمتحيز مركب من الجواهر المنفردة والعرض الواحد لا يقوم بجوهرين فلا يقوم به ارادة ولا قول وهذا القول ان توجه كان سؤالا عليهم في أصل اثبات الصفات لله سواء كانت قديمة أو حادثة لا يختص هذا بمسئلة حلول الحوادث والكرامية لهم في اثبات الجوهر الفرد قولان فمن نفى ذلك لم يلزمه هذا الالزام ومن أثبته كان جوابه عن هذا كجواب غيره من الصفاتية في الصفات القائمة بالملائكة والآدميين وغيرهم وكان لهم أيضا أجوبة أخرى كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع (قال الآمدي) الخامس هو أن من مذهبهم ان مستند المحدثات انما هو القول الحادث أو الارادة الحادثة ومستند القول والارادة القدرة القديمة والمشيئة الازلية ولا فرق بين الحادث والمحدث من

وفيها من الفائدة اثبات ايمان علي و ولايته والرد على النواصب الذين يسبونه و يفسقونه و يكفرونه و يقولون فيه من جنس ما تقوله الرافضة في الثلاثة ففي فضائل علي الثابتة رد على النواصب كما أن في فضائل الثلاثة رداً على الروافض وعثمان رضي الله عنه تقدح فيه الروافض والخوارج ولكن شيعته يعتقدون امامته و يقدحون في امامة علي وهم في بدعتهم خير من شيعة علي الذين يقدحون في غيره والزيدية الذين يتولون أبا بكر وعمر مضطربون فيه وأيضا فالاستخلاف في الحياة نوع نيابة لا بد منه لكل ولي أمر وليس كل من يصلح للاستخلاف في الحياة على بعض الامة يصلح أن يستخلف بعد الموت فان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف في حياته غير واحد ومنهم من لا يصلح للخلافة بعد موته وذلك كبشير بن المنذر وغيره وأيضا فانه مطالب في حياته بما يجب عليه من القيام بحقوق الناس كما يطالب بذلك ولاة الامور وأما بعد موته فلا يطالب بشئ لانه قد بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ففي حياته يجب عليه جهاد الاعداء وقسم الفيء واقامة الحدود واستعمال العمال وغير ذلك مما يجب على ولاة الامور بعده وبعد موته لا يجب عليه شئ من ذلك فليس الاستخلاف في الحياة كالاستخلاف بعد الموت والانسان اذا استخلف أحدا في حياته على أولاده وما يأمر به من البر كان المستخلف وكيلا مختصا يفعل ما أمر به الموكل وان استخلف أحدا على أولاده بعد موته كان وليا مستقلا يعمل بحسب المصلحة كما أمر الله به ورسوله ولم يكن وكيلا للميت وهكذا أولو الامر اذا استخلف أحدهم شخصا في حياته فانه يفعل ما يأمر به في القضايا المعينة وأما اذا استخلفه بعد موته فانه يتصرف بولايته كما أمر الله ورسوله فان هذا التصرف مضاف اليه لا الى الميت بخلاف ما فعله في الحياة بأمر مستخلفه فانه يضاف الى من استخلفه لا اليه فأين هذا من هذا ولم يقل أحد من العقلاء ان من استخلف شخصا على بعض الامور وانقضى ذلك الاستخلاف انه يكون خليفة بعد موته على شئ ولكن الرافضة من أجهل الناس بالمعقول والمنقول والله أعلم

(فصل) قال الرافضي الرابع أنه صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة مع قصور هذه الغيبة فيجب أن يكون خليفة بعد موته وليس غير علي اجماعا وانه لم يعزله عن المدينة فيكون خليفة بعد موته فيها واذا كان خليفة فيها كان خليفة في غيرها اجماعا

(والجواب) أن هذه الحجة وأمثالها من الحجج الداحضة التي هي من جنس العنكبوت والجواب عنها من وجوه (أحدها) أن نقول على أحد القولين انه استخلف أبا بكر بعد موته كما تقدم واذا قالت الرافضة بل استخلف عليا قيل الراوندية من جنسكم قالوا استخلف العباس وكل من كان له علم بالمنقولات الثابتة يعلم أن الاحاديث الدالة على استخلاف أحد بعد موته انما تدل على استخلاف أبي بكر ليس فيها شئ يدل على استخلاف علي ولا العباس بل كلها تدل على أنه لم يستخلف واحدا منهما فيقال حينئذ ان كان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أحدا فلم يستخلف الا أبا بكر وان لم يستخلف أحدا فلا هذا ولا هذا فعلى تقدير كون الاستخلاف واجبا على الرسول لم يستخلف الا أبا بكر فان جميع أهل العلم بالحديث والسيرة متفقون على أن الاحاديث الثابتة لا تدل على استخلاف غير أبي بكر وانما يدل ما يدل منها على استخلاف أبي بكر وهذا معلوم بالاضطرار عند العالم بالاحاديث الثابتة (الوجه الثاني) أن نقول أنتم لا تقولون بالقياس وهذا احتجاج بالقياس حيث قستم الاستخلاف في الممات على الاستخلاف في المغيب

جهة تجدده وهو انما كان مفتقرا الى المرجح من جهة تجدده وقد استويا في التجدد فلو قيل لهم لم لا اكتفي بالقدرة القديمة والمشيئة الأزلية في حدوث الحدثات من غير توسط القول والارادة كما اكتفي بهما في القول والارادة لم يجدوا الى الفرق سبيلا فيقال ولقائل أن يقول من الصفات ما يثبت بالسمع وقد يكونون أثبتوا ذلك بالسمع كما أثبت أئمة الصفاتية من السلف والخلف كابن كلاب والاشعري والقاضي أبي بكر والقشيري والبيهقي تكوين آدم باليدين بالسمع مع أن غيره لم يحتج الى ذلك كما أثبت أيضا الاشعري وغيره التكوين بكن سمعا مع أن العقل يكتفي بالقدرة ونقل ذلك عن أهل السنة والحديث وقال عنهم ان الله لم يخلق شيأ الا قال له كن وذكر أنه بقولهم يقول والقرآن قد أخبر أنه اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وأن تخلص الفعل المضارع للاستقبال وكذلك اذا ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط غالبا فلما رأوا السمع دل على أن الحدث يتعلق بقول وارادة يكون الحدث عقبه مع علمهم بان قول الرب وارادته لا يقوم الا بذاته قالوا ذلك وأيضا فجميع الطوائف فرقوا بين حادث وحادث وشرطوا في هذا ما لم يشرطوه في الآخر فالفلاسفة يقولون كل حادث

وأما نحن اذا افرضنا على أحد القولين فنقول الفرق بينهما ما نبهنا عليه في استخلاف عمر في حياته وتوقفه في الاستخلاف بعد موته لان الرسول في حياته شاهد على الامة مأمور بسياستها بنفسه أو نائبه و بعد موته انقطع عنه التكليف كما قال المسيح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية لم يقل كان خليفتي الشهيد عليهم وهذا دليل على أن المسيح لم يستخلف فدل على أن الانبياء لا يجب عليهم الاستخلاف بعد الموت وكذلك ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقد قال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فالرسول بموته انقطع عنه التكليف وهو لو استخلف خليفة في حياته لم يجب أن يكون معصوما بل كان يولي الرجل ولاية ثم يتبين كذبه فيعزله كما ولى الوليد بن عقبة ابن أبي معيط وهو لو استخلف رجلا لم يجب أن يكون معصوما وليس هو بعد موته شهيدا عليه ولا مكلفا برده عما يفعله بخلاف الاستخلاف في الحياة (الوجه الثالث) أن يقال الاستخلاف في الحياة واجب على كل ولي أمر فان كل ولي أمر رسولا كان أو اماما عليه أن يستخلف فيما غاب عنه من الامور فلا بد له من اقامة الأمر إما بنفسه و إما بنائبه فما شهده من الأمر أمكنه أن يقيمه بنفسه وأما ما غاب عنه فلا يمكنه اقامته الا بخليفة يستخلفه عليه فيولي على من غاب عنه من رعيته من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر و يأخذ منهم الحقوق و يقيم عليهم الحدود و يعدل بينهم في الاحكام كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلف في حياته على كل ما غاب عنه فيولي الأمراء على السرايا يصلون بهم و يجاهدون بهم و يسوسونهم و يؤمر أمراء على الامصار كما أمر عتاب بن أسيد على مكة وأمر خالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص وأبا سفيان بن حرب ومعاذا وأبا موسى على قرى عرينة وعلى نجران وعلى اليمن وكما كان يستعمل عمالا على الصدقة فيقبضونها ممن تجب عليه و يعطونها لمن تحل له كما استعمل غير واحد وكان يستخلف في اقامة الحدود كما قال لأنيس يا أنيس اغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها وكان يستخلف على الحج كما استخلف أبا بكر على اقامة الحج عام تسع بعد غزوة تبوك وكان علي من جملة رعية أبي بكر يصلي خلفه ويأتمر بأمره وذلك بعد غزوة تبوك وكما استخلف على المدينة مرات كثيرة فانه كان كلما خرج في غزاة استخلف ولما حج واعتمر استخلف فاستخلف في غزوة بدر و بني المصطلق وغزوة خيبر وغزوة الفتح واستخلف في غزوة الحديبية وفي غزوة القضاء وحجة الوداع وغير ذلك واذا كان الاستخلاف في الحياة واجبا على متولي الأمر وان لم يكن نبيا مع أنه لا يجب عليه الاستخلاف بعد موته لكون الاستخلاف في الحياة أمرا ضروريا لا يؤدى الواجب الا به بخلاف الاستخلاف بعد الموت فانه قد بلغ الامة وهو الذي يجب عليهم طاعته بعد موته فيمكنهم أن يعينوا من يؤمرونه عليهم كما يمكن ذلك في كل فروض الكفاية التي تحتاج الى واحد معين علم أنه لا يلزم من وجوب الاستخلاف في الحياة وجوبه بعد الموت (الرابع) أن الاستخلاف في الحياة واجب في أصناف الولايات كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلف على من غاب عنهم من يقيم فيهم الواجب و يستخلف في الحج وفي قبض الصدقات وحفظ مال الفيء وفي اقامة الحدود وفي الغزو وغير ذلك ومعلوم أن هذا الاستخلاف لا يجب بعد الموت باتفاق العقلاء بل ولا يمكن فانه لا يمكن أن يعين للامة بعد موته من يتولى كل أمر جزئي فانهم يحتاجون الى واحد بعد واحد وتعيين ذلك متعذر ولانه لو عين واحدا

مشروط بما قبله من الحوادث ولا يسوون بين الحوادث والمعتزلة البصريون يقولون كل المحدثات لا تحدث الا بارادة ولا تقوم الصفات الا بمحل وقالوا ان الارادة حدثت بلا ارادة وقامت في غير محل وكذلك الفناء عندهم والاشعرية فرقوا بين خلق آدم وغيره وأيضا فلا يخلو إما أن يكون بين هذين الحادثين فرق مؤثر و إما أن لا يكون فان كان بينهما فرق مؤثر بطل الالزام وان لم يكن فرق مؤثر لزم خطؤهم في أحد القولين إما في الاكتفاء في الحدوث بالقدرة القديمة واما في اثبات شئ حادث للمحدثات المنفصلة وحينئذ فقد يكونون انما أخطؤا في الاكتفاء بمجرد القدرة والارادة القديمة كما يقوله من يقول ان الحوادث لا بد لها من سبب حادث وحينئذ فيلزم القول بدوام الحوادث كما هو قول من قاله من السلف وأهل الحديث والكلام والفلسفة وفي الجملة هذا الالزام اذا صح يلزم الخطأ في أحد الموضعين لا يلزم صحة قول المنازع

(قال الآمدي) الوجه السادس يخص القائلين بحدوث القول وذلك أنهم وافقوا على أن القول مركب من حروف منتظمة والحروف متضادة فانا كما نعلم استحالة الجمع بين السواد والبياض نعلم استحالة الجمع بين الحروف

فقد يختلف حاله ويجب عزله فقد كان يولي في حياته من يشتكي اليه فيعزله كما عزل الوليد بن عقبة وعزل سعد بن عبادة عام الفتح وولى ابنه قيسا وعزل اماما كان يصلي بقوم لما بصق في القبلة وولى مرة رجلا فلم يقم بالواجب فقال أعجزتم اذا وليت من لا يقوم بأمري أن تولوا رجلا يقوم بأمري فقد فوض اليهم عزل من لا يقوم بالواجب من ولاته فكيف لا يفوض اليهم ابتداء توليه من يقوم بالواجب وان كان في حياته من يوليه ولا يقوم بالواجب فيعزله أو يأمر بعزله كان لو ولى واحدا بعد موته يمكن فيه أن لا يقوم بالواجب وحينئذ فيحتاج الى عزله فاذا ولته الامة وعزلته كان خيرا لهم من أن يعزلوا من ولاه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يتبين به حكمة ترك الاستخلاف وعلى هذا فنقول في (الوجه الخامس) ان ترك الاستخلاف بعد مماته كان أولى بالاستخلاف كما اختاره الله لنبيه فانه لا يختار له الا أفضل الامور وذلك (١) لانه اما أن يقال يجب أن لا يستخلف في حياته من ليس بمعصوم وكان يصدر من بعض نوابه أمور منكرة فينكرها عليهم و يعزل من يعزل منهم كما استعمل خالد بن الوليد على قتال بني جذيمة فقتلهم فوداهم النبي صلى الله عليه وسلم بنصف دياتهم وأرسل علي بن أبي طالب فضمن لهم حتى ميلغة الكلب و رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده الى السماء وقال اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد واختصم خالد وعبد الرحمن بن عوف حتى قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ولكن مع هذا لم يعزل النبي صلى الله عليه وسلم خالدا واستعمل الوليد بن عقبة على صدقات قوم فرجع فأخبره أن القوم امتنعوا وحاربوا فأراد غزوهم فأنزل الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة وولى سعد بن عبادة يوم الفتح فلما بلغه أن سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستباح الحرمة عزله وولى ابنه قيسا وأرسل بعمامته علامة على عزله ليعلم سعد أن ذلك أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشتكي اليه بعض نوابه فيأمره بما أمره الله به كما اشتكى أهل قباء معاذا لتطويله الصلاة بهم لما قرأ البقرة في صلاة العشاء فقال أفتان أنت يا معاذ اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والليل اذا يغشى ونحوها وفي الصحيح أن رجلا قال له انى أتخلف عن صلاة الفجر مما يطول بنا فلان فقال يا أيها الناس اذا أم أحدكم فليخفف فان من ورائه الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ورأى اماما قد بصق في قبلة المسجد فعزله عن الامامة وقال انك آذيت الله ورسوله وكان الواحد من خلفائه اذا أشكل عليه الشئ أرسل اليه سأله عنه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته يعلم خلفاءه ما جهلوا و يقومهم اذا زاغوا و يعزلهم اذا لم يستقيموا ولم يكونوا مع ذلك معصومين فعلم أنه لم يكن يجب عليه أن يولي المعصوم وأيضا فان هذا تكليف ما لا يمكن فان الله لم يخلق أحدا معصوما غير الرسول صلى الله عليه وسلم فلو كلف أن يستخلف معصوما لكلف ما لا يقدر عليه وفات مقصود الولايات وفسدت أحوال الناس في الدين والدنيا واذا علم أنه كان يجوز بل يجب أن يستخلف في حياته من ليس بمعصوم فلو استخلف بعد موته كما استخلف في حياته لاستخلف أيضا غير معصوم وكان لا يمكنه أن يعلمه و يقومه كما كان يفعل في حياته فكان أن لا يستخلف خيرا من أن يستخلف والأمة قد بلغها أمر الله ونهيه وعلموا ما أمر الله به ونهى عنه فهم يستخلفون من يقوم بأمر الله ورسوله و يعاونونه على اتمام القيام بذلك اذا كان الواحد لا يمكنه القيام بذلك فما فاته من العلم بينه له من يعلمه وما احتاج اليه من القدرة عاونه عليه من يمكنه الاعانة وما خرج فيه عن الصواب أعادوه

وأنه يتعذر الجمع بين الكاف والنون من قوله كن وقد اتفقوا على استحالة تعري الباري عن الاقوال الحادثة في ذاته بعد قيامها به وعند ذلك فاما أن يقال باجتماع حروف القول في ذات الباري تعالى أو لا يقال باجتماعها فيه فان قيل باجتماعها فاما أن يقال بتجزي ذات الباري تعالى وقيام كل حرف بجزء منه وإما أن يقال بقيامها بذاته مع اتحاد الذات فان كان الاول فهو محال لوجهين الاول أنه يلزم منه التركيب في ذات الله تعالى وقد أبطلناه في ابطال القول بالتجسيم الثاني أنه ليس اختصاص بعض الاجزاء ببعض الحروف دون البعض أولى من العكس وان كان الثاني فيلزم منه اجتماع المضادات في شئ واحد وهو محال وان لم نقل باجتماع حروف القول في ذاته فيلزم منه مناقضة أصلهم في أن ما اتصف به الرب تعالى يستحيل عروه عنه بعد اتصافه به والحرف السابق الذي عدم عند وجود اللاحق قد كان صفة للرب وقد زال

---

(١) قوله لانه اما أن يقال يجب الخ كذا في النسخة وهو غير مستقيم ولعل فيه سقطا من الناسخ ووجهه. لانه اما أن يقال يجب أن لا يستخلف في حياته من ليس بمعصوم أو لا يجب وحرر كتبه مصححه

اليـه بحسب الامكان بقولهـم وعملهم وليس على الرسول ما حملوه كما أنهم ليس عليهم ما حمل فعلم أن ترك الاستخلاف من النبى صلى الله عليه وسلم بعد الموت أكمل فى حق الرسول من الاستخلاف وأن من قاس وجوب الاستخلاف بعد الممات على وجوبه فى الحياة كان من أجهل الناس واذا علم الرسول أن الواحد من الامة هو أحق بالخلافة كما كان يعلم أن أبا بكر هو أحق بالخلافة من غيره كان فى دلالته للامة على أنه أحق مع علمه بأنهم يولونه ما يغنيه عن استخلافه لتكون الامة هى القائمة بالواجب و يكون ثوابها على ذلك أعظم من حصول مقصود الرسول وأما أبو بكر فلما علم أنه ليس فى الامة مثل عمر وخاف أن لا يولوه اذا لم يستخلفه لشدته فولاه هو كان ذلك هو المصلحة للامة فالنبى صلى الله عليه وسلم علم أن الامة يولون أبا بكر فاستغنى بذلك عن توليته مع دلالته لهم على أنه أحق الأمة بالتولية وأبو بكر لم يكن يعلم أن الامة يولون عمر اذا لم يستخلفه أبو بكر فكان ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم هو اللائق به لفضل علمه وما فعله صديق الأمة (١) هو اللائق به يعلم ما علمه النبى صلى الله عليه وسلم (الوجه السادس) أن يقال هب أن الاستخلاف واجب فقد استخلف النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر على قول من يقول انه استخلفه ودل على استخلافه على القول الآخر وقوله لانه لم يعزله عن المدينة قلنا هذا باطل فانه لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم انعزل على بنفس رجوعه كما كان غيره ينعزل اذا رجع وقد أرسله بعد هذا الى اليمن حتى وافاه بالموسم فى حجة الوداع واستخلف على المدينة فى حجة الوداع غيره أفترى النبى صلى الله عليه وسلم فيها مقيما وعلى باليمن وهو خليفة بالمدينة ولا ريب أن كلام هؤلاء كلام جاهل بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم كأنهم ظنوا أن عليا ما زال خليفة على المدينة حتى مات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بعد ذلك أن عليا أرسله النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع أبى بكر لنبذ العهود وأمر عليه أبا بكر ثم بعد رجوعه مع أبى بكر أرسله الى اليمن كما أرسل معاذا وأبا موسى ثم لما حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع استخلف على المدينة غير على ووافاه على بمكة ونحر النبى صلى الله عليه وسلم مائة بدنة نحر بيده ثلثيها ونحر على ثلثها وهذا كله معلوم عند أهل العلم متفق عليه بينهم وتواترت به الاخبار كأنك تراه بعينك ومن لم يكن له عناية بأحوال الرسول لم يكن له أن يتكلم فى هذه المسائل الاصولية والخليفة لا يكون خليفة الا مع مغيب المستخلف وموته فالنبى صلى الله عليه وسلم اذا كان بالمدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها كما أن سائر من استخلفه النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع انقضت خلافته وكذلك سائر ولاة الامور اذا استخلف أحدهم على مصره فى مغيبه بطل استخلافه ذلك اذا حضر المستخلف ولهذا لا يصلح أن يقال ان الله يستخلف أحدا عنه فانه حى قيوم مدبر لعباده منزه عن الموت والنوم والغيبة ولهذا لما قالوا لابى بكر يا خليفة الله قال لست خليفة الله بل خليفة رسول الله وحسبى ذلك والله تعالى يوصف بأنه يخلف العبد كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل وقال فى حديث الدجال والله خليفتى على كل مسلم وكل من وصفه الله بالخلافة فى القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله كقوله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وكذلك قوله انى جاعل فى الارض خليفة أى عن خلق كان فى الارض قبل ذلك كما

ذكره

بعد وجوده له ۞ قلت ولقائل أن يقول هذا غايته أن يستلزم خطأهم فى قولهم إن ما يقوم به من الحوادث لا يخلو منه ولا ريب أن أكثر الناس يخالفونهم فى هذا ولا يقولون بدوام الحادث المعين فمن قال بإثبات الاستواء والنزول وغيرهما من الافعال القائمة بذاته المتعلقة بمشيئته وقدرته لا يقول ان ذلك يدوم وكذلك أكثر القائلين بان الله كلم موسى بنداء بصوت سمعه موسى والنداء بالصوت قائم بذات الله تعالى لا يقولون ان ذلك النداء بعينه دائم أبدا ونظائره كثيرة واذا كان كذلك فيقال إما أن يكون بقاء الحادث الذى هو الحروف والاصوات ممكنا أو ممتنعا فان كان ممكنا صح قول الكرامية وان كان ممتنعا صح قول من ينازعهم فى دوام الحادث ويقول انه لا يبقى مع اتفاق الجميع على قيام الحوادث به وحينئذ فعلى التقديرين لا يلزم صحة قول المنازع النافى لقيام الحوادث به وأيضا فيقال قول القائل انه يستحيل الجمع بين الحروف هو من موارد النزاع فذهب طوائف الى امكان اجتماعها من القائلين بقدم الحروف والقائلين بحدوثها وهذا

(١) قوله هو اللائق به يعلم الخ فيه سقط ولعله لكونه لم يعلم الخ وحرر كتبه مصححه

ذكره المفسرون وغيرهم وأما ما يظنه طائفة من الاتحادية وغيرهم أن الانسان خليفة الله فهذا جهل وضلال

(فصل) قال الرافضي الخامس ما رواه الجمهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لامير المؤمنين أنت مني بمنزلة أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني وهو نص في الباب

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا الحديث فان هذا الحديث ليس في شئ من الكتب التي تقوم الحجة بمجرد اسنادها كيها ولا صححها امام من أئمة الحديث وقوله رواه الجمهور ان أراد بذلك أن علماء الحديث يروونه في الكتب التي يحتج بما فيها مثل كتب البخاري ومسلم ونحوهما وقالوا انه صحيح فهذا كذب عليهم وان أراد بذلك أن هذا يرويه مثل أبي نعيم في الفضائل والمغازلي وخطيب خوارزم ونحوهم أو يروى في كتب الفضائل فمجرد هذا ليس بحجة باتفاق أهل العلم في مسئلة فروع فكيف في مسئلة الامامة التي قد أقتم عليها القيامة

(الثاني) أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث وقد تقدم كلام ابن حزم أن سائر هذه الاحاديث موضوعة يعلم ذلك من له أدنى علم بالاخبار ونقلها وقد صدق في ذلك فان من له أدنى معرفة بصحيح الحديث وضعيفه يعلم أن هذا الحديث ومثله ضعيف بل كذب موضوع ولهذا لم يخرجه أحد من أهل الحديث في الكتب التي يحتج بما فيها وانما يرويه من يرويه في الكتب التي يجمع فيها بين الغث والسمين التي يعلم كل عالم أن فيها ما هو كذب مثل كثير من كتب التفسير كتفسير الثعلبي والواحدي ونحوهما والكتب التي صنفها في الفضائل من يجمع الغث والسمين لاسيما خطيب خوارزم فانه من أروى الناس للمكذوبات وليس هو من أهل العلم بالحديث ولا المغازلي قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات لما روى هذا الحديث من طريق أبي حاتم البستي حدثنا محمد بن سهل بن أيوب حدثنا عمار بن رجاء حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا مطر بن ميمون الاسكاف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخي ووزيري وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب قال هذا حديث موضوع قال ابن حبان مطر بن ميمون يروي الموضوعات عن الاثبات لا تحل الرواية عنه رواه أيضا من طريق أبي أحمد بن عدي بنحو هذا اللفظ ومداره على عبيد الله بن موسى عن مطر بن ميمون وكان عبيد الله بن موسى في نفسه صدوقا روى عنه البخاري لكنه معروف بالتشيع فكان لتشيعه يروي عن غير الثقات ما يوافق هواه كما روى عن مطر بن ميمون هذا وهو كذب وقد يكون علم أنه كذب ذلك وقد يكون لهواه لم يبحث عن كذبه ولو بحث عنه لتبين له أنه كذب هذا مع أنه ليس في اللفظ الذي رواه هؤلاء المحدثون وخليفتي من بعدي وانما في تلك الطريق وخليفتي في أهلي وهذا استخلاف خاص وأما اللفظ الذي رواه ابن عدي فانه قال حدثنا ابن أبي سفيان حدثنا عدي بن سهل حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا مطر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أخي وصاحبي وابن عمي وخير من أترك من بعدي يقضي ديني وينجز موعدي ولا ريب أن مطرا هذا كذاب ولم يرو عنه أحد من علماء الكوفة مع روايته عن أنس فلم يرو عنه يحيى بن سعيد القطان ولا وكيع ولا ابن معاوية ولا أبو نعيم ولا يحيى بن آدم ولا أمثالهم مع كثرة من بالكوفة من الشيعة ومع أن كثيرا من عوامها يفضل عليا على عثمان ويروي حديثه أهل الكتب الستة حتى الترمذي وابن ماجه قد

قول السالمية وغيرهم من القائلين باجتماعها مع قدمها وقول من قال باجتماعها مع حدوثها كالكرامية وقد قال بالاول طوائف من أهل الحديث والفقه والكلام من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واذا كان هذا من موارد النزاع فاذا قال مثل هذا القائل نحن نعلم استحالة اجتماع الحروف كما نعلم استحالة اجتماع الضدين كالسواد والبياض قيل له فالذي تنصرهم أنت من الكلابية والاشعرية قالوا ان المعاني التي هي معاني الحروف المنتظمة هي معنى واحد في نفسه والامر والنهي والخبر صفات لموصوف واحد فالذي هو الامر هو الخبر والذي هو الخبر هو النهي وقالوا ان ذلك الواحد ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا ولا ريب أن جمهور العقلاء من الاولين والآخرين القائلين بأن القرآن غير مخلوق والقائلين بأنه مخلوق يقولون ان فساد هذا القول معلوم بالضرورة من عدة أوجه منها كون الامر هو عين الخبر ومنها كون الخبر عن الخالق بمثل آية الكرسي هو الخبر عن المخلوق بمثل تبت يدا أبي لهب ومنها كون معاني التوراة اذا عربت تكون معاني القرآن الى أمثال ذلك ولهذا لم يقل هذا

يروبان عن ضعفاء ولم يرووا عنه وانما روى عنه عبيد الله بن موسى لأنه كان صاحب هوى متشيعا فكان لاجل هواه يروى عن هذا ونحوه وان كانوا كذابين ولهذا لم يكتب أحد عن عبيد الله بن موسى بخلاف عبد الرزاق وذكر أحد أن عبيد الله كان يظهر ما عنده بخلاف عبد الرزاق ومما افتراه مطر هذا ما رواه أبو بكر الخطيب في تاريخه من حديث عبيد الله بن موسى عن مطر عن أنس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عليا مقبلا فقال أنا وهذا حجة الله على أمتي يوم القيامة قال ابن الجوزي هذا حديث موضوع والمتهم بوضعه مطر قال أبو حاتم يروى الموضوعات عن الاثبات لا تحل الرواية عنه (الوجه الثالث) أن دين النبي صلى الله عليه وسلم لم يقضه علي بل في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير ابتاعها لاهله فهذا الدين الذي كان عليه يقضى من الرهن الذي رهنه ولم يعرف على النبي صلى الله عليه وسلم دين آخر وفي الصحيح عنه أنه قال لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة فلو كان عليه دين قضي مما تركه وكان ذلك مقدما على الصدقة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) قال الرافضي السادس حديث المؤاخاة روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يوم المباهلة وآخى بين المهاجرين والانصار وعلي واقف يراه ويعرفه ولم يؤاخ بينه وبين أحد فانصرف باكيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل أبو الحسن قالوا انصرف باكي العين فقال له فاطمة ما يبكيك قال آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ولم يؤاخ بيني وبين أحد قالت لا يخزيك الله لعله انما ادخرك لنفسه فقال بلال يا علي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى فقال ما يبكيك يا أبا الحسن فأخبره فقال انما أدخرك لنفسي ألا يسرك أن تكون أخا نبيك قال بلى فأخذ بيده فأتى المنبر فقال اللهم هذا مني وأنا منه ألا انه مني بمنزلة هرون من موسى ألا من كنت مولاه فعلي مولاه فانصرف فاتبعه عمر فقال بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فالمؤاخاة تدل على الافضلية فيكون هو الامام

(والجواب) أولا المطالبة بتصحيح النقل فانه لم يعز هذا الحديث الى كتاب أصلا كما عادته يعزو وان كان عادته يعزو الى كتب لا تقوم بها الحجة وهنا أرسله ارسالا على عادة أسلافه شيوخ الرافضة يكذبون ويروون الكذب بلا اسناد وقد قال ابن المبارك الاسناد من الدين لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء فاذا يسئل عمن لقي (الثاني) أن هذا الحديث موضوع عند أهل الحديث لا يرتاب أحد من أهل المعرفة بالحديث انه موضوع وواضعه جاهل كذب كذبا ظاهرا مكشوفا يعرف أنه كذب من له أدنى معرفة بالحديث كما سيأتي بيانه (الثالث) أن أحاديث المؤاخاة لعلي كلها موضوعة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ أحدا ولا آخى بين مهاجري ومهاجري ولا بين أبي بكر وعمر ولا بين أنصاري وأنصاري ولكن آخى بين المهاجرين والانصار في أول قدومه المدينة وأما المباهلة فكانت لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر من الهجرة (الرابع) أن دلائل الكذب على هذا الحديث بينة منها أنه قال لما كان يوم المباهلة وآخى بين المهاجرين والانصار والمباهلة كانت لما قدم وفد نجران النصارى وأنزل الله سورة آل عمران وكان ذلك في آخر الامر سنة عشر أو سنة تسع لم يتقدم على ذلك باتفاق الناس والنبي صلى الله عليه

وسلم

القول من طوائف المسلمين ولا غير المسلمين الا ابن كلاب ومن اتبعه وهذا القول يتضمن أن تكون المعاني المتنوعة معنى واحدا ولو قال ان المعاني التي للحروف يمكن اجتماعها في زمن واحد كان أقرب الى المعقول من كونها معنى واحدا ولو قال قائل ان الحروف المجتمعة هي حرف واحد في الحقيقة وانما الحروف المتفرقة صفات للحرف لا أقسام له كان هذا شبيها بقول من يقول ان تلك المعاني المتنوعة معنى واحد وذلك انه من المعلوم بالاضطرار أن الحروف المنتظمة مطابقة لمعانيها المدلول عليها بها تحدث بحدوثها في نفس المتكلم واذا قال القائل ان الحروف متضادة يمتنع اجتماع اثنين في محل واحد أمكن أن يقال ان المعاني متضادة يمتنع اجتماع اثنين في محل واحد فان غاية ما يقال ان محل المعاني واحد بخلاف محل الحروف فانه متعدد لكن تعدد المحل واتحاده لا ينفي التضاد فان المثلين متضادان وان كانا متماثلين في الحقيقة والمحل فالباء والفاء تتضادان أعظم من تضاد الباء والحاء اذ الحرفان اللذان يتعدد محلهما يمكن اجتماعهما بخلاف ما يتحد محلهما والضدان انما يمتنع اجتماعهما في محل واحد لا في محلين فاذا قدر أن الحروف لا تكون الا في محل واحد

وسلم لم يباهل النصارى لكن دعاهم الى المباهلة فاستنظروه حتى يشتوروا فلما اشتوروا قالوا هونبى وما باهل قوم نبيا الا استؤصلوا فأقروا له بالجزية ولم يباهلوا وهم أول من أقر بالجزية من أهل الكتاب وقد اتفق الناس على أنه لم يكن فى ذلك اليوم مؤاخاة (الخامس) أن المؤاخاة بين المهاجرين والانصار كانت فى السنة الاولى من الهجرة فى دار بنى النجار وبين المباهلة وذلك عدة سنين (السادس) انه قد آخى بين المهاجرين والانصار والنبى صلى الله عليه وسلم وعلى كلاهما من المهاجرين فلم يكن بينهما مؤاخاة بل آخى بين على وسهل بن حنيف فعلم أنه لم يؤاخ عليا وهذا يوافق ما فى الصحيحين من أن المؤاخاة انما كانت بين المهاجرين والانصار لم تكن بين مهاجرى ومهاجرى (السابع) أن قوله أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى انما قاله فى غزوة تبوك مرة واحدة لم يقل ذلك فى غير ذلك المجلس أصلا باتفاق أهل العلم بالحديث وأما حديث الموالاة فالذين يروونه ذكروا أنه قاله بغدير خم مرة واحدة لم يتكرر فى غير ذلك المجلس أصلا (الثامن) أنه قد تقدم الكلام على المؤاخاة وأن فيها عموما واطلاقا لا يقتضى الافضلية والامامة وأن ما ثبت للصديق من الفضيلة لا يشركه فيه غيره كقوله لو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا واخباره أن أحب الرجال اليه أبو بكر وشهادة الصحابة له أنه أحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما يبين أن الاستدلال بما روى من المؤاخاة باطل نقلا ودلالة (التاسع) أن من الناس من يظن أن المؤاخاة وقعت بين المهاجرين بعضهم مع بعض لانه روى فيها أحاديث لكن الصواب المقطوع به أن هذا لم يكن وكل ما روى فى ذلك فانه باطل اما أن يكون من رواية من يتعمد الكذب واما أن يكون أخطأ فيه ولهذا لم يخرج أهل الصحيح من ذلك شيأ وهذه الامور يعرفها من كان له خبرة بالاحاديث الصحيحة والسير المتواترة وأحوال النبى صلى الله عليه وسلم وسبب المؤاخاة وفائدتها ومقصودها وأنهم كانوا يتوارثون بذلك فآخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف وبين سلمان الفارسى وأبى الدرداء لعقد الصلة بين المهاجرين والانصار حتى أنزل الله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وهى المحالفة التى أنزل الله فيها والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وقد تنازع الفقهاء هل هى محكمة يورث بها عند عدم النسب أولا يورث بها على قولين هما روايتان عن أحمد الاول مذهب أبى حنيفة والثانى مذهب مالك والشافعى

(فصل) قال الرافضى السابع ما رواه الجمهور كافة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حاصر خيبر تسعا وعشرين ليلة وكانت الراية لأمير المؤمنين على فلحقه رمد أعجزه عن الحرب وخرج مرحب يتعرض للحرب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فقال له خذ الراية فأخذها فى جمع من المهاجرين ولم يغن شيأ ورجع منهزما فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار غير بعيد ثم رجع يخبر أصحابه فقال النبى صلى الله عليه وسلم جيؤنى بعلى فقيل انه أرمد فقال أرونيه أرونى رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار فجاؤا بعلى فتفل فى يده ومسحها على عينيه ورأسه فبرأ فأعطاه الراية ففتح الله على يديه وقتل مرحب ووصفه عليه السلام بهذا الوصف يدل على انتفائه عن غيره وهو يدل على أفضليته فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بتصحيح النقل وأما قوله رواه الجمهور فان الثقات الذين رووه لم يرووه هكذا بل الذى فى الصحيح أن عليا كان غائبا عن خيبر لم يكن حاضرا فيها تخلف

كانت بمنزلة معانيها التى لا تكون الا فى محل واحد واذا قدر أن لها محلين أمكن اجتماعها كما تجتمع أصوات المتكلمين جميعا لكن الواحد منا لا يقدر على ذلك لكون حركة بعض آلاته مستلزما لحركة الآخر والا فلو قدر أنا يمكننا تحريك الجميع كالذى ينفخ بيديه فى هذه نفاخة وفى هذه نفاخة أمكن اجتماع الحروف واجتماع الاصوات فى زمن واحد مع تعدد المحل وانما الذى يظهر امتناعه اجتماع حرفين فى محل واحد فى زمن واحد ولكن هذا قد يقال فيه انه بمنزلة معانى الكلام فان الواحد منا يجد من نفسه أنه لا يمكنه جمع معانى الكلام فى زمن واحد فى قلبه واذا كان كذلك فمن قال باجتماع المعانى لزمه ما يلزم من قال باجتماع الحروف فكيف من قال ان المعانى تكون معنى واحدا والفضلاء من أصحاب الاشعرى يعترفون بضعف لوازم هذا القول مع نصرهم لكثير من أقواله الضعيفة حتى الآمدى لما تكلم فى مسئلة الكلام قال فان قيل واذا ثبت أنه متصف بصفة الكلام وأن كلامه قديم وانه ليس بحرف ولا صوت فهو متحد لا كثرة فيه فى نفسه بل التكثر انما هو فى تعلقاته ومتعلقاته فان أقل عاقل ما لا يمارى نفسه فى انقسام الكلام الى أمر ونهى وغيره من أقسام الكلام وأن ما انقسم اليه حقائق

عن الغزاة لانه كان أرمد ثم انه شق عليه التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ولم تكن الراية قبل ذلك لابي بكر ولا لعمر ولا قربها واحد منهما بل هذا من الأكاذيب ولهذا قال عمر فما أحببت الامارة الا يومئذ وبات الناس كلهم يرجون أن يعطاها فلما أصبح دعا عليا فقيل له انه أرمد فجاءه فتفل في عينه حتى برأ فأعطاه الراية وكان هذا التخصيص جزاء مجيء علي مع الرمد وكان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعلي ليس بحاضر لا يرجونه من كراماته صلى الله عليه وسلم فليس في الحديث تنقيص بأبي بكر وعمر أصلا (الثاني) أن اخباره أن عليا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله حق وفيه رد على النواصب لكن الرافضة الذين يقولون ان الصحابة ارتدوا بعد موته لا يمكنهم الاستدلال بهذا لان الخوارج تقول لهم هو ممن ارتد أيضا كما قالوا لما حكم الحكمين انك قد ارتددت عن الاسلام فعد اليه قال الاشعري في كتاب المقالات أجمعت الخوارج على كفر علي وأما أهل السنة فيمكنهم الاستدلال على بطلان قول الخوارج بأدلة كثيرة لكنها مشتركة تدل على ايمان الثلاثة والرافضة تقدح فيها فلا يمكنهم اقامة دليل على الخوارج على أن عليا مات مؤمنا بل أي دليل ذكروه قدح فيه ما يبطله على أصلهم لان أصلهم فاسد وليس هذا الوصف من خصائص علي بل غيره يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لكن فيه الشهادة لعينه بذلك كما شهد لأعيان العشرة بالجنة وكما شهد لثابت بن قيس بالجنة وشهد لعبد الله حمار بانه يحب الله ورسوله وقد كان ضربه في الخمر مرات وقول القائل ان هذا يدل على انتفاء هذا الوصف عن غيره فيه جوابان أحدهما أنه ان سلم ذلك فانه قال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فهذا المجموع اختص به وهو أن ذلك الفتح كان على يديه ولا يلزم اذا كان ذلك الفتح المعين على يديه أن يكون أفضل من غيره فضلا عن أن يكون مختصا بالامامة الثاني أن يقال لا نسلم أن هذا يوجب التخصيص كما لو قيل لأعطين هذا المال رجلا فقيرا أو رجلا صالحا ولأدعون اليوم رجلا مريضا صالحا ولأعطين هذه الراية رجلا شجاعا ونحو ذلك لم يكن في هذه الالفاظ ما يوجب أن تلك الصفة لا توجد الا في واحد بل هذا يدل على أن ذلك الواحد موصوف بذلك ولهذا لو نذر أن يتصدق بألف درهم على رجل صالح أو فقير فأعطى هذا المنذور لواحد لم يلزم أن يكون غيره ليس كذلك ولو قال أعطوا هذا المال لرجل قد حج عني فأعطوه رجلا لم يلزم أن غيره لم يحج عنه (الثالث) أنه لو قدر ثبوت أفضليته في ذلك الوقت فلا يدل ذلك على ان غيره لم يكن أفضل منه بعد ذلك (الرابع) أنه لو قدرنا أفضليته لم يدل ذلك على أنه امام معصوم منصوص عليه بل كثير من الشيعة الزيدية ومتأخري المعتزلة وغيرهم يعتقدون أفضليته وأن الامام هو أبو بكر وتجوز عندهم ولاية المفضول وهذا مما يجوزه كثير من غيرهم ممن يتوقف في تفضيل بعض الاربعة على بعض أو ممن يرى أن هذه المسئلة ظنية لا يقوم فيها دليل قاطع على فضيلة واحد معين فان من لم يكن له خبرة بالسنة الصحيحة قد يشك في ذلك وأما أئمة المسلمين المشهورون فكلهم متفقون على أن أبا بكر وعمر أفضل من عثمان وعلي ونقل هذا الاجماع غير واحد كما روى البيهقي في كتاب مناقب الشافعي قال ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال كنا نفاضل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر

مختلفة وأمور متمايزة وانها من أخص أوصاف الكلام لا ان الاختلاف عائد الى نفس العبارات والتعلقات والمتعلقات ولهذا فانا لو قطعنا النظر عن العبارات والتعلقات والمتعلقات ورفعناها وهما لم يخرج الكلام عن كونه منقسما وأيضا فان ما أخبر به من القصص الماضية والامور السالفة مختلفة متمايزة وكذلك المأمورات والمنهيات مختلفة أيضا فلا يتصور أن يكون الخبر عما جرى لموسى هو نفس الخبر عما جرى لعيسى ولا الامر بالصلاة هو نفس الامر بالزكاة وغيرها ولا أن ما تعلق بزيد هو نفس ما تعلق بعمرو ولا ما سمي خبرا هو عين ما سمي أمرا اذ الامر طلب والخبر لا طلب فيه بل هو حكم بنسبة مفرد الى مفرد ايجابا أو سلبا فثبت أن الكلام أنواع مختلفة والكلام عام للكل فيكون كالجنس لها قلنا قد بينا فيما تقدم أن الكلام قضية واحدة ومعلوم واحد قائم بالنفس وان اختلاف العبارات عنه بسبب اختلاف التعلقات والمتعلقات وهذا النوع من الاختلاف ليس راجعا الى أخص صفة الكلام بل الى أمر خارج عنه وعلى هذا نقول انه لو قطع النظر عن التعلقات والمتعلقات الخارجة فلا سبيل الى توهم اختلاف في الكلام النفساني أصلا ولا يلزم منه رفع الكلام في نفسه وزوال

ثم عمر وقد تقدم نقل البخاري عن علي هذا الكلام والشيعة الذين صحبوا عليا كانوا يقولون ذلك وتواتر ذلك عن علي من نحو ثمانين وجها وهذا مما يقطع به أهل العلم ليس هذا مما يخفى على من كان عارفا بأحوال الرسول والخلفاء

(فصل) قال الرافضي الثامن خبر الطائر روى الجمهور كافة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بطائر فقال اللهم ائتني بأحب خلقك اليك والي يأكل معي من هذا الطائر فجاء علي فدق الباب فقال أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم على حاجته فرجع ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أولا فدق الباب فقال أنس ألم أقل لك انه على حاجته فانصرف فعاد النبي صلى الله عليه وسلم فعاد علي فدق الباب أشد من الاولتين فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له بالدخول وقال ما أبطأك عني قال جئت فردني أنس ثم جئت فردني ثم جئت فردني الثالثة فقال يا أنس ما حملك على هذا فقال رجوت أن يكون الدعاء للانصار فقال يا أنس أوفي الانصار خير من علي أوفي الأنصار أفضل من علي فاذا كان أحب الخلق الى الله وجب أن يكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بتصحيح النقل وقوله روى الجمهور كافة كذب عليهم فان حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح ولا صححه أئمة الحديث ولكن هو مما رواه بعض الناس كما رووا أمثاله في فضل غير علي بل قد روي في فضائل معاوية أحاديث كثيرة وصنف في ذلك مصنفات وأهل العلم بالحديث لا يصححون لا هذا ولا هذا (الثاني) أن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل قال أبو موسى المديني قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة كالحاكم النيسابوري وأبي نعيم وابن مردويه وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال لا يصح هذا مع أن الحاكم منسوب الى التشيع وقد طلب منه أن يروي حديثا في فضل معاوية فقال ما يجيء من قلبي ما يجيء من قلبي وقد ضربوه على ذلك فلم يفعل وهو يروي في الاربعين أحاديث ضعيفة بل موضوعة عند أئمة الحديث كقوله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين لكن تشيعه وتشيع أمثاله من أهل العلم بالحديث كالنسائي وابن عبد البر وأمثالهما لا يبلغ الى تفضيله على أبي بكر وعمر فلا يعرف في علماء الحديث من يفضله عليهما بل غاية المتشيع منهم أن يفضله على عثمان أو يحصل منه كلام أو اعراض عن ذكر محاسن من قاتله ونحو ذلك لان علماء الحديث قد عصمهم وقيدهم ما يعرفون من الاحاديث الصحيحة الدالة على أفضلية الشيخين ومن ترفض ممن له نوع اشتغال بالحديث مثل ابن عقدة وأمثاله فهذا غايته أن يجمع ما روي في فضائله من المكذوبات والموضوعات لا يقدر أن يدفع ما تواتر من فضائل الشيخين فانها باتفاق أهل العلم بالحديث أكثر مما صح في فضائل علي وأصح وأصرح في الدلالة وأحمد بن حنبل لم يقل انه صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره بل أحمد أجل من أن يقول مثل هذا الكذب بل نقل عنه أنه قال روي له ما لم يرو لغيره مع أن في نقل هذا عن أحمد كلاما ليس هذا موضعه (الثالث) أن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق الى الله ليأكل منه فان اطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا فأي أمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق الى الله يفعله (الرابع) أن هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة فانهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن عليا أحب الخلق الى الله وأنه جعله خليفة من بعده وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب الخلق الى الله

حقيقته قال وعلى هذا فلا يخفى اندفاع ما استبعده من اتحاد الخبر واختلاف الخبر واتحاد الامر واختلاف المأمور وكذلك اختلاف الامر والخبر مع اتحاد صفة الكلام قال فان قيل اذا قلتم بان الكلام قضية واحدة وان اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة فلم لا جوزتم أن تكون الارادة والقدرة والعلم وباقي الصفات راجعة الى معنى واحد ويكون اختلاف التعبيرات عنه بسبب المتعلقات لا بسبب اختلافه في ذاته وذلك بأن يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص وقدرة عند تعلقه بالايجاد وهكذا سائر الصفات وان جاز ذلك فلم لا يجوز أن يعود ذلك كله الى نفس الذات من غير احتياج الى الصفات وقال أجاب الاصحاب عن ذلك بانه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والارادة بسبب التعلقات والمتعلقات اذ القدرة معنى من شأنه تأتي الايجاد به والارادة معنى من شأنه تأتي تخصيص الحادث بحال دون حال وعند اختلاف التأثيرات لا بد من الاختلاف في نفس المؤثر وهذا بخلاف الكلام فان تعلقاته بمتعلقاته لا توجب أثرا فضلا عن كونه مختلفا قال وفيه نظر وذلك أنه وان سلم امتناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد مع امكان النزاع فيه فهو موجب

(الخامس) أن يقال اما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف أن عليا أحب الخلق الى الله أوما كان يعرف فان كان يعرف ذلك كان يمكنه أن يرسل يطلبه كما كان يطلب الواحد من الصحابة أو يقول اللهم ائتني بعلي فانه أحب الخلق اليك فأي حاجة الى الدعاء والابهام في ذلك ولو سمى عليا لاستراح أنس من الرجاء الباطل ولم يغلق الباب في وجه علي وان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف ذلك بطل ما يدعونه من كونه كان يعرف ذلك ثم ان في لفظه أحب الخلق اليك والي فكيف لا يعرف أحب الخلق اليه (السادس) أن الاحاديث الثابتة في الصحاح التي أجمع أهل الحديث على صحتها وتلقيها بالقبول تناقض هذا فكيف تعارض بهذا الحديث المكذوب الموضوع الذي لم يصححوه يبين هذا لكل متأمل ما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من فضائل القوم كما في الصحيحين أنه قال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وهذا الحديث مستفيض بل متواتر عند أهل العلم بالحديث فانه قد أخرج في الصحاح من وجوه متعددة من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس وابن الزبير وهو صريح في أنه لم يكن عنده من أهل الارض أحد أحب اليه من أبي بكر فان الخلة هي كمال الحب وهذا لا يصلح الا لله فاذا كانت ممكنة ولم يصلح لها الا أبو بكر علم أنه أحب الناس اليه وقوله في الحديث الصحيح لما سئل أي الناس أحب اليك قال عائشة قيل من الرجال قال أبوها وقول الصحابة أنت خيرنا وسيدنا وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله عمر بين المهاجرين والانصار ولا ينكر ذلك منكر وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم محبته تابعة لمحبة الله وأبو بكر أحبهم الى الله تعالى فهو أحبهم الى رسوله وانما كان كذلك لأنه أتقاهم وأكرمهم وأكرم الخلق على الله تعالى أتقاهم بالكتاب والسنة وانما كان أتقاهم لان الله تعالى قال وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ومالأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى وأئمة التفسير يقولون انه أبو بكر ونحن نبين صحة قولهم بالدليل فنقول الأتقى قد يكون نوعا وقد يكون شخصا واذا كان نوعا فهو يجمع أشخاصا فان قيل انهم ليس فيهم شخص هو أتقى كان هذا باطلا لانه لا شك أن بعض الناس أتقى من بعض مع أن هذا خلاف قول أهل السنة والشيعة فان هؤلاء يقولون ان أتقى الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الامة هو أبو بكر وهؤلاء يقولون هو علي وقد قال بعض الناس هو عمر ويحكى عن بعض الناس غير ذلك ومن توقف أو شك لم يقل انهم مستوون في التقوى فاذا قال انهم متساوون في الفضل فقد خالف اجماع الطوائف فتعين أن يكون هنا أتقى وان كان الأتقى شخصا فاما أن يكون أبا بكر أو عليا فانه اذا كان اسم جنس يتناول من دخل فيه فهو النوع وهو القسم الاول أو معينا غيرهما وهذا القسم منتف باتفاق أهل السنة والشيعة وكونه عليا باطل أيضا لانه قال الذي يؤتي ماله يتزكى ومالأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى وهذا الوصف منتف في علي لوجوه أحدها أن هذه السورة مكية بالاتفاق وكان علي فقيرا بمكة في عيال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن له مال ينفق منه بل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمه الى عياله لما أصابت أهل مكة سنة الثاني أنه قال ومالأحد عنده من نعمة تجزى وعلي كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنده نعمة تجزى وهو احسانه اليه لما ضمه الى عياله بخلاف أبي بكر فانه لم يكن عنده نعمة دنيوية لكن له عنده نعمة الدين وتلك لا تجزى فان أجر النبي صلى الله عليه وسلم فيها على الله لا يقدر أحد يجزيه فنعمة النبي صلى الله عليه وسلم عند

للاختلاف في نفس القدرة وذلك لان القدرة مؤثرة في الوجود والوجود عند أصحابنا نفس الذات لا أنه زائد عليها والا كانت الذوات ثابتة في العدم وذلك مما لا نقول به واذا كان الوجود هو نفس الذات فالذوات مختلفة فتأثير القدرة في آثار مختلفة فيلزم أن تكون مختلفة كما قرروه وليس كذلك وأيضا فان ما ذكروه من الفرق وان استمر في القدرة والارادة فغير مستمر في باقي الصفات كالعلم والحياة والسمع والبصر لعدم كونها مؤثرة في أثر ما قال والحق ما أورده من الاشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات مشكل وعسى أن يكون عند غيري حله ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا الى القول بان كلام الله القائم بذاته خمس صفات مختلفة وهي الأمر والنهي والخبر والاستخبار والنداء هذا كلامه فيقال قول القائل ان الكلام خمس صفات أو سبع أو تسع أو غير ذلك من العدد لا يزيل ما تقدم من الامور الموجبة تعدد الكلام وقد رأيت انه يلزم من قال باتحاد معنى الكلام اتحاد الصفات كلها ثم رفعها بالكلية وجعلها نفس الذات وهذا يعود الى قول القائلين بان الوجود واحد ولا يميزون بين الواحد بالعين والواحد بالنوع وذلك لانه من جوز على الحقائق المتنوعة أن

أبي بكر دينية لا تجزى ونعمته عنده على دنيوية تجزى ودينية وهذا الأتقى ليس لأحد عنده نعمة تجزى وهذا الوصف لابي بكر ثابت دون علي فان قيل المراد أنه أنفق ماله لوجه الله لا جزاء لمن أنعم عليه واذا قدر أن شخصا أعطى من أحسن اليه جزاء وأعطى شيأ آخر لوجه الله كان هذا مما ليس لاحد عنده من نعمة تجزى قيل هب أن الامر كذلك لكن علي لو أنفق لم ينفق الا فيما يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم والنبي له عنده نعمة تجزى فلا يخلص انفاقه عن المجازاة كما يخلص انفاق أبي بكر وعلي أتقى من غيره ولكن أبا بكر أكمل في وصف التقوى مع أن لفظ الآية انه ليس عنده قط لمخلوق نعمة تجزى وهذا وصف من يجازي الناس على احسانهم اليه فلا يبقى لمخلوق عليه منة وهذا الوصف منطبق على أبي بكر انطباقا لا يساويه فيه أحد من المهاجرين فانه لم يكن في المهاجرين عمر وعثمان وعلي وغيرهم رجل أكثر احسانا الى الناس قبل الاسلام وبعده بنفسه وماله من أبي بكر كان مؤلفا محببا يعاون الناس على مصالحهم كما قال فيه ابن الدغنة سيد القارة لما أراد أن يخرج من مكة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج فانك تحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق وفي صلح الحديبية لما قال له عروة بن مسعود امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه قال لأبي بكر لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وما عرف قط أن أحدا كانت له يد على أبي بكر في الدنيا الا قبل الاسلام ولا بعده فهو أحق الصحابة وما لأحد عنده من نعمة تجزى فكان أحق الناس بالدخول في الآية وأما علي رضي الله عنه فكان للنبي صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية وفي المسند لاحمد أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يسقط السوط من يده فلا يقول لاحد ناولني اياه ويقول ان خليلي أمرني أن لا أسأل الناس شيأ وفي المسند والترمذي وأبي داود حديث عمر قال عمر أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك فقلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك الى شئ أبدا فأبو بكر رضي الله عنه جاء بماله كله ومع هذا فلم يكن يأكل من أحد لا صدقة ولا صلة ولا نذرا بل كان يتجر ويأكل من كسبه ولما ولي الناس واشتغل عن التجارة بعمل المسلمين أكل من مال الله ورسوله الذي جعله الله له لم يأكل من مال مخلوق وأبو بكر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعطيه شيأ من الدنيا يخصه به بل كان في المغازي كواحد من الناس بل يأخذ من ماله ما ينفقه على المسلمين وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم وما عرف له انه أعطاه عمالة وقد أعطى عليا من الفيء وكان يعطي المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأهل نجد والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار لا يعطيهم كما فعل في غنائم حنين وغيرها ويقول اني لأعطي رجالا وأدع رجالا والذي أدع أحب الي من الذي أعطي أعطي رجالا لما في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل رجالا الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ولما بلغه عن الانصار كلام سألهم عنه فقالوا يا رسول الله أما ذوو الرأي منا فلم يقولوا شيأ وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض

تكون شيأ واحدا فلا فرق بين هذا وهذا وذلك من جنس من يقول ان العالم هو العلم والعلم هو القدرة ولهذا كان منتهى هؤلاء النفاة الى أن يجعلوا الوجود الذي هو نوع واحد واحدا بالعين فيجعلون وجود الخالق هو عين وجود المخلوقات ووجود زيد هو عين وجود عمرو ووجود الجنة هو عين وجود النار ووجود الماء هو عين وجود النار ومنشأ ضلال هؤلاء كلهم أنهم يأخذون القدر المشترك بين الاعيان وهو الجنس اللغوي فيجدونه واحدا في الذهن فيظنون أن ذلك هو وحدة عينية ولا يميزون بين الواحد بالجنس والواحد بالعين وأن الجنس العام المشترك لا وجود له في الخارج وانما يوجد في الاعيان المتميزة ولهذا اشبه بعض أهل زماننا الكلام في انه جنس واحد مع تعدد أنواعه بالنوع الواحد وعلى قوله لا يبقى في الخارج كلام أصلا ولو اهتدى لعلم أن هذا الكلام ليس هذا الكلام كما أن هذه الحركة ليست هذه الحركة وأن اشتراك أنواع الكلام في الكلام كاشتراك أنواع الحركة في الحركة بل اختلاف أنواع الكلام أعظم من اختلاف أنواع الحركات من بعض الوجوه والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا أن يقال من جوز أن تكون القدرة والارادة والعلم حقيقة واحدة كما أن الطلب والخبر

قالوا استصبر وقوله تعالى وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى استثناء منقطع والمعنى لا يقتصر فى العطاء على من له عنده يد يكافئه بذلك فان هذا من العدل الواجب للناس بعضهم على بعض بمنزلة المعاوضة فى المبايعة والمؤاجرة وهذا واجب لكل أحد على كل أحد فاذا لم يكن لاحد عنده نعمة تجزى لم يحتج الى هذه المعادلة فيكون عطاؤه خالصا لوجه ربه الأعلى بخلاف من كان عنده لغيره نعمة فانه يحتاج أن يعطيه مجازاة له على ذلك وهذا الذى ما لأحد عنده من نعمة تجزى اذا أعطى ماله يتزكى لم يكن لأحد عنده من نعمة تجزى وفيه أيضا ما يبين ان التفضيل بالصدقة لا يكون الا بعد أداء الواجبات من المعاوضات كما قال تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ومن تكون عليه ديون وفروض وغير ذلك أداها ولا يقدم الصدقة على قضاء هذه الواجبات ولو فعل ذلك هل ترد صدقته على قولين معروفين للفقهاء وهذه الآية يحتج بها من رد صدقته لان الله انما أثنى على من آتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى فاذا كان عنده نعمة تجزى فعليه أن يجزيها قبل أن يؤتى ماله يتزكى فأما اذا آتى ماله يتزكى قبل أن يجزيها لم يكن ممدوحا فيكون عمله مردودا لقوله عليه الصلاة والسلام من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (الثالث) أنه قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر وقال ان أمن الناس علينا فى صحبته وذات يده أبو بكر بخلاف على رضى الله عنه فانه لم يذكر عنه النبى صلى الله عليه وسلم شيأ من انفاق المال وقد عرف أن أبا بكر اشترى سبعة من المعذبين فى الله فى أول الاسلام وفعل ذلك ابتغاء لوجه ربه الأعلى فلم يفعل ذلك كما فعله أبو طالب الذى أعان النبى صلى الله عليه وسلم لاجل نسبه وقرابته لا لاجل الله تعالى ولا تقربا اليه وان كان الاتقى اسم جنس فلا ريب أنه يدخل فيه أتقى الأمة والصحابة خير القرون فأتقاها أتقى الامة وأتقى الامة اما أبو بكر واما على واما غيرهما والثالث منتف بالاجماع وعلى ان قيل انه يدخل فى هذا النوع لكونه بعد أن صار له مال آتى ماله يتزكى فيقال أبو بكر فعل ذلك فى أول الاسلام وقت الحاجة اليه فيكون أكمل فى الوصف الذى يكون صاحبه هو الاتقى وأيضا فالنبى صلى الله عليه وسلم انما كان يقدم الصديق فى المواضع التى لا تحتمل المشاركة كاستخلافه فى الصلاة والحج ومصاحبته وحده فى سفره للهجرة ومخاطبته وتمكينه من الخطاب والحكم والافتاء بحضرته الى غير ذلك من الخصائص التى يطول وصفها ومن كان أكمل فى هذا الوصف كان أكرم عند الله فيكون أحب اليه فقد ثبت بالدلائل الكثيرة أن أبا بكر هو أكرم الصحابة فى الصديقية وأفضل الخلق بعد الانبياء الصديقون ومن كان أكمل فى ذلك كان أفضل وأيضا فقد ثبت فى النقل الصحيح عن على أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر واستفاض ذلك وتواتر عنه وتوعد بجلد المفترى من يفضله عليه وروى عنه أنه سمع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم ولا ريب أن عليا لا يقطع بذلك الا عن علم وأيضا فان الصحابة أجمعوا على أن عثمان أفضل منه وأبو بكر أفضل منهما وهذه المسئلة مبسوطة فى غير هذا الموضع وتقدم بعض ذلك ولكن ذكرها هنا لنبين أن حديث الطير من الموضوعات

(فصل) قال الرافضى التاسع ما رواه الجمهور أنه أمر الصحابة بأن يسلموا على على بامرة المؤمنين وقال بأنه سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وقال هذا ولى كل

حقيقة واحدة فلماذا لا يجوز أن تكون حقيقة الحروف المختلفة حقيقة واحدة وكذلك حقيقة الاصوات أعنى ليست واحدة بالنوع بل واحدة بالعين كما جعل الكلام واحدا بالعين وكما سوغ أن تكون الصفات المتنوعة واحدة بالعين والذين قالوا ان الكلام حروف وأصوات متقارنة قديمة لا يسبق بعضها بعضا وهو مع ذلك واحد انما قالوه تبعا لأولئك وجريا على قياس قولهم وهو لازم له مع ظهور فساده وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم ويلزم من قال ذلك أن يجعل الطعم واللون والريح شيأ واحدا واذا قيل هذا كالسواد والبياض قيل له ويلزمك أن تجعل السواد والبياض شيأ واحدا كما جعلت العلم والقدرة والحياة شيأ واحدا فاذا قال نحن تكلمنا فيما يمكن اجتماعه من المعانى والسواد والبياض متضادان قيل الجواب من وجهين أحدهما أنه يلزمك هذا فى المعانى المختلفة التى يمكن اجتماعها كالطعم واللون والريح فقل انها شئ واحد كما أن العلم والارادة والقدرة والطلب والخبر والامر والنهى شئ واحد الثانى أن يقال تضاد الحروف كتضاد معانى الكلام أو تضاد الحركات لا كتضاد السواد والبياض فان المحل الواحد لا يتسع لحركتين ولا لمعنيين فلا يتسع لحرفين وصوتين

مؤمن بعدى وقال فى حقه ان عليا منى وأنا منه أولى بكل مؤمن ومؤمنة فيكون على وحده هو الامام لذلك وهذه نصوص فى الباب

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة باسناده وبيان صحته وهو لم يعزه الى كتاب على عادته فأما قوله رواه الجمهور فكذب فليس هذا فى كتب الاحاديث المعروفة لا الصحاح ولا المسانيد ولا السنن وغير ذلك فان كان رواه بعض حاطبى الليل كما روى أمثاله فعلم مثل هذا ليس بحجة يجب اتباعها باتفاق المسلمين والله تعالى قد حرم علينا الكذب وأن نقول عليه ما لا نعلم وقد تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (الوجه الثانى) أن هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وكل من له أدنى معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب موضوع لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث فى كتاب يعتمد عليه لا الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المقبولة (الثالث) أن هذا مما لا يجوز نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم فان قائل هذا كاذب والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن الكذب وذلك أن سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاق المسلمين فان قيل على هو سيدهم بعده قيل ليس فى لفظ الحديث ما يدل على هذا بل هو مناقض لهذا لان أفضل المسلمين المتقين المحجلين هم القرن الاول ولم يكن لهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم سيد ولا امام ولا قائد غيره فكيف يخبر عن شئ لم يحضر و يترك الخبر عما هم أحوج اليه وهو حكمهم فى الحال ثم القائد يوم القيامة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يقود على وأيضا فعند الشيعة جمهور المسلمين المحجلين كفار أو فساق فلمن يقود وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال وددت أنى قد رأيت اخوانى قالوا أولسنا اخوانك يارسول الله قال انتم أصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله قال أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يارسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض الحديث فهذا يبين أن كل من توضأ وغسل وجهه ويديه ورجليه فانه من الغر المحجلين وهؤلاء جماهيرهم انما يقدمون أبا بكر وعمر والرافضة لا تغسل بطون أقدامها ولا أعقابها فلا يكونون من المحجلين فى الارجل وحينئذ فلا يبقى أحد من الغر المحجلين يقودهم ولا يقادون مع الغر المحجلين فان الحلية لا تكون فى ظهر القدم وانما الحلية فى الرجل كالحلية فى اليد وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ويل للاعقاب وبطون الاقدام من النار ومعلوم أن الفرس لو لم يكن البياض الا لمعة فى يده أو رجله لم يكن محجلا وانما الحلية بياض اليد أو الرجل فمن لم يغسل الرجلين الى الكعبين لم يكن من المحجلين فيكون قائد الغر المحجلين بريئا منه كائنا من كان ثم كون على سيدهم وامامهم وقائدهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يعلم بالاضطرار أنه كذب وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ من ذلك بل كان يفضل عليه أبا بكر وعمر تفضيلا بينا ظاهرا عرفه الخاصة والعامة حتى ان المشركين كانوا يعرفون منه ذلك ولما كان يوم أحد قال أبو سفيان وكان حينئذ أمير المشركين أفى القوم محمد أفى القوم محمد ثلاثا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفى القوم ابن أبى قحافة أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاثا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفى القوم ابن الخطاب أفى القوم ابن الخطاب ثلاثا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أبو سفيان

وفرق بين ما يتضادان لانفسهما وما يتضادان لضيق المحل واذا كان كذلك كان تضاد الحروف والحركات كتضاد معانى الكلام

* فان قلت الانسان يعجز فى الساعة الواحدة عن جمع جميع معانى الكلام فالحاق حروف الكلام بأسبابها وهى الحركات ومضموناتها ومدلولاتها وهى المعانى أولى من الحاقها بالمتضادات لنفسها كالسواد والبياض وحينئذ فاذا جعلت معانى الكلام شيأ واحدا فاجعل حروف الكلام شيأ واحدا والا فالفرق وقد يقال فى الفرق ان الحروف مقاطع الاصوات والاصوات تابعة لاسبابها وهى الحركات والحركات اما متماثلة واما مختلفة وكل من الحركات المختلفة والمتماثلة متضادة لا يمكن اجتماع حركتين فى محل واحد فى زمن واحد فلا يجتمع صوتان فلا يجتمع حرفان والحركات هى من الاكوان والاكوان كالألوان فكما لا يجتمع لونان مختلفان فى محل واحد فى وقت واحد فلا يجتمع كونان فى محل واحد فى وقت واحد بخلاف معانى الكلام كالطلب الذى يتضمن الحب للمأمور به والبغض للمنهى عنه والخبر الذى يتضمن العلم والاعتقاد للمخبر عنه فانها وان كانت حقائق متنوعة لكن لا يمتنع اجتماعها فان الامر بالشئ لا يضاد النهى عن غيره

لاصحابه أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يملك عمر نفسه أن قال كذبت يا عدو الله ان الذين عددت لأحياء وقد بقى لك ما يسوءك وقد ذكر باقى الحديث رواه البخارى وغيره فهذا مقدم الكفار اذ ذاك لم يسأل الا عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر لعلمه وعلم الخاص والعام أن هؤلاء الثلاثة هم رؤس هذا الامر وان قيامه بهم ودل ذلك على أنه كان ظاهرا عند الكفار أن هذين وزيراه وبهما تمام أمره وأنهما أخص الناس به وأن لهما من السعى فى اظهار الاسلام ما ليس لغيرهما وهذا أمر كان معلوما للكفار فضلا عن المسلمين والاحاديث الكثيرة متواترة بمثل هذا وكما فى الصحيحين عن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون له ويثنون عليه ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى من ورائى فالتفت فاذا هو على فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذلك أنى كثيرا ما كنت أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر فان كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فلم يكن تفضيلهما عليه وعلى أمثاله ممن يخفى على أحد ولهذا كانت الشيعة القدماء الذين أدركوا عليا يقدمون أبا بكر وعمر عليه الا من ألحد منهم وانما كان نزاع من نازع منهم فى عثمان وكذلك قوله هو ولى كل مؤمن بعدى كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو فى حياته وبعد مماته ولى كل مؤمن وكل مؤمن وليه فى المحيا والممات فالولاية التى هى ضد العداوة لا تختص بزمان وأما الولاية التى هى الامارة فيقال فيها والى كل مؤمن بعدى كما يقال فى صلاة الجنازة اذا اجتمع الولى والوالى قدم الوالى فى قول الاكثر وقيل يقدم الولى وقول القائل على ولى كل مؤمن بعدى كلام يمتنع نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه ان أراد الموالاة لم يحتج أن يقول بعدى وان أراد الامارة كان ينبغى أن يقول وال على كل مؤمن وأما قوله لعلى أنت منى وأنا منك فصحيح فى غير هذا الحديث ثبت انه قال له ذلك عام القضية لما تنازع هو وجعفر وزيد بن حارثة فى حضانة بنت حمزة فقضى النبى صلى الله عليه وسلم بها لخالتها وكانت تحت جعفر وقال الخالة أم وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى وقال لعلى أنت منى وأنا منك وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وفى الصحيحين عنه أنه قال ان الاشعريين اذا أرملوا فى السفر أو نقصت نفقة عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان معهم فى ثوب واحد فقسموه بينهم بالسوية هم منى وأنا منهم فقال للاشعريين هم منى وأنا منهم كما قال لعلى انت منى وقال لجليبيب هذا منى وأنا منه فعلم أن هذه اللفظة لا تدل على الامامة ولا على أن من قيلت له كان هو أفضل الصحابة

(فصل) قال الرافضى العاشر ما رواه الجمهور من قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض وقال أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهذا يدل على وجوب التمسك بقول أهل بيته وعلى سيدهم فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون هو الامام

(والجواب) من وجوه أحدها ان لفظ الحديث الذى فى صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فقال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب ربى وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه

ولا العلم بثالث فلم تتضاد لانفسها ولكن لعجز العبد عن جمعها فالامور ثلاثة أنواع ما امتنع اجتماعها لنفسها كالالوان المختلفة وما أمكن اجتماعها وقد تجتمع كالعلم والارادة والقدرة والطعم واللون والريح وما يعجز بعض الاحياء عن جمعها كجمع الارادات الكثيرة والاعتقادات الكثيرة فى زمن واحد فهذه ليس بين حقائقها منافاة تمنع اجتماعها ولكن العبد يعجز عن جمعها كما انه لا يمتنع أن يعمل بلسانه عملا وبيده عملا وبرجله عملا وأن يسمع كلام هذا القارئ وهذا القارئ وهذا القارئ فالجمع بين هذه الامور قد يتعذر لعجز العبد لا لامتناع اجتماعها فى نفسه فان سمع هذا لا ينافى سمع هذا لذاته ولا هذه الحركة تنافى هذه الحركة لذاتها ولهذا يعقل اجتماع هذه بخلاف اجتماع الضدين وكذلك رؤية المرئيات المختلفة لا تتضاد ولكن يتضاد تحريك الاجفان الى جهتين مختلفتين فنفس الحركات متضادة وأما ما يحصل عنها من ادراك فليس هو فى نفسه متضادا فاذا قدر ادراك لا يفتقر الى حركة أو يحصل بحركة واحدة كمن ينظر الى السماء بتحديق واحد لم يكن ادراكه لهذه المدركات فى آن واحد متضادا فهل يمكن أن يقال فى الصوت مثل ذلك وانه

ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وهذا اللفظ يدل على أن الذي أمرنا بالتمسك به وجعل المتمسك به لا يضل هو كتاب الله وهكذا جاء في غير هذا الحديث كما في صحيح مسلم عن جابر في حجة الوداع لما خطب يوم عرفة وقال قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسئلون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات وأما قوله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فهذا رواه الترمذي وقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعفه وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا لا يصح وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة قالوا ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره لكن أهل البيت لم يتفقوا ولله الحمد على شيء من خصائص مذهب الرافضة بل هم المبرؤن المنزهون عن التدنس بشيء منه وأما قوله مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح فهذا لا يعرف له اسناد صحيح ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها فان كان قد رواه مثل من يروي أمثاله من حطاب الليل الذين يروون الموضوعات فهذا مما يزيده وهنا (الوجه الثاني) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عترته انها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وهو الصادق المصدوق فيدل على أن اجماع العترة حجة وهذا قول طائفة من أصحابنا وذكره القاضي في المعتمد لكن العترة هم بنو هاشم كلهم ولد العباس وولد علي وولد الحرث بن عبد المطلب وسائر بني أبي طالب وغيرهم وعلي وحده ليس هو العترة وسيد العترة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ذلك أن علماء العترة كابن عباس وغيره لم يكونوا يوجبون اتباع علي في كل ما يقوله ولا كان علي يوجب على الناس طاعته في كل ما يفتي به ولا يعرف أن أحدا من أئمة السلف لا من بني هاشم ولا غيرهم قال انه يجب اتباع علي في كل ما يقوله (الوجه الثالث) أن العترة لم تجتمع على امامته ولا أفضليته بل أئمة العترة كابن عباس وغيره يقدمون أبا بكر وعمر وفيهم من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم أضعاف من فيهم من الامامية والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر وكانوا يفضلونهما على علي والنقول عنهم ثابتة متواترة وقد صنف الحافظ أبو الحسن الدارقطني كتاب ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة وذكر فيه من ذلك قطعة وكذلك كل من صنف من أهل الحديث في السنة مثل كتاب السنة لعبد الله بن أحمد والسنة للخلال والسنة لابن بطة والسنة للآجري واللالكائي والبيهقي وأبي ذر الهروي والطلمنكي وأبي حفص بن شاهين وأضعاف هؤلاء الكتب التي يحتج هذا بالعزو اليها مثل كتاب فضائل الصحابة للامام أحمد وأبي نعيم وتفسير الثعلبي وفيها من ذكر فضائل الثلاثة ما هو من أعظم الحجج عليه فان كان هذا القدر حجة فهو حجة له وعليه والا فلا يحتج به (الوجه الرابع) أن هذا معارض بما هو أقوى منه وهو أن اجماع الامة حجة بالكتاب والسنة والاجماع والعترة بعض الامة فيلزم من ثبوت اجماع الامة اجماع العترة وأفضل الامة أبو بكر كما تقدم ذكره ويأتي وان كانت الطائفة التي اجماعها حجة يجب اتباع قول أفضلها مطلقا وان لم يكن هو الامام ثبت أن أبا بكر هو الامام وان لم يجب أن يكون الامر كذلك بطل ما ذكروه في امامة علي فنسبة أبي بكر الى جميع الامة بعد نبيها كنسبة علي الى العترة بعد نبيها على قول هذا

يمكن حصول أصوات بلا حركات وحينئذ فلا تتضاد تلك الاصوات المجتمعة في محل واحد في زمن واحد فيه نزاع وجمهور العقلاء على امتناعه فان كان هذا مما يمكن اجتماعه صار كمعاني الكلام والصفات وان لم يمكن اجتماعه صار كالمتضادات وعلى هذا التقدير فمن قال بامكان اجتماع هذه الامور لم يكن في قوله من الاستبعاد أعظم من قول من يقول تكون تلك الحقائق المختلفة شيأ واحدا وليس اجتماع ما يظهر تضاده باعظم من اتحاد ما يعلم اختلافه واذا قال القائل الامور الالهية لا تشبه بأحوال العباد بل العبد يختلف علمه باختلاف المعلومات وارادته باختلاف المرادات ويتعدد ذلك فيه والباري ليس كذلك قيل فاذا جوزتم أن يكون ما يعلم تعدده واختلافه في المخلوقين واحدا لا تعدد فيه ولا تنوع في حق الخالق أمكن منازعكم أن يقول كذلك فيقول ما يمتنع اجتماعه في حقنا لا يمتنع اجتماعه في حقه لانه واسع لا يقاس بالمخلوقين بل اجتماع الامور التي يظهر تضادها فينا أقرب من اتحاد الامور التي نعلم اختلافها فان كون الشيء هو نفس ما يخالفه أمر فيه قلب الحقائق وأما اجتماع الشيء وغيره في حق الخالق مع امتناع اجتماعهما في حق المخلوق فيدل على أنه يمكن في حقه ما لا

(فصـــل) قال الرافضى الحادى عشر مارواه الجمهور من وجوب محبتـه وموالاته روى أحمد بن حنبل فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما فهو معى فى درجتى يوم القيامـة وروى ابن خالويه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم من أحب أن يتمسك بقصبة الياقوت التى خلقها الله بيده ثم قال لها كونى فكانت فليتول على بن أبى طالب من بعدى وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم لعلى حبك ايمان وبغضك نفاق وأول من يدخل الجنـة محبك وأول من يدخل النار مبغضك وقد جعلك الله أهـلا لذلك فأنت منى وأنا منك ولا نبى بعـدى وعن شقيق بن سلمة عن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخـذ بيـد على وهو يقول هـذا وليى وأنا وليه عاديت من عادى وسالمت من سالم وروى أخطب خوارزم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم جاءنى جبريل من عند الله بورقة خضراء مكتوب فيها ببياض انى قد افترضت محبة على على خلقى فبلغهـم ذلك عنى والاحاديث فى ذلك لا تحصى كثيرة من طرق المخالفين وهى تدل على فضيلته واستحقاقه للامامة

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بتصحيح النقل وهيهات له ذلك وأما قوله رواه أحمد فيقال أولا أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور فى فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يرويها فى المسند لما فيها من الضعف لكونها لا تصلح أن تروى فى المسند لكونها مراسيل أوضعافا بغير الارسال ثم ان هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات ثم ان القطيعى الذى رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة وهـذا الرافضى وأمثاله من شيوخ الرافضـة جهال فهـم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل مارواه القطيعى أو عبد الله قد رواه أحمد بنفسه ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعى ثم يظنون أن أحمد اذا رواه فقد رواه فى المسند فقد رأيتهم فى كتبهم يعزون الى مسند أحمد أحاديث ماسمعها أحمد قط كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما بسبب هذا الجهل منهم وهذا غير ما يفترونه من الكذب فان الكذب كثير منهم وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث فمجرد رواية أحمد لا توجب أن يكون صحيحا يجب العمل به بل الامام أحمد روى أحاديث كثيرة ليعرف ويبين للناس ضعفها وهـذا فى كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج الى بسط لاسيما فى مثل هـذا الاصل العظيم مع أن هـذا الحديث الاول من زيادات القطيعى رواه عن نصر بن على الجهضمى عن على بن جعفر عن أخيـه موسى بن جعفر والحديث الثانى ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وبين أنه موضوع وأما رواية ابن خالويه فلا تدل على أن هـذا الحديث صحيح باتفاق أهل العلم وكذلك رواية أخطب خوارزم فان فى روايتـه من الاكاذيب المختلقـة ما هو من أقبح الموضوعات باتفاق أهل العلم (الوجه الثانى) أن هذه الاحاديث التى رواها ابن خالويه كذب موضوعة عند أهل الحديث وأهل المعرفة يعلمون علما ضروريا يجزمون به أن هذا كذب على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وهذه ليست فى شئ من كتب الحديث التى يعتمد عليها علماء الحديث لا الصحاح ولا المساند ولا السنن ولا المعجمات ولا نحو ذلك من الكتب (الثالث) أن من تدبر ألفاظها تبين له أنها مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسـلم مثل قوله من أحب أن يتمسك بقصبة الياقوت التى خلقها الله بيـده ثم قال لها كونى فكانت فهذه من خرافات الحديث وكأنهم لما سمعوا أن الله خلق آدم بيـده من تراب ثم قال له

كن

يمكن فى حق الخلق وذلك يدل على عظمته وقدرته وأيضا فقد يقول الكرامية وأمثالهم ان محـل هذه الحروف والاصوات ليس هو بعينه محل الأخرى والله واسع عظـيم لا يحيط العباد به علما ولا تدركه أبصارهم وبالجمـلة فالناس متنازعـون فى امكان اجتماع الحروف وامكان قدمها والنزاع فى ذلك قـديم ذكره الاشـعرى فى المقالات وأصحاب أحمد متنازعون فى ذلك وكذلك أصحاب مالك وأبى حنيفـة والشافعى وغـيرهم من الطوائف وكذلك أهل الحديث والصوفية وحينئـذ فيقال اما أن يكـون ذلك ممتنعا واما أن يكـون ممكنا فان كان ممتنعا لم يكن ظهور امتناعه أعظـم من ظهور امتناع قول الكلابية الذى يوجب قدم المعانى المتنوعـة التى هى مـدلول العبارات المنتظمـة ويجعلها مع ذلك معنى واحدا فان الالفـاظ قوالب المعانى ونحن كما لا نعـقل الحروف الا متواليـة متعاقبـة فلا نعـقل معانيها الا كذلك وبتقدير أن نعقل اجتماع معانيها فهى معان متنوعة ليست شيأ واحـدا ولهـذا لما قالت الكلابية لهؤلاء الحروف متعاقبة والسين بعد الباء وذلك يمنع قـدمها أجابوهم بثلاثة أجوبة كما ذكر ابن الزاغونى وقالوا هـذا معارض بمعانى الحروف فانها متعاقبـة

كن فيكون قاسوا هذه الياقوتة على خلق آدم وآدم خلق من تراب ثم قال له كن فكان فصار حيا بنفخ الروح فيه فأما هذا القصب فبنفس خلقه كمل ثم لم يكن له بعد هذا حال يقال له فيها كن ولم يقل أحد من أهل العلم ان الله خلق بيده ياقوتة بل قد روى في عدة آثار ان الله لم يخلق بيده الا ثلاثة أشياء آدم والقلم وجنة عدن ثم قال لسائر خلقه كن فكان فلم يذكر فيها هذه الياقوتة ثم أي عظيم في امساك هذه الياقوتة حتى يجعل على هذا وعدا عظيما وكذلك قوله أول من يدخل النار مبغضك فهل يقول مسلم ان الخوارج يدخلون النار قبل أبي جهل بن هشام وفرعون وأبي لهب وأمثالهم من المشركين وكذلك قوله أول من يدخل الجنة محبك فهل يقول عاقل ان الانبياء والمرسلين سبب دخولهم أولا هو حب علي دون حب الله ورسوله وسائر الانبياء ورسله وحب الله ورسله ليس هو السبب في ذلك وهل تعلق السعادة والشقاوة بمجرد حب علي دون حب الله ورسوله الا كتعلقها بحب أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم فلو قال قائل من أحب عثمان ومعاوية دخل الجنة ومن أبغضهما دخل النار كان هذا من جنس قول الشيعة

(فصل) قال الرافضي روى أخطب خوارزم باسناده عن أبي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناصب عليا الخلافة فهو كافر وقد حارب الله ورسوله ومن شك في علي فهو كافر وعن أنس قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عليا مقبلا فقال أنا وهذا حجة الله على أمتي يوم القيامة وعن معاوية بن حيدة القشيري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي من مات وهو يبغضك مات يهوديا أو نصرانيا

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بتصحيح النقل وهذا على سبيل التنزل فان مجرد رواية الموفق خطيب خوارزم لا تدل على أن الحديث ثابت قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لو لم يعلم ما في الذي جمعه من الاحاديث من الكذب والفرية فأما من تأمل في جمع هذا الخطيب فانه يقول سبحانك هذا بهتان عظيم (الثاني) ان كل من له معرفة بالحديث يشهد أن هذه الاحاديث كذب مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثالث) أن هذه الاحاديث ان كانت مما رواها الصحابة والتابعون فأين ذكرها بينهم ومن الذي نقلها عنهم وفي أي كتاب وجد أنهم رووها ومن كان خبيرا بما جرى بينهم علم بالاضطرار أن هذه الاحاديث مما ولدها الكذابون بعدهم وأنها مما عملت أيديهم (الوجه الرابع) أن يقال علمنا بأن المهاجرين والانصار كانوا مسلمين يحبون الله ورسوله وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبهم ويتولاهم أعظم من علمنا بصحة شيء من هذه الاحاديث وأن أبا بكر الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يجوز أن يرد ما علمناه بالتواتر المتيقن بأخبار هي أقل وأحقر من أن يقال لها أخبار آحاد لا يعلم لها ناقل صادق بل أهل العلم بالحديث متفقون على أنها من أعظم المكذوبات ولهذا لا يوجد منها شيء في كتب الاحاديث المعتمدة بل أئمة الحديث كلهم يجزمون بكذبها (الوجه الخامس) أن القرآن يشهد في غير موضع برضا الله عنهم وثنائه عليهم كقوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا الآية وقوله لقد

عندنا وأنتم تقولون بقدمها الثاني أن التعاقب والترتيب نوعان أحدهما ترتيب في نفس الحقيقة والثاني ترتيب في وجودها فاذا كانت موجودة شيأ بعد شيء كان الذاتي حادثا وأما الترتيب الذاتي العقلي فهو بمنزلة كون الصفات تابعة للذات وكون الارادة مشروطة بالعلم والعلم مشروطا بالحياة وادعوا أن تقدم الحروف من هذا الباب وهذا الذي يقال له تقدم بالطبع وهو تقدم الشرط على المشروط كتقدم الواحد على الاثنين وجزء المركب على جملته ومثل هذا الترتيب لا يستلزم عدم الثاني عند وجود الاول فقول هؤلاء ان كان باطلا فكون العلم هو الحياة والحياة هي الارادة ومعنى القرآن هو معنى التوراة ومعنى آية الكرسي وقل هو الله أحد هو معنى آية الدين وتبت يدا أبي لهب هو باطل أيضا سواء كان مثله في البطلان أو أخفى بطلانا منه أو أظهر بطلانا منه وحينئذ فيقال هب أن قول السالمية والكرامية باجتماع الحروف محال فقول الكلابية أيضا محال فلا يلزم من بطلان ذلك صحة هذا وقول المعتزلة والفلاسفة أبطل من الكل وحينئذ فيكون الحق هو القول الآخر وهو أنه لم يزل متكلما بحروف متعاقبة لا مجتمعة وهذا يستلزم قيام

رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقوله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وأمثال ذلك فكيف يرد ما علمنا دلالة القرآن عليه يقينا بمثل هذه الاخبار المفتراة التى رواها من لا يخاف مقام ربه ولا يرجو لله وقارا (الوجه السادس) أن هذه الاحاديث تقدح فى على وتوجب أنه كان مكذبا بالله ورسوله فيلزم من صحتها كفر الصحابة كلهم هو وغيره أما الذين ناصبوه الخلافة فانهم فى هذا الحديث المفترى كفار وأما على فانه لم يعمل بموجب هذه النصوص بل كان يجعلهم مؤمنين مسلمين وشر من قاتلهم على هم الخوارج ومع هذا فلم يحكم فيهم بحكم الكفار بل حرم أموالهم وسبيهم وكان يقول لهم قبل قتالهم إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ولا حقكم من فيئنا ولما قتله ابن ملجم قال ان عشت فأنا ولى دمى ولم يجعله مرتدا بقتله وأما أهل الجمل فقد تواتر عنه أنه نهى عن أن يتبع مدبرهم وأن يجهز على جريحهم وأن يقتل أسيرهم وأن تغنم أموالهم وأن تسبى ذراريهم فان كان هؤلاء كفارا بهذه النصوص فعلى أولى من كذب بها فيلزمهم أن يكون على كافرا وكذلك أهل صفين كان يصلى على قتلاهم ويقول اخواننا بغوا علينا طهرهم السيف ولو كانوا عنده كفارا ما صلى عليهم ولا جعلهم اخوانه ولا جعل السيف طهرهم وبالجملة نحن نعلم بالاضطرار من سيرة على أنه لم يكن يكفر الذين قاتلوه بل ولا جمهور المسلمين ولا الخلفاء الثلاثة ولا الحسن ولا الحسين كفروا أحدا من هؤلاء ولا على بن الحسين ولا أبو جعفر فان كان هؤلاء كفارا فأول من خالف النصوص على وأهل بيته وكان يمكنهم أن يفعلوا ما فعلت الخوارج فيعتزلوا بدار غير دار الاسلام وان عجزوا عن القتال ويحكموا على أهل دار الاسلام بالكفر والردة كما يفعل مثل ذلك كثير من شيوخ الرافضة وكان الواجب على على اذا رأى أن الكفار لا يؤمنون أن يتخذ له ولشيعته دارا غير دار أهل الردة والكفر ويباينهم كما باين المسلمون لمسيلمة الكذاب وأصحابه وهذا النبى صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى غاية الضعف ومع هذا فكانوا يباينون الكفار ويظهرون مباينتهم بحيث يعرف المؤمن من الكافر وكذلك هاجر من هاجر منهم الى أرض الحبشة مع ضعفهم وكانوا يباينون النصارى ويتكلمون بدينهم قدام النصارى وهذه بلاد الاسلام مملوأة من اليهود والنصارى وهم مظهرون لدينهم متحيزون عن المسلمين فان كان كل من يشك فى خلافة على كافرا عنده وعند أهل بيته وليس بمؤمن عندهم الا من اعتقد أنه الامام المعصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يعتقد ذلك فهو مرتد عند على وأهل بيته فعلى أول من بدل الدين ولم يميز المؤمنين من الكافرين ولا المرتدين من المسلمين وهب أنه كان عاجزا عن قتالهم وادخالهم فى طاعته فلم يكن عاجزا عن مباينتهم ولم يكن أعجز من الخوارج الذين هم شرذمة من عسكره والخوارج اتخذوا لهم دارا غير دار الجماعة وباينوهم كما كفروهم وجعلوا أصحابهم هم المؤمنين وكيف كان يحل للحسن أن يسلم أمر المسلمين الى من هو عنده من المرتدين شر من اليهود والنصارى كما يدعون فى معاوية وهل يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر وقد كان الحسن يمكنه أن يقيم بالكوفة ومعاوية لم يكن بدأه بالقتال وكان قد طلب منه ما أراد فلو قام مقام أبيه لم يقاتله معاوية وأين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه فى فضل الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فان كان على وأهل بيته والحسن منهم يقولون لم يصلح الله به الا بين المؤمنين والمرتدين فهذا قدح فى الحسن وفى جده الذى أثنى على الحسن ان كان الامر كما يقوله الرافضة فتبين

ان

الحوادث به فمن قال بهذا لم يكن تناقض الكرامية حجة عليه ولم يلزم من بطلان قولهم بطلان هذا الاصل وان كان اجتماع الحروف ممكنا بطل أصل الاعتراض ومعلوم أن القسمة العقلية أربعة لان الحروف اما أن يمكن قدم أعيانها وحينئذ يلزم امكان اجتماعها واما أن لا يمكن قدم أعيانها بل قدم أنواعها واما أن لا يمكن قدم أعيانها ولا أنواعها وأما القسم الرابع وهو قدم أعيانها لا أنواعها فهذا لا يقوله عاقل وعلى التقديرين فاما ان يمكن اجتماعها واما أن لا يمكن فهذه خمسة أقسام وأيضا فاذا أمكن الاجتماع فاما أن يكون بقاؤها ممكنا واما أن لا يكون فالقول المذكور عن الكرامية يتضمن حدوث أعيانها وأنواعها لكن مع امكان اجتماعها وبقائها بعد الحدوث وهذا قول من أقوال متعددة وبازاء ذلك من يقول يجب حدوثها ويمتنع بقاؤها اما مع امكان الاجتماع واما مع عدم امكان الاجتماع ومن يقول يجب قدم نوعها لا قدم أعيانها فقد يقول بامكان الاجتماع وقد لا يقول والناس متنازعون فى تكليم الله لعباده هل هو مجرد خلق ادراك لهم من غير تجدد تكليم من جهته أم لا بد من تجدد تكليم من جهته على قولين للمنتسبين الى السنة وغيرهم من أصحاب أبى حنيفة

أن الرافضة من أعظم الناس قدحا وطعنا في أهل البيت وأنهم الذين عادوا أهل البيت في نفس الامر ونسبوهم الى أعظم المنكرات التي من فعلها كان من الكفار وليس هذا ببدع من جهل الرافضة وجفائهم ثم ان الرافضة تدعي أن الامام المعصوم لطف من الله بعباده ليكون ذلك أدعى الى أن يطيعوه فيرحموا وعلى ما قالوه فلم يكن على أهل الارض نقمة أعظم من علي فان الذين خالفوه وصاروا مرتدين كفارا والذين وافقوه أذلاء مقهورين تحت النقمة لا يد ولا لسان وهم مع ذلك يقولون ان خلقه مصلحة ولطف وان الله يجب عليه أن يخلقه وانه لا تتم مصلحة العالم في دينهم ودنياهم الا به وأي صلاح في ذلك على قول الرافضة ثم انهم يقولون ان الله يجب عليه أن يفعل أصلح ما يقدر عليه للعباد في دينهم ودنياهم وهو يمكن الخوارج الذين يكفرونه بدار لهم فيها شوكة ومن قتال أعدائهم ويجعلوهم والائمة المعصومين في ذل أعظم من ذل اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الذمة فان أهل الذمة يمكنهم اظهار دينهم وهؤلاء الذين يدعى أنهم حجج الله على عباده ولطفه في بلاده وانه لا هدى الا بهم ولا نجاة الا بطاعتهم ولا سعادة الا باتباعهم قد غاب خاتمهم من أربعمائة سنة وخمسين سنة فلم ينتفع به أحد في دينه ولا دنياه وهم لا يمكنهم اظهار دينهم كما تظهر اليهود والنصارى دينهم ولهذا ما زال أهل العلم يقولون ان الرفض من أحداث الزنادقة الملاحدة الذين قصدوا افساد الدين دين الاسلام ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فان منتهى أمرهم تكفير علي وأهل بيته بعد أن كفروا الصحابة ولهذا كان صاحب دعوى الباطنية الملاحدة رتب دعوته مراتب أول ما يدعو المستجيب الى التشيع ثم اذا طمع فيه قال له علي مثل الناس ودعاه الى القدح في علي أيضا ثم اذا طمع فيه دعاه الى القدح في الرسول ثم اذا طمع فيه دعاه الى انكار الصانع هذا ترتيب كتابهم الذي يسمونه البلاغ الاكبر والناموس الأعظم وواضعه الذي أرسل به الى القرمطي الخارج بالبحرين لما استولى على مكة وقتلوا الحجاج وأخذوا الحجر الاسود واستحلوا المحارم وأسقطوا الفرائض وسيرتهم مشهورة عند أهل العلم وكيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم من مات وهو يبغض عليا مات يهوديا أو نصرانيا والخوارج كلهم تكفره وتبغضه وهو نفسه لم يكن يجعلهم مثل اليهود والنصارى بل يجعلهم من المسلمين أهل القبلة ويحكم فيهم بغير ما يحكم بين اليهود والنصارى وكذلك من كان يسبه ويبغضه من بني أمية وأتباعهم فكيف يكون من يصلي الصلوات ويصوم شهر رمضان ويحج البيت ويؤدي الزكاة مثل اليهود والنصارى وغايته أن يكون خفي عليه كون هذا اماما أو عصاه بعد معرفته وكل أحد يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض مع علي ولا لاحد منهم غرض في تكذيب الرسول وأنهم لو علموا ان الرسول جعله اماما كانوا أسبق الناس الى التصديق بذلك وغاية ما يقدر أنهم خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون من خفي عليه جزء من الدين مثل اليهود والنصارى وليس المقصود هنا الكلام في التكفير بل التنبيه على أن هذه الاحاديث مما يعلم بالاضطرار أنها كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وأنها مناقضة لدين الاسلام وأنها تستلزم تكفير علي وتكفير من خالفه وأنه لم يقلها من يؤمن بالله واليوم الآخر فضلا عن أن تكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اضافتها والعياذ بالله الى رسول الله من أعظم القدح والطعن فيه ولا شك أن هذا فعل زنديق ملحد يقصد افساد دين الاسلام فلعن الله من افتراها وحسبه ما وعده به الرسول حيث قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم فالاول قول الكلابية والسالمية ومن وافقهم من أصحاب هؤلاء الائمة القائلين بأن الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته بل هو بمنزلة الحياة والثاني قول الأكثرين من أهل الحديث والسنة من أصحاب هؤلاء الائمة وغيرهم وهو قول أكثر أهل الكلام من المرجئة والشيعة والكرامية والمعتزلة وغيرهم قالوا ونصوص الكتاب والسنة تدل على هذا القول ولهذا فرق الله بين ايحائه وتكليمه كما ذكر في سورة النساء وسورة الشورى والاحاديث التي جاءت بأنه يكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم وانه اذا قضى أمرا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان الى غير ذلك مما يطول ذكره واذا كان كذلك امتنع أن لا يقوم كلام الله به فانه يلزم أن لا يكون كلامه بل كلام من قام به كما قد قرر في موضعه والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا وكذلك اذا ناجوه ودعوه أجابهم كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن

(فصل) قال الرافضى قالت الامامية اذا رأينا المخالف لنا يورد مثل هذه الاحاديث ونقلنا نحن أضعافها عن رجالنا الثقات وجب علينا المصير اليها وحرم العدول عنها

(والجواب) أن يقال لاريب أن رجالكم الذين وثقتموهم غايتهم أن يكونوا من جنس من يروى هذه الاحاديث من الجمهور فاذا كان أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن هؤلاء كذابون وأنتم أكذب منهم وأجهل حرم عليكم العمل بها والقضاء بموجبها والاعتراض على هذا الكلام من وجوه (أحدها) أن يقال لهؤلاء الشيعة من أين لكم أن الذين نقلوا هذه الاحاديث فى الزمان القديم ثقات وأنتم لم تدركوهم ولم تعلموا أحوالهم ولا لكم كتب مصنفة تعتمدون عليها فى أخبارهم التى يميز بها بين الثقة وغيره ولا لكم أسانيد تعرفون رجالها بل علمكم بكثير مما فى أيديكم شر من علم كثير من اليهود والنصارى بما فى أيديهم بل أولئك معهم كتب وضعها لهم هلال وشماس وليس عند جمهورهم ما يعارضها وأما أنتم فجمهور المسلمين دائما يقدحون فى رواياتكم ويبينون كذبكم وأنتم ليس لكم علم بحالهم ثم قد علم بالتواتر الذى لا تنكر حجيته كثرة الكذب وظهوره فى الشيعة من زمن على والى اليوم وأنتم تعلمون أن أهل الحديث يبغضون الخوارج ويروون فيهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة صحيحة وقد روى البخارى بعضها وروى مسلم عشرة منها وأهل الحديث متدينون بما صح عندهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ومع هذا فلم يحملهم بغضهم مع الخوارج على الكذب عليهم بل جربوهم فوجدوهم صادقين وأنتم يشهد عليكم أهل الحديث والفقهاء والمسلمون والتجار والعامة والجند وكل من عاشركم وجربكم قديما وحديثا أن طائفتكم أكذب الطوائف واذا وجد فيها صادق فالصادق فى غيرها أكثر واذا وجد فى غيرها كاذب فالكاذب فيها أكثر ولا يخفى هذا على عاقل منصف وأما من اتبع هواه فقد أعمى الله قلبه ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا وهذا الذى ذكرناه معروف عند أهل العلم قديما وحديثا كما قد ذكرنا بعض أقوالهم حتى قال الامام عبد الله بن المبارك الدين لاهل الحديث والكذب للرافضة والكلام للمعتزلة والحيل لاهل الرأى أصحاب فلان وسوء التدبير لآل أبى فلان وهو كما قال فان الدين هو ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وأعلم الناس به أعلمهم بحديثه وسنته وأما الكلام فأشهر الطوائف به هم المعتزلة ولهذا كانوا أشهر الطوائف بالبدع عند الخاصة وأما الرافضة فهم المعروفون بالكذب عند العامة والخاصة لظهور مناقضتهم لما جاء به الرسول عليه السلام عند العامة والخاصة فهم عين على ما جاء به حتى الطوائف الذين ليس لهم من الخبرة بدين الرسول ما لغيرهم اذا قالت لهم الرافضة نحن مسلمون يقولون أنتم جنس آخر ولهذا الرافضة يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين مشركى الترك ويعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين وسادات المتقين وهم الذين أقاموه وبلغوه ونصروه ولهذا كان الرافضة من أعظم الاسباب فى دخول الترك الكفار الى بلاد الاسلام * وأما قصة الوزير ابن العلقمى وغيره كالنصير الطوسى مع الكفار وممالأتهم على المسلمين فقد عرفها الخاصة والعامة وكذلك من كان منهم بالشام ظاهروا المشركين على المسلمين وعاونوهم معاونة عرفها الناس وكذلك لما انكسر عسكر المسلمين لما قدم غازان ظاهروا الكفار النصارى وغيرهم من أعداء المسلمين وباعوهم أولاد المسلمين بيع العبيد وأموالهم وحاربوا المسلمين محاربة ظاهرة وحمل بعضهم راية الصليب وهم كانوا من أعظم الاسباب فى استيلاء النصارى قديما على بيت المقدس حتى استنقذه

المسلمون

الرحيم قال الله أثنى على عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الله يقول هذا لكل مصل والناس يصلون فى ساعة واحدة والله تعالى يقول لكل منهم هذا وقد روى أن ابن عباس قيل له كيف يحاسب الله الخلق فى ساعة واحدة فقال كما يرزقهم فى ساعة واحدة وأمثال ذلك كثير وحينئذ فمن قال ان هذه أقوال قائمة بنفسه تتعلق بمشيئته وقدرته يلزمه أحد أمرين اما أن يقول باجتماعها فى محل واحد واما أن يقول ان ذاته واسعة تسع هذه الاقوال كلها ونحن نعقل أن يقوم بالذات الواحدة حروف كثيرة فى آن واحد وأصوات مجتمعة فى آن واحد لكن لا يكون هذا حيث هذا اذ لا يعقل فى الشاهد انهما يجتمعان فى محل واحد وقد يقال ان مثل هذا يجىء على قول من يقول انه يقوم بذاته علوم لا نهاية لها وارادات لا نهاية لها وقدر لا نهاية لها فان ذلك كقيام أفعال وأقوال لا نهاية لها وهذا على وجهين فمن قال ان

المسلمون منهم وقد دخل فيهم أعظم الناس نفاقا من النصيرية والاسمعيلية ونحوهم ممن هو أعظم كفرا فى الباطن ومعاداة لله ورسوله من اليهود والنصارى فهذه الامور وأمثالها مما هى ظاهرة مشهورة يعرفها الخاصة والعامة توجب ظهور مباينتهم للمسلمين ومفارقتهم للدين ودخولهم فى زمرة الكفار والمنافقين حتى يعدهم من رأى أحوالهم جنسا آخر غير جنس المسلمين فان المسلمين الذين يقيمون دين الاسلام فى الشرق والغرب قديما وحديثا هم الجمهور والرافضة ليس لهم سعى الا فى هدم الاسلام ونقض عراه وافساد قواعده والقدر الذى عندهم من الاسلام انما قام بسبب قيام الجمهور به ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة ومن يحفظه حفظا جيدا فانما تعلمه من أهل السنة وكذلك الحديث انما يعرف ويصدق فيه ويؤخذ عن أهل السنة وكذلك الفقه والعبادة والزهد والجهاد والقتال انما هو لعساكر أهل السنة وهم الذين حفظ الله بهم الدين علما وعملا بعلمائهم وعبادهم ومقاتلتهم والرافضة من أجهل الناس بدين الاسلام وليس للانسان منهم شئ يختص به الا ما يسر عدو الاسلام ويسوء وليه فأيامهم فى الاسلام كلها سود وأعرف الناس بعيوبهم وممادحهم أهل السنة لا تزال تطلع منهم على أمور غير ما عرفتها كما قال تعالى فى اليهود ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم ولو ذكرت بعض ما عرفته منهم بالمباشرة ونقل الثقات وما رأيته فى كتبهم لاحتاج ذلك الى كتاب كبير وهم الغاية فى الجهل وقلة العقل يبغضون من الامور ما لا فائدة لهم فى بغضه ويفعلون من الامور ما لا منفعة لهم فيه اذا قدر أنهم على حق مثل نتف النعجة حتى كأن لهم عليها ثارا كأنهم ينتفون عائشة وشق جوف الكبش كأنهم يشقون جوف عمر فهل فعل هذا أحد من طوائف المسلمين بعدوه غيرهم ولو كان مثل هذا مشروعا لكان بأبى جهل وأمثاله ومثل كراهتهم للفظ العشرة لبغضهم لرجال العشرة وقد ذكر الله لفظ العشرة فى غير موضع من القرآن كقوله والفجر وليال عشر وقوله وأتممناها بعشر تلك عشرة كاملة وأما التسعة فذكرها فى معرض الذم كقوله وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون فهل كره المسلمون التكلم بلفظ التسعة على لفظ العشرة وكذلك كراهيتهم لاسام سمى بها من يبغضونه وقد كان من الصحابة من تسمى بأسماء تسمى بها عدو الاسلام مثل الوليد الذى هو الوحيد وكان ابنه من خيار المسلمين واسمه الوليد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقنت له فى الصلاة ويقول اللهم نج الوليد بن الوليد كما رواه فى الصحيحين ومثل أبى بن خلف الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم وفى المسلمين أبى بن خلف غيره ومثل عمرو بن ود وفى الصحابة عمرو بن أمية وعمرو بن العاص ومثل هذا كثير ولم يغير النبى صلى الله عليه وسلم اسم رجل من الصحابة لكون كافر سمى به فلو قدر كفر من يبغضونه لكان كراهتهم لمثل أسمائهم فى غاية الجهل مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم بها ويقال لهم كل من جرب من أهل العلم والدين الجمهور علم أنهم لا يرضون بالكذب ولو وافق أغراضهم فكم يروون لهم فى فضائل الخلفاء الثلاثة وغيرها أحاديث بأسانيد خير من أسانيد الشيعة ويرويها مثل أبى نعيم والثعلبى وأبى بكر النقاش والاهوازى وابن عساكر وأمثال هؤلاء ولا يقبل علماء الحديث منها شيأ بل اذا كان الراوى عندهم مجهولا توقفوا فى روايته وأما أنتم معاشر الرافضة فقد رأيناكم تقبلون كل ما يقابل رأيكم وأهواءكم لا تردون غثا ولا سمينا ويقال لكم اذا كان عند الجمهور من الاحاديث الصحيحة المعروفة عند من يعلم المسلمون كلهم صدقه وعلمه وأنتم ممن يعلم ذلك أحاديث متلقاة بالقبول بل متواترة توجب العلم الضرورى الذى

ذلك يقوم به على سبيل التعاقب فهو كمن يقول انه تقوم به الكلمات والافعال على سبيل التعاقب ومن قال انها كلمات أزلية كما تقوله طائفة يقولون انه تقوم به علوم لا نهاية لها فى آن واحد كما يقوله أبو سهل الصعلوكى وغيره فان هذا يشبه قول من يقول تقوم به حروف لا نهاية لها فى آن واحد لكن قد يقال اجتماع العلوم بمعلومات والارادات لمرادات قد يقال انه لا يتضاد كاجتماع معانى الكلام بخلاف اجتماع حروف فانه كاجتماع أصوات واجتماع أصوات كاجتماع حركات وجماع ذلك أن الحقائق إما أن تكون متماثلة واما أن لا تكون واذا لم تكن متماثلة فاما أن يمكن اجتماعها فى محل واحد فى زمن واحد واما أن لا يمكن فالاول المختلفة التى ليست بمتضادة كالعلم والقدرة وكالطعم واللون والثانى المتضادة كالسواد والبياض وكالعجز مع القدرة كالعلم بمعلومات والقدرة على مقدرات والارادة لمرادات ليست هى متضادة بل يمكن اجتماع ذلك لكن قد يضيق عنه المحل كما يضيق قلب العبد عن اجتماع أمور كثيرة من ذلك مما لا يسعه قلبه والقلوب تختلف أيضا بذاتها ولهذا يمكن بعض الناس أن يقرأ ويفعل بيده ورجله وآخر لا يمكنه ذلك كما يمكن هذا الحركة

لايمكن دفعه عن القلب تناقض هذه الادلة التى رواها طائفة مجهولة أو معروفة بالكذب منكم ومن الجمهور فهل يمكن أن يدع الناس ما علموه بالضرورة وما علموه مستفادا بنقل الثقات الاثبات الذين يعرف صدقهم وضبطهم هل يمكن دفع هذا بمثل هذه الروايات المسيبة التى لازمام لها ولا خطام ولو روى رجل أن الصلاة كانت أكثر من خمس وأن الصوم الواجب شهران وأن على المسلمين حج بيت آخر هل كان الطريق الى تكذيب هذا الا من جنس الطريق الى تكذيبهم وقد نبهنا فى هذا الرد على طرق بما به يعلم كذب ما يعتمدون عليه غير طرق أهل الحديث وبينا كذبهم تارة بالعقل وتارة بما علم بالقرآن وتارة بما علم بالتواتر وتارة بما أجمع الناس كلهم عليه ومن المعلوم أن الاخبار المخالفة للقرآن والتواتر والاجماع والمخالفة للعقل يعلم بطلانها هذا ومن جملة الطرق التى يعلم بها طرق ما يناقضون به مذهب أهل السنة من الاخبار وهم لا يعتمدون فى أدلتهم الاعلى أحد ثلاثة أشياء اما نقل كاذب واما دلالة مجملة واما قياس فاسد وهذا حال كل من احتج بحجة فاسدة نسبها الى الشريعة فان عمدته اما نص واما قياس والنص يحتاج الى صحة الاسناد ودلالة المتن فلا بد أن يكون النص ثابتا عن الرسول ولا بد أن يكون دالا على المطلوب والحجج الباطلة السمعية اما نقل كاذب واما نقل صحيح لايدل واما قياس فاسد وليس للرافضة وغيرهم من أهل الباطل حجة سمعية إلا من هذا الجنس وقولنا نقل يدخل فيه كلام الله ورسوله وكلام أهل الاجماع عند من يحتج به فان الرافضة لاتحتج بالاجماع والأفعال والاقرار والامساك يجرى مجرى ذلك

(فصل) واعلم أنه ليس كل أحد من أهل النظر والاستدلال خبيرا بالمنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها وصوابها وخطئها فضلا عن العامة وقد علم من حيث الجملة أن المنقول منه صدق ومنه كذب وليس لهم خبرة أهل المعرفة علماء الحديث فهؤلاء يحتاجون فى الاستدلال على الصدق والكذب الى طرق أخرى والله سبحانه الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى الذى أخرج الناس من بطون أمهاتهم لايعلمون شيأ وجعل لهم السمع والابصار والافئدة يهدى من يشاء من عباده بما تيسر له من الادلة التى تبين له الحق من الباطل والصدق من الكذب كما فى الحديث الصحيح الالهى ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ولهذا تنوعت الطرق التى بها يعلم الصدق من الكذب حتى فى اخبار المخبر عن نفسه أنه رسول الله وهو دعوى النبوة فالطريق التى يعلم بها صدق الصادق وكذب المتنبئ الكذاب كثيرة متنوعة كما قد نبهنا عليها فى غير هذا الموضع وكذلك ما به يعلم صدق المنقول عن الرسول وكذبه يتعدد ويتنوع وكذلك ما به يعلم صدق الذين حملوا العلم فان أهل العلم يعلمون صدق مثل مالك والثورى وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى وأحمد بن حنبل والبخارى ومسلم وأبى داود وأمثال هؤلاء علما يقينيا يجزمون بأنهم لايتعمدون الكذب فى الحديث ويعلمون كذب محمد بن سعيد المصلوب وأبى البخترى القاضى وأحمد بن عبد الله الجويبارى وعتاب بن ابراهيم بن عتاب وأبى داود النخعى ونحوهم ممن يعلمون أنهم يتعمدون الكذب وأما الخطأ فلا يعصم من الاقرار عليه الا نبى لكن أهل الحديث يعلمون أن مثل الزهرى والثورى ومالك ونحوهم من أقل الناس غلطا فى أشياء خفيفة لاتقدح فى مقصود الحديث ويعرفون رجالا دون هؤلاء يغلطون أحيانا والغالب عليهم الحفظ والضبط ولهم دلائل يستدلون بها على غلط الغالط ودون هؤلاء قوم كثير

القوية الشديدة والآخر لا يمكنه ذلك ويمكن هذا أن يرى ويسمع من المختلفات مالا يمكن الآخر رؤيته أوسماعه واذا كان كذلك فالكلام فى الصوت فى شيئين احدهما فى بقاء الحركة وقدمها ولاريب فى امكان بقاء نوع الصوت والحركة بمعنى حدوث الحركة والصوت شيأ فشيأ كحركة الفلك والكواكب وأما امكان قدم نوع الصوت والحركة ففيه قولان مشهوران للنظار فالجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم تنكر امكان قدم ذلك وكثير من أئمة أهل الحديث والفقه والتصوف والفلاسفة يجوزون قدم ذلك ومنهم من يجوز قدم نوع الصوت لانوع الحركة وأما بقاء الصوت المعين والحركة المعينة فجمهور العقلاء يحيلون بقاء ذلك وقدمه بل امتناع قدم ما يمتنع بقاؤه أولى فان ما وجب قدمه وجب بقاؤه وامتنع عدمه ومن الناس من جوز بقاء الصوت المعين والحركة المعينة وبعض هؤلاء جوز قدم الصوت المعين ولافرق بين الحركة والصوت وأما الحروف المنطوق بها فالناس متنازعون هل هى طرف للصوت أم يمكن وجود حروف منظومة بلاصوت على القولين واذا قيل لايمكن وجود حرف منطوق به الا بصوت فالحرف قد يعبر به عن نهاية

غلطهم فهؤلاء لا يحتجون بهم اذا انفردوا لكن يعتبرون بحديثهم ويستشهدون به بمعنى أنهم ينظرون فيما رووه هل رواه غيرهم فاذا تعددت الطرق واللفظ واحد مع العلم بأنهم لم يتواطؤا ولا يمكن فى العادة اتفاق الخطا فى مثل ذلك كان هذا مما يدلهم على صدق الحديث ولهذا قال أحمد أكتب حديث الرجل لأعتبر به مثل ابن لهيعة ونحوه فانه كان عالما دينا قاضيا لكن احترقت كتبه فصار يحدث بعد ذلك بأشياء صار فيها غلط لكن أكثر ذلك صحيح يوافقه عليها الثقات كالليث وأمثاله وأهل الحديث يعلمون صدق متون الصحيحين ويعلمون كذب الاحاديث الموضوعة التى يجزمون بأنها كذب بأسباب عرفوا بها ذلك من شركهم فيها علم ما علموه ومن لم يشركهم لم يعلم ذلك كما أن الشهود الذين يتحملون الشهادة ويؤدونها يعرف من جربهم وخبرهم صدق صادقهم وكذب كاذبهم وكذلك أهل المعاملات فى البيع والاجارة يعلم من جربهم وخبرهم صادقهم وكاذبهم وأمينهم وخائنهم وكذلك الاخبار قد يعلم الناس صدق بعضها وكذب بعضها ويشكون فى بعضها وباب المعرفة بأخبار النبى صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وما ذكره من توحيد وأمر ونهى ووعد ووعيد وفضائل لأعمال أو لأقوام أو أمكنة أو أزمنة ومثالب لمثل ذلك أعلم الناس به أهل العلم بحديثه الذين اجتهدوا فى معرفة ذلك وطلبه من وجوهه وعلموا أحوال نقلة ذلك وأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وجمعوا بين رواية هذا وهذا وهذا فعلموا صدق الصادق وغلط الغالط وكذب الكاذب وهذا علم أقام الله له من حفظ به على الامة ما حفظ من دينها وغير هؤلاء لهم تبع فيه اما مستدل بهم واما مقلد لهم كما أن الاجتهاد فى الاحكام أقام الله له رجالا اجتهدوا فيه حتى حفظ الله بهم على الامة ما حفظ من الدين وغيرهم لهم تبع فيه اما مستدل بهم واما مقلد لهم مثال ذلك أن خواص أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم به ممن هو دونهم فى الاختصاص مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وابن مسعود وبلال وعمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى وسلمان وأبى الدرداء وأبى أيوب الانصارى وعبادة بن الصامت وحذيفة وأبى طلحة وأمثال هؤلاء من السابقين الأولين من المهاجرين والانصار هم أكثر اختصاصا به ممن ليس مثلهم لكن قد يكون بعض الصحابة أحفظ وأفقه من غيره وان كان غيره أطول صحبة وقد يكون أيضا أخذ عن بعضهم من العلم أكثر مما أخذ عن غيره لطول عمره وان كان غيره أعلم منه كما أخذ عن أبى هريرة وابن عمر وابن عباس وعائشة وجابر وأبى سعيد من الحديث أكثر مما أخذ عمن هو منهم أفضل كطلحة والزبير وأما الخلفاء الاربعة فلهم فى تبليغ كليات الدين ونشر أصوله وأخذ الناس ذلك عنهم ما ليس لغيرهم وان كان يروى عن صغار الصحابة من الاحاديث المفردة أكثر مما يروى عن بعض الخلفاء فالخلفاء لهم عموم التبليغ وقوته التى لم يشركهم فيها غيرهم ثم لما قاموا بتبليغ ذلك شاركهم فيه غيرهم فصار متواترا كجمع أبى بكر وعمر القرآن فى الصحف ثم جمع عثمان له فى المصاحف التى أرسلها الى الامصار فكان الاهتمام بجمع القرآن وتبليغه أهم مما سواه وكذلك تبليغ شرائع الاسلام الى أهل الامصار ومقاتلتهم على ذلك واستنابتهم فى ذلك الامراء والعلماء وتصديقهم لهم فيما بلغوه عن الرسول فبلغ من أقاموه من أهل العلم حتى صار الدين منقولا نقلا عاما متواترا ظاهرا معلوما قامت به الحجة ووضحت به المحجة وتبين به أن هؤلاء كانوا خلفاءه المهديين الراشدين الذين خلفوه فى أمته علما وعملا وهو صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فى حقه والنجم اذا هوى ماضل

الصوت وتقطعه وقد يعبر به عن نفس الصوت المقطع كما يعبر بلفظ الحرف عن الحرف المكتوب ويراد به الشكل تارة مجردا عن المادة ويراد به مجموع المادة والشكل وهو المداد المصور والمسئلة الثانية أن الاصوات المتنوعة سواء قيل بوجوب تعاقبها شيأ بعد شئ أو قيل بامكان بقاء الصوت المعين هل تقوم بالصائت الواحد اذا كان محل هذا الصوت ليس هو بعينه محل هذا الصوت وأن كان الصائت واحدا ولا ريب أن هذا أولى من قيام الحركات المتنوعة بالمتحرك الواحد اذا قامت كل حركة بمحل غير محل الاخرى واما اجتماع الصوتين والحركتين فى محل واحد فهو متعذر للتضاد عند أكثر العقلاء أو لضيق المحل عند بعضهم كاجتماع العلمين والقدرتين والارادتين المختلفتين والادراكين ثم اذا قدر أن محل هذه الصفات لا يكون الا جسما فيبقى الكلام فى الجسم هل هو مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة أو لا من هذا ولا من هذا وفى ذلك للنظار ثلاثة أقوال فمن قال بالمركب من الجواهر المنفردة اضطربوا فى محل العلم ونحوه من العبد هل هو جزء مفرد فى القلب كما يذكر عن ابن الراوندى أو ان الاعراض المشروطة بالحياة اذا قامت بجزء من الجملة اتصف بها سائر الجملة كما يقوله

صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فهو ما ضل وما غوى وكذلك خلفاؤه الراشدون الذين قال فيهم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ فانهم خلفوه في ذلك فانتفى عنهم بالهدى الضلال وبالرشد الغي وهذا هو الكمال في العلم والعمل فان الضلال عدم العلم والغي اتباع الهوى ولهذا أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون فالمهتدي الراشد الذي هداه الله الصراط المستقيم فلم يكن من أهل الضلال الجهال ولا من أهل الغي المغضوب عليهم والمقصود هنا أن بعض الصحابة أعلم بالرسول من بعض وبعضهم أكثر تبليغا لما علمه من بعض ثم قد يكون عند المفضول علم قضية معينة لم يعلمها الافضل فيستفيدها منه ولا يوجب ذلك أن يكون هذا أعلم منه مطلقا ولا أن هذا الأعلم يتعلم من ذلك المفضول ما امتاز به ولهذا كان الخلفاء يستفيدون من بعض الصحابة علما لم يكن عندهم كما استفاد أبو بكر رضي الله عنه علم ميراث الجد من محمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة واستفاد عمر رضي الله عنه علم دية الجنين والاستئذان وتوريث المرأة من دية زوجها وغير ذلك من غيره واستفاد عثمان رضي الله عنه حديث مقام المتوفى عنها في بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله من غيره واستفاد علي رضي الله عنه حديث صلاة التوبة من غيره وقد يخفى ذلك العلم عن الفاضل حتى يموت ولم يعلمه ويبلغه من هو دونه وهذا كثير ليس هذا موضعه لكن المقصود أن نبين طرق العلم فالصحابة الذين أخذ الناس عنهم العلم بعد الخلفاء الاربعة مثل أبي بن كعب وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وزيد بن ثابت وحذيفة وعمران بن حصين وأبي موسى وسلمان وعبد الله بن سلام وأمثالهم وبعد هؤلاء مثل عائشة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو وأبي سعيد وجابر وغيرهم ومن التابعين مثل الفقهاء السبعة وغيرهم وسعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعلي بن الحسين وخارجة بن زيد بن ثابت وسليمان بن يسار ومثل علقمة والاسود وشريح القاضي وعبيدة السلماني والحسن البصري ومحمد بن سيرين وأمثالهم ثم من بعد هؤلاء مثل الزهري وقتادة ويحيى بن أبي كثير ومكحول الشامي وأيوب السختياني ويحيى بن سعيد الانصاري ويزيد بن أبي حبيب المصري وأمثالهم ثم بعد هؤلاء مثل مالك والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والليث والاوزاعي وشعبة وزائدة وسفيان ابن عيينة وأمثالهم ثم من بعد هؤلاء مثل يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح واسمعيل بن علية وهشام بن بشر وأبي يوسف القاضي والشافعي وأحمد والحميدي واسحق بن راهويه والقاسم بن سلام وأبي ثور وابن معين وابن المديني وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي خيثمة زهير بن حرب وبعد هؤلاء البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وعثمان بن سعيد الدارمي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ومحمد بن مسلم بن واره وأبو بكر الاثرم وابراهيم الحربي وبقي بن مخلد الاندلسي ومحمد ابن وضاح ومثل أبي عبد الرحمن النسائي والترمذي وابن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد ابن جرير الطبري وعبد الله بن أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن أبي حاتم ثم بعد هؤلاء مثل أبي حاتم البستي وأبي بكر النجار وأبي بكر النيسابوري وأبي قاسم الطبراني وأبي الشيخ الاصبهاني

وأبي

المعتزلة أو حكم العرض لا يتعدى محله بل يقوم بكل جوهر فرد عرض يخصه من العلم والقدرة ونحو ذلك كما يقوله الاشعري على ثلاثة أقوال ومن لم يقل بالجوهر الفرد لم يلزمه ذلك بل يقول ان العرض القائم بالجسم ليس بمنقسم في نفسه كما أن الجسم ليس بمنقسم وأما قبوله للقسمة فهو كقبول الجسم للقسمة وهؤلاء يقولون ان الانسان تقوم به الحياة والقدرة والحس بجميع بدنه ويقولون ان بدن الانسان ليس مركبا من الجواهر المنفردة فلا يرد عليهم ما ورد على أولئك وأما الاعراض القائمة بروحه من العلم والارادة ونحو ذلك فهي أبعد عن الانقسام من الاعراض القائمة ببدنه وروحه أبعد عن كونها مركبة من الجواهر المنفردة من بدنه وان قيل انها جسم وعلى هذا فاذا قيل يقوم بها علم واحد بمعلوم واحد كان هذا بمنزلة أن يقال يقوم بالعين ادراك واحد لمدرك واحد وبمنزلة أن يقوم بداخل الاذن سمع واحد لمسموع واحد وهذا وغيره مما يحتجون به المتفلسفة الذين قالوا ان النفس الناطقة لا تتحرك ولا تسكن ولا تصعد ولا تنزل وليست بجسم فان عمدتهم على ذلك كونها يقوم بها ما لا ينقسم كالعلم بما لا ينقسم واذا لم تنقسم امتنع كونها جسما وكلا المقدمتين

وأبي أحمد العسال الاصبهاني وأمثالهم ثم من بعد هؤلاء مثل أبي الحسن الدارقطني وابن منده الحاكم أبي عبد الله وعبد الغني بن سعيد وأمثال هؤلاء ممن لا يمكن احصاؤهم فهؤلاء وأمثالهم أعلم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وان كان في هؤلاء من هو أكثر رواية وفيهم من هو أكثر منهم معرفة بصحيحه من سقيمه ومنهم من هو أفقه فيه من غيره قال أحمد بن حنبل معرفة الحديث والفقه فيه أحب الي من حفظه وقال علي بن المديني أشرف العلم الفقه في متون الاحاديث ومعرفة أحوال الرواة فان يحيى بن معين وعلي بن المديني ونحوهما أعرف بصحيحه وسقيمه من مثل أبي عبيد وأبي ثور وأبو عبيد وابو ثور ونحوهما أفقه من أولئك وأحمد كان يشارك هؤلاء وهؤلاء وكان أئمة هؤلاء وهؤلاء ممن يحبهم ويحبونه كما كان مع الشافعي وأبي عبيد ونحوهما من أهل الفقه في الحديث ومع يحيى بن معين وعلي بن المديني ونحوهما من أهل المعرفة في الحديث ومسلم بن الحجاج له عناية بصحيحه أكثر من أبي داود وأبو داود له عناية بالفقه أكثر والبخاري له عناية بهذا وهذا وليس المقصود هنا توسعة الكلام في هذا بل المقصود أن علماء أهل العلم بالحديث لهم من المعرفة بأحوال الرسول ما ليس لغيرهم فهم أئمة هذا الشأن وقد يكون الرجل صادقا كثير الحديث كثير الرواية فيه لكن ليس من أهل العناية بصحيحه وسقيمه فهذا يستفاد منه نقله فانه صادق ضابط وأما المعرفة بصحيحه وسقيمه فهذا علم آخر وقد يكون مع ذلك فقيها مجتهدا وقد يكون صالحا من خيار المسلمين وليس له كثير معرفة لكن هؤلاء وان تفاضلوا في العلم فلا يروج عليهم من الكذب ما يروج على من لم يكن له علم فكل من كان بالرسول أعرف كان تمييزه بين الصدق والكذب أتم فقد يروج على أهل التفسير والفقه والزهد والنظر أحاديث كثيرة اما يصدقون بها واما يجوزون بصدقها وتكون معلومة الكذب عند علماء الحديث وقد يصدق بعض هؤلاء بما يكون كذبا عند أهل المعرفة مثل ما روى طائفة من الفقهاء حديث لا تفعلي يا حميراء فانه يورث البرص وحديث زكاة الارض نبتها وحديث نهى عن بيع وشرط ونهى عن بيع المكاتب والمدبر وأم الولد وحديث نهى عن قفيز الطحان وحديث لا يجتمع العشر والخراج على مسلم وحديث ثلاث هن علي فريضة وهن لكم تطوع الوتر والنحر وركعتا الفجر وحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر يتم ويقصر وحديث لا تقطع اليد الا في عشرة دراهم وحديث لا مهر دون عشرة دراهم وحديث الفرق بين الطلاق والعتاق في الاستثناء وحديث أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة وحديث نهى عن البتراء وحديث يغسل الثوب من المني والدم وحديث الوضوء مما خرج لا مما دخل وحديث كان يرفع يديه في ابتداء الصلاة ثم لا يعود الى أمثال ذلك من الأحاديث التي يصدق بعضها طائفة من الفقهاء ويبنون عليها الحلال والحرام وأهل العلم بالحديث متفقون على أنها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعة وكذلك أهل العلم من الفقهاء يعلمون ذلك وكذلك أحاديث يرويها كثير من النساك ويظنها صدقا مثل قولهم ان عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ومثل قولهم ان قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه نزل في أهل الصفة ومثل حديث غلام المغيرة بن شعبة أحد الابدال الاربعين وكذلك حديث فيه ذكر الابدال والاقطاب والاغواث وعدد الاولياء وأمثال ذلك مما يعلم أهل العلم بالحديث أنه كذب وكذلك أمثال هذه الاحاديث قد تعلم من

ممنوعة كما قد بسط الجواب عن هذه الحجة التي هي عمدتهم في غير هذا الموضع ولما عسر جواب هذه على الرازي ونحوه من أهل الكلام اعتقدوا أن القول بالمعاد مبني على اثبات الجوهر الفرد لظنهم أنه لا يمكن الجواب عن هذه الا باثبات الجوهر الفرد وأن القول بالمعاد يفتقر الى القول بأن أجزاء البدن تفرقت ثم اجتمعت وليس الامر كذلك فان اثبات الجوهر الفرد مما أنكره أئمة السلف والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وجمهور العقلاء وكثير من طوائف أهل الكلام كالهشامية والضرارية والنجارية والكلابية وكثير من الكرامية والقول بمعاد الابدان مما اتفق عليه أهل الملل فكيف يكون القول بمعاد الابدان مستلزما للقول بالجوهر الفرد وبسط هذه الامور له موضع آخر والمقصود هنا التنبيه على ما ذكره من البحث مع الكرامية وحينئذ فيقال قول الكرامية الذي حكاه عنهم من أنه يستحيل تعري الباري عن الاقوال الحادثة في ذاته بعد قيامها قول لا يوافقهم عليه كل من وافقهم على أصل هذه المسئلة فان الموافقين لهم على أصل المسئلة هم أكثر الناس وأئمتهم من الطوائف كلها حتى من أئمة أهل السنة والحديث وأئمة الفلاسفة أهل الشرع وأهل الرأي وأما

غير طريق أهل الحديث مثل أن نعلم أن قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فى سورة الانعام وفى سورة الكهف وهما سورتان مكيتان باتفاق الناس والصفة انما كانت بالمدينة ومثل ما يروون فى احاديث المعراج أنه رأى ربه فى صورة كذا وأحاديث المعراج التى فى الصحاح ليس فيها شئ من أحاديث ذكر الرؤية وانما الرؤية فى أحاديث مدنية كانت فى المنام كحديث معاذ بن جبل أتانى البارحة ربى فى أحسن صورة الى آخره فهذا منام رآه فى المدينة والمعراج كان بمكة بنص القرآن واتفاق المسلمين وقد يروج على طائفة من الناس من الحديث ما هو أظهر كذبا من هذا مثل تواجد النبى صلى الله عليه وسلم حتى سقطت البردة عنه فهذا من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة وطائفة يظنون هذا صدقا لما رواه محمد بن طاهر المقدسى فانه رواه فى مسئلة السماع ورواه أبو حفص السهروردى لكن قال يخالج سرى أن هذا الحديث ليس دون اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه وهذا الذى ظنه وخالج سره هو يقين عند غيره قد خالط قلبه فان أهل العلم بالحديث متفقون على أن هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم من هذا ظن طائفة أن أهل الصفة قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم وأنه يجوز للأولياء قتال الانبياء اذا كان الغدر عليهم وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب فقد راج على كثير ممن ينتسب الى الاحوال والمعارف والحقائق وهم فى الحقيقة لهم أحوال شيطانية والشياطين الذين يغترون بهم قد تخبرهم ببعض الغائبات وتفعل بعض أغراضهم وتقضى حوائجهم ويظن كثير من الناس أنهم بذلك أولياء الله وانما هم من أولياء الشياطين وكذلك قد يروج على كثير ممن ينتسب الى السنة أحاديث يظنونها من السنة وهى كذب كالاحاديث المروية فى فضائل عاشوراء غير الصوم وفضل الكحل فيه والاغتسال والحديث والخضاب والمصافحة وتوسعة النفقة على العيال فيه ونحو ذلك وليس فى حديث عاشوراء حديث صحيح غير الصوم وكذلك ما يروى فى فضل صلاة معينة فيه فهذا كله كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة ولم ينقل هذه الاحاديث أحد من أئمة أهل العلم فى كتبهم ولهذا سئل الامام أحمد عن الحديث الذى يروى من وسع على أهله يوم عاشوراء فقال لا أصل له وكذلك الاحاديث المروية فى فضل رجب بخصوصه أو فضل صيامه أو صيام شئ منه أو فضل صلاة مخصوصة فيه كالرغائب كلها كذب مختلق وكذلك ما يروى فى صلاة الاسبوع كصلاة يوم الاحد والاثنين وغيرهما كذب وكذلك ما يروى من الصلاة المقدرة ليلة النصف أو ليلة جمعة من رجب أو ليلة سبع وعشرين منه ونحو ذلك كلها كذب وكذلك كل صلاة فيها الامر بتقدير عدد الآيات أو السور أو التسبيح فهى كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث الا صلاة التسبيح فان فيها قولين لهم وأظهر القولين أنها كذب وان كان قد اعتقد صدقها طائفة من أهل العلم ولهذا لم يأخذها أحد من أئمة المسلمين بل أحمد بن حنبل وأئمة الصحابة كرهوها وطعنوا فى حديثها وأما مالك وأبو حنيفة والشافعى وغيرهم فلم يسمعوها بالكلية ومن يستحبها من أصحاب الشافعى وأحمد وغيرهما فانما هو اختيار منهم لا نقل عن الائمة وأما ابن المبارك فلم يستحب الصفة المذكورة المأثورة التى فيها التسبيح قبل القيام بل استحب صفة أخرى توافق المشروع لئلا تثبت سنة بحديث لا أصل له وكذلك أيضا فى كتب التفسير أشياء منقولة عن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أهل العلم بالحديث أنها كذب مثل حديث فضائل سور القرآن الذى يذكره الثعلبى والواحدى فى أوائل كل سورة ويذكره الزمخشرى

هذا القول فوافقهم عليه قليل قال وعند ذلك فاما أن يقال باجتماع حروف القول فى ذاته تعالى أولا يقال باجتماعها فيه فان قيل باجتماعها فاما أن يقال بتجزى ذات البارى وقيام كل حرف بجزء منه واما أن يقال بقيامها بذاته مع اتحاد الذات فان كان الاول فهو محال لوجهين أحدهما أنه يلزم منه التركيب فى ذات الله وقد أبطلناه فى ابطال القول بالتجسيم ﴿قلت﴾ ولقائل أن يقول قول القائل اما أن يتجزأ و يلزم منه التركيب لفظ مجمل كما قد عرف غير مرة فان هذا يفهم منه اما جواز الافتراق عليه أو أنه كان مفترقا فاجتمع أو ركبه مركب ونحو هذه المعانى التى لا يقولونها فان أراد المريد بقوله اما أن يقال بتجزى ذات البارى تعالى هذا المعنى فهم لا يقولون بتجزئه ولكن لا يلزم من رفع هذا امتناع كون الذات واسعة تسع هذا وهذا وهذا وان كل واحد يقوم حيث لا يقوم الآخر وهذا هو الذى عناه بلفظ التجزى والتركيب وقوله انه أبطل هذا فى ابطال القول بالتجسيم فهم يقولون ليس فيما ذكرته فى نفى التجسيم حجة على نفى قولهم وذلك أنه قال والمعتمد فى نفى التجسيم أن يقال لو كان البارى جسما فاما أن يكون كالأجسام واما أن لا يكون كالاجسام فان قيل انه

في آخر كل سورة ويعلمون أن أصح ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل السور أحاديث قل هو الله أحد ولهذا رواها أهل الصحيح فأورد الحفاظ لها مصنفات كالحافظ أبي محمد الخلال وغيره ويعلمون أن الأحاديث المأثورة في فضل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وخواتيم البقرة والمعوذتين أحاديث صحيحة فلهم فرقان يفرقون به بين الصدق والكذب وأما أحاديث سبب النزول فغالبها مرسل ليس بمسند ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل ثلاث علوم لا اسناد لها وفي لفظ ليس لها أصل التفسير والمغازي والملاحم يعني أن أحاديثها مرسلة والمراسيل قد تنازع الناس في قبولها وردها وأصح الاقوال أن منها المقبول ومنها المردود ومنها الموقوف فمن علم من حاله أنه لا يرسل الا عن ثقة قبل مرسله ومن عرف أنه يرسل عن الثقة وغير الثقة كان ارساله رواية عمن لا يعرف حاله فهذا موقوف وما كان من المراسيل مخالفا لما رواه الثقات كان مردودا واذا كان المرسل من وجهين كل من الراويين أخذ العلم عن شيوخ الآخر فهذا يدل على صدقه فان مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطا فيه وتعمد الكذب كان هذا مما يعلم أنه صدق فان المخبر انما يؤتى من جهة تعمد الكذب ومن جهة الخطا فاذا كانت القصة مما يعلم أنه لم يتواطأ فيه المخبران فالعادة تمنع تماثلهما في الكذب عمدا وخطأ ومثل أن يكون قصة طويلة فيها أقوال كثيرة رواها هذا مثل ما رواها هذا فهذا يعلم أنه صدق وهذا مما يعلم به صدق محمد وموسى عليهما السلام فان كلا منهما أخبر عن الله وملائكته وخلقه للعالم وقصة آدم ويوسف وغيرهما من قصص الانبياء عليهم السلام بمثل ما أخبر به الآخر مع العلم بأن واحدا منهما لم يستفد ذلك من الآخر وأنه يمتنع في العادة تماثل الخبرين الباطلين في مثل ذلك فان من أخبر بأخبار كثيرة مفصلة دقيقة عن مخبر معين لو كان مبطلا في خبره لاختلف خبره لامتناع أن مبطلا يختلق ذلك من غير تفاوت لاسيما في أمور لا تهتدي العقول اليها بل ذلك يبين أن كلا منهما أخبر بعلم وصدق وهذا مما يعلمه الناس من أحوالهم فلو جاء رجل من بلد وأخبر عن حوادث مفصلة حدثت فيه تنتظم أقوالا وأفعالا مختلفة وجاء من علمنا أنه لم يواطئه على الكذب فحكى مثل ذلك علم قطعا أن الامر كان كذلك فان الكذب قد يقع في مثل ذلك لكن على سبيل المواطأة وتلقي بعضهم عن بعض كما يتوارث أهل الباطل المقالات الباطلة مثل مقالة النصارى والجهمية والرافضة ونحوهم فانها وان كان يعلم بضرورة العقل أنها باطلة لكنها تلقاها بعضهم عن بعض فلما تواطؤا عليها جاز اتفاقهم فيها على الباطل والجماعة الكثيرون يجوز اتفاقهم على جحد الضروريات على سبيل التواطؤ اما عمدا للكذب واما خطأ في الاعتقاد وأما اتفاقهم على جحد الضروريات من دون هذا وهذا فممتنع

(فصل) في الطرق التي يعلم بها كذب المنقول منها أن يروى خلاف ما علم بالتواتر والاستفاضة مثل أن نعلم أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة واتبعه طوائف كثيرة من بني حنيفة فكانوا مرتدين لايمانهم بهذا المتنبئ الكذاب وأن أبا لؤلؤة قاتل عمر كان مجوسيا كافرا وأن الهرمزان كان مجوسيا أسلم وأن أبا بكر كان يصلي بالناس مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخلفه في الامامة بالناس لمرضه وأن أبا بكر وعمر دفنا في حجرة عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومثل ما يعلم من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم التي كان فيها القتال كبدر ثم أحد ثم الخندق ثم خيبر ثم فتح مكة ثم غزوة الطائف والتي لم يكن فيها قتال كغزوة تبوك وغيرها وما نزل من القرآن في الغزوات كنزول الانفال بسبب بدر ونزول آخر آل عمران

لا كالاجسام كان النزاع في اللفظ دون المعنى والطريق في الرد ما أسلفناه في كونه جوهرا وان فسر انه كالاجسام فهو ممتنع لثمانية أوجه منها أربعة وهي ما ذكرناها في استحالة كونه جوهرا وهي الاول والثالث والرابع والخامس ويختص الجسم بأربعة أخرى قلت والذي ذكره في ابطال كونه جوهرا هو أن المعتمد أنا نقول لو كان الباري جوهرا لم يخل اما أن يكون جوهرا كالجواهر أولا كالجواهر والاول باطل لخمسة أوجه وان قيل انه جوهر لا كالجواهر فهو تسليم للمطلوب فانا انما ننكر كونه جوهرا كالجواهر واذا عاد الامر الى الاطلاق اللفظي فالنزاع لفظي ولا مشاحة فيه الا من جهة ورود التعبد من الشارع به ولا يخفى ان ذلك مما لا سبيل الى اثباته قال وعلى هذا فمن قال انه جوهر بمعنى أنه موجود لا في موضوع والموضوع هو المحل (١) المقوم ذاته المقوم لما يحل فيه كما قاله الفلاسفة أو انه جوهر بمعنى انه قائم بنفسه غير مفتقر في وجوده الى غيره كما قاله النصارى مع اعترافه انه لا يثبت له أحكام الجواهر فقد وافق في المعنى وأخطأ في الاطلاق من حيث انه لم ينقل عن العرب اطلاق الجوهر بازاء قائم بنفسه ولا ورد فيه اذن من الشرع فيقال اذا كان قول القائل انه جوهر لا كالجواهر وجسم لا كالاجسام

(١) قوله المقوم ذاته المقوم الخ يتأمل ولعلهما نسختان جمع بينهما الناسخ كتبه مصححه

بسبب أحد ونزول أولها بسبب نصارى نجران ونزول سورة الحشر بسبب بني النضير ونزول الاحزاب بسبب الخندق ونزول سورة الفتح بسبب صلح الحديبية ونزول براءة بسبب غزوة تبوك وغيرها وأمثال ذلك فاذا روى في الغزوات وما يتعلق بها ما يعلم أنه خلاف الواقع علم أنه كذب مثل ما يروي هذا الرافضي وأمثاله من الرافضة وغيرهم من الاكاذيب الباطلة الظاهرة في الغزوات كما تقدم التنبيه عليه ومثل أن يعلم نزول القرآن في أي وقت كان كما يعلم أن سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال وبراءة نزلت بعد الهجرة في المدينة وأن الانعام والاعراف ويونس وهود ويوسف والكهف وطه ومريم واقتربت الساعة وهل أتى على الانسان وغير ذلك نزلت قبل الهجرة بمكة وأن المعراج كان بمكة وأن الصفة كانت بالمدينة وأن أهل الصفة كانوا من جملة الصحابة الذين لم يقاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا ناسا معينين بل كانت الصفة منزلا ينزل بها من لا أهل له من الغرباء القادمين وممن دخل فيهم سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وغيرهما من صالحي المؤمنين وكالعرنيين الذين ارتدوا عن الاسلام فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون وأمثال ذلك من الامور المعلومة فاذا روى الجاهل نقيض ذلك علم أنه كذب ومن الطرق التي يعلم بها الكذب أن ينفرد الواحد والاثنان بما يعلم أنه لو كان واقعا لتوفرت الهمم والدواعي على نقله فانه من المعلوم أنه لو أخبر الواحد ببلد عظيم بقدر بغداد والشام والعراق لعلمنا كذبه في ذلك لانه لو كان موجودا لأخبر به الناس وكذلك لو أخبرنا بأنه تولى رجل بين عمر وعثمان أو تولى بين عثمان وعلي أو أخبرنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذن له في العيد أو في صلاة الكسوف أو الاستسقاء أو أنه كان يقام بمدينته يوم الجمعة أكثر من جمعة واحدة أو يصلي يوم العيد أكثر من عيد واحد أو أنه كان يصلي العيد بمنى يوم العيد أو أن أهل مكة كانوا يتمون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى خلفه أو أنه كان يجمع بين الصلاتين بمنى كما كان يقصر أو أنه فرض صوم شهر آخر غير رمضان أو أنه فرض صلاة سادسة وقت الضحى أو نصف الليل أو أنه فرض حج بيت آخر غير الكعبة أو أن القرآن عارضه طائفة من العرب أو غيرهم بكلام يشابهه ونحو هذه الامور لكنا نعلم كذب هذا الكاذب فانا نعلم انتفاء هذه الامور بانتفاء لازمها فان هذه لو كانت لكانت مما يتوفر الهمم والدواعي على نقلها عامة لبني آدم وخاصة لأمتنا شرعا فاذا لم ينقلها أحد من أهل العلم فضلا عن أن تتواتر علم أنها كذب ومن هذا الباب نقل النص على خلافة علي فانا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة فان هذا النص لم يبلغه أحد باسناد صحيح فضلا عن أن يكون متواترا ولا نقل ان أحدا ذكره على جهة الخفاء مع تنازع الناس في الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة وحين موت عمر وحين جعل الامر شورى بينهم في ستة ثم لما قتل عثمان واختلف الناس على علي فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على علي نصا جليا قاطعا للعذر علمه المسلمون لكان من المعلوم بالضرورة أنه لابد أن ينقله الناس نقل مثله وأنه لابد أن يذكره كثير من الناس بل أكثرهم في مثل هذه المواطن التي تتوفر الهمم على ذكره فيها غاية التوفر فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضي انتفاء ما يعلم أنه ملزوم ونظائر ذلك كثيرة ففي الجملة الكذب هو نقيض الصدق وأحد النقيضين يعلم انتفاؤه تارة بثبوت نقيضه وتارة بما يدل على انتفائه بخصوصه والكلام مع الشيعة أكثره مبني على النقل فمن كان خبيرا بما وقع وبالاخبار الصادقة التي توجب العلم

اليقيني

موافقة القول لك في المعنى وانما النزاع بينك وبينه في اللفظ قامت حجته عليك لفظا ومعنى أما اللفظ فمن وجهين أحدهما أنه كما أن الشارع لم يأذن في اثبات هذه الالفاظ له فلم يأذن في نفيها عنه وأنت اذا لم تسمه بها لعدم اذن الشرع فليس لك أن تقول ليس بها لعدم اذن الشرع في هذا النفي بل اذا لم يطلق الا ما أذن فيه الشرع لا يطلق لا هذا ولا هذا ثم أنت تسميه قديما وواجب الوجود وذاتا ونحو ذلك مما لم يرد به الشرع والشارع يفرق بين ما يدعى به من الاسماء فلا يدعى الا بالاسماء الحسنى وبين ما يخبر بمضمونه عنه من الاسماء لاثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات كما أنه من نازعك في قدمه أو وجوب وجوده قلت مخبرا عنه بما يستحقه انه قديم وواجب الوجود فان كان النزاع مع من يقول هو جوهر وجسم في اللفظ فعذرهم في الاطلاق أن النافي نفى ما يستحقه الرب من الصفات في ضمن نفي هذا الاسم فأثبتناه ما يستحقه من الصفات باثبات مسمى هذا الاسم كما فعلت أنت وغيرك في اسم قديم وذات وواجب الوجود ونحو ذلك الثاني أنك احتججت على نفي ذلك بان العرب لم ينقل عنها اطلاق الجوهر بازاء القائم بنفسه فيقال لك ولم ينقل عنها اطلاقه بازاء كل متحيز

اليقيني علم انتفاء ما يناقض ذلك عينا (١) ولهذا ليس في أهل العلم بالاحاديث النبوية ما يوجب العلم بفضول الشيخين وصحة امامتهما وكذب ما تدعيه الرافضة ثم كل من كان أعلم بالرسول وأحواله كان أعلم ببطلان مذهب الزيدية وغيرهم ممن يدعى نصا خفيا وأن عليا كان أفضل من الثلاثة أو يتوقف في التفضيل فان هؤلاء انما وقعوا في الجهل المركب أو البسيط لضعف علمهم بما علمه أهل العلم بالاحاديث والآثار

﴿فصل﴾ واعلم أنه ثم أحاديث أخر لم يذكرها هذا الرافضي لو كانت صحيحة لدلت على مقصوده وفيها ما هو أدل من بعض ما ذكره لكنها كلها كذب والناس قد رووا أحاديث مكذوبة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وغيرهم لكن المكذوب في فضل على أكثر لان الشيعة أجرأ على الكذب من النواصب قال أبو الفرج بن الجوزي فضائل على الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع لا ما يرفع وحوشيت حاشيته من الاحتياج الى الباطل قال واعلم أن الرافضة ثلاثة أصناف صنف منهم سمعوا أشياء من الحديث فوضعوا أحاديث وزادوا ونقصوا وصنف لم يسمعوا فتراهم يكذبون على جعفر الصادق ويقولون قال جعفر وقال فلان وصنف ثالث عوام جهلة يقولون ما يريدون مما يسوغ في العقل ومما لا يسوغ فمن أمثل الموضوعات ما رواه ابن الجوزي من طريق النسائي في كتابه الذي وضعه في خصائص على من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الاسدي قال قال على رضي الله عنه أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب صليت قبل الناس سبع سنين ورواه أحمد في الفضائل وفي رواية له ولقد أسلمت قبل الناس بسبع سنين ورواه من حديث العلاء بن صالح أيضا عن المنهال عن عباد قال أبو الفرج هذا حديث موضوع والمتهم به عباد بن عبد الله قال على بن المديني كان ضعيف الحديث وقال أبو الفرج حماد الازدي روى أحاديث لا يتابع عليها وأما المنهال فتركه شعبة قال أبو بكر الاثرم سألت أبا عبد الله عن حديث على أنا عبد الله وأخو رسول الله فقال اضرب عليه فانه حديث منكر قلت وعباد يروي من طريقه عن على ما يعلم أنه كذب عليه قطعا مثل هذا الحديث فانا نعلم أنه كان أبر وأصدق وأتقى لله من أن يكذب ويقول مثل هذا الكلام الذي هو كذب ظاهر معلوم بالضرورة أنه كذب وما علمنا أنه كذب ظاهر لا يشتبه فقد علمنا أن عليا لم يقله لعلمنا بأنه أتقى لله من أن يتعمد هذا الكذب القبيح وأنه ليس مما يشتبه حتى يخطئ فيه فالناقل عنه اما متعمد الكذب واما مخطئ غالط وليس قدح المبغض لعلى من الخوارج والمتعصبين لبني مروان وغيرهم مما يشككنا في صدقه وبره وتقواه كما أنه ليس قدح الرافضة في أبي بكر وعمر بل وقدح الشيعة في عثمان لا يشككنا في العلم بصدقهم وبرهم وتقواهم بل نحن نجزم بأن واحدا منهم لم يكن ممن يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا هو فيما دون ذلك فاذا كان المنقول عنه مما يغلط في مثله وقد علمنا أنه كذب جزمنا بكذب الناقل متعمدا أو مخطئا مثل ما رواه عبد الله في المناقب حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله عن على وحدثنا أبو خيثمة حدثنا الاسود بن عامر حدثنا شريك عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الاسدي عن على قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من أهل بيته ان كان الرجل منهم لآكلا جذعة وان كان شاربا فرقا الى آخر الحديث وهذا كذب

حامل للاعراض ولا نقل عنها اطلاق لفظ ذات بازاء نفسه وانما لفظ الذات عندهم تأنيث ذو فلا تستعمل الا مضافة كقوله تعالى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وقوله انه عليم بذات الصدور وقول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وقول خبيب

وذلك في ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

وأمثال ذلك أي في جهة الله أي لله تعالى ولهذا أنكر ابن برهان وغيره على المتكلمين اطلاق لفظ ذات الله واذا كان كذلك فانت أطلقت لفظ الذات على ما لم تطلقه العرب بغير اذن من الشرع ولو قال لك قائل ان الله ليس بذات نازعته فهكذا يقول منازعك في اسم الجوهر والجسم اذا كان موافقا لك على معناهما وأيضا فان لفظ الجوهر والجسم قد صار في اصطلاحكم جميعا أعم مما استعملت فيه العرب فان العرب لا تسمي كل متحيز جوهرا ولا تسمي كل مشار اليه جسما فلا تسمي الهواء جسما وفي اصطلاحكم سميتم هذا جسما كما

(١) قوله ولهذا ليس في أهل العلم الخ كذا في النسخة ولا يخلو من نقص أو تحريف وحرر كتبه مصححه

على على لم يروه قط وكذبه ظاهر من وجوه وهذا الحديث رواه أحمد فى الفضائل حدثنا عثمان حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجد عن على وهو لا يعلم أنهم يروون الباطل وروى أبو الفرج من طريق أجلح عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين قال سمعت عليا يقول أنا عبدت الله عز وجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعبده رجل من هذه الامة خمس سنين أو سبع سنين قال أبو الفرج حبة لا يساوى حبة فانه كذاب قال يحيى ليس بشئ قال السعدى غير ثقة وقال ابن حبان كان غاليا فى التشيع واهيا فى الحديث وأما الاجلح فقال أحمد قد روى غير حديث منكر قال أبو حاتم الرازى لا يحتج به وقال ابن حبان كان لا يدرى ما يقول قال أبو الفرج ومما يبطل هذه الاحاديث أنه لا خلاف فى تقدم اسلام خديجة وأبى بكر وزيد وأن عمر أسلم فى سنة ست من النبوة بعد أربعين رجلا فكيف يصح هذا وذكر حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنا الصديق الاكبر وهو مما عملته يد أحمد بن نصر الذراع فانه كان كذابا يضع الحديث وحديثا فيه أنا أولهم ايمانا وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم فى الرعية وأبصرهم بالقضية قال وهو موضوع والمتهم به بشر بن ابراهيم قال ابن عدى وابن حبان كان يضع الحديث على الثقات ورواه الابرازى الحسن بن عبد الله عن ابراهيم بن سعد الجوهرى عن مأمون عن الرشيد قال وهذا الابرازى كان كذابا وذكر حديثا أنت أول من آمن بى وأنت أول من يصافحنى يوم القيامة وأنت الصديق الاكبر وأنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين أو يعسوب الظلمة قال وهذا حديث موضوع وفى طريقه الاول عباد بن يعقوب قال ابن حبان يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك وفيه على بن هاشم قال ابن حبان كان يروى المناكير عن المشاهير وكان غاليا فى التشيع وفيه محمد بن عبد الله قال يحيى ليس بشئ وأما الطريق الثانى ففيه أبو الصلت الهروى كان كذابا رافضيا خبيثا فقد اجتمع عباد وأبو الصلت فى روايته والله أعلم أيهما سرقه من صاحبه قلت لعل الآفة فيه من محمد بن عبد الله وروى من طريق ابن عباس وفيه عبد الله بن زاهر قال ابن معين ليس بشئ لا يكتب عنه انسان فيه خير قال أبو الفرج بن الجوزى كان غاليا فى الرفض

(فصل) وهنا طريق يمكن سلوكها لمن لم تكن له معرفة بالاخبار من الخاصة فان كثيرا من الخاصة فضلا عن العامة يتعذر عليه معرفة التمييز بين الصدق والكذب من جهة الاسناد فى أكثر ما يروى من الاخبار فى هذا الباب وغيره وانما يعرف ذلك علماء الحديث ولهذا عدل كثير من أهل الكلام والنظر عن معرفة الاخبار بالاسناد وأحوال الرجال لعجزهم عنها وسلكوا طريقا آخر ولكن تلك الطريق هى طريقة أهل العلم بالحديث العالمين بما بعث الله به رسوله ولكن نحن نذكر طريقا آخر فنقول نقدر أن الاخبار المتنازع فيها لم توجد أو لم يعلم أيها الصحيح ونترك الاستدلال بها فى الطرفين ونرجع الى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر وما يعلم من العقول والعادات وما دلت عليه النصوص المتفق عليها فنقول من المعلوم المتواتر عند الخاصة والعامة الذى لم يختلف فيه أهل العلم بالمنقولات والسير أن أبا بكر رضى الله عنه لم يطلب الخلافة لا برغبة ولا برهبة لا بذل فيها ما يرغب الناس به ولا شهر عليهم سيفا يرهبهم به ولا كانت له قبيلة ولا أموال تنصره وتقيمه فى ذلك كما جرى من عادة الملوك أن أقاربهم ومواليهم يعاونونهم ولا طلبها أيضا بلسانه ولا قال بايعونى بل أمر بمبايعة عمر وأبى عبيدة ومن تخلف

سميتم فى اصطلاحكم باسم الذات كل موصوف أو كل قائم بنفسه أو كل شئ فلستم متوقفين فى الاستعمال لا على حد اللغة العربية ولا على اذن الشارع لا فى النفى ولا فى الاثبات فان لم يكن لك حجة على منازعك الا هذا كان خاصمالك وكان حكمه فيما تنازعتما فيه كحكمكما فيما اتفقتما عليه أو فيما انفردت به دونه من هذا الباب وأيضا فحكايتك عن الفلاسفة انهم يسمونه جوهرا والجوهر عندهم الموجود لا فى موضوع انما قاله ابن سينا ومن تبعه وأما أرسطو وأتباعه وغيرهم من الفلاسفة (١) فيسمونه جوهرا فالوجود كله ينقسم عندهم الى جوهر وعرض والمبدأ الاول داخل عندهم فى مقولة الجوهر والأظهر أن النصارى انما أخذوا تسميته جوهرا عن الفلاسفة فانهم ركبوا قولا من دين المسيح ودين المشركين الصابئين وأما النزاع المعنوى فيقال قول القائل انه جوهر كالجواهر أو جسم كالاجسام لفظ مجمل فانه قد يراد به أنه مماثل لكل جوهر وكل جسم فيما يجب ويجوز ويمتنع عليه وقد يراد به أنه مماثل لها فى القدر المشترك بينها كلها

(١) قوله فيسمونه جوهرا الخ لعله فلا يسمونه كما هو مقتضى المقابلة وحرر كتبه مصححه

عن

عن بيعته كسعد بن عبادة لم يؤذه ولا أكرهه على المبايعة ولا منعه حقاله ولا حرك عليهم ساكنا وهذه غاية في عدم اكراه الناس على المبايعة ثم ان المسلمين بايعوه ودخلوا في طاعته والذين بايعوه هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وهم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم أهل الايمان والهجرة والجهاد ولم يتخلف عن بيعته الا سعد بن عبادة وأما علي وسائر بني هاشم فلا خلاف بين الناس أنهم بايعوه لكن تخلفه لأنه كان يريد الامر لنفسه رضي الله عنهم أجمعين ثم انه في مدة ولايته قاتل بهم المرتدين والمشركين ولم يقاتل مسلمين بل أعاد الامر الى ما كان عليه قبل الردة وأخذ يزيد الاسلام فتوحا وشرع في قتال فارس والروم ومات والمسلمون محاصرو دمشق وخرج منها أزيد مما دخل فيها لم يستأثر عنهم بشيء ولا أمر له قرابة ثم ولي عليهم عمر بن الخطاب ففتح الامصار وقهر الكفار وأعز أهل الايمان وأذل أهل النفاق والعدوان ونشر الاسلام والدين وبسط العدل في العالمين ووضع ديوان الخراج والعطاء لاهل الدين ومصر الامصار للمسلمين وخرج منها أزيد مما دخل فيها لم يتلوث لهم بمال ولا ولى أحدا من أقاربه ولاية فهذا أمر يعرفه كل أحد وأما عثمان فانه بنى على أمر قد استقر قبله بسكينة وحلم وهدى ورحمة وكرم ولم يكن فيه قوة عمر ولا سياسته ولا فيه كمال عدله وزهده فطمع فيه بعض الطمع وتوسعوا في الدنيا ودخل بسبب أقاربه في الولايات والاموال أمور أنكرت عليه فتولد من رغبة الناس في الدنيا وضعف خوفهم من الله ومنه ومن ضعفه هو وما حصل من أقاربه في الولاية والمال ما أوجب الفتنة حتى قتل مظلوما شهيدا وتولى علي على أثر ذلك والفتنة قائمة وهو عند كثير منهم ملطخ بدم عثمان والله يعلم براءته مما نسبه اليه الغالون فيه المبغضون لغيره من الصحابة فان عليا لم يعن على قتل عثمان ولا رضي به كما ثبت عنه وهو الصادق أنه قال ذلك فلم تصف له قلوب كثير منهم ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه ولا اقتضى رأيه أن يكف عن القتال حتى ينظر ما يؤل اليه الامر بل اقتضى رأيه القتال وظن أنه به تحصل الطاعة والجماعة فما زاد الامر الا شدة وجانبه الا ضعفا وجانب من حاربه الا قوة والامة الا افتراقا حتى كان في آخر أمره يطلب هو أن يكف عنه من قاتله كما كان في أول الامر يطلب منه الكف وضعفت الخلافة ضعفا أوجب أن تصير ملكا فأقامها معاوية ملكا برحمة وحلم كما في الحديث المأثور تكون نبوة ورحمة ثم تكون خلافة نبوة ورحمة ثم يكون ملك ورحمة ثم يكون ملك ولم يتول أحد من الملوك خيرا من معاوية فهو خير ملوك الاسلام وسيرته خير من سيرة سائر الملوك بعده وعلي آخر الخلفاء الراشدين الذين هم ولايتهم خلافة نبوة ورحمة وكل من الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم يشهد له بانه من أفضل أولياء الله المتقين لكن اذا جاء القادح فقال في أبي بكر وعمر إنهما كانا ظالمين متعدين طالبين للرئاسة مانعين للحقوق وإنهما كانا من أحرص الناس على الرئاسة وإنهما ومن أعانهما ظلموا الخليفة المستحق المنصوص عليه من جهة الرسول وإنهم منعوا أهل البيت ميراثهم وإنهما كانا من أحرص الناس على الرئاسة والولاية الباطلة مع ما قد عرف من سيرتهما كان من المعلوم أن هذا الظن لو كان حقا فهو أولى بمن قاتل عليها حتى غلب وسفكت الدماء بسبب المنازعة التي بينه وبين منازعه ولم يحصل بالقتال لا مصلحة الدين ولا مصلحة الدنيا ولا قوتل في خلافته كافر ولا فرح مسلم فان عليا لا يفرح بالفتنة بين المسلمين وشيعته لم تفرح بها لانها لم تغلب والذين قاتلوه لم يزالوا أيضا في كرب وشدة واذا كنا ندفع من يقدح في علي

بحيث يجب ويجوز ويمتنع عليه ما يجب ويجوز ويمتنع على ما حصل فيه القدر المشترك منهما ولو أنه واحد فأما الاول فانه اما ان يقول مع ذلك بتماثل الاجسام والجواهر واما أن يقول باختلافها فان قال بتماثلها كان قوله هو القول الثاني اذ كان يجوز على كل منها ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه باعتبار ذاته وان قال باختلافها امتنع مع ذلك أن يقول انه كالاجسام فانه من المعلوم على هذا التقدير أن كل جسم ليس هو مثل الآخر ولا يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر فكيف يقال في الخالق سبحانه انه يجوز عليه ما يجوز على كل مخلوق قائم بنفسه حتى في الجماد والنبات والحيوان هذا لا يقوله عاقل حتى القائلون بوحدة الوجود فهؤلاء عندهم هو نفس وجود الاجسام المخلوقة ولكن هم مع هذا لا يقولون انه يجوز على وجود جميع الموجودات ما يجوز على وجود هذا وهذا وان قال انه كالاجسام المخلوقة في القدر المشترك بينها بحيث يجوز عليه ما يجوز على المجموع لا على كل واحد واحد فهذا أيضا قول معلوم الفساد ولا نعرف قائلا معروفا يقول به فان هذا هو التشبيه والتمثيل الذي يعلم تنزه الله عنه اذ كان كل ما سواه مخلوقا

من الخوارج مع ظهور هذه الشبهة فلأن ندفع من يقدح في أبي بكر وعمر بطريق الاولى والأحرى وان جاز أن يظن بأبي بكر أنه كان قاصدا الرئاسة بالباطل مع أنه لم يعرف منه إلا ضد ذلك فالظن بمن قاتل على الولاية ولم يحصل له مقصوده أولى وأحرى فاذا ضرب مثل هذا وهذا بامامي مسجد وشيخي خان أو مدرسي مدرسة كانت العقول كلها تقول ان هذا أبعد عن طلب الرئاسة وأقرب الى قصد الدين والخير فاذا كنا نظن بعلي أنه كان قاصد الحق والدين وغير مريد علوا في الارض ولا فسادا فظن ذلك بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أولى وأحرى وان ظن ظان بأبي بكر أنه كان يريد العلو في الارض والفساد فهذا الظن بعلي أجدر وأولى أما أن يقال ان أبا بكر كان يريد العلو في الارض والفساد وعلي لم يكن يريد علوا في الارض ولا فسادا مع ظهور السيرتين فهذا مكابرة وليس فيما تواتر من السيرتين ما يدل على ذلك بل المتواتر من السيرتين يدل على أن سيرة أبي بكر أفضل ولهذا كان الذين ادعوا هذا لعلي أحالوا على ما لم يعرف وقالوا ثم نص على خلافته كتم ثم عداوة باطنة لم تظهر بسببها منع حقه ونحن الآن مقصودنا أن نذكر ما علم وتيقن وتواتر عند العامة والخاصة وأما ما يذكر من منقول يدفعه جمهور الناس ومن ظنون سوء لا يقوم عليها دليل بل نعلم فسادها فالمحتج بذلك ممن يتبع الظن وما تهوى الانفس وهو من جنس الكفار وأهل الباطل وهي مقابلة بالاحاديث من الطرق الأخر ونحن لم نحتج بالاخبار التي رويت من الطرفين فكيف بالظن الذي لا يغني من الحق شيأ فالمعلوم المتيقن المتواتر عند العام والخاص أن أبا بكر كان أبعد عن ارادة العلو والفساد من عمر وعثمان وعلي وأنه كان وحده أولى بارادة وجه الله تعالى واصلاح المسلمين من الثلاثة بعده فضلا عن علي وأنه كان أكمل عقلا ودينا وسياسة من الثلاثة فان ولايته لأمته خير من ولاية علي وان منفعته للمسلمين في دينهم ودنياهم أعظم من منفعة علي رضي الله تعالى عنهم واذا كنا نعتقد أنه كان مجتهدا مريدا وجه الله تعالى بما فعل وأن ما تركه من المصلحة كان عاجزا عنه وما حصل من المفسدة كان عاجزا عن دفعه وأنه لم يكن مريدا للعلو في الارض ولا الفساد كان هذا الاعتقاد بأبي بكر وعمر أولى وأخلق وأحرى فهذا وجه لا يقدر أحد أن يعارضه إلا بما يظن أنه نقل خاص كما نقل لفضائل علي ولما يقتضي أنه أولى بالامامة أو أن امامته منصوص عليها وحينئذ فيعارض هذا بنقل الخاصة الذين هم أصدق وأكثر لفضائل الصديق التي تقتضي أنه أولى بالامامة وأن النصوص انما دلت عليه فما من حجة يسلكها الشيعي إلا وبازائها للسني حجة من جنسها أولى منها فان السنة في الاسلام كالاسلام في الملل فما من حجة يسلكها كتابي إلا وللمسلم فيها ما هو أحق بالاتباع منها قال تعالى ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا لكن صاحب الهوى الذي له غرض في جهة اذا وجد له المخالف لهواه نقل عليه سمعه واتباعه قال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وهنا طريق آخر وهو أن يقال دواعي المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم كانت متوجهة الى اتباع الحق وليس لهم ما يصرفهم عنه وهم قادرون على ذلك واذا حصل الداعي الى الحق وانتفى الصارف مع القدرة وجب الفعل فعلم أن المسلمين اتبعوا فيما فعلوه الحق وذلك أنهم خير الامم وقد أكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة ولم يكن عند الصديق غرض دنيوي يقدمونه لاجله ولا عند علي غرض دنيوي يؤخرونه لاجله بل لو فعلوا بموجب الطبع لقدموا عليا وكانت الانصار لو اتبعت الهوى أن تتبع رجلا من بني هاشم أحب اليهام من أن تتبع رجلا من بني تيم وكذلك عامة

والمخلوقات تشترك في هذا المسمى فيجوز على المجموع من العدم والحدوث والافتقار ما يجب تنزيه الله عنه بل لو جاز ووجب وامتنع عليه ما يجوز ويجب ويمتنع على الممكنات والمحدثات لزم الجمع بين النقيضين فانه يجب له الوجود والقدم فلو وجب ذلك للمحدث مع أنه لا يجب له ذلك لزم أن يكون ذلك واجبا للمحدث غير واجب له ولو جاز عليه الامكان والعدم مع ان الواجب بنفسه القديم الذي لا يقبل العدم لا يجوز عليه الامكان والعدم للزم أن يمتنع عليه العدم لا يمتنع عليه وأن يجب له الوجود لا يجب له وذلك جمع بين النقيضين فتنزيه الله عما يستحق التنزيه عنه من مماثلة المخلوقين يمنع أن يشاركها في شئ من خصائصها سواء كانت تلك الخاصة شاملة لجميع المخلوقات أو مختصة ببعضها فعلم أن القول بانه جوهر كالجواهر أو جسم كالاجسام سواء جعل التشبيه لكل منها أو بالقدر المشترك بينها لم تقل به طائفة معروفة أصلا فان كان النزاع ليس الامع هؤلاء فلا نزاع في المسئلة فتبقى بحوثه المعنوية في ذلك ضائعة وبحوثه اللفظية غير نافعة مع أني الى ساعتي هذه لم أقف على قول لطائفة ولا نقل عن طائفة أنهم قالوا جسم كالاجسام مع أن مقالة المشبهة الذين يقولون يد

قبائل قريش لاسيما بنو عبد مناف وبنو مخزوم فان طاعتهم لمنافق كانت أحب اليهم من طاعة تيمي لو اتبعوا الهوى وكان أبو سفيان بن حرب وأمثاله يختارون تقديم علي وقد روي أن أبا سفيان طلب من علي أن يتولى لاجل القرابة التي بينهما وقد قال أبو قحافة لما قيل له ان ابنك تولى قال أو رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو مخزوم قالوا نعم فعجب من ذلك لعلمه بأن بني تيم كانوا من أضعف القبائل وأن أشراف قريش كانت من تينك القبيلتين وهذا وأمثاله مما ان تدبره العاقل علم أنهم لم يقدموا أبا بكر إلا لتقديم الله ورسوله لانه كان خيرهم وسيدهم وأحبهم الى الله ورسوله فان الاسلام انما يقدم بالتقوى لا بالنسب وأبو بكر كان أتقاهم وهنا طريق آخر وهو أنه تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن خير هذه الامة القرن الاول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذه الامة خير الامم كما دل عليه الكتاب والسنة وأيضا فان من تأمل أحوال المسلمين في خلافة بني أمية فضلا عن زمن الخلفاء الراشدين علم أن أهل ذلك الزمان كانوا خيرا وأفضل من أهل هذا الزمان وأن الاسلام كان في زمنهم أقوى وأظهر فان كان القرن الاول قد جحد واحق الامام المنصوص عليه المولى عليهم ومنعوا أهل بيت نبيهم ميراثهم وولوا فساقا وظلما ومنعوا عادلا عالما مع علمهم بالحق فهؤلاء من شر الخلق وهذه الامة شر الامم لأن هذا فعل خيارها فكيف بفعل شرارها وهنا طريق آخر وهو أنه قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي صلى الله عليه وسلم اختصاص عظيم وكانوا من أعظم الناس اختصاصا به وصحبة له وقربا اليه واتصالا به وقد صاهرهم كلهم وما عرف عنه أنه كان يذمهم ولا يلعنهم بل المعروف عنه أنه كان يحبهم ويثني عليهم وحينئذ فاما أن يكونوا على الاستقامة ظاهرا وباطنا في حياته وبعد موته واما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته فان كانوا على غير الاستقامة مع هذا التقرب فأحد الامرين لازم اما عدم علمه بأحوالهم أو مداهنته لهم وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة * وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

وان كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته وأكابر أصحابه ومن قد أخبر بما سيكون بعد ذلك أين كان عن علم ذلك وأين الاحتياط للامة حتى لا يولي مثل هذا أمرها ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول كما قال مالك وغيره انما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين ولهذا قال أهل العلم ان الرافضة دسيسة الزندقة وانه وضع عليها وطريق آخر أن يقال الاسباب الموجبة لعلي ان كان هو المستحق موجودة والصوارف منتفية والقدرة حاصلة ومع وجود الداعي والقدرة وانتفاء الصارف يجب الفعل وذلك أن عليا هو ابن عم نبيهم ومن أفضلهم نسبا ولم يكن بينه وبين أحد عداوة لا عداوة نسب ولا اسلام بأن يقول القائل قتل أقاربهم في الجاهلية وهذا المعنى منتف في الانصار فانهم لم يقتل أحدا من أقاربهم ولهم الشوكة ولم يقتل من بني تيم ولا عدي ولا كثير من القبائل أحدا والقبائل التي قتل منها كبني عبد مناف كانت توالیه وتختار ولايته لو كان هو الافضل المستحق لها لم يكن هذا مما يخفى عليهم وعلمهم بذلك يوجب انبعاث ارادتهم الى ولايته اذا لم يكن هناك صارف يمنع والاسباب كانت مساعدة لهذا

كيدي وقدم كقدمي وبصر كبصري مقالة معروفة وقد ذكرها الائمة كيزيد بن هرون وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم وأنكروها وذموها ونسبوها الى مثل داود الجواربي البصري وأمثاله ولكن مع هذا صاحب هذه المقالة لا يمثله بكل شئ من الاجسام بل ببعضها ولا بد مع ذلك أن يثبتوا التماثل من وجه والاختلاف من وجه لكن اذا أثبتوا من التماثل ما يختص بالمخلوقات كانوا مبطلين على كل حال وفي الجملة الكلام في التمثيل والتشبيه ونفيه عن الله مقام والكلام في التجسيم ونفيه مقام آخر فان الاول دل على نفيه الكتاب والسنة واجماع السلف والائمة واستفاض عنهم الانكار على المشبهة الذين يقولون يد كيدي وبصر كبصري وقدم كقدمي وقد قال الله تعالى ليس كمثله شئ وقال تعالى ولم يكن له كفوا أحد وقال هل تعلم له سميا وقال تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأيضا فنفي ذلك معروف بالدلائل العقلية التي لا تقبل النقيض كما قد بسط الكلام على ذلك في غير موضع وأفردنا الكلام على قوله تعالى ليس كمثله شئ في مصنف مفرد وأما الكلام في الجسم والجوهر ونفيهما أو اثباتهما فبدعة ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا تكلم

الداعي ولا معارض لها ولا صارف أصلا ولو قدر أن الصارف كان في نفر قليل فجمهور المسلمين لم يكن لهم فيهما صارف يصرفهم عنه بل هم قادرون على ولايته ولو قالت الانصار على هو أحق بها من سعد ومن أبي بكر ما أمكن أولئك النفر من المهاجرين أن يدافعوهم وقام أكثر الناس مع علي لا سيما وكان جمهور الذين في قلوبهم مرض يبغضون عمر لشدته عليهم و بغض الكفار والمنافقين لعمر أعظم من بغضهم لعلي بما لا نسبة بينهما بل لم يعرف أن عليا كان يبغضه الكفار والمنافقون الا كما يبغضون أمثاله بخلاف عمر فانه كان شديدا عليهم وكان من القياس أن ينفروا عن جهة فيها عمر ولهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافته طائفة حتى قال له طلحة ماذا تقول لربك اذا وليت علينا فظا غليظا فقال أبالله تخوفني أقول وليت عليهم خير أهلك فاذا كان أهل الحق مع علي وأهل الباطل مع علي فمن الذي يغلبه اذا كان الحق معه وهب أنهم اذا قاموا لم يغلبوا أما كانت الدواعي المعروفة في مثل ذلك توجب أن يجري في ذلك قيل وقال ونوع من الجدال أوليس ذلك أولى بالكلام فيه من الكلام في ولاية سعد فاذا كانت الانصار بشبهة لا أصل لها طمعوا أن يتأمر سعد فمن يكون فيهم الحق ونص الرسول الجلي كيف لا يكون أعوانه أطمع في الحق فاذا كان لم ينبس متكلم منهم بكلمة واحدة في ذلك ولم يدع داع الى علي لا هو ولا غيره واستمر الامر على ذلك الى أن بويع له بعد مقتل عثمان فحينئذ قام هو وأعوانه فطلبوا وقاتلوا ولم يسكتوا حتى كادوا يغلبوا علم بالاضطرار أن سكوتهم أولا كان لعدم المقتضى لا لوجود المانع وأن القوم لم يكن عندهم علم بأنه هو الاحق فضلا عن نص جلي وأنهم لما بدا لهم استحقاقه قاموا معه مع وجود المانع وقد كان أبو بكر رضي الله عنه أبعدهم عن المانعة من معاوية بكثير كثير لو كان لعلي حق فان أبا بكر لم يدع الى نفسه ولا أرغب ولا أرهب ولا كان طالبا للرئاسة بوجه من الوجوه ولا كان في أول الامر يمكن أحدا القدح في علي كما أمكن ذلك بعد مقتل عثمان فانه حينئذ نسبه كثير من شيعة عثمان الى أنه أعان على قتله و بعضهم يقول خذله وكان قتلة عثمان في عسكره وكان هذا من الامور التي منعت كثيرا من مبايعته وهذه الصوارف كانت منتفية في أول الامر فكان جنده أعظم وحقه اذ ذاك لو كان مستحقا أظهر ومنازعوه أضعف داعيا وأضعف قوة وليس هناك داع قوي يدعو الى منعه كما كان بعد مقتل عثمان ولا جند يجتمع على مقاتلته كما كان بعد مقتل عثمان وهذه الامور وأمثالها من تأملها تبين له انتفاء استحقاقه اذ ذاك بيانا لا يمكنه دفعه عن نفسه فلو تبين أن الحق لعلي وطالبه على لكان أبو بكر اما أن يسلم اليه واما أن يحامله واما أن يعتذر اليه ولو قام أبو بكر وهو ظالم يدافع عليا وهو محق لكانت الشريعة والعادة والعقل توجب أن يكون الناس مع علي المحق المعصوم على أبي بكر المعتدي الظلوم لو كان الامر كذلك لا سيما والنفوس تنفر عن مبايعة من ليس من بيت الولاية أعظم من نفرتها عن مبايعة أهل البيت المطاع فالدواعي لعلي من كل وجه كانت أعظم وأكثر لو كان أحق وهي عن أبي بكر من كل وجه كانت أبعد لو كان ظالما لكن لما كان المقتضى مع أبي بكر وهو دين الله قويا والاسلام في جدته وطراءته واقباله كان أتقى لله أن يصرفوا الحق عمن يعلمون أنه الاحق الى غيره ولو لبعضهم هوى مع الغير وأما أبو بكر فلم يكن لأحد معه هوى إلا هوى الدين الذي يحبه الله و يرضاه فهذه الامور وأمثالها من تدبرها علم بالاضطرار أن القوم علموا أن أبا بكر هو الأحق بخلافة النبوة وأن ولايته أرضى لله ورسوله فبايعوه وان لم يكن ذلك لزم أن يعرفوا ويحرفوا وكلاهما ممتنع عادة ودينا والاسباب متعددة

أحد من السلف والائمة بذلك لا نفيا ولا اثباتا والنزاع بين المتنازعين في ذلك بعضه لفظي وبعضه معنوي أخطأ هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه فان كان النزاع مع من يقول هو جسم أو جوهر اذا قال لا كالاجسام ولا كالجواهر انما هو في اللفظ فمن قال هو كالاجسام والجواهر يكون الكلام معه بحسب ما يفسره من المعنى فان فسر ذلك بالتشبيه الممتنع على الله تعالى كان قوله مردودا وذلك بان يتضمن قوله اثبات شيء من خصائص المخلوقين لله فكل قول تضمن هذا فهو باطل وان فسر قوله جسم لا كالاجسام باثبات معنى آخر مع تنزيه الرب عن خصائص المخلوقين كان الكلام معه في ثبوت ذلك المعنى وانتفائه فلا بد أن يلحظ في هذا المقام اثبات شيء من خصائص المخلوقين للرب أولا وذلك مثل أن يقول أصفه بالقدر المشترك بين سائر الاجسام والجواهر كما أصفه بالقدر المشترك بينه و بين سائر الموجودات و بين كل حي عليم سميع بصير وان كنت لا أصفه بما يختص به المخلوقات والا فلو قال الرجل هو حي لا كالاحياء وقادر لا كالقادرين وعليم لا كالعلماء وسميع لا كالسمعاء و بصير لا كالبصراء ونحو ذلك وأراد بذلك نفي خصائص المخلوقين فقد أصاب وان أراد نفي الحقيقة

فهـذا المعلوم اليقينى لا يندفع باخبار لا يعلم صحتها فكيف اذا علم كذبها وألفاظ لا تعلم دلالتها فكيف اذا علم انتفاء دلالتها ومقاييس (١) لا نظام يعارضها من المعقول والمنقول الثابت الاسناد المعلوم المدلول ماهو أقوى وأولى بالحق وأحرى وهؤلاء الرافضة الذين يدفعون الحق المعلوم يقينا بطرق كثيرة علما لا يقبل النقيض بشبه فى غاية الضعف هم من أعظم الطوائف الذين فى قلوبهم الزيغ الذين يتبعون المتشابه ويدعون المحكم كالنصارى والجهمية وأمثالهم من أهل البدع والاهواء الذين يدعون النصوص الصحيحة الصريحة التى توجب العلم ويعارضونها بشبه لا تفيد الا الشك لو تجردت لم تثبت وهذا فى المنقولات سفسطة كالسفسطة فى العقليات وهو القدح فيما علم بالحس والعقل بشبهة تعارض ذلك فمن أراد أن يدفع العلم النفسى المستقر فى القلوب بالشبه فقد سلك مسلك السفسطة فان السفسطة أنواع أحدها النفى والجحد والتكذيب اما بالوجود واما بالعلم به والثانى الشك والريب وهذه طريقة اللاأدرية الذين يقولون لا ندرى فلا يثبتون ولا ينفون لكنهم فى الحقيقة قد نفوا العلم وهو نوع من النفى فعادت السفسطة الى جحد نفى المعلوم أو جحد العلم به الثالث قول من يجعل الحقائق تبعا للعقائد فيقول من اعتقد العالم قديما فهو قديم ومن اعتقده محدثا فهو محدث واذا أريد بذلك أنه قديم عنده ومحدث عنده فهذا صحيح فان هذا هو اعتقاده لكن السفسطة أن يراد أنه كذلك فى الخارج واذا كان كذلك فالقدح فيما علم من أحوال الرسول مع الخلفاء الثلاثة وما علم من سيرتهم بعده باخبار يرويها الرافضة يكذبهم فيها جماهير الأئمة من أعظم السفسطة ومن روى لمعاوية وأصحابه من الفضائل ما يوجب تقديمه على علىّ وأصحابه كان كاذبا مبطلا مسفسطا ومع هذا فكذب الرافضة الذين يروون ما يقدح فى ايمان الخلفاء الثلاثة ويوجب عصمة على أعظم من كذب من يروى ما يفضل به معاوية على علىّ وسفسطتهم أكثر فان ظهور ايمان الثلاثة أعظم من ظهور فضل على علىّ معاوية من وجوه كثيرة واثبات عصمة على أبعد عن الحق من اثبات فضل معاوية ثم خلافة أبى بكر وعمر هى من كمال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ومما يظهر أنه رسول حق ليس ملكا من الملوك فان عادة الملوك ايثار أقاربهم والموالاة بالولايات أكثر من غيرهم وكان ذلك مما يقيمون به ملكهم وكذلك ملوك الطوائف كبنى بويه وبنى سلجق وسائر الملوك بالشرق والغرب والشام واليمن وغير ذلك وهكذا ملوك الكفار من أهل الكتاب والمشركين كما يوجد فى ملوك الفرنج وغيرهم وكما يوجد فى آل جنكسخان بان الملوك تبقى فى أقارب الملك ويقولون هذا من العظم وهذا ليس من العظم أى من أقارب الملك واذا كان كذلك فتولية أبى بكر وعمر بعد النبى صلى الله عليه وسلم دون عمه العباس وبنى عمه على وعقيل وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وأبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وغيرهم ودون سائر بنى عبد مناف كعثمان بن عفان وخالد بن سعيد بن العاص وابان بن سعيد بن العاص وغيرهم من بنى عبد مناف الذين كانوا أجل قريش قدرا وأقرب نسبا الى النبى صلى الله عليه وسلم من أعظم الادلة على أن محمدا عبد الله ورسوله وأنه ليس ملكا حيث لم يقدم فى خلافته أحد الا بقرب نسب منه ولا بشرف بيته بل انما قدم بالايمان والتقوى ودل ذلك على أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده انما يعبدون الله ويطيعون أمره لا يريدون ما يريده غيرهم من العلو فى الارض ولا يريدون أيضا ما أبيح لبعض الانبياء من الملك فان الله خير محمدا بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون ملكا نبيا فاختار أن يكون عبدا رسولا وتولية أبى بكر وعمر

التى للحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك مثل أن يثبت الالفاظ وينفى المعنى الذى أثبته الله لنفسه وهو من صفات كماله فقد أخطأ اذا تبين هذا فالنزاع بين مثبتة الجوهر والجسم ونفاته يقع من جهة المعنى فى شيئين أحدهما أنهم متنازعون فى تماثل الاجسام والجواهر على قولين معروفين فمن قال بتماثلها قال كل من قال انه جسم لزمه التمثيل ومن قال انها لا تتماثل قال انه لا يلزمه التمثيل ولهذا كان أولئك يسمون المثبتين للجسم مشبهة بحسب ما ظنوه لازما لهم كما يسمى نفاة الصفات لمثبتها مشبهة ومجسمة حتى سموا جميع المثبتة للصفات مشبهة ومجسمة وحشوية وغثا وغثرا ونحو ذلك بحسب ما ظنوه لازما لهم لكن اذا عرف أن صاحب القول لا يلتزم هذه اللوازم لم يجز نسبتها اليه على أنها قول له سواء كانت لازمة فى نفس الامر أو غير لازمة بل ان كانت لازمة مع فسادها دل على فساد قوله وعلى هذا فالنزاع بين هؤلاء وهؤلاء فى تماثل الاجسام وقد بسط الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع وبين الكلام على جميع حججهم والثانى أن مسمى

---

(١) قوله لا نظام لعله تحرف من الناسخ أو سقط من الكلام شئ به يظهر تأمل كتبه مصححه

بعده من تمام ذلك فانه لو أقام أحدا من أهل بيته لكانت شبهة لمن يظن أنه جمع المال لورثته فلما لم يستخلف أحدا من أهل بيته ولا خلف لهم مالا كان هذا مما بين أنه كان من أبعد الناس عن طلب الرياسة والمال وان كان ذلك مباحا وأنه لم يكن من الملوك الانبياء بل كان عبد الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح انى والله لا أعطى أحدا ولا أمنع أحدا وانما أنا قاسم أضع حيث أمرت وقال ان ربى خيرنى بين أن أكون عبدا رسولا أو نبيا ملكا فقلت بل عبدا رسولا واذا كان هذا مما دل على تنزيهه عن كونه من ملوك الانبياء فدلالة ذلك على نبوته ونزاهته عن الكذب والظلم أعظم وأعظم ولو تولى بعده على أو واحد من أهل بيته لم تحصل هذه المصالح والالطافات العظيمة وأيضا فانه من المعلوم أن الاسلام فى زمن على كان أكثر وأظهر مما كان فى خلافة أبى بكر وعمر وكان الذين قاتلهم على أبعد عن الكفر من الذين قاتلهم أبو بكر وعمر فان أبا بكر قاتل المرتدين وأهل الكتاب مع ما حصل للمسلمين بموت النبى صلى الله عليه وسلم من الضعف العظيم وما حصل من الارتداد لاكثر البوادى وضعف قلوب أهل الامصار وشك كثير فى جهاد مانعى الزكاة وغيرهم ثم عمر تولى قتال أمتين عظيمتين لم يكن فى العادة المعروفة أن أهل الحجاز واليمن يقهرونهم وهما فارس والروم فقهرهم وفتح بلادهم وتمم عثمان ما تمم من فتح المشرق والمغرب ثم فتح بعد ذلك فى خلافة بنى أمية مما فتح فى المشرق والمغرب كما وراء النهر والاندلس وغيرهما مما فتح فى خلافة عبد الملك فمعلوم أنه لو تولى غير أبى بكر وعمر بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم مثل على أو عثمان لم يمكنه أن يفعل ما فعلا فان عثمان لم يفعل ما فعلا مع قوة الاسلام فى زمانه وعلى كان أعجز من عثمان وكان أعوانه أكثر من أعوانهما وعدوه أقل وأقرب الى الاسلام من عدوهما ومع هذا فلم يقهر عدوه فكيف كان يمكنه قهر المرتدين وقهر فارس والروم مع قلة الاعوان وقوة العدو وهذا مما بين فضل أبى بكر وعمر وتمام نعمة الله بهما على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الناس وان من أعظم نعم الله تولية أبى بكر وعمر بعد النبى صلى الله عليه وسلم فانه لو تولى غيرهما كان لم يفعل ما فعلا إما لعدم القدرة وإما لعدم الارادة فانه اذا قيل لم لم يغلب على معاوية وأصحابه فلا بد أن يكون سبب ذلك إما عدم كمال القدرة وإما عدم كمال الارادة والا فمع كمال القدرة وكمال الارادة يجب وجود الفعل ومن تمام القدرة طاعة الاتباع له ومن تمام الارادة ارادة ما هو الاصلح الانفع الأرضى لله ولرسوله وأبو بكر وعمر كانت قدرتهما أكمل وارادتهما أفضل فبهذا نصر الله بهما الاسلام وأذل بهما الكفر والنفاق وعلى رضى الله عنه لم يؤت من كمال القدرة والارادة ما أوتيا والله تعالى كما فضل بعض النبيين على بعض فضل بعض الخلفاء على بعض فلما لم يؤت ما أوتيا لم يمكنه أن يفعل فى خلافته ما فعلا وحينئذ (١) عن ذلك بموت النبى صلى الله عليه وسلم أعجز وأعجز فانه على أى وجه قدر ذلك فان غاية ما يقول المتشيع ان أتباعه لم يكونوا يطيعونه فيقال ان كان الذين بايعوه لم يطيعوه فكيف يطيعه من لم يبايعه واذا قيل لو بايعوه بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لفعل بهم أعظم مما فعل أبو بكر وعمر فيقال قد بايعه أكثر من بايع أبا بكر وعمر ونحوهم وعدوه أضعف وأقرب الى الاسلام من عدو أبى بكر وعمر ولم يفعل ما يشبه فعلهما فضلا عن أن يفعل أفضل منه واذا قال القائل ان أتباع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أعظم ايمانا وتقوى فنصرهم الله لذلك قيل هذا يدل على فساد قول الرافضة فانهم يقولون ان أتباع أبى بكر وعمر كانوا مرتدين أو فاسقين واذا كان نصرهم وتأييدهم لايمانهم وتقواهم دل ذلك على

الجسم فى اصطلاحهم قد تنازعوا فيه هل هو مركب من أجزاء منفردة أو من الهيولى والصورة أولا مركب لا من هذا ولا من هذا واذا كان مركبا فهل هو جزآن أو ستة أجزاء أو ثمانية أجزاء أو ستة عشر جزأ أو اثنان وثلاثون هذا كله مما تنازع فيه هؤلاء فمثبتو التركيب المتنازع فيه فى الجسم يقولون لاولئك انه لازم لكم اذا قالوا هو جسم وأولئك ينفون هذا اللزوم وقد يكون فى المجسمة من يقول انه جسم مركب من الجواهر المنفردة وينازعهم فى امتناع مثل هذا التركيب عليه ويقول لا حجة لكم على نفى ذلك الا ما أقمتموه من الادلة على كون الاجسام محدثة أو ممكنة وكلها أدلة باطلة كما بسط فى موضعه وبينهم نزاع فى أمور أخرى ينازعهم فيها من لا يقول هو جسم مثل كونه فوق العالم أو كونه ذا قدر أو كونه متصفا بصفات قائمة به فالنفاة يقولون هذه لا تقوم الا بجسم وأولئك قد ينازعونهم فى هذا أو بعضه وينازعونهم فى انتفاء هذا المعنى الذى سموه جسما فهم ينازعون إما فى التلازم وإما فى انتفاء اللازم اذا تبين أن هذه الامور كلها ترجع الى هذه الامور الثلاثة فان الحجج الثمانية التى

---

(١) بياض بالاصل بقدر كلمتين

ان

أن الذين بايعوهما أفضل من الشيعة الذين بايعوا عليا واذا كان المقرون بامامتهما أفضل من المقرين بامامة على دل ذلك على أنهما أفضل منه وان قالوا ان عليا انما لم ينتصر لان أتباعه كانوا يبغضونه ويختلفون عليه قيل هذا أيضا يدل على فساد قول الشيعة ان الذين بايعوا عليا وأقروا بامامته أفضل ممن بايع أبا بكر وعمر وأقر بامامتهما فاذا كان أولئك الشيعة الذين بايعوا عصاة للامام المعصوم كانوا من أشر الناس فلا يكون فى الشيعة طائفة محمودة أصلا ولا طائفة ينتصر بها على العدو فيمتنع أن يكون على مع الشيعة قادرا على قهر الكفار وبالجملة فلابد من كمال حال أبى بكر وعمر وأتباعهما والنقص الذى حصل فى خلافة على (1) من اضافة ذلك اما الى الامام واما الى أتباعه واما الى المجموع وعلى كل تقدير فيلزم أن يكون أبو بكر وعمر وأتباعهما أفضل من على وأتباعه فانه ان كان سبب الكمال والنقص من الامام ظهر فضلهما عليه وان كان من أتباعه كان المقرون بامامتهما أفضل من المقرين بامامته فتكون أهل السنة أفضل من الشيعة وذلك يستلزم كونهما أفضل منه لان ما امتاز به الافضل أفضل مما امتاز به المفضول وهذا بين لمن تدبره فان الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقاتلوا معهم هم أفضل من الذين بايعوا عليا وقاتلوا معه فان أولئك فيهم من عاش بعد النبى صلى الله عليه وسلم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وعامة السابقين الاولين عاشوا بعد النبى صلى الله عليه وسلم انما توفى منهم أو قتل فى حياته قليل منهم والذين بايعوا عليا كان فيهم من السابقين والتابعين باحسان بعض من بايع أبا بكر وعمر وعثمان وأما سائرهم فمنهم من لم يبايعه ولم يقاتل معه كسعد بن أبى وقاص وأسامة بن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وأبى هريرة وأمثال هؤلاء من السابقين والذين اتبعوهم باحسان ومنهم من قاتله كالذين كانوا مع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية من السابقين والتابعين واذا كان الذين بايعوا الثلاثة وقاتلوا معهم أفضل من الذين بايعوا عليا وقاتلوا معه لزم أن يكون كل من الثلاثة أفضل لأن عليا كان موجودا على عهد الثلاثة فلو كان هو المستحق للامامة دون غيره كما تقوله الرافضة أو كان أفضل وأحق بها كما يقوله من يقوله من الشيعة لكان أفضل الخلق قد عدلوا عما أمرهم الله به ورسوله الى ما لم يؤمروا به بل نهوا عنه وكان الذين بايعوا عليا وقاتلوا معه فعلوا ما أمروا به ومعلوم أن من فعل ما أمر الله به ورسوله كان أفضل ممن تركه وفعل ما نهى الله عنه ورسوله فلزم لو كان قول الشيعة حقا أن يكون أتباع على أفضل واذا كانوا هم أفضل وامامهم أفضل من الثلاثة لزم أن يكون ما فعلوه من الخيرات أفضل مما فعله الثلاثة وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار الذى تواترت به الاخبار وعلمته البوادى والحضار فانه فى عهد الثلاثة جرى من ظهور الاسلام وعلوه وانتشاره ونموه وانتصاره وعزه وقمع المرتدين وقهر الكفار من أهل الكتاب والمجوس وغيرهم ما لم يجر بعدهم مثله وعلى رضى الله عنه فضله الله وشرفه بسوابقه الجيدة وفضائله العديدة لا بما جرى فى زمن خلافته من الحوادث بخلاف أبى بكر وعمر وعثمان فانهم فضلوا مع السوابق الجيدة والفضائل العديدة بما جرى فى خلافتهم من الجهاد فى سبيل الله وانفاق كنوز كسرى وقيصر وغير ذلك من الحوادث المشكورة والاعمال المبرورة وكان أبو بكر وعمر أفضل سيرة وأشرف سريرة من عثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فلهذا كانا أبعد عن الملام وأولى بالثناء العام حتى لم يقع فى زمنهما شئ من الفتن فلم يكن للخوارج فى زمنهما لا قول مأثور ولا سيف مشهور

ذكرها الآمدى أربعة على نفى الجواهر وأربعة مختصة بالجسم الاولى قوله لو كان جوهرا كالجواهر فاما أن يكون واجبا لذاته واما أن لا يكون فان كان واجبا لذاته لزم اشتراك جميع الجواهر فى وجوب الوجود لذاتها ضرورة اشتراكها فى معنى الجوهرية وان كان ممكنا لزم أن لا يكون واجبا لذاته وان كان لا كالجواهر فهو تسليم للمطلوب * فيقال لا نسلم أنه اذا كان واجبا لذاته لزم اشتراك جميع الجواهر فى وجوب الوجود ولا يلزم أن الاشتراك فى الجوهرية يقتضى الاشتراك فى جميع الصفات التى تجب لكل منها وتمتنع عليه وتجوز له وكذلك يقال لا نسلم أنه اذا لم يكن كالجواهر كان تسليما للمطلوب وذلك أنه اذا قيل حى لا كالاحياء وعالم لا كالعلماء وقادر لا كالقادرين لا يلزم من ذلك نفى هذه الصفات ولا اثبات خصائص المخلوقات فمن قال هو جوهر وفسره اما بالمتحيز واما بالقائم بذاته واما بما هو موجود فى موضوع لم يسلم أن الجواهر متماثلة بل يقول تنقسم الى واجب وممكن كما ينقسم الحى والعليم الى هذا وهذا فان قال اذا كان متحيزا فالمتحيزات متماثلة له كان هذا مصادرة على المطلوب لانه نفى كونه جسما بناء على نفى الجوهر

---

(1) بياض بالاصل بقدر كلمة

بل كان كل سيوف المسلمين مسلولة على الكفار وأهل الايمان فى اقبال وأهل الكفر فى ادبار ثم ان الرافضة أو أكثرهم لفرط جهلهم وضلالهم يقولون انهم ومن اتبعهم كانوا كفارا مرتدين وان اليهود والنصارى خير منهم لان الكافر الاصلى خير من المرتد وقد رأيت هذا فى عدة من كتبهم وهذا القول من أعظم الاقوال افتراء على أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين ومن الدلائل الدالة على فساده أن يقال من المعلوم بالاضطرار والمتواتر من الاخبار أن المهاجرين هاجروا من مكة وغيرها الى المدينة وهاجر طائفة منهم كعمر وعثمان وجعفر ابن أبى طالب هجرتين هجرة الى الحبشة وهجرة الى المدينة وكان الاسلام اذ ذاك قليلا والكفار مستولون على عامة الارض وكانوا يؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الاذى مالا يعلمه الا الله وهم صابرون على الأذى متجرعون لمرارة البلوى وفارقوا الاوطان وهجروا الخلان لمحبة الله ورسوله والجهاد فى سبيله كما وصفهم الله تعالى بقوله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون وهذا كله فعلوه طوعا واختيارا من تلقاء أنفسهم لم يكرههم عليه مكره (١) به أحد من الاسلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذ ذاك هو ومن اتبعه منهيين عن القتال مأمورين بالصفح والصبر فلم يسلم أحد الا باختياره ولا هاجر أحد الا باختياره ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من العلماء انه لم يكن من المهاجرين من نافق وانما كان النفاق فى قبائل الانصار لما ظهر الاسلام بالمدينة ودخل فيه قبائل الأوس والخزرج ولما صار للمسلمين دار يمنعون بها ويقاتلون دخل فى الاسلام من أهل المدينة وممن حولهم من الاعراب من دخل خوفا وتقية وكانوا منافقين كما قال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ولهذا انما ذكر النفاق فى السور المدنية وأما السور المكية فلا ذكر فيها المنافقين فان من أسلم قبل الهجرة بمكة لم يكن فيهم منافق والذين هاجروا لم يكن فيهم منافق بل كانوا مؤمنين بالله ورسوله محبين لله ولرسوله وكان الله ورسوله أحب اليهم من أولادهم وأهلهم وأموالهم واذا كان كذلك علم أن رميهم أو رمى أكثرهم أو بعضهم بالنفاق كما يقوله من يقوله من الرافضة من أعظم البهتان الذى هو نعت الرافضة واخوانهم من اليهود فان النفاق كثير ظاهر فى الرافضة اخوان اليهود ولا يوجد فى الطوائف أكثر وأظهر نفاقا منهم حتى يوجد فيهم النصيرية والاسمعيلية وأمثالهم ممن هو من أعظم الطوائف نفاقا وزندقة وعداوة لله ورسوله وكذلك دعواهم عليهم الردة من أعظم الاقوال بهتانا فان المرتد انما ارتد لشبهة أو شهوة ومعلوم أن الشبهات والشهوات فى أوائل الاسلام كانت أقوى فمن كان ايمانهم مثل الجبال فى حال ضعف الاسلام كيف يكون ايمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه وأما الشهوة فسواء كانت شهوة رياسة أو مال أو نكاح أو غير ذلك كانت فى أول الاسلام أولى بالاتباع فمن خرجوا من ديارهم وأموالهم وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعز حبا لله ورسوله طوعا غير اكراه كيف يعادون الله ورسوله طلبا للشرف والمال ثم هم فى حال قدرتهم على المعاداة وقيام المقتضى للمعاداة لم يكونوا معادين لله ورسوله بل موالين لله ورسوله معادين لمن عادى الله ورسوله فحين قوى المقتضى للموالاة وضعفت القدرة على المعاداة يفعلون نقيض هذا هل يظن هذا الا من هو من أعظم الناس ضلالا وذلك أن الفعل اذا حصل معه كمال القدرة عليه وكمال الارادة له وجب وجوده وهم فى أول الاسلام كان المقتضى لارادة معاداة الرسول أقوى لكثرة أعدائه وقلة

اوليائه

ونفى الجوهر بناء على نفى التحيز والتحيز هو الجسم أو الجوهر والجسم فيكون قد جعل الشئ مقدمة فى اثبات نفسه وهذه هى المصادرة * قال الآمدى (الوجه الثانى) أنه اما أن يكون قابلا للتحيز به أو لا يكون فان كان الاول لزم أن يكون جسما مركبا وهو محال كما يأتى وان كان الثانى لزم أن يكون بمنزلة الجوهر الفرد والقائل أن يقول ان عنيت بالتحيز به تفرقته بعد الاجتماع واجتماعه بعد الافتراق فلا نسلم أن ما لا يكون كذلك يلزم أن يكون حقيرا وان عنيت به ما يشار اليه أو يتميز منه شئ عن شئ لم نسلم أن مثل هذا ممتنع بل نقول ان كل موجود قائم بنفسه فانه كذلك وان ما لا يكون كذلك فلا يكون الا عرضا قائما بغيره وانه لا يعقل موجود الا ما يشار اليه أو ما يقوم بما يشار اليه كما قد بسط فى موضعه وسيأتى الكلام على حجة نفيه * قال والثالثة لا يخلو اما أن يكون لذاته قابلا لحلول الاعراض المتعاقبة أو لا فان كان الاول فيلزم أن يكون محلا للحوادث وهو محال كما يأتى وان كان الثانى فيلزم امتناع ذلك على كل الجواهر ضرورة

(١) كذا فى الاصل والكلام منقطع وهو بدونه مستقيم فان لم يكن من زيادة الناسخ فقد سقط قبله ما به يصح وحرر كتبه مصححه

أوليائه وعدم ظهور دينه وكانت قدرة من يعاديه باليد دون اللسان حينئذ أقوى حتى كان يعاديه آحاد الناس ويباشرون أذاه بالايدى والالسن ولما ظهر الاسلام وانتشر كان المقتضى للمعاداة أضعف والقدرة عليها أضعف ومن المعلوم أن من ترك المعاداة أولا ثم عاداه ثانيا لم يكن الا لتغير ارادته أوقدرته ومعلوم أن القدرة على المعاداة كانت أولا أقوى والموجب لارادة المعاداة كان أولا أولى ولم يتجدد عندهم ما يوجب تغير اراداتهم ولاقدرتهم فعلم علما يقينا أن القوم لم يتجدد عندهم ما يوجب الردة عن دينهم البتة والذين ارتدوا بعد موته انما كانوا ممن أسلم بالسيف كأصحاب مسيلمة وأهل نجد فأما المهاجرون الذين أسلموا طوعا فلم يرتد منهم ولله الحمد أحد وأهل مكة لما أسلموا بعد فتحها هم طائفة منهم بالردة ثم ثبتهم الله بسهيل بن عمرو وأهل الطائف لما حصرهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة ثم رأوا ظهور الاسلام فأسلموا مغلوبين فهموا بالردة فثبتهم الله بعثمان بن أبى العاص فأما أهل مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فانما أسلموا طوعا والمهاجرون منهم والانصار وهم قاتلوا الناس على الاسلام ولهذا لم يرتد من أهل المدينة أحد بل ضعف غالبهم بموت النبى صلى الله عليه وسلم وذلت أنفسهم عن الجهاد على دينه حتى ثبتهم الله وقواهم بأبى بكر الصديق رضى الله عنه فعادوا الى ما كانوا عليه من قوة اليقين وجهاد الكافرين فالحمد لله الذى من على الاسلام وأهله بصديق الامة الذى أيد الله به دينه فى حياة رسوله وحفظه به بعد وفاته فالله يجزيه عن الاسلام وأهله خير الجزاء

(فصل) قال الرافضى المنهج الرابع فى الادلة الدالة على امامته من أحواله وهى اثنا عشر ثم ذكر كان أزهد الناس وأعبدهم وأعلمهم وأشجعهم وذكر أنواعا من خوارق العادات له واجتماع الفضائل على أوجه تقدم بها عليهم فقال الاول أنه كان أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(والجواب) المنع فان أهل العلم بحالهما يقولون أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد الشرعى أبو بكر وعمر وذلك أن أبا بكر كان له مال يكسبه فأنفقه كله فى سبيل الله وتولى الخلافة فذهب الى السوق يبيع ويكتسب فلقيه عمر وعلى يده أبراد فقال له أين تذهب فقال أظننت أنى تركت طلب المعيشة لعيالى فأخبر بذلك أبا عبيدة والمهاجرين ففرضوا له شيأ فاستحلف عمر وأبا عبيدة فحلفا أنه يباح له أخذ درهم من كل يوم ثم ترك ماله فى بيت المال ثم لما حضرته الوفاة أمر عائشة أن ترد الى بيت المال ما كان قد دخل فى ماله من مال المسلمين فوجدت جرد قطيفة لا يساوى خمسة دراهم وحبشية ترضع ابنه أو عبدا حبشيا وبعيرا ناضحا فأرسلت بذلك الى عمر فقال عبد الرحمن بن عوف له أتسلب هذا عيال أبى بكر فقال كلا ورب الكعبة لا يتأثم منه أبو بكر فى حياته وأتحمله أنا بعد موته وقال بعض العلماء على كان زاهدا ولكن الصديق أزهد منه لان أبا بكر كان له المال الكثير فى أول الاسلام والتجارة الواسعة فأنفقه فى سبيل الله وكان حاله فى الخلافة ما ذكر ثم رد ما تركه لبيت المال قال ابن زنجويه وأما على فانه كان فى أول الاسلام فقيرا يعال ولا يعول ثم استفاد المال الرباع والمزارع والنخل والاوقاف واستشهد وعنده تسع عشرة سرية وأربع نسوة وهذا كله مباح ولله الحمد ولم يأمر برد ما ترك لبيت المال وخطب الحسن الناس بعد وفاته فقال ما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه وروى الاسود بن عامر حدثنا شريك النخعى عن عاصم

الاشتراك بينها فى المعنى وهو محال خلاف المحسوس وللقائل أن يقول الجواب من وجوه أحدها أنا لا نسلم امتناع حلول الاعراض المتعاقبة وأنت قد اعتمدت فى هذا الوجه الذى ذكرته من تناقض أهل هذا القول على نفى الجسم والجوهر فلو جعلت هذا حجة فى ذلك لزم المصادرة على المطلوب اذ كنت فى كل من المسئلتين تعتمد على الاخرى وان اعتمدت على نفيه بالوجوه الاخر فقد عرف فساد كلامك وكلام غيرك الثانى أن يقال ولم قلت انه اذا امتنع حلول الحوادث على بعض الجواهر يمتنع على سائرها ألست تقول ان ذلك يمتنع على بعض الذوات دون بعض وبعض القائمين بانفسهم دون بعض وبعض الموصوفات دون بعض فلو قال لك قائل الاشتراك فى كون كل من الشيئين ذاتا قائمة بنفسها موصوفة بالصفات يوجب اشتراكهما فى حلول الحوادث لكان هذا القول اما أن يلزمك واما أن لا يلزمك فان لزمك كان هذا لازما لك وللمنازع لك فليس لك أن تنفيه وان لم يلزمك فما كان جوابك عن الزامه يلزمك به هو جواب منازعك فان قلت الاشتراك فى الجوهرية اشتراك فى المعنى الذى لاجله جاز قيام الحوادث به قال لك كل من الخصمين والاشتراك فى الذاتية والموصوفية

ابن كليب عن محمد بن كعب القرظي قال قال علي لقد رأيتني على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربط الحجر على بطني من شدة الجوع وان صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين الفا رواه أحمد عن حجاج عن شريك ورواه ابراهيم بن سعيد الجوهري وفيه لتبلغ أربعة آلاف دينار فأين هذا من زهد أبي بكر وان كانا رضي الله عنهما زاهدين وقال ابن حزم وقال قائلون علي كان أزهدهم قال وكذب هذا الجاهل وبرهان ذلك أن الزهد انما هو عزوف النفس عن حب الصوت وعن المال وعن اللذات وعن الميل الى الولد والحاشية ليس للزهد معنى يقع عليه اسم الزهد الا هذا المعنى فأما عزوف النفس عن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشئ من الاخبار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألفا أنفقها في سبيل الله كلها وأعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله ولم يعتق عبيدا أجلادا يمنعونه لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل حتى هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لأبي بكر من جميع ماله الا ستة آلاف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهما ثم أنفقها كلها في سبيل الله حتى لم يبق له منها شئ وبقي في عباءة له قد خللها بعود اذا نزل فرشها واذا ركب لبسها اذ تمول غيره من الصحابة واقتنى الرباع الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها الا أن من آثر بذلك الله في سبيل الله أزهد ممن أنفق وأمسك ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال وعند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله الذي لم يستوف منه الا بعض حقه أمر بصرفه الى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يضاهيه فيه أحد من الصحابة لا علي ولا غيره الا أن يكون أبان وأبا عبيدة من المهاجرين الاولين فانهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد تلا أبا بكر عمر في هذا الزهد وكان فوق علي في ذلك يعني في اعراضه عن المال واللذات وأما علي رضي الله عنه فتوسع في هذا المال من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن أربعة وعشرين ولدا من ذكر وأنثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على انكاره من له أقل علم بالاخبار والآثار ومن جملة عقاره ينبع التي تصدق بها كانت تغل ألف وسق تمر سوى زرعها فأين هذا من هذا وأما حب الولد والميل اليهم والى الحاشية فالامر في هذا أبين من أن يخفى على أحد له أقل علم بالاخبار فقد كان لابي بكر رضي الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبد الله من المهاجرين الاولين والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من أبواب الفضائل في الاسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما استعمل أبو بكر أحدا منهم على شئ من الجهات وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر وسائر أعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلا ولكن خشي المحاباة وتوقع أن تميله اليهم شئ من الهوى ثم جرى عمر رضي الله عنه على مجراه في ذلك لم يستعمل من بني عدي بن كعب أحدا على سعة البلاد وكبرها وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة فرس الى خراسان الا النعمان بن عدي وحده على ميسان ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شئ من أفخاذ قريش لان بني عدي لم يبق منهم أحد بمكة الا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الاولين ذي السوابق وأبي الجهم بن حذيفة

وخارجة

والقيام بالنفس اشتراك في المعنى الذي لاجله جاز قيام الحوادث به وأنت اذا أنصفت علمت أن التباين واحد الثالث أن يقال ما تعني بقولك الاعراض المتعاقبة أتعني به أحواله التي دلت النصوص على قيامها به أم غير ذلك الاول مسلم لكن لا نسلم مساواة المخلوقات له في خصائصه والثاني ممنوع قال الرابع أنه لا يخلو اما أن تكون ذاته قابلة لان يشار اليها انها هنا أو هناك أو لا تكون قابلة لذلك فان كان الاول فيكون متحيزا اذ لا معنى للتحيز الا هذا والتحيز على الله محال لوجهين الاول أنه اما أن يكون منتقلا عن حيزه أو لا يكون منتقلا عنه فان كان منتقلا عنه فيكون متحركا وان لم يكن منتقلا عنه فيكون ساكنا والحركة والسكون حادثان على ما يأتي وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث الوجه الثاني ان اختصاصه بحيزه اما أن يكون لذاته أو لمخصص من خارج فان كان الاول فليس هو أولى من تخصيص غيره من الجواهر به ضرورة المساواة في المعنى وان كان لغيره وجب أن يكون الرب مفتقرا الى غيره في وجوده فلا يكون واجب الوجود وان كان غير متحيز لزم في كل الجواهر أن يكون غير متحيز ضرورة المساواة في المعنى وهو محال وكيف وانه لا معنى للجوهر غير المتحيز بذاته فالا يكون كذلك

وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وعبد الله بن عمر ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن
وهو أحد الصحابة ولا استعمل ابنه عمر فى حياته ولا بعد موته وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم
وقد رضى بخلافته بعض الناس وكان أهلا لذلك ولو استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل
ووجدنا عليا إذ ولى قد استعمل أقاربه ابن عباس على البصرة وعبيد الله بن عباس على اليمن
وقثما ومعبدا ابنى العباس على مكة والمدينة وجعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانئ بنت أبى
طالب على خراسان ومحمد بن أبى بكر وهو ابن امرأته وأخو ولده على مصر ورضى ببيعة الناس
الحسن ابنه بالخلافة بعده ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن
عباس للخلافة فكيف بامارة البصرة لكنا نقول ان من زهد فى الخلافة لولد مثل عبد الله بن
عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر والناس متفقون عليه وفى تأمير مثل طلحة بن عبيد الله وسعد
ابن زيد فلا شك انه أتم زهدا وأعزف عن جميع معانى الدنيا نفسا ممن يأخذ ما أبيح له أخذه
فصح بالبرهان الضرورى أن أبا بكر رضى الله عنه أزهد من جميع الصحابة ثم عمر رضى الله
تعالى عنه والله أعلم

﴿فصل﴾ قال الرافضى على قد طلق الدنيا ثلاثا وكان قوته جريش الشعير وكان
يختمه لئلا يضع الامامان فيه أدما وكان يلبس خشن الثياب وقصيرها ورقع مدرعته حتى
استحى من رقعها وكان حمائل سيفه ليفا وكذا نعله وروى أخطب خوارزم عن عمار قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا على ان الله زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب الى الله
منها زهدك فى الدنيا وبغضها اليك وحبب اليك الفقراء فرضيت بهم أتباعا ورضوا بك اماما
يا على طوبى لمن أحبك وصدق عليك والويل لمن أبغضك وكذب عليك أما من أحبك وصدق
عليك فاخوانك فى دينك وشركاؤك فى جنتك وأما من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله أن
يقيمهم مقام الكذابين قال سويد بن غفلة دخلت على على العصر فوجدته جالسا بين يديه
صفحة فيها لبن حار وأجد ريحه من شدة حموضته وفى يده رغيف أرى قشار الشعير فى وجهه وهو
يكسر بيده احيانا فاذا غلبه كسره بركبته فطرحه فيه فقال ادن فأصب من طعامنا هذا فقلت
انى صائم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من منعه الصيام عن طعام يشتهيه
كان حقا على الله أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها قال قلت لجاريته وهى قائمة
ويحك يا فضة ألا تتقين الله فى هذا الشيخ ألا تنخلين طعامه مما أرى فيه من النخال فقالت لقد
عهد الينا أن لا ننخل له طعاما قال ما قلت لها فأخبرته قال بأبى وأمى من لم ينخل له طعام ولم
يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل واشترى يوما ثوبين غليظين فخير قنبرا فيهما
فأخذ واحدا ولبس هو الآخر ورأى فى كمه طولا عن أصابعه فقطعه وقال ضرار بن ضمرة
دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين على فقال صف لى عليا فقلت اعفنى فقال لا بد من
ذلك فقلت أما اذا لا بد فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا
يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزينتها ويستأنس
بالليل ووحشته وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام
ما جشب وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويلبينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقربه لنا
وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس
الضعيف من عدله فأشهد بالله لقد رأيته وهو يقول يا دنيا غرى غيرى ألى تعرضت أم الى

لا يكون جوهرا ۞ قلت ولقائل
أن يقول لا نسلم انه اذا كان قابلا
للاشارة كان متحيزا وقوله لا معنى
للتحيز الا هذا ان أراد به أن المفهوم
من كونه مشارا اليه هو المفهوم
من كونه متحيزا كان قوله فاسدا
بالضرورة وان أراد أن ما صدق
عليه هذا صدق عليه هذا قيل له
من الناس من ينازعك فى هذا
ويقول انه سبحانه فوق العالم ويشار
اليه وليس بمتحيز فان قال هذا
فساده معلوم بالضرورة قيل له ليس
هذا بأبعد من قولك انه موجود قائم
بنفسه متصف بالصفات مرئى
بالابصار وهو مع هذا لا يشار اليه
وليس بداخل العالم ولا خارجه ولا
مباين له ولا مداخل له فان قلت
احالة هذا من حكم الوهم قيل
لك واحالة موجود قائم بنفسه
يشار اليه ولا يكون متحيزا من حكم
الوهم بل تصديق العقول بوجود
يشار اليه ولا يكون متحيزا أعظم
من تصديقها بموجود قائم بنفسه
متصف بالصفات لا يشار اليه
وليس بداخل العالم ولا خارجه ثم
يقال ثانيا لم قلتم انه يمتنع أن
يكون متحيزا قولك اما أن
يكون متحركا أو ساكنا يقال لك
فلم لا يجوز أن لا يكون قابلا للحركة
والسكون وثبوت أحدهما فرع
قبوله له فان قلت كل متحيز فهو
قابل لهما قيل لك علمنا بهذا كعلمنا
بان كل موجود قائم بنفسه

تشوقت هيهات قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك عمرك قصير و بطرك كثير وعيشك حقير آه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن فكان والله كذلك فما حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها

(والجواب) أما زهد على رضى الله عنه فى المال فلا ريب فيه لكن الشأن أنه كان أزهد من أبى بكر وليس فيما ذكره ما يدل على ذلك بل ما كان فيه حقا فلا دليل فيه على ذلك والباقى اما كذب وإما لا مدح فيه فمن المشهور أنه قال يا صفراء يا بيضاء قد طلقتك ثلاثا غرى غيرى لا رجعة لى فيك لكن هذا لا يدل على أنه أزهد ممن لم يقل هذا فان نبينا وعيسى بن مريم وغيرهما كانوا أزهد منه ولم يقولوا هذا ولان الانسان اذا زهد لم يجب بلسانه أن يقول قد زهدت وليس كل من قال زهدت يكون قد زهد فلا عدم هذا الكلام يدل على عدم الزهد ولا وجوده يدل على وجوده فلا دلالة فيه وأما قوله انه كان دائما يقتات جريش الشعير بلا أدم فلا دلالة فى هذا لوجهين أحدهما أنه كذب والثانى أنه لا مدح فيه فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان امام الزهاد وكان لا يرد موجودا ولا يتكلف مفقودا بل ان حضر لحم دجاج أكله أو لحم غنم أكله أو حلواء أو عسل أو فاكهة أكله وان لم يجد شيأ لم يتكلفه وكان اذا حضر طعاما فان اشتهاه أكله والا تركه ولا يتكلف ما لا يحضر وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع وكان يقيم الشهر والشهرين لا يوقد فى بيته نار وقد ثبت فى الصحيحين أن رجالا قال أحدهم أما أنا فأصوم ولا أفطر وقال الآخر أما أنا فأقوم ولا أنام وقال الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء وقال الآخر أما أنا فلا آكل اللحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى فكيف يظن بعلى أنه رغب عن سنة النبى صلى الله عليه وسلم ويجعل ذلك من مناقبه وأى مدح لمن رغب عنها ثم كيف يقال ان عليا كان بالعراق ولا يقتات الا شعيرا مجروشا لا أدم له ولا يأكل خبز بر ولا لحما والنقل المتواتر بخلاف ذلك وهل من الصحابة من فعل ذلك أو هل قال أحد منهم ان ذلك مستحب وأما قوله كان حمائل سيفه ليفا ونعله ليفا فهذا أيضا كذب ولا مدح فيه فقد روى أن نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من الجلود وحمائل سيف النبى صلى الله عليه وسلم كانت ذهبا وفضة والله قد يسر الرزق عليهم فأى مدح فى أن يعدلوا عن الجلود مع تيسرها وانما يمدح هذا عند العدم كما قال أبو أمامة الباهلى لقد فتح البلاد أقوام كانت خطم خيلهم ليفا وركبهم العلابى رواه البخارى وحديث عمار من الموضوعات وكذلك حديث سويد بن غفلة ليس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما حديث الثوب الذى اشتراه فهو معروف وحديث ضرار بن ضمرة قد روى وليس فى واحد منهما ما يدل على أنه أزهد من أبى بكر وعمر بل من عرف المنقول من سيرة عمر وعدله وزهده وصرفه الولايات عن أقاربه ونقصه لابنه فى العطاء عن نظيره ولابنته فى العطاء عن نظيرتها وأكله الخشن مع كونه هو الذى قسم كنوز كسرى وقيصر وانما كان الذى يقسمه على جزأ من فتوح عمر وانه مات وعليه ثمانون ألف درهم دينا تبين له من وجوه كثيرة أن عمر كان أزهد من على ولا ريب أن أبا بكر أزهد من عمر والله أعلم

(فصل) قال الرافضى وبالجملة زهده لم يلحقه أحد فيه ولا سبقه اليه واذا كان أزهد كان هو الامام لامتناع تقدم المفضول عليه

(والجواب) ان كلتا القضيتين باطلة لم يكن أزهد من أبى بكر وعمر ولا كل من كان أزهد كان

موصوف بالصفات اما مباين لغيره واما محايث له فان جوزت موجودا قائما بنفسه لا مباين ولا محايث فجوز وجود موجود متحيز ليس بمتحرك ولا ساكن فان قلت المتحيز اما أن يكون منتقلا عن حيزه أولا يكون منتقلا عنه والاول هو الحركة والثانى هو السكون قيل لك ليس كل حيز أمرا وجوديا فان العالم متحيز وليس له حيز وجودى ومن قال ان البارى وحده فوق العالم أو سلم لك أنه متحيز لم يقل انه فى حيز وجودى وحينئذ فالحيز أمر عدمى فقولك اما أن يكون منتقلا عنه أولا كقولك اما أن يكون منتقلا بنفسه أولا وهو معنى قولك اما أن يكون متحركا أو ساكنا وهذا اثبات الشئ بنفسه فان قلت هذا بين مستقر فى الفطرة والعلم به بديهى قيل لك ليس هذا بأبين من قول القائل اما أن يكون صانع العالم حيث العالم واما أن لا يكون حيث العالم والاول هو المحايثة والدخول فيه والثانى هو المباينة والخروج عنه فان قلت يمكن أن لا يكون داخلا فيه ولا خارجا عنه قيل لك ويمكن أن لا يكون المتحيز منتقلا ولا يكون ساكنا كما تقوله أنت فيما تقول انه قائم بنفسه لا منتقل ولا ساكن فان قلت أنا أعقل هذا فيما ليس بمتحيز ولا أعقله فى المتحيز قيل وكيف عقلت

أحق بالامامة وذلك أن عليا كان له من المال والسرارى ولاهله مالم يكن لابى بكر وعمر وقد روى عبد الله بن أحمد حدثنا على بن حكيم حدثنا شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظى قال سمعت عليا قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وانى لأربط الحجر على بطنى من الجوع وان صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألفا وهذا وان كان ضعيفا فهو يقابل لمن قال انه كان لايأكل فى العراق الاخبز الشعير مع أن ذلك النقل لا اسناد له ولاريب ان عليا كان له مال أعظم من مال أبى بكر وعمر ولولم يكن الا ما كان عمر يعطيه وأولاده وأهل بيته فانه كان يعطيهم من المال أعظم مما يعطى سائر قبائل قريش ولم يكن عمر يعطى أحدا من بنى عدى ولا تيم ولا غيرهم من القبائل مثل ما كان يعطى أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وحده يوجب سعة أموالهم وعلى له وقف معروف فهل يوقف الوقوف من لم يكن له مال وعمر انما وقف نصيبه من خيبر لم يكن له عقار غير ذلك وعلى كان له عقار بالينبع وغيرها

(فصل) قال الرافضى الثانى أنه كان أعبد الناس يصوم النهار ويقوم الليل ومنه تعلم الناس صلاة الليل ونوافل النهار وأكثر العبادات والادعية المأثورة عنه تستوعب الوقت وكان يصلى فى ليله ونهاره ألف ركعة ولم يخل فى صلاة الليل حتى فى ليلة الهرير وقال ابن عباس رأيته فى حربه وهو يرقب الشمس فقلت ياأمير المؤمنين ماذا تصنع قال أنظر الى الزوال لأصلى فقلت فى هذا الوقت فقال انما نقاتلهم على الصلوات فلم يغفل عن فعل العبادات فى أول وقتها فى أصعب الاوقات وكان اذا أريد اخراج الحديد من جسده يترك الى أن يدخل فى الصلاة فيبقى متوجها الى الله غافلا عما سواه غير مدرك للآلام التى تفعل به وجمع بين الصلاة والزكاة وتصدق وهو راكع فأنزل الله فيه قرآنا يتلى وتصدق بقوته وقوت عياله ثلاثة أيام حتى أنزل فيهم هل أتى على الانسان وتصدق ليلا ونهارا وسرا وعلانية وناجى الرسول فقدم بين يدى نجواه صدقة فأنزل الله فيه قرآنا وأعتق ألف عبد من كسب يده وكان يؤجر نفسه وينفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب واذا كان أعبد الناس كان أفضل فيكون هو الامام

(والجواب) أن يقال هذا الكلام فيه من الاكاذيب المختلقة ما لا يخفى الا على أجهل الناس بأحوال القوم ومع أنه كذب لامدح فيه ولا فى عامة الاكاذيب فقوله انه كان يصوم النهار ويقوم الليل كذب عليه وقد تقدم قول النبى صلى الله عليه وسلم لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ألم أخبر أنك تقول لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت قال بلى قال فلا تفعل وفى رواية ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت يانبى الله لم أرد بذلك الا الخير قال فان حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام فقلت يانبى الله انى أطيق أكثر من ذلك قال فان لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا ولجسدك عليك حقا قال فصم صوم داود نبى الله فانه كان أعبد الناس كان يصوم يوما ويفطر يوما واقرأ القرآن فى كل شهر قلت انى أطيق أكثر من ذلك قال اقرأه فى عشرين الى أن قال فى سبع ولا تزد على ذلك وقال فى الصوم انى أطيق أفضل من ذلك وفى الصحيحين عن على قال طرقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة فقال ألا تقومان فتصليان فقلت يارسول الله انما أنفسنا بيد الله اذا شاء أن يبعثنا بعثنا قال فولى وهو يضرب فخذه ويقول وكان الانسان أكثر شىء جدلا

أولا ثبوت ماليس بمتحيز بهذا التفسير والمنازع يقول أنا لا أعقل الا ما هو داخل أو خارج فاذا قلت أنت هذا فرع ثبوت قبول ذلك وقابل ذلك هو المتحيز فالا يكون كذلك لا يكون قابلا للمباينة والمحايثة والدخول والخروج قال لك نحن لا نعقل موجودا الا هذا فان قلت بل هذا ممكن فى العقل وثابت أيضا قال لك وكذلك متحيز لا يقبل الحركة والسكون هو أيضا ممكن فى العقل وثابت فان قلت الفطرة تدفع هذا قيل لك وهى لدفع ذاك أعظم فان قلت ذاك حكم الوهم قيل وهذا حكم الوهم فان قلت العقل أثبت موجودا ليس بمتحيز قيل لك انما أثبت ذاك بمثل هذه الادلة التى نتكلم على مقدماتها فان أثبت مقدمات النتيجة بالنتيجة كنت مصادرا على المطلوب فانت لا يمكنك اثبات موجود ليس بمتحيز الا بمثل هذا الدليل وهذا الدليل لا يثبت الا ببيان امكان وجود موجود ليس بمتحيز فلا يجوز أن تجعله مقدمة حجة فى اثبات نفسه ويقول له الخصم مالشاهد أنك تقول لابد له اذا كان متحيزا من الحركة والسكون فنحن نقول ان كل قائم بنفسه لايخلو عن الحركة والسكون فانه اما أن يكون منتقلا أولا يكون منتقلا فان كان منتقلا فهو متحرك والا فهو ساكن فان

فهـذا الحديث دليل على نومه فى الليـل مع ايقاظ النبى صـلى الله عليه وسـلم ومجادلته حتى ولى وهو يقول وكان الانسان أكثر شئ جدلا وقول القائل منه تعلم النـاس صلاة الليـل ونوافل النهار إن أراد بذلك أن بعض المسلمين تعلم ذلك منه فهكذا كل من الصحابة علم بعض النـاس وان أراد أن المسلمين تعلموا ذلك منه فهذا من الكذب البارد فأكثر المسلمين ما رأوه وقد كانوا يقومون الليل ويتطوعون بالنهار فأكثر بلاد المسلمين التى فتحت فى خلافة عمر وعثمان رضى الله عنهما كالشام ومصر والمغرب وخراسان ما رأوه فكيف يتعلمون منه والصحابة كانوا كذلك فى حياة النبى صـلى الله عليه وسـلم ومنه تعلموا ذلك ولا يمكن أن يدعى ذلك الا فى أهـل الكوفة ومعلوم أنهم كانوا تعلموا ذلك من ابن مسعود رضى الله عنه وغـيره قبل أن يقدم اليهـم العراق وأما قوله الادعية المأثورة عنه تستوعب الوقت فعامتها كذب عليه وهو كان أجل قدرا من أن يدعو بهذه الادعية التى لا تليق بحاله وحال الصحابة وليس لشئ من هذه اسناد والأدعية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هى أفضل ما دعا به أحد وبها يدعو خيـار هذه الامة من الاولين والآخرين وكذلك قوله انه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة من الكذب الذى لا مدح فيـه فان النبى صلى الله عليه وسـلم كان مجموع صلاته فى اليوم والليلة أربعين ركعة فرضا ونفلا والزمان لا يتسع لألف ركعة لمن ولى أمر المسلمين مع سياسة الناس وأهله الا أن تكون صلاته نقرا كنقر الغراب وهى صلاة المنافقين التى نزه الله عنها عليا وأما ليالى صفين فالذى ثبت فى الصحيح أنه قال الذكر الذى علمه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم لفاطمة قال ما تركته منذ سمعته من النبى صـلى الله عليه وسـلم قيل ولا ليلة صفين قال ولا ليلة صفين ذكرته من السحر فقلته وما ذكر من اخراج الحديد من جسده فكذب فان عليا لم يعرف أنه دخل فيه حديد وما ذكره من جمعه بين الصلاة والزكاة فهذا كذب كما تقدم ولا مدح فيه فان هذا لو كان مستحبا الشرع للمسلمين ولو كان يستحب للمسلمين أن يتصـدقوا وهم فى الصلاة لتصدقوا فلما لم يستحب هذا أحد من المسلمين علمنا أنه ليس عبادة بل مكروه وكذلك ما ذكره من أمر النذر والدراهم الاربعة قد تقدم أن هذا كله كذب وليس فيـه كبير مدح وقوله أعتق ألف عبـد من كسب يده من الكذب الذى لا يروج الا على أجهل النـاس فان عليا لم يعتق الف عبـد ولا مائة ولم يكن له كسب بيـده يقوم بعشر هذا فانه لم تكن له صـناعة يعملها وكان مشغولا اما بجهاد واما بغيره وكذلك قوله كان يؤجر نفسه وينفق على النبى صـلى الله عليه وسـلم فى الشعب كذب بين من وجوه أحدها أنهم لم يكونوا يخرجون من الشعب ولم يكن فى الشعب من يستأجره والثانى أن أباه أبا طالب كان معهم فى الشعب وكان ينفق عليـه والثالث أن خديجة كانت موسرة تنفق من مالها والرابع أن عليا لم يؤجر نفسه بمكة قط وكان صغيرا حين كان فى الشعب اما مراهقا واما محتلما فكان على فى الشعب ممن ينفق عليـه اما النبى صـلى الله عليه وسـلم واما أبوه لم يكن ممن يمكنه أن ينفق على نفسه فكيف ينفق على غيره فان دخوله فى الشعب كان فى حياة أبى طالب بالنقل المتواتر وأبو طالب مات قبل ذهاب النبى صلى الله عليه وسـلم الى الطائف باتفاق الناس وكان موته وموت خديجة متقاربين فدخوله فى الشعب كان فى أول الاسلام فانه قد ثبت أن ابن عباس ولد وهم فى الشعب ومات النبى صلى الله عليه وسـلم وابن عباس مراهق وعلى عاش بعد الهجرة أربعين سنة باتفاق النـاس والمبعث قبل ذلك بثلاث عشرة وأقصى ما قيل فى موته أنه كان ابن ثلاث وستين فغايته أن يكون حين الاسلام كان له عشر سنين

قلت ثبوت الانتقال وسلبه فرع قبوله قيل لك هذا التقسيم معلوم بالضرورة فى كل قائم بنفسـه كما ذكرت أنه معلوم بالضرورة فى كل ما سميته متحيزا وحيزه عدم محض فانه اذا لم يكن الا الانتقال وعـدم الانتقال فالانتقال هو الحـركة وعدمه هو السكون واذا قلت هـذان متقابلان تقابل العدم والملكة فلا بد من ثبوت القبول كان الجواب من وجوه أحدها أن يقال لك مثل هذا فيما سميته متحيزا الثانى أن يقال هـذا اصطلاح اصطلحتـه والا فكل ما ما ليس بمتحرك وهو قائم بنفسـه فهو ساكن كما أنه كل ما ليس بحى فهو ميت الثالث أن يقال هب أن الامر كذلك ولكن اذا اعتـبرنا الموجودات فما يقبل الحـركة أكمل مما لا يقبلها فاذا كان عدم الحـركة عما من شأنه أن يقبلها صفة نقص فكونه لا يقبل الحركة أعظم نقصا كما ذكرنا مثل ذلك فى الصفات ونقول رابعا الحـركة الاختيارية للشئ كمال له كالحياة ونحوها فاذا قدرنا ذاتين احداهما تتحـرك باختيارها والاخرى لا تتحرك أصلا كانت الاولى أكمل

* ويقـول الخصم رابعا قوله لم لا يجوز أن يكون متحـركا قولك الحـركة حادثة قلت حادثة النوع أو الشخص الاول ممنوع والثانى مسلم قولك ما لا يخلو عن الحوادث

(فصـــل) قال الرافضي الثالث أنه كان أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(والجـواب) أن أهل السـنة يمنعون ذلك ويقولون ما اتفق عليـه علماؤهم ان أعلم الناس بعد رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أبو بكر ثم عمر وقد ذكر غير واحـد الاجماع على أن أبا بكر أعلم الصحابة كلهم ودلائل ذلك مبسوطة فى موضعها فانه لم يكن أحـد يقضى و يخطب و يفـتى بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر رضى الله عنه ولم يشتبه على الناس شئ من أمر دينهم الا فصله أبو بكر فانهم شكوا فى موت النبى صـلى الله عليه وسلم فبينه أبو بكر ثم شكوا فى مدفنه فبينه ثم شكوا فى قتال مانعى الزكاة فبينـه أبو بكر وبين لهـم النص فى قوله تعـالى لتدخلن المسجد الحـرام ان شاء الله آمنين وبين لهم ان عبدا خـيره الله بين الدنيـا والآخرة ونحو ذلك وفسر الكلالة فلم يختلفوا عليـه وكان على وغـيره يروون عن أبى بكر كما فى السـنن عن على قال كنت اذا سمعت من النبى صـلى الله عليه وسـلم حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى منـه فاذا حدثنى غيره أستحلفه فاذا حلف لى صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ما من مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ و يصـلى ركعتين يستغفر الله تعالى الا غفر له ولم يحفظ لأبى بكر فتيا تخالف نصا وقد وجد لعمـر وعلى وغيرهما فتاوى كثيرة تخالف النصوص حتى جمع الشافعى مجلدا فى خلاف على وابن مسعود وجمع محمـد بن نصر المروزى كتابا كبيرا فى ذلك وقد خالفوا الصـديق فى الجد والصواب فى الجد قول الصديق كما قد بينا ذلك فى مصنف مفرد وذكرنا فيه عشرة وجوه تدل على صحة قوله وجمهور الصحابة معه فى الجد نحو بضـعة عشر منهم والذى نقل عنهم خلافه كزيد وابن مسعود اضطربت أقوالهم اضطرابا يبـين أن قوله هو الصواب دون قولهم وقد نقل غير واحد الاجماع على أن أبا بكر أعلم من على منهم الامام منصور ابن عبد الجبار السمعانى المروزى أحد أئمة الشافعية وذكر فى كتابه تقويم الادلة الاجماع من علماء السـنة أن أبا بكر أعلم من على كيف وأبو بكر كان بحضرة النبى صـلى الله عليه وسـلم يفتى و يأمر و ينهى و يخطب كما كان يفـعل ذلك اذا خرج النبى صـلى الله عليه وسـلم هو واياه يدعو الناس الى الاسـلام ولما هاجرا ويوم حنين وغـير ذلك من المشاهد وهو ساكت يقره ولم تكن هذه المرتبة لغيره وكان النبى صـلى الله عليه وسـلم فى مشاورته لاهل الفقه والرأى يقدم فى الشورى أبا بكر وعمـر فهـما اللذان يتكلمان فى العلم ويتقدمان بحضرته على سائر الصحابة مثـل مشاورته فى أسارى بدر وغير ذلك فانه قال اذا اتفقتما على أمر لم أخالفكما وفى السنن عنه انه قال اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمـر ولم يحصل هذا لغيرهما بل قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء فأمر بسنة الخلفاء الاربعة وخص أبا بكر وعمر بالاقتداء ومرتبة المقتدى به فى أفعاله وفيما سنه للمسلمين فوق مرتبة المتبع فيما سنه فقط وفى صحيح مسلم ان أصحاب محمد صـلى الله عليه وسـلم كانوا معه فى سـفر فذكر الحديث وفيه ان يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا وثبت عن ابن عباس أنه كان يفـتى بكتاب الله فان لم يجد فبما فى سـنة رسول الله فان لم يجد أفتى بقول أبى بكر وعمر ولم يكن يفعل ذلك بعثمان ولا بعلى وابن عباس هو حبر الأمة وأعلم الصحابة فى زمانه وهو يفتى بقول أبى بكر وعمر مقدما لهـما على قول غيرهما وقد ثبت عن النبى صـلى الله عليه وسـلم أنه قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وأبو بكر وعمر أكثر اختصاصا بالنبى صلى الله عليه وسـلم من سائر الصحابة وأبو بكر أكثر اختصاصا به فانه كان يسمر عنده عامة الليـل يحدثه فى العـلم والدين ومصالح المسلمين كما روى أبو بكر بن أبى شيبة حـدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش

فهو حادث ان أريد به ما لا يخلو عن نوعها فممنوع والثانى لا يضر وأنت لم تذكر حجة على حدوث نوع الحركة الا حجة واحدة وهو قولك الحادث لا يكون أزليا وهى ضـعيفة كما عرف اذ لفظ الحادث يراد به النوع ويراد به الشخص فاللفظ مجمل كما أن قول القائل الفانى لا يكـون باقيا لفظ مجمـل فان أراد به أن القائم بنفسه لا يكون باقيا فهو حق وان أراد به أن ما كان فانى الاعيان لا يكون نوعه باقيا فهو باطل فان نعيم الجنـــة دائم باق مع أن كل أكل وشرب ونكاح وغـير ذلك مـــن الحركات تفنى شيأ بعد شئ وان كان نوعه لا يفنى وأما قوله فى الوجـه الثانى ان اختصاصه بحـيزه إما أن يكون لذاته أو لمخصص من خارج فيقال أتعنى بالحـيز شيأ معينا موجودا أو شـيأ معينا سواء كان موجودا أو معدوما أو شيأ مطلقا فان عنيت الاول فالرب سبحانه لا يجب أن يكون متحيزا بهذا الاعتبار عند المنازع بل ولا عند طائفـة معروفة وان عنيت الثانى لم يسـلم المنازع كونه متحيزا بهذا الاعتبار وان عنيت الثالث فيقال لك حينئذ فليس اختصاصه بحـيز معين من لوازم ذاته بل هـو باختياره واذا كان يخصص بعض الاحياز بما شاء من مخلوقاته فتصرفه بنفســه أعظم من تصرفـه لمخلوقاته وأما قولك ليس هـو أولى من تخصيص

حدثنا ابراهيم حدثنا علقمة عن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمر في الامر عند أبي بكر من أمر المسلمين وأنا معه وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس وسادس وان أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم بعشرة وان أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صليت العشاء ثم رجع فلبث حتى نعس رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنا بعد ما مضى من الليل ماشاء الله قالت امرأته ماحبسك عن أضيافك قال أوما عشيتهم قالت أبوا حتى تجيء عرضوا عليهم العشاء فغلبوهم وذكر الحديث وفي رواية قال كان أبي يتحدث الى النبي صلى الله عليه وسلم من الليل وفي سفر الهجرة لم يصحب غير أبي ويوم بدر لم يبق معه في العريش غيره وقال ان أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وهذا من أصح الاحاديث الصحيحة المستفيضة في الصحاح من وجوه كثيرة وفي الصحيحين عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال انه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت اليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ واني أتيتك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر وغضب حتى أشفق أبو بكر وقال أنا كنت أظلم يارسول الله مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فهل أنتم تاركو لي صاحبي فما أوذي بعدها قال البخاري سبق بالخير وقد تقدم مافي الصحيحين أن أبا سفيان يوم أحد لم يسأل الا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر لعلمه وعلم سائر الناس أن هؤلاء هم رؤس الاسلام وأن قيامه بهم ولهذا لما سأل الرشيد مالك بن أنس عن منزلتهما من النبي صلى الله عليه وسلم فقال منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه في مماته فقال شفيتني يامالك شفيتني يامالك وكثرة الاختصاص والصحبة مع كمال المودة والاسلام والمحبة والمشاركة في العلم والدين تقتضي أنهما أحق بذلك من غيرهما وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم أما الصديق فانه مع قيامه بأمور من العلم والفقه عجز عنها عمر حتى بينها له لم يحفظ له قول يخالف فيه نصا وهذا يدل على غاية البراعة والعلم وأما غيره فحفظت له أقوال كثيرة خالفت النصوص لكون النصوص لم تبلغه والذي وجد لعمر من موافقة النصوص أكثر من موافقة علي يعرف هذا من عرف مسائل العلم وأقوال العلماء فيها والادلة الشرعية ومراتبها وذلك مثل عدة المتوفى عنها زوجها فان قول عمر فيها هو الذي وافق النص دون القول الآخر وكذلك مسئلة الحرام قول عمر وغيره فيها هو الأشبه بالنصوص من القول الآخر الذي هو قول علي وكذلك المخيرة التي خيرها زوجها والمفوضة للمهر ومسئلة الخلية والبرية والبائن والبتة وكثير من مسائل الفقه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت كأني أتيت بقدح لبن فشربت حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر قالوا ما أولته يارسول الله قال العلم وفي الترمذي وغيره عنه عليه الصلاة

والسلام

غيره من الجواهر به ضرورة المساواة في المعنى فكلام ساقط لوجوه أحدها أن الله يخص ماشاء من الاحياز بما شاء من الجواهر ولا يقال ليس هذا أولى من هذا فكيف يقال انه ليس أولى من بعض مخلوقاته بما هو قادر عليه مختار له والثاني أن يقال فما من جوهر الا وله حيز يختص به دون غيره من الجواهر سواء قيل انه حيزه الطبعي أولا فعلم أن مجرد الاشتراك في الجوهرية لا يستلزم الاشتراك في كل حيز الثالث ان كل جوهر مختص عن غيره بصفة تقوم به ومقدار يخصه مع اشتراكهما في الجوهرية فكيف لا يختص بحيزه الرابع أن الحيز ليس أمرا وجوديا وانما هو أمر عدمي والجواهر الموجودة لابد أن يكون لبعضها نسبة الى بعض بالعلو والسفول والتيامن والتياسر والملاقاة والمباينة ونحو ذلك وكل منها مختص من ذلك بما هو مختص به لا يشاركه فيه سائر الجواهر فكيف يجب أن يشارك المخلوق لخالقه الخامس أن هذا مبني على تماثل الجواهر وهو ممنوع بل هو مخالف للحس وسيأتي كلامه في ابطاله السادس أنا لو فرضنا الجواهر متماثلة فالمخصص لكل منها بما يختص به هو مشيئة الرب وقدرته واذا كان بقدرته ومشيئته يصرف مخلوقاته فكيف لا يتصرف هو بقدرته ومشيئته كما

والسلام أنه قال لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر ولفظ الترمذي لو كان بعدي نبي لكان عمر قال الترمذي حديث حسن وأيضا فان الصديق استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة التي هي عمود الاسلام وعلى اقامة المناسك قبل أن يحج النبي صلى الله عليه وسلم فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وأردفه بعلي فقال أمير أم مأمور فقال بل مأمور فأمر أبا بكر على علي فكان ممن أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمع و يطيع لأبي بكر وهذا بعد غزوة تبوك التي استخلف فيها عليا على المدينة وكتاب أبي بكر في الصدقات أصح الكتب وأخراها ولهذا عمل به عامة الفقهاء وغيره في كتابه ما هو متقدم منسوخ فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال كان أبو بكر أعلمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فالصحابة لم يتنازعوا في زمن أبي بكر في مسئلة الا فصلها وارتفع النزاع فلا يعلم بينهم في زمانه مسئلة تنازعوا فيها الا ارتفع النزاع بينهم بسببه كتنازعهم في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه وميراثه وتجهيزه جيش أسامة وقتال مانعي الزكاة وغير ذلك من المسائل الكبار بل كان رضي الله عنه هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حقا يعلمهم ويقومهم ويشجعهم ويبين لهم من الادلة ما تزول معه الشبهة فلم يكونوا معه يختلفون وبعده فلم يبلغ علم أحد وكماله علم أبي بكر وكماله فصاروا يتنازعون في بعض المسائل كما تنازعوا في الجد والاخوة وفي الحرام والطلاق الثلاث وفي متعة الحج ونفقة المبتوتة وسكناها وغير ذلك من المسائل المعروفة مما لم يكونوا يتنازعون فيه على عهد أبي بكر وكانوا يخالفون عمر وعثمان وعليا في كثير من أقوالهم ولم يعرف أنهم خالفوا الصديق في شيء مما كان يفتي به و يقضي وهذا يدل على غاية العلم وقام رضي الله عنه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام الاسلام فلم يخل بشيء بل أدخل الناس من الباب الذي خرجوا منه مع كثرة المخالفين من المرتدين وغيرهم وكثرة الخاذلين فكمل به من علمهم ودينهم ما لا يقاومه فيه أحد وكانوا يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انقطع هذا الاتصال اللفظي بموته قال أبو القاسم السهيلي ظهر سر قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا في اللفظ والمعنى فانهم قالوا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انقطع هذا بموته وأيضا فعلي تعلم من أبي بكر بعض السنة وأبو بكر لم يتعلم من علي شيأ ومما يبين هذا أن علماء الكوفة الذين صحبوا عمر وعليا كعلقمة والاسود وشريح وغيرهم كانوا يرجحون قول عمر على قول علي وأما تابعو المدينة ومكة والبصرة فهذا عندهم أظهر وأشهر من أن يذكر وانما ظهر علم علي وفقهه في الكوفة بحسب مقامه فيها عندهم مدة خلافته وكل شيعة علي الذين صحبوه لا يعرف عن أحد منهم أنه قدمه على أبي بكر وعمر لا في فقه ولا علم ولا دين بل كل شيعته الذين قاتلوا معه كانوا مع سائر المسلمين متفقين على تقديم أبي بكر وعمر الا من كان ينكر عليه ويذمه مع قلتهم وحقارتهم وخمولهم وهم ثلاث طوائف طائفة غلت فيه وادعت فيه الالهية وهؤلاء حرقهم بالنار وطائفة سبت أبا بكر رأسهم عبد الله بن سبا فطلب علي قتله حتى هرب منه الى المدائن وطائفة كانت تفضله حتى قال لا يبلغني عن أحد أنه فضلني على أبي بكر وعمر الا جلدته جلد المفتري وقد روي عن علي من نحو ثمانين وجها أنه قال على منبر الكوفة خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر وفي صحيح البخاري وغيره من رواية رجال همدان خاصته التي يقول فيهم

ولو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلي بسلام

أخبرت عنه رسله وكما أنزل بذلك كتبه حيث أخبر أنه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأمثال ذلك من النصوص وأما قوله ان كان غير متحيز لزم أن يكون كل جوهر غير متحيز فعنه جوابان أحدهما أن يقال له ولامثاله كالرازي والشهرستاني ونحوهما من المتأخرين الذين أثبتوا جواهر معقولة غير متحيزة موافقة للفلاسفة الدهرية أو قالوا انه لا دليل على نفي ذلك أنتم اذا ناظرتم الملاحدة المكذبين للرسل فادعوا اثبات جواهر غير متحيزة عجزتم عن دفعهم أو فرطتم فقلتم لا نعلم دليلا على نفيها أو قلتم باثباتها فاذا ناظرتم اخوانكم المسلمين الذين قالوا بمقتضى النصوص الالهية والطريقة السلفية وفطرة الله التي فطر عباده عليها والدلائل العقلية السليمة عن المعارض وقالوا ان الخالق تعالى فوق خلقه سعيتم في نفي لوازم هذا القول وموجباته وقلتم لا معنى للجوهر الا المتحيز بذاته فان كان هذا القول حقا فادفعوا به الفلاسفة الملاحدة وان كان باطلا فلا تعارضوا به المسلمين أما كونه يكون حقا اذا دفعتم ما يقوله اخوانكم المسلمون ويكون باطلا اذا عجزتم عن دفع الملاحدة في الدين فهذا طريق من بخس حظه من العقل والدين وحسن النظر والمناظرة عقلا

أنه قال وقد سأله ابنه محمد بن الحنفية يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قال ثم من قال عمر قال ثم أنت قال انما أبوك رجل من المسلمين قال البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان الثوري حدثنا جامع بن شداد حدثنا أبو يعلى منذر الثوري عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني أو ما تعرف فقلت لا فقال أبو بكر قلت ثم من قال ثم عمر وهذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه ولخاصته و يتقدم بعقوبة من يفضله عليهما ويراه مفتريا والمتواضع لا يجوز أن يتقدم بعقوبة من يفضله بقول الحق ولا يسميه مفتريا وكل من كان أفضل من غيره من الانبياء والصحابة وغيرهم فانه أعلم ورأس الفضائل العلم قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والدلائل على ذلك كثيرة وكلام العلماء كثير في ذلك وأما قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي والقضاء يستلزم العلم والدين فهذا الحديث لم يثبت وليس له اسناد تقوم به الحجة وقوله أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل أقوى اسنادا منه والعلم بالحلال والحرام ينتظم للقضاء أعظم مما ينتظم للحلال والحرام وهذا الثاني قد رواه الترمذي وأحمد والاول لم يرو في السنن المشهورة ولا المسانيد المعروفة لا باسناد صحيح ولا ضعيف وانما يروى من طريق ما هو معروف بالكذب وقول عمر علي أقضانا انما هو في فصل الخصومات في الظاهر مع جواز أن يكون في الباطن بخلافه كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فقد أخبر سيد القضاة أن قضاءه لا يحل الحرام وعلم الحلال والحرام يتناول الظاهر والباطن فكان الاعلم به أعلم بالدين وأيضا فالقضاء نوعان أحدهما الحكم عند تجاحد الخصمين مثل أن يدعي أحدهما أمرا ينكره الآخر فيحكم فيه بالبينة ونحوها والثاني ما لا يتجاحدان فيه بل يتصادقان لكن لا يعلمان ما يستحق كل منهما كتنازعهما في قسمة فريضة أو فيما يجب لكل من الزوجين على الآخر أو فيما يستحقه كل من المتشاركين ونحو ذلك فهذا الباب هو من باب الحلال والحرام فاذا أفتاهما من يرضيان بقوله كفاهما ولم يحتاجا الى من يحكم بينهما وانما يحتاجان الى الحاكم عند التجاحد وذلك غالبا انما يكون مع الفجور وقد يكون مع النسيان فالا يختص بالقضاء لا يحتاج اليه الا القليل من الابرار فأما الحلال والحرام فيحتاج اليه البر والفاجر ولهذا لما أمر أبو بكر عمر أن يقضي بين الناس مكث سنة لم يتحاكم اليه اثنان ولو عد مجموع ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم من هذا النوع لم يبلغ عشر حكومات فأين هذا من كلامه في الحلال والحرام الذي هو قوام دين الاسلام واذا كان قوله أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل أصح اسنادا وأعظم دلالة علم أن المحتج بذلك على أن عليا أعظم من معاذ جاهل فكيف من أبي بكر وعمر اللذين هما أعظم من معاذ مع أن الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد بعضهم يضعفه وبعضهم يحسنه والذي فيه ذكر علي فضعيف أو باطل وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها أضعف وأوهى ولهذا انما يعد في الموضوعات وان رواه الترمذي وذكره ابن الجوزي وبين أن سائر طرقه موضوعة والكذب يعرف من نفس متنه فان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان مدينة العلم ولم يكن لها الا باب واحد ولم يبلغ عنه العلم الا واحد فسد أمر الاسلام ولهذا اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلغ عنه العلم واحدا بل يجب أن يكون المبلغون أهل التواتر الذين يحصل العلم بخبرهم للغائب وخبر الواحد لا يفيد العلم بالقرآن

وشرعا (والجواب الثاني) أنك قلت في أول هذا الوجه اما أن تكون ذاته قابلة لأن يشار اليها أنها هاهنا أو هنالك أو لا تكون قابلة ثم قلت فان كان الاول فيكون متحيزا فكان حقك أن تقول وان لم تكن ذاته قابلة للاشارة اليه لزم في كل جوهر أن لا يكون مشارا اليه وأن لا يكون متحيزا واذا قلت ذلك قيل لك اثبات هؤلاء جوهرا لا يشار اليه هو قول المتفلسفة الذين يثبتون جواهر لا يشار اليها وقول النصارى الذين ينفون العلو وحينئذ فيقولون لا نسلم أن كل جوهر فانه يجب أن يشار اليه وأنت قد اعترفت في بحثك مع الفلاسفة بهذا وهذا القول وان كان باطلا لكن المقصود تبيين ضعف حجج هؤلاء النفاة نفيا يستلزم نفي الصفات ويقال لك اثبات جوهر لا يشار اليه كاثبات قائم بنفسه لا يشار اليه وان قال أنا ذكرت هذا النفي كونه جوهرا كالجواهر فيقال من قال هذا يقول هو جوهر كالجواهر التي يدعي اثباتها من يقول باثبات الجواهر العقلية المجردة فانه هو جوهر كالجواهر العقلية المجردة فمن نفى هذه الجواهر أبطل قولهم والا فلا (قال الآمدي) الخامس أنه لو كان جوهرا كالجواهر لما كان مفيدا لوجود غيره من الجواهر

والسنن المتواترة واذا قالوا ذلك الواحد المعصوم يحصل العلم بخبره قيل لهم فلا بد من العلم بعصمته أولا وعصمته لا تثبت بمجرد خبره قبل أن تعرف عصمته لانه دور ولا تثبت بالاجماع فانه لا اجماع فيها وعند الامامية انما يكون الاجماع حجة لان فيهم الامام المعصوم فيعود الامر الى اثبات عصمته بمجرد دعواه فعلم أن عصمته لو كانت حقا لا بد أن تعلم بطريق آخر غير خبره فلو لم يكن لمدينة العلم باب إلا هو لم يثبت لا عصمته ولا غير ذلك من أمور الدين فعلم أن هذا الحديث انما افتراه زنديق جاهل ظنه مدحا وهو يطرق الزنادقة الى القدح فى دين الاسلام اذ لم يبلغه الا واحد ثم ان هذا خلاف المعلوم بالتواتر فان جميع مدائن الاسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير على أما أهل المدينة ومكة فالامر فيهما ظاهر وكذلك الشأم والبصرة فان هؤلاء لم يكونوا يروون عن على الاشيأ قليلا وانما كان غالب علمه فى الكوفة ومع هذا فأهل الكوفة كانوا يعلمون القرآن والسنة قبل أن يتولى عثمان فضلا عن على وفقهاء أهل المدينة تعلموا الدين فى خلافة عمر وتعليم معاذ لاهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من على ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مما رووا عن على وشريح وغيره من أكابر التابعين انما تفقهوا على معاذ بن جبل ولما قدم على الكوفة كان شريح فيها قاضيا وهو وعبيدة السلمانى تفقها على غيره فانتشر علم الاسلام فى المدائن قبل أن يقدم على الكوفة وقال ابن حزم واحتج من احتج من الرافضة بأن عليا كان أكثرهم علما قال وهذا كذب وانما يعرف علم الصحابى بأحد وجهين لا ثالث لهما أحدهما كثرة روايته وفتاويه والثانى كثرة استعمال النبى صلى الله عليه وسلم له فمن المحال الباطل أن يستعمل النبى صلى الله عليه وسلم من لا علم له وهذا أكبر شهادة على العلم وسعته فنظرنا فى ذلك فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا بكر الصلاة بحضرته طول علته وجميع أكابر الصحابة حضور كعمر وعلى وابن مسعود وأبى وغيرهم وهذا بخلاف استخلافه عليا اذا غزا لأن ذلك على النساء وذوى الاعذار فقط فوجب ضرورة أن يكون أبو بكر أعلم الناس بالصلاة وشرائعها وأعلم المذكورين بها وهى عمود الاسلام ووجدناه أيضا قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن يكون عنده من علم الصدقات كالذى عند غيره من علماء الصحابة لا أقل وربما كان أكثر اذ قد استعمل غيره وهو لا يستعمل الا عالما بما استعمله فيه والزكاة ركن من أركان الدين بعد الصلاة وبرهان ما قلناه من تمام علم أبى بكر بالصدقات أن الاخبار الواردة فى الزكاة أصحها والذى يلزم العمل به فلا يجوز خلافه فهو حديث أبى بكر ثم الذى من طريق عمر وأما الذى من طريق على فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة وهو ان فى خمس وعشرين من الابل خمسا من الشياه وأيضا فوجدناه صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج فصح ضرورة أنه أعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعائم الاسلام ثم وجدناه قد استعمله على البعوث فصح أن عنده من أحكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على البعوث اذ لا يستعمل الا عالما بالعمل فعند أبى بكر من علم الجهاد كالذى عند على وسائر أمراء البعوث لا أقل واذا صح التقدم لابى بكر على على وغيره فى العلم والصلاة والزكاة والحج وساواه فى الجهاد فهذه عمدة للعلم ثم وجدناه صلى الله عليه وسلم قد ألزم نفسه فى جلوسه ومسامرته وظعنه واقامته أبا بكر فشهد أحكامه وفتاويه أكثر من مشاهدة على لها فصح ضرورة أنه أعلم بها فهل بقيت بقية من العلم إلا وأبو بكر المقدم فيها الذى لا يلحق أو المشارك الذى لا يسبق فبطلت دعواهم فى العلم والحمد لله رب العالمين وأما الرواية والفتيا فان أبا بكر رضى الله عنه

فانه لا أولوية لبعض الجواهر بالعلية دون بعض ويلزم من ذلك أن لا يكون شئ من الجواهر معلولا أو يكون كل جوهر معلولا للآخر والكل محال فان قيل الجواهر وان تماثلت فى الجوهرية الا أنها متمايزة ومتغايرة بأمور موجبة لتعين كل واحد منها عن الآخر وعند ذلك فلا مانع من اختصاص بعضها بأمور وأحكام لا وجود لها فى البعض الآخر ويكون ذلك باعتبار ما به التعين لا باعتبار ما به الاشتراك فنقول والكلام فى اختصاص كل واحد بما به التعين كالكلام فى الاول فهو تسلسل ممتنع فلم يبق الا أن يكون اختصاص كل واحد من المتماثلات بما اختص به لمخصص من خارج وذلك على الله محال * قلت لقائل أن يقول قوله لو كان جوهرا كالجواهر ان عنى به أنه لو كان جوهرا مماثلا للجواهر فيما يجب ويجوز ويمتنع لم ينفعه هذا لوجوه أحدها أن هذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول لما فيه من الجمع بين النقيضين كما تقدم الثانى أنه اذا كان يقتضى هذا انه يماثل كل جوهر فيما يجب ويجوز ويمتنع لم يلزم انتفاء مشابهته له من بعض الوجوه فان نفى التماثل فى مجموع هذه الامور يكون بانتفاء التماثل فى واحد من أفرادها فاذا قدر أنه خالف غيره فى فرد من افراد هذه

لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سنتين وستة أشهر ولم يفارق المدينة الا حاجا أو معتمرا ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل من حواليه أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين حديثا مسندة ولم يرو عن على الا خمسمائة وستة وثمانون حديثا مسندة يصح منها نحو خمسين حديثا وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيد من ثلاثين سنة فكثر لقاء الناس اياه وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة وكثرة سماع أهل الآفاق منه مرة بصفين وأعواما بالكوفة ومرة بالبصرة ومرة بالمدينة فاذا نسبنا مدة أبى بكر من حياته وأضفنا تقرى على البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه الى لزوم أبى بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حواليه الى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديثه من عدد حديثه وفتاويه من فتاويه علم كل ذى حظ من علم أن الذى عند أبى بكر من العلم أضعاف ما كان عند على منه وبرهان ذلك أن من عمر من الصحابة عمرا قليلا قل النقل عنه ومن طال عمره منهم كثر النقل عنه (١) ممن اكتفى ببيانه غيره عنه فى تعليم الناس وقد عاش على بعد عمر سبعة عشر عاما غير أشهر ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا يصح منها نحو خمسين كالذى عن على سواء فكل ما زاد حديث على على حديث عمر تسعة وأربعون حديثا فى هذه المدة ولم يزد عليه فى الصحيح الا حديث أو حديثان وفتاوى عمر موازية لفتاوى على فى أبواب الفقه فاذا نسبنا مدة من مدة وضربا فى البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثا الى حديث وفتاوى الى فتاوى علم ذلك ذا حس علما ضرورياً أن الذى كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند على ووجدنا مسند عائشة ألفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد وحديث أبى هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند وأربعة وأربعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وأنس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر وابن عباس لكل منهما أزيد من ألف وخمسمائة ووجدنا لابن مسعود ثمانمائة مسند ونيفا ولكل من ذكرنا حاشا أبى هريرة وأنس من الفتاوى أكثر من فتاوى على ونحوها فبطل قول هذا الجاهل الى أن قال (٢) فان قالوا قد استعمل النبى صلى الله عليه وسلم أقوى فى العلم وأثبت مما عند على وهو باليمن وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على بعوث فيها الاخماس فقد ساوى علمه علم على فى حكمها بلا شك اذ لا يستعمل النبى صلى الله عليه وسلم الا عالما بما يستعمله عليه وقد صح أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا يفتيان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم ذلك ومحال أن يبيح لهما ذلك الا وهما أعلم من غيرهما وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا على القضاء باليمن مع على معاذا وأبا موسى الاشعرى فلعلى فى هذا شركاء كثير منهم أبو بكر وعمر ثم انفرد أبو بكر بالجمهور والاغلب من العلم

(فصل) قال الرافضى وفيه نزل قوله تعالى وتعيها أذن واعية

(والجواب) أنه حديث موضوع باتفاق أهل العلم ومعلوم بالاضطرار أن الله تعالى لم يرد بذلك أن لا تعيها الا أذن واعية واحدة من الآذان ولا أذن شخص معين لكن المقصود النوع فيدخل فى ذلك كل أذن واعية والله أعلم

(فصل) قال الرافضى وكان فى غاية الذكاء شديد الحرص على التعلم ولازم

الامور لم يكن مثله فى مجموعها ولكن ذلك لا ينفى مماثلته فى فرد آخر وحينئذ فلا يكون قول القائل هو جوهر لا كالجواهر صحيحا ولا يكون النزاع معه فى اللفظ بل لابد أن ينفى عنه مماثلة المخلوقات فى كل ما هو من خصائصها (الثالث) أنه على هذا التقدير يكون مشابها لها من وجه مخالفا من وجه وليس فى كلامه ما يبطل ذلك بل قد صرح فى غير هذا الموضع بان هذا هو الحق فقال فى مسئلة حدوث الاجسام لما ذكر حجة القائلين بالقدم قال الوجه العاشر انه لو كان العالم محدثا فمحدثه إما أن يكون مساويا له من كل وجه أو مخالفا له من كل وجه فان كان الاول فهو حادث والكلام فيه كالكلام فى الاول ويلزم التسلسل الممتنع. وان كان الثانى فالمحدث ليس بموجود والا لما كان مخالفا له من كل وجه وهو خلاف الفرض واذا لم يكن موجودا امتنع أن يكون

(١) قوله ممن اكتفى ببيانه غيره عنه فى تعليم الناس كذا فى النسخة وليس مرتبطا بما قبله فحرره

(٢) قوله فان قالوا قد استعمل الى قوله فقد ساوى كذا فى الاصل وهو غير مستقيم ولعل فيه سقطا من الناسخ وحرر كتبه مصححه

رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أكمل الناس ملازمة ليلا ونهارا من صغره الى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(والجواب) أن يقال من أين علم أنه أذكى من عمر ومن أبي بكر أو أنه كان أرغب في العلم منهما أو أن استفادته من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر منهما وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر والمحدث الملهم يلهمه الله وهذا قدر زائد على تعليم البشر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت كأني أتيت بلبن فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر قالوا فما أولته قال العلم ولم ير ومثل هذا العلي وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين فهذان حديثان صحيحان يشهدان له بالعلم والدين ولم ير ومثل هذا العلي وقال ابن مسعود لما مات عمر إني لأحسب هذا قد ذهب بتسعة أعشار العلم وشارك الناس في العشر الباقي ولا ريب أن أبا بكر كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر من علي ومن كل أحد وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أكثر اجتماعا بالنبي صلى الله عليه وسلم من علي بكثير كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع فلم يرعني الا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت اليه فاذا هو علي وترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الي أن ألقى الله عز وجل بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر فان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسمران في أمر المسلمين بالليل والمسائل التي تنازع فيها عمر وعلي في الغالب يكون فيها قول عمر أرجح كمسئلة الحامل المتوفى عنها زوجها ومسئلة الحرام كما تقدم ولا ريب أن مذهب أهل المدينة أرجح من مذهب أهل العراق وهؤلاء يتبعون عمر وزيدا في الغالب وأولئك يتبعون عليا وابن مسعود وكان ما يقوله عمر يشاور فيه عثمان وعليا وغيرهما وعلي مع هؤلاء أقوى من علي وحده كما قال له قاضيه عبيدة السلماني رأيك مع عمر في الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك في الفرقة وقال ابن مسعود كان عمر اذا فتح لنا بابا دخلناه فوجدناه سهلا أتي في زوج وأبوين وامرأة وأبوين فقال للأم ثلث الباقي ثم ان عثمان وعليا وابن مسعود وزيدا اتبعوه وسعيد بن المسيب كان من أعلم التابعين باتفاق المسلمين وكان عمدة فقهه قضايا عمر وكان ابن عمر يسأله عنها وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كان بعدي نبي لكان عمر قال الترمذي حديث حسن واعلم أن أهل الكوفة وأصحاب ابن مسعود كعلقمة والاسود وشريح والحرث بن قيس وعبيدة السلماني ومسروق وزر بن حبيش وأبي وائل وغيرهم هؤلاء كانوا يفضلون علم عمر وعلم ابن مسعود على علم علي ويقصدون في الغالب قول عمر وابن مسعود دون قول علي والله تعالى أعلم

(فصل) قال الرافضي وقال صلى الله عليه وسلم العلم في الصغر كالنقش في الحجر فتكون علومه أكثر من علوم غيره لحصول القابل الكلي والفاعل التام

(والجواب) أن هذا من عدم علم الرافضي بالحديث فان هذا مثل سائر ليس من كلام النبي

موجبا للوجود كما سبق وان كان الثالث فمن جهة ما هو مماثل للحادث يجب أن يكون حادثا والكلام فيه كالاول وهو تسلسل محال وهذه المحالات انما لزمت من القول بحدوث العالم فلا حدوث ثم قال في الجواب وأما الشبهة العاشرة فالمختار من أقسامها انما هو القسم الاخير ولا يلزم من كون القديم مماثلا للحوادث من وجه أن يكون مماثلا للحادث من جهة كونه حادثا بل لا مانع من الاختلاف بينهما في صفة القدم والحدوث وان تماثلا بأمر آخر وهذا كما أن السواد والبياض مختلفان من وجه دون وجه لاستحالة اختلافهما من كل وجه والا لما اشتركا في العرضية واللونية والحدوث واستحالة تماثلهما من كل وجه والا كان السواد بياضا ومع ذلك فلا يلزم من مماثلة السواد للبياض من وجه أن يكون مماثلا له في صفة البياضية وان عنى به أنه لو كان جوهرا مماثلا في مسمى الجوهرية فهذا مثل أن يقال لو كان حيا مماثلا للاحياء في مسمى الحية أو عالما مماثلا للعلماء في مسمى العالمية أو قادرا مماثلا للقادرين في

صلى الله عليه وسلم وأصحابه أيدهم الله تعالى فتعلموا الايمان والقرآن والسنن و يسر الله ذلك عليهم وكذلك على فان القرآن لم يكمل حتى صار لعلي نحو من ثلاثين سنة فانما حفظ أكثر ذلك فى كبره لا فى صغره وقد اختلف فى حفظه لجميع القرآن على قولين والانبياء أعلم الخلق ولم يبعث الله نبيا الا بعد أربعين الا عيسى صلى الله عليه وسلم وتعليم النبي صلى الله عليه وسلم كان مطلقا لم يكن يخص به أحدا ولكن بحسب استعداد الطالب ولهذا حفظ عنه أبو هريرة فى ثلاث سنين وبعض أخرى مالم يحفظه غيره وكان اجتماع أبى بكر به أكثر من سائر الصحابة

وأما قوله ان الناس منه استفادوا العلوم فهذا باطل فان أهل الكوفة التى كانت داره كانوا قد تعلموا الايمان والقرآن وتفسيره والفقه والسنة من ابن مسعود وغيره قبل أن يقدم على الكوفة واذا قيل ان أبا عبد الرحمن قرأ عليه فمعناه عرض عليه والا فأبو عبد الرحمن قد حفظ القرآن قبل أن يقدم على الكوفة وهو وغيره من علماء الكوفة مثل علقمة والاسود والحرث التيمي وزر بن حبيش الذى قرأ عليه عاصم بن أبى النجود أخذوا القرآن عن ابن مسعود وكانوا يذهبون الى المدينة فيأخذون عن عمر وعائشة ولم يأخذوا عن على كما أخذوا عن عمر وعائشة وشريح قاضيه انما تفقه على معاذ بن جبل باليمن وكان يناظره فى الفقه ولا يقلده وكذلك عبيدة السلماني كان لا يقلده بل يقول له رأيك مع عمر فى الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك فى الفرقة وأما أهل المدينة ومكة فعلمهم أيضا ليس مأخوذا عنه وكذلك أهل الشأم والبصرة فهذه الامصار الخمسة الحجازان والعراقان والشام هى التى خرج منها علوم النبوة من العلوم الايمانية والقرآنية والشرعية وما أخذ هؤلاء عنه فان عمر رضى الله عنه كان قد أرسل الى كل مصر من يعلمهم القرآن والسنة وأرسل الى أهل الشام معاذ بن جبل وعبادة ابن الصامت وغيرهما وأرسل الى العراق ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وغيرهما

((فصل)) قال الرافضى وأما النحو فهو واضعه قال لابى الاسود الكلام كله ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف وعلمه وجوه الاعراب

(والجواب) أن يقال أولا هذا ليس من علوم النبوة وانما هو علم مستنبط وهو وسيلة فى حفظ قوانين اللسان الذى نزل به القرآن ولم يكن فى زمن الخلفاء الثلاثة نحو فلم يحتج اليه فلما سكن على الكوفة وبها الانباط روى أنه قال لابى الاسود الدؤلى الكلام اسم وفعل وحرف وقال انح هذا النحو ففعل هذا للحاجة كما أن من بعد على أيضا استخرج للخط النقط والشكل وعلامة المد والشد ونحو ذلك للحاجة ثم بعد ذلك بسط النحو نحاة الكوفة والبصرة والخليل استخرج علم العروض

((فصل)) قال الرافضى وفى الفقه الفقهاء يرجعون اليه

(والجواب) أن هذا كذب بين فليس فى الائمة الاربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع اليه فى فقهه أما مالك فان علمه عن أهل المدينة وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول على بل أخذوا فقههم عن الفقهاء السبعة عن زيد وعمر وابن عمر ونحوهم أما الشافعى فانه تفقه أولا على المكيين أصحاب ابن جريج كسعيد بن سالم القداح ومسلم بن خالد الزنجي وابن جريج أخذ ذلك عن أصحاب ابن عباس كعطاء وغيره وابن عباس كان مجتهدا مستقلا وكان اذا أفتى بقول الصحابة أفتى بقول أبى بكر وعمر لا بقول على وكان ينكر على على أشياء ثم ان الشافعى

مسمى القادر به أو موجودا مماثلا للموجودات فى مسمى الموجودية وحينئذ فموافقته فى ذلك لا تستلزم أن يكون مماثلا لها فيما يجب ويجوز ويمتنع الا أن تكون الجواهر كلها كذلك ومعلوم أن من يقول هو جوهر لا يقول ان الجواهر متماثلة بل يقول انه مخالف لغيره بل جمهور العقلاء يقولون ان الجواهر مختلفة فى الحقائق وحينئذ فتبقى هذه الوجوه موقوفة على القول بتماثل الجواهر والمنازع يمنع ذلك بل ربما قال العلم باختلافها ضرورى ودعوى تماثلها مخالف للحس والعلم الضرورى فانا نعلم أن حقيقة الماء مخالفة لحقيقة النار وأن حقيقة الذهب مخالفة لحقيقة الخبز وأن حقيقة الدم مخالفة لحقيقة التراب وأمثال ذلك وأن اشتركا كما فى كونهما جوهرين * هو اشتركا كما فى كونهما قائمين بأنفسهما أو متحيزين أو قابلين للصفات وهذا اشتراك فى بعض صفاتهما لا فى الحقيقة الموصوفة بتلك الصفات * الثالث أنه ان أراد بقوله انه جوهر كالجواهر أنه مماثل لكل جوهر فى حقيقته و يجوز عليه ما يجوز على كل جوهر فهذا لا يقوله عاقل وانما أراد المنازع أنه اما قائم بنفسه واما متحيز واما نحو ذلك من المعانى التى يقول ان الاشتراك فيه كالاشتراك فى كون

أخذ عن مالك ثم كتب كتب أهل العراق وأخذ مذهب أهل الحديث واختار لنفسه وأما أبو حنيفة فشيخه الذى اختص به حماد بن أبى سليمان وحماد عن ابراهيم وابراهيم عن علقمة وعلقمة عن ابن مسعود وقد أخذ أبو حنيفة عن عطاء وغيره وأما الامام أحمد فكان على مذهب أهل الحديث أخذ عن ابن عيينة وابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن عمر وأخذ عن هشام بن بشير وهشام عن أصحاب الحسن وابراهيم النخعى وأخذ عن عبد الرحمن بن مهدى ووكيع بن الجراح وأمثالهما وجالس الشافعى وأخذ عن أبى يوسف واختار لنفسه قولا وكذلك اسحق بن راهويه وأبو عبيد ونحوهم والأوزاعى والليث أكثر فقههما عن أهل المدينة وأمثالهم لا عن الكوفيين

(فصل) قال الرافضى أما المالكية فأخذوا علمهم عنه وعن أولاده

(والجواب) أن هذا كذب ظاهر فهذا موطأ مالك ليس فيه عنه ولا عن أولاده الا قليل جدا وجمهور ما فيه عن غيرهم فيه عن جعفر تسعة أحاديث ولم يرو مالك عن أحد من ذريته الا عن جعفر وكذلك الاحاديث التى فى الصحاح والسنن والمسانيد منها قليل عن ولده وجمهور ما فيها عن غيرهم

(فصل) قال الرافضى وأما أبو حنيفة فقرأ على الصادق

(والجواب) أن هذا من الكذب الذى يعرفه من له أدنى علم فان أبا حنيفة من أقران جعفر الصادق توفى الصادق سنة ثمان وأربعين وتوفى أبو حنيفة سنة خمسين ومائة وكان أبو حنيفة يفتى فى حياة أبى جعفر والد الصادق وما يعرف أن أبا حنيفة أخذ عن جعفر الصادق ولا عن أبيه مسئلة واحدة بل أخذ عمن كان أسن منهما كعطاء بن أبى رباح وشيخه الاصلى حماد بن أبى سليمان وجعفر بن محمد كان بالمدينة والله تعالى أعلم

(فصل) قال الرافضى وأما الشافعى فقرأ على محمد بن الحسن

(والجواب) أن هذا ليس كذلك بل جالسه وعرف طريقته وناظره وأول من أظهر الخلاف لمحمد بن الحسن ورد عليه الشافعى فان محمد بن الحسن أظهر الرد على مالك وأهل المدينة وهو أول من عرف عنه رد على مخالفه فنظر الشافعى فى كلامه وانتصر لما تبين له أنه الحق من قول أهل المدينة وكان انتصاره فى الغالب لمذهب أهل الحجاز وأهل الحديث ثم ان عيسى بن أبان صنف كتابا تعرض فيه بالرد على الشافعى فصنف ابن سريج كتابا فى الرد على عيسى بن أبان وكذلك أحمد بن حنبل لم يقرأ على الشافعى لكن جالسه كما جالس الشافعى محمد بن الحسن واستفاد كل منهما من صاحبه وكان الشافعى وأحمد يتفقان فى أصولهما أكثر من اتفاق الشافعى ومحمد بن الحسن وكان الشافعى أسن من أحمد ببضع عشرة سنة وكان الشافعى قدم بغداد أولا سنة بضع وثمانين فى حياة محمد بن الحسن بعد موت أبى يوسف ثم قدمها ثانية سنة بضع وتسعين وفى هذه القدمة اجتمع به أحمد وبالجملة فهؤلاء الائمة الاربعة ليس فيهم من أخذ عن جعفر شيأ من قواعد الفقه لكن رووا عنه أحاديث كما رووا عن غيره وأحاديث غيره أضعاف أحاديثه وليس بين حديث الزهرى وحديثه نسبة لا فى القوة ولا فى الكثرة وقد استراب البخارى فى بعض حديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام فلم يخرج له ولم يكذب على أحد ما كذب على جعفر الصادق مع براءته كما كذب عليه فنسب اليه علم البطاقة والهفت والجدول واختلاج الاعضاء

كل منهما حيا عالما قائما بنفسه ونحو ذلك فيبقى النزاع فى أن مسمى الجوهر عند هؤلاء يقتضى تماثل أفراده وهؤلاء يقولون لا بل هو اسم لما تختلف أفراده وفى أن هؤلاء يقولون الاشتراك فى التحيز الاصطلاحى يقتضى التماثل فى الحقيقة وهؤلاء ينفون ذلك ومعلوم عند التحقيق أن قول النفاة للتماثل هو الحق كما قد بسط فى موضعه وهؤلاء يقولون قولنا جوهر كقولكم ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك فتبين أن ما ذكره من الدليل على نفى الجوهر هو دليل على نفى ما اتفقت الطوائف على نفيه فان أحدا من العقلاء لا يقول انه جوهر بمعنى مماثلته لكل قائم بنفسه فيما يجب ويجوز ويمتنع وما قاله المثبتة منه ما سلم لهم معناه ومنه ما لا حجة له على نفيه الا حجته على نفى الجسم وحينئذ فيكون الكلام فى نفى الجوهر مفرعا على الكلام فى نفى الجسم وقوله ان الوجوه الاربعة التى نفى بها الجوهر تنفى الجسم لا يستقيم فانه انما نفى بها الجوهر بمعنى انه مماثل لغيره فيما يجب ويجوز ويمتنع وهذا مما يسلمه له من يقول انه جوهر وجسم فاقامة الدليل عليه نصب للدليل فى غير محل النزاع لم ينف بها الجوهر بالمعنى الذى يثبته من قاله وحرف المسئلة ان كلامه مبنى على تماثل الجواهر ومن يقول ذلك لا يقول

ومنافع القرآن والكلام على الحوادث وأنواع من الاشارات فى تفسير القرآن وتفسير قراءة السورة فى المنام وكل ذلك كذب عليه وأيضا فجعفر الصادق أخذ عن أبيه وعن غيره كما قدمنا وكذلك أبوه أخذ عن على بن الحسين وغيره وكذلك على بن الحسين أخذ العلم عن غير الحسين أكثر مما أخذ عن الحسين فان الحسين قتل سنة احدى وستين وعلى صغير فلما رجع الى المدينة أخذ عن علماء أهل المدينة فان على بن الحسين أخذ عن أمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة وصفية وأخذ عن ابن عباس والمسور بن مخرمة وأبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم ومروان بن الحكم وسعيد بن المسيب وغيرهم وكذلك الحسن كان يأخذ عن أبيه وغيره حتى أخذ عن التابعين وهذا من علمه ودينه رضى الله عنه وأما ثناء العلماء على على بن الحسين ومناقبه فكثيرة وقال الزهرى لم أدرك بالمدينة أفضل من على بن الحسين وقال يحيى بن سعيد الانصارى هو أفضل هاشمى رأيته بالمدينة وقال حماد بن زيد سمعت على بن الحسين وكان أفضل هاشمى أدركته يقول أيها الناس أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا ذكره محمد بن سعد فى الطبقات أنبأنا عارم بن الفضل أنبأنا حماد ثم قال ابن سعد قالوا وكان على بن الحسين ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا وروى عن شيبة بن نعامة قال كان على بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يعول أهل مائة بيت بالمدينة فى السر

(فصل) قال الرافضى ومالك قرأ على ربيعة وربيعة على عكرمة وعكرمة على ابن عباس وابن عباس تلميذ على

(والجواب) أن هذا من الكذب فان ربيعة لم يأخذ عن عكرمة شيأ بل ولا ذكر مالك فى كتبه الأثر أو أثرين ولا ذكر اسم عكرمة فى كتبه أصلا لانه بلغه عن ابن عمر وابن المسيب أنهما تكلما فيه فترك ذلك وكذلك لم يخرج له مسلم ولكن ربيعة أخذ عن سعيد بن المسيب وأمثاله من فقهاء أهل المدينة وسعيد كان يرجع علمه الى عمر وكان قد أخذ عن زيد بن ثابت وأبى هريرة وتتبع قضايا عمر من أصحابه وكان ابن عمر يسأله عنها ولهذا يقال إن موطأ مالك أخذت أصوله عن ربيعة عن سعيد بن المسيب عن عمر وقال الرشيد لمالك قد أكثرت فى موطئك عن ابن عمر وأقللت عن ابن عباس فقال كان أورع الرجلين يا أمير المؤمنين فهذا موطأ مالك يبين أن ما ذكره عن مالك من أظهر الكذب وقوله ابن عباس تلميذ على كلام باطل فان رواية ابن عباس عن على قليلة وغالب أخذه عن عمر وزيد بن ثابت وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة وكان يفتى بقول أبى بكر وعمر ونازع عليا فى مسائل مثل ما أخرج البخارى فى صحيحه قال أتى على بقوم زنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال أما لو كنت لم أحرقهم لنهى رسول صلى الله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فبلغ ذلك عليا فقال ويح ابن عباس ما أسقطه على الهنات

(فصل) قال الرافضى وأما علم الكلام فهو أصله ومن خطبه تعلم الناس وكان الناس تلاميذه

(والجواب) أن هذا الكلام كذب لامدح فيه فان الكلام المخالف للكتاب والسنة باطل وقد نزه الله عليا عنه ولم يكن فى الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الاجسام ويثبت حدوث الاجسام بدليل الاعراض والحركة والسكون والاجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه ومالا يسبق الحوادث فهو حادث ويبنى ذلك على حوادث لا أول لها بل أول ما ظهر هذا

انه جوهر ولا جسم فالكلام فى هذا الباب فرع على تلك المسئلة ولو كان هذا صحيحا لكان العلم بحدوث الاجسام وامكانها من أسهل الامور فان بعضها محدث بالمشاهدة والمحدث ممكن فاذا كانت متماثلة جاز على كل واحد منها ما جاز على الآخر فيلزم اما حدوثها واما امكان حدوثها وعلى التقديرين يحصل المقصود والنافى لتماثلها لا يقول السؤال الذى أورده انها متماثلة فى الجوهرية لكنها متمايزة ومتغايرة بأمور موجبة للتعيين هو الموجب للاختصاص بل يقول انها مختلفة بحقائقها وأنفسها لكنها تشابهت فى كونها قائمة بانفسها أو كونها متحيزة قابلة للصفات وهذا معنى اتفاقها فى الجوهرية كما ذكره هو فى الاعتراض على دليل القائلين بتماثلها ويقول أيضا ان الامور المتماثلة من كل وجه لا يجوز تخصيص أحدها بما يتميز به عن الآخر الا لمخصص والا لزم ترجيح أحد المثلين على الآخر بلا مرجح ومشيئة الله تعالى ترجح أحد الامرين لحكمة تقتضى ذلك وتلك الحكمة مقصودة لنفسها والا فنسبة الارادة الى المتماثلين سواء وتلك الحكمة المرادة تنتهى الى حكمة تراد لنفسها كما بسط فى موضعه وأيضا فان قول القائل ان هذه الجواهر المشهودة متماثلة

الكلام في الاسلام بعد المائة الاولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ثم صار الى أصحاب عمرو بن عبيد كأبي الهذيل العلاف وأمثاله وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام في انفاذ الوعيد وأن النار لا يخرج منها من دخلها وفي التكذيب بالقدر وهذا كله مما نزه الله عنه عليا وليس في الخطب الثابتة عن علي شيء من أصول المعتزلة الخمسة بل كل ذلك اذا نقل عنه فهو كذب عليه وقدماء المعتزلة لم يكونوا يعظمون عليا بل كان فيهم من يشك في عدالته ويقول قد فسق عندي احدى الطائفتين لا بعينها إما علي وإما طلحة والزبير فاذا شهد أحدهما لم أقبل شهادته وفي قبول شهادة علي منفردة قولان لهم وهذا معروف عن عمرو بن عبيد وأمثاله من المعتزلة والشيعة القدماء كلهم كالهاشميين وغيرهما يثبتون الصفات ويقرون بالقدر على خلاف قول متأخري الشيعة بل يصرحون بالتجسيم ويحكي عنهم فيه شناعات وهم يدعون أنهم أخذوا ذلك عن أهل البيت وقد ثبت عن جعفر الصادق أنه سئل عن القرآن أخالق هو أم مخلوق فقال ليس بخالق ولا مخلوق لكنه كلام الله وأما قول الرافضي ان واصل بن عطاء أخذ عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية فيقال ان محمد بن الحنفية قد وضع كتابا في الارجاء نقيض قول المعتزلة ذكر هذا غير واحد من أهل العلم وهذا يناقض مذهب المعتزلة الذي يقول به واصل بن عطاء ويقال انه أخذه عن أبي هاشم وقيل ان أبا هاشم هذا صنف كتابا أنكر عليه لم يوافقه عليه أخوه ولا أهل بيته ولا أخذه عن أبيه وبكل حال الكتاب الذي نسب الى الحسن يناقض ما ينسب الى أبي هاشم وكلاهما قد قيل انه رجع عن ذلك ويمتنع أن يكونا أخذا هذين المتناقضين عن أبيهما محمد بن الحنفية وليس نسبة أحدهما الى محمد باولى من الآخر فبطل القطع بكون محمد بن الحنفية كان يقول بهذا أو بهذا بل المقطوع عنه أن محمدا مع براءته من قول المرجئة فهو من قول المعتزلة أعظم براءة وأبوه علي أعظم براءة من المعتزلة والمرجئة منه وأما الاشعري فلا ريب عنه أنه كان تلميذا لابي علي الجبائي لكنه فارقه ورجع عن جمل مذهبه وان كان قد بقي عليه شيء من أصول مذهبه لكنه خالفه في نفي الصفات وسلك فيها طريقة ابن كلاب وخالفهم في القدر ومسائل الايمان والاسماء والاحكام وناقضهم في ذلك أكثر من مناقضة حسين النجار وضرار بن عمرو ونحوهما ممن هو متوسط في هذا الباب كجمهور الفقهاء وجمهور أهل الحديث حتى مال في ذلك الى قول جهم وخالفهم في الوعيد وقال بمذهب الجماعة وانتسب الى مذهب أهل الحديث والسنة كأحمد بن حنبل وأمثاله وبهذا اشتهر عند الناس فالقدر الذي يحمد من مذهبه هو ما وافق فيه أهل السنة والحديث كالجمل الجامعة وأما القدر الذي يذم من مذهبه فهو ما وافق فيه بعض المخالفين للسنة والحديث من المعتزلة والمرجئة والجهمية والقدرية ونحو ذلك وأخذ مذهب أهل الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي بالبصرة وعن طائفة ببغداد من أصحاب أحمد وغيرهم وذكر في المقالات ما اعتقد أنه مذهب أهل السنة والحديث وقال بكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وهذا المذهب هو من أبعد المذاهب عن مذهب الجهمية والقدرية وأما الرافضة كهذا المصنف وأمثاله من متأخري الامامية فانهم جمعوا أخس المذاهب مذهب الجهمية في الصفات ومذهب القدرية في أفعال العباد ومذهب الرافضة في الامامة والتفضيل فتبين أن ما نقل عن علي من الكلام فهو كذب عليه ولا مدح فيه وأعظم من ذلك أن القرامطة الباطنية ينسبون قولهم اليه وأنه أعطي علما باطنا مخالفا للظاهر وقد ثبت في الصحيح عنه انه قال والذي

في الحقيقة ولكن الفاعل المختار خص كلا منها بصفات تخالف بها الآخر يقتضي أن لها حقيقة مجردة عن جميع الصفات التي اختلفت فيها فيكون الماء المشهود له حقيقة غير هذا الماء المشهود والنار المشهودة لها حقيقة غير هذه النار المشهودة ويكون ما خالف به هذا لهذا في الماء والنار أمرا عارضا لتلك الحقيقة لا صفة ذاتية لها ولا لازمة وهذا مكابرة للحس فعلى هذا القول لا يكون لشيء من الموجودات صفة ذاتية ولا صفة لازمة لذاته أصلا بل كل صفة يوصف بها عارضة له يمكن زوالها مع بقاء حقيقته لان كل ما اختلفت به الاعيان أمر عارض لها ليس بداخل في حقيقتها عند من يقول بتماثل الجواهر والاجسام وحينئذ فيكون الانسان الذي هو حيوان ناطق يمكن زوال كونه حيوانا وكونه ناطقا مع بقاء حقيقته وذاته وكذلك الفرس يمكن زوال حيوانيته وصاهليته مع بقاء حقيقته وذاته وهكذا كل الاعيان ثم يقال اذا قدرنا عدم هذه الصفات التي هي لازمة للانواع وذاتية لها لم يبق هنالك ما يعقل كونه جوهرا لا مماثلا ولا مخالفا فانا اذا نظرنا الى هذا الانسان وقدرنا أنه ليس بحي ولا ناطق ولا ضاحك ولا حساس ولا متحرك بالارادة لم يعقل هنالك

خلق الحبة وبرأ النسمة ما عهد الىّ النبي صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس الا ما فى هذه الصحيفة وكان فيها العقل وفكاك الاسرى وأن لا يقتل مسلم بكافر الا فهما يؤتيه الله عبدا فى الكتاب ومن الناس من ينسب اليه الكلام فى الحوادث كالجفر وغيره وآخرون ينسبون اليه البطاقة وأمورا أخرى يعلم أن عليا برىء منها وكذلك جعفر الصادق قد كذب عليه من الاكاذيب ما لا يعلمه الا الله حتى نسب اليه القول فى أحكام النجوم والرعود والبروق والقرعة التى هى من الاستقسام بالأزلام ونسب اليه كتاب منافع سور القرآن وغير ذلك مما يعلم العلماء أن جعفرا رضى الله عنه برىء من ذلك وحتى نسب اليه أنواع من تفسير القرآن على طريقة الباطنية كما ذكر ذلك عنه أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب حقائق التفسير فذكر قطعة من التفاسير التى هى من تفاسيره وهى من باب تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل مراد الله تعالى من الآيات بغير مراده وكل ذى علم بحاله يعلم أنه كان بريأ من هذه الاقوال والكذب على الله فى تفسير كتابه العزيز وكذلك قد نسب اليه بعضهم الكتاب الذى يسمى رسائل اخوان الكدر وهذا الكتاب صنف بعد جعفر الصادق بأكثر من مائتى سنة فان جعفرا توفى سنة ثمان وأربعين ومائة وهذا الكتاب صنف فى أثناء الدولة العبيدية الباطنية الاسمعيلية لما استولوا على مصر وتبوّؤا القاهرة صنفه طائفة من الذين أرادوا أن يجمعوا بين الفلسفة والشريعة والتشيع كما كان يسلكه هؤلاء العبيديون الذين كانوا يدعون أنهم من ولد على وأهل العلم بالنسب يعلمون أن نسبهم باطل وأن جدهم يهودى فى الباطن وفى الظاهر (١) وجدهم ديصانى من المجوس تزوج امرأة هذا اليهودى وكان ابنه ربيبا للمجوسى فانتسب الى زوج أمه المجوسى وكانوا ينتسبون الى باهلة على أنهم من مواليهم وادعى هو أنه من ذرية محمد بن اسمعيل بن جعفر واليه انتسب الاسمعيلية وادعوا أن الحق معهم دون الاثنى عشرية فان الاثنى عشرية يدعون امامة موسى بن جعفر وهؤلاء يدعون امامة اسمعيل بن جعفر وأئمة هؤلاء فى الباطن ملاحدة زنادقة شر من الغالية ليسوا من جنس الاثنى عشرية لكن انما طرقهم على هذه المذاهب الفاسدة ونسبتها الى على ما فعلته الاثنا عشرية وأمثالهم عليه من نوع الكذب ففرعه هؤلاء وزادوا عليه حتى نسبوا الالحاد اليه كما نسب هؤلاء اليه مذهب الجهمية والقدرية وغير ذلك ولما كان هؤلاء الملاحدة من الاسمعيلية والنصيرية ونحوهم ينتسبون الى علىّ وهم طرقية وعشرية وغرباء وأمثال هؤلاء صاروا يضيفون الى على ما برأه الله منه حتى صار اللصوص من العشرية يزعمون أن معهم كتابا من على بالاذن لهم فى سرقة أموال الناس كما ادعت اليهود الخيابرة أن معهم كتابا من على باسقاط الجزية عنهم واباحة عشر أموال أنفسهم وغير ذلك من الامور المخالفة لدين الاسلام وقد أجمع العلماء على أن هذا كله كذب على علىّ وهو من أبرأ الناس من هذا كله ثم صار هؤلاء يعدّون ما افتروه عليه من هذه الامور مدحا له يفضلونه بها على الخلفاء قبله ويجعلون مثل ذلك من الاباطيل عيبا فيهم وبغضا حتى صار رؤس الباطنية تجعل منتهى الاسلام وغايته هو الاقرار بربوبية الافلاك وأنه ليس وراء الافلاك صانع لها ولا خالق ويجعلون هذا هو باطن دين الاسلام الذى بعث به الرسول وأن هذا هو تأويله وأن هذا التأويل ألقاه علىّ الى الخواص حتى اتصل بمحمد بن اسمعيل بن جعفر وهو عندهم القائم ودولته هى القائمة عندهم وأنه ينسخ ملة محمد بن عبد الله ويظهر التأويلات الباطنة التى يكتمها التى أسرها الى على وصار هؤلاء يسقطون عن خواص أصحابهم الصلاة والزكاة والصيام والحج ويبيحون لهم المحرمات من

الفواحش

جوهر قائم بنفسه غيره تعرض له هذه الصفات بل اثبات ذلك نوع من الخيال لذى لا حقيقة له وهذا الخيال فى الجواهر المحسوسة نظير خيال من أثبت الجواهر المعقولة لكن تلك محلها العقل وهذه محلها الخيال فانا يمكننا تقدير هذا الشكل مع عدم كونه حيوانا ناطقا لكن حينئذ يكون المقدر شكلا مجردا هو عرض من الاعراض وهو الذى يسمى الجسم التعليمى كما نقدر أعدادا مجردة عن المعدودات وهذه المقادير المجردة والاعداد المجردة لا وجود لها الا فى الاذهان واللسان وكل جسم موجود له قدر يخصه وهذه هى الجسمية والجوهرية التى يثبتها من يقول بعدم تماثل الجواهر وهى نظير الصورة الجسمية التى هى عرض من أعراض الجسم التى يثبتها من يقول بالمادة والصورة فدعوى أولئك أن الصورة الجسمية جوهر وأن المادة جوهر آخر هو نظير دعوى هؤلاء أن الصور الجسمية جواهر متماثلة وليس هنا الا هذه الاعيان القائمة بأنفسها وما قام بها من الصفات والمقادير التى هى أشكالها وصورها ثم من العجيب أن هؤلاء المتكلمين المتأخرين كأبى حامد والشهرستانى والرازى والآمدى وأمثالهم ممن يوافق أهل المنطق على صحة المنطق يوافقون أهل المنطق فيما يدعونه من انقسام صفات الجواهر

(١) قوله وجدهم ديصانى الخ كذا فى الاصل ولم نقف عليه بعد المراجعة كتبه مصححه

الفواحش والظلم المنكر وغير ذلك وصنف المسلمون فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتبا معروفة لما علموه من افسادهم الدين والدنيا وصنف فيهم القاضى عبد الجبار والقاضى أبو بكر بن الطيب وأبو يعلى والغزالى وابن عقيل وأبو عبد الله الشهرستانى وطوائف غير هؤلاء وهم الملاحدة الذين ظهروا بالمشرق والمغرب واليمن والشام ومواضع متعددة كأصحاب (٣) الالموت وأمثالهم وكان من أعظم مابه دخل هؤلاء على المفسدين وأفسدوا الدين هو طريق الشيعة لفرط جهلهم وأهوائهم وبعدهم من دين الاسلام ولهذا أوصوا دعاتهم أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الاكاذيب والاهواء ويزيدون هم على ذلك ماناسبهم من الافتراء حتى فعلوا فى أهل الايمان مالم يفعله عبدة الاوثان والصلبان وكان حقيقة أمرهم دين فرعون الذى هو شر من دين اليهود والنصارى وعباد الاصنام وأول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الاسلام بل من الملل كلها ومن عرف أحوال الاسلام وتقلب الناس فيه فلابد أنه قد عرف شيأ من هذا وهذا تصديق لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفى الحديث الآخر المتفق عليه لتأخذن أمتى مأخذ الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يارسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا هؤلاء وهذا بعينه صار فى هؤلاء المنتسبين الى التشيع فان هؤلاء الاسمعيلية أخذوا من مذاهب الفرس وقولهم بالاصلين النور والظلمة وغير ذلك أمورا وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذهب اليونان وقولهم بالنفس والعقل وغير ذلك أمورا ومزجوا هذا بهذا وسموا ذلك باصطلاحهم السابق والتالى وجعلوه هو القلم واللوح وأن القلم هو العقل الذى يقول هؤلاء انه أول المخلوقات واحتجوا بحديث يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ماخلق الله العقل قال له أقبل فأقبل فقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى ماخلقت خلقا أكرم على منك فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وبك العقاب وهذا الحديث رواه بعض من صنف فى فضائل العقل كداود بن المحبر ونحوه وهو حديث موضوع كذب على النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم بن حبان البستى والدارقطنى وابن الجوزى وغيرهم ولكن لما وافق رأى هؤلاء استدلوا به على عادتهم مع أن لفظ الحديث يناقض مذهبهم فان لفظه أول بالنصب وروى انه لما خلق الله العقل أى انه قال له هذا الكلام فى أول أوقات خلقه فالمراد به أنه خاطبه حين خلقه لا أنه أول المخلوقات ولهذا قال فى اثنائه ماخلقت خلقا أكرم على منك فدل على أنه خلق قبله غيره ووصفه بأنه يقبل ويدبر والعقل عندهم يمتنع عليه هذا وقال بك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وهذا العقل عندهم هو رب العالم كله وهو المبدع له كله وهو معلول الاول لايختص به أربعة أعراض بل هو عندهم مبدع الجواهر كلها العلوية والسفلية والحسية والعقلية والعقل فى لغة المسلمين عرض قائم بغيره إما قوة النفس وإما مصدر العقل عقل يعقل عقلا وأما العاقل فلا يسمى فى لغتهم العقل وهؤلاء فى اصطلاحهم العقل جوهر قائم بنفسه وقد بسطنا الكلام على هذا وبينا حقيقة أمرهم بالمعقول والمنقول وأن مايثبتونه من المفارقات عند التحقيق لايرجع الا الى أمر وجودها فى الاذهان لافى الاعيان الا النفس الناطقة وقد أخطؤا فى بعض صفاتها وهؤلاء قولهم ان العالم معلول علة قديمة أزلية واجبة الوجود وان العالم لازم لها لكن حقيقة قولهم

والاجسام الى ذاتى وعرضى وانقسام العرضى الى لازم للماهية وعارض لها وانقسام العارض الى لازم ومفارق مع ما فى هذا الكلام من الخطأ فان الصفات فى الحقيقة انما تنقسم الى لازم للماهية وعارض لها وأما تقسيم اللازم الى ذاتى وعرضى واثبات شيئين فى هذه الاعيان أحدهما الذات والثانى هذا الموجود المشاهد فكلام باطل كما قد بسط فى موضعه ثم انهم فى قولهم بتماثل الجواهر والاجسام يدعون أن جميع صفات الاجسام التى تختلف بها انما هى عارضة لها قابلة لزوالها ليس منها شئ لازم للحقيقة ولا هو من موجبات الذات ومقتضياتها فيا سبحان الله أين ذلك التلازم الذى غلوتم فيه حتى تجعلون الحقيقة مؤلفة من صفاتها الذاتية وتقولون ان الذات هى المقتضية للوازم ولوازم اللوازم وهنا يقولون ليس لهذه الاعيان حقيقة قائمة بنفسها الا مانشترك كلها فيه وليس لشئ هنا لازم يخصه ولا لازم يفارق به غيره بل ليست اللوازم الا ما لزم جميع ما يسمى جوهرا وجسما وهذا المعنى قد رأيت منه عجائب لهؤلاء النظار يتكلم كل منهم مع كل قوم على طريقتهم بكلام يناقض ماتكلم به على طريقة أولئك مع تناقض كل من القولين فى نفس الامر وهذا إما

أنه علة غائيـــة وأن الافلاك تحرك حركة ارادية شوقيــة للتشـبه به وهو محرك لهـا كما يحرك المحبوب المتشبه به لمحبـه الذى يتشبه به ومثل هــذا لا يوجب أن يكون هو المحدث لتصوراته وارادته وحركاته فقولهـم فى حركة الفلك من جنس قول القـدرية فى أحوال الحيوان لكن هؤلاء يقولون حركة الفلك هى سبب الحوادث فحقيقــة قولهـم أن الحوادث كلها تحـدث بلا محدث أصلا وأن الله لا يفعل شيأ ولكل مقام مقال وهم جعلوا العـلم الأعلى والفلسفة الاولى هو العلم الباطن فى الوجود ولواحقه وقسموا الوجود الى جوهر وعرض ثم قسموا الاعراض الى تسعة أجناس ومنهم من ردها الى خمسة ومنهم من ردها الى ثلاثة فانه لم يقم لهم دليل على الحصر وقسموا الجواهر الى خمسة أنواع العقل والنفس والمادة والصورة والجسم وواجب الوجود تارة يسمونه جوهرا وهو قول قدمائهـم كأرسطو وغـيره وتارة لا يسمونه بذلك كما قاله ابن سينا وكان قدماء القوم يتصورون فى أنفسهم أمورا عقلية فيظنونهـا ثابتـة فى الخارج كما يحكى عن شـيعة فيثاغورس وافلاطون وان أولئك أثبتوا أعـدادا مجردة فى الخارج وهؤلاء أثبتوا المثل الافلاطونيـة وهى الكليات المجردة عن الاعيان وأثبتوا المادة المجردة وهى الهيولى الاوليـة وأثبتوا المدة المجردة وهى الدهر العقلى المجرد عن الجسم وأعراضه وأثبتوا الفضاء المجرد عن الجسم وأعراضـه وارسطو وأتباعه خالفوا سلفهم فى ذلك ولم يثبتوا من هذه شيأ مجردا ولكن أثبتوا المادة المقارنة للصورة وأثبتوا الكليات المقارنة للاعيان وأثبتوا العقول العشرة وأما النفس الفلكية فأكثرهم يجعلها قوة جسمانية ومنهم من يقول هى جوهر قائم بنفسه كنفس الانسان ولفظ الصـورة يريدون به تارة ما هو عـرض كالصورة الصـناعية مثـل شكل السرير والخاتم والسيف وهذه عرض قائم بمحله والمادة هنـا جوهر قائم بنفسه ويريدون بالصورة تارة الصورة الطبيعية وبالمادة الطبيعية ولا ريب أن الحيوان والمعادن والنباتات لها صورة هى خلقت من مواد لكن يعنون بالصورة جوهرا قائما بنفسـه وبالمادة جوهرا آخر مقارنا لهـذه وآخرون فى مقابلتهـم من أهل الكلام القائلين بالجوهـر الفرد ويزعمون أنه ما ثم من حادث يعلم حدوثه بالمشاهدة الا الاعراض وانهم لا يشهدون حدوث جوهر من الجواهر وكلا القولين خطأ وقد بسطنا الكلام عليهما فى غير هذا الموضع وقد يراد بالمادة المادة الكلية المشتركة بين الاجسام وبالصورة الصورة الكلية المشتركة بين الاجسـام ويدعون أن كليهمـا جوهر عقلى وهو غلط فان المشترك بين الاجسـام أمر كلى والكليات لا توجد كليات الا فى الاذهان لا فى الاعيان وكل ما وجـد فى الخارج فهو مميز بنفسه عن غـيره لا يشركه فيه غـيره الا فى الذهن اذا أخـذ كليا والاجسام يعرض لها الاتصال والانفصال وهو الاجتماع والافتراق وهـما من الاعراض ليس الانفصال شيأ قائما بنفسه كما أن الحركة ليست شيأ قائما بنفسه (١) غير الجسم المحسوس يرد عليه الاتصال والانفصال ويسمونه الهيولى والمادة وهذا وغيره مبسوط فى غير هذا الموضع وكثير من الناس قد لا يفهمون حقيقة ما يقولون وما يقول غيرهم وما جاءت به الرسل حتى يعرفوا ما فيه من حق وباطل فيعلمون هل هم موافقون لصريح المعقول أو هـم مخالفون له ومن أراد التظاهـر بالاسلام منهم عبر عن ذلك بالعبارات الاسـلامية فيعـبر عن الجسم بعالم الملك وعن النفس بعالم الملكوت وعن العقل بعالم الجبروت أو بالعكس ويقولون ان العقول والنفوس هى الملائكة وقد يجعلون قوى النفس التى تقتضى فعل الخـير هى الملائكة وقواها التى تقتضى الشر هى الشـياطين وأن الملائكة التى تنزل على الرسل والكلام الذى سمعه موسى بن عمران انما

أن يكون لكونه لم يفهم ان هـــذا المعنى الذى أثبته بهذه العبارة هو الذى نفاه بتلك فلا يكون قد تصور حقيقة ما يقول بل تصور ما يتصيد باللفظ بحيث اذا خرج المعنى عن ذلك اللفظ لم يعرف انه هو وهـذا قبيح بمن يدعى النظر فى العـقليات المحضـة التى لا تتقيد بلغـة ولا لفظ وإما أن يكون مع نسـيانه وذهوله فى كل مقام لما قاله فى المقـــام الآخر وهذا أشبه أن يظن بمن له عقل وتصور صحيح لكنه يدل على أن له فى المسألة قولين وأنه يقول فى كل مقام ما ترجح عنده فى ذلك المقام منهما لا يمشى مع الدليل مطلقا بل يتناقض وإما أن يكون مع فهمه التناقض وحينئـذ فاما أن لا يبالى بتناقض كلامه واما أن يرجح هــذا فى هذا الموطن وهذا فى هذا الموطن

﴿فصـــل﴾ ومن العجب أن كلامه وكلام أمثاله يدور فى هــذا الباب على تماثل الاجسام وقـــد ذكر النزاع فى تماثل الاجسام وأن القائلين بتماثلها من المتكلمين بنوا ذلك على أنها مركبـــة من الجـــواهر المنفردة وأن الجواهر متماثلة ثم انه فى مسـئلة تماثل

(١) قوله غـير الجسم الخ كذا فى النسخة وليس متصـــلا بما قبله ويظهر انه سـقط شئ من الناسخ ولعـل وجه الكلام وهنالك جسم غير الجسم الخ كتبه مصححه

هو فى نفوس الانبياء ليس فى الخارج بمنزلة ما يراه النائم وما يحصل لكثير من المروزين وأصحاب الرياضة حيث يتخيل فى نفسه أشكالا نورانية ويسمع فى نفسه أصواتا فتلك هى عندهم ملائكة الله وذلك هو كلام الله ليس له كلام منفصل ولهذا يدعى أحدهم أن الله كلمه كما كلم موسى بن عمران أو أعظم مما كلم موسى لان موسى كلم عندهم بحروف وأصوات فى نفسه وهم يكلمون بالمعانى المجردة العقلية وصاحب مشكاة الانوار والكتب المضنون بها على غير أهلها وقع فى كلامه قطعة من هذا النمط وقد كفرهم بذلك فى مواضع أخر ورجع عن ذلك واستقر أمره على مطالعة البخارى ومسلم وغيرهما ومن هنا سلك صاحب خلع النعلين ابن قسى وأمثاله وكذلك ابن عربى صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية ولهذا ادعى أنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الانبياء والنبى عنده يأخذ من الملك الذى يوحى به الى الرسل لان النبى عنده يأخذ من الخيالات التى تمثلت فى نفسه لما صورت له المعانى العقلية فى الصورة الخيالية وتلك الصورة عنده هى الملائكة وهو بزعمه تأخذ عن عقله المجرد قبل أن تصير خيالا ولهذا يفضل الولاية على النبوة ويقول

مقام النبوة فى برزخ * فويق الرسول ودون الولى

والولى على أصله الفاسد يأخذ عن الله بلا واسطة لانه يأخذ عن عقله وهذا عندهم هو الأخذ عن الله بلا واسطة اذ ليس عندهم ملائكة منفصلة تنزل الوحى والرب عندهم ليس هو موجودا مباينا للمخلوقات بل هو وجود مطلق أو مشروط بنفى الامور الثبوتية عن الله أو نفى الامور الثبوتية والسلبية وقد يقولون هو وجود المخلوقات أو حال فيها أولا هذا ولا هذا فهذا عندهم غاية كل رسول ومبنى النبوة عندهم الأخذ عن القوة المتخيلة التى صورت المعانى العقلية فى المثل الخيالية ويسمونها القوة القدسية فلهذا جعلوا الولاية فوق النبوة وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة لكن هؤلاء ظهروا فى قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق وأمثال ذلك وأولئك ظهروا فى قالب التشيع والموالاة فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الانبياء وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة وهؤلاء يعظمون أمر الامامة حتى قد يجعلون الائمة أعظم من الانبياء والامام أعظم من النبى كما يقوله الاسمعيلية وكلاهما باطنان الفلاسفة الذين يجعلون النبى فيلسوفا ويقولون انه يختص بقوة قدسية ثم منهم من يفضل النبى على الفيلسوف ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبى ويزعمون أن النبوة مكتسبة ويقولون ان النبوة عبارة عن ثلاث صفات من حصلت له فهو نبى أن يكون له قوة قدسية حدسية ينال بها العلم بلا تعلم وأن تكون نفسه قوية لها تأثير فى هيولى العالم وأن يكون له قوة يتخيل بها ما يعقله ومرئيا فى نفسه ومسموعا فى نفسه هذا كلام ابن سينا وأمثاله فى النبوة وعنه أخذ ذلك الغزالى فى كتبه المضنون بها على غير أهلها وهذا القدر الذى ذكروه يحصل لخلق كثير من آحاد الناس ومن المؤمنين وليس هو من أفضل عموم المؤمنين فضلا عن كونه نبيا كما بسط فى موضعه وهؤلاء قالوا هذا لما احتاجوا فى الكلام فى النبوة على أصول سلفهم الدهرية القائلين بأن الافلاك قديمة أزلية لا مفعولة لفاعل بقدرته واختياره وأنكروا علمه بالجزئيات ونحو ذلك من أصولهم الفاسدة فتكلم هؤلاء فى النبوة على أصول أولئك وأما القدماء أرسطو وأمثاله فليس لهم فى النبوة كلام محصل فالواحد من هؤلاء يطلب أن يصير نبيا كما كان السهروردى المقتول يطلب أن يصير نبيا وكان قد جمع بين النظر والتأله وسلك نحوا من مسلك الباطنية وجمع بين

الجواهر ذكر أنه لا دليل على تماثلها فصار أصل كلامهم الذى يرجع اليه هذه الامور كلاما بلا علم بل بخلاف الحق مع أنه كلام فى الله تعالى وقد قال تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال تعالى عن الشيطان انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون * قال فى كتابه هذا الكبير الفصل الرابع فى أن الجواهر متجانسة غير متحدة اتفقت الأشاعرة وأكثر المعتزلة على أن الجواهر متماثلة متجانسة وذهب النظام والنجار من المعتزلة بناء على قولهما بتركب الجواهر من الاعراض الى أن الجواهر إن تركبت من الاعراض المختلفة فهى مختلفة ولهذا فانما يدرك الاختلاف بين بعض الجواهر كالاختلاف الواقع بين النار والهوى والماء والتراب ضرورة كما يدرك الاختلاف بين السواد والبياض والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وسائر الاعراض المختلفة قال وهو باطل أما كون الجواهر مركبة من الاعراض فما سبق وأما ما ندركه من الاختلاف بين الجواهر كالأمثلة المضروبة فلا نسلم أنه عائد الى اختلاف الجواهر فى أنفسها بل

فلسفة الفرس واليونان وعظم أمر الانوار وقرب دين المجوس الاول وهي نسخة الباطنية الاسمعيلية وكان له يد في السحر والسيمياء فقتله المسلمون على الزندقة بحلب في زمن صلاح الدين وكذلك ابن سبعين الذي جاء من المغرب الى مكة وكان يطلب أن يصير نبيا وجد غار حراء الذي نزل فيه الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء وحكى عنه أنه كان يقول (١) لقدررب ابن آمنة حيث قال لانبي بعدي وكان بارعا في الفلسفة وفي تصوف المتفلسفة وما يتعلق بذلك وهو وابن عربي وأمثالهما كالصدر القونوي وابن الفارض والتلمساني منتهى أمرهم القول بوحدة الوجود الواجب القديم الخالق هو الوجود الممكن المحدث المخلوق ما ثم لاغير ولا سوى لكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا تارة يقولون مظاهر ومجالى فاذا قيل لهم فان كانت المظاهر أمرا وجوديا تعدد الوجود والا لم يكن لها حينئذ حقيقة وما هو نحو هذا الكلام الذي بين أن الوجود نوعان خالق ومخلوق قالوا نحن نثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل ومن أراد أن يكون محققا مثلنا فلابد أن يلتزم الجمع بين النقيضين وان الجسم الواحد يكون في وقت واحد في موضعين وهؤلاء الاصناف قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع فان هؤلاء يكثرون في الدول الجاهلة وعامتهم تميل الى التشيع كما عليه ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما فاحتاج الناس الى كشف حقائق هؤلاء وبيان أمورهم على الوجه الذي يعرف به الحق من الباطل فان هؤلاء يدعون في أنفسهم أنهم أفضل أهل الارض وأن الناس لا يفهمون حقيقة اشاراتهم فلما يسر الله أني بينت لهم حقائقهم وكتبت في ذلك من المصنفات ما علموا به أن هذا هو تحقيق قولهم وتبين لهم بطلانه بالعقل الصريح والنقل الصحيح والكشف المطابق رجع عن ذلك من علمائهم وفضلائهم من رجع وأخذ هؤلاء يثبتون للناس تناقضهم وبرا أنهم من الحق وكان من أصول ضلالهم ظنهم أن الوجود المطلق يوجد في الخارج اما معلولا بشرط الذي يسمونه الكلي الطبيعي اذا قيل انه موجود في الخارج فان الذي يوجد في الخارج مقيدا معينا هو مطلق في الذهن مقيد في الخارج وأما من زعم أن في الذهن شيأ مطلقا وهو مطلق حال تحققه في الخارج فهو غالط غلطا ضل فيه كثير من أهل المنطق والفلسفة وأما المطلق بشرط الاطلاق فهو الوجود المقيد بسلب جميع الامور الثبوتية والسلبية كما يوجد الانسان مجردا عن كل قيد فاذا قلت موجودا أو معدوم أو واحد أو كثيرا أو في الذهن أو في الخارج كان ذلك قيدا زائدا على الحقيقة المطلقة بشرط الاطلاق وهكذا الوجود تأخذه مجردا عن كل قيد ثبوتي وسلبي فلا تصفه لا بالصفات السلبية ولا الثبوتية وهكذا هو واجب الوجود عند أئمة الباطنية كأبي يعقوب السجستاني صاحب الاقاليد الملكوتية وأمثاله لكن من هؤلاء من لا يعرف برفع النقيضين فيقول لا موجود ولا معدوم ومنهم من يقول بل أمسك عن اثبات أحد النقيضين فلا أقول موجود ولا معدوم كأبي يعقوب وهو منتهى تجريد هؤلاء القائلين بوحدة الوجود وابن سينا وأتباعه يقولون الوجود الواجب هو الوجود المقيد بسلب الامور الثبوتية دون السلبية وهذا أبعد عن الوجود في الخارج من المقيد بسلب الوجود والعدم وان كان ذلك ممتنعا في الموجود والمعدوم فقلت لا ولئك المدعين للتحقيق أنتم بنيتم أمركم على القوانين المنطقية وهذا الوجود المطلق بشرط الاطلاق المقيد بسلب النقيضين عنه لا يوجد في الخارج باتفاق العقلاء وانما يقدر في الذهن تقديرا والا فاذا قدرنا انسانا مطلقا واشترطنا فيه أن لا يكون موجودا ولا معدوما ولا واحدا ولا كثيرا لم يوجد في الخارج بل نفرض في الذهن كما نفرض

هو عائد الى الاعراض القائمة واختلاف الاعراض لا يدل على اختلاف المعروض له في نفسه ﴿ قلت النجار ليس هو من المعتزلة بل هو رأس مقالة وهو يخالف المعتزلة في القدر فيثبته وفي غير ذلك من أصول المعتزلة لكنه يوافقهم على نفي الصفات ويخالفهم أيضا في مسائل الاسماء والاحكام والوعيد وجمهور الناس على أن الاجسام مختلفة من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم وقد ذكر الاشعري في مقالاته النزاع في ذلك والمقصود هنا اعترافه بأنه لا حجة للقائلين بالتماثل فانه قال فان قيل ما ذكرتموه وان دل على ابطال مأخذ القائلين بالاختلاف فما دليلكم في التماثل والتجانس فلئن قلتم دليل التماثل اشتراك جميع الجواهر في صفات نفس الجوهر وهي التحيز وقبول الاعراض والقيام بنفسه فنقول وما المانع من كون الجواهر مختلفة بذواتها وان اشتركت فيما ذكرتموه من الصفات فانه لا مانع من اشتراك المختلفات في عوارض عامة لها وانما يثبت كون ما ذكرتموه صفات نفس الجوهر أن لو لم يكن الجواهر مختلفة وهذه أعراض عامة

(١) لقدررب كذا في النسخة على هذه الصورة بدون نقط ولم نهتد اليه فحرر كتبه مصححه

الجمع

الجمع بين النقيضين ففرض رفع النقيضين كفرض الجمع بين النقيضين ولهذا كان هؤلاء تارة يصفونه بجمع النقيضين أو الامساك عنهما كما يفعل ابن عربي وغيره كثيرا وتارة يجمعون بين هذا وهذا كما يوجد أيضا في كلام أصحاب البطاقة وغيرهم فاذا قالوا مع ذلك انه مبدع العالم وشرطوا فيه أنه لا يوصف بثبوت ولا انتفاء كان تناقضا فان كونه مبدعا لا يخرج عن هذا وهذا وكذلك اذا قالوا موجود واجب وشرطوا فيه التجريد عن النقيضين كان تناقضا وحقيقة قولهم موجود لا موجود وواجب لا واجب وهذا منتهى أمرهم وهو الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين ولهذا يصيرون الى الحيرة ويعظمونها وهي عندهم منتهى معرفة الانبياء والاولياء والائمة والفلاسفة ومن أصول ضلالهم ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وأنهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا أن التشبيه المنفي عن الله هو ما كان وصفه بشئ من خصائص المخلوقين أو أن يجعل شئ من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقا فان هذا هو التمثيل الممتنع المنفي بالعقل مع الشرع فيمتنع وصفه بشئ من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له في شئ من صفات الكمال فهذان جماع لما ينزه الرب تعالى عنه كما بسطنا ذلك في مواضع كثيرة وعلى هذا وهذا دل قوله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كما قد بسطنا ذلك في مصنف مفرد في تفسير هذه الشواهد فأما الموافقة في الاسم كحي وحي وموجود وموجود وعليم وعليم فهذا لابد منه ويلزم من نفي هذا التعطيل المحض فان كل موجودين قائمين بانفسهما فحينئذ لابد أن يجمعهما اسم عام لكن المعنى القائم لا يوجد عاما الا في الذهن لا في الخارج فاذا قيل هذا الموجود وهذا الموجود مشتركان في مسمى الوجود كان ما اشتركا فيه لا يوجد مشتركا الا في الذهن لا في الخارج وكل موجود فهو يختص بنفسه وصفات نفسه لا يشركه غيره في شئ من ذلك في الخارج وانما الاشتراك هو نوع من التشابه والاتفاق والمشترك فيه الكلي لا يوجد كذلك الا في الذهن فاذا وجد في الخارج لم يوجد الا متميزا عن نظيره لا يكون هو اياه ولا هما في الخارج مشتركان في شئ في الخارج فاسم الخالق اذا وافق اسم المخلوق كالموجود والحي وقيل ان هذا الاسم عام كلي وهو من الاسماء المتواطئة أو المشككة لم يلزم من ذلك أن يكون ما يتصف به الرب من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه المخلوق بل ولا يكون ما يتصف به أحد المخلوقين من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه مخلوق آخر بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه لكن ما يتصف به المخلوق قد يماثل ما يتصف به المخلوق ويجوز على أحد المثلين ما يجوز على الآخر وأما الرب سبحانه وتعالى فلا يماثله شئ من الاشياء في شئ من صفاته بل التباين الذي بينه وبين كل واحد من خلقه في صفاته أعظم من التباين الذي بين أعظم المخلوقات وأحقرها وأما المعنى الكلي العام المشترك فيه فذلك كما ذكرنا لا يوجد كليا الا في الذهن واذا كان المتصفان به بينهما نوع موافقة ومشاركة ومشابهة من هذا الوجه فذلك لا محذور فيه فان ما يلزم ذلك القدر المشترك من وجوب وجواز وامتناع فان الله متصف به فالموجود من حيث هو موجود أو العليم أو الحي مهما قيل انه يلزمه من وجوب وامتناع وجواز فالله موصوف به بخلاف وجود المخلوق وحياته وعلمه فان الله لا يوصف بما يختص به المخلوق من وجوب وجواز واستحالة كما أن المخلوق لا يوصف بما يختص به الرب من وجوب وجواز واستحالة فمن فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة يعترفها كثير من الاذكياء الناظرين في العلوم الكلية والمعارف

لها وانما يمتنع كون الجواهر مختلفة وان هذه أعراض عامة لها أن لو كانت هذه الصفات صفات نفس الجوهر وهو دور ممتنع * قال واعلم أن طرق أهل الحق في اثبات المجانسة وان اختلفت عباراتها فكلها آيلة الى ما ذكر وما قيل عليه من الاشكال فلازم لا مخلص منه الا بان يقال نحن لا نعني بتجانس الجواهر غير كونها مشتركة فيما ذكرناه من الصفات وعند ذلك فحاصل النزاع يرجع الى التسمية لا الى نفس المعنى * قلت فهذا قوله مع اطلاعه على طرق القائلين بالتجانس ورغبته في نصرهم لو أمكنه فذكر أن جميع ما ذكروه من الطرق يرجع الى ما ذكره وهو مما يعلم بالاضطرار أنه لا يدل على تماثلها بل يدل على اشتراكها في معنى من المعاني وليس جعل ما به الاشتراك هو الذات وما به الاختلاف من الصفات باولى من العكس وهذا على سبيل التنزل والا فنحن نعلم بالضرورة والحس اختلاف الاجسام المختلفة كما نعلم اختلاف الاعراض المختلفة وما ذكره من أن الاختلاف عائد الى الاعراض لا الى المعروض فمخالفة للحس فان نفس النار مخالفة للماء ليس مجرد حرارة النار هي المخالفة لبرودة الماء بل نحن نعلم أن النار تخالف الماء أعظم مما نعلم أن الحرارة تخالف البرودة

الالهية فهذا أحد أقوالهم في الوجود الواجب وهو المطلق بشرط الاطلاق عن النفي والاثبات وهو أكملها في التعطيل والالحاد والثاني قول ابن سينا وأتباعه أنه هو الوجود المقيد بأن لا يعرض له شئ من الماهيات كما يعبر الرازي وغيره وهذه العبارات بناء على قولهم ان الوجود يعرض للماهية الممكنة فان للناس ثلاثة أقوال قيل ان الوجود زائد على الماهية في الواجب والممكن كما يقول ذلك أبو هاشم وغيره وهو أحد قولي الرازي وقد يقوله بعض النظار من أصحاب أحمد وغيرهم وقيل بل الوجود في الخارج هو الحقيقة الثابتة في الخارج ليس هناك شيئان وهذا قول الجمهور من أهل الاثبات وهذا قول عامة النظار من مثبتة الصفات من أهل المذاهب الاربعة وغيرهم لكن ظن الشهرستاني والرازي والآمدي ونحوهم أن قائل هذا القول يقول ان لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي ونقلوا ذلك عن الاشعري وغيره وهو غلط عليهم فان أصحاب هذا القول هم جماهير الخلق من الأولين والآخرين وليس فيهم من يقول بان لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي الا طائفة قليلة وليس هذا قول الاشعري وأصحابه بل هم متفقون على أن الوجود ينقسم الى قديم ومحدث واسم الوجود يعمهما لكن الاشعري ينفي الاحوال و يقول العموم والخصوص يعود الى الاقوال ومقصوده أنه ليس في الخارج معنى كلي عام ليس مقصوده أن الذهن لا يقوم به معنى عام كلي وهؤلاء الذين قالوا ان من قال وجود كل شئ هو نفس حقيقته الموجودة انما هذا هو قول بالاشتراك اللفظي لأنهم قالوا اذا جعلنا الوجود عاما من الالفاظ المتواطئة المتساوية أو المتفاضلة التي تسمى المشككة وقلنا ان الوجود ينقسم الى واجب وممكن وقديم ومحدث كان النوعان قد اشتركا في مسمى الوجود وهو كلي مطلق فلا بد أن يتميز أحدهما عن الآخر بما يخصه وهو حقيقته فيلزم أن يكون لكل منهما حقيقة غير الوجود فمن قال ان الشئ الموجود في الخارج ليس شيأ غير الحقيقة الموجودة في الخارج لم يمكنه أن يقول لفظ الوجود يعمهما بل يقول هو مقول عليهما بالاشتراك اللفظي وهذا غلط ضلت فيه طوائف كالرازي وأمثاله بيان ذلك من ثلاثة وجوه أحدها أن يقال لفظ الوجود كلفظ الحقيقة وكلفظ الماهية وكلفظ الذات والنفس فاذا قلتم الوجود ينقسم الى واجب وممكن أو قديم ومحدث كان بمنزلة قولكم الحقيقة تنقسم الى واجبة وممكنة أو الى قديمة ومحدثة وبمنزلة قولهم الذات تنقسم الى هذا وهذا وهذا والماهية تنقسم الى هذا وهذا ونحو ذلك من الاسماء العامة وبمنزلة قولهم الشئ ينقسم الى واجب وممكن وقديم وحادث وحينئذ فاذا قلتم يشتركان في الوجود أو الوجوب ويمتاز أحدهما عن الآخر بالحقيقة أو الماهية كان بمنزلة أن يقال يشتركان في الماهية أو الحقيقة ويمتاز أحدهما عن الآخر بالوجود أو الوجوب فان قلتم انما اشتركا في الوجود العام الكلي وامتاز كل منهما بالحقيقة التي تخصه قيل وكذلك يقال انما اشتركا في الحقيقة العامة الكلية وامتاز كل منهما بالوجود الذي يخصه فلا فرق حينئذ بين ما جعلتموه مشتركا كليا كالجنس والعرض العام وبين ما جعلتموه مختصا مميزا جزئيا كالفصل والخاصة لكن عمدتم الى شيئين متساويين في العموم والخصوص فقدرتم أحدهما في حال عمومه والآخر في حال خصوصه فهذا كان من تقديركم والا فكل منهما يمكن فيه التقدير كما أمكن في الآخر وكل منهما في نفس الأمر مساو للآخر في عمومه وخصوصه وكونه مشتركا ومميزا فلا فرق في نفس الأمر بين ما جعلتموه جنسا أو عرضا عاما وما جعلتموه فصلا أو خاصة الا أنكم قدرتم أحد المتساويين عاما والآخر خاصا (الوجه الثاني) أن يقال اذا قلتم الموجودان يشتركان

وذلك أن الحرارة والبرودة بينهما من الاشتراك في الكيفيات مثل كون كل منهما عرضا قائما بغيره وهو صفة محسوسة باللمس وكذلك بين السواد والبياض من الاشتراك في العرضية واللونية والقيام بالغير والرؤية بالبصر وغير ذلك من الصفات أعظم من الاشتراك بين الماء والنار فان الاشتراك بينهما هو في القدر ونحو ذلك من الكميات والاشتراك في الكيفية أعظم من الاشتراك في الكمية فاذا كان ذلك لا يوجب التماثل فذاك بطريق الاولى وأيضا فالحرارة قد تنكسر بالبرودة في مثل الفاتر فانه لا يبقى حارا كحرارة النار ولا باردا ببرودة الماء المحض وأما نفس الماء والنار فلا يجتمعان وأيضا فالاعراض المختلفة تشترك في محل واحد وأما نفس الاقسام فلا تشترك في محل واحد وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا بيان اعتراف هؤلاء بفساد الاصول التي بنوا عليها ما خالفوه من النصوص وبيان تناقضهم في ذلك وأنهم يقولون اذا تكلموا في المنطق وغيره بما يناقض كلامهم هنا ويبعد أو يمتنع في العادة أن يكون هذا لمجرد اختلاف الاجتهاد مع الفهم التام في الموضعين بل يكون لنقص كمال الفهم والتصور وخوفا أن لا يكون القولان متنافيين فلا يجزم باثبات التناقض أو لنوع

في مسمى الوجود فلابد أن يتميز أحدهما عن الآخر بأمر آخر قيل لكم المميز يمكن أن يكون وجودا خاصا فلم قلتم انه يكون شيأ خارجا عن مسمى الوجود حتى تثبتون حقيقة أخرى وهذا كما اذا قلنا الانسانان يشتركان في مسمى الانسانية وأحدهما يمتاز عن الآخر بخصوصية أخرى كان المميز انسانيته التي تخصه لم يحتج أن يجعل المميز شيأ غير الانسانية يعرض له الانسانية ولكن هؤلاء يظنون أن الانواع المشتركة في كلي لا يفصل بينها الا مواد أخرى وفي هذا الموضع كلام مبسوط على غلط أهل المنطق فيما غلطوا فيه في الكليات وتقسيم الكليات وتركيب الحدود من الذاتيات وغير ذلك ومواد الاقيسة والفرق بين اليقيني وغير اليقيني منها وغير ذلك مما هو مكتوب في غير هذا الموضع (الوجه الثالث) أن يقال اذا قلنا الموجودان يشتركان في مسمى الوجود وأحدهما لابد أن يمتاز عن الآخر فليس المراد أنهما اشتركا في أمر بعينه موجود في الخارج فان هذا ممتنع بل المراد أنهما اتفقا في ذلك وتشابها فيه من هذه الجهة ونفس ما اشتركا فيه لا يكون بعينه مشتركا فيه الا في الذهن لا في الخارج والا فنفس وجود هذا لم يشركه فيه هذا وحينئذ فاذا قلنا لفظ الموجود من الالفاظ العامة الكلية المتواطئة أو المشككة وهي المتواطئة التي تتفاضل معانيها لا تتماثل مع الاتفاق في أصل المسمى كالبياض المقول على بياض الثلج القوي وبياض العاج الضعيف والسواد المقول على سواد القار وعلى سواد الحبشة والعلو المقول على علو السماء وعلى علو السقف والواسع المقول على البحر وعلى الدار الواسعة والوجود المقول على الواجب بنفسه وعلى الممكن الموجود بغيره وعلى القائم بنفسه والقائم بغيره والقديم المقول على العرجون وعلى ما لا أول له والمحدث المقول على ما أحدث في اليوم وعلى كل ما خلقه الله بعد أن لم يكن والحي الذي يقال على الانسان والحيوان والنبات وعلى الحي القيوم الذي لا يموت أبدا بل أسماء الله تعالى التي تسمى بها خلقه كالملك والسميع والبصير والعليم والخبير ونحو ذلك كلها من هذا الباب فاذا قيل في جميع الالفاظ العامة ومعانيها العامة سواء كانت متماثلة أو متفاضلة ان أفرادها اشتركت فيها أو اتفقت ونحو ذلك لم يرد به أن في الخارج عاما يوجد عاما في الخارج وهو نفسه مشترك بل المراد أن الموجودات المعينة اشتركت في هذا العام الذي لا يكون عاما الا في علم العالم كما أن اللفظ العام لا يكون عاما الا في لفظ اللافظ والخط العام لا يكون عاما الا في خط الكاتب والمراد بكونه عاما شموله للافراد الخارجة لا أنه نفسه شئ موجود يكون هو نفسه مع هذا المعين وهو نفسه مع هذا المعين فان هذا مخالف للحس والعقل والمقصود هنا أن ابن سينا مذهبه أن الوجود الواجب لنفسه هو الوجود المقيد بسلب جميع الامور الثبوتية لا يجعله مقيدا بسلب النقيضين أو بالامساك عن النقيضين كما فعل السجستاني وأمثاله من القرامطة وغيرهم وعبر ابن سينا عن قولهم بأنه الوجود المقيد بأنه لا يعرض لشئ من الحقائق أو لشئ من الماهيات لاعتقادهم أن الوجود يعرض للممكنات وهو يقول وجود الواجب نفس ماهيته والجمهور من أهل السنة يقولون ذلك لكن الفرق بينهما أن عنده هو وجود مطلق بشرط سلب الماهيات عنه فليس له ماهية سوى الوجود المقيد بالسلب وأما الأنبياء وأتباعهم وجماهير العقلاء فيعلمون أن الله له حقيقة يختص بها لا يماثل شيأ من الحقائق وهي موجودة وطائفة من المعتزلة ومن وافقهم يقولون هي موجودة بوجود زائد على حقيقتها وأما الجمهور فيقولون الحقائق المخلوقة ليست في الخارج الا الموجود الذي هو الحقيقة التي في الخارج وانما يحصل الفرق بينهما بأن يجعل أحدهما ذهنيا والآخر

من الهوى والغرض ولو لم يكن الا مراعاة الطائفة التي تتكلم باصطلاحها أن لا يخالفها فيما هو من مشهورات أقوالها ولعل كلا الامرين موجود في مثل هذه المعاني التي يعبر عنها العبارات الهائلة ولها عند أصحابها هيبة ووهم عظيم والكلام على هذه الصور مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا نوع تنبيه على أن ما يدعونه من العقليات المخالفة للنصوص لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح وانما هي من باب القعقعة بالشنان لمن يفزعه ذلك ذلك من الصبيان ومن هو شبيه بالصبيان واذا أعطى النظر في المعقولات حقه من التمام وجدها براهين ناطقة بصدق ما أخبر به الرسول وأن لوازم ما أخبر به لازم صحيح وأن من نفاه نفاه لجهله بحقيقة الامر وفزعا باطنا وظاهرا كالذي يفزع من الآلهة المعبودة من دون الله أن تضره ويفزع من عدو الاسلام لما عنده من ضعف الايمان قال تعالى عن الخليل صلوات الله عليه وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم

خارجيا فاذا جعلت الماهية أو الحقيقة اسما لما في الذهن كان ذلك غير ما في الخارج وأما اذا قيل الوجود الذهني فهو الماهية الذهنية واذا قيل الماهية الخارجية فهي الوجود الخارجي فاذا كان هذا في المخلوق فالخالق أولى ومذهب ابن سينا معلوم الفساد بضرورة العقل بعد التصور التام فانه اذا اشترك الموجودان في مسمى الوجود لم يميز أحدهما عن الآخر بمجرد السلب فان التميز في نفس الامر بين المشتركين لا يكون بمجرد العدم المحض اذ العدم المحض ليس بشئ وما ليس بشئ لا يحصل منه الامتياز في نفس الامر ولا يكون الفاصل بين الشيئين الموجودين الذي يختص باحدهما الا أمرا ثبوتيا أو متضمنا لامر ثبوتي وهذا مستقر عندهم في المنطق فكيف يكون وجود الرب مماثلا لوجود الممكنات في مسمى الوجود ولا يمتاز عن المخلوقات الا بعدم محض لا ثبوت فيه بل على هذا التقدير يكون أي موجود قدراً كل من هذا الموجود فان ذلك الموجود مختص مع وجوده بأمر ثبوتي عنده والوجود الواجب لا يختص عنده الا بأمر عدمي مع تماثلهما في مسمى الوجود فهذا القول يستلزم مماثلة الوجود الواجب لوجود كل ممكن في الوجود وأن لا يمتاز عنه الا بسلب الامور الثبوتية والكمال هو في الوجود لا في العدم اذ العدم المحض لا كمال فيه فحينئذ يمتاز عن الممكنات بسلب جميع الكمالات وتمتاز عنه باثبات جميع الكمالات وهذا غاية ما يكون من تعظيم الممكنات في الكمال والوجود ووصف الوجود الواجب بالنقص والعدم وأيضا فهذا الوجود الذي لا يمتاز عن غيره الا بالامور العدمية يمتنع وجوده في الخارج بل لا يمكن الا في الذهن لانه اذا شارك سائر الموجودات في مسمى الوجود كان هذا كليا والوجود لا يكون كليا الا في الذهن لا في الخارج والامور العدمية المحضة لا توجب ثبوته في الخارج فان ما في الذهن هو بسلب الحقائق الخارجة عنه أحق لسلبها عما في الخارج لو كان ذلك ممكنا في الخارج فكيف اذا كان ممتنعا فاذا كان الكلي لا يكون الا ذهنيا والقيد العدمي لا يخرجه عن أن يكون كليا ثبت أنه لا يكون في الخارج وأيضا فان ما في الخارج لا يكون الا معينا له وجود يخصه فالا يكون كذلك لا يكون الا في الذهن فثبت بهذه الوجوه الثلاثة وغيرها أن ما ذكره في واجب الوجود لا يتحقق الا في الذهن لا في الخارج فهذا قول من قيده بالامور العدمية ولهم قول ثالث وهو الوجود المطلق بشرط الاطلاق الذي يسمونه الكلي الطبيعي وهذا لا يكون في الخارج الا معينا فيكون من جنس القولين قبله ومنهم من يظن أنه ثابت في الخارج وأنه جزء من المعينات فيكون الوجود الواجب المبدع لكل ما سواه اما عرضا قائما بالمخلوقات واما جزأ منها فيكون الواجب مفتقرا الى الممكن عرضا فيه أو جزأ منه بمنزلة الحيوانية في الحيوانات لا تكون هي الخالقة للحيوان ولا الانسانية هي المبدعة للانسان فان جزء الشئ وعرضه لا يكون هو الخالق له بل الخالق مباين له منفصل عنه اذ جزؤه وعرضه داخل فيه والداخل في الشئ لا يكون هو المبدع له كله فما وصفوا به رب العالمين يمتنع معه أن يكون جاعلا لشئ من الموجودات فضلا عن أن يكون خالقا لكل شئ وهذه الامور مبسوطة في موضع آخر والمقصود هنا أن هؤلاء الملاحدة حقيقة قولهم تعطيل الخالق وجحد حقيقة النبوات والمعاد والشرائع وينتسبون الى موالاة علي ويدعون انه كان على هذه الاقوال كما تدعي القدرية والجهمية والرافضة انه كان على قولهم أيضا ويدعون أن هذه الاقوال مأخوذة عنه وهذا كله باطل كذب على علي رضي الله عنه

(فصل) قال الرافضي وعلم التفسير اليه يعزى لان ابن عباس كان تلميذه فيه قال

تعلمون قال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ومن خالف الرسل لا يسلم من الشرك والافك فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين قال أبو قلابة هي لكل مفتر من هذه الامة الى يوم القيامة وما أشبه هؤلاء في رعبهم من الالفاظ الهائلة التي لم يعلموا حقيقتها بمن رأى العدو المخذول فلما رأى لباسهم رعب منهم قبل تحقق حالهم ومن كشف حالهم وجدهم في غاية الضعف والعجز ولكن قال تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وبسط هذا يطول والمقصود التنبيه فهذا ما ذكره في الجوهر * وأما الجسم فانه اعتمد في نفيه على هذه الوجوه الاربعة في الجوهر وقد عرف حالها قال ويختص الجسم باربعة أوجه الاول أنه اذا ثبت أن الرب غير متصف بكونه جوهرا امتنع أن يكون متصفا بكونه جسما لأن الجسم مركب من الجواهر ومفتقر اليها ويلزم من انتفاء ما لابد منه في كونه جسما أن لا يكون جسما * قلت هذا الوجه بين الضعف وذلك أنه لو قدر انتفاء كون الشئ جوهرا

ابن عباس حدثنى أمير المؤمنين فى تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من أول الليل الى آخره

(والجواب) أن يقال أولا أين الاسناد الثابت بهذا النقل عن ابن عباس فان أقل ما يجب على المحتج بالمنقولات أن يذكر الاسناد الذى يعلم به صحة النقل والا فمجرد ما يذكر فى الكتب من المنقولات لا يجوز الاستدلال به مع العلم بأن فيه شيأ كثيرا من الكذب ويقال ثانيا أهل العلم بالحديث يعلمون أن هذا من الكذب فان هذا الاثر المأثور عن ابن عباس كذب عليه وليس له اسناد يعرف وانما يذكر مثل هذه الحكايات بلا اسناد وهذه يرويها أهل المجهولات الذين يتكلمون بكلام لا حقيقة له ويجعلون كلام على وابن عباس من جنس كلامهم كما يقولون عن عمر انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجى بينهما فان هذا كذب على عمر باتفاق أهل العلم وكما ينقلون عن عمر أنه تزوج امرأة أبى بكر وانما تزوجها على تزوج أسماء بنت عميس ومعها ربيبه محمد بن أبى بكر فتربى عنده وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالاسانيد الثابتة ليس فى شئ منها ذكر على وابن عباس يروى عن غير واحد من الصحابة يروى عن عمر وأبى هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعن زيد بن ثابت وأبى بن كعب وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والانصار وروايته عن على قليلة جدا ولم يخرج أصحاب الصحيح شيأ من حديثه عن على وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبى هريرة وغيرهم وأيضا فالتفسير أخذ عن عمر وابن عباس أخذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة الذين لم يأخذوا عن على شيأ وما يعرف بأيدى المسلمين تفسير ثابت عنه وهذه كتب الحديث والتفسير مملوأة بالآثار عن الصحابة والتابعين والذى فيها عن على قليل جدا وما ينقل فى حقائق السلمى من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر كما قد كذب عليه غير ذلك كما تقدم

(فصل) قال الرافضى وأما علم الطريقة فاليه منسوب فان الصوفية كلهم يسندون الخرقة اليه

(والجواب) أن يقال أولا أما أهل المعرفة وحقائق الايمان المشهورين فى الأمة بلسان الصدق فكلهم متفقون على تقديم أبى بكر وأنه أعظم الامة فى الحقائق الايمانية والاحوال العرفانية وأين من يقدمونه فى الحقائق التى هى أفضل الامور عندهم الى من ينسب اليه الناس لباس الخرقة وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فأين حقائق القلوب من لباس الابدان ويقال ثانيا الخرق متعددة أشهرها خرقتان خرقة الى عمر وخرقة الى على فخرقة عمر لها اسنادان اسناد الى أويس القرنى واسناد الى أبى مسلم الخولانى وأما الخرقة المنسوبة الى على فاسنادها الى الحسن البصرى والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخى فان الجنيد صحب السرى والسرى صحب معروفا الكرخى بلا ريب وأما الاسناد من جهة معروف فينقطع فتارة يقولون ان معروفا صحب على بن موسى الرضا وهذا باطل قطعا لم يذكره المصنفون لاخبار معروف بالاسناد الثابت المتصل كأبى نعيم وأبى الفرج بن الجوزى فى كتابه الذى صنفه فى فضائل معروف ومعروف كان منقطعا فى الكرخ وعلى بن موسى كان المأمون قد جعله ولى العهد بعده وجعل شعاره لباس الخضرة ثم رجع عن ذلك وأعاد شعار السواد ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلى بن موسى

منفردا لم يلزم أن لا يكون جسما مؤلفا من الجواهر فان الاجسام جميعها كل منها عنده ليس جوهرا منفردا مع كونها مؤلفة من الجواهر وهو لم يقم دليلا على نفى كونه جوهرا ولا نفى ما يستلزم الجوهر وهذا كما لو أقام دليلا على انه ليس بعلم أو قدرة أو كلام أو مشيئة لم يستلزم ذلك أن لا تكون هذه من لوازمه فنفى كون الشئ أمرا من الامور غير نفى كونه ملزوما لذلك الامر وأيضا فيقال أنت لم تقم دليلا على كون الجواهر متماثلة بل صرحت بأنه لا دليل على ذلك فبطل ما ذكرته فى نفى الجوهر وأيضا فيقال لفظ الجوهر فيه اجمال وله عدة معان أحدها الجوهر الفرد وعلى هذا فالجسم ليس بجوهر وفى كونه مركبا منه نزاع والثانى المتحيز وعلى هذا فالجسم جوهر ومن نفى الجوهر الفرد قال كل جسم جوهر وكل جوهر جسم ومن أثبته قال الجوهر أعم من الجسم والثالث الجواهر العقلية عند من يثبت جوهرا ليس بمتحيز كالعقول والنفوس والمادة والصورة فان هؤلاء المتفلسفة المشائين يدعون أن الجوهر خمسة أقسام وجمهور العقلاء يدفعون هذا ويقولون هذه الامور التى سميتموها جواهر عقلية انما وجودها فى الاذهان لا فى الاعيان وقد يراد بالجوهر

ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به أو أخذ عنه شيأ بل ولا يعرف أنه رآه ولا كان معروف بوابه ولا أسلم
على يديه وهذا كله كذب وأما الاسناد الآخر فيقولون ان معروفا صحب داود الطائي وهذا
أيضا لا أصل له وليس في أخباره المعروفة ما يذكر فيها وفي اسناد الخرقة أيضا أن داود الطائي
صحب حبيبا العجمي وهذا أيضا لم يعرف له حقيقة وفيها أن حبيبا العجمي صحب الحسن البصري
وهذا صحيح فان الحسن كان له أصحاب كثيرون مثل أيوب السختياني ويونس بن عبيد وعبد الله
ابن عوف ومثل محمد بن واسع ومالك بن دينار وحبيب العجمي وفرقد السبخي وغيرهم من عباد
البصرة وفيها أن الحسن صحب عليا وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة فانهم متفقون على أن
الحسن لم يجتمع بعلي وانما أخذ عن أصحاب علي أخذ عن الاحنف بن قيس وقيس بن عباد
وغيرهما عن علي وهكذا رواه أهل الصحيح والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وقتل عثمان
وهو بالمدينة كانت أمه أمة لام سلمة فلما قتل عثمان حمل الى البصرة وكان علي بالكوفة والحسن
في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر والأثر الذي يروى عن علي أنه دخل الى جامع
البصرة وأخرج القصاص الا الحسن كذب باتفاق أهل المعرفة ولكن المعروف أن عليا دخل
المسجد فوجد قاصا يقص فقال ما اسمك قال أبو يحيى قال تعرف الناسخ من المنسوخ قال لا
قال هلكت وأهلكت انما أنت أبو اعرفوني ثم أخذ باذنه فأخرجه من المسجد فروى أبو حاتم
في كتاب الناسخ والمنسوخ حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي
عبد الرحمن السلمي قال انتهى علي الى قاص وهو يقص فقال أعلمت الناسخ والمنسوخ قال لا
قال هلكت وأهلكت قال وحدثنا زهير بن عباد الرواسي حدثنا أسد بن حمران عن جويبر
عن الضحاك أن علي بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فاذا قاص يقص فقام على رأسه فقال
يا هذا أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال أفتعرف مدني القرآن من مكيه قال لا قال
هلكت وأهلكت قال أتدرون من هذا هذا يقول اعرفوني اعرفوني وقد صنف ابن
الجوزي مجلدا في مناقب الحسن البصري وصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي جزأ فيمن
لقيه من أصحابه وأخبار الحسن مشهورة في مثل تاريخ البخاري وقد كتبت أسانيد الخرقة لانه
كان لنا فيها أسانيد فبينتها لتعرف الحق من الباطل ولهم أسانيد أخر بالخرقة المنسوبة الى جابر
وهو منقطع جدا وقد علم بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ولا
يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين وأخبار
الحسن مذكورة بالاسانيد الثابتة من كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا وقد أفرد أبو الفرج بن
الجوزي له كتابا في مناقبه وأخباره وأضعف من هذا نسبة الفتوة الى علي وفي اسنادها من
الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبها وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة
والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ولا يسقي ملحا ولا يختص أحد بطريقة تسمى
الفتوة لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم وتأدبوا بهم واستفادوا منهم وتخرجوا على
أيديهم وصحبوا من صحبوه منهم وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة وأصحاب ابن مسعود كانوا
يأخذون عن عمر وعلي وأبي الدرداء وغيرهم وكذلك أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه كانوا
يأخذون عن ابن مسعود وغيره وكذلك أصحاب ابن عباس يأخذون عن ابن عمر وأبي هريرة
وغيرهما وكذلك أصحاب زيد بن ثابت يأخذون عن أبي هريرة وغيره وقد انتفع بكل منهم من
نفعه الله وكلهم متفقون على دين واحد وطريق واحدة وسبيل واحدة يعبدون الله ويطيعون الله

ورسوله

ماهو قائم بنفسه فمن كان الجوهر
عنده أعم من الجسم فاذا انتفى
الاعم انتفى الاخص وكذلك من
كان الجوهر عنده مرادفا للجسم
وأما من كان الجوهر عنده لا
يتناول معنى الجسم مثل أن يقدر
أنه لا يستعمل لفظ الجوهر الا في
الفرد فهذا لا يلزم من نفي كونه
جوهرا نفي كونه جسما الا بالحجة
التي ذكرها وهو أن يقال الجسم
مركب من الجواهر فالحجة لا
تستقيم الا على تقدير ثبوت هذا
الاصطلاح مع أني لا أعرفه
اصطلاحا لأحد مطلقا ولكن بعض
الناس قد يخص به الفرد مع أنه
هو وغيره دائما يسمون الجسم
جوهرا ولهذا قال هذا الآمدي
وغيره في نفي كونه جوهرا إما أن
يكون قابلا للتحيز به فيكون جسما
مركبا وإما أن لا يكون قابلا
للتحيز به فيكون في غاية الصغر
والحقارة وكثيرا ما يقع في كلامهم
لفظ الجوهر متناولا للجسم وكثيرا
ما يقع مختصا بالفرد فما ذكره أولا
في نفي الجوهر بالمعنى العام فالجسم
يدخل فيه فان صح ما ذكره صح
نفي الجسم لكن قد عرف ضعفه
وأما اذا كان المنفي هو الجوهر الفرد
فقط فيحتاج أن يقول ان الجسم
مركب منه لينفي الجسم لكن هذا
فيه نزاع معروف وأكثر الناس
على أنه ليس بمركب من الجواهر
المنفردة وهو الصواب كما قد بسط

ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيأ قبلوه ومن فهم من السنة والقرآن مادل عليه القرآن والسنة استفادوه ومن دعاهم الى الخير الذى يحبه الله ورسوله أجابوه ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربا يستغيث به كالاله الذى يسأله ويرغب اليه ويعبده ويتوكل عليه ويستغيث به حيا وميتا ولا كالنبي الذى تجب طاعته فى كل ما أمر فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه فان هذا ونحوه دين النصارى الذين قال الله فيهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وكانوا متعاونين على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان متواصين بالحق متواصين بالصبر والامام والشيخ ونحوهما عندهم بمنزلة الامام فى الصلاة وبمنزلة دليل الحاج فالامام يقتدى به المأمومون فيصلون فصلاته لا تصلى عنهم وهو يصلى بهم الصلاة التى أمر الله ورسوله بها فان عدل عن ذلك سهوا أو عمدا لم يتبعوه ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه ويحجوه بأنفسهم فالدليل لا يحج عنهم وان أخطأ الدلالة لم يتبعوه واذا اختلف دليلان وامامان نظر أيهما كان الحق معه اتبع فالفاصل بينهم الكتاب والسنة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر الآية وكل من الصحابة الذين سكنوا الامصار أخذ عنه الناس الايمان والدين وأكثر المسلمين بالمشرق والمغرب لم يأخذوا عن على شيأ فانه رضى الله عنه كان ساكنا بالمدينة وأهل المدينة لم يكونوا يحتاجون اليه الا كما يحتاجون الى نظرائه كعثمان فى مثل قضية يشاورهم فيها عمر ونحو ذلك ولما ذهب الى الكوفة كان أهل الكوفة قبل أن يأتيهم قد أخذوا الدين عن سعد بن أبى وقاص وابن مسعود وحذيفة وعمار وأبى موسى وغيرهم ممن أرسله عمر الى الكوفة وأهل البصرة أخذوا الدين عن عمران بن حصين وأبى بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وأنس وغيرهم من الصحابة وأهل الشأم أخذوا الدين عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وبلال وغيرهم من الصحابة والعباد والزهاد من أهل هذه البلاد أخذوا الدين عمن شاهدوه من الصحابة فكيف يجوز أن يقال ان طريق أهل الزهد والتصوف متصل به دون غيره وهذه كتب الزهد مثل الزهد للامام أحمد والزهد لابن المبارك ولوكيع بن الجراح ولهناد بن السرى ومثل كتب أخبار الزهاد كحلية الاولياء وصفوة الصفوة وغير ذلك فيها من أخبار الصحابة والتابعين أمور كثيرة وليس الذى فيها لعلى أكثر مما فيها لابى بكر وعمر ومعاذ وابن مسعود وأبى بن كعب وأبى ذر وأبى الدرداء وأبى أمامة وأمثالهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

(فصل) قال الرافضى وأما علم الفصاحة فهو منبعه حتى قيل كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ومنه تعلم الخطباء

(والجواب) أن يقال لا ريب أن عليا كان من أخطب الصحابة وكان أبو بكر خطيبا وعمر خطيبا وكان ثابت بن قيس بن شماس خطيبا معروفا بأنه خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة شعراءه ولكن كان أبو بكر يخطب عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حضوره وغيبته فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج فى الموسم يدعو الناس الى الاسلام وأبو بكر معه يخطب معه ويبين بخطابه ما يدعو الناس الى متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ونبي الله ساكت يقره على ما يقول وكان كلامه تمهيدا وتوطئة

فى موضعه فمن الناس من يقول انه مركب من جواهر متناهية لا تقبل القسمة بوجه من الوجوه حتى ولا بالوهم ومنهم من يقول هو مركب من جواهر غير متناهية كذلك ومنهم من يقول هو مركب من الهيولى والصورة لكنه يقبل القسمة الى غير نهاية ومنهم من يقول ليس بمركب لكنه يقبل التقسيم الى الجواهر المنفردة التى لا تتجزأ ومنهم من يقول بل كل موجود فلا بد أن يتميز منه شئ عن شئ فلا يتصور وجود جوهر لا يتميز منه شئ عن شئ لكن اذا تصغرت الاجزاء استحالت وقد لا تقبل القسمة الفعلية بل اذا قسمت استحالت كما فى أجزاء الماء اذا تصغرت فانها تصير هواء فهى وان كان يتميز منها شئ عن شئ لكن ليس لها من القوة ما يحتمل الانقسام الفعلى بل يستحيل اذا أريد بها ذلك وعلى هذا القول فلا نثبت شيأ لا يتميز منه جانب عن جانب ولا يثبت ما لا نهاية له فى ضمن ما لا يتناهى ولا انقسام الى غير نهاية بل كل موجود فانه يتميز منه شئ عن شئ وهو قد يستحيل قبل وجود الانقسامات التى لا تتناهى فتزول بهذا القول الاشكالات الواردة على غيره مع أنه مطابق للواقع فتبين ضعف هذا الوجه

(قال الآمدى) الثانى أنه قد ثبت أن الرب متصف بالعلم والقـــدرة وغـــيرهما من الصفات فلو كان جسما كالاجسام لزم من اتصافه بهذه الصـفات المحال وذلك من وجهـين الاول أنه لو اتصف بهذه الصـــفات فاما أن يكون كل جزء من أجزائه متصفا بجميع الصفات واما أن يكون المتصـف بجملتها بعض الاجزاء واما أن يكـــون كل جزء مختصا بصـــفة واما أن تقوم كل صفة من هذه الصـفات مع اتحادها بجمـــلة الاجزاء فان كان الاول يلزم منه تعدد الآلهة وأما الثانى فهو ممتنع لانه لا أولوية لبعض تلك الاجزاء بان يكون هو المتصف دون الباقى ولانه يلزم أن يكون الاله هو ذلك الجزء دون غيره لان حكم العلة لا يتعـــدى محلها وان كان الثالث فلا أولوية أيضا وان كان الرابع فهو محال لما فيه من قيام المتحد بالمتعدد ﴿ ولقائل أن يقول الاعتراض على هـذا من وجوه الاول قولك لو اتصـف بكل واحد من هـذه الصـفات فاما أن يكون كل جزء مـــن أجزائه متصفا بجميع هـذه الصفات الى آخره فرع على ثبوت الاجزاء وذلك ممنوع فلم قلت ان كل ما هو جسم فهو مركب من الاجزاء فان هذا مبـنى على أن الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة وهذا ممنوع وجمهور العـقلاء على خلافه وهو

لما يبلغه الرسول معونة له لا تقـدما بين يدى الله ورسوله كما كان ثابت بن قيس بن شماس يخطب أحيانا عن النبى صـلى الله عليه وسـلم وكان يسمى خطيب رسول الله وكان عمر من أخطب الناس وأبو بكر أخطب منــه يعرف له عمـر بذلك وهو الذى خطب المسلمـين وكشف لهـم عن موت النبى صـلى الله عليه وسـلم وثبت الايمان فى قلوب المسلمين حـتى لا يضطرب الناس لعظيم المصيبة التى نزلت بهـم ولما قـدم هو وأبو بكر مهاجرين الى المدينة قعد رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقام أبو بكر يخاطب الناس عنه حتى ظن من لم يعرفهما أنه رسول الله صـلى الله عليه وسلم الى أن عرف بعد أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم هو القاعد وكان يخرج معــه الى الوفود فيخاطب الوفود وكان يخاطبهم فى مغيبــه ولما توفى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كان هو الذى خطب الناس وخطب يوم السـقيفة خطبة بليغة انتفع بها الحاضرون كلهم حتى قال عمر كنت قد زورت فى نفسى مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر وكنت أدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبــه فتكلم أبو بكر وكان أحـلم منى وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى الا قال فى بديهته مثلها أو أفضـل منها وقال أنس خطبنا ابو بكر رضى الله عنــه ونحن كالثعالب فما زال يثبتنا حتى صرنا كالاسود وكان زياد بن أبيــه من أخطب النـاس وأبلغهم حتى قال الشـعبى ما تكلم أحد فأحسن الا تمنيت أن يسكت خشية أن يزيد فيسئ إلا زيادا كان كلما أطال أجاد أو كما قال وقد كتب الناس خطب زياد وكان معاوية خطيبا وكانت عائشـــة من أخطب الناس حتى قال الاحنف بن قيس سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمـان وعلى فما سمعت الـكلام من مخلوق أفخم ولا أحسن من عائشـة وكان الخطباء الفصحاء كثيرين فى العرب قبل الاسـلام وبعـده وجماهير هؤلاء لم يأخذوا عن على شيأ فقول القائل انه منبع علم الفصاحة كذب بين ولولم يكن الا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أخطب منه وأفصح ولم يأخـذ منه شـيأ وليست الفصـاحة التشدق فى الكلام ولا سجـع الكلام ولا كان فى خطبة على ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تـكلف الأسجاع ولا تـكلف التحسين الذى يعود الى مجرد اللفظ الذى يسمى علم البديع كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشـعر وما يوجد فى القرآن من مثل قوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صـنعا وان ربهم بهم ونحو ذلك فلم يتـكلف لأجل التجانس بل هذا تابع غير مقصود بالقصد الاول كما يوجد فى القرآن من أوزان الشعر ولم يقصد به الشعر كقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ونحو ذلك وانما البلاغة المأمور بها فى مثل قوله تعـالى وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا هى علم المعانى والبيان فيذكر من المعانى ما هو أكمل مناسبة للمطلوب ويذكر من الالفاظ ما هو أكـمل فى بيان تلك المعانى فالبـلاغة بلوغ غاية المطلوب أو غاية الممكن من المعانى بأتم ما يكون من البيان فيجمع صاحبها بين تـكميـل المعانى المقصودة وبين تبيينها بأحسن وجه ومن الناس من تـكون همته الى المعانى ولا يوفيها حقها من الالفاظ المبينة ومن الناس من يكون مبينا لما فى نفســه من المعانى لكن لا تـكون تلك المعانى محصلة للمقصود المطلوب فى ذلك المقام فالمخبر مقصوده تحقيق المخبر به فاذا بينه و بين ما يحقق ثبوته لم يكن بمنزلة الذى لا يحقق ما يخبر به أولا يبين ما يعـلم به ثبوته والآمر مقصوده تحصيل الحكمة المطلوبة فمن أمر ولم يحكم ما أمر به أولم يبين الحكمة فى ذلك لم يكن بمنزلة الذى أمر بما هو حكمة وبين وجه الحكمة فيه وأما تـكلف الاسجاع والاوزان والجناس والتطبيق ونحو ذلك مما تـكلفه

متأخرو الشعراء والخطباء والمترسلين والوعاظ فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم ولا كان ذلك مما يهتم به العرب وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعانى كالمجاهد الذى يزخرف السلاح وهو جبان ولهذا يوجد الشاعر كلما أمعن فى المدح والهجو خرج فى ذلك الى الافراط فى الكذب يستعين بالتخيلات أو التمثيلات وأيضا فأكثر الخطب التى ينقلها صاحب نهج البلاغة كذب على على وعلى رضى الله عنه أجل وأعلى قدرا من أن يتكلم بذلك الكلام ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح فلا هى صدق ولا هى مدح ومن قال ان كلام على وغيره من البشر فوق كلام المخلوق فقد أخطأ وكلام النبى صلى الله عليه وسلم فوق كلامه وكلاهما مخلوق ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين الذى يقول هذا كلام يشبه بوجه ما كلام البشر وهذا ينزع الى أن يجعل كلام الله ما فى نفوس البشر وليس هذا من كلام المسلمين وأيضا فالمعانى الصحيحة التى توجد فى كلام على موجودة فى كلام غيره لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس فجعلوه من كلام على ومنه ما يحكى عن على أنه تكلم به ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به ولكن هو فى نفس الامر من كلام غيره ولهذا يوجد فى كلام البيان والتبيين للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير على وصاحب نهج البلاغة يجعله عن على وهذه الخطب المنقولة فى كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن على من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن على بالاسانيد وبغيرها فاذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرا منها بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا كذب والا فليبين الناقل لها فى أى كتاب ذكر ذلك ومن الذى نقله عن على وما اسناده والا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالاسانيد وتبين صدقها من كذبها علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن على من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها

﴿فصل﴾ قال الرافضى وقال سلونى قبل أن تفقدونى سلونى عن طرق السماء فانى أعلم بها من طرق الارض

(والجواب) أن يقال لا ريب أن عليا لم يكن يقول هذا بالمدينة بين المهاجرين والانصار الذين تعلموا كما تعلم وعرفوا كما عرف وانما قال هذا لما صار الى العراق وقد دخل فى دين الاسلام خلق كثير لا يعرفون كثيرا من الدين وهو الامام الذى يجب عليه أن يفتيهم ويعلمهم فكان يقول لهم ذلك ليعلمهم ويفتيهم كما أن الذين تأخرت حياتهم من الصحابة واحتاج الناس الى علمهم نقلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة لم ينقلها الخلفاء الأربعة ولا أكابر الصحابة لان أولئك كانوا مستغنين عن نقلها لان الذين عندهم قد علموها كما علموها ولهذا يروى لابن عمر وابن عباس وعائشة وأنس وجابر وأبى سعيد ونحوهم من الصحابة من الحديث ما لا يروى لعلى ولا لعمر وعمر وعلى أعلم من هؤلاء كلهم لكن هؤلاء احتاج الناس اليهم لكونهم تأخرت وفاتهم وأدركهم من لم يدرك أولئك السابقين فاحتاجوا أن يسألوهم واحتاج أولئك أن يعلموهم ويحدثوهم فقول على لمن عنده بالكوفة سلونى هو من هذا الباب لم يقل هذا لابن مسعود ومعاذ وأبى بن كعب وأبى الدرداء وسلمان وأمثالهم فضلا عن أن يقول ذلك لعمر وعثمان ولهذا لم يكن هؤلاء ممن يسأله فلم يسأله قط لا معاذ ولا أبى ولا ابن مسعود ولا من هو دونهم من الصحابة وانما كان يستفتيه المستفتى كما يستفتى أمثاله من الصحابة وكان عمر وعثمان

لم يثبته هنا بالدليل فيكفى مجرد المنع وبسط ذلك فى موضعه وكل من أمعن فى معرفة هذا المقام علم أن ما ذكروه من أن الجسم مركب من جواهر منفردة متشابهة عرض لها التركيب أو من مادة وصورة وهما جوهران من أفسد الكلام واذا كان كذلك أمكن أن يكون كل من الصفات القائمة بجميع المحل شائعة فى جميع الموصوف ولا يلزم أن يكون الواحد قام بأجزاء بل القول فى الصفة الحالة كالقول فى المحل الذى هو الموصوف (الوجه الثانى) أن يقال القول فى وحدة الصفة وتعددها وانقسامها وعدم انقسامها كالقول فى الموصوف وسواء فى ذلك الصفات المشروطة بالحياة والقدرة والحس بل والحياة نفسها أو التى لا تشترط بالحياة كالطعم واللون والريح فان طعم التفاحة مثلا شائع فيها كلها فاذا بعضت تبعض ولا يقال انها قام طعم واحد بجملة التفاحة بل ان قيل ان التفاحة أجزاء كثيرة قيل قام بها طعوم كثيرة وان قيل هى شئ واحد قيل قام بها طعم واحد فان قيل فهذا هو التقدير الاول وهو اتصاف كل جزء من هذه الأجزاء بجميع هذه الصفات قيل ليس كذلك أما أولا فلمنع التجزى وأما ثانيا فلأنه لم يقم بكل جزء الا جزء من الصفة القائمة بالجميع لم تقم

يشاورانه كما يشاور أمثاله فكان عمر يشاور في الامور لعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي موسى ولغيرهم حتى كان يدخل ابن عباس معهم مع صغر سنه وهذا مما أمر الله به المؤمنين ومدحهم عليه بقوله وأمرهم شورى بينهم ولهذا كان رأي عمر وحكمه وسياسته من أسد الامور فما رؤي بعده مثله ولا ظهر الاسلام وانتشر وعز كظهوره وانتشاره وعزه في زمنه وهو الذي كسر كسرى وقصر قيصر والروم والفرس وكان أميره الكبير على الجيش الشامي أبا عبيدة وعلى الجيش العراقي سعد بن أبي وقاص ولم يكن لأحد بعد أبي بكر مثل خلفائه ونوابه وعماله وجنده وأهل شوراه وقوله أنا أعلم بطرق السماء من طرق الارض كلام باطل لا يقوله عاقل ولم يصعد أحد ببدنه الى السماء من الصحابة والتابعين وقد تكلم الناس في معراج النبي صلى الله عليه وسلم هل هو ببدنه أو بروحه وان كان الأكثرون على انه ببدنه فلم ينازع السلف في غير النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يعرج ببدنه ومن اعتقد هذا من الغلاة في أحد من المشايخ وأهل البيت فهو من الضلال من جنس من اعتقد من الغلاة في أحد من هؤلاء النبوة أو ما هو أفضل من النبوة أو الالهية وهذه المقالات كلها كفر بين لا يسترب في ذلك أحد من علماء الاسلام وهذا كاعتقاد الاسمعيلية أولاد ميمون القداح الذين كان جدهم يهوديا ربيبا لمجوسي وزعموا أنهم أولاد محمد بن اسمعيل ابن جعفر واعتقد كثير من أتباعهم فيهم الالهية أو النبوة وأن محمد بن اسمعيل بن جعفر نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك طائفة من الغلاة يعتقدون الالهية أو النبوة في علي وفي بعض أهل بيته اما الاثنا عشر واما غيرهم وكذلك طائفة من العامة والنساك يعتقدون في بعض الشيوخ نوعا من الالهية أو النبوة أو انهم أفضل من الانبياء ويجعلون خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وكذلك طائفة من هؤلاء يجعلون الاولياء أفضل من الانبياء ويعتقد ابن عربي ونحوه أن خاتم الانبياء يستفيد من خاتم الاولياء وأنه هو خاتم الاولياء ويعتقد طائفة أخرى أن الفيلسوف الكامل أعلم من النبي بالحقائق العلمية والمعارف الالهية فهذه الاقوال ونحوها هي من الكفر المخالف لدين الاسلام باتفاق أهل الاسلام ومن قال منها شيأ فانه يستتاب منه كما يستتاب نظراؤه ممن يتكلم بالكفر كاستتابة المرتد ان كان مظهرا لذلك والا كان داخلا في مقالات أهل الزندقة والنفاق وان قدر أن بعض الناس خفي عليه مخالفة ذلك لدين الاسلام اما لكونه حديث عهد بالاسلام أو لنشأته بين قوم جهال يعتقدون مثل ذلك فهذا بمنزلة من يجهل وجوب الصلاة أو بعضها أو يرى الواجبات تجب على العامة دون الخاصة وأن المحرمات كالزنا والخمر مباح للخاصة دون العامة وهذه الاقوال قد وقع في كثير منها كثير من المنتسبين الى التشيع والمنتسبين الى كلام أو تصوف أو تفلسف وهي مقالات باطلة معلومة البطلان عند أهل العلم والايمان ولا يخفى بطلانها على من هو من أهل الاسلام والعلم

(فصل) قال الرافضي واليه ترجع الصحابة في مشكلاتهم ورد عمر في قضايا كثيرة قال فيها لولا علي لهلك عمر

(والجواب) أن يقال ما كان الصحابة يرجعون اليه ولا الى غيره وحده في شيء من دينه لا واضحه ولا مشكله بل كان اذا نزلت النازلة يشاورهم عمر رضي الله عنه فيشاور عثمان وعليا وعبد الرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبا موسى حتى يشاور ابن عباس وكان من أصغرهم سنا وكان السائل يسأل عليا تارة وأبي بن كعب تارة وعمر تارة وقد سئل ابن عباس أكثر مما سئل علي وأجاب

عن

جميع الصفة بكل جزء وحينئذ فيبطل التلازم المذكور وهو كون كل جزء إلها فان الاله سبحانه هو المتصف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير أما اذا قدر موصوف قام به جزء من هذه القدرة لا تنقسم هي ولا محلها لم يلزم أن يكون ذلك الجزء قادرا فضلا عن أن يكون ربا اذ القادر لا يجب أن يكون من قام به جزء من القدرة ولا الحي من قام به جزء من الحياة ولا العالم من قام به جزء من العلم فان قيل كيف يعقل انقسام القدرة والحياة والعلم قيل كما يعقل انقسام محل هذه الصفات فان الانسان تقوم حياته بجميع بدنه وكذلك الحس والقدرة تقوم ببدنه وغيرهما من صفاته فكما أن بدنه ينقسم فالقائم ببدنه ينقسم فان قيل اذا انقسم لم يبق قدرة ولا علما ولا حياة قيل وكذلك المحل لا يبقى يدا ولا عضوا لا قادرا ولا حيا ولا عالما ولا حساسا فان الجزء المنفرد بتقدير وجوده هو أحقر من أن يقال انه يد أو عضو أو بدن حي عالم قادر فكيف يقال فيه انه إله (الوجه الثالث) أن ما ذكروه معارض بقيام هذه الصفات في الانسان فان الانسان تقوم به الحياة والقدرة والحس ولم نذكر العلم ولا نحتاج أن نقول كما قالت المعتزلة ان الاعراض المشروطة بالحياة اذا قامت بجزء في الجملة عاد حكمها الى جميع الجملة

عن المشكلات أكثر من علي وماذاك لأنه أعلم منه بل علي أعلم منه لكن احتاج اليه من لم يدرك عليا فأما أبو بكر رضي الله عنه فما ينقل عنه أحد أنه استفاد من علي شيأ من العلم والمنقول أن عليا هو الذي استفاد منه كحديث صلاة التوبة وغيره وأما عمر فكان يشاورهم كلهم وكان عمر أعلم منهم وكان كثير من القضايا يقول فيها أولا ثم يتبعونه كالعمريتين والعول وغيرهما فان عمر هو أول من أجاب في زوج وأبوين أو امرأة وأبوين بأن للام ثلث الباقي واتبعه أكابر الصحابة وأكابر الفقهاء كعثمان وابن مسعود وعلي وزيد والائمة الأربعة وخفي وجه قوله على ابن عباس فأعطى الأم الثلث ووافقه طائفة وقول عمر أصوب لان الله انما أعطى الأم الثلث اذا ورثه أبواه كما قال فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فأعطاها الثلث اذا ورثه أبواه والباقي بعد فرض الزوجين هو ميراث بين الابوين يقتسمانه كما اقتسما الاصل كما لو كان على الميت دين أو وصية فانهما يقتسمان ما بقي اثلاثا وأما قوله انه رد عمر الى قضايا كثيرة قال فيها لولا علي لهلك عمر فيقال هذا لا يعرف أن عمر قاله الا في قضية واحدة ان صح ذلك وكان عمر يقول مثل هذا لمن هو دون علي قال للمرأة التي عارضته في الصداق رجل أخطأ وامرأة أصابت وكان قد رأى أن الصداق ينبغي أن يكون مقدرا بالشرع فلا يزاد على صداق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته كما رأى كثير من الفقهاء أن أقله مقدر بنصاب السرقة واذا كان مقدرا بالشرع والفاضل قد بذله الزوج واستوفى عوضه والمرأة لا تستحقه فيجعل في بيت المال كثمن عصير الخمر اذا باعه المسلم وأجرة من أجر نفسه لحمل الخمر ونحو ذلك على أظهر أقوال العلماء فان من استوفى منفعة محرمة بعوضها كالذي يزني بالمرأة بالجعل أو يستمع الملاهي بالجعل أو يشرب الخمر بالجعل ان أعيد اليه جعله بعد قضاء غرضه فهذا زيادة في اعانته على المعصية فان كان يطلبها بالعوض فاذا حصلت له هي والعوض كان ذلك أبلغ في اعانته على الاثم والعدوان وان أعطى ذلك للبائع والمؤجر كان قد أبيح له العوض الخبيث فصار مصرف هذا المال في مصالح المسلمين وعمر امام عدل فكان قد رأى أن الزائد على المهر الشرعي يكون هكذا فعارضته امرأة وقالت لم تمنعنا شيأ أعطانا الله اياه في كتابه فقال وأين في كتاب الله فقالت في قوله تعالى وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ وروي أنها قالت له أمنك نسمع أم من كتاب الله تعالى قال بل من كتاب الله فقرأت عليه الآية فقال رجل أخطأ وامرأة أصابت ومع هذا فقد أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من العلم والدين والالهام بما لم يخبر بمثله لا في حق عثمان ولا علي ولا طلحة ولا في الزبير وفي الترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال وقال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال عمر فيه الا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر وفي سنن أبي داود عن أبي ذر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وفي الترمذي عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن في أمتي أحد فعمر قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون وقال ابن عيينة محدثون أي مفهمون وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وفي الصحيحين عن ابن عمر

بل نذكر من الاعراض ما يعلم قيامه بالبدن الظاهر كالحياة والحس والحركة والقدرة فان هذا التقسيم الذي ذكروه يرد عليه فانه ان قيل ان كل جزء من أجزائه متصف بهذه الصفات لزم تعدد الانسان وان كان المتصف بجملتها بعض الأجزاء فلا أولوية ولزم أن لا يتعدى حكم الصفة محلها والتقدير أن ظاهر البدن كله حي حساس وان قيل ان كل واحد يختص بصفة فهو معلوم الفساد بالضرورة مع أنه لا أولوية وان قيل تقوم الصفة الواحدة بالجملة لزم قيام الواحد بالمتعدد فاذا كان هذا التقسيم واردا على ما يعلم قيام الصفات به ولم ينف قيامها به علم أنها حجة باطلة الوجه الرابع قوله والرابع محال لانه يلزم قيام المتحد بالمتعدد فيقال لا نسلم التلازم فان هذا القيام مبناه على أنه حينئذ يقوم الواحد بالمتعدد فانه فرض قيام علم واحد وقدرة واحدة وحياة واحدة بجملة أجزاء وهذا الاصل فاسد فان المعلوم من وحدة الصفة الحالية وتعددها هو المعلوم من وحدة المحل وتعدده فالحياة القائمة بجسم حي اذا قيل هي حياة واحدة قيل هو حي واحد واذا قيل الحي أجزاء متعددة قيل الحياة أجزاء متعددة فالحال ومحله سواء في الاتحاد والتعدد وحينئذ فقولهم انه قام المتحد بالمتعدد كلام

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى انى أرى الرى يخرج من تحت أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب قال من حوله فما أولت ذلك يارسول الله قال العلم وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وفى الصحيحين عن أنس أن عمر قال وافقت ربى فى ثلاث قلت لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وهذا الباب فى فضائل عمر كثير جدا وأما قصة الحكومة فى الارغفة فهى مما يحكم فيها وما هو أدق منها دون على والفقهاء فى تفاريع مسائل القضاء والقسمة وغير ذلك من الدقائق ما هو أبلغ من هذه وليسوا مثل على وأما مسئلة القرعة فقد رواها أحمد وأبو داود عن زيد بن أرقم لكن جمهور الفقهاء لا يقولون بهذه وأما أحمد فنقل عنه بضعف الخبر فلم يأخذ به وقيل أخذ به وأحمد أوسع الائمة أخذا بالقرعة وقد أخذ بقضاء على فى الرتبة وحديثها أثبت من هذا رواه سماك بن حرب وأخذ به أحمد وأما الثلاثة فما بلغهم لا هذا ولا هذا أو بلغهم ولم يثبت عندهم وكان عند أحمد من العلم بالآثار ومعرفة صحتها من سقمها ما ليس لغيره وهذا يدل على فضل على ولا نزاع فى هذا لكن لا يدل على أنه أقضى الصحابة وأما قوله معرفة القضايا بالالهام فهذا خطأ لأن الحكم بالالهام بمعنى أنه من ألهم أنه صادق حكم بذلك بمجرد الالهام وهذا لا يجوز فى دين المسلمين وفى الصحيح عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيأ فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فأخبر أنه يقضى بالسمع لا بالالهام فلو كان الالهام طريقا لكان النبى صلى الله عليه وسلم أحق بذلك وكان الله يوحى اليه معرفة صاحب الحق فلا يحتاج الى بينة ولا اقرار ولم يكن ينهى أحدا أن يأخذ مما يقضى له ولما حكم فى اللعان بالفرقة قال ان جاءت به كذا فهو للزوج وان جاءت به كذا فهو للذى رميت به فجاءت به على النعت المكروه فقال لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن فأنفذ الحكم باليمين ولم يحكم بالشبه وأما ان قيل انه يلهم الحكم الشرعى فهذا لا بد فيه من دليل شرعى لا يجوز الحكم بمجرد الالهام فان الذى ثبت بالنص أنه كان ملهما هو عمر بن الخطاب كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى فعمر ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر أن يفتى ولا يقضى ولا يعمل بمجرد ما يلقى فى قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة فان وافقه قبله وان خالفه رده وأما ما ذكره من الحكومة فى البقرة التى قتلت حمارا فهذا الحديث لا يعرف وليس هو فى شئ من كتب الحديث والفقه مع احتياج الفقهاء فى هذه المسئلة الى نص ولم يذكر له اسنادا فكيف يصدق بشئ لا دليل على صحته بل الأدلة المعلومة تدل على انتفائه ومع هذا فهذا الحكم الذى نقله عن على وأن النبى صلى الله عليه وسلم أقره اذا حمل على ظاهره كان مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين فان النبى صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال العجماء جبار وهذا فى الصحيحين وغيرهما واتفق العلماء على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق والعمل به والعجماء تأنيث أعجم وكل بهيمة فهى عجماء كالبقرة والشاة وغيرهما وهذه اذا كانت ترعى فى المراعى

باطل بل ما فسروا به الاتحاد فى أحدهما كان موجودا فى الآخر وما فسروا به تعدد أحدهما كان موجودا فى الآخر الوجه الخامس أنا لا نسلم الحصر فيما ذكروه من الاقسام بتقدير انقسام الجسم بل من الممكن أن يقال قام كل جزء من أجزاء هذه الصفات بجزء من أجزاء الموصوف وكل جزء منه متصف بجزء من الصفة وهذا التقسيم غير ما ذكره من الاقسام ليس فيه اتصاف كل جزء بجميع الصفة ولا المتصف بجميعها بعض الجملة ولا كل جزء مختصا بجميع صفته ولا قيام واحد بمتعدد فان قال الصفة لا تنقسم ومحلها ينقسم قيل هذه مكابرة للحس والعقل بل انقسامها بانقسام محلها يبين هذا أن من أعظم عمد مثبتى الجوهر الفرد قولهم ان الحركة قائمة بالجسم والزمان مقدار الحركة والزمان فيه الآن الذى لا ينقسم فلا ينقسم قدره من الحركة فلا ينقسم الجزء الذى يحلها فانما استدلوا على وجود الجزء الذى لا ينقسم بوجود جزء من الحركة لا ينقسم فعلم أن انقسام الحال عندهم كانقسام محله مع أن هذا معلوم بالحس والعقل وكذلك المتفلسفة القائلون بان النفس الناطقة ليست جسما عمدتهم أنه يقوم بها ما لا ينقسم وما لا ينقسم لا يقوم الا بما لا ينقسم وقد

المعتادة فأفلتت نهارا من غير تفريط من صاحبها حتى دخلت على حمار فأفسدته أو أفسدت زرعا لم يكن على صاحبها ضمان باتفاق المسلمين فانها عجماء لم يفرط صاحبها وأما ان كانت خرجت بالليل فعلى صاحبها الضمان عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد لقصة سليمان بن داود في النفش ولحديث ناقة البراء بن عازب فانها دخلت حائطا فأفسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل المواشي ما أفسدت مواشيهم بالليل وقضى على أهل الحوائط بحفظ حوائطهم بالنهار وذهب أبو حنيفة وابن حزم وغيرهما الى أنه لا ضمان في ذلك وجعلوها داخلة في العجماء وضعف بعضهم حديث ناقة البراء وأما ان كان صاحبها اعتدى وأرسلها في زرع قوم أو بقرب زرع أو أدخلها الى اصطبل الحمار بغير اذن صاحبه فأتلفته فهنا يضمن لعدوانه فهذه قضية البقرة والحمار ان كان صاحب البقرة لم يفرط فالتفريط من صاحب الحمار كما لو دخلت الماشية نهارا فأفسدت الزرع فان صاحبه لم يغلق عليه الباب كما لو دخل الحمار على البقرة (١) ان كان الحمار نائما وان كان هو المفرط بادخالها الى الحمار كان ضامنا وأما أن يجعل مجرد اعتداء البقرة بدون تفريط صاحبها كاعتداء صاحبها فهذا يوجب كون البهيمة كالعبد ما أتلفته يكون في رقبتها ولا يكون جبارا وهذا ليس من حكم المسلمين ومن نقل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب عليه وقد قلنا غير مرة ان هؤلاء الجهال يكذبون ما يظنونه مدحا ويمدحون به فيجمعون بين الكذب وبين المدح فلا صدق ولا علم ولا عدل يظنون في الخبر والعدل وقد تقدم الكلام على قوله يهدي الى الحق

(فصل) قال الرافضي الرابع أنه كان أشجع الناس وبسيفه ثبتت قواعد الاسلام وتشيدت أركان الايمان ما انهزم في موطن قط ولا ضرب بسيف الا قط طالما كشف الكرب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفر كما فر غيره ووقاه بنفسه لما بات على فراشه مستترا بازاره فظنه المشركون اياه وقد اتفق المشركون على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحدقوا به وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل ولا يتم لهم الأخذ بثاره لاشتراك الجماعة في دمه ويعود كل قبيل عن قتال رهطه وكان ذلك سبب حفظ دم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمت السلامة وانتظم به الغرض في الدعاء الى الملة فلما أصبح القوم ورأوا الفتى به ثار اليهم فتفرقوا عنه حين عرفهم وانصرفوا وقد ضلت حيلتهم وانتقض تدبيرهم

(والجواب) أنه لا ريب أن عليا رضي الله عنه كان من شجعان الصحابة وممن نصر الله الاسلام بجهاده ومن كبار السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله وممن قتل بسيفه عددا من الكفار لكن لم يكن هذا من خصائصه بل غير واحد من الصحابة شاركه في ذلك فلا يثبت بهذا فضله في الجهاد على كثير من الصحابة فضلا عن أفضليته على الخلفاء فضلا عن تعينه للامامة وأما قوله انه كان أشجع الناس فهذا كذب بل أشجع الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس لابي طلحة عري في عنقه السيف وهو يقول لن تراعوا قال البخاري استقبلهم وقد استبرأ الخبر وفي المسند عن علي رضي الله عنه قال كان اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله

اتفقت الطوائف على أن الصفة اذا لم تنقسم كان محلها لا ينقسم

الوجه السادس أن قوله اما أن يكون كل جزء من الأجزاء متصفا بهذه الصفات يقال له ان أردت أنه يتصف به كما تتصف به الجملة فهذا لا يقوله عاقل فانه ليس في الاجسام ما يكون صفة جميعه صفة للجوهر الفرد منه على الوجه الذي هي به صفة لجميعه وان أردت أنه متصف به كما يليق بذلك الجزء فلم قلت ان ما اتصف بالصفة على هذا الوجه يمكن انفراده عن غيره فضلا عن كونه الها وهذا لانه ليس في جميع ما يعلم من الموصوفين المنفردين بأنفسهم ماهو جوهر فرد ولا في شئ مما يشاهد من الموصوفين ماهو جوهر فرد بل والجوهر الفرد بتقدير وجوده لا يحس به ولا يوجد منفردا فما كان لا يوجد وحده حتى ينضم اليه أمثاله كيف يكون حيا فضلا عن أن يكون فرسا أو بعيرا فضلا عن أن يكون انسانا أو ملكا أو جنيا فضلا عن أن يكون الها وهل ذكر مثل هذا في حق الله الا من أعظم الدليل على جهل قائله

---

(١) قوله ان كان الحمار نائما كذا في النسخة والكلام بدونه مستقيم وقوله بعد أسطر يظنون في الخبر والعدل كذا فيها أيضا ولا معنى له وحرر كتبه مصححه

صلى الله عليه وسلم فهو كان أقرب الى العدو منا والشجاعة تفسر بشيئين أحدهما قوة القلب وثباته عند المخاوف والثانى شدة القتال بالبدن بأن يقتل كثيرا ويقتل قتلا عظيما والاول هو الشجاعة وأما الثانى فيدل على قوة البدن وعمله وليس كل من كان قوى البدن كان قوى القلب ولا بالعكس ولهذا تجد الرجل الذى يقتل كثيرا ويقاتل (١) اذا كان معه من يؤمنه اذا خاف أصابه الجبن وانخلع قلبه وتجد الرجل الثابت القلب الذى لم يقتل بيده كثيرا ثابتا فى المخاوف مقداما على المكاره وهذه الخصلة يحتاج اليها فى أمراء الحروب وقواده ومقدميه أكثر من الاولى فان المقدم اذا كان شجاع القلب ثابتا أقدم وثبت ولم ينهزم فقاتل معه أعوانه واذا كان جبانا ضعيف القلب ذل ولم يقدم ولم يثبت ولو كان قوى البدن والنبى صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس فى هذه الشجاعة التى هى المقصودة فى أئمة الحرب ولم يقتل بيده الا أبى بن خلف قتله يوم أحد ولم يقتل بيده أحدا لا قبلها ولا بعدها وكان أشجع من جميع الصحابة حتى ان جمهور أصحابه انهزموا يوم حنين وهو راكب على بغلة والبغلة لا تكر ولا تفر وهو يقدم عليها الى ناحية العدو وهو يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فيسمى نفسه وأصحابه قد انكفوا عنه وعدوه مقدم عليه وهو مقدم على عدوه على بغلته والعباس آخذ بعنانها وكان على وغيره يتقون برسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أشجع منهم وان كان أحدهم قد قتل بيده أكثر مما قتل النبى صلى الله عليه وسلم واذا كانت الشجاعة المطلوبة من الائمة شجاعة القلب فلا ريب أن أبا بكر كان أشجع من عمر وعمر أشجع من عثمان وعلى وطلحة والزبير وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم فان أبا بكر رضى الله عنه باشر الاهوال التى كان يباشرها النبى صلى الله عليه وسلم من أول الاسلام الى آخره ولم يجبن ولم يحرج ولم يفشل وكان يقدم على المخاوف يقى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه يجاهد المشركين تارة بيده وتارة بلسانه وتارة بماله وهو فى ذلك كله مقدم وكان يوم بدر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ثابت القلب ربيط الجاش يظاهر النبى صلى الله عليه وسلم ويعاونه ولما قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستغيث ويقول اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد اللهم اللهم وجعل أبو بكر يقول له يارسول الله هكذا مناشدتك ربك انه سينجز لك ما وعدك وهذا يدل على كمال يقين الصديق وثقته بوعد الله وثباته وشجاعته شجاعة ايمانية زائدة على الشجاعة الطبيعية وكان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل من حاله ومقامه أعلى من مقامه ولم يكن الامر كما ظنه بعض الجهال أن حال أبى بكر أكبر نعوذ بالله من ذلك ولا نقص فى استغاثة النبى صلى الله عليه وسلم ربه فى هذا المقام كما توهمه بعض الناس وتكلم ابن عقيل وغيره فى هذا الموضع بخطل من القول مردود على من قاله بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعا كاملا له من كل مقام ذروته وسنامه ووسيلته فيعلم أن الالتفات الى الاسباب شرك فى التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا قدح فى العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح فى الشرع ويعلم أن عليه أن يجاهد المشركين ويقيم الدين بكل ما يقدر عليه من جهاده بنفسه وماله وتحريضه للمؤمنين ويعلم أن الاستنصار بالله والاستغاثة به والدعاء له فيه أعظم الجهاد وأعظم الاسباب فى تحصيل المأمور ودفع المحذور ولهذا كان يستفتح بصعاليك

المهاجرين

فانهم لا يعلمون شيأ من الجواهر المنفردة يسمى باسم جملته لقيام الصفة بالجملة فكيف يجب فى حق الله اذا قامت به صفات الكمال أن يكون بتقدير ما ذكروه يجب فيه مثل ذلك السابع أن يقال كما أنه لا يجب فى كل جزء من الانسان أن يكون انسانا لانه قام به من الصفات ما يقوم بالانسان ولا فى كل جزء من أجزاء الفرس وسائر الحيوان أن يكون فرسا لكونه من الجملة التى قامت بها الصفة فلماذا يجب فى كل ما كان من الاله أن يكون الها لقيام صفة الاله بالاله الموصوف كله مع أن كل واحد من الموجودات لا يكون حكم جزئه حكم كله لقيام الصفة بالجميع وهل هذا الا من أفسد الحجج وان كان هو من أعظم عمد النفاة

قال الوجه الثانى فى بيان لزوم المحال من اتصافه بهذه الصفات هو أنه لا يخلو إما أن يكون اتصافه بها واجبا لذاته أو لغيره لا جائز أن يقال بالاول والا لزم اتصاف كل جسم بها لوجوبها لذاته للتساوى فى الحقيقة على ما وقع به الفرض وان كان الثانى لزم أن يكون الرب مفتقرا الى ما يخصصه بصفاته والمحتاج الى غيره فى افادة صفاته له لا يكون

---

(١) قوله اذا كان معه الخ لعله اذا لم يكن معه من يؤمنه تأمله كتبه مصححه

المهاجرين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبلت قريش ومعه أصحابه أخبر أصحابه بمصارعهم وقال هذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع أمية بن خلف وهذا مصرع أبي جهل بن هشام وهذا مصرع فلان ثم مع علمه أن ذلك سيكون يعلم أن الله اذا قضى شيأ يكون فلا يمنع ذلك أن يقضيه بأسباب تكون وان من الاسباب ما يكون العباد مأمورين به ومن أعظم ما يؤمر به الاستعانة بالله فقام بما يؤمر به مع علمه بأنه سيكون ما وعده به كما أنه يعبد الله ويطيعه مع علمه بأن له السعادة في الآخرة والقلب اذا غشيته الهيبة والمخافة والتضرع قد يغيب عنه شهود ما يعلمه ولا يمنعه ذلك أن يكون عالما به مصدقا له ولأن يكون في اجتهاد وجهاد بمباشرة الاسباب ومن علم أنه اذا مات يدخل الجنة لم يمنعه أن يجد بعض ألم الموت والمريض الذي اذا أخبر أن في دوائه العافية لا يمنعه ذلك أن يجد مرارة الدواء فقام مجتهدا في الدعاء المأمور به وكان هو رأس الأمر وقطب رحا الدين فعليه أن يقوم بأفضل مما يقوم به غيره وذلك الدعاء والاستغاثة كان أعظم الاسباب التي نزل بها النصر ومقام أبي بكر دون هذا وهو معاونة الرسول والذب عنه واخباره بأنا واثقون بنصر الله تعالى والنظر الى جهة العدو وهل قاتلوا المسلمين أم لا والنظر الى صفوف المسلمين لئلا تختل وتبليغ المسلمين ما يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال ولهذا قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار وأخبر تعالى أن الناس اذا لم ينصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار وهذه الحال كان الخوف فيها على النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره وسيأتي الكلام على هذه القصة في آخر الكتاب والوزير مع الامير له حال والامير حال والمقصود هنا أن أبا بكر كان أشجع الناس ولم يكن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أشجع منه ولهذا لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت بالمسلمين أعظم نازلة نزلت بهم حتى أوهنت العقول وطيشت الالباب واضطربوا اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة القعر فهذا ينكر موته وهذا قد أقعد وهذا قد دهش فلا يعرف من يمر عليه ومن يسلم عليه وهؤلاء يضجون بالبكاء وقد وقعوا في نسخة القيامة وكأنها قيامة صغرى مأخوذة من القيامة الكبرى وأكثر البوادي قد ارتدوا عن الدين وذلت كماته فقام الصديق رضي الله عنه بقلب ثابت وفؤاد شجاع فلم يجزع ولم ينكل قد جمع له بين الصبر واليقين فأخبرهم بموت النبي صلى الله عليه وسلم وأن الله اختار له ما عنده وقال لهم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية حتى تلاها الصديق فلا تجد أحدا الا وهو يتلوها ثم خطبهم فثبتهم وشجعهم قال أنس خطبنا أبو بكر رضي الله عنه وكنا كالثعالب فما زال يشجعنا حتى صرنا كالاسود وأخذ في تجهيز أسامة مع اشارتهم عليه وأخذ في قتال المرتدين مع اشارتهم عليه بالتمهل والتربص وأخذ يقاتل حتى مانعي الزكاة فهو مع الصحابة يعلمهم اذا جهلوا ويقويهم اذا ضعفوا ويحثهم اذا فتروا فقوى الله به علمهم ودينهم وقوتهم حتى كان عمر مع كمال قوته وشجاعته يقول له يا خليفة رسول الله تألف الناس فيقول علام أتألفهم أعلى دين مفترى أم على شعر مفتعل وهذا باب واسع يطول وصفه فالشجاعة المطلوبة من الامام لم تكن في أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل منها في أبي بكر ثم عمر وأما القتل فلا ريب أن غير علي من الصحابة قتل من الكفار أكثر مما قتل علي

الها قلت ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون اتصافه بها واجبا لذاته قوله يلزم اتصاف كل جسم بها للتساوي في الحقيقة على ما وقع به الفرض قيل الذي وقع به الفرض أنه جسم كالاجسام وذلك يقتضي الاشتراك في مسمى الجسمية فلم قلت ان ذلك يستلزم التساوي في الحقيقة فان هذا مبني على تماثل الاجسام وهو ممنوع وهو باطل وان قيل انه يقتضي مماثلة كل جسم في حقيقته بحيث يجوز عليه ما يجوز على كل جسم ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ويجب له ما يجب له فهذا لا يقوله عاقل يفهم ما يقول ولا يعرف هذا قولا لطائفة معروفة وفساده ظاهر لا يحتاج الى اطناب ولكن لا يلزم من فساده أن لا يكون النزاع الا لفظيا فان المنازع يقول ليس هو مثل كل جسم من الاجسام فيما يجب ويجوز ويمتنع ولكن شارك في مسمى الجسمية كما اذا قيل هو حي وغيره حي شاركه في مسمى الحي وكذلك شاركه غيره في مسمى العالم والقادر والموجود والذات والحقيقة فما كان من لوازم القدر المشترك ثبت لهما وما اختص بأحدهما لم يثبت للآخر ومعلوم أن مسمى الجسمية ان قيل انه يستلزم أن يجوز على كل جسم ما جاز على الآخر فلا يقول عاقل ان الله جسم بهذا التفسير ومن قال انه جسم

فان كان من قتل أكثر يكون أشجع فكثير من الصحابة أشجع من علي فالبراء بن مالك أخو أنس قتل مائة رجل مبارزة غير من شورك في دمه وأما خالد بن الوليد فلا يحصى عدد من قتله الا الله وقد انكسر في يده في غزوة موتة تسعة أسياف ولا ريب أنه قتل أضعاف ما قتله علي وكان لابي بكر مع الشجاعة الطبيعية شجاعة دينية وقوة يقينية في الله عز وجل وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين وهذه الشجاعة لا تحصل الا لمن كان قوي القلب لكن هذه تزيد بزيادة الايمان واليقين وتنقص بنقص ذلك فمن تيقن أنه يغلب عدوه كان اقدامه عليه بخلاف اقدام من لم يكن كذلك وهذا كان من أعظم أسباب شجاعة المسلمين واقدامهم على عدوهم فانهم كانوا أيقنوا بخبر الله ورسوله أنهم منصورون والله يفتح لهم البلاد ومن شجاعة الصديق ما في الصحيحين عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه من عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم

(فصل) ومما ينبغي أن يعلم أن الشجاعة انما فضيلتها في الدين لاجل الجهاد في سبيل الله والا فالشجاعة اذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت إما وبالا عليه ان استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان واما غير نافعة له ان استعملها فيما لا يقربه الى الله تعالى فشجاعة علي والزبير وخالد وأبي دجانة والبراء بن مالك وأبي طلحة وغيرهم من شجعان الصحابة انما صارت من فضائلهم لاستعانتهم بها على الجهاد في سبيل الله فانهم بذلك استحقوا ما حمد الله به المجاهدين واذا كان كذلك فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال ومنه ما يكون بالحجة والبيان والدعوة قال تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفار بالقرآن جهادا كبيرا وهذه السورة مكية نزلت بمكة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وقبل أن يؤمر بالقتال ولم يؤذن له وانما كان هذا الجهاد بالعلم والقلب والبيان والدعوة لا بالقتال وأما القتال فيحتاج الى التدبير والرأي ويحتاج الى شجاعة القلب والى القتال باليد وهو الى الرأي والشجاعة في القلب في الرأس المطاع أحوج منه الى قوة البدن وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما مقدمان في أنواع الجهاد غير قتال البدن قال أبو محمد بن حزم وجدناهم يحتجون بأن عليا كان أكثر الصحابة جهادا وطعنا في الكفار وضربا والجهاد أفضل الاعمال قال وهذا خطأ لان الجهاد ينقسم أقساما ثلاثة أحدها الدعاء الى الله تعالى باللسان والثاني الجهاد عند الحرب بالرأي والتدبير والثالث الجهاد باليد في الطعن والضرب فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر ولا عمر أما أبو بكر فان أكابر الصحابة أسلموا على يديه فهذا أفضل عمل وليس لعلي من هذا كثير حظ وأما عمر فانه من يوم أسلم عز الاسلام وعبد الله علانية وهذا أعظم الجهاد وقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين اللذين لا نظير لهما ولا حظ لعلي في هذا وبقي القسم الثاني وهو الرأي والتدبير فوجدناه خالصا لابي بكر ثم لعمر بقي القسم الثالث وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتب الجهاد ببرهان ضروري وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم في أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده صلى الله عليه وسلم انما كان في أكثر أعماله وأحواله بالقسمين الاولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة

وكان

لم يقل ان القدر المشترك الا كالقدر المشترك في الذات والقائم بالنفس ومسمى التحيز ويقول مع ذلك ان هذا المسمى وقع على أمور مختلفة الحقائق كالموصوف والقائم بالنفس ونحو ذلك وبالجملة ان ثبت تماثل الاجسام في كل ما يجب ويجوز ويمتنع أغناه عن هذا الكلام وان لم يثبت لم ينفعه هذا الكلام فهذا الكلام لا يحتاج اليه على التقديرين فالمنازع يقول مسمى الجسم كمسمى الموصوف والقائم بنفسه والذات والماهية والموجود ينقسم الى واجب بنفسه وواجب بغيره واذا كان أحد النوعين واجبا بنفسه لم يجب أن يكون كل موصوف قائما بنفسه ولا كل موجود وكذلك لا يكون كل جسم فتبين أن ما ذكره مغلطة لانه قال اما أن يقال انه جسم كالاجسام واما أن يقال جسم لا كالاجسام فان قيل بالثاني كان النزاع في اللفظ لا في المعنى فدل ذلك على أن قوله في المعنى موافق لقول من يقول جسم لا كالاجسام ثم جعل القسم الاول هو القول بتماثل الاجسام فكان حقيقة قوله أنه اما أن يقال انه مماثل للاجسام في حقيقتها بحيث يتصف بما تتصف به من الوجوب والجواز والامتناع واما أن لا يقال بذلك فمن لم يقل بذلك لم ينازعه في المعنى ومن قال بالاول فقوله باطل ومعلوم أن

وكان أقل عمله الطعن والضرب والمبارزة لاعن جبن بل كان أشجع أهل الارض قاطبة نفسا ويدا وأتمهم نجدة ولكنه كان يؤثر الافضل فالأفضل من الاعمال فيقدمه و يشتغل به ووجدناه يوم بدر وغيره كان أبو بكر معه لا يفارقه ايثارا من النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك واستظهارا برأيه في الحرب وأنسا بمكانه ثم كان عمر ربما شورك في ذلك وقد انفرد بهذا المحل دون علي ودون سائر الصحابة الا في الندرة ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم في الجهاد الذي هو الضرب والطعن والمبارزة فوجدنا عليا لم ينفرد بالسبوق فيه بل قد شاركه فيه غيره شركة العيان كطلحة والزبير وسعد ومن قتل في صدر الاسلام كحمزة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار سعد بن معاذ وسماك بن حارثة يعني أبا دجانة وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن وان لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وانما ذلك لشغلهما بالافضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموازرته في حين الحرب وقد بعثهما على البعوث أكثر مما بعث عليا وقد بعث أبا بكر الى بني فزارة وغيرهم و بعث الى بني فلان وما نعلم لعلي بعثا الا الى بعض حصون خيبر ففتحه فحصل أرفع أنواع الجهاد لابي بكر وعمر وقد شارك عليا في أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم

(فصل) قلت وأما قوله بسيفه ثبت قواعد الاسلام وتشيدت أركان الدين فهذا كذب ظاهر لكل من عرف الاسلام بل سيفه جزء من أجزاء كثيرة جزء من أجزاء أسباب تثبيت قواعد الاسلام وكثير من الوقائع التي ثبت بها الاسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير كيوم بدر كان سيفا من سيوف كثيرة وقد قدمنا غير مرة أن غزوات القتال كلها كانت تسع غزوات وعلي بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد قتال الروم وفارس ولم يعرف لعلي غزاة أثر فيها تأثيرا منفردا كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم بل كان نصره في المغازي تبعا لنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والحروب الكبار التي كان فيها هو الامير ثلاثة يوم الجمل والصفين والنهروان وفي الجمل والنهروان كان منصورا فان جيشه كان أضعاف المقاتلين له ومع هذا لم يستظهر على المقاتلين بل مازالوا مستظهرين عليه الى أن استشهد الى كرامة الله و رضوانه وأمره يضعف وأمر المقاتلين له يقوى وهذا مما يدل على أن الانتصار الذي كان يحصل له في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان نصرا من الله لرسوله ولمن قاتل معه على دينه فان الله يقول انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وكذلك انتصار غير علي كانتصار أبي بكر وعمر وعثمان على من قاتلوه انما كان نصرا من الله لرسوله كما وعده بذلك في كتابه

(فصل) وأما قوله ما انهزم قط فهو في ذلك كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم فالقول في أنه ما انهزم كالقول في أن هؤلاء ما انهزموا قط ولم يعرف لاحد من هؤلاء هزيمة وان كان قد وقع شئ في الباطن ولم ينقل فيمكن أن عليا وقع منه ما لم ينقل والمسلمون كانت لهم هزيمتان يوم أحد و يوم حنين ولم ينقل أن أحدا من هؤلاء انهزم بل المذكور في السير والمغازي أن أبا بكر وعمر ثبتا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ويوم حنين لم ينهزما مع من انهزم ومن نقل أنهما انهزما يوم حنين فكذبه معلوم وانما الذي انهزم يوم أحد عثمان وقد عفا الله عنه وما نقل من انهزام أبي بكر وعمر بالراية يوم حنين فمن الاكاذيب المختلقة التي افتراها المفترون وقوله ما ضرب بسيفه الا قط فهذا لا يعلم ثبوته ولا انتفاؤه وليس معنا في ذلك نقل يعتمد عليه ولو قال قائل في خالد والزبير والبراء بن مالك

أحدا من الطوائف المعروفة وأهل الاقوال المنقولة لم يقل انه جسم مماثل للاجسام كما ذكر ومعلوم أيضا أن فساد هذا أبين من أن يحتاج الى ما ذكره من الادلة فان فساد هذا معلوم بالادلة اليقينية لما في ذلك من الجمع بين النقيضين اذ كان كل منهما يلزم أن يكون واجبا بنفسه لا واجبا بنفسه محدثا لا محدثا ممكنا لا ممكنا قديما لا قديما اذ المتماثلان يجب اشتراكهما في هذه الصفات واذا كان القول الذي نفاه لم يقله أحد ولم ينازعه فيه أحد والقول الذي ادعى أنه موافق لقائله في المعنى لا يخالف فيه قائله بقي مورد النزاع لم يذكره ولم يقم دليلا على نفيه وهو قول من يقول هو جسم كالاجسام بمعنى أنه مشارك لغيره في مسمى الجسمية كما يشاركه في مسمى الموصوفية والقيام بالنفس وانه لم يثبت له لوازم القدر المشترك ولا يثبت له شئ من خصائص المخلوقين ولا يكون مماثلا لشئ من الاجسام فيما يجب و يجوز و يمتنع عليه لان الاجسام المخلوقة لها خصائص تختص باعتبارها ثبت لها ما يجب و يجوز و يمتنع عليه والقدر المشترك عند هؤلاء لا يستلزم شيأ من خصائص المخلوقين وهذا القدر لم يتعرض له هنا بنفي ولا اثبات لكنه يقول ان القدر المشترك يستلزم التماثل في الحقيقة وان

وأبي دجانة وأبي طلحة ونحوهم انه ماضرب بسيفه الاقط كان القول في ذلك كالقول في علي بل صدق هذا في مثل خالد والبراء بن مالك أولى فان النبي صلى الله عليه وسلم قال خالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين فاذا قيل فيمن جعله الله من سيوفه انه ماضرب الاقط كان أقرب الى الصدق مع كثرة ماعلم من قتل خالد في الحروب وأنه لم يزل منصورا وأما قوله وطالما كشف الكروب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا كذب بين من جنس أكاذيب الطرقية فانه لايعرف أن عليا كشف كربة عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم قط بل ولا يعرف ذلك عن أبي بكر وعمر وهما كانا أكثر جهادا منه بل هو صلى الله عليه وسلم الذي طالما كشف عن وجوههم الكرب لكن أبو بكر دفع عنه لما أراد المشركون أن يضربوه ويقتلوه بمكة جعل يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله حتى ضربوا أبا بكر ولم يعرف أن عليا فعل مثل هذا وأما كون المشركين أحاطوا به حتى خلصه أبو بكر أو علي بسيفه فهذا لم ينقله أحد من أهل العلم ولا حقيقة له لكن هذا الرافضي وأمثاله كأنهم قد طالعوا السير والمغازي التي وضعها الكذابون والطرقية مثل كتاب تنقلات الانوار للبكري الكذاب وأمثاله مما هو من جنس مايذكر في سيرة البطال ودلهمة والعيار وأحمد الدنف والزيبق المصري والحكايات التي يحكونها عن هارون ووزيره مع العامة والسيرة الطويلة التي وضعت لعنترة بن شداد وقد وضع الكذابون في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو من هذا الجنس وهذا يصدقه الجهال ومن لم يكن عارفا بما ذكره العلماء من الاخبار الصحيحة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأما أهل العلم فيعلمون أن هذا كذب وماذكره من مبيته على فراشه فقد قدمنا أنه لم يكن هناك خوف على علي أصلا وأشهر مانقل من ذلك ذب المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لما ولى أكثر المسلمين مدبرين فطمع العدو في النبي صلى الله عليه وسلم وحرصوا على قتله وطمع أمية بن خلف في قتله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده وشج المشركون جبينه وهشموا البيضة على رأسه وكسروا رباعيته وذب عنه الصحابة الذين حوله كسعد بن أبي وقاص جعل يرمي والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك أبي وأمي ووقاه طلحة بيده فشلت يد طلحة وقتل حوله جماعة من خيار المسلمين وفي الحديث أن عليا لما أمر فاطمة بغسل سيفه يوم أحد قال اغسليه غير ذميم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تكن أحسنت فقد أحسن فلان وفلان وعد جماعة من الصحابة

﴿فصل﴾ قال الرافضي وفي غزاة بدر وهي أول الغزوات كانت على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه الى المدينة وعمره سبع وعشرون سنة قتل منهم ستة وثلاثين رجلا بانفراده وهو أعظم من نصف المقتولين وشرك في الباقين

(والجواب) أن هذا من الكذب البين المفترى باتفاق أهل العلم العالمين بالسير والمغازي ولم يذكر هذا أحد يعتمد عليه في النقل وانما هو من وضع جهال الكذابين بل في الصحيح قتل غير واحد لم يشرك علي في واحد منهم مثل أبي جهل وعقبة بن أبي معيط ومثل أحد ابني ربيعة اما عتبة بن ربيعة واما شيبة بن ربيعة وأبي بن خلف وغيرهم وذلك أنه لما برز من المشركين ثلاثة عتبة وشيبة والوليد فانتدب لهم ثلاثة من الانصار فقالوا من أنتم فسموا أنفسهم فقالوا أكفاء كرام ولكن نريد بني عمنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربه بالبروز اليهم فقال قم ياحمزة قم ياعبيدة قم ياعلي وكان أصغر المشركين هو الوليد وأصغر المسلمين علي فبرز هذا الى هذا

مالزم كلا من الاجسام لزم الآخر وانما يفترقان فيما يعرض لهما بمشيئة الخالق لكن هذا القول لم يقرر هنا فبقي كلامه هنا بلا حجة مع أن هذا القول فاسد في نفسه كما قد عرف وهو لما اقرره في موضع آخر بناه على أصلين على اثبات الجوهر الفرد وتماثل الجواهر وكلاهما ممنوع باطل قد قرر هو أنه لا حجة عليه مع أن القول بأنه جسم كالاجسام ما علمت أنه قاله أحد ولا نقله أحد عن أحد وهو مع هذا لم يذكر دليلا على نفيه فكيف يكون قد أقام دليلا على نفي قول من يقول هو جسم لا كالاجسام

* قال الثالث هو أنه لو كان جسما لكان له بعد وامتداد وذلك اما أن يكون غير متناه أو متناهيا فان كان غير متناه فاما أن يكون غير متناه من جميع الجهات أو من بعض الجهات دون بعض فان كان الاول فهو محال لوجهين الاول ماسنبينه من احالة بعد لا يتناهى والثاني يلزم منه أن لا يوجد جسم غيره أو أن تتداخل الاجسام وهو يخالط القاذورات وهو محال وان كان الثاني فهو ممتنع أيضا لوجهين الاول ماسنبينه من احالة بعد لا يتناهى والثاني أنه اما أن يكون اختصاص أحد الطرفين بالنهاية دون الآخر لذاته أو لمخصص من خارج فان كان الاول فهو محال لعدم الاولوية وان كان الثاني

فقتل علي قرنه وقتل حمزة قرنه قيل انه كان عتبة وقيل كان شيبة وأما عبيدة فجرح قرنه وساعده حمزة على قتل قرنه (١) وحمل عبيدة بن الحرث وقيل ان عليا لم يقتل ذلك اليوم الا نفرا دون العشرة أو أقل أو أكثر وغاية ما ذكره ابن هشام وقبله موسى بن عقبة وكذلك الاموى جميع ما ذكروه أحد عشر نفسا واختلف في ستة أنفس هل قتلهم هو أو غيره وشارك في ثلاثة هذا جميع ما نقله هؤلاء الصادقون

(فصل) قال الرافضي وفي غزاة أحد لما انهزم الناس كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر يسير أولهم عاصم ابن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف وجاء عثمان بعد ثلاثة أيام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبت فيها عريضة وتعجبت الملائكة من شأن علي فقال جبريل وهو يعرج الى السماء لا سيف الا ذو الفقار * ولا فتى الا علي وقتل أكثر المشركين في هذه الغزاة وكان الفتح فيها على يده وروى قيس بن سعد قال سمعت عليا يقول أصابني يوم أحد ستة عشر ضربة سقطت الى الارض في أربع منهن فجاءني رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسوله فهما عنك راضيان قال علي فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال يا علي أما تعرف الرجل قلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبي فقال يا علي أقر الله عينك كان ذاك جبريل

(والجواب) أن يقال قد ذكر في هذه من الاكاذيب العظام التي لا تنفق الا على من لم يعرف الاسلام وكأنه يخاطب بهذه الخرافات من لا يعرف ما جرى في الغزوات كقوله ان عليا قتل أكثر المشركين في هذه الغزاة وكان الفتح فيها على يده فيقال آفة الكذب الجهل وهل كان في هذه الغزاة فتح بل كان المسلمون قد هزموا العدو أولا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وكل بثغرة الجبل الرماة وأمرهم بحفظ ذلك المكان وأن لا يأتوهم سواء غلبوا أو غلبوا فلما انهزم المشركون صاح بعضهم أي قوم الغنيمة فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ورجع العدو عليهم وأمير المشركين اذ ذاك خالد بن الوليد فأتاهم من ظهورهم فصاح الشيطان قتل محمد واستشهد في ذلك اليوم نحو سبعين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم الا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر وأشرف أبو سفيان فقال أفي القوم محمد أفي القوم محمد والحديث في الصحيحين وقد تقدم لفظه وكان يوم بلاء وفتنة وتمحيص وانصرف العدو عنهم منتصرا حتى هم بالعود اليهم فندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين للحاقه وقيل ان في هؤلاء نزل قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح وكان في هؤلاء المندبين أبو بكر والزبير قالت عائشة لابن الزبير أبوك وجدك ممن قال الله فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ولم يقتل يومئذ من المشركين الا نفر قليل وقصد العدو رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهدوا في قتله وكان ممن ذب عنه يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وجعل يرمي عنه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له ارم فداك أبي وأمي وفي الصحيحين عن سعد قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه يوم أحد وكان سعد مجاب الدعوة مسدد الرمية وكان فيهم أبو طلحة راميا فكان شديد النزع وطلحة بن عبيد الله وقى النبي صلى الله عليه وسلم بيده فشلت يده وظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين وقتل دونه نفر قال ابن اسحق في السيرة في النفر الذين قاموا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترس

فيلزم أن يكون الرب مفتقرا في افادة مقداره الى موجب ومخصص ولا معنى للبعد غير نفس الاجزاء على ما تقدم فيكون الرب معلول الوجود وهو محال وان كان متناهيا من جميع الجهات فله شكل ومقدار وهو اما أن يكون مختصا بذلك الشكل والقدر لذاته أو لامر خارج فان كان الاول لزم منه اشتراك جميع الاجسام فيه ضرورة الاتحاد في الطبيعة وان كان الثاني فالرب محتاج في وجوده الى غيره وهو محال ﴿ قلت ولقائل أن يقول لا يجوز أن يكون مختصا بالشكل والمقدار لذاته قوله ان ذلك يستلزم اشتراك جميع الاجسام فيه ضرورة الاتحاد في الطبيعة انما يصح اذا سلم أن طبيعة الاجسام كلها متحدة وهذا ممنوع بل باطل بل معلوم الفساد بالضرورة والحس فان طبيعة النار ليست طبيعة الماء ولا طبيعة الحيوان طبيعة النبات وهذا مبني على القول بان الاجسام متماثلة في الحقيقة وهذا الوجه لأغنى عن هذه الوجوه كلها وهو في كتابه لما ذكر قول من يقول بتجانس الاجسام من أهل الكلام المعتزلة

---

(١) قوله وحمل عبيدة بن الحرث كذا في النسخ ولعله من زيادة الناسخ فان الكلام بدونه مستقيم وحرر كتبه مصححه

دون النبي صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبي وقاص دون النبي صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم من يشري لنا نفسه فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الانصار وبعض الناس يقول انما هو عمارة بن زيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أدنوه مني فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده وكانت أحسن عينيه وأحدّهما ولم يكن علي ولا أبو بكر ولا عمر من الذين كانوا يدفعون عن النبي صلى الله عليه وسلم بل كانوا مشغولين بقتال آخرين وجرح النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه ولم يجرح عليّ فقوله ان عليا قال أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت في أربع منهن الى الارض كذب على عليّ وليس هذا الحديث في شئ من الكتب المعروفة عند أهل العلم فأين اسناد هذا ومن الذي صححه من أهل العلم وفي أي كتاب من الكتب التي يعتمد على نقلها ذكر هذا بل الذي جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الصحابة قال ابن اسحق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه وقوله ان عثمان جاء بعد ثلاثة أيام كذب آخر وقوله ان جبريل قال وهو يعرج لا سيف الا ذو الفقا * ر ولا فتى الا علي كذب باتفاق الناس فان ذا الفقار لم يكن لعلي ولكن كان سيفا لابي جهل غنمه المسلمون يوم بدر فروى الامام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد قال رأيت في سيفي ذي الفقار فلا فأولته فلا يكون فيكم ورأيت أني مردف كبشا فأولته كبش الكتيبة ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة ورأيت بقرا تذبح فبقر والله خير فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكذب المذكور في ذي الفقار من جنس كذب بعض الجهال أنه كان له سيف يمتد اذا ضرب به كذا وكذا ذراعا فان هذا مما يعلم العلماء أنه لم يكن قط لا سيف علي ولا غيره ولو كان سيفه يمتد لمده يوم قاتل معاوية وقال بعض الجهال انه مد يده حتى عبر الجيش على يده بخيبر وانه قال للبغلة قطع الله نسلك فانقطع نسلها فهذا من الكذب البين فانه يوم خيبر لم يكن معهم بغلة ولا كان للمسلمين بغلة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الا بغلته التي أهداها له المقوقس وذلك بعد غزوة خيبر بعد أن أرسل الى الامم وأرسل الى هرقل ملك الشام والى المقوقس ملك مصر والى كسرى ملك الفرس وأرسل الى ملوك العرب مثل صاحب اليمامة وغيره وأيضا فالجيش لم يعبر أحد منهم على يد علي ولا غيره والبغلة لم تزل عقيما قبل ذلك ولم تكن قبل ذلك تلد فعقمت ولو قدر أنه دعا على بغلة معينة لم تعم الدعوة جنس البغال ومثل هذا

الكذب

والاشعرية قال انهم بنوا ذلك على أصلهم ان الجسم هو الجوهر المؤلف أو الجواهر المؤتلفة وان الجواهر متجانسة وأن التأليف من حيث هو تأليف غير مختلف فالاجسام الحاصلة منها غير مختلفة ومعلوم أن هذين الاصلين اللذين بنوا عليهما تماثل الاجسام قد أبطلهما هو وغيره وهي مما يخالفهم فيها جمهور العقلاء فأكثر العقلاء لا يقولون ان الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة لا جمهور أهل الملل ولا جمهور الفلاسفة بل جمهور أهل الكلام من الهشامية والنجارية والضرارية والكلابية والكرامية لا يقولون بذلك فكيف بمن عدا أهل الكلام من سائر أنواع أهل العلم فانهم من أعظم الناس انكارا لذلك وكذلك القول بتماثل الجواهر قول لا دليل عليه اذ المتنازعون في الجواهر المنفردة منهم من يقول باختلافها ومنهم من يقول بتماثلها وأيضا فقول القائل اما أن يكون مختصا بذلك المقدار لذاته أم لامر خارج يقال له أتريد بذاته مجرد الجسمية المشتركة أم ذاته الذي يختص بها ويمتاز بها عن غيره أما الاول فلا يقوله عاقل فان عاقلا لا يعلل الحكم المختص بالامر المشترك فلا يقول عاقل ان ما اختص به أحد الشيئين عن الآخر كان للقدر المشترك بينهما فان القدر المشترك بين الشيئين

الكذب الظاهر قول بعض الكذابين انه لما سبي بعض أهل البيت حملوا على الجمال عرايا فنبتت لهم سنامات من يومئذ وهي البخاتي وأهل البيت لم يسب أحد منهم في الاسلام ولا حمل أحد من نسائهم مكشوف العورة وانما جرى هذا على أهل البيت في هذه الازمان بسبب الرافضة كما قد علمه الخاص والعام بل هذا الكذب مثل كذب من يقول ان الحجاج قتل الاشراف لم يقتل أحدا من بني هاشم مع ظلمه وفتكه بكثير من غيرهم لكن قتل كثيرا من أشراف العرب وكان عبد الملك قد أرسل اليه أن لا يقتل أحدا من بني هاشم وذكر له أنه لما قتل الحسين في ولاية بني حرب يعني ملك يزيد أصابهم شر فاعتبر عبد الملك بذلك فنهاه أن يقتل أحدا من بني هاشم حتى ان الحجاج طمع أن يتزوج هاشمية فخطب الى عبد الله بن جعفر ابنته وأصدقها صداقا كثيرا فأجابه عبد الله الى ذلك فغضب من ذلك من غضب من أولاد عبد الملك ولم يروا الحجاج أهلا لان يتزوج واحدة من بني هاشم ودخلوا على عبد الملك وأخبروه بذلك فمنع الحجاج من ذلك ولم يروه كفؤا لنكاح هاشمية ولا أن يتزوجها وبالجملة فالاحاديث التي ينقلها كثير من الجهال لاضابط لها لكن منها ما يعرف كذبه بالعقل ومنها ما يعرف كذبه بالعادة ومنها ما يعرف كذبه بانه خلاف ما علم بالنقل الصحيح ومنها ما يعرف كذبه بطرق أخرى

(فصل) قال الرافضي وفي غزاة الاحزاب وهي غزاة الخندق لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش يقدمها أبو سفيان وكنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد ونزلوا من فوق المسلمين ومن تحتهم كما قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فخرج عليه الصلاة والسلام بالمسلمين مع ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم واتفق المشركون مع اليهود وطمع المشركون بكثرتهم وموافقة اليهود وركب عمرو ابن ود وعكرمة بن أبي جهل ودخلا من مضيق في الخندق الى المسلمين وطلبا المبارزة فقام علي وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم انه عمرو فسكت ثم طلب المبارزة ثانيا وثالثا وكل ذلك يقوم علي ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم انه عمرو فأذن له في الرابعة فقال له علي كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه وأنا أدعوك الى الاسلام قال عمرو لا حاجة لي بذلك قال أدعوك الى البراز قال ما أحب أن أقتلك قال علي بل أنا أحب أن أقتلك فحمي عمرو ونزل عن فرسه وتجاولا فقتله علي وانهزم عكرمة ثم انهزم باقي المشركين واليهود وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين

(والجواب) أن يقال أولا أين اسناد هذا النقل وبيان صحته ثم يقال ثانيا قد ذكر في هذه الغزوة أيضا عدة أكاذيب منها قوله ان قريشا وكنانة وأهل تهامة كانوا في عشرة آلاف فالأحزاب كلهم من هؤلاء ومن أهل نجد تميم وأسد وغطفان ومن اليهود كانوا قريبا من عشرة آلاف والاصناف كانوا ثلاثة أحزاب قريش وحلفاؤها وهم أهل مكة ومن حولها وأهل نجد تميم وأسد وغطفان ومن دخل معهم واليهود بنو قريظة وقوله ان عمرو بن ود وعكرمة ركبا ودخلا من مضيق في الخندق وقوله ان عمرا لما قتل انهزم المشركون واليهود هذا من الكذب البارد فان المشركين بقوا محاصرين المسلمين بعد ذلك هم واليهود حتى خبب بينهم نعيم بن مسعود وأرسل الله عليهم الريح الشديدة ريح الصبا والملائكة من السماء كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون

لا يستلزم المختص فضلا عن أن يكون علة للمختص والعلة مستلزمة للمعلول والملزوم أعم من العلة فاذا لم يكن المشترك ملزوما للمختص كان أن لا يكون علة أولى وأحرى فان الملزوم حيث وجد وجد اللازم ومعلوم أنه ليس حيث وجد المشترك يوجد المختص اذ المشترك يوجد في هذا والمختص بالآخر منتف ويوجد في هذا والمختص في الآخر منتف وفي الجملة فهذا مما لا يتنازع فيه العقلاء فلا يكون اختصاص أحد الجسمين بخصائصه لمجرد الجسمية المشتركة بل تلك الخصائص مما يمتنع ثبوتها لسائر الاجسام وحينئذ فيقال معلوم أن كل جسم مختص بخصائص وخصائصه لا تكون لاجل الجسمية المشتركة وذلك يمنع تماثل الاجسام لانها لو كانت متماثلة للزم أن يكون اختصاص بعضها بخصائصه لمخصص والمخصص اما الرب واما غيره وتخصيص غيره ممتنع لانه جسم من الاجسام فالكلام فيه كالكلام في غيره ولان التقدير أنها متماثلة فليس هذا بالتخصيص أولى من هذا وتخصيصه أيضا ممتنع لانه يستلزم ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بغير مرجح وذلك ممتنع واذا قيل المرجح هو القدرة والمشيئة قيل نسبة القدرة والمشيئة الى جميع المتماثلات سواء فيمتنع الترجيح بمجرد ذلك فلا بد أن يكون

بصيرا اذجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذزاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا الى قوله وكفى الله المؤمنين القتال وهذا يبين أن المؤمنين لم يقاتلوا فيها وأن المشركين ماردهم الله بقتال وهذا هو المعلوم المتواتر عند أهل العلم بالحديث والتفسير والمغازى والسير والتاريخ فكيف يقال بأنه باقتتال على وعمرو بن عبدود وقتله انهزم المشركون والحديث الذى ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قتل على لعمرو بن عبدود أفضل من عبادة الثقلين من الاحاديث الموضوعة ولهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين فى شئ من الكتب التى يعتمد عليها بل ولا يعرف له اسناد صحيح ولا ضعيف وهو كذب لا يجوز نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والانس فان ذلك يدخل فيه عبادة الانبياء وقد قتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو بن عبدود وعمرو هذا لم يكن فيه من معاداة النبى صلى الله عليه وسلم ومضارته له وللمؤمنين مثل ما كان فى صناديد قريش الذين قتلوا ببدر مثل أبى جهل وعقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحرث وأمثالهم الذين نزل فيهم القرآن وعمرو هذا لم ينزل فيه شئ من القرآن ولا عرف له شئ ينفرد به فى معاداة النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر فى غزاة بدر ولا أحد ولا غير ذلك من مغازى قريش التى غزوا فيها النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى شئ من السرايا ولم يشتهر ذكره الا فى قصة الخندق ومع أن قصته ليست مذكورة فى الصحاح ونحوها كما نقلوا فى الصحاح مبارزة الثلاثة يوم بدر الى الثلاثة مبارزة حمزة وعبيدة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد وكتب التفسير والحديث مملوأة بذكر المشركين الذين كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم مثل أبى جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث وغيرهم وبذكر رؤساء الكفار مثل الوليد بن المغيرة وغيره ولم يذكر أحد عمرو بن ود لا فى هؤلاء ولا فى هؤلاء ولا كان من مقدمى القتال فكيف يكون قتل مثل هذا أفضل من عبادة الثقلين ومن المنقول بالتواتر أن الجيش لم ينهزم بقتله بل بقوا بعده محاصرين مجدين كما كانوا قبل قتله

((قال الرافضى)) وفى غزاة بنى النضير قتل على رامى ثنية النبى صلى الله عليه وسلم وقتل بعده عشرة وانهزم الباقون

(والجواب) أن يقال ماتذكره فى هذه الغزاة وغيرها من الغزوات من المنقولات لابد من ذكر اسناده أولا والا فلو أراد انسان أن يحتج بنقل لا يعرف اسناده فى جزئية لا يقبل منه فكيف يحتج به فى مسائل الأصول ثم يقال ثانيا هذا من الكذب الواضح فان بنى النضير هم الذين أنزل الله فيهم سورة الحشر باتفاق الناس وكانوا من اليهود وكانت قصتهم قبل الخندق وأحد ولم يذكر فيها مصاف ولا هزيمة ولا رمى أحد ثنية النبى صلى الله عليه وسلم فيها وانما أصيبت ثنيته يوم أحد وكان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى غزاة بنى النضير وقد حاصروهم حصارا شديدا وقطعوا نخيلهم وفيهم أنزل الله تعالى ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين ولم يخرجوا القتال حتى ينهزم أحد منهم وانما كانوا فى حصن يقاتلون من ورائه كما قال تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم أجلاهم اجلاء لم يقتلهم فيه قال تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر

المرجح ماالله تعالى فى ذلك من الحكمة والحكمة تستلزم علم الحكيم بأن أحد الأمرين أولى من الآخر وأن يكون ذلك الراجح أحب اليه من الآخر وحينئذ فذلك يستلزم تفاضل المعلومات المرادات وذلك يمنع تساويها وهو المطلوب وهذا الكلام يتعلق بمسألة حكمة الله فى خلقه وأمره وهو مبسوط فى غير هذا الموضع ونفاة ذلك غاية ماعندهم أنهم يزعمون أن ذلك يقتضى افتقاره الى الغير لان من فعل شيأ لمراد كان مفتقرا الى ذلك المراد متكملا به والمتكمل بغيره ناقص بنفسه وهذه الحجة باطلة كبطلان حجتهم فى نفى الصفات وذلك أن لفظ الغير مجمل فان أريد بذلك أنه يفتقر الى شئ مباين منفصل عنه فهذا ممنوع فان مفعولاته ومراداته هو الفاعل لها كلها لا يحتاج فى شئ منها الى غيره وان أريد بذلك أنه يفتقر الى ماهو مقدور له مفعول له كان حقيقة ذلك أنه مفتقر الى نفسه أو لوازم نفسه ومعلوم أنه سبحانه موجود بنفسه لا يفتقر الى ماهو غير له مباين له وأنه مستوجب لصفات الكمال التى هى من لوازم ذاته فاذا قال القائل انه مفتقر الى نفسه كان حقيقته أنه لا يكون موجودا الا بنفسه وهذا المعنى حق واذا قيل هو مفتقر الى صفاته اللازمة أو جزئه أو لوازم ذاته أو

ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
الى قوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار قال ابن اسحق بعد أن ذكر نقضهم العهد وأنهم
أرادوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج اليهم يستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلهما
عمرو بن أمية قال فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير اليهم وبالتهيؤ لحربهم واستعمل على
المدينة ابن أم مكتوم فيما ذكر ابن هشام ونزل تحريم الخمر قال ابن اسحق فتحصنوا منه فى
الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه أى محمد قد
كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها قال وقد كان
رهط من بنى عوف بن الخزرج قد بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان
قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا من ذلك نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم
الرعب وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت
الابل من أموالهم الا الحلقة ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم
يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى
الشام قال وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بأنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والابناء معهم
الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهو وفخر ما رؤى مثله من حى من الناس وخلوا
الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها
حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين الاولين دون الانصار الا أن
سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فاقة وفقرا فأعطاهما النبى صلى الله عليه وسلم قال وأنزل الله
تبارك وتعالى فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم من نقمة وما سلط الله به
رسوله عليهم وما عمل فيهم وفى الصحيحين عن ابن عمر أن يهود بنى النضير وبنى قريظة حاربوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة
بعد ذلك فقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم وأموالهم وقسم أنفالهم بين المسلمين الا بعضهم
لحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا وأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود
المدينة كلهم بنى قينقاع وهم قوم عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهودى كان بالمدينة

﴿ قال الرافضى وفى غزوة السلسلة جاء أعرابى فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن
جماعة من العرب قصدوا ان يكبسوا عليه بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
للوادى فقال أبو بكر أنا له فدفع اليه اللواء وضم اليه سبعمائة فلما وصل اليهم قالوا ارجع
الى صاحبك فانا فى جمع كثير فرجع فقال فى اليوم الثانى من للوادى فقال عمر أنا فدفع اليه الراية
ففعل كالاول فقال فى اليوم الثالث أين على فقال على أنا ذا يا رسول الله فدفع اليه الراية ومضى
الى القوم ولقيهم بعد صلاة الصبح فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم الباقون وأقسم الله تعالى بفعل
أمير المؤمنين فقال والعاديات ضبحا السورة

(فالجواب) أن يقال له أجهل الناس يقول لك بين لنا سند هذا حتى نثبت أن هذا نقل
صحيح والعالم يقول لك ان هذه الغزاة وما ذكر فيها من جنس الكذب الذى يحكيه الطرقية الذين
يحكون الاكاذيب الكثيرة من سيرة عنترة والبطال وان كان عنترة له سيرة مختصرة والبطال
له سيرة يسيرة وهى ما جرى له فى دولة بنى أمية وغزوة الروم لكن ولدها الكذابون حتى صارت
مجلدات وحكايات الشطار كأحمد الدنف والزيبق المصرى وصاروا يحكون حكايات يختلقونها

نحو ذلك كان حقيقة ذلك أنه
لا يكون موجودا الا بصفات
الكمال وأنه يمتنع وجوده دون
صفات الكمال التى هى من لوازم
ذاته وهذا حق ومعلوم أن الامور
التى لا يمكن وجودها الا حادثة
متعاقبة ليس الكمال فى أن يكون
كل منها أزليا فان ذلك ممتنع ولا فى
أن ذلك لا يكون فان ذلك نقص
وعدم بل فى أن تكون بحسب
امكانها على ما تقتضيه الحكمة
فيكون وجود تلك المرادات الحادثة
من الكمالات التى يستحقها ولا يحتاج
فيها الى غيره فيكون فعله ما يفعله
للحكمة من أعظم نعوت الكمال التى
يجب أن يوصف بها ونفيها عنه
يقتضى وصفه بالنقائص وان كل
كمال يوصف به فليس مفتقرا فيه الى
غيره أصلا بل هو من لوازم ذاته
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا الذين يصفونه
بالنقائص ويسلبونه الحكمة التى
هى من أعظم نعوت الكمال توهما
أن اثباتها يقتضى الحاجة الى غيره
وذلك غلط محض بل لا يقتضى
اثباتها الا استلزام ذاته لنعوت كماله
وكمال نعوته لا افتقارا الى شئ مباين
لنفسه المقدسة وأيضا فيقال
القول فى استلزام الذات لقدرها
الذى لم يقدره المشركون كما قال
تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه

عن الرشيد وجعفر فهذه الغزاة من جنس هذه الحكايات لم يعرف فى شئ من كتب المغازى والسير المعروفة عند أهل العلم ذكر هذه الغزاة ولم يذكرها أئمة هذا الفن فيه كموسى بن عقبة وعروة بن الزبير والزهرى وابن اسحق وشيوخه والواقدى وسعيد بن يحيى الاموى والوليد ابن مسلم ومحمد بن عائذ وغيرهم ولا لهاذكر فى الحديث ولا نزل فيها شئ من القرآن وبالجملة مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما غزوات القتال معروفة مشهورة مضبوطة متواترة عند أهل العلم باحواله مذكورة فى كتب أهل الحديث والفقه والتفسير والمغازى والسير ونحو ذلك وهى مما تتوفر الدواعى على نقلها فيمتنع عادة وشرعا أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم غزاة يجرى فيها مثل هذه الامور لا ينقلها أحد من أهل العلم بذلك كما يمتنع أن يكون قد فرض فى اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات أو فرض فى العام أكثر من شهر رمضان ولم ينقل ذلك وكما يمتنع أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد غزا الفرس بالعراق وذهب الى اليمن ولم ينقل ذلك أحد وكما يمتنع أمثال ذلك مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله لو كان ذلك موجودا وسورة والعاديات فيها قولان أحدهما أنها نزلت بمكة وهذا روى عن ابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم فعلى هذا يظهر كذب هذا القول والثانى أنها نزلت بالمدينة وهو مروى عن ابن عباس وقتادة وهذا القول يناسب قول من فسر العاديات بخيل المجاهدين لكن المشهور عن على المنقول عنه فى كتب التفسير أنه كان يفسر العاديات بابل الحاج وعدوها من مزدلفة الى منى وهذا يوافق القول الاول فيكون على ما قاله على يكذب هذا القول وكان ابن عباس والاكثرون يفسرونها بالخيل العاديات فى سبيل الله وأيضا فى هذه الغزاة أن الكفار نحوا المسلمين وقالوا لأبى بكر ارجع الى صاحبك فانا فى جمع كثير ومعلوم أن هذا خلاف عادة الكفار المحاربين وأيضا فأبو بكر وعمر لم ينهزما قط وما ينقله بعض الكذابين من انهزامهما يوم حنين فهو من الكذب المفترى فلم يقصد أحد المدينة الا يوم الخندق وأحد ولم يقرب أحد من العدو المدينة للقتال الا فى هاتين الغزاتين وفى غزوة الغابة أغار بعض الناس على سرح المدينة وأما ما ذكر فى غزوة السلسلة فهو من الكذب الظاهر الذى لا يذكره الا من هو من أجهل الناس وأكذبهم وأما غزوة ذات السلاسل فتلك سرية بعث فيها النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص أميرا فيها لان المقصود منها كانوا بنى عذرة وكان بينهم وبين عمرو بن العاص قرابة فأرسله اليهم لعلهم يسلمون ثم أردفه بأبى عبيدة بن الجراح وليس لعلى فيها ذكر وكانت قريبا من الشام بعيدة من المدينة وفيها احتلم عمرو بن العاص فى ليلة باردة فتيمم وصلى بأصحابه فلما أخبروا النبى صلى الله عليه وسلم قال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب قال انى سمعت الله يقول ولا تقتلوا أنفسكم فأقره النبى صلى الله عليه وسلم على فعله ولم ينكره لما بين له عذره وقد تنازع الفقهاء هل قوله صليت بأصحابك وأنت جنب استفهام أى هل صليت مع الجنابة فلما أخبره أنه تطهر بالتيمم ولم يكن جنبا أقره أو هو اخبار بانه جنب والتيمم يبيح الصلاة ولا يرفع الجنابة على قولين والاول هو الاظهر

(فصل) قال الرافضى وقتل من بنى المصطلق مالكا وابنه وسبا كثيرا من جملتهم جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار فاصطفاها النبى صلى الله عليه وسلم فجاءها أبوها فى ذلك اليوم فقال يا رسول الله كريمة لا تسبى فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخيرها فقال أحسنت وأجملت ثم قال يا بنية لا تفضحى قومك قالت اخترت الله ورسوله

وتعالى عما يشركون كاستلزام الذات لسائر صفاتها من العلم والقدرة والحياة فانه لو كان كل مختص يحتاج الى مخصص لزم الدور أو التسلسل الباطلان فلا بد من مختص بما يختص به يختص بذلك لنفسه وذاته لا لامر مباين له وهذا هو حقيقة الواجب لنفسه المستلزم لجميع نعوته من غير افتقار الى غير نفسه مع أن ما ذكره فى وجوب تناهى الابعاد قد أبطل فيه مسالك الناس كلها وأنشأ مسلكا ظن أنه لم يسبقه اليه أحد واذا حرر الأمر عليه وعليهم فى تلك المسالك كان القدح فيه أقوى من مسالكهم فلو قدر أن اثنين أثبت أحدهما موجودا قائما بنفسه لا يتناهى وأثبت الآخر موجودا لا يكون متناهيا ولا غير متناه كان قول الثانى أفسد والاول أقرب الى الصواب وما من مقدمة يدعون بها افساد قول الاول الا وفى أقوالهم ما هو أفسد منها والمناظرة تارة تكون بين الحق والباطل وتارة بين القولين الباطلين لتبين بطلانهما أو بطلان أحدهما أو كون أحدهما أشد بطلانا من الآخر فان هذا ينتفع به كثيرا فى أقوال أهل الكلام والفلسفة وأمثالهم ممن يقول أحدهم القول الفاسد وينكر على منازعه ما هو أقرب منه الى الصواب فيبين أن قول منازعه أحق بالصحة ان كان قوله صحيحا

(والجواب) أن يقال أولا لابد من اسناد كل ما يحتج به من المنقول أو عزوه الى كتاب تقوم به الحجة والا فمن أين يعلم أن هذا وقع ثم يقول من يعرف السيرة هذا كله من الكذب من أخبار الرافضة التى يختلقونها فانه لم ينقل أحد أن عليا فعل هذا فى غزوة بنى المصطلق ولا سبى جويرية بنت الحرث وهى لما سبيت كاتبت على نفسها فأدى عنها النبى صلى الله عليه وسلم وعتقت من الكتابة وأعتق الناس السبى لأجلها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقدم أبوها أصلا ولا خبرها وروى أبو داود عن عائشة قالت وقعت جويرية بنت الحرث بن المصطلق فى سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له فكاتبت على نفسها وكانت امرأة ملاحة تأخذها العين قالت عائشة فجاءت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابتها فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحرث وأنا كان من أمرى مالا يخفى عليك وانى وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس وانى كاتبت على نفسى وجئت تعيننى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك فيما هو خير لك قالت وما هو يارسول الله قال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت قد فعلت فلما تسامع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية أرسلوا ما فى أيديهم من السبى وأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أعتق فى سببها أكثر من مائة أهل بيت من بنى المصطلق

(فصل) قال الرافضى وفى غزوة خيبر كان الفتح فيها على يد أمير المؤمنين ودفع الراية فيها الى أبى بكر فانهزم ثم الى عمر فانهزم ثم الى على وكان أرمد فتفل فى عينيه وخرج فقتل مرحبا فانهزم الباقون وغلقوا عليهم الباب فعالجه أمير المؤمنين فقلعه وجعل جسرا على الخندق وكان الباب يغلقه عشرون رجلا ودخل المسلمون الحصن ونالوا الغنائم وقال عليه السلام والله ماقلعته بقوة خمسمائة رجل ولكن بقوة ربانية وكان فتح مكة بواسطته

(والجواب) بعد أن يقال لعنة الله على الكاذبين أن يقال من ذكر هذا من علماء النقل وأين اسناده وصحته وهو من الكذب فان خيبر لم تفتح كلها فى يوم واحد بل كانت حصونا متفرقة بعضها فتح عنوة وبعضها فتح صلحا ثم كتموا ما صالحهم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فصاروا محاربين ولم ينهزم فيها أبو بكر ولا عمر وقد روى أن عليا اقتلع باب الحصن وأما جعله جسرا فلا وقوله كان فتح مكة بواسطته من الكذب أيضا فان عليا ليس له فى فتح مكة أثر أصلا الا كما لغيره ممن شهد الفتح والاحاديث الكثيرة المشهورة فى غزوة الفتح تتضمن هذا وقد عزم علىّ على قتل حموين لاخته اجارتهما أخته أم هانئ فأجار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجارت وقد هم بتزويج بنت أبى جهل حتى غضب النبى صلى الله عليه وسلم فتركه وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال كنا يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليسرى وجعل الزبير على المجنبة اليمنى وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادى فقال يا أبا هريرة ادع لى الانصار فجاؤا يهرولون فقال يامعشر الانصار هل ترون أوباش قريش قالوا نعم قال انظروا اذا لقيتموهم غدا ان تحصدوهم حصدا وأحفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال موعدكم الصفا فما أشرف يومئذ لهم أحد الا أناموه قال فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وجاءت الانصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيدت خضراء قريش

وان قوله أحق بالفساد ان كان قول منازعه فاسدا لينقطع بذلك حجة الباطل فان هذا أمر مهم اذ كان المبطلون يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم فان بيان فسادها أحد ركنى الحق وأحد المطلوبين فان هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لهدت وكفت ولكن صالوا عليها صول المحاربين لله ولرسوله فاذا دفع صيالهم وبين ضلالهم كان ذلك من أعظم الجهاد فى سبيل الله وقد حكى الاشعرى وغيره عن طوائف أنهم يقولون انه لا يتناهى وهؤلاء نوعان نوع يقول هو جسم ونوع يقول ليس بجسم فاذا أراد النفاة أن يبطلوا قول هؤلاء لم يمكنهم ذلك فانهم اذا قالوا يلزم أن يخالط القاذورات والاجسام قالوا كما أثبتم موجودا لا يشار اليه ولا هو داخل ولا خارج فنحن نثبت موجودا هو داخل ولا يخالط غيره فاذا قالوا هذا لا يعقل قالوا وذلك لا يعقل ومذهب النفاة أبعد فى العقل من مذهب الحلولية ولهذا اذا ذكر القولان لاهل الفطر السليمة نفروا عن قول النفاة أعظم من نفورهم عن قول الحلولية وكذلك ما ذكره من امتناع النهاية من بعض الجوانب دون بعض فان هذا قاله طائفة ممن يقول انه على العرش وقول هؤلاء وان قيل انه باطل فقول النفاة أبطل منه أما احتجاجه

لاقريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن وفي الصحيحين من حديث عروة بن الزبير قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشا خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فاذاهم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ماهذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس أمسك أباسفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال ياعباس من هذه قال هذه غفار قال مالي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ثم مرت سليم فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هؤلاء قال الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة ياأباسفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ماقال سعد بن عبادة قال وماقال قال قال كذا وكذا فقال كذب سعد ولكن هذا يوم تعظم فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر أن تركز رايته بالحجون

(فصل) قال الرافضي وفي غزوة حنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها في عشرة آلاف من المسلمين فعانهم أبو بكر وقال لن نغلب اليوم من كثرة فانهزموا ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتسعة من بني هاشم وأيمن بن أم أيمن وكان أمير المؤمنين بين يديه بالسيف وقتل من المشركين أربعين نفسا فانهزموا

(والجواب) بعد المطالبة بصحة النقل أما قوله فعانهم أبو بكر فكذب مفترى وهذه كتب الحديث والسير والمغازي والتفسير لم يذكر أحد قوله ان أبا بكر عانهم واللفظ المأثور لن نغلب اليوم من قلة فانه قد قيل انه قد قاله بعض المسلمين وكذلك قوله لم يبق معه الاتسعة من بني هاشم هو كذب أيضا قال ابن اسحق في السيرة بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته وممن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحرث وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد أباسفيان هذا من كلام ابن اسحق وقوله ان عليا كان بين يديه بالسيف وانه قتل أربعين نفسا كل هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث والمغازي والسير والذي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما وافوا وادي حنين عند الفجر وكان القوم رماة فرموهم رمية واحدة فولوا وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس وأبو سفيان بن الحرث وكان شاعرا يهجو النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن اسلامه فثبت معه يومئذ قال العباس لزمت أنا وأبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه قال البراء بن عازب وأمر النبي صلى الله عليه وسلم العباس أن ينادي فيهم وكان العباس جهوري الصوت فنادى ياأهل الشجرة ياأهل سورة البقرة يعني الشجرة التي بايعوا تحتها فذكرهم بيعته لهم هناك على أن لايفروا وعلى الموت فتنادوا بالبيك فعطفوا عليه عطفة البقرة على أولادها

على هؤلاء بان اختصاص أحد الطرفين بالنهاية دون الآخر محال لعدم الأولوية أو لافتقاره الى مخصص من خارج فيقولون له انت دائما تثبت تخصيصا من هذا الجنس كما تقول ان الارادة تخصص أحد المثلين لالموجب فاذا قيل لك هذا يستلزم ترجيح أحد المتماثلين بلامرجح قلت هذا شأن الارادة والارادة صفة من صفاته فاذا كانت ذاته مستلزمة لما من شأنه ترجيح أحد المثلين لذاته بلا مرجح فلأن تكون ذاته تقتضي ترجيح أحد المثلين بلا مرجح أولى وهذا للمعتزلة والفلاسفة ألزم فان المعتزلة يقولون ان القادر المختار يرجح بلا مرجح والفلاسفة يقولون مجرد الذات اقتضت ترجيح الممكنات بلامرجح آخر فقد اتفقوا كلهم على أن الذات توجب الترجيح لاحد المتماثلين بلامرجح فكيف يمكنهم مع هذا أن يمنعوا كونها تستلزم تخصيص أحد الجانبين بلا مخصص ولو قال لهم منازعهم الموجودات القائمات بانفسها لابد أن يكون بينها حد وانفصال فعلمنا التناهي من جانب هذا الموجود وأما الجانب الآخر فلا نعلم امتناعه الا اذا علمنا امتناع وجود أبعاد لاتتناهى وهذا غير معلوم لنا أو هو باطل لكان قولهم أقوى من قولهم والمقصود هنا أن غايتهم في ابطال قول هؤلاء أن ينتهوا

فقاتلوا حتى انهزم المشركون وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ كفا من حصباء فرمى بها القوم وقال انهزموا ورب الكعبة وكان على بغلته وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وهذا ما رواه أهل الصحيحين في الصحيحين عن البراء وسأله رجل قال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحرث يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

اللهم أنزل نصرك قال البراء وكنا إذا احمر البأس نتقي به وكان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث سلمة بن الاكوع لما غشوا النبي صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض واستقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وهزمهم الله وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين رواه مسلم رضي الله عنه

(فصل) قال الرافضي الخامس اخباره بالغائب والكائن قبل كونه فأخبر أن طلحة والزبير لما استأذناه في الخروج إلى العمرة قال لا والله ما تريدان العمرة وانما تريدان البصرة وكان كما قال وأخبر وهو بذي قار جالس لاخذ البيعة يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون يبايعونني على الموت وكان كذلك وكان آخرهم أويس القرني وأخبر بقتل ذي الثدية وكان كذلك وأخبره شخص بعبور القوم في قصة النهروان فقال لن يعبروا ثم أخبره آخر بذلك فقال لن يعبروا وانه والله لمصرعهم فكان كذلك وأخبر بقتل نفسه الشريفة وأخبر بأن شهر بان اللعين يقطع يداه ورجلاه ويصلب ففعل به معاوية ذلك وأخبر ميثما التمار بأنه يصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة وهو أقصرهم خشبة وأراه النخلة التي يصلب عليها فوقع كذلك وأخبر رشيد الهجري بقطع يديه ورجليه وصلبه وقطع لسانه فوقع وأخبر كميل بن زياد أن الحجاج يقتله وأن قنبرا يذبحه الحجاج فوقع وقال للبراء بن عازب ان ابني الحسين يقتل ولا تنصره فكان كما قال وأخبر بموضع قتله وأخبر بملك بني العباس وأخذ الترك الملك منهم فقال ملك بني العباس يسير لا عسر فيه لو اجتمع عليهم الترك والديلم والهند والبربر والطيلسان على أن يزيلوا ملكهم ما قدروا أن يزيلوه حتى تشذ عليهم مواليهم وأرباب دولتهم ويسلط عليهم ملك من الترك يأتي عليهم من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة الا فتحها ولا ترفع له راية الا نكسها الويل ثم الويل لمن ناواه فلا يزال كذلك حتى يظفر بهم ثم يدفع ظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به ألا وإن الأمر كذلك حيث ظهر هولاكو من ناحية خراسان ومنه ابتداء ملك بني العباس حتى بايع لهم أبو مسلم الخراساني

(والجواب) أن يقال أما الاخبار ببعض الامور الغائبة فمن هو دون علي يخبر بمثل ذلك فعلي أجل قدرا من ذلك وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان من يخبر بأضعاف ذلك وليسوا ممن يصلح للامامة ولا هم أفضل أهل زمانهم ومثل هذا موجود في زماننا وغير زماننا وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك وأبو هريرة يسنده إلى النبي

الى ابطال بعد لا يتناهى أو الى عدم الأولوية أو وجوب المخالطة وهذه المقدمات يمكن منازعيهم أن ينازعوهم فيها أعظم مما يمكنهم هم منازعة أولئك في مقدمات حججهم ويرد عليهم من المناقضات والمعارضات أعظم مما يرد على أولئك وهذا مبسوط في موضعه فهذه الحجة وأمثالها من حجج النفاة يمكن ابطالها من وجوه كثيرة بعضها من جهة المعارضة بأقوال أهل باطل آخر وبيان أنه ليس قول أولئك بأبطل من قول هؤلاء فاذا لم يمكن الاستدلال على نفي أحد القولين الا بالمقدمة التي بها نفي القول الآخر لم يكن نفي أحدهما أولى من نفي الآخر بل ان كانت المقدمة صحيحة لزم نفيهما جميعا وان كانت باطلة لم تدل على نفي واحد منهما فكيف اذا كانت المقدمة التي استدل بها المستدل على نفي قول منازعه قد قال بها وبما هو أبلغ منها وبعض ما تبطل به هذه الحجة يكون من جهة أهل الحق الذين لم يقولوا باطلا ونحن نذكر ما يحضر من ابطالها بالكلام على مقدماتها والمواضع التي ينازع فيها الناس الاول قوله لو كان جسما لكان له بعد وامتداد فان هذا مما نازعه فيه طائفة ممن يقول هو جسم وهو مع ذلك واحد لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه فلا يشار الى شيء منه دون شيء فان هذا معروف عن

صلى الله عليه وسلم وحذيفة تارة يسنده وتارة لا يسنده وان كان في حكم المسند وما أخبر به هو وغيره قد يكون مما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون مما كوشف هو به وعمر رضي الله عنه قد أخبر بأنواع من ذلك والكتب المصنفة في كرامات الاولياء وأخبارهم مثل ما في كتاب الزهد للامام أحمد وحلية الاولياء وصفوة الصفوة وكرامات الاولياء لابي محمد الخلال وابن أبي الدنيا واللالكائي فيها من الكرامات عن بعض أتباع أبي بكر وعمر كالعلاء بن الحضرمي نائب أبي بكر وأبي مسلم الخولاني بعض أتباعهما وأبي الصهباء وعامر بن عبد قيس وغير هؤلاء ممن علي أعظم منه وليس في ذلك ما يدل على أنه يكون هو الافضل من أحد من الصحابة فضلا عن الخلفاء وهذه الحكايات التي ذكرها عن علي لم يذكر لشئ منها اسنادا وفيها ما يعرف صحته وفيها ما يعرف كذبه وفيها ما لا يعرف هل هو صدق أم كذب فالخبر الذي ذكره عن ملك الترك كذب على علي فانه لم يدفع ظفره الى رجل من العترة وهذا مما ذكره متأخرهم والكتب المنسوبة الى علي أو غيره من أهل البيت في الاخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك وكذلك ما يضاف اليه من أنه كان عنده علم من النبي صلى الله عليه وسلم خصه به دون غيره من الصحابة وفي صحيح البخاري عن أبي حذيفة قال قلت لعلي هل عندكم شئ من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وكذلك ما ينقل عن غير علي من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بشئ من علم الدين الباطن كل ذلك باطل ولا ينافي ذلك ما في الصحيحين عن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو أبثه لقطعتم هذا البلعوم فان هذا حديث صحيح ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خص أبا هريرة بما في ذلك الجراب بل كان أبو هريرة أحفظ من غيره فحفظ ما لم يحفظه غيره وكذلك قال حذيفة والله اني لأعلم الناس من فتنة هي كائنة بيني وبين الناس وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر الي في ذلك شيأ لم يحدثه غيري ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه الحديث وقال انه لم يبق من الرهط غيره وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيأ يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وحديث أبي زيد عمرو بن أخطب في صحيح مسلم قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وصعد المنبر ثم خطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا وأبو هريرة أسلم عام خيبر فلم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم الا أقل من أربع سنين وذلك الجراب لم يكن فيه شئ من علم الدين علم الايمان والامر والنهي وانما كان فيه الاخبار عن الامور المستقبلة مثل الفتن التي جرت بين المسلمين فتنة الجمل وصفين وفتنة ابن الزبير ومقتل الحسين ونحو ذلك ولهذا لم يكن أبو هريرة ممن دخل في الفتن ولهذا قال ابن عمر لو حدثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة وأما الحديث الذي يروى عن حذيفة أنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره فرواه البخاري عن ابراهيم النخعي قال ذهب علقمة الى الشأم فلما دخل المسجد قال اللهم يسر لي جليسا صالحا فجلس الى أبي الدرداء فقال أبو الدرداء ممن أنت

طائفة من أهل الكلام من الكرامية وغيرهم والرازي قد ذكر ذلك عن بعضهم لكنه ادعى أن هذا القول لا يعقل وأن فساده معلوم بالضرورة وكذلك قول من قال انه فوق العرش وانه مع ذلك ليس بجسم كما يذكر ذلك عن الاشعري وكثير من أهل الكلام والحديث والفقه من أصحاب الائمة الاربعة وغيرهم وهو قول القاضي أبي يعلى وأبي الحسن الزاغوني وقول أبي الوفاء بن عقيل في كثير من كلامه وهو قول أبي العباس القلانسي وقبله أبو محمد بن كلاب وطوائف غير هؤلاء فاذا قال القائل كونه جسما مع كونه غير منقسم أو كونه فوق العرش مع كونه غير جسم مما يعلم فساده بضرورة العقل فيقال ليس العلم بفساد هذا بأظهر من العلم بفساد قول من قال انه موجود قائم بنفسه فاعل لجميع العالم وانه مع ذلك لا داخل في العالم ولا خارج عنه ولا حال فيه ولا مباين له لا سيما اذا قيل مع ذلك انه حي عالم قادر وقيل مع ذلك ليس له حياة ولا علم ولا قدرة أو قيل هو عاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق وعشق وان العلم والحب نفس العالم المحب ونفس الحب هو نفس العلم أو قيل مع ذلك انه حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع يسمع بصير يبصر متكلم بكلام وقيل مع ذلك انه لا داخل في

قال من أهل الكوفة قال أليس منكم أوفيكم الذى أجاره الله على لسان نبيه يعنى من الشيطان يعنى عمارا قال قلت بلى قال أليس منكم أوفيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره قال قلت بلى الحديث وذلك السر كان معرفته بأعيان ناس من المنافقين كانوا فى غزوة تبوك هموا بأن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط فأعلمه الله بهم وكان حذيفة قريبا فعرفه بهم وكان اذا مات الميت المجهول حاله لا يصلى عليه عمر حتى يصلى عليه حذيفة خشية أن يكون من المنافقين ومعرفة بعض الصحابة والصالحين ببعض المستقبلات لا توجب أن يكون عالما بها كلها والغلاة الذين كانوا يدعون علم على بالمستقبلات مطلقا كذب ظاهر فالعلم ببعضها ليس من خصائصه والعلم بها كلها لم يحصل له ولا لغيره ومما يبين لك أن عليا لم يكن يعرف المستقبلات أنه فى ولايته وحروبه فى زمن خلافته كان يظن أشياء كثيرة فيتبين له الامر بخلاف ماظن ولو ظن أنه اذا قاتل معاوية وأصحابه يجرى ماجرى لم يقاتلهم فانه كان لو لم يقاتل فى عز ونصر وكان أكثر الناس معه وأكثر البلاد تحت ولايته فلما قاتلهم ضعف أمره حتى صار معهم كثير من البلاد التى كانت فى طاعته مثل مصر واليمن وكان الحجاز دولا ولو علم أنه اذا حكم الحكمين يحكمان بما حكما لم يحكمهما ولو علم أن أحدهما يفعل بالآخر مافعل حتى يعزلاه لم يول من يوافق على عزله ولا من خذله الحكم الآخر بل قد أشار عليه من أشار أن يقر معاوية على امارته فى ابتداء الأمر حتى يستقيم له الامر وكان هذا الرأى أحزم عند الذين ينصحونه ويحبونه ومعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم ولى أبا سفيان أبا معاوية نجران وكان واليا عليها حتى مات النبى صلى الله عليه وسلم وقد اتفق الناس على أن معاوية كان أحسن اسلاما من أبيه ولم يتهم أحد من الصحابة والتابعين معاوية بنفاق واختلفوا فى أبيه والصديق كان قد ولى أخاه يزيد بن أبى سفيان أحد الامراء فى فتح الشام لما ولى خالدا وأبا عبيدة ويزيد بن أبى سفيان لما فتحوا الشام بقى أميرا الى أن مات بالشام وكان من خيار الصحابة رجلا صالحا أفضل من أخيه وأبيه ليس هذا هو يزيد بن معاوية الذى تولى بعد معاوية الخلافة فان ذاك ولد فى خلافة عثمان لم يكن من الصحابة ولكن سمى باسم عمه فطائفة من الجهال يظنون يزيد هذا من الصحابة وبعض غلاتهم يجعله من الانبياء كما أن آخرين يجعلونه كافرا أو مرتدا وكل ذلك باطل بل هو خليفة بنى أمية (١) وبنى العباس والحسين رضى الله عنه ولعن قاتله قتل مظلوما شهيدا فى خلافته بسبب خلافته لكنه هو لم يأمر بقتله ولم يظهر الرضا به ولا انتصر ممن قتله ورأس الحسين حمل الى قدام عبيد الله بن زياد وهو الذى ضرب بالقضيب على ثناياه وهو الذى ثبت فى الصحيح وأما حمله الى عند يزيد فباطل واسناده منقطع وعمه يزيد الرجل الصالح هو من الصحابة توفى فى خلافة عمر فلما مات ولى معاوية مكان أخيه وعمر من أعلم الناس بأحوال الرجال وأحذقهم فى السياسة وأبعد الناس عن الهوى لم يول فى خلافته أحدا من أقاربه وانما كان يختار للولاية من يراه أصلح لها فلم يول معاوية الا وهو عنده ممن يصلح للامارة ثم لما توفى زاد عثمان فى ولاية معاوية حتى جمع له الشام وكانت الشام فى خلافة عمر أربعة أرباع فلسطين ودمشق وحمص والاردن ثم بعد ذلك فصلت قنسرين والعواصم من ربع حمص ثم بعد هذا عمرت حلب وخربت قنسرين وصارت العواصم دولا بين المسلمين وأهل الكتاب وأقام معاوية نائبا عن عمر وعثمان عشرين سنة ثم تولى عشرين سنة ورعيته شاكرون لسيرته واحسانه راضون به حتى أطاعوه فى مثل قتال على ومعلوم أنه خير من أبيه أبى سفيان وكانت ولايته أحق بالجواز من ولاية أبيه فلا يقال انه

مخلوقاته ولا خارج عنها ولا حال فيها ولا مباين لها وان ارادته لهذا المراد هو ارادته لهذا المراد ونفس رؤيته لهذا هو نفس رؤيته لهذا ونفس علمه بهذا هو نفس علمه بهذا أو ان الكلام معنى واحد بالعين فمعنى آية الكرسى وآية الدين وسائر القرآن والتوراة والانجيل وسائر ما تكلم به هو شئ واحد فان كانت هذه الاقوال مما يمكن صحتها فى العقل فصحة قول من قال هو فوق العرش وليس بجسم أو هو جسم وليس بمنقسم أقرب الى العقل وان قيل بل هذا القول باطل فى العقل فيقال تلك أبطل فى العقل ومتى بطلت تلك صح هذا واذا قيل النافى لامكان تلك الأمور هو الوهم والا فالعقل يجوز وجود ماذكر قيل والنافى لامكان هذا هو الوهم والا فالعقل يجوز وجود ماذكر واذا قيل البرهان العقلى دل على وجود ما أنكره الوهم قيل والبرهان العقلى دل على وجود ما أنكره الوهم هنا ومن تأمل هذا وجده من أصح المعارضة وأبين التناقض فى كلام هؤلاء النفاة وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع (الوجه الثانى)

---

(١) قوله وبنى العباس لعلها من زيادة النساخ فى هذا الموضع والمعنى على حذفها مستقيم وحرر كتبه مصححه

لم تكن تخل ولايته ولو قدر أن غيره كان أحق بالولاية منه أو أنه ممن يحصل به معونة لغيره ممن فيه ظلم لكان الشر المدفوع بولايته أعظم من الشر الحاصل بولايته وأين أخذ المال وارتفاع بعض الرجال من قتل الرجال الذين قتلوا بصفين ولم يكن فى ذلك عز ولا ظفر فدل هذا وغيره على أن الذين أشاروا على أمير المؤمنين كانوا حازمين وعلى امام مجتهد لم يفعل الا ما رآه مصلحة لكن المقصود أنه لو كان يعلم الكوائن كان قد علم أن اقراره على الولاية أصلح له من حرب صفين التى لم يحصل بها الا زيادة الشر وتضاعفه لم يحصل بها من المصلحة شئ وكانت ولايته أكثر خيرا وأقل شرا من محاربته وكل ما يظن فى ولايته من الشر فقد كان فى محاربته أعظم منه وهذا وأمثاله كثير مما يبين جهل من يقول انه كان يعلم الامور المستقبلة بل الرافضة تدعى الامور المتناقضة يدعون عليه علم الغيب مع هذه الامور المنافية لذلك ويدعون له من الشجاعة ما يزعمون معه أنه كان هو الذى ينصر النبى صلى الله عليه وسلم فى مغازيه وهو الذى أقام الاسلام بسيفه فى أول الامر مع ضعف الاسلام ثم يذكرون من عجزه عن مقاومة أبى بكر رضى الله عنه مع ضعفه عندهم بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ما يناقض ذلك فان أبا بكر رضى الله عنه لم يكن له بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم مال يستعطف به الناس ولا كان له قبيلة عظيمة ينصرونه ولا اموال ولا دعا الناس الى بيعته لا برغبة ولا برهبة وكان على رضى الله عنه على دفعه أقدر منه على دفع الكفار الذين حاربوا النبى صلى الله عليه وسلم بكثير فلو كان هو الذى دفع الكفار وكان مريد الدفع أبى بكر رضى الله عنه لكان على ذلك أقدر لكنهم يجمعون بين المتناقضين وكذلك فى حربه لمعاوية قد قهر وعسكره أعظم وتحت طاعته من هم أفضل وأكثر من الذين تحت طاعة معاوية وهو رضى الله عنه لا ريب أنه كان يريد أن يقهر معاوية وعسكره فلو كان هو الذى نصر النبى صلى الله عليه وسلم مع كثرة الكفار وضعف المسلمين وقلتهم لكان مع كثرة عسكره على عسكر معاوية أقدر على قهر معاوية وجيشه منه على قهر الكفار الذين قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فكيف يجمع بين تلك الشجاعة والقوة وبين هذا العجز والضعف الا من هو جاهل متناقض بل هذا يدل على أن النصر كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الله أيده بنصره وبالمؤمنين كلهم وعلى وغيره من المؤمنين الذين أيده الله بهم وكان تأييده بأبى بكر وعمر أعظم من تأييده بغيرهما من وجوه كثيرة ومما يبين أن عليا لم يكن يعلم المستقبل أنه ندم على أشياء مما فعلها وكان يقول

لقد عجزت عجزة لا أعتذر * سوف أكيس بعدها وأستمر
* وأجمع الرأى الشتيت المنتشر *

وكان يقول ليالى صفين يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ هذا لله در مقام قامه سعد ابن مالك وعبد الله بن عمر ان كان برا إن أجره لعظيم وان كان اثما ان خطره ليسير وهذا رواه المصنفون وتواتر عنه أنه كان يتضجر ويتململ من اختلاف رعيته عليه وأنه ما كان يظن أن الامر يبلغ ما بلغ وكان الحسن رأيه ترك القتال وقد جاء النص الصحيح بتصويب الحسن وفى البخارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ابنى هذا سيد وان الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فمدح الحسن على الاصلاح بين الطائفتين وسائر الاحاديث الصحيحة تدل على أن القعود عن القتال والامساك عن الفتنة كان أحب الى الله ورسوله وهذا قول أئمة السنة وأكثر أئمة الاسلام وهذا ظاهر فى الاعتبار فان محبة الله ورسوله للعمل بظهور ثمرته فما

كان

قوله واذا كان له بعد وامتداد فاما أن يكون غير متناه واما أن يكون متناهيا فيقال من الناس من يقول انه غير متناه وهؤلاء منهم من يقول جسم ومنهم من يقول غير جسم وقد حكى القولين أبو الحسن الاشعرى فى المقالات وحكاهما غيره أيضا ومن الناس من قال هو متناه من بعض الجهات وهذا مذكور عن طائفة من أهل الكلام من الكرامية وغيرهم وقد قاله بعض المنتسبين الى الطوائف الاربعة من الفقهاء كما ذكره القاضى أبو يعلى فى عيون المسائل فان هذه الاقوال يوجد عامتها فى بعض أتباع الائمة منها ما يوجد فى بعض أصحاب أبى حنيفة ومنها ما يوجد فى بعض أصحاب مالك ومنها ما يوجد فى بعض أصحاب الشافعى ومنها ما يوجد فى بعض أصحاب أحمد ومنها ما يوجد فى بعض أصحاب اثنين أو ثلاثة أو الاربعة قوله ان كان غير متناه من جميع الجهات فهو محال لوجوه الاول ما سنبينه من احالة بعد لا يتناهى فيقال له أنت قد أبطلت أدلة نفاة ذلك ولم تذكر الا دليلا هو أضعف من أدلة غيرك فبقيت الدعوى بلا دليل قوله الثانى أنه يلزم منه نفى الاجسام أو تداخلها ومداخلة القاذورات فيقال هؤلاء يقولون لا يلزم منه شئ من ذلك بل هو غير متناه مع كونه جسما أو مع كونه

كان أنفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم كان أحب الى الله ورسوله وقد دل الواقع على أن رأى الحسن كان أنفع للمسلمين لما ظهر من العاقبة فى هذا وفى هذا وفى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول للحسن وأسامة اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وكلاهما كان يكره الدخول فى القتال أما أسامة فانه اعتزل القتال فطلبه على ومعاوية فلم يقاتل مع واحد من هؤلاء كما اعتزل أكثر فضلاء الصحابة رضى الله عنهم مثل سعد بن أبى وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وأبى هريرة وعمران بن حصين وأبى بكرة وغيرهم وكان ما فعله الحسن أفضل عند الله مما فعله الحسين فانه وأخاه سيدا شباب أهل الجنة فقتل الحسين شهيدا مظلوما وصار الناس فى قتله ثلاثة أحزاب حزب يرون أنه قتل بحق ويحتجون بما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق بين جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان قالوا وهو جاء والناس على رجل واحد فأراد أن يفرق جماعتهم وحزب يرون أن الذين قاتلوه كفار بل يرون أن من لم يعتقد امامته كافر والحزب الثالث وهم أهل السنة والجماعة يرون أنه قتل مظلوما شهيدا والحديث المذكور لا يتناوله بوجه فانه رضى الله عنه لما بعث ابن عمه عقيلا الى الكوفة فبلغه أنه قتل بعد أن بايعه طائفة (١) فبلغ فطلب الرجوع الى بلده فخرج اليه السرية التى قتلته فطلب منهم أن يذهبوا به الى يزيد أو يتركوه يرجع الى مدينته أو يتركوه يذهب الى الثغر للجهاد فامتنعوا من هذا وهذا وطلبوا أن يستأسر لهم ليأخذوه أسيرا ومعلوم باتفاق المسلمين أن هذا لم يكن واجبا عليه وأنه كان يجب تمكينه مما طلب فقاتلوه ظالمين له ولم يكن حينئذ مريدا لتفريق الجماعة ولا طالبا للخلافة ولا قاتل على طلب خلافة بل قاتل دفعا عن نفسه لمن صال عليه وطلب أسره وظهر بطلان قول الحزب الاول وأما الحزب الثانى فبطلان قوله يعرف من وجوه كثيرة من أظهرها أن عليا لم يكفر أحدا ممن قاتله حتى ولا الخوارج ولا سبى ذرية أحد منهم ولا غنم ماله ولا حكم فى أحد ممن قاتله بحكم المرتدين كما حكم أبو بكر وسائر الصحابة فى بنى حنيفة وأمثالهم من المرتدين بل كان يترضى عن طلحة والزبير وغيرهما ممن قاتله ويحكم فيهم وفى أصحاب معاوية ممن قاتله بحكم المسلمين وقد ثبت بالنقل الصحيح أن مناديه نادى يوم الجمل لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ولا يغنم مال وهذا مما أنكرته الخوارج عليه حتى ناظرهم ابن عباس رضى الله عنه فى ذلك كما ذكر ذلك فى موضعه واستفاضت الآثار عنه أنه كان يقول عن قتلى عسكر معاوية انهم جميعا مسلمون ليسوا كفارا ولا منافقين كما قد ذكر فى غير هذا الموضع وكذلك عمار وغيره من الصحابة وكانت هذه الاحزاب الثلاثة بالعراق (٢) طائفة ناصبة من شيعة عثمان تبغض عليا والحسين وطائفة من شيعة على تبغض عثمان وأقاربه وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أسماء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون فى ثقيف كذاب ومبير فكان الكذاب الذى فيها هو المختار بن عبيد وكان الحجاج هو المبير وكان هذا يتشيع لعثمان ويبغض شيعة على وكان الكذاب يتشيع لعلى حتى قاتل عبيد الله بن زياد وقتله ثم ادعى أن جبريل يأتيه فظهر كذبه وانقسم الناس بسبب هذا فى يوم عاشوراء الذى قتل فيه الحسين الى قسمين فالشيعة اتخذته يوم مأتم وحزن يفعل فيه من المنكرات ما لا يفعله الا من هو من أجهل الناس وأضلهم وقوم اتخذته بمنزلة العيد فصاروا يوسعون النفقات والاطعمة واللباس ورووا فيه أحاديث موضوعة كقوله من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته وهذا الحديث كذب على النبى صلى الله عليه وسلم قال حرب الكرمانى سئل أحمد بن حنبل

غير جسم ويقولون لا يلزم نفى سائر الاجسام ولا مداخلتها فاذا قيل لهم هذا ينفيه العقل قالوا نفى العقل لهذا كنفيه وجوده قائما بنفسه فاعلا للعالم وهو مع ذلك لا حال فى العالم ولا بائن من العالم بل نفى العقل لهذا أعظم من نفيه لهذا وما قيل من الاعتذار عن ذلك بالفرق بين الوهم والعقل يمكن فى هذا بطريق الاولى كما قد بسط فى موضعه فان هؤلاء ادعوا أن القائل كل موجودين اما أن يكونا متحايثين أو متباينين أو كل موجودين قائمين بانفسهما فاما أن يكونا متباينين أو متلاصقين أو كل موجود قائم بنفسه فلا بد أن يكون مشارا اليه وان قول القائل باثبات موجود لا هو داخل العالم ولا خارجه ولا حال فيه ولا مباين له ولا يشار اليه ولا يقرب من شئ ولا يبعد من شئ ولا يصعد اليه شئ ولا ينزل منه شئ وأمثال ذلك من الصفات السالبة النافية هو محال فى العقل قالوا ان هذا الموجب لذلك التقسيم والحيل لوجود هذا انما هو الوهم دون العقل وان الوهم

---

(١) قوله فبلغ فطلب الرجوع الى بلده الخ كذا فى الاصل وفيه سقط ظاهر تأمل

(٢) كذا فى النسخة ولعل هنا سقطا ووجهه وبالعراق طائفة الخ تأمل كتبه مصححه

عن هذا الحديث فقال لا أصل له والمعروف عند أهل الحديث انه يرويه سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه انه قال بلغنا انه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال ابن عيينة جربناه من ستين سنة فوجدناه صحيحا (قلت) ومحمد بن المنتشر هذا من فضلاء الكوفيين لكن لم يكن يذكر ممن سمعه ولا عمن بلغه ولا ريب أن هذا أظهره بعض المتعصبين على الحسين ليتخذ يوم قتله عيدا فشاع هذا عند الجهال المنتسبين الى السنة حتى روى في حديث ان يوم عاشوراء جرى كذا وجرى كذا حتى جعلوا أكثر حوادث الانبياء كانت يوم عاشوراء مثل مجئ قميص يوسف الى يعقوب ورد بصره وعافية أيوب وفداء الذبيح وأمثال هذا وهذا الحديث كذب موضوع وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وان كان قد رواه هو في كتاب النور في فضائل الايام والشهور وذكر عن ابن ناصر شيخه أنه قال حديث صحيح واسناده على شرط الصحيح فالصواب ما ذكره في الموضوعات وهو آخر الامرين منه وابن ناصر راج عليه ظهور حال رجاله والا فالحديث مخالف للشرع والعقل لم يروه أحد من أهل العلم المعروفين في شئ من الكتب وانما دلس على بعض الشيوخ المتأخرين كما جرى مثل ذلك في أحاديث أخر حتى في أحاديث نسبت الى مسند أحمد وليست منه مثل حديث رواه عبد القادر بن يوسف عن ابن المذهب عن القطيعي عن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن المثنى عن عبد الله بن دينار عن عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود وهذا القول صحيح متواتر عن السلف انهم قالوا ذلك لكن رواية هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب وعزوه الى المسند لاحمد كذب ظاهر فان مسنده موجود وليس هذا فيه وأحمد امام أهل السنة في زمن المحنة وقد جرى له في مسئلة القرآن ما اشتهر في الآفاق وكان يحتج لان القرآن كلام الله غير مخلوق بحجج كثيرة معروفة عنه ولم يذكر هذا الحديث قط ولا احتج به فكيف يكون هذا الحديث عنده ولا يحتج به وهذا الحديث انما عرف عن هذا الشيخ وكان بعض من قرأ عليه دسه في جزء فقرأه عليه مع غيره فراج ذلك على من لم يكن له معرفة وكذلك حديث عاشوراء والذي صح في فضله هو صومه وأنه يكفر سنة وأن الله نجى فيه موسى من الغرق وقد بسطنا الكلام عليه في موضع آخر وبينا أن كل ما يفعل فيه سوى الصوم بدعة مكروهة لم يستحبها أحد من الائمة مثل الاكتحال والخضاب وطبخ الحبوب وأكل لحم الأضحية والتوسيع في النفقة وغير ذلك وأصل هذا من ابتداع قتلة الحسين ونحوهم وأقبح من ذلك وأعظم ما تفعله الرافضة من اتخاذه مأتما يقرأ فيه المصرع وينشد فيه قصائد النياحة ويعطشون فيه أنفسهم ويلطمون الخدود ويشقون الجيوب ويدعون فيه بدعوى الجاهلية وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وهذا مع حدثان العهد بالمصيبة (١) فتكون اذا كانت بعد ستمائة ونحو سبعين سنة وقد قتل من هو أفضل من الحسين ولم يجعل المسلمون ذلك اليوم مأتما وفي مسند أحمد عن فاطمة بنت الحسين وكانت قد شهدت قتله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وان قدمت فيحدث لها استرجاعا الا أعطاه الله من الاجر مثل أجره يوم أصيب بها فهذا يبين أن السنة في المصيبة اذا ذكرت وان تقادم عهدها أن يسترجع كما جاء بذلك الكتاب والسنة قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وأقبح من ذلك

يحكم في غير المحسوس بحكم المحسوس وهذا باطل فقيل لهم فأنتم لم تثبتوا بعد وجود ما لا يمكن الاحساس به وحكم الفطرة أولى بديهي والوهم عندكم انما يدرك الاشياء المعينة كادراك العداوة والصداقة كادراك الشاة عداوة الذئب وصداقة الكبش وهذه أحكام كلية والكليات من حكم العقل لا من حكم الوهم فهذا وأمثاله مما أبطل به ما ذكروه من الاعتذار بأن هذا حكم الوهم لكن المقصود هنا أن ذلك العذر ان كان صحيحا فلمنازعيهم أن يعتذروا به ههنا فيقولون ما ذكرتموه من كونه لو كان فوق العرش أو لو كان جسما لكان ممتدا متناهيا أو غير متناه هو من حكم الوهم وهو فرع كونه قابلا لثبوت الامتداد ونفيه أو لثبوت النهاية ونفيها ونحن نقول هو فوق العرش أو هو جسم وهو مع ذلك لا يقبل أن يكون ممتدا ولا غير ممتد ولا أن يكون متناهيا ولا غير متناه كما قلتم أنتم انه موجود قائم بنفسه مبدع للعالم مسمى بالاسماء الحسنى وانه مع ذلك لا يقبل أن

---

(١) قوله فتكون اذا كانت الخ كذا في النسخة ولعل فيه سقطا ووجهه فتكون أحرى بهذا الوعيد اذا كانت الخ أو نحو ذلك تأمل كتبه مصححه

نتف النعجة تشبيهالها بعائشة والطعن فى الجبس الذى فى جوفه سمن تشبيهاله بعمر وقول القائل باثارات أبى لؤلؤة الى غير ذلك من منكرات الرافضة فانه يطول وصفها والمقصود هنا أن ما أحدثوه من البدع فهو منكر وما أحدثه من يقابل البدعة بالبدعة وينسب الى السنة هو أيضا منكر مبتدع والسنة ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بريئة من كل بدعة فما يفعل يوم عاشوراء من اتخاذه عيدا بدعة أصلها من بدع النواصب وما يفعل من اتخاذه مأتما بدعة أشنع منها وهى من البدع المعروفة فى الروافض وقد بسطنا هذه الامور وبالله المستعان

(فصل) قال الرافضى السادس أنه كان مستجاب الدعاء دعا على بسر بن أرطاة بأن يسلبه الله عز وجل عقله فخولط فيه ودعا على العيزار بالعمى فعمى ودعا على أنس لما كتم شهادته بالبرص فأصابه وعلى زيد بن أرقم بالعمى فعمى

(والجواب) أن هذا موجود فى الصحابة أكثر منه وممن بعد الصحابة مادام فى الارض مؤمن وكان سعد بن أبى وقاص لا تخطئ له دعوة وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم سدد رميته وأجب دعوته وفى صحيح مسلم أن عمر لما أرسل الى الكوفة من يسأل عن سعد فكان الناس يثنون خيرا حتى سئل عنه رجل من بنى عبس فقال أما اذا أنشدتمونا سعدا فكان لا يخرج فى السرية ولا يعدل فى الرعية ولا يقسم بالسوية فقال سعد اللهم ان كان كاذبا قام رئاء وسمعة فأطل عمره وعظم فقره وعرضه للفتن فكان يرى وهو شيخ كبير تدلى حاجباه من الكبر يتعرض للجوارى يغمزهن فى الطرقات ويقول شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد وكذلك سعيد بن زيد كان مستجاب الدعوة فروى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أوس استعدت مروان على سعيد وقالت سرق من أرضى ما أدخله فى أرضه فقال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فأذهب بصرها واقتلها فى أرضها فذهب بصرها وماتت فى أرضها والبراء بن مالك كان يقسم على الله فيبر قسمه كما فى الصحيح ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك والعلاء بن الحضرمى نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نائب أبى بكر رضى الله عنه على البحرين مشهور باجابة الدعاء روى ابن أبى الدنيا باسناده قال سهم بن منجاب غزونا مع العلاء بن الحضرمى دارين فدعا بثلاث دعوات فاستجاب الله له فيهن كلهن قال سرنا معه ونزلنا منزلا وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه فقام فصلى ركعتين ثم دعا الله فقال اللهم يا عليم يا حكيم يا على يا عظيم انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ من الاحداث واذا تركناه فلا تجعل فيه نصيبا لاحد غيرنا قال فما جاوزنا غير بعيد فاذا نحن بنهر من ماء السماء تتدفق قال فنزلنا فروينا وملأت أدواتى ثم تركتها وقلت لأنظرن هل استجيب له فسرنا ميلا أو نحوه فقلت لاصحابى انى نسيت أدواتى فجئت الى ذلك المكان فكأنما لم يكن فيه ماء قط فأخذت أدواتى فلما أتينا دارين وبيننا وبينهم البحر فدعا الله فقال اللهم يا عليم يا حكيم يا على يا عظيم انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاجعل لنا سبيلا الى عدوك ثم اقتحم بنا البحر فوالله ما ابتلت سروجنا ثم خرجنا اليهم فلما رجعنا اشتكى البطن فمات فلم نجد ماء نغسله فلففناه فى ثيابه فدفناه فلما سرنا غير بعيد اذا نحن بماء كثير فقال بعضهم لبعض ارجعوا نستخرجه فنغسله فرجعنا فخفى علينا قبره فلم نقدر عليه فقال رجل من القوم انى سمعته يدعو الله يقول اللهم يا عليم يا حكيم يا على يا عظيم أخف حفرتى ولا تطلع على عورتى أحدا فرجعنا وتركناه وقد كان عمر دعا بدعوات أجيب فيها من ذلك انه لما نازعه بلال وطائفة معه فى القسمة قسمة الارض

يقال هو متناه ولا غير متناه بل ذاته لا تقبل اثبات ذلك ولا نفيه ولا تقبل أن يقال هو حال فى العالم ولا خارج عنه فلا توصف ذاته بالدخول ولا بالخروج فان ذاته لا تقبل الاتصاف لا باثبات ذلك ولا بنفيه فهذا ونحوه قولكم فان كان هذا القول صحيحا أمكن من أثبت العلو دون التجسيم أو العلو والتجسيم ونفى ما يذكر من لوازمه أن يقول فيه ما تقولون أنتم حيث أثبتم موجودا قائما بنفسه مبدعا للعالم ونفيتم ما يذكر من لوازمه فان لزوم تلك اللوازم لما أثبتوه أظهر فى صريح العقل من لزوم هذه اللوازم لما أثبته هؤلاء فان أمكنكم نفى اللزوم وادعيتم أن القول باللزوم واحالة ما أثبتموه من حكم الوهم دون العقل أمكن خصومكم أن يقولوا مثل ذلك بمثل ما قلتموه بطريق الاولى وهذا يفهمه من تصور حقيقة قول الطائفتين وأدلتهم العقلية فانه اذا قابل بين قول هؤلاء وقول هؤلاء تبين له صحة الموازنة وان الاثبات أقرب الى صريح المعقول وأبعد عن التناقض كما أنه أقرب الى صحيح المنقول وكذلك يقال فى الوجه الثالث فان اثبات النهاية من أحد الطرفين دون الآخر أبعد عن الاحالة من اثبات موجود قائم بنفسه لا يمكن

فقال اللهم اكفني بلالا وذويه فما حال الحول ومنهم عين تطرف وقال اللهم كبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مفتون ولا مضيع فمات من عامه ومثل هذا كثير جدا وقد صنف ابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة كتابا مع أن هذه القصص المذكورة عن علي لم يذكر لها اسنادا فتتوقف على معرفة الصحة مع أن فيها ما هو كذب لا ريب فيه كدعائه على أنس بالبرص ودعائه على زيد بن أرقم بالعمى

﴿فصل﴾ قال الرافضي السابع انه لما توجه الى صفين لحق أصحابه عطش شديد فعدل بهم قليلا فلاح لهم دير فصاحوا بساكنه فسألوه عن الماء فقال بيني وبينه أكثر من فرسخين ولولا أني أوتى ما يكفيني كل شهر على التقتير لتلفت عطشا فأشار أمير المؤمنين الى مكان قريب من الدير وأمر بكشفه فوجدوا صخرة عظيمة فعجزوا عن ازالتها فقلعها وحده ثم شربوا الماء فنزل اليهم الراهب فقال أنت نبي مرسل أو ملك مقرب فقال لا ولكني وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يده وقال ان هذا الدير بني على طالب هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها وقد مضى من تحتها جماعة قبلي لم يدركوه وكان الراهب من جملة من استشهد معه ونظم القضية السيد الحميري في قصيدته

(والجواب) أن هذا من جنس أمثاله من الاكاذيب التي يظنها الجهال من أعظم مناقب علي وليست كذلك بل الذي وضع هذه كان جاهلا بفضل علي وبما يستحقه من المدائح فان الذي فيه من المنقبة أنه أشار الى صخرة فوجدوا تحتها الماء وأنه قلعها ومثل هذا يجري لخلق كثير على رضي الله عنهم أفضل منهم بل في المحبين لابي بكر وعمر وعثمان من يجري لهم أضعاف هذا وأفضل من هذا وهذا وان كان اذا جرى على يد بعض الصالحين كان نعمة من الله وكرامة له فقد يقع مثل ذلك لمن ليس من الصالحين كثيرا وأما سائر ما فيها مثل قوله ان هذا الدير بني على طالب هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها فليس هذا من دين المسلمين وانما تبنى الكنائس والديارات والصوامع على أسماء المقتدية بسير النصارى فأما المسلمون فلا يبنون معابدهم وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الا على اسم الله لا على اسم مخلوق فقول الراهب أنت نبي مرسل أو ملك مقرب يدل على جهله وأنه من أضل الخلق فان الملائكة لا تشرب الماء ولا تحتاج الى أن تستخرجه من تحت صخرة ومحمد صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده ومعلوم ان هذا الراهب قد سمع بخبر المسلمين الذين فتحوا تلك المواضع فان كان يجوز أن يبعث رسول بعد المسيح فمحمد هو الرسول ومعجزاته ظاهرة باطنة فان صدقه فقد علم أنه لا نبي بعده وان لم يصدقه فكيف يعتقد في غيره أنه نبي مرسل بمجرد دلالته على ماء تحت صخرة أو لكون الدير بني على اسمه وهم يبنون الديارات على أسماء خلق كثير ليسوا من الملائكة ولا الرسل ومافيه من قول علي ولكني وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مما يبين أنه كذب على علي وان عليا لم يدع هذا قط لا في خلافة الثلاثة ولا ليالي صفين وقد كانت له مع منازعيه مناظرات ومقامات ما ادعى هذا قط ولا ادعاه أحد له وقد حكم الحكمين وأرسل ابن عباس لمناظرة الخوارج فذكروا فضائله وسوابقه ومناقبه ولم يذكر أحد منهم قط انه وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بدون هذه الاسباب الموجبة لنقله لو كان حقا فكيف مع هذه الاسباب فلما رووا فضائله ومناقبه كقوله عليه السلام لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وكقوله عام تبوك ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى

أن يقال فيه هو متناه ولا أن يقال غير متناه وكذلك اثبات موجود لا نهاية له من الطرفين أقرب الى المعقول من كونه لا يقبل اثبات النهاية ولا نفيها قوله فيلزم أن يكون الرب مفتقرا في افادة مقداره الى موجب ومخصص ولا معنى للبعد غير نفس الاجزاء فيكون الرب معلولا لغيره يقال ما من أحد من النفاة الا وقد قال نظير هذا فالكلابية والاشعرية يقولون الذات اقتضت صفات معدودة دون غيرها من الصفات فانهم وان تنازعوا في كون صفاته كلها معلولة للبشر فانهم لم يتنازعوا في اثبات صفات لا تتناهى بل لا بد أن تكون صفاته متناهية فجعلوا الذات مقتضية لعدد معين دون غيره من الاعداد ولصفات معينة دون غيرها من الصفات بل واقتضت الامر بشئ دون غيره من المأمورات وبارادة شئ دون غيره من المرادات مع أن نسبتها الى جميع المرادات والمأمورات نسبة واحدة وأصلهم أنه يجوز تخصيص أحد المثلين دون الآخر بغير مخصص بل بمحض الارادة وان الذات اقتضت تلك الارادة على ذلك الوجه دون غيرها لا لامر آخر فاذا قيل الذات اقتضت تناهيا من جانب دون جانب أو قدرا مخصوصا لم يكن هذا في صريح العقل بأبعد من الامتناع من ذلك لاسيما وهم مع ذلك يقولون ان

الا أنه لا نبي بعدي وقوله أنت مني وأنا منك وغير ذلك من فضائله ولم يرووا هذا مع مسيس الحاجة الى ذكره علم أنه من جملة ما افتراه الكذابون

(فصل) قال الرافضي الثامن ما رواه الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى بني المصطلق حيث خرجوا عن الطريق وأدركه الليل بقرب واد وعر فهبط جبريل وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده وايقاع الشر بأصحابه فدعا بعلي وعوّذه وأمره بنزول الوادي فقتلهم

(والجواب) أن يقال أولا عليّ أجل قدرا من هذا واهلاك الجن موجود لمن هو دون علي لكن هذا الحديث من الاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عليّ عند أهل المعرفة بالحديث ولم يجر في غزوة بني المصطلق شيء من هذا وقوله ان هذا رواه الجمهور ان أريد بذلك أنه مروي باسناد ثابت أو في كتاب يعتمد على مجرد نقله أو صححه من يرجع الى تصحيحه فليس كذلك وان أراد أن جمهور العلماء رووه فهذا كذب وان أراد أنه رواه من لا يقوم بروايته حجة فهذا لا يفيد ومن هذا الجنس ما روى أنه قاتل الجن في بئر ذات العلم وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة وعليّ أجل قدرا من أن تثبت الجن لقتاله ولم يقاتل أحد من الانس الجن بل كان الجن المؤمنون يقاتلون الجن الكفار وكان من أهل العلم أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي رحمه الله سأله بعض الشيعة عن قتال الجن فقال أنتم معشر الشيعة ليس لكم عقل أيما أفضل عندكم عمر أو علي فقالوا بل علي فقال اذا كان الجمهور يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر ما رآك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك فاذا كان الشيطان يهرب من عمر فكيف يقاتل عليا وأيضا فدفع الجن والشياطين واهلاكهم موجود لكثير من أتباع أبي بكر وعمر وعثمان وفي ذلك قصص يطول وصفها وقد روى ابن الجوزي في كتاب الموضوعات حديثا طويلا في محاربته للجن وأنه كان في الجعام الحديبية وأنه حاربهم ببئر ذات العلم من طريق أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري حدثنا عبد الله بن أحمد السكوني حدثنا عمارة بن يزيد حدثنا ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحق حدثني يحيى بن عبيد الله بن الحرث عن أبيه عن ابن عباس قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الى مكة أصاب الناس عطش شديد وحر شديد فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل من رجل يمضي في نفر من المسلمين معهم القرب فيردون بئر ذات العلم ثم يعود يضمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة فذكر حديثا طويلا فيه أنه بعث رجلا من الصحابة ففزع من الجن فرجع ثم بعث آخر وأنشد شعرا ففزع من الجن فرجع ثم أرسل علي بن أبي طالب فنزل البئر وملأ القرب بعد هول شديد وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له الذي هتف بك من الجن هو سماعة بن عزاب الذي قتل عدو الله مسعرا شيطان الاصنام الذي يكلم قريشا منها وفزع من هجائي ثم قال الشيخ أبو الفرج هذا الحديث موضوع محال (١) والفنيد ومحمد بن جعفر والسكوني مجروحون قال أبو الفتح الازدي وعمارة يضع الحديث قلت وكتب ابن اسحق التي رواها عنه الناس ليس فيها شيء من هذا

(فصل) قال الرافضي التاسع رجوع الشمس له مرتين احداهما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والثانية بعده أما الاولى فروى جابر وأبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل يوما يناجيه من عند الله فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير

هذه الارادة اقتضت أن تكون الحوادث متناهية من أحد الطرفين دون الآخر فالحوادث عندهم لا تتناهى من جانب المستقبل مع تناهيها من جانب الماضي ومع امكان تقدم الحوادث على مبدا حدوثها وتأخرها عن ذلك المبدا ولكن الارادة هي المخصصة لأحد المثلين والذات هي المخصصة لتلك الارادة المعينة دون غيرها من الارادات وهي المخصصة للكلام المعين الذي هو أمر بشيء معين دون غيره من الكلام والاوامر والمعتزلة يقولون ان تلك الذات هي المخصصة لأحد المقدورين دون أمثاله من المقدورات وكذلك هي المخصصة لكونها آمرة ومتكلمة وفاعلة بالأمر المعين والكلام المعين والفعل المعين دون غيره من الاوامر والكلام والفعل وهي المخصصة للارادة أو لكونه مريدا دون غير تلك الارادة أو غير تلك المريدية والفلاسفة يقولون ان الذات أو الوجود الذي لا اختصاص له بحقيقة من الحقائق ولا صفة من الصفات هو المخصص للعالم كله بما هو عليه من الحقائق والصفات والمقادير وأنه علة تامة موجبة

---

(١) كذا في النسخة والفنيد بالفاء والنون ولم يتقدم في السند ولم نقف عليه في الاسماء وحرر كتبه مصححه

المؤمنين فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس فصلى علي العصر بالايماء فلما استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم قال له سل الله تعالى يرد عليك الشمس لتصلى العصر قائما فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائما وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل استعمل كثير من أصحابه دوابهم وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر وفات كثيرا منهم فتكلموا في ذلك فسأل الله رد الشمس فردت ونظمه الحميري فقال

ردت عليه الشمس لما فاته * وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها في وقتها * للعصر ثم هوت هوى الكوكب
وعليه قد ردت ببابل مرة * أخرى وما ردت لخلق مغرب

(والجواب) أن يقال فضل علي وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم عند الله ولله الحمد من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني لا يحتاج معها الى كذب ولا الى ما لا يعلم صدقه وحديث رد الشمس له قد ذكره طائفة كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما وعدوا ذلك من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع كما ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات فرواه من كتاب أبي جعفر العقيلي في الضعفاء من طريق عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن ابراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم صليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فقالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت قال أبو الفرج هذا الحديث موضوع بلا شك وقد اضطرب الرواة فيه فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن عبد الرحمن بن عبيد عن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء قال وفضيل بن مرزوق ضعفه يحيى وقال أبو حاتم بن حبان يروي الموضوعات ويخطئ على الثقات قال أبو الفرج وهذا الحديث مداره على عبيد الله بن موسى عنه (قلت) والمعروف أن سعيد بن مسعود رواه عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن ابراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء ورواه محمد بن مرزوق عن حسين الاشقر عن علي بن عاصم عن عبد الرحمن بن عبيد عن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسين عن فاطمة بنت علي عن أسماء كما سيأتي ذكره قال أبو الفرج وقد روى هذا الحديث ابن شاهين حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن عروة بن عبد الله بن قيس قال دخلت على فاطمة بنت علي بن أبي طالب فحدثتني أن علي بن أبي طالب فذكر حديث رجوع الشمس قال أبو الفرج وهذا حديث باطل أما أحمد بن عبد الرحمن بن شريك فقال أبو حاتم هو واهي الحديث قال وأنا لا أتهم بهذا الحديث الا ابن عقدة فانه كان رافضيا يحدث بمثالب الصحابة قال أبو أحمد بن عدي الحافظ سمعت أبا بكر بن أبي طالب يقول ابن عقدة لا يتدين بالحديث كان يحمل شيوخا بالكوفة على الكذب يسوي لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها وقد بينا ذلك منه في غير نسخة وسئل عنه الدارقطني فقال رجل سوء قال أبو الفرج وقد رواه ابن مردويه من حديث داود ابن فراهيج عن أبي هريرة قال وداود ضعفه شعبة قلت فليس في هؤلاء من يحتج به فيما

للعلول ومع أن الحوادث من المعلولات ليست أعيانها أزلية ولم يكن فيه ما يوجب تأخر شيء من المعلولات ولا قام به صفة ولا معنى ولا فعل يوجب التخصيص لا بحقيقة دون حقيقة ولا بصفة دون صفة ولا الحادث دون حادث ولا التأخير ما يتأخر والعالم يشهد فيه من الحقائق المختلفة والحوادث الحادثة ما يعلم معه بالضرورة أنه لا بد له من مخصص وهم لا يثبتون الا وجودا مطلقا ليس فيه اختصاص وجودي بوجه من الوجوه فضلا عن أن يكون مقتضيا لتخصيص حقيقة دون حقيقة وصفة دون صفة والحدوث من غير سبب يقتضي الحدوث وهذه الأمور لبسطها موضع آخر والمقصود أن هؤلاء القائلين بعدم التناهي أو بالتناهي من جانب دون جانب مع كون قولهم فاسدا فنفاة كون الرب على العرش الذين يحتجون على نفي ذلك بنفي الجسم وعلى نفي الجسم بهذه الحجج يلزمهم من التناقض أعظم مما يلزم المثبتين والمقدمات التي يحتجون بها هي أنفسها وما هو أقوى منها من جنسها تدل على فساد أقوالهم بطريق الأولى فان كانت صحيحة دلت على فساد قولهم ومتى فسد قولهم صح قول المثبتة لامتناع رفع النقيضين وان كانت باطلة لم تدل على فساد قول المثبتة فدل ذلك على

دون هذا وأما الثاني ببابل فلا ريب أن هذا كذب وانشاد الحميري لا حجة فيه لانه لم يشهد ذلك
والكذب قديم فقد سمعه فنظمه وأهل الغلو في المدح والذم ينظمون مالا تتحقق صحته لاسيما
والحميري معروف بالغلو وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي هريرة قال غزا نبي من الانبياء فقال
لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة يريد أن يبني بها ولما يبن ولا رجل قد بنى بيتا ولم يرفع سقفه
ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها قال فغزا فدنا من القرية حتى صلى العصر
قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيأ فحبست عليه حتى
فتح الله عليه فان قيل فهذه الامة أفضل من بني اسرائيل فاذا كانت قد ردت ليوشع فما
المانع أن ترد لفضلاء هذه الامة فيقال يوشع لم ترد له الشمس ولكن تأخر غروبها طول له النهار
وهذا قد لا يظهر للناس فان طول النهار وقصره لا يدرك ونحن انما علمنا وقوفها ليوشع بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم وأيضا لا مانع من طول ذلك لو شاء الله لفعل ذلك لكن يوشع كان محتاجا الى
ذلك لان القتال كان محرما عليه بعد غروب الشمس لاجل ما حرم الله عليهم من العمل ليلة السبت
ويوم السبت وأما أمة محمد فلا حاجة لهم الى ذلك ولا منفعة لهم فيه فان الذي فاتته العصر ان
كان مفرطا لم يسقط ذنبه الا بالتوبة ومع التوبة لا يحتاج الى رد وان لم يكن مفرطا كالنائم
والناسي فلا ملام عليه في الصلاة بعد الغروب وأيضا فبنفس غروب الشمس خرج الوقت
المضروب للصلاة فالمصلي بعد ذلك لا يكون مصليا في الوقت الشرعي ولو عادت الشمس وقول
الله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يتناول الغروب المعروف فعلى العبد
أن يصلي قبل هذا الغروب وان طلعت ثم غربت والاحكام المتعلقة بغروب الشمس حصلت
بذلك الغروب فالصائم يفطر ولو عادت بعد ذلك لم يبطل صومه مع أن هذه الصورة لا تقع لاحد
ولا وقعت لاحد فتقديرها تقدير ما لا وجود له ولهذا لا يوجد الكلام على حكم مثل هذا في كلام
العلماء المفرعين وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم فاتته العصر يوم الخندق فصلاها قضاء هو
وكثير من أصحابه ولم يسأل الله رد الشمس وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
بعد ذلك لما أرسلهم الى بني قريظة لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فلما أدركتهم الصلاة
في الطريق قال بعضهم لم يرد منا تفويت الصلاة فصلوا في الطريق فقالت طائفة لا نصلي الا في
بني قريظة فلم يعنف واحدا من الطائفتين فهؤلاء الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم صلوا
العصر بعد غروب الشمس وليس علي بأفضل من النبي صلى الله عليه وسلم فاذا صلاها هو
وأصحابه معه بعد الغروب فعلي وأصحابه أولى بذلك فان كانت الصلاة بعد الغروب لا تجزى
أو ناقصة تحتاج الى رد الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى برد الشمس وان كانت
كاملة مجزئة فلا حاجة الى ردها وأيضا فمثل هذه القضية من الامور العظام الخارجة عن العادة
التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها فاذا لم ينقلها الا الواحد والاثنان علم بيان كذبهم في ذلك
وانشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس ومع هذا فقد رواه الصحابة من غير وجه وأخرجوه
في الصحاح والسنن والمساند من غير وجه ونزل به القرآن فكيف برد الشمس التي تكون بالنهار
ولا يشتهر ذلك ولا ينقله أهل العلم نقل مثله ولا يعرف قط أن الشمس رجعت بعد غروبها وان
كان كثير من الفلاسفة والطبيعيين وبعض أهل الكلام ينكر انشقاق القمر وما يشبه ذلك
فليس الكلام في هذا المقام لكن الغرض أن هذا من أعظم خوارق العادات في الفلك وكثير
من الناس ينكر امكانه فلو وقع لكان ظهوره ونقله أعظم من ظهور ما دونه ونقله فكيف يقبل

أن هذه المقدمات مستلزمة فساد
قول النفاة دون قول أهل الاثبات
وهذه الطريق هي ثابتة في الادلة
الشرعية والعقلية فانا قد بينا في
الرد على أصول الجهمية النفاة
للصفات في الكلام على تأسيس
التقديس وغيره أن عامة ما يحتج
به النفاة للرؤية والنفاة لكونه فوق
العرش ونحوهم من الادلة الشرعية
الكتاب والسنة هي أنفسها تدل
على نقيض قولهم ولا تدل على قولهم
فضلا عما يعترفون هم بدلالته على
نقيض قولهم وهكذا أيضا عامة
ما يحتجون به من الادلة العقلية
اذا وصلت معهم فيها الى آخر
كلامهم وما يجيبون به معارضهم
وجدت كلامهم في ذلك يدل على
نقيض قولهم وأن ما يذكرونه
من المناظرات العقلية هو على قول
أهل الاثبات أدل منه على قولهم
(الجواب الرابع) قوله اذا كان
متشابهين من جميع الجهات
فاختصاصه بالشكل والمقدار ان
كان لذاته لزم منه اشتراك جميع
الاجسام فيه ضرورة الاتحاد في
الطبيعة فيقال له لا نسلم اشتراك
جميع الاجسام في ذلك ولا نسلم
أن الاجسام متحدة في الطبيعة وقد
عرف أن النزاع في هذه المسئلة من
النظار من أشهر الامور وهذا
المصنف نفسه قد بين فساد حجج
أصحابه المدعين تماثلها وتماثل
الجواهر فاذا كان هو نفسه قد بين

وحديثه ليس له اسناد مشهور فان هذا يوجب العلم اليقيني بأنه كذب لم يقع وان كانت الشمس احتجبت بغيم ثم ارتفع سحابها فهذا من الامور المعتادة ولعلهم ظنوا أنها غربت ثم كشف الغمام عنها وهذا وان كان قد وقع ففيه أن الله بين له بقاء الوقت حتى يصلي فيه ومثل هذا يجري لكثير من الناس وهذا الحديث قد صنف فيه مصنف جمعت فيه طرقه صنفه أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحكاني سماه مسئلة في تصحيح رد الشمس وترغيب النواصب الشمس وقال هذا حديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أسماء بنت عميس الخثعمية ومن طريق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن طريق أبي هريرة وأبي سعيد وذكر حديث أسماء من طريق محمد بن اسمعيل بن أبي فديك قال أخبرني محمد بن موسى وهو القطري عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني العصر فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس قال أبو القاسم المصنف أم جعفر هذه هي أم محمد بن جعفر بن أبي طالب والراوي عنها هو ابنها عون بن محمد بن علي المعروف أبوه محمد بن الحنفية والراوي عنه هو محمد بن موسى المديني المعروف بالقطري محمود في روايته ثقة والراوي عنه محمد بن اسمعيل بن أبي فديك المدني ثقة وقد رواه عنه جماعة منهم هذا الذي ذكرت روايته وهو أحمد بن الوليد الانطاكي وقد روى عنه نفر منهم أحمد بن عمير بن حوصاء وذكره باسناده من طريقه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه في حجر علي فلم يحركه حتى غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض فقام علي وتوضأ وصلى العصر وذلك في الصهباء في غزوة خيبر قال ومنهم أحمد بن صالح المصري عن ابن أبي فديك رواه أبو جعفر الطحاوي في كتاب تفسير متشابه الأخبار من تأليفه من طريقه ومنهم الحسن بن داود عن ابن أبي فديك وذكره باسناده ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي فلم يحركه حتى غربت الشمس فاستيقظ وقال يا علي صليت العصر قال لا وذكره قال ويرويه عن أسماء فاطمة بنت الحسين الشهيد ورواه من طريق أبي جعفر الحضرمي حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا حسين الاشقر حدثنا فضيل بن مرزوق عن ابراهيم ابن الحسن عن فاطمة عن أسماء بنت عميس قالت نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العصر فوضع رأسه أو خده لا أدري أيهما قال في حجر علي ولم يصل العصر حتى غابت الشمس وذكره قال المصنف ورواه عن فضيل بن مرزوق جماعة منهم عبيد الله بن موسى العبسي ورواه الطحاوي من طريقه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غابت الشمس ورواه أيضا من حديث عمار بن مطر عن فضيل بن مرزوق من طريق أبي جعفر العقيلي صاحب كتاب الضعفاء قلت وهذا اللفظ

فساد حجج القائلين بالاتحاد في الطبيعة كان قد أفسد حجته ما ذكره هو من الأدلة العقلية على فسادها فضلا عما يذكره غيره من العقلاء وقد بسط هذا في موضعه وانما المقصود هنا التنبيه على أن كل مقدمة في هذه الحجة يمكن منعها ويكون قول المانع فيها أقوى من قول المحتج

* قال الرابع أنه لو كان جسما لكان مركبا من الاجزاء وهو محال لوجهين الأول أنه يكون مفتقرا الى كل واحد من تلك الاجزاء ضرورة استحالة وجود المركب دون أجزائه وكل منها غيره مفتقر اليه وما افتقر الى غيره كان ممكنا لا واجبا لذاته وقد قيل انه واجب لذاته * قلت ولقائل أن يقول هذا باطل من وجوه أحدها أن الذين قالوا انه جسم لا يقول أكثرهم انه مركب من الاجزاء بل ولا يقولون ان كل جسم مركب من الاجزاء فالدليل على امتناع ما هو مركب من الاجزاء فقط لا يكون حجة على من قال انه ليس بمركب وان كان بناء على أن كل جسم مركب فهذا ممنوع وان قيل لا نعني بالاجزاء أجزاء كانت موجودة بدونه وانما نعني بها انه لا بد أن يتميز منه شئ عن شئ قيل فحينئذ لا يلزم أن يكون ذلك الذي يمكن أن يصير جزأ غيره مفتقر اليه اذ هو لا بد منه في وجود الجملة وليس

بناقض الاول ففيه أنه نام في حجره من صلاة العصر الى غروب الشمس وأن ذلك في غزوة خيبر بالصهباء وفي الثاني انه كان مستيقظا يوحى اليه جبريل ورأسه في حجر علي حتى غربت الشمس وهذا التناقض يدل على أنه غير محفوظ لان هذا صريح بأنه كان نائما هذا الوقت وهذا قال كان يقظان يوحى اليه وكلاهما باطل فان النوم بعد العصر مكروه منهي عنه والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه فكيف تفوت عليا صلاة العصر ثم تفويت الصلاة بمثل هذا إما أن يكون جائزا واما أن لا يكون فان كان جائزا لم يكن على علي اثم اذا صلى العصر بعد الغروب وليس علي أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم فاتته العصر يوم الخندق حتى غربت الشمس ثم صلاها ولم ترد عليه الشمس وكذلك لم ترد لسليمان لما توارت بالحجاب وقد نام النبي صلى الله عليه وسلم ومعه علي وسائر الصحابة عن الفجر حتى طلعت الشمس ولم ترجع لهم الى الشرق وان كان التفويت محرما فتفويت العصر من الكبائر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وعلي كان يعلم أنها الوسطى وهي صلاة العصر وهو قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين لما قال شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس ملأ الله أجوافهم وبيوتهم نارا وهذا كان في الخندق وخيبر بعد الخندق فعلي أجل قدرا من أن يفعل مثل هذه الكبيرة ويقره عليها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فعل هذا كان من مثالبه لا من مناقبه وقد نزه الله عليا عن ذلك ثم اذا فاتت لم يسقط الاثم عنه بعود الشمس وأيضا فاذا كانت هذه القصة في خيبر في البرية قدام العسكر والمسلمون أكثر من ألف وأربعمائة كان هذا مما رآه العسكر ويشاهدونه ومثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فيمتنع أن ينفرد بنقله الواحد والاثنان فلو نقله الصحابة لنقله منهم أهل العلم كما نقلوا أمثاله لم ينقله المجهولون الذين لا يعرف ضبطهم وعدالتهم وليس في جميع أسانيد هذا الحديث اسناد واحد يثبت تعلم عدالة ناقليه وضبطهم ولا يعلم اتصال اسناده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فنقل ذلك غير واحد من الصحابة وأحاديثهم في الصحاح والسنن والمساند وهذا الحديث ليس في شيء من كتب الحديث المعتمدة لا رواه أهل الحديث ولا أهل السنن ولا المساند بل اتفقوا على تركه والاعراض عنه فكيف يكون مثل هذه الواقعة العظيمة التي هي لو كانت حقا من أعظم المعجزات المشهورة الظاهرة ولم يروها أهل الصحاح والمساند ولا نقلها أحد من علماء المسلمين وحفاظ الحديث ولا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة والاسناد الاول رواه القطرى عن عون عن أمه عن أسماء بنت عميس وعون وأمه ليسا ممن يعرف حفظهم وعدالتهم ولا من المعروفين بنقل العلم ولا يحتج بحديثهم في أهون الاشياء فكيف في مثل هذا ولا فيه سماع المرأة عن أسماء بنت عميس فلعلها سمعت من يحكيه عن أسماء فذكرته وهذا المصنف ذكر عن ابن أبي فديك انه ثقة وعن القطرى أنه ثقة ولم يمكنه أن يذكر عمن بعدهما انه ثقة وانما ذكر أنسابهم ومجرد المعرفة بنسب الرجل لا توجب أن يكون حافظا ثقة وأما الاسناد الثاني فداره على فضيل بن مرزوق وهو معروف بالخطا على الثقات وان كان لا يتعمد الكذب قال فيه ابن حبان يخطئ على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات وقال فيه أبو حاتم الرازي لا يحتج به وقال فيه يحيى بن معين مرة هو ضعيف وهذا لا يناقضه قول أحمد بن حنبل فيه لا أعلم الا خيرا وقول سفيان هو ثقة ويحيى مرة هو ثقة فانه ليس ممن يتعمد الكذب ولكنه يخطئ واذا روى له

موجودا دونها فالجملة لا تستغني عنه وهو أيضا لا يستغني عنها فتكون الجملة باطلة الثاني أن يقال ما تعني بقولك انه يكون مفتقرا الى كل واحد من ثلاث الاجزاء أتعني أنه يكون مفعولا للجزء أو معلولا لعلة فاعلة أم تعني أنه يكون وجوده مشروطا بوجود الجزء بحيث لا يوجد أحدهما الا مع الآخر فان ادعيت الاول كان التلازم باطلا فانه من المعلوم أن الاجسام التي خلقها الله تعالى ليس شيء من أجزائها فاعلا لها ولا علة فاعلة لها فاذا لم يكن شيء من المركبات المخلوقة جزؤه فاعلا له ولا علة فاعلة له كان دعوى أن ذلك قضية كلية من أفسد الكلام فانه لا يعلم ثبوتها في شيء من الجزئيات المشهودة فضلا عن أن تكون كلية وان قيل نعني بالافتقار أنه لا يوجد هذا الا مع هذا قيل ولم قلتم ان مثل هذا ممتنع على الواجب بنفسه فان الممتنع عليه أن يكون فاعلا أو علة فاعلة اذا قيل بامكان علة فاعلة لا تفعل بالاختيار فأما كونه لا يكون وجوده مستلزما للوازم لا يكون موجودا الا بها فالواجب بنفسه لا ينافي ذلك سواء سميت صفات أو أجزاء أو ما سميت ويظهر هذا بالوجه الثالث وهو أن النافي لمثل هذا التلازم ان كان متفلسفا فهو يقول ان ذاته مستلزمة للممكنات المنفصلة عنه

مسلم ما تابعه غيره عليه لم يلزم أن يروي ما انفرد به مع أنه لم يعرف سماعه عن ابراهيم ولا سماع ابراهيم من فاطمة ولا سماع فاطمة من أسماء ولا بد في ثبوت هذا الحديث من أن يعلم أن كلا من هؤلاء عدل ضابط وأنه سمع من الآخر وليس هذا معلوما وابراهيم هذا لم يرو له أهل الكتب المعتمدة كالصحاح والسنن ولا له ذكر في هذه الكتب بخلاف فاطمة بنت الحسين فان لها حديثا معروفا فكيف يحتج بحديث مثل هذا ولهذا لم يروه أحد من علماء الحديث المعروفين في الكتب المعتمدة وكون الرجل أبوه كبير القدر لا يوجب أن يكون هو من العلماء المأمونين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه وأسماء بنت عميس كانت عند جعفر ثم خلف عليها أبو بكر ثم خلف عليها علي ولها من كل هؤلاء ولد وهم يحبون عليا ولم يرو هذا أحد منهم عن أسماء ومحمد ابن أبي بكر الذي في حجر علي هو ابنها ومحبته لعلي مشهورة ولم يرو هذا عنها وأيضا فأسماء كانت زوجة جعفر بن أبي طالب وكانت معه في الحبشة وانما قدمت معه بعد فتح خيبر وهذه القصة قد ذكر أنها كانت بخيبر فان كانت صحيحة كان ذلك بعد فتح خيبر وقد كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ممن شهد خيبر أهل الحديبية ألف وأربعمائة وازداد العسكر بجعفر ومن قدم معه من الحبشة كأبي موسى الاشعري وأصحابه والحبشة الذين قدموا مع جعفر في السفينة وازدادوا أيضا بمن كان معهم من أهل خيبر فلم يرو هذا أحد من هؤلاء وهذا مما يوجب القطع بأن هذا من الكذب المختلق والطعن في فضيل ومن بعده اذا تيقن بأنهم رووه والافي ايصاله اليهم نظر فان الراوي الاول عن فضيل حسن بن الحسين الاشقر الكوفي قال البخاري عنده مناكير وقال النسبي قال الدارقطني ليس بالقوي وقال الازدي ضعيف وقال السعدي حسين الاشقر غال من الشاتمين للخيرة وقال ابن عدي روى حديثا منكرا والبلاء عندي منه وكان جماعة من ضعفاء الكوفة يحيلون ما يروون عنه من الحديث فيه وأما الطريق الثالث ففيه عمار بن مطر عن فضيل بن مرزوق قال العقيلي يحدث عن الثقات بالمناكير وقال الرازي كان يكذب أحاديثه بواطل وقال ابن عدي متروك الحديث والطريق الاول من حديث عبد الله بن موسى العنسي وفي بعض طرقه عن فضيل وفي بعضها حدثنا فاذا لم يثبت أنه قال حدثنا أمكن أن لا يكون سمعه فانه من الدعاة الى التشيع الحراص على جمع أحاديث التشيع وكان يروي الاحاديث في ذلك عن الكذابين وهو من المعروفين بذلك وان كانوا قد قالوا فيه ثقة وانه لا يكذب فالله أعلم انه هل كان يتعمد الكذب أم لا لكنه كان يروي عن الكذابين المعروفين بالكذب بلا ريب والبخاري لا يروي عنه الا ما عرف أنه صحيح من غير طريقه وأحمد بن حنبل لم يرو عنه شيأ قال المصنف وله روايات عن فاطمة سوى ما قدمنا ثم رواه بطريق مظلمة يظهر أنها كذب لمن له معرفة منوطة بالحديث فرواه من حديث أبي حفص الكتاني حدثنا محمد بن عمر القاضي هو الجعاني حدثنا محمد بن ابراهيم بن جعفر العسكري من أصل كتابه حدثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم حدثنا خلف بن سالم حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان الثوري عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أمه عن فاطمة بنت أسماء ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لعلي حتى ردت عليه الشمس وهذا مما لا يقبل نقله الا ممن عرف عدالته وضبطه لا من مجهول الحال فكيف اذا كان مما يعلم أهل الحديث أن الثوري لم يحدث به ولا حدث به عبد الرزاق وأحاديث الثوري وعبد الرزاق يعرفها أهل العلم بالحديث ولهم أصحاب يعرفونها ولا رواه خلف بن سالم ولو قدر أنهم رووه فأم أشعث مجهولة لا يقوم بروايتها شئ وذكر طريقا ثانيا من طريق محمد

ابن

فكيف تمنع أن تكون مستلزمة لصفاته اللازمة له أو لما هو داخل في مسمى اسمه وهو أيضا يسلم أن ذاته تستلزم كونه واجبا وموجودا وعاقلا وعقلا ولذيذا وملتذا به ومحبا لذاته ومحبوبا لها وأمثال ذلك من المعاني المتعددة فاذا قيل هذه كلها شئ واحد قيل هذا مع كونه معلوم الفساد بالضرورة لكونه تضمن أن العلم هو الحب وان العالم المحب هو العلم والحب فان قدر امكانه فقول القائل ان الجسم ليس بمركب من الهيولى والصورة ولا من الجواهر المنفردة بل هو واحد بسيط أقرب الى العقل من دعوى اتحاد هذه الحقائق وان كان من المعتزلة وأمثالهم فهم يسلمون أن ذاته تستلزم انه حي عالم قادر وان كان من الصفاتية فهم يسلمون استلزام ذاته للعلم والقدرة والحياة وغير ذلك من الصفات فما من طائفة من الطوائف الا وهي تضطر الى أن تجعل ذاته مستلزمة للوازم وحينئذ فنفي هذا التلازم لا سبيل لاحد اليه سواء سمي افتقارا أو لم يسم وسواء قيل ان هذا يقتضي التركيب أو لم يقل (الوجه الرابع) أن يقال قول القائل ان المركب مفتقر الى كل واحد من تلك الاجزاء أتعني بالمركب تلك الاجزاء أو تعني به اجتماعها أو الامرين أو شيأ رابعا فان عنيت الاول كان المعنى ان

ابن مرزوق حدثنا حسين الاشقر عن علي بن هاشم عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسين عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس الحديث وقد تقدم كلام العلماء في حسين الاشقر فلو كان الاسناد كلهم ثقات والاسناد متصل لم يثبت بروايته شئ فكيف اذا لم يثبت ذلك وعلي بن هاشم بن البريد قال البخاري هو وأبوه غاليان في مذهبهما وقال ابن حبان كان غاليا في التشيع يروي المناكير عن المشاهير واخراج أهل الحديث لما عرفوه من غير طريقه لا يوجب أن يثبت ما انفرد به ومن العجب أن هذا المصنف جعل هذا والذي بعده من طريق رواية فاطمة بنت الحسين وهذه فاطمة بنت علي لا بنت الحسين وكذلك ذكر الطريق الثالث عنها من رواية عبد الرحمن بن شريك حدثنا أبي عن عروة بن عبد الله عن فاطمة بنت علي عن أسماء عن علي بن أبي طالب رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوحى اليه فجلله بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس يقول غابت أو كادت تغيب وان نبي الله صلى الله عليه وسلم سري عنه فقال أصليت يا علي قال لا قال اللهم رد على علي الشمس فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد فيقتضي أنها رجعت الى قريب وقت العصر وان هذا كان بالمدينة وفي ذلك الطريق انه كان بخيبر وانها ظهرت على رؤس الجبال وعبد الرحمن بن شريك قال أبو حاتم الرازي هو واهي الحديث وكذلك قد ضعفه غيره ورواه من طريق رابع من حديث محمد بن عمر القاضي وهو الجعاني حدثنا علي بن العباس بن الوليد بن عباد وهو الرواجني حدثنا علي بن هاشم عن صباح بن عبد الله بن الحسين أبي جعفر عن حسين المقتول عن فاطمة عن أسماء بنت عميس قالت كان يوم خيبر شغل عليا ما كان من قسم المغانم حتى غابت الشمس أو كادت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما صليت قال لا فدعا الله فارتفعت حتى توسطت السماء فصلى علي فلما غابت الشمس سمعت لها صريرا كصرير المنشار في الحديد وهذا اللفظ الرابع يناقض الالفاظ الثلاثة المتناقضة وتبين أن الحديث لم يروه صادق ضابط بل هو في نفس الامر مما اختلقه واحد وعملته يداه فتشبه به آخر فاختلق ما يشبه حديث ذلك والقصة واحدة وفي هذا أن عليا انما اشتغل بقسم المغانم لا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي لم يقسم مغانم خيبر ولا يجوز الاشتغال بقسمتها عن الصلاة فان خيبر بعد الخندق سنة سبع وبعد الحديبية سنة ست وهذا من المتواتر عند أهل العلم والخندق كانت قبل ذلك اما سنة خمس أو أربع وفيها أنزل الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ونسخ التأخير بها يوم الخندق مع أنه كان للقتال عند أكثر أهل العلم ومن قال انه لم ينسخ بل يجوز التأخير للقتال كأبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين فلم يتنازع العلماء أنه لم يجز تفويت الصلاة لاجل قسم الغنائم فان هذا لا يفوت والصلاة تفوت وفي هذا أنها توسطت المسجد وهذا من الكذب الظاهر فان مثل هذا من أعظم غرائب العالم التي لو جرت لنقلها الجم الغفير وفيه أنها لما غابت سمع لها صرير كصرير المنشار وهذا أيضا من الكذب الظاهر فان هذا لا موجب له أيضا والشمس عند غروبها لا تلاقي من الاجسام ما يوجب هذا الصوت العظيم الذي يصل من الفلك الرابع الى الارض ثم لو كان هذا حقا لكان من أعظم عجائب العالم التي تنقلها الصحابة الذين نقلوا ما هو دون هذا مما كان في خيبر وغير خيبر وهذا الاسناد لو روي به ما يمكن صدقه لم يثبت به شئ فان علي بن هاشم ابن البريد كان غاليا في التشيع يروي عن كل واحد غرضه ويأتي بما يقوي به هواه ويروي عن مثل صباح هذا وصباح هذا لا يعرف من هو ولهم في هذه الطبقة صباح بن سهل الكوفي يروي

تلك الاجزاء مفتقرة الى تلك الأجزاء وكان حاصله أن الشئ المركب مفتقر الى المركب وان الشئ مفتقر الى نفسه وأن الواجب بنفسه مفتقر الى الواجب بنفسه ومعلوم ان الواجب بنفسه لا يكون مستغنيا عن نفسه بل وجوبه بنفسه يستلزم أن نفسه لا تستغني عن نفسه فما ذكرتموه من الافتقار هو تحقيق لكونه واجبا بنفسه لا مانع لكونه واجبا بنفسه وان قيل ان المركب هو الاجتماع الذي هو اجتماع الاجزاء وتركيبها قيل فهذا الاجتماع هو صفة وعرض للاجزاء لا يقول عاقل انه واجب بنفسه دون الاجزاء بل انما يقال هو لازم للاجزاء والواجب لنفسه هو الذات القائمة بنفسها وهي الاجزاء لا مجرد الصفة التي هي نسبة بين الاجزاء واذا لم يكن هذا هو نفس الذات الواجبة بنفسها وانما هو صفة لها فالقول فيه كالقول في غيره مما سميتموه أنتم أجزاء وغايته أن يكون بعض الاجزاء مفتقرا الى سائرها وليس هذا هو افتقار الواجب بنفسه الى جزئه وان قيل ان المركب هو المجموع أي الاجزاء واجتماعها فهذا من جنس أن يقال المركب هو الاجزاء لكن على هذا التقدير صار الاجتماع جزأ من الاجزاء وحينئذ فاذا قيل هو مفتقر الى الاجزاء كان حقيقته أنه مفتقر

عن حصين بن عبد الرحمن قال البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم منكر الحديث وقال الدارقطني
ضعيف وقال ابن حبان يروى المناكير عن أقوام مشاهير لا يجوز الاحتجاج بخبره ولهم آخر
يقال له صباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الاحمسي الكوفي يروى عن مرة الهمداني قال ابن
حبان يروي عن الثقات الموضوعات ولهم شخص يقال له صباح قال الرازي هو مجهول وآخر
يقال له ابن مجالد مجهول يروى عنه بقية قال ابن عدي ليس بالمعروف هو من شيوخ بقية
المجهولين وحسين المقتول ان أريد به الحسين بن علي فذاك أجل قدرا من أن يروى عن واحد
عن أسماء بنت عميس سواء كانت فاطمة أخته أو بنته فان هذه القصة لو كانت حقا لكان هو
أخبر بها من هؤلاء وكان قد سمعها من أبيه ومن غيره ومن أسماء امرأة أبيه وغيرها لم يروها
عن بنته أو أخته عن أسماء امرأة أبيه ولكن ليس هو الحسين بن علي بل هو غيره أو هو
عبد الله بن الحسن أبو جعفر ولهما اسوة أمثالهما والحديث لا يثبت الا برواية من علم أنه عدل
ضابط ثقة يعرفه أهل الحديث بذلك ومجرد العلم بنسبته لا يفيد ذلك ولو كان من كان وفي أبناء
الصحابة والتابعين من لا يحتج بحديثه وان كان أبوه من خيار المسلمين هذا ان كان علي بن هاشم
رواه والا فالراوي عنه عباد بن يعقوب الرواجني قال ابن حبان كان رافضيا داعية يروي المناكير
عن المشاهير فاستحق الترك وقال ابن عدي روى أحاديث أنكرت عليه في فضائل أهل البيت
ومثالب غيرهم والبخاري وغيره روى عنه من الاحاديث ما يعرف صحته والاحكاية قاسم المطرز
عنه أنه قال ان عليا حفر البحر وان الحسن أجرى فيه الماء مما يقدح فيه قدحا بينا قال المصنف
قد رواه عن اسماء سوى هؤلاء وروى من طريق أبي العباس بن عقدة وكان مع حفظه جماعا
لأكاذيب الشيعة قال أبو أحمد بن عدي رأيت مشايخ بغداد يسأمون الثناء عليه يقولون
لا يتدين بالحديث ويحمل شيوخا بالكوفة على الكذب ويسوى لهم نسخا ويأمرهم بروايتها
وقال الدارقطني كان ابن عقدة رجل سوء قال ابن عقدة حدثنا يحيى بن زكريا أخبرنا يعقوب
ابن معبد حدثنا عمرو بن ثابت قال سألت عبد الله بن حسن بن حسن بن علي عن حديث رد
الشمس على علي هل ثبت عندكم فقال لي ما أنزل الله في علي في كتابه أعظم من رد الشمس قلت
صدقت جعلني الله فداك ولكني أحب ان أسمعه منك قال حدثني أبي الحسن عن أسماء بنت
عميس أنها قالت أقبل علي ذات يوم وهو يريد أن يصلي العصر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انصرف ونزل عليه الوحي فأسنده الى صدره فلم يزل
مسنده الى صدره حتى أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصليت العصر يا علي قال جئت
والوحي ينزل عليك فلم أزل مسندك الى صدري حتى الساعة فاستقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم القبلة وقد غربت الشمس فقال اللهم ان عليا كان في طاعتك فارددها عليه قالت أسماء
فاقبلت الشمس ولها صرير كصرير الرحا حتى ركدت في موضعها وقت العصر فقام علي ممكنا
فصلى العصر فلما فرغ رجعت الشمس ولها صرير كصرير الرحا فلما غابت الشمس اختلط
الظلام وبدت النجوم قلت فهذا اللفظ الخامس يناقض تلك الالفاظ المتناقضة ويزيد الناظر
بيانا في انها مكذوبة مختلقة فانه ذكر فيها انها ردت الى موضعها وقت العصر وفي الذي قبله الى
نصف النهار وفي الآخر حتى ظهرت على رؤس الجبال وفي هذا أنه كان مسنده الى صدره وفي ذلك
أنه كان رأسه في حجره وعبد الله بن الحسن لم يحدث بهذا قط وهو كان أجل قدرا من أن يروى
مثل هذا الكذب ولا أبوه الحسن روى هذا عن أسماء وما أنزل الله في علي في كتابه في رد الشمس

الى نفسه أي لا يستغني عن نفسه
وهذا حقيقة وجوبه بنفسه لا
مناف لوجوبه بنفسه وان عنيت
به شيأ رابعا فلا يعقل هنا شيء رابع
فلا بد من تصويره ثم هذا الكلام عليه
وان قال بل المجموع يقتضي افتقاره
الى كل جزء من الاجزاء قيل افتقار
المجموع الى ذلك الجزء كافتقاره الى
سائر الاجزاء وذلك وسائر الاجزاء
هي المجموع فعاد الى أنه مفتقر الى
نفسه فان قيل فأحد الجزأين
مفتقر الى الآخر وقيل الجملة
مفتقرة الى كل جزء الى آخره قيل
أولا ليس هذا هو حجتكم فانما
ادعيتم افتقار الواجب بنفسه الى
جزئه وقيل ثانيا ان عنيت بكون
أحد الجزأين مفتقرا الى الآخر
أن أحدهما فاعل للآخر أو علة
فاعلة له فهذا باطل بالضرورة فان
المركبات الممكنة ليس أحد أجزائها
علة فاعلة للآخر ولا فاعلا له
باختياره فلو قدر أن في المركبات ما
يكون جزؤه فاعلا لجزئه لم يكن
كل مركب كذلك فلا تكون
القضية كلية فلا يجب أن
يكون مورد النزاع داخلا فيما
جزؤه مفتقر الى جزئه فكيف اذا لم
يكن في الممكنات شيء من ذلك
فكيف يدعى في الواجب بنفسه اذا
قدر مركبا أن يكون بعض أجزائه
علة فاعلة للجزء الآخر وان عنيت
أن أحد الجزأين لا يوجد الا مع
الجزء الآخر فهذا معنى فيه تلازمهما

شيأ وهذا الحديث ان كان ثابتا عن عمرو بن ثابت الذي رواه عن عبد الله فهو الذي اختلقه فانه كان معروفا بالكذب قال أبو حاتم بن حبان يروي الموضوعات عن الاثبات وقال يحيى بن معين ليس بشئ وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال النسائي متروك الحديث قال المصنف وأما رواية أبي هريرة فأنبأ عقيل بن الحسن العسكري حدثنا أبو محمد صالح بن أبي الفتح الشناسي حدثنا أحمد بن عمرو بن حوصاء حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه قال حدثنا داود بن فراهيج عن عمارة بن فرو عن أبي هريرة رضي الله عنه وذكره قال المصنف اختصرته من حديث طويل قلت هذا اسناد مظلم لا يثبت به شئ عند أهل العلم بل يعرف كذبه من وجوه فانه وان كان داود بن فراهيج مضعفا كان شعبة يضعفه وقال النسائي ضعيف الحديث لا يثبت الاسناد اليه فان فيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو الذي رواه عنه وعن عمارة قال البخاري أحاديثه شبه لا شئ وضعفه جدا وقال النسائي متروك الحديث وقال الدارقطني منكر الحديث جدا وقال أحمد عنده مناكير وقال الدارقطني ضعيف ان كان حدث به ابراهيم بن سعيد الجوهري فالآفة من هذا وان كان يقال انه لم يثبته الا ابراهيم بن سعيد الجوهري والا ابن حوصاء فان هذين معروفان وأحاديثهم معروفة قد رواها عنهم الناس ولهذا لما روى ابن حوصاء الطريق الأول كان الاسناد اليه معروفا عنه رواه بالأسانيد المعروفة لكن الآفة فيه ممن بعده وأما هذا ففي قبل ابن حوصاء لا يعرفون وان قدر أنه ثابت عنه فالآفة بعده وذكر أبو الفرج بن الجوزي أن ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج وذكر ضعف ابن فراهيج ومع هذا فالاسناد اليه فيه الكلام أيضا قال المصنف وأما رواية أبي سعيد الخدري فأخبرنا محمد بن اسمعيل الجرجاني كتابة أن أبا طاهر محمد بن علي الواعظ أخبرهم أنبأنا محمد بن أحمد بن منعم أنبأنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر حدثني أبي عن أبيه محمد عن أبيه عبد الله عن أبيه عمر قال قال الحسين بن علي سمعت أبا سعيد الخدري يقول دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأسه في حجر علي وقد غابت الشمس فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا علي صليت العصر قال لا يا رسول الله ما صليت كرهت أن أضع رأسك من حجري وأنت وجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرد عليك الشمس فقال علي يا رسول الله ادع أنت وأنا أؤمن قال يا رب ان عليا في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قال أبو سعيد فوالله لقد سمعت للشمس صريرا كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية * قلت هذا الاسناد لا يثبت بمثله شئ وكثير من رجاله لا يعرفون بعدالة ولا ضبط ولا حمل في العلم ولا لهم ذكر في كتب العلم ورجاله لو لم يكن فيهم الا واحد بهذه المنزلة لم يكن ثابتا فكيف اذا كان كثير منهم أو أكثرهم كذلك ومن هو معروف بالكذب مثل عمرو بن ثابت وفيه انه كان وجعا وأنه سمع صوتها حين طلعت كصرير البكرة وهذا باطل عقلا ولم يذكره أولئك ولو كان مثل هذا الحديث عند أبي سعيد مع محبته لعلي وروايته لفضائله لرواه عنه أصحابه المعروفون كما رووا غير ذلك من فضائل علي مثل رواية أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الخوارج قال تقتلهم أولى الطائفتين بالحق ومثل روايته أنه قال لعمار تقتلك الفئة الباغية فمثل هذا الحديث الصحيح عن أبي سعيد بين فيه أن عليا وأصحابه أولى بالحق من معاوية وأصحابه فكيف لا يروي عنه مثل هذا لو كان صحيحا ولم يحدث بمثل هذا الحسين ولا أخوه عمر ولا علي ولو كان مثل هذا عندهما لحدث عنهما المعروف بالحديث عنهما

وكون أحدهما مشروطا بالآخر وذلك دور معي اقتراني وهو ممكن صحيح لا بد منه في كل متلازمين وهذا لا ينافي كون المجموع واجبا بالمجموع واذا قيل في كل من الاجزاء هل هو واجب بنفسه أم لا قيل ان أردت هل هو مفعول معلول لعلة فاعلة أم لا فليس في الاجزاء ما هو كذلك بل كل منها واجب بنفسه بهذا الاعتبار وان عنيت أنه هل فيها ما يوجد بدون وجود الآخر فليس فيها ما هو مستقل دون الآخر ولا هو واجب بنفسه بهذا الاعتبار والدليل دل على اثبات واجب بنفسه غني عن الفاعل والعلة الفاعلة لا على أنه لا يكون شئ غني عن الفاعل مستلزما للوازم فلفظ الواجب بنفسه فيه اجمال واشتباه دخل بسببه غلط كثير فما قام عليه البرهان من اثبات الواجب بنفسه ليس هو ما فرضه هؤلاء النفاة فان الممكن هو الذي لا يوجد الا بموجد يوجده والواجب هو الذي يكون وجوده بنفسه لا بموجد يوجده فكونه موجودا بنفسه مستلزما للوازم لا ينافي أن يكون ذاتا متصفة بصفات الكمال وكل من الذات والصفات ملازم للآخر وكل من الصفات ملازمة للأخرى وكل ما يسمى جزأ فهو ملازم للآخر واذا قيل هذا فيه تعدد الواجب قيل ان أردتم تعدد الاله الموجود بنفسه

فان هـذا أمر عظيم قال المصنف وأمار واية أمير المؤمنين فأخبرنا أبو العباس الفرغانى أخبرنا أبو الفضل الشيبانى حدثنا رجاء بن يحيى السامانى حدثنا هرون بن مسلم بسامرى سنة أربعين ومائتين حدثنا عبد الله بن عمرو الاشعث عن داود بن الكميت عن عمه المستهل بن زيد عن أبى زيد بن سهلب عن جويرية بنت مسهر قالت خرجت مع على فقال ياجويرية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجرى وذكره * قلت وهذا الاسناد أضعف مما تقدم وفيه من الرجال الجاهل الذين لا يعرف أحدهم بعدالة ولاضبط وانفرادهم بمثل هذا الذى لو كان على قاله لرواه عنه المعروفون من أصحابه وبمثل هذا الاسناد عن هذه المرأة ولا يعرف حال هذه المرأة ولا حال هؤلاء الذين رووا عنها بل ولا تعرف أعيانهم فضلا عن صفاتهم لا يثبت به شئ وفيه ما يناقض الرواية التى هى أرجح منه مع أن الجميع كذب فان المسلمين رووا من فضائل على ومعجزات النبى صلى الله عليه وسلم ما هو دون هذا وهذا لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث وقد صنف جماعة من علماء الحديث فى فضائل على كما صنف الامام أحمد فضائله وصنف أبو نعيم فى فضائله وذكر فيها أحاديث كثيرة ضعيفة ولم يذكر هذا لان الكذب ظاهر عليه بخلاف غيره وكذلك لم يذكره الترمذى مع أنه جمع فى فضائل على أحاديث كثير منها ضعيف وكذلك النسائى وأبو عمر بن عبد البر وجمع النسائى مصنفا من خصائص على قال المصنف وقد حكى أبو جعفر الطحاوى عن على بن عبد الرحمن عن أحمد بن صالح المصرى أنه كان يقول ينبغى لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء فى رد الشمس لانه من علامات النبوة * قلت أحمد بن صالح رواه من الطريق الاول ولم يجمع طرقه وألفاظه التى تدل من وجوه كثيرة على أنه كذب وتلك الطريق راويها مجهول عنده ليس معلوم الكذب عنده فلم يظهر له كذبه والطحاوى ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم ولهذا روى فى شرح معانى الآثار الاحاديث المختلفة وانما يرجح ما يرجحه منها فى الغالب من جهة القياس الذى رآه حجة ويكون أكثرها مجروحا من جهة الاسناد لا يثبت ولا يتعرض لذلك فانه لم تكن معرفته بالاسناد كمعرفة أهل العلم به وان كان كثير الحديث فقيها عالما قال المصنف وقال أبو عبد الله البصرى عود الشمس بعد مغيبها آكد حالا فيما يقتضى نقله لانه وان كان فضيلة لامير المؤمنين فانه من أعلام النبوة وهو مفارق لغيره من فضائله فى كثير من أعلام النبوة * قلت وهذا من أظهر الادلة على أنه كذب فان أهل العلم بالحديث رووا فضائل على التى ليست من أعلام النبوة وذكروها فى الصحاح والسنن والمساند رووها عن العلماء الاعلام الثقات المعروفين فلو كان هذا مما رواه الثقات لكانوا أرغب فى روايته وأحرص الناس على صحته لكنهم لم يجدوا أحدا رواه باسناد يعرف أهله بحمل العلم ولا يعرفون بالعدالة والضبط مع ما فيه من الادلة الكثيرة على تكذيبه قال وقال أبو العباس بن عقدة حدثنا جعفر بن محمد بن عمرو حدثنا سليمان بن عباد سمعت بشار بن دراع قال لقى أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال عمن رويت حديث رد الشمس فقال عن غير الذى رويت عنه ياسارية الجبل قال المصنف وكل هذه أمارات ثبوت الحديث * قلت هذا يدل على أن أئمة أهل العلم لم يكونوا يصدقون بهذا الحديث فانه لم يروه امام من أئمة المسلمين وهذا أبو حنيفة أحد الائمة المشاهير وهو لا يتهم على على فانه من أهل الكوفة دار الشيعة وقد لقى من الشيعة وسمع من فضائل على ماشاء الله وهو يحبه ويتولاه ومع هذا أنكر هذا الحديث على محمد بن النعمان وأبو حنيفة أعلم وأفقه من الطحاوى وأمثاله ولم يجبه ابن النعمان بجواب صحيح بل قال عن غير من

رويت

الخالق للممكنات فليس كذلك وان أردتم تعدد معان وصفات له أو تعدد ما سميتموه أجزاء له فلم قلتم انه اذا كان كل من هذه واجبا بنفسه أى هو موجود بنفسه لا بموجد يوجده مع أن وجوده ملزوم لوجود الآخر يكون ممتنعا ولم قلتم ان ثبوت معنيين أو شيئين واجبين متلازمين يكون ممتنعا وهذا كما تقول المعتزلة انكم اذا أثبتم الصفات قلتم بتعدد القديم فيقال لهم ان قلتم ان ذلك يتضمن تعدد آلهة قديمة خالقة للمخلوقات فهذا التلازم باطل وان قلتم يستلزم تعدد صفات قديمة للاله القديم فلم قلتم ان هذا محال فعامة ما يلبس به هؤلاء النفاة ألفاظ مجملة متشابهة اذا فسرت معانيها وفصل بين ما هو حق منها وبين ما هو باطل زالت الشبهة وتبين أن الحق الذى لا محيد عنه هو قول أهل الاثبات للمعانى والصفات (الوجه الخامس) أن يقال قولك ان المركب مفتقر الى كل واحد من تلك الأجزاء ضرورة استحالة وجود المركب دون أجزائه ليس فيه ما يدل على افتقار المركب الى أجزائه فان كونه يستحيل وجوده دون الاجزاء يقتضى أنه لا يوجد بدونها بل لا يوجد الا وهى موجودة وكون الشئ لا يوجد الا مع الشئ لا يقتضى افتقاره اليه بل انما يكون مفتقرا اليه اذا كان لا يوجد الا به ألا ترى أن المتضايفين

روبت عنه حديث ياسارية الجبل فيقال له هب أن ذلك كذب فأي شئ في كذبه مما يدل على صدق هذا فان كان ذلك فأبو حنيفة لا ينكر أن يكون لعمر وعلي وغيرهما كرامات بل أنكر هذا الحديث للدلائل الكثيرة على كذبه ومخالفته للشرع والعقل وانه لم يروه أحد من العلماء المعروفين بالحديث من التابعين وتابعيهم وهم الذين يروون عن الصحابة بل لم يروه الا كذاب أو مجهول لا يعلم عدله وضبطه فكيف يقبل هذا من مثل هؤلاء وسائر علماء المسلمين يودون أن يكون مثل هذا صحيحا لما فيه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وفضيلة علي على الذين يحبونه ويتولونه ولكنهم لا يستجيزون التصديق بالكذب فردوه ديانة والله أعلم

﴿فصل﴾ قال الرافضي العاشر ما رواه أهل السنة أن الماء زاد بالكوفة وخافوا الغرق ففزعوا الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه فنزل على شاطئ الفرات ثم دعا وضرب صفحة الماء بقضيب كان في يده فغاض الماء فسلم عليه كثير من الحيتان ولم ينطق الجري ولا المرماهي فسئل عن ذلك فقال أنطق الله ما طهر من السمك وأسكت ما أنجسه وأبعده

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بأن يقال أين اسناد هذه الحكاية الذي يدل على صحتها وثبوتها والا فمجرد الحكايات المرسلة بلا اسناد يقدر عليه كل أحد لكن لا يفيد شيأ (الثاني) أن بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن عنده (الثالث) أن هذا لم ينقله أحد من أهل الكتب المعتمد عليهم ومثل هذه القصة لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها وهذا النقل لم يذكر لها اسنادا فكيف يقبل ذلك بمجرد حكاية لا اسناد لها (الرابع) أن السمك كله مباح كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقد قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وقد أجمعت الامة وأئمتها على حل السمك كله وعلي مع سائر الصحابة يحلون هذه الانواع فكيف يقولون ان الله أنجسه ولكن الرافضة جهال يحرمون ما أحل الله بمثل هذه الحكايات المكذوبة (الخامس) أن يقال نطق السمك ليس مقدورا له في العادة ولكن هو من خوارق العادات فالله تعالى هو الذي أنطق ما أنطق منها وأسكت ما أسكته ان كان قد وقع فأي ذنب لمن أسكته الله حتى يقال هو نجس ومن جعل للعجماء ذنبا بأن الله لم ينطقها كان ظالما لها وان قال قائل بل الله أقدرها على ذلك فامتنعت منه فيقال اقداره لها على ذلك لو وقع انما كان كرامة لعلي رضي الله عنه والكرامة انما تحصل بالنطق بالسلام عليه لا بمجرد القدرة عليه مع الامتناع منه فاذا لم يسلم عليه لم يكن في اقدارها مع امتناعها كرامة له بل فيه تحريم الطيبات على الناس فان لحمها أطيب وذلك من باب العقوبات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وقد قيل ان تحريم ذلك كان من أخلاق اليهود وما هو من اخوانهم الرافضة ببعيد (السادس) أن يقال المقصود هنا كان حاصلا بنضوب الماء فأما تسليم السمك فلم يكن اليه حاجة ولا كان هناك سبب يقتضي خرق العادة لتقوية الايمان فان ذلك يكون حجة وحاجة ولم يكن هناك حجة ولا حاجة ألا ترى ان انفلاق البحر لموسى كان أعظم من نضوب الماء ولم يسلم السمك على موسى ولما ذهب الى الخضر وكان معه حوت مالح في مكتل فأحياه الله حتى انساب ونزل في الماء وصار البحر عليه سربا ولم يسلم على موسى ولا على يوشع والبحر دائما يجزر ويمد ولم يعرف ان السمك سلم على أحد من الصحابة والتابعين وغيرهم وعلي أجل قدرا من أن يحتاج الى

لا يوجد أحدهما دون الآخر ولا يقال ان أحدهما مفتقر الى الآخر كالبنوة والابوة بل كلاهما معلول علة منفصل فعلولا العلة لا يوجد أحدهما دون الآخر وهما جميعا مفتقران الى العلة ليس أحدهما مفتقرا الى الآخر فاذا قدر أنه لا علة لهما لم يكن أحدهما مفتقرا الى الآخر ولا الى علة (الوجه السادس) أن يقال قولك وكل منهما غير مفتقر اليه خطأ ظاهر فانه ليس من ضرورة كون المركب متوقفا على كل من أجزائه أن لا يكون شئ من تلك الاجزاء متوقفا عليه وذلك أن المركب ان أريد به نفس الأجزاء المجتمعة كان المعنى أن المجتمع متوقف على المجتمع أو أن كل جزء متوقف على سائر الأجزاء أو على جزء آخر أو على نفسه وأي شئ فرض من ذلك لم يلزم أن يكون أحد الجزأين هو المفتقر دون الآخر وان قدر أن المركب هو الاجتماع أو الاجتماع مع الأجزاء فانه اذا قدر أنها متلازمة لم يكن أحد الأجزاء واجبا بنفسه بمعنى امكان وجوده دون سائر الاجزاء لا الاجتماع ولا غيره بل لا يوجد شئ منها الا مع الآخر فلا يكون شئ من الاجزاء غيره مفتقر الى المركب بل كل منها مفتقر اليه وهذا لا يقاس بالواحد مع العشرة الذي يمكن وجوده دون وجود العشرة فان أجزاء العشرة ليست

اثبات فضائله بمثل هذه الحكايات التى تعلم العقلاء أنها من المكذوبات والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) قال الرافضى الحادى عشر روى جماعة أهل السير أن عليا كان يخطب على منبر الكوفة فظهر ثعبان فرقى المنبر وخاف الناس وأرادوا قتله فنعهم فخاطبه ثم نزل فسأل الناس عنه فقال انه حاكم الجن التبست عليه قصة فأوضحتها له وكان أهل الكوفة يسمون الباب الذى دخل منه باب الثعبان فأراد بنو أمية اطفاء هذه الفضيلة فنصبوا على ذلك الباب قتلى مدة حتى سمى باب القتلى

(والجواب) أنه لا ريب ان من دون على بكثير تحتاج الجن اليه وتستفتيه وتسأله وهذا معلوم قديما وحديثا فان كان هذا قد وقع فقدره أجل من ذلك وهذا من أدنى فضائل من هو دونه وان لم يكن وقع لم ينقص فضله بذلك وانما يحتاج أن يثبت فضيلة على بمثل هذه الامور من يكون محدثا منها فامامن باشر أهل الخير والدين الذين لهم أعظم من هذه الخوارق أورأى فى نفسه ماهو أعظم من هذه الخوارق لم يكن هذا مما يوجب أن يفضل بها على ونحن نعلم أن من هو دون على بكثير من الصحابة خير منا بكثير فكيف يمكن مع هذا أن يجعل مثل هذا حجة على فضيلة على على الواحد منا فضلا عن أبى بكر وعمر ولكن الرافضة لجهلهم وظلمهم وبعدهم عن طريق أولياء الله ليس لهم من كرامات الأولياء المتقين ما يعتد به فهم لافلاسهم منها اذا سمعوا شيأ من خوارق العادات عظموه تعظيم المفلس للقليل من النقد والجائع للكسرة من الخبز ولو ذكرنا ما باشرناه نحن من هذا الجنس مما هو أعظم من ذلك مما قد رآه الناس لذكرنا شيأ كثيرا والرافضة لفرط جهلهم وبعدهم عن ولاية الله وتقواه ليس لهم نصيب كثير من كرامات فاذا سمعوا مثل هذا عن على ظنوا أن هذا لا يكون الا لافضل الخلق بل هذه الخوارق المذكورة وما هو أعظم منها يكون لخلق كثير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم المعروفين بأن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا خيرمنهم الذين يتولون الجميع ويحبونهم ويقدمون من قدم الله ورسوله لاسيما الذين يعرفون قدر الصديق ويقدمونه فانهم أخص هذه الأمة بولاية الله وتقواه والبيب يعرف ذلك بطرق اما أن يطالع الكتب المصنفة فى أخبار الصالحين وكرامات الأولياء مثل كتاب ابن أبى الدنيا وكتاب الخلال واللالكائى وغيرهم ومثل ما يوجد من ذلك فى أخبار الصالحين مثل الحلية لأبى نعيم وصفوة الصفوة وغير ذلك واما أن يكون قد باشر من رأى ذلك واما أن يخبره بذلك من هو عنده صادق فمازال الناس فى كل عصر يقع لهم من ذلك شئ كثير ويحكى ذلك بعضهم لبعض وهذا فى كثير من المسلمين واما أن يكون بنفسه وقع له بعض ذلك وهذه جيوش أبى بكر وعمر ورعيتهما لهم من ذلك أعظم من ذلك مثل العلاء بن الحضرمى وعبوره على الماء كما تقدم ذكره فان هذا أعظم من نضوب الماء ومثل استسقائه ومثل البقر الذى كلم سعد بن أبى وقاص فى وقعة القادسية ومثل نداء عمر ياسارية الجبل وهو بالمدينة وسارية بنهاوند ومثل شرب خالد بن الوليد السم ومثل القاء أبى مسلم الخولانى فى النار فصارت عليه النار بردا وسلاما لما ألقاه فيها الأسود العنسى المتنبئ الكذاب وكان قد استولى على اليمن فلما امتنع أبو مسلم من الايمان به ألقاه فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما فخرج منها يمسح جبينه وغير ذلك مما يطول وصفه ومما ينبغى أن يعلم أن خوارق العادات تكون لأولياء الله بحسب حاجتهم فمن كان بين الكفار أو المنافقين أو الفاسقين احتاج اليها لتقوية اليقين فظهرت عليه كظهور النور فى الظلمة فلهذا يوجد بعضها لكثير من المفضولين أكثر مما يوجد للفاضلين لحاجتهم الى ذلك وهذه الخوارق لا تراد لنفسها

متلازمة وانما الكلام فى أمور متلازمة لا يمكن وجود بعضها دون بعض كالصفات اللازمة للرب تعالى وما سماه النفاة أجزاء فانه لا يمكن وجود صفة من تلك الصفات دون الذات بل ولا دون الصفة الاخرى وكذلك ما سموه جزأ لا يمكن وجوده دون الجميع ولا دون جزء آخر فامتنع أن يقال ان كل جزء من الاجزاء غير مفتقر الى المجموع المركب مع أن المجموع المركب مفتقر اليه بل اذا سمى هذا التلازم افتقارا فافتقار الصفة وما سموه جزأ الى المجموع أعظم من افتقار الذات الواجبة بنفسها أو ما سموه المجموع المركب الواجب بنفسه الى الصفة أو الجزء فان المجموع هو الواجب بنفسه الذى لا يقبل العدم أصلا وكل جزء من أجزائه فلا يتصور وجوده بدون وجود الآخر وهذا كما يقولون ان الحيوانية والناطقية جزء من الانسانية ومع هذا يمتنع وجود الجزء دون هذه الماهية المركبة وكذلك يقولون ان الجسم مركب من المادة والصورة ويمتنع وجود أحدهما بدون الجسم بل والجوهر الفرد عند عامة القائلين به يمتنع وجوده بدون وجود الجسم (الوجه السابع) أن يقال قولك ان المركب الواجب بنفسه مفتقر الى كل واحد من أجزائه ضرورة استحالة وجود المركب دون أجزائه وكل منها غير مفتقر اليه كلام باطل

بل لأنها وسيلة الى طاعة الله ورسوله فمن جعلها غاية له ويعبد لأجلها لعبت به الشياطين وأظهرت له خوارق من جنس خوارق السحرة والكهان فمن كان لا يتوصل الى ذلك الا بها كان أحوج اليها فتكثر في حقه أعظم مما تكثر في حق من استغنى عنها ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في الصحابة ونظير هذا في العلم علم الأسماء واللغات فان المقصود بمعرفة النحو واللغة التوصل الى فهم كتاب الله ورسوله وغير ذلك وأن ينحو الرجل بكلامه نحو كلام العرب والصحابة لما استغنوا عن النحو واحتاج اليه من بعدهم صار لهم من الكلام في قوانين العربية ما لا يوجد مثله للصحابة لأن هذه وسائل تطلب لغيرها فكذلك كثير من النظر والبحث احتاج اليه كثير من المتأخرين واستغنى عنه الصحابة وكذلك ترجمة القرآن لمن لا يفهمه بالعربية يحتاج اليه من لغته فارسية وتركية ورومية والصحابة لما كانوا عربا استغنوا عن ذلك وكذلك كثير من التفسير والغريب يحتاج اليه كثير من الناس والصحابة استغنوا عنه فمن جعل النحو ومعرفة الرجال والاصطلاحات النظرية والجدلية المعينة على النظر والمناظرة مقصودة لنفسها رأى أصحابها أعلم من الصحابة كما يظنه كثير ممن أعمى الله بصيرته ومن علم أنها مقصودة لغيرها علم أن الصحابة الذين علموا المقصود بهذه أفضل ممن لم تكن معرفتهم مثلهم في معرفة المقصود وان كان بارعا في الوسائل وكذلك الخوارق كثير من المتأخرين صارت عنده مقصودة لنفسها فيكثر العبادة والجوع والسهر والخلوة ليحصل له نوع من المكاشفات والتأثيرات كما يسعى الرجل ليحصل له من السلطان والمال وكثير من الناس انما يعظم الشيوخ لأجل ذلك كما تعظم الملوك والاغنياء لأجل ملكهم وملكهم وهذا الضرب قد يرى أن هؤلاء أفضل من الصحابة ولهذا يكثر في هذا الضرب المنكوس الخروج عن الرسالة وعن أمر الله ورسوله ويقفون مع أذواقهم وإراداتهم لا عند طاعة الله ورسوله ويبتلون بسلب الاحوال ثم الاعمال ثم أداء الفرائض ثم الايمان كما أن من أعطى ملكا ومالا فخرج فيه عن الشريعة وطاعة الله ورسوله واتبع فيه هواه وظلم الناس عوقب على ذلك اما بالعزل واما بالخوف والعدو واما بالحاجة والفقر واما بغير ذلك والمقصود لنفسه في الدنيا هو الاستقامة على ما يرضاه الله ويحبه باطنا وظاهرا فكلما كان الرجل أتبع لما يرضاه الله ورسوله وأتبع لطاعة الله ورسوله كان أفضل ومن حصل له المقصود من الايمان واليقين والطاعة بلا خارق لم يحتج الى خارق كما أن صديق الامة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وأمثالهم من السابقين الاولين لما تبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله آمنوا ولم يحتاجوا مع ذلك من الخوارق الى ما احتاج اليه من لم يعرف كمعرفتهم ومعرفة الحق له أسباب متعددة وقد نبهنا على ذلك في غير هذا الموضع في تقرير الرسالة وأعلام النبوة وبينا أن الطرق الى معرفة صدق الرسول كثيرة جدا وأن طريق المعجزات طريق من الطرق وأن من قال من النظار إن تصديق الرسول لا يمكن الا بالمعجزة كان كمن قال ان معرفة الصانع لا تحصل الا بالمعرفة بحدوث العالم وهذا وأمثاله مما يقوله كثير من النظار الذين يحصرون نوعا من العلم بدليل معين يدعون انه لا يحصل الا بذلك مما أوجب تفرق الناس فطائفة توافقهم على ذلك فيوجبون على كل أحد ما لم يوجبه الله ورسوله لاسيما ان كان ذلك الطريق الذي استدلوا به مقدوحا في بعض مقدماته كأدلتهم على حدوث العالم بحدوث الاجسام وطائفة تقدح في الطرق النظرية جملة وتسد باب النظر والمناظرة وتدعي تحريم ذلك مطلقا واستغناء الناس عنه فتقع الفتنة بين هؤلاء وبين هؤلاء وهؤلاء وحقيقة الأمر أن طرق العلم متعددة وقد يغني الله كثيرا من الناس عن تلك

وهو بالعكس أولى وذلك أن ما قدر أنه جزء اذا كان غير مفتقر اليه لزم أن يكون واجبا بنفسه واذا كان واجبا بنفسه فاما أن يكون مستقلا لا يتوقف على وجود الجزء الآخر ولا الجملة أو لا بد له من ذلك فان كان مستقلا بنفسه لا يتوقف على جزء آخر ولا على المجموع لزم تعدد الامور الواجبة بنفسها المستقلة التي يستغني بعضها عن بعض ولا يتوقف واحد منها على الآخر ومعلوم أنه اذا كان هذا جائزا لزم أن يكون هناك مجموع كل منه واجب بنفسه والمجموع واجب بتلك الواجبات فاذا قدر تعدد الواجب بنفسه كان هذا مبطلا لأصل هذا الكلام فضلا عن فروعه ومع تقدير تعدده يمتنع عدم تعدده فيكون الدليل الذي استدل به على نفي التركيب مستلزما لثبوت التركيب فيكون دليله يدل على نقيض مطلوبه وهذا أبلغ ما يكون في بطلان قوله وان قدر أن للمجموع حقيقة غير تلك الافراد فان ما لزم الواجب كان واجبا ويبقى حينئذ الكلام في أن المجموع ان كان زائدا على العدد انما وجوبه بالعدد نزاعا لا فائدة فيه فانه اذا قدر عشرة كل منهم واجب بنفسه لزم أن تكون العشرة واجبة قطعا واذا كان كل جزء من العشرة لا يقبل العدم لنفسه فالعشرة لا تقبل العدم

الطرق المعينة بل عن النظر بعلوم ضرورية تحصل لهم وان كانت العبادة قد تعد النفس لتلك العلوم الضرورية حتى تحصل الهاما وطائفة من الناس يحتاجون الى النظر أو الى تلك الطرق اما لعدم ما يحصل لغيرهم واما لشبه عرضت لهم لا تزول الا بالنظر (١) وكذلك من الاحوال التى تعرض لبعض السالكين من الصعق والغشى والاضطراب عند الذكر وسماع القرآن وغيره ومن الفناء عن شهود المخلوقات بحيث يصطلم ويبقى لا يشهد قلبه الا الله حتى يغيب بشهوده عن نفسه فمن الناس من يجعل هذا لازما لابد لكل من سلك منه ومنهم من يجعله هو الغاية ولا مقام وراءه ومنهم من يقدح فى هذا ويجعله من البدع التى لم تنقل عن الصحابة والتحقيق أن هذا أمر يقع لبعض السالكين بحسب قوة الوارد عليه وضعف القلب عن التمكين بحبه فمن لم يجد ذلك قد يكون لكمال قوته وكمال ايمانه وقد يكون لضعف ايمانه مثل كثير من البطالين والفساق وأهل البدع وليس هذا من لوازم الطرق بل قد يستغنى عنه كثير من السالكين وليس هو الغاية بل كمال الشهود بحيث يميز بين المخلوق والخالق ويشهد معانى أسماء الله وصفاته ولا يشغله هذا عنه هذا هو أكمل فى الشهود وأقوى فى الايمان ولكن من عرض له تلك الحال احتاج الى ما يناسبها وهذه الامور مبسوطة فى غير هذا الموضع لكن المقصود أن تعرف مرتبة الخوارق وأنها عند أولياء الله الذين يريدون وجهه ويحبون ما أحبه الله ورسوله فى مرتبة الوسائل التى يستعان بها كما يستعان بغير الخوارق فان لم يحتاجوا اليها استغناء بالمعتادات لم يلتفتوا اليها وأما عند كثير ممن يتبع هواه ويحب الرياسة عند الجهال ونحو ذلك فهى عندهم أعلى المقاصد كما أن كثيرا من طلبة العلم ليس مقصودهم به الا تحصيل رياسة أو مال ولكل امرئ ما نوى وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله فهو مقصود عندهم لمنفعته لهم وحاجتهم اليه فى الدنيا والآخرة كما قال معاذ بن جبل فى صفة العلم ان طلبه لله عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة به يعرف الله ويعبدونه ولهذا تجد أهل الانتفاع به يزكون به نفوسهم ويقصدون فيه اتباع الحق لا اتباع الهوى ويسلكون فيه سبيل العدل والانصاف ويحبونه ويلتذون به ويحبون كثرته وكثرة أهله وتنبعث هممهم على العمل به وبموجبه ومقتضاه بخلاف من لم يذق حلاوته وليس مقصوده الا مالا أو رياسة فان ذلك لو حصل له بطريق آخر سلكه ورجحه اذا كان أسهل عليه ومن عرف هذا تبين له أن المقاصد التى يحبها الله ويرضاها التى حصلت لابى بكر أكمل مما حصل لعمر والتى حصلت لعمر أكمل مما حصل لعثمان والتى حصلت لعثمان أكمل مما حصل لعلى وان الصحابة كانوا أعلم الخلق بالحق وأتبعهم له وأحقهم بالعدل وايتاء كل ذى حق حقه وأنه لم يقدح فيهم الا مفرط فى الجهل بالحقائق التى تستحق المدح والتفضيل وبما آتاهم الله من الهدى الى سواء السبيل ولهذا من لم يسلك فى عبادته الطريق الشرعية التى أمر الله بها ورسوله وتعلقت همته بالخوارق فانه قد يقترن به من الجن ومن الشياطين من يحصل له به نوع من الخبر عن بعض الكائنات أو يطير به فى الهواء أو يمشى به على الماء فيظن ذلك من كرامات الاولياء وأنه ولى لله ويكون سبب شركه أو كفره أو بدعته أو فسقه فان هذا الجنس قد يحصل لبعض الكفار وأهل الكتاب وغيرهم وقد يحصل لبعض الملحدين المنتسبين الى المسلمين مثل من لا يرى الصلوات واجبة بل ولا يقر بأن محمدا رسول الله بل يبغضه ويبغض القرآن ونحو ذلك من الامور التى توجب كفره ومع هذا تغويه الشياطين ببعض الخوارق كما تغوى المشركين كما كانت تقترن بالكهان والاوثان وهى اليوم كذلك فى المشركين من أهل الهند والترك

والحبشة

بطريق الاولى والاحرى وانضمام الواجب بنفسه الى الواجب بنفسه اذا قدر ذلك لا يوجب ضعفا لأحدهما بل نفس ذلك الاجتماع هو من لوازم وجودهما بطريق الاولى والاحرى واذا قدر أن اتصال بعضها ببعض من لوازم وجودها الواجب بنفسه لم يكن ممتنعا فان الواجب بنفسه على هذا التقدير لا يمتنع أن يكون له لوازم وملزومات واجبة ومن العجب ان هؤلاء القوم كهذا وأمثاله من الخائضين فى واجب الوجود على طريقة ابن سينا وأمثاله الذين جعلوا التركيب عمدتهم فى نفى ما ينفونه يوردون فى طريق اثبات واجب الوجود أسؤلة تفسد ما ذكروه فى انتفاء التركيب بالضرورة وهى لا تفسد امتناع التسلسل وهم مع ذلك يوردونها فى طريق اثباته اشكالا على ابطال القول بالتسلسل الذى جعلوه مقدمة من مقدمات اثباته حتى يبقوا دائما فى نصرة التعطيل بالباطل وهم اذا نصروا الاثبات ببعض ما نصروا به التعطيل كان فيه كفاية وبيان افساد التعطيل وبيان ذلك أنهم لما أثبتوا واجب الوجود جعلوا اثباته موقوفا على ابطال التسلسل لما قالوا ان الممكن لابد له من مرجح مؤثر ثم اما ان يتسلسل الامر حتى يكون لكل ممكن مرجح ممكن فتسلسل العلل

---

(١) قوله وكذلك من الأحوال كذا فى الاصل وحرر كتبه مصححه

والحبشة وفى كثير من المشهورين فى البلاد التى فيها الاسلام ممن هو كافر أو فاسق أو جاهل مبتدع كما قد بسط فى موضع آخر

(فصــل) قال الرافضى الثانى عشر الفضائل اما نفسانية أو بدنية أو خارجية وعلى التقديرين الاولين فاما أن تكون متعلقة بالشخص نفسه أو بغيره وأمير المؤمنين على جمع الكل اما فضائله النفسانية المتعلقة به كعلمه وزهده وكرمه وحلمه فأشهر من أن تحصى والمتعلقة بغيره كذلك كظهور العلم عنه واستيفاء غيره منه وكذا فضائله البدنية كالعبادة والشجاعة والصدقة وأما الخارجية كالنسب فلم يلحقه فيه أحد لقربه من النبى صلى الله عليه وسلم وتزويجه اياه بابنته سيدة نساء العالمين وقد روى أخطب خوارزم من كتاب السنة باسناده عن جابر قال لما تزوج على فاطمة زوجها الله اياه من فوق سبع سموات وكان الخاطب جبريل وكان ميكائيل واسرافيل فى سبعين ألفا من الملائكة شهودا فأوحى الله الى شجرة طوبى انثرى ما فيك من الدر والجوهر ففعلت فأوحى الله الى الحور العين أن القطن منهن الى يوم القيامة وأورد أخبارا كثيرة فى ذلك وكان أولاده رضى الله عنه أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أبيهم وعن حذيفة اليمانى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسين بن على فقال أيها الناس هذا الحسين ألا فاعرفوه وفضلوه فوالله لجده أكرم على الله من جد يوسف بن يعقوب هذا الحسين جده فى الجنة وجدته فى الجنة وأمه فى الجنة وأبوه فى الجنة وخاله فى الجنة وخالته فى الجنة وعمه فى الجنة وعمته فى الجنة وأخوه فى الجنة وهو فى الجنة ومحبوه فى الجنة ومحبو محبيهم فى الجنة وعن حذيفة قال بت عند النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فرأيت شخصا فقال لى هل رأيت قلت نعم قال هذا ملك لم ينزل الى منذ بعثت أتانى من الله فبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والاخبار فى ذلك كثيرة وكان محمد بن الحنفية فاضلا عالما حتى ادعى قوم فيه الامامة

(والجواب) اما الامور الخارجة عن نفس الايمان والتقوى فلا يحصل بها فضيلة عند الله تعالى وانما يحصل بها الفضيلة عند الله اذا كانت معينة على ذلك فانها من باب الوسائل لا المقاصد كالمال والسلطان والقوة والصحة ونحو ذلك فان هذه الامور لا يفضل بها الرجل عند الله الا اذا أعانته على طاعة الله بحسب ما يعينه قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الناس أكرم فقال أتقاهم لله قيل ليس عن هذا نسألك قال يوسف نبى الله بن يعقوب نبى الله بن اسحق نبى الله بن ابراهيم خليل الله قيل ليس عن هذا نسألك قال أفعن معادن العرب تسألونى خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا بين لهم أولا أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم وان لم يكن ابن نبى ولا أبا نبى فابراهيم صلى الله عليه وسلم أكرم على الله من يوسف وان كان أبوه آزر وهذا أبوه يعقوب وكذلك نوح أكرم على الله من اسرائيل وان كان هذا أولاده أنبياء وهذا أولاده ليسوا بأنبياء فلما ذكروا أنه ليس مقصودهم الا الانساب قال لهم فأكرم أهل الانساب من انتسب الى الانبياء وليس فى ولد آدم مثل يوسف فانه نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى فلما أشاروا الى أنه ليس مقصودهم الا ما يتعلق بهم قال أفعن معادن العرب تسألونى الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا بين أن الانساب كالمعادن فان الرجل يتولد منه كما يتولد من المعدن الذهب

والمعلولات الممكنة أو ينتهى الامر الى واجب بنفسه ثم قالوا لم لا يجوز أن يكون التسلسل جائزا كما قد تكلم على هذا فى غير هذا الموضع ومن أعظم أسئلتهم قولهم لم لا يكون المجموع واجبا بأجزائه المتسلسلة وكل منها واجب بالآخر وهذا السؤال الذى ذكره الآمدى وذكر أنه لا يستطيع أن يجيب عنه ومضمونه وجوب وجود أمور ممكنة بنفسها ليس فيها ما هو واجب موجود بنفسه لكن كل منها معلول للآخر والمجموع معلول بالاجزاء ومن المعلوم انا اذا فرضنا مجموعا واجبا بأجزائه الواجبة التى لا تقبل العدم كان أولى فى العقل من مجموع يجب بأجزاء كل منها ممكن لا يوجد بنفسه فان المحتاج الى الممكنات أولى بالامكان أما الذى يكون وجوده لازما للواجبات فلا يمكن عدمه والعقل الصريح الذى لم يكذب قط يعلم أن المركب المجموع من أجزاء كل منها ممكن لا وجود له بنفسه هو أيضا ممكن لا وجود له وأما المركب من أجزاء كل منها واجب بنفسه فانه لا يمتنع كونه واجبا بنفسه أى بتلك الاجزاء التى كل منها واجب واذا قيل الاجتماع نفسه مفتقر الى تلك الاجزاء التى كل منها واجب بنفسه كان ذلك نزاعا لفظيا والمقصود أن العقل يصدق بامكان

والفضة ولا ريب ان الارض التى تنبت الذهب أفضل من الارض التى تنبت الفضة فهكذا من عرف أنه بلد الافاضل كان أولاده أفضل ممن عرف أنه بلد المفضول لكن هذا سبب ومظنة وليس هو لازما فربما تعطلت أرض الذهب وربما قل نبتها فحينئذ تكون أرض الفضة أحب الى الانسان من أرض معطلة والفضة الكثيرة أحب اليهم من ذهب قليل لا يماثلها فى القدر فلهذا كانت أهل الاسباب الفاضلة يظن بهم الخير ويكرمون لاجل ذلك فاذا تحقق من أحد خلاف ذلك كانت الحقيقة مقدمة على المظنة وأما ما عند الله فلا يثبت على المظان ولا على الدلائل انما يثبت على ما يعلمه هو من الاعمال الصالحة فلا يحتاج الى دليل ولا يجتزئ بالمظنة فلهذا كان أكرم الخلق عنده أتقاهم فاذا قدر تماثل اثنين عنده فى التقوى تماثلا فى الدرجة وان كان أبو أحدهما أو ابنه أفضل من أبى الآخر أو ابنه لكن ان حصل له بسبب نسبه زيادة فى التقوى كان أفضل لزيادة تقواه ولهذا حصل لازواج النبى صلى الله عليه وسلم اذا قنتن لله ورسوله وعملن صالحا أجران لا لمجرد المصاهرة بل لكمال الطاعة كما أنهن لو أتين بفاحشة مبينة لضوعف لهن العذاب ضعفين لقبح المعصية فان ذا الشرف اذا ألزم نفسه التقوى كان تقواه أكمل من تقوى غيره كما أن الملك اذا عدل كان عدله أعظم من عدل الرجل فى أهله ثم ان الرجل اذا قصد الخير قصدا جازما وعمل منه ما يقدر عليه كان له أجر كامل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم فى المدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيأ وهذا مبسوط فى موضع آخر ولهذا لم يثن الله على أحد فى القرآن بنسبه أصلا لا على ولد نبى ولا على أبى نبى وانما أثنى على الناس بايمانهم وأعمالهم واذا ذكر صنفا وأثنى عليهم فلما فيهم من الايمان والعمل لا لمجرد النسب ولما ذكر الانبياء ذكرهم فى الانعام وهم ثمانية عشر قال ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم فبهذا حصلت الفضيلة باجتبائه سبحانه وتعالى وهدايته اياهم الى صراط مستقيم لا بنفس القرابة وقد يوجب النسب حقوقا ويوجب لاجله حقوقا ويعلق فيه أحكاما من الايجاب والتحريم والاباحة لكن الثواب والعقاب والوعد والوعيد على الاعمال لا على الانساب ولما قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما كان هذا مدحا لهذا المعدن الشريف لما فيهم من الايمان والعمل الصالح ومن لم يتصف بذلك منهم كما فى قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون وقال تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وفى القرآن الثناء والمدح للصحابة بايمانهم وأعمالهم فى غير آية كقوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا وقوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله للفقراء المهاجرين الذين

هذا ولا يصدق بامكان أجزاء كل منها ممكن والمجموع واجب بها وهؤلاء قلبوا الحقائق العقلية فقالوا اذا اجتمعت واجبات بأنفسها صارت ممكنة واذا اجتمعت ممكنات بأنفسها صارت واجبة فاذا تكلموا فى نفى الصفات الواجبة لله جعلوا كون المركب يستلزم أجزاء موجبا لامتناع المركب الذى جعلوه مانعا من العلو والتجسيم ومن ثبوت الصفات ولا يوردون على أنفسهم ما أوردوه فى اثبات واجب الوجود وايراده هنا أولى لان فيه مطابقة لسائر أدلة العقل مع تصديق ما جاءت به الرسل وما فى ذلك من اثبات صفات الكمال لله تعالى بل واثبات حقيقته التى لا يكون موجودا الا بها فكان يمكنهم أن يقولوا لم لا يجوز أن يكون المجموع الواجب أو المركب الواجب أو الجملة الواجبة واجبة بوجوب كل جزء من أجزائها التى هى واجبة بنفسها لا تقبل العدم وكان هذا خيرا من أن يقولوا لم لا يجوز أن يكون المجموع الذى كل من أجزائه ممكن بنفسه هو واجبا بنفسه أو واجبا بأجزائه وهذا الآمدى مع أنه من أفضل من تكلم من أبناء جنسه فى هذه الامور وأعرفهم بالكلام والفلسفة اضطرب وعجز عن الجواب عن الشبهة الداحضة القادحة فى اثبات واجب الوجود

أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله محمد رسول الله والذين معه الآية وهكذا فى القرآن الثناء على المؤمنين من الامة أولها وآخرها على المتقين والمحسنين والمقسطين والصالحين وأمثال هذه الانواع وأما النسب ففى القرآن اثبات حق لذوى القربى كما ذكروهم وفى القرآن آية الخمس والفىء وفيه أمر لهم بما يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا وفى القرآن الامر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد فسر ذلك بأن يصلى عليه وعلى آله وفى القرآن الامر بمحبة الله ومحبة رسوله ومحبة أهله من تمام محبته وفى القرآن أن أزواجه أمهات المؤمنين وليس فى القرآن مدح أحد لمجرد كونه من ذوى القربى وأهل البيت ولا الثناء عليهم بذلك ولا ذكر استحقاقه الفضيلة عند الله بذلك ولا تفضيله على من يساويه فى التقوى بذلك وان كان قد ذكر ما ذكره من اصطفاء آل ابراهيم واصطفاء بنى اسرائيل فذاك أمر ماض فأخبر بأن فى جعله عبرة لنا فبين مع ذلك ان الجزاء والمدح بالاعمال ولهذا ذكر ما ذكره من اصطفاء بنى اسرائيل وذكر ما ذكره من كفر من كفر منهم وذنوبهم وعقوبتهم فذكر فيهم النوعين الثواب والعقاب وهذا من تمام تحقيق ان النسب الشريف قد يقترن به المدح تارة ان كان صاحبه من أهل الايمان والتقوى والا فان ذم صاحبه أكثر كما كان الذم لمن ذم من بنى اسرائيل وذرية ابراهيم وكذلك المصاهرة قال تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين واذا تبين هذا فيقال اذا كان الرجل أعجميا والآخر من العرب فنحن وان كنا نقول مجملا ان العرب أفضل جملة فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود وغيره لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب وقال ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان مؤمن تقى وفاجر شقى ولذلك اذا كان الرجل من أفناء العرب وآخر من قريش فهما عند الله بحسب تقواهما ان تماثلا فيها تماثلا فى الدرجة عند الله وان تفاضلا فيها تفاضلا فى الدرجة وكذلك اذا كان رجل من بنى هاشم ورجل من أفناء قريش أو العرب أو العجم فأفضلهما عند الله أتقاهما فان تماثلا فى التقوى تماثلا فى الدرجة ولا يفضل أحدهما عند الله بأبيه ولا ابنه ولا بزوجته ولا بعمه ولا بأخيه كما أن الرجلين اذا كانا عالمين بالطب أو الحساب أو الفقه أو النحو أو غير ذلك فأكملهما بالعلم بذلك أعلمهما به فان تساويا فى ذلك تساويا فى العلم ولا يكون أحدهما أعلم بكون أبيه أو ابنه أعلم من الآخر وهكذا فى الشجاعة والكرم والزهد والدين اذا تبين ذلك فالفضائل الخارجية لا عبرة بها عند الله تعالى الا أن تكون سببا فى زيادة الفضائل الداخلة وحينئذ فتكون الفضيلة بالفضائل الداخلة وأما الفضائل البدنية فلا اعتبار بها ان لم تكن صادرة عن الفضيلة النفسانية والا فمن صلى وصام وقاتل وتصدق بغير نية خالصة لم يفضل بذلك فالاعتبار بالقلب كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب وحينئذ فمن كان أعظم فى الفضائل

وهو دائما يحتج بنظيرها الذى هو أضعف منها على نفى العلو وغيره من الامور الثابتة بالشرع والعقل ويقول ان ذلك يستلزم التجسيم وان المخالفين فى الجسم جهال ولو أعطى النظر حقه لعلم أن الجهل المركب فضلا عن البسيط أجدر بمن سلك مثل تلك الطريق فان من شك فى أوضح الامرين وأبينهما فى العقل وفى أمر لم يشك أحد من الاولين والآخرين فيه كان أولى بالجهل ممن قال بما قالت به الانبياء والرسل وأتباعهم وسائر عقلاء بنى آدم من الاولين والآخرين وعلم ثبوته بالبراهين اليقينية وذلك أنه لم يجوز أحد من بنى آدم وجود فاعل للعالم ولذلك الفاعل فاعل الى ما لا نهاية له من غير أن يكون هنالك فاعل موجود بنفسه فمن شك فى جواز هذا أو عجز عن جواب شبهة مجوزه كان جهله بينا وكان أجهل من أفحش الناس قولا بالباطل المحض من التشبيه والتجسيم حتى لو فرض القول الذى يحكى عن غالية المنتقصة لله من اليهود وغيرهم مثل الذين يصفونه بالبكاء والحزن وعض اليد حتى جرى الدم ورمد العين وباللغوب والفقر والبخل وغير ذلك من النقائص التى يجب تنزيه الله تعالى عنها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فاذا قدر واجب بنفسه موصوف بهذه

النفسانية فهو أفضل مطلقا وأهل السنة لا ينازعون فى كمال على وأنه فى الدرجة العليا من الكمال وانما النزاع فى كونه أكمل من الثلاثة وأحق بالامامة منهم وليس فيما ذكره ما يدل على ذلك وهذا الباب للناس فيه طريقان منهم من يقول ان تفضيل بعض الاشخاص على بعض عند الله لا يعلم الا بالتوقيف فان حقائق ما فى القلوب ومراتبها عند الله مما استأثر الله به فلا يعلم ذلك الا بخبر الصادق الذى يخبر عن الله ومنهم من يقول قد يعلم ذلك بالاستدلال وأهل السنة يقولون ان كلا من الطريقين اذا أعطى حقه من السلوك دل على أن كلا من الثلاثة أكمل من على ويقولون نحن نقرر ذلك فى عثمان فاذا ثبت ذلك فى عثمان كان فى أبى بكر وعمر بطريق الاولى فان تفضيل أبى بكر وعمر على عثمان لم ينازع فيه أحد وتفضيلهما على عثمان وعلى لم يتنازع فيه من له عند الامة قدر لا من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة السنة بل اجماع المسلمين على ذلك قرنا بعد قرن اعظم من اجماعهم على اثبات شفاعة نبينا فى أهل الكبائر وخروجهم من النار وعلى اثبات الحوض والميزان وعلى قتال الخوارج ومانعى الزكاة وعلى صحة اجارة العقار وتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها بل ايمان أبى بكر وعمر وعدالتهما مما وافقت عليه الخوارج مع تعنتهم وهم ينازعون فى ايمان على وعثمان واتفقت الخوارج على تكفير على وقدحهم فيه أكثر من قدحهم فى عثمان والزيدية بالعكس والمعتزلة كان قدماؤهم يميلون الى الخوارج ومتأخروهم يميلون الى الزيدية كما ان الرافضة قدماؤهم يصرحون بالتجسيم ومتأخروهم على قول الجهمية والمعتزلة وكانت الشيعة الاولى لا يشكون فى تقديم أبى بكر وعمر وأما عثمان فكثير من الناس يفضل عليه عليا وهذا قول كثير من الكوفيين وغيرهم وهو القول الاول للثورى ثم رجع عنه وطائفة أخرى لا تفضل أحدهما على صاحبه وهو الذى حكاه ابن القاسم عن مالك عمن أدركه من المدنيين لكن قال ما أدركت أحدا ممن يقتدى به يفضل أحدهما على صاحبه وهذا يحتمل السكوت عن الكلام فى ذلك فلا يكون قولا وهو الاظهر ويحتمل التسوية بينهما وذكر ابن القاسم عنه أنه لم يدرك أحدا ممن يقتدى به يشك فى تقديم أبى بكر وعمر على عثمان وعلى وأما جمهور الناس ففضلوا عثمان وعليه استقر أمر أهل السنة وهو مذهب أهل الحديث ومشايخ الزهد والتصوف وأئمة الفقهاء كالشافعى وأصحابه وأحمد وأصحابه وأبى حنيفة وأصحابه واحدى الروايتين عن مالك وأصحابه قال مالك لا أجعل من خاض فى الدماء كمن لم يخض فيها وقال الشافعى وغيره انه بهذا قصد والى المدينة الهاشمى ضرب مالك وجعل طلاق المكره سببا ظاهرا وهو أيضا مذهب جماهير أهل الكلام الكرامية والكلابية والاشعرية والمعتزلة وقال أيوب السختيانى من لم يقدم عثمان على على فقد أزرى بالمهاجرين والانصار وهكذا قال أحمد والدارقطنى وغيرهما انهم اتفقوا على تقديم عثمان ولهذا تنازعوا فيمن لم يقدم عثمان هل يعد مبتدعا على قولين هما روايتان عن أحمد فاذا قام الدليل على تقديم عثمان كان ماسواه أوكد وأما الطريق التوقيفى فالنص والاجماع أما النص ففى الصحيحين عن ابن عمر قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبى صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وأما الاجماع فالنقل الصحيح قد أثبت أن عمر قد جعل الامر شورى فى ستة وأن ثلاثة تركوه لثلاثة عثمان وعلى وعبد الرحمن وان الثلاثة اتفقوا على أن عبد الرحمن يختار واحدا منهما وبقى عبد الرحمن ثلاثة أيام حلف أنه لم ينم فيها كثيرا يشاور المسلمين وقد أجمع بالمدينة أهل الحل والعقد حتى أمراء الانصار وبعد ذلك اتفقوا على مبايعة عثمان بغير رغبة

النقائص لم يكن هذا أبعد فى العقل من وجود فاعل ليس موجودا بنفسه فاعل ليس موجودا بنفسه الى ما لا يتناهى وان هذا وصف جميع الفاعلين بالعدم الذى هو غاية النقص فان غاية النقص أنه يرجع الى أمور عدمية فكيف عدم كل ما يقدر فاعلا للعالم فتبين أن هؤلاء الذين يدعون العقليات التى تعارض السمعيات هم من أبعد الناس عن موجب العقل ومقتضاه كما هم من أبعد الناس عن متابعة الكتاب المنزل والنبى المرسل وان نفس ما به يقدحون فى أدلة الحق التى توافق ما جاء به الرسول أو قدحوا به فيما يعارض ما جاء به الرسول لسلموا عن التناقض وصح نظرهم وعقلهم واستدلالهم ومعارضتهم صحيح المنقول وصريح المعقول بالشبهات الفاسدة ومن أعجب الاشياء أن هذا الآمدى لما تكلم على مسئلة هل وجوده زائد على ذاته أم لا ذكر حجة من قال لا يزيد وجوده على ذاته فقال احتجوا بأنه لو كان زائدا على ذاته لم يخل اما أن يكون واجبا أو ممكنا لا جائز أن يكون واجبا لانه مفتقر الى الذات ضرورة كونه صفة لها ولا شئ من المفتقر الى غيره يكون واجبا واذا وجوده لو كان زائدا على ذاته لما كان واجبا فلم يبق الا أن يكون ممكنا واذا كان ممكنا فلا بد له من

ولارهبة فيلزم أن يكون عثمان هو الاحق ومن كان هو الاحق كان هو الافضل فان أفضل الخلق من كان أحق أن يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وانما قلنا يلزم أن يكون هو الأحق لانه لولم يكن ذلك للزم اما جهلهم واما ظلمهم فانه اذا لم يكن أحق وكان غيره أحق فان لم يعلموا ذلك كانوا جهالا وان علموه وعدلوا عن الحق الى غيره كانوا ظلمة فتبين أن عثمان ان لم يكن أحق لزم اما جهلهم واما ظلمهم وكلاهما منتف لانهم أعلم بعثمان وعلي منا وأعلم بما قاله الرسول فيهما منا وأعلم بما دل عليه القرآن في ذلك منا ولانهم خير القرون فيمتنع أن نكون نحن أعلم منهم بمثل هذه المسائل مع أنهم أحوج الى علمها منا فانهم لو جهلوا مسائل أصول دينهم وعلمناها نحن لكنا أفضل منهم وذلك ممتنع وكونهم علموا الحق وعدلوا عنه أعظم وأعظم فان ذلك قدح في عدالتهم وذلك يمنع أن يكونوا خير القرون بالضرورة ولان القرآن أثنى عليهم ثناء يقتضي غاية المدح فيمتنع اجماعهم واصرارهم على الظلم الذي هو ضرر في حق الامة كلها فان هذا ليس ظلما للممنوع من الولاية فقط بل هو ظلم لكل من منع نفعه من ولاية الاحق بالولاية فانه اذا كان راعيان أحدهما هو الذي يصلح للرعاية ويكون أحق بها كان منعه من رعايتها يعود بنقص الغنم حقها من نفعه ولان القرآن والسنة دلا على أن هذه الامة خير الامم وأن خيرها أولها فان كانوا مصرين على ذلك لزم أن تكون هذه الامة شر الامم وأن لا يكون أولها خيرها ولانا نحن نعلم أن المتأخرين ليسوا مثل الصحابة فان كان أولئك ظالمين مصرين على الظلم فالامة كلها ظالمة فليست خير الامم وقد قيل لابن مسعود لما ذهب الى الكوفة من وليتم قال ولينا أعلانا ذا فوق ولم نأل وذو الفوق هو السهم يعني أعلانا سهما في الاسلام فان قيل قد يكون أحق بالامامة وعلي أفضل منه قيل أولا هذا السؤال لا يمكن أن يورده أحد من الامامية لأن الأفضل عندهم أحق بالامامة وهذا قول الجمهور من أهل السنة وهنا مقامان إما أن يقال الأفضل أحق بالامامة لكن يجوز تولية المفضول اما مطلقا واما للحاجة واما أن يقال ليس كل من كان أفضل عند الله يكون أحق بالامامة وكلاهما منتف ههنا أما الاول فلان الحاجة الى تولية المفضول في الاستحقاق كانت منتفية فان القوم كانوا قادرين على تولية علي وليس هناك من ينازع أصلا ولا يحتاجون الى رغبة ولا رهبة ولم يكن هناك لعثمان شوكة تخاف بل التمكن من تولية هذا كان كالتمكن من تولية هذا فامتنع أن يقال ما كان يمكن الا تولية المفضول واذا كانوا قادرين وهم يتصرفون للامة لا لأنفسهم لم يجز تفويت مصلحة الأمة من ولاية الفاضل فان الوكيل والولي المتصرف لغيره ليس له أن يعدل عما هو أصلح لمن ائتمنه مع كونه قادرا على تحصيل المصلحة فكيف اذا كانت قدرته على الأمرين سواء وأما الثاني فلان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وكل من كان به أشبه فهو أفضل ممن لم يكن كذلك والخلافة كانت خلافة نبوة لم تكن ملكا فمن خلف النبي وقام مقامه كان أشبه به ومن كان أشبه به كان أفضل فالذي يخلفه أشبه به من غيره والأشبه به أفضل فالذي يخلفه أفضل وأما الطريق النظرية فقد ذكر ذلك من ذكره من العلماء فقالوا عثمان كان أعلم بالقرآن وعلي أعلم بالسنة وعثمان أعظم جهادا بماله وعلي أعظم جهادا بنفسه وعثمان أزهد في الرياسة وعلي أزهد في المال وعثمان أورع عن الدماء وعلي أورع عن الأموال وعثمان حصل له من جهاد نفسه حيث صبر عن القتال ولم يقاتل مالم يحصل مثله لعلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله وسير عثمان في الولاية كان أكمل من سير علي فقالوا فثبت أن عثمان أفضل لأن علم القرآن أعظم

مؤثر والمؤثر فيه اما الذات أو خارج عنها والاول ممتنع لانه يستلزم كون الذات قابلة وفاعلة ولان المؤثر في الوجود لابد أن يكون موجودا فتأثيرها في وجودها يفتقر الى وجودها فالوجود مفتقر الى نفسه وهو محال وان كان المؤثر غيرها كان الوجود الواجب مستفادا له من غيره فلا يكون الوجود واجبا بنفسه ثم قال وهذه الحجة ضعيفة اذ لقائل أن يقول ما المانع من كون الوجود الزائد على الماهية واجبا بنفسه قولكم لانه مفتقر الى الماهية والمفتقر الى غيره لا يكون واجبا بنفسه قلنا لا نسلم أن الواجب لنفسه لا يكون مفتقرا الى غيره بل الواجب لنفسه هو الذي لا يكون مفتقرا الى مؤثر فاعل ولا يمتنع أن يكون موجبا بنفسه وان كان مفتقرا الى القابل فان الفاعل الموجب بالذات لا يمتنع توقف تأثيره على القابل وسواء كان اقتضاؤه بالذات لنفسه أو لما هو خارج عنه وهذا كما يقول الفيلسوف في العقل الفعال بأنه موجب بذاته للصور الجوهرية والأنفس الانسانية وان كان ما اقتضاه لذاته متوقفا على وجود الهيولى القابلة قال وان سلمنا أنه لابد وأن يكون ممكنا ولكن لا نسلم أن حقيقة الممكن هو المفتقر الى المؤثر بل الممكن هو المفتقر الى الغير والافتقار الى الغير أعم من الافتقار

من علم السنة وفي صحيح مسلم وغيره أنه قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب وكان أحيانا يقرؤه في ركعة وعلى قد اختلف فيه هل حفظ القرآن كله أم لا والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس كما في قوله تعالى وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله الآية وقوله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الآية وقوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض وذلك لان الناس يقاتلون دون أموالهم فان المجاهد بالمال قد أخرج ماله حقيقة لله والمجاهد بنفسه لله يرجو النجاة لا يوافق أنه يقتل في الجهاد ولهذا أكثر القادرين على القتال يهون على أحدهم أن يقاتل ولا يهون عليه اخراج ماله ومعلوم أنهم كلهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لكن منهم من كان جهاده بالمال أعظم ومنهم من كان جهاده بالنفس أعظم وأيضا فعثمان له من الجهاد بنفسه بالتدبير في الفتوح ما لم يحصل مثله لعلي وله من الهجرة الى أرض الحبشة ما لم يحصل مثله لعلي وله من الذهاب الى مكة يوم صلح الحديبية ما لم يحصل مثله لعلي وانما بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان لما بلغه أن المشركين قتلوا عثمان وبايع باحدى يديه عن عثمان وهذا من أعظم الفضل حيث بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم وأما الزهد والورع في الرياسة والمال فلا ريب أن عثمان تولى ثنتي عشرة سنة ثم قصد الخارجون عليه قتله وحصروه وهو خليفة الارض والمسلمون كلهم رعيته وهو مع هذا لم يقتل مسلما ولا دفع عن نفسه بقتال بل صبر حتى قتل لكنه في الاموال كان يعطي لاقاربه من العطاء ما لا يعطيه لغيرهم وحصل منه نوع توسع في الاموال وهو رضي الله عنه ما فعله الا متأولا فيه له اجتهاد وافقه عليه جماعة من الفقهاء منهم من يقول ان ما أعطاه الله للنبي من الخمس والفيء هو لمن يتولى الأمر بعده كما هو قول أبي ثور وغيره ومنهم من يقول ذوو القربى المذكورون في القرآن هم ذوو قربى الامام ومنهم من يقول الامام العامل على الصدقات يأخذ منها مع الغنى وهذه كانت مآخذ عثمان رضي الله عنه كما هو منقول عنه فما فعله هو نوع تأويل يراه طائفة من العلماء وعلي رضي الله عنه لم يخص أحدا من أقاربه بعطاء لكن ابتدأ بالقتال لمن لم يكن مبتدئا له حتى قتل بينهم ألوف مؤلفة من المسلمين وان كان ما فعله هو متأول فيه تأويلا وافقه عليه طائفة من العلماء وقالوا ان هؤلاء بغاة والله تعالى أمر بقتال البغاة بقوله فقاتلوا التي تبغي لكن نازعه أكثر العلماء كما نازع عثمان أكثرهم وقالوا ان الله تعالى قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل الآية قالوا فلم يأمر الله بقتال البغاة ابتداء بل اذا وقع قتال بين طائفتين من المؤمنين فقد أمر الله بالاصلاح بينهما فان بغت احداهما على الاخرى قوتلت ولم يقع الأمر كذلك ولهذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ترك الناس العمل بهذه الآية رواه مالك باسناده المعروف عنها ومذهب أكثر العلماء أن قتال البغاة لا يجوز الا أن يبتدؤا الامام بالقتال كما فعلت الخوارج مع علي فان قتاله الخوارج متفق عليه بين العلماء ثابت بالاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف قتال صفين فان أولئك لم يبتدؤا بقتال بل امتنعوا عن مبايعته ولهذا كان أئمة السنة كمالك وأحمد وغيرهما يقولون ان قتاله للخوارج مأمور به وأما قتال الجمل وصفين فهو قتال فتنة فلو قال قوم نحن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ولا ندفع زكاتنا الى الامام ونقوم بواجبات الاسلام لم يجز

الى المؤثر وقد تحقق ذلك بالافتقار الى الذات القابلة فيقال في هذا الكلام جوزت أن يكون الوجود الواجب مفتقرا الى الماهية وذكر ان الواجب بنفسه هو الذي لا يفتقر الى المؤثر ليس هو الذي لا يفتقر الى الغير وأن كونه ممكنا بمعنى افتقاره الى الغير لا الى المؤثر هو الامكان الذي يوصف به الوجود الواجب المفتقر الى الماهية وهذا الذي قاله هو بعينه يقال له فيما ذكره هنا حيث قال ان المجموع مفتقر الى كل من أجزائه والمفتقر الى الغير لا يكون واجبا بنفسه لانه ممكن فيقال له لا نسلم أن المفتقر الى الغير على الاطلاق لا يكون واجبا بنفسه بل المفتقر الى المؤثر لا يكون واجبا بنفسه وافتقار المجموع الى كل من أجزائه ليس افتقارا الى مؤثر بل الى الغير كافتقار الوجود الى الماهية اذا فرض تعددها ويقال قولك ان المجموع يكون ممكنا أتعني بالممكن ما يفتقر الى مؤثر أم ما يفتقر الى الغير فان قلت الاول كان باطلا وان قلت الثاني فلم قلت ان الواجب بنفسه الذي لا يفتقر الى فاعل لا يكون ممكنا بمعنى أنه لا يفتقر الى غير لا الى فاعل فهذا الكلام الذي ذكره هو بعينه يجيب به عن نفسه عما ذكره هنا بطريق الاولى والأحرى فان توقف المجموع الواجب باجزائه

للامام قتلهم عند أكثر العلماء كأبي حنيفة وأحمد وأبو بكر الصديق رضي الله عنه انما قاتل مانعي الزكاة لانهم امتنعوا عن أدائها مطلقا والا فلو قالوا نحن نؤديها بأيدينا ولا ندفعها الى أبي بكر لم يجز قتالهم عند الاكثرين كأبي حنيفة وأحمد وغيرهما ولهذا كان علماء الامصار على أن القتال كان قتال فتنة وكان من قعد عنه أفضل ممن قاتل فيه وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة والاوزاعي بل والثوري وممن لا يحصى عدده مع أن أبا حنيفة ونحوه من فقهاء الكوفيين فيما نقله القدوري وغيره عندهم لا يجوز قتال البغاة الا اذا ابتدؤا الامام بالقتال وأما اذا أدوا الواجب من الزكاة وامتنعوا عن دفعها اليه لم يجز قتالهم وكذلك مذهب أحمد وغيره وهكذا جمهور الفقهاء على أن ذوي القربى هم قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه ليس للامام ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود أن كليهما رضي الله عنه وان كان ما فعله فيه هو متأول مجتهد يوافقه عليه طائفة من العلماء المجتهدين الذين يقولون بموجب العلم والدليل (١) ليس لهم عمل يتوهمون فيه لكن اجتهاد عثمان كان أقرب الى المصلحة وأبعد عن المفسدة فان الدماء خطرها أعظم من الاموال ولهذا كانت خلافة عثمان هادية مهدية ساكنة والامة فيها متفقة وكانت ست سنين لا ينكر الناس عليه شيأ ثم أنكروا أشياء في الست الباقية وهي دون ما انكروه على علي من حين تولى والذين خرجوا على عثمان طائفة من أوباش الناس وأما علي فكثير من السابقين الأولين لم يتبعوه ولم يبايعوه وكثير من الصحابة والتابعين قاتلوه وعثمان في خلافته فتحت الأمصار وقوتلت الكفار وعلي في خلافته لم يقتل كافر ولم تفتح مدينة فان كان ما صدر عن الرأي فرأي عثمان أكمل وان كان عن القصد فقصده أتم قالوا وان كان علي تزوج بفاطمة رضي الله عنها فعثمان قد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنتين من بناته وقال لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان وسمي ذا النورين بذلك اذ لم يعرف أحد جمع بين بنتي نبي غيره وقد صاهر النبي صلى الله عليه وسلم من بني أمية من هو دون عثمان أبو العاص بن الربيع فزوجه زينب أكبر بناته وشكر مصاهرته محتجا به على علي لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل فانه قال ان بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا فتاتهم علي بن أبي طالب واني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا انما فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس فأثنى عليه وقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي وهكذا مصاهرة عثمان له لم يزل فيها حميدا لم يقع منه ما يعتب عليه فيها حتى قال لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان وهذا يدل على أن مصاهرته للنبي صلى الله عليه وسلم أكمل من مصاهرته لعلي وفاطمة كانت أصغر بناته وعاشت بعده وأصيبت به فصار لها من الفضل ما ليس لغيرها ومعلوم أن كبيرة البنات في العادة تزوج قبل الصغيرة فأبو العاص تزوج أولا زينب بمكة ثم عثمان تزوج برقية وأم كلثوم واحدة بعد واحدة قالوا وشيعة عثمان المختصون به كانوا أفضل من شيعة علي المختصين به وأكثر خيرا وأقل شرا فان شيعة عثمان أكثر ما نقم عليهم من البدع انحرافهم عن علي وسبهم له على المنابر لما جرى بينهم وبينه من القتال ما جرى لكن مع ذلك لم يكفروه ولا كفروا من يحبه وأما شيعة علي ففيهم من يكفر الصحابة والامة ولعنه أكابر الصحابة ما هو أكثر من ذلك بأضعاف مضاعفة وشيعة عثمان تقاتل الكفار والرافضة لا تقاتل الكفار وشيعة عثمان لم يكن فيهم زنديق ولا مرتد وقد دخل في شيعة علي من الزنادقة والمرتدين

على كل من اجزائه لا ينفي وجوبه بنفسه التي هي المجموع مع الاجزاء أما توقف الوجود على الماهية المغايرة له فانه يقتضي توقف الوجود الواجب على ما ليس داخلا فيه ومعلوم أن افتقار الشئ الى جزئه ليس هو كافتقاره الى ما ليس جزأه بل الاول لا ينفي كمال وجوبه اذ كان افتقاره الى جزئه ليس أعظم من افتقاره الى نفسه والواجب بنفسه لا يستغني عن نفسه فلا يستغني عما هو داخل في مسمى نفسه أما اذا قدر وجود واجب وماهية مغايرة له كان الواجب مفتقرا الى ما ليس داخلا في مسمى اسمه فمن جوز ذلك كيف يمنع هذا ولهذا كان قول مثبتة الصفات خيرا من قول أبي هاشم وأمثاله من المعتزلة وأتباعهم الذين قالوا ان وجود كل موجود في الخارج مغاير لذاته الموجودة في الخارج وان وجود واجب الوجود زائد على ماهيته وان كان قد وافقه على ذلك طائفة من أهل الاثبات في أثناء كلامهم حتى من أصحاب الائمة الاربعة وغيرهم كابن الزاغوني وهو أحد قولي الرازي بل هو الذي رجحه في أكثر كتبه وكذلك أبو حامد فابطال مثل هذا التركيب أولى من ابطال ذلك وأدنى

(١) قوله ليس لهم عمل يتوهمون فيه كذا في النسخة وتأمل وانظر كتبه مصححه

مالا يحصى عدده الا الله تعالى وشيعة عثمان لم توال الكفار والرافضة يوالون اليهود والنصارى والمشركين على قتال المسلمين كما قد عرف عنهم في وقائع وشيعة عثمان ليس فيهم من يدعى فيه الالهية ولا النبوة وكثير من الداخلين في شيعة على من يدعى نبوته أو الهيته وشيعة عثمان ليس فيهم من قال ان عثمان امام معصوم ولا منصوص عليه والرافضة تزعم أن عليا منصوص عليه معصوم وشيعة عثمان متفقة على تقديم أبي بكر وعمر وتفضيلهما على عثمان وشيعة على المتأخرون أكثرهم يذمونهما ويسبونهما وأما الرافضة فمتفقة على بغضهما وذمهما وكثير منهم يكفرونهما وأما الزيدية فكثير منهم أيضا يذمهما ويسبهما بل ويلعنهما وخيار الزيدية الذين يفضلونه عليهما ويذمون عثمان أو يقعون فيه وقد كان أيضا في شيعة عثمان من يؤخر الصلاة عن وقتها يؤخر الظهر أو العصر ولهذا لما تولى بنو العباس كانوا أحسن مراعاة للوقت من بني أمية لكن شيعة على المختصون به الذين لا يقرون بامامة أحد من الائمة الثلاثة وغيرهم أعظم تعطيلا للصلاة بل ولغيرها من الشرائع وانهم لا يصلون جمعة ولا جماعة فيعطلون المساجد والهم في تقديم العصر والعشاء وتأخير المغرب ماهم أشد انحرافا فيه من أولئك وهم مع هذا يعظمون المشاهد مع تعطيل المساجد مضاهاة للمشركين وأهل الكتاب الذين كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا فأين هذا من هذا فالشر والفساد الذي في شيعة على أضعاف أضعاف الشر والفساد الذي في شيعة عثمان والخير والصلاح الذي في شيعة عثمان أضعاف أضعاف الخير الذي في شيعة على وبنو أمية كانوا شيعة عثمان فكان الاسلام وشرائعه في زمنهم أظهر وأوسع مما كان بعدهم وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر عزيزا الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش ولفظ البخاري اثنى عشر أميرا وفي لفظ لا يزال أمر الناس ماضيا ولهم اثنا عشر رجلا وفي لفظ لا يزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش وهكذا كان فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الاربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل في دولة الاسلام من النقص ماهو باق الى الآن فان بني أمية تولوا على جميع أرض الاسلام وكانت الدولة في زمنهم عربية والخليفة يدعى باسمه عبد الملك وسليمان لا يعرفون عضد الدولة ولا عز الدين وبهاء الدين وفلان الدين وكان أحدهم هو الذي يصلي بالصلوات الخمس وفي المسجد يعقد الرايات ويؤمر الامراء وانما يسكن داره لا يسكنون الحصون ولا يحتجبون على الرعية وكان من أسباب ذلك أنهم كانوا في صدر الاسلام في القرون المفضلة قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم وأعظم مانقمه الناس على بني أمية شيآن أحدهما تكلمهم في على والثاني تأخير الصلاة عن وقتها ولهذا رؤى عمر بن مرة الجملي بعد موته فقيل له مافعل الله بك قال غفر لي بمحافظتي على الصلوات في مواقيتها وحبي على بن أبي طالب فهذا حافظ على هاتين السنتين حين ظهر خلافهما فغفر الله له بذلك وهكذا شأن من تمسك بحب الخلفاء الثلاثة حيث يظهر خلاف ذلك وما أشبهه ثم كان من نعم الله سبحانه ورحمته بالاسلام أن الدولة لما انتقلت الى بني هاشم صارت في بني العباس فان الدولة الهاشمية أول ماظهرت كانت الدعوة الى الرضا من آل محمد وكانت شيعة الدولة محبين لبني هاشم وكان الذي تولى الخلافة من بني هاشم يعرف قدر الخلفاء الراشدين والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار فلم يظهر في دولتهم الا تعظيم الخلفاء الراشدين وذكرهم على المنابر

والثناء

الاحوال أن يكون مثله فان من قال ان الوجود زائد على الماهية لزمه أن يجعل الماهية قابلة للوجود والوجود صفة لها فيجعل الوجود الواجب صفة لغيره والصفة مفتقرة الى محلها وهذا الافتقار أقرب الى أن تكون الصفة ممكنة من افتقار الجميع الى جزئه فان افتقار الجميع الى نفسه لا ينافي وجوبه بنفسه فكيف افتقاره الى صفته اللازمة له والى مايقدر أنه جزؤه الذي لا يوجد الا في ضمن نفسه وأما افتقار الصفة الى الموصوف فأدل على امكان الصفة بنفسها فاذا كان الوجود الواجب لا يمتنع أن يكون صفة لماهيته فكيف يمتنع أن يكون مجموعا وغاية ما يقال ان الاجتماع صفة للاجزاء المجتمعة الموجودة الواجبة ومعلوم أن صفة الاجزاء الواجبة بنفسها أولى أن تكون موجودة واجبة من صفة الماهية التي هي في نفسها ليست وجودا فهذا الذي ذكره هناك حجة عليه هنا مع أنه يمكن تقريره بغير ما قرره به فانه قد يقال ان هذا تقرير ضعيف وذلك أنه قال لا نسلم ان الواجب لنفسه لا يكون مفتقرا الى غيره فان الواجب لنفسه هو الذي لا يكون مفتقرا الى مؤثر فاعل ولا يمتنع أن يكون موجبا بنفسه وان كان مفتقرا الى القابل فان الفاعل الموجب بالذات لا يمتنع توقف تأثيره على القابل

والثناء عليهم وتعظيم الصحابة والا فلو تولى والعياذ بالله رافضي يسب الخلفاء والسابقين الاولين
لقلب الاسلام ولكن دخل في عمار الدولة من كانوا لا يرضون باطنه ومن كان لا يمكنهم دفعه
كما لم يمكن عليا قمع الامراء الذين هم أكابر عسكره كالاشعث بن قيس والاشتر النخعي وهاشم
المرقال وأمثالهم ودخل من أبناء المجوس ومن في قلبه غل على الاسلام من أهل البدع
والزنادقة وتتبعهم المهدي بقتلهم حتى اندفع بذلك شر كبير وكان من خيار خلفاء بني العباس
وكذلك كان فيه من تعظيم العلم والجهاد والدين ما كانت به دولته من خيار دول بني العباس
وكأنها كانت تمام سعادتهم فلم ينتظم بعدها الأمر لهم مع أن أحدا من العباسيين لم يستولوا
على الاندلس ولا على أكثر المغرب وانما غلب بعضهم على أفريقية مدة ثم أخذت منهم بخلاف
أولئك فانهم استولوا على جميع المملكة الاسلامية وقهروا جميع أعداء الدين وكانت جيوشهم
جيشا بالاندلس يفتحه وجيشا ببلاد الترك يقاتل القان الكبير وجيشا ببلاد العبيد وجيشا
بأرض الروم وكان الاسلام في زيادة وقوة عزيزا في جميع الارض وهذا تصديق ما أخبر به النبي
صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يزال هذا الدين عزيزا ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش
وهؤلاء الاثنا عشر خليفة هم المذكورون في التوراة حيث قال في بشارته باسمعيل وسيلد اثنى
عشر عظيما ومن ظن أن هؤلاء الاثنى عشر هم الذين تعتقد الرافضة امامتهم فهو في غاية
الجهل فان هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف الا علي بن أبي طالب ومع هذا فلم يتمكن في خلافته
من غزو الكفار ولا فتح مدينة ولا قتل كافرا بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعض
حتى طمع فيهم الكفار بالشرق والشام من المشركين وأهل الكتاب حتى يقال انهم أخذوا بعض
بلاد المسلمين وان بعض الكفار كان يحمل اليه كلام حتى يكف عن المسلمين فأي عز للاسلام
في هذا والسيف يعمل في المسلمين وعدوهم قد طمع فيهم ونال منهم وأما سائر الائمة غير علي
فلم يكن لاحد منهم سيف لاسيما المنتظر بل هو عند من يقول بامامته إما خائف عاجز وإما هارب
مختف من أكثر من أربعمائة سنة وهو لم يهد ضالا ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ولا نصر
مظلوما ولا أفتى أحدا في مسئلة ولا حكم في قضية ولا يعرف له وجود فأي فائدة حصلت من هذا
لو كان موجودا فضلا عن أن يكون الاسلام به عزيزا ولا يزال أمر هذه الامة حتى يتولى اثنا
عشر خليفة وآخرهم المنتظر وهو موجود الآن الى أن يظهر عندهم أكان الاسلام لم يزل
عزيزا في الدولتين الاموية والعباسية وكان عزيزا وقد خرج الكفار بالمشرق والمغرب وفعلوا
بالمسلمين ما يطول وصفه وكان الاسلام لا يزال عزيزا الى اليوم وهذا خلاف ما دل عليه الحديث
وأيضا فالاسلام عند الامامية هو ما هم عليه وهم أذل فرق الامة فليس في أهل الاهواء أذل من
الرافضة ولا أكتم لقوله منهم ولا أكثر استعمالا للنفاق منهم وهم على زعمهم شيعة الاثنى عشر
وهم في غاية الذل فأي عز للاسلام بهؤلاء الاثنى عشر على زعمهم وكثير من اليهود اذا أسلم يتشيع
لانه رأى في التوراة ذكر الاثنى عشر الذين ولوا على الامة من قريش ولاية عامة فكان الاسلام
في زمنهم عزيزا وهذا معروف وقد تأول ابن هبيرة الحديث على أن المراد أن قوانين المملكة
باثنى عشر مثل الوزير والقاضي ونحو ذلك وهذا ليس بشئ بل الحديث على ظاهره لا يحتاج الى
تكلف وآخرون قالوا فيه مقالة ضعيفة كأبي الفرج بن الجوزي وغيره ومنهم من قال لا أفهم
معناه كأبي بكر بن العربي وأما مروان وابن الزبير فلم يكن لاحد منهما ولاية عامة بل كان زمنه
زمن فتنة لم يحصل فيها من عز الاسلام وجهاد أعدائه ما يتناوله الحديث ولهذا جعل طائفة

وسواء كان اقتضاؤه بالذات لنفسه
أو لما هو خارج عنه وهذا كما يقول
الفيلسوف في العقل الفعال بأنه
موجب بذاته للصور الجوهرية
والانفس الانسانية وان كان ما
اقتضاه لذاته متوقفا على وجود
الهيولى القابلة فقد يقال ان هذا
التقرير ضعيف لوجوه أحدها ان
الكلام فيما هو واجب بنفسه لا فيما
هو موجب لغيره أو فاعل له واذا قدر
ان الموجب الفاعل يقف على غيره
لم يلزم أن يكون الواجب بنفسه
يقف على غيره الثاني ان الموجب
الفاعل لا تقف نفسه على غيره
وانما يقف تأثيره ولا يلزم من
توقف تأثيره على غيره توقفه
وهذا كما ذكره من التمثيل
بالعقل الفعال فان أحدا لا يقول
ان نفسه تتوقف على غيره الذي
يقف عليه تأثيره فاذا كان هذا في
الموجب فكيف بالواجب بل هم
يقولون ان نفس الحجاب يتوقف
على غيره بل وصول الاثر الى المحل
يتوقف على استعداد المحل الثالث
أن هذا التمثيل يمكن في غير الواجب
بنفسه أما هو سبحانه وتعالى فلا
يتصور أن تقف ذاته على غيره
ولا فعله على غيره فان القوابل هي
أيضا من فعله فالكلام في فعله
للقبول لها كالكلام في فعله للقابل
فكل ما سواه فقير اليه مفعول له
وهو مستغن عن كل ما سواه من
كل وجه بخلاف الفاعل المخلوق

من الناس خلافة على من هذا الباب وقالوا لم تثبت بنص ولا اجماع وقد أنكر الامام أحمد وغيره على هؤلاء وقالوا من لم يربع بعلى فى الخلافة فهو أضل من حمار أهله واستدل على ثبوت خلافته بحديث سفينة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تكون ملكا فقيل للراوى ان بنى أمية يقولون ان عليا لم يكن خليفة فقال كذبت أستاه بنى الزرقاء والكلام على هذه المسئلة لبسطه موضع آخر والمقصود هنا أن الحديث الذى فيه ذكر الاثنى عشر خليفة سواء قدر أن عليا دخل فيه أو قدر أنه لم يدخل فالمراد بهم من تقدم من الخلفاء من قريش وعلى أحق الناس بالخلافة فى زمنه بلا ريب عند أحد من العلماء

(فصل) اذا تبين هذا فما ذكره من فضائله التى هى عند الله فضائل فهى حق لكن للثلاثة ماهو أكمل منها وأما ماذكره من الفضيلة بالقرابة فعنه أجوبة أحدها أن هذا ليس هو عند الله فضيلة فلا عبرة به فان العباس أقرب منه نسبا وحمزة من السابقين الاولين من المهاجرين وقد روى أنه سيد الشهداء وهو أقرب نسبا منه وللنبى صلى الله عليه وسلم من بنى العم عدد كثير كجعفر وعقيل وعبد الله وعبيد الله والفضل وغيرهم من بنى العباس وكربيعة وأبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وليس هؤلاء أفضل من أهل بدر ولا من أهل بيعة الرضوان ولا من السابقين الاولين الا من تقدم بسابقته كحمزة وجعفر فان هذين رضى الله عنهما من السابقين الاولين وكذلك عبيدة بن الحرث الذى استشهد يوم بدر وحينئذ فما ذكره من فضائل فاطمة والحسن والحسين لاحجة فيه مع أن هؤلاء لهم من الفضائل الصحيحة مالم يذكره هذا المصنف ولكن ذكر ماهو كذب كالحديث الذى رواه أخطب خوارزم أنه لما تزوج على بفاطمة زوجه الله اياها من فوق سبع سموات وكان الخاطب جبريل وكان اسرافيل وميكائيل فى سبعين ألفا من الملائكة شهودا وهذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وكذلك الحديث الذى ذكره عن حذيفة (الثانى) أن يقال ان كان ايمان الاقارب فضيلة فأبو بكر متقدم فى هذه الفضيلة فان أباه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم باتفاق الناس وأبو طالب لم يؤمن وكذلك أمه آمنت بالنبى صلى الله عليه وسلم وأولاده وأولاد أولاده وليس هذا لاحد من الصحابة غيره فليس فى أقارب أبى بكر ذرية أبى قحافة لا من الرجال ولا من النساء الا من قد آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بنته وكانت أحب أزواجه اليه وهذا أمر لم يشركه فيه أحد من الصحابة الا عمر ولكن لم تكن حفصة ابنته بمنزلة عائشة بل حفصة طلقها ثم راجعها وعائشة كان يقسم لها ليلتين لما وهبتها سودة ليلتها ومصاهرة أبى بكر للنبى صلى الله عليه وسلم كانت على وجه لا يشاركه فيها أحد وأما مصاهرة على فقد شركه فيها عثمان وزوجه النبى صلى الله عليه وسلم بنتا بعد بنت وقال لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان ولهذا سمى ذا النورين لانه تزوج بنتى نبى وقد شركه فى ذلك أبو العاص بن الربيع زوجه النبى صلى الله عليه وسلم أكبر بناته زينب وحمد مصاهرته وأراد أن يتشبه به على فى حكم المصاهرة لما أراد على أن يتزوج بنت أبى جهل فذكر صهره هذا قال حدثنى فصدقنى ووعدنى فوفى لى وأسلمت زينب قبل اسلامه بمدة وتأيمت عليه حتى أعادها اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقيل أعادها بالنكاح الاول وقيل بل جدد لها نكاحا والصحيح أنه أعادها بالنكاح الاول هذا الذى ثبته أئمة الحديث كأحمد وغيره وقد تنازع الناس فى مثل هذه المسئلة اذا أسلمت الزوجة قبل زوجها على أقوال مذكورة فى غير هذا الموضع والله أعلم

الذى يتوقف فعله على قابل فانه فعل مفتقر الى شئ منفصل عنه لكن يمكن أن يجاب عنه بأن يقال اذا كان الموجب لغيره المتوقف ايجابه على غيره لا يمنع أن يكون موجبا بنفسه كما قالوا فى العقل الفعال فأن يكون توقف ايجابه على غيره لا يمنع أن يكون واجبا بنفسه أولى وأحرى فان الموجب لغيره واجب وزيادة اذ لا يوجد الا ماهو موجود ولا يوجب الا ماهو واجب والعقل الفعال يقولون هو واجب بغيره وهو موجب بغيره لا واجب بنفسه ومقصوده أن الوجوب والايجاب بالذات لا يمنع توقف ذلك على غيره وانما يمنع كونه مفعولا للغير وتلخيص الكلام أنه اذا قيل ان الوجود زائد على الماهية كانت الماهية محلا للوجود الواجب فيكون الواجب لنفسه مفتقرا الى قابل لا الى فاعل فنقول الواجب هو الذى لا يكون مفتقرا الى فاعل ليس هو الذى لا يكون مفتقرا الى قابل فان الذى قام عليه قطع التسلسل أن الواجب لا فاعل له ولا علة أما كون الوجود الواجب له محل هو موصوف به أم لا فذلك كلام آخر لكنه عضد ذلك بأن الايجاب بالذات لا ينافى كون الموجب له محل يقبله فكذلك الوجوب بالذات لا ينفى أن يكون له محل يقبله واستشهد بالعقل الفعال

(باب) قال الرافضى الفصل الرابع فى امامة باقى الائمة الاثنى عشر لنا فى ذلك طرق احدها النص وقد توارثته الشيعة فى البلاد المتباعدة خلفا عن سلف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسين هذا امام ابن امام أخو امام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم اسمه كاسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما

(والجواب) من وجوه أحدها أن يقال أولا هذا كذب على الشيعة فان هذا لا ينقله الا طوائف من طوائف الشيعة وسائر طوائف الشيعة تكذب هذا والزيدية بأسرها تكذب هذا وهم أعقل الشيعة وأعلمهم وخيارهم والاسمعيلية كلهم يكذبون بهذا وسائر فرق الشيعة تكذب بهذا الا الاثنى عشرية وهم فرقة من نحو سبعين فرقة من طوائف الشيعة وبالجملة فالشيعة فرق متعددة جدا وفرقهم الكبار أكثر من عشرين فرقة كلهم تكذب هذا الا فرقة واحدة فأين تواتر الشيعة (الثانى) أن يقال هذا معارض بما نقله غير الاثنى عشرية من الشيعة من نص آخر يناقض هذا كالقائلين بامامة غير الاثنى عشر وبما نقله الراوندية أيضا فان كلا من هؤلاء يدعى من النص غير ما تدعيه الاثنا عشرية (الثالث) أن يقال علماء الشيعة المتقدمون ليس فيهم من نقل هذا النص ولا ذكره فى كتاب ولا احتج به فى خطاب وأخبارهم مشهورة متواترة فعلم أن هذا من اختلاق المتأخرين وانما اختلق هذا لما مات الحسن بن على العسكرى وقيل ان ابنه محمدا غائب فحينئذ ظهر هذا النص بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر من مائتين وخمسين سنة (الرابع) أن يقال أهل السنة وعلماؤهم أضعاف أضعاف الشيعة كلهم يعلمون أن هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم علما يقينا لا يخالطه الريب ويباهلون الشيعة على ذلك كعوام الشيعة مع على فان ادعى علماء الشيعة أنهم يعلمون تواتر هذا لم يكن هذا أقرب من دعوى علماء السنة بكذب هذا (الخامس) أن يقال ان من شرط التواتر حصول من يقع به العلم من الطرفين والوسط وقبل موت الحسن بن على العسكرى لم يكن أحد يقول بامامة هذا المنتظر ولا عرف من زمن على ودولة بنى أمية أحد ادعى امامة الاثنى عشر وهذا القائم وانما كان المدعون يدعون النص على على أو على ناس بعده وأما دعوى النص على الاثنى عشر وهذا القائم فلا يعرف أحد قاله متقدما فضلا عن أن يكون نقله متقدما (السادس) أن الصحابة لم يكن فيهم أحد رافضى أصلا وان ادعى مدع على عدد قليل منهم أنهم كانوا رافضة فقد كذب عليهم ومع هذا فأولئك لا يثبت بهم التواتر لان العدد القليل المتفقين على مذهب يمكن عليهم التواطؤ على الكذب والرافضة تجوز الكذب على جمهور الصحابة فكيف لا يجوز على من نقل هذا النص مع قلتهم ان كان نقله أحد منهم واذا لم يكن فى الصحابة من تواتر به هذا النقل انقطع التواتر من أوله (السابع) أن الرافضة يقولون ان الصحابة ارتدوا عن الاسلام بجحد النص على عدد قليل نحو العشرة أو أقل أو أكثر مثل عمار وسلمان وأبى ذر والمقداد ومعلوم أن أولئك الجمهور لم ينقلوا هذا النص فانهم قد كتموه عندهم فلا يمكنهم أن يضيفوا نقله الى هذه الطائفة وهؤلاء كانوا عندهم مجتمعين على موالاة على متواطئين على ذلك وحينئذ فالطائفة القليلة التى يمكن تواطؤها على النقل لا يحصل بها تواتر لجواز اجتماعهم على الكذب فاذا كانت الرافضة تجوز على جماهير الصحابة مع كثرتهم الارتداد عن الاسلام وكتمان ما يتعذر فى العادة التواطؤ على كتمانه فلأن تجوز على قليل منهم تعمد الكذب بطريق الاولى والاحرى وهم يصرحون بكذب الصحابة فكيف يمكنهم مع ذلك تصديقهم

لكنهم يقولون العقل الفعال ليس بموجب بالذات وأما الرب الموجب بالذات فليس له محل يقبله فتبين ان الاستشهاد بهذا لا يصح وليس التمثيل به مطابقا والمقصود هنا أن الذى يعتمد عليه هو وأمثاله فى نفى ما يسمونه التركيب هم أنفسهم قد أبطلوه فى مواضع أخر واحتجوا به فى موضع آخر وحيث احتجوا به أضعف منه حيث أبطلوه وكذلك ما ذكره من الوجه الثانى على ابطال التركيب فانه قال الوجه الثانى فى امتناع كونه مركبا من الاجزاء أن تلك الاجزاء إما أن تكون واجبة الوجود لذاتها أو ممكنة أو البعض واجب والبعض ممكن لا جائز أن يقال بالاول على ما سيأتى تحقيقه فى اثبات الوحدانية وان كان الثانى أو الثالث فلا يخفى أن المفتقر الى الممكن المحتاج الى الغير أولى بالامكان والاحتياج والممكن المحتاج لا يكون واجبا لذاته وما لا يكون واجبا لذاته لا يكون الها

في مثل هذا اذا كان الناقلون له ممن له هوى ومعلوم أن شيعة علي لهم هوى في نصره فكيف يصدقون في نقل النص عليه هذا مع أن العقلاء وأهل العلم بالنقل يعلمون أنه ليس في فرق المسلمين أكثر تعمدا للكذب وتكذيبا بالحق من الشيعة بخلاف غيرهم من الخوارج وان كانوا مارقين فهم يصدقون لا يتعمدون الكذب وكذلك المعتزلة يتدينون بالصدق وأما الشيعة فالكذب عليهم غالب من حين ظهروا (الوجه الثامن) أن يقال قد علم أهل العلم أن أول ما ظهرت الشيعة الامامية المدعية للنص في أواخر أيام الخلفاء الراشدين وافترى ذلك عبد الله ابن سبا وطائفته الكذابون فلم يكونوا موجودين قبل ذلك فأي تواتر لهم (التاسع) أن الاحاديث التي نقلها الصحابة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان أعظم تواترا عند العامة والخاصة من نقل هذا النص فان جاز أن يقدح في نقل جماهير الصحابة لتلك الفضائل فالقدح في هذا أولى وان كان القدح في هذا متعذرا ففي تلك أولى واذا ثبتت فضائل الصحابة التي دلت عليها تلك النصوص الكثيرة المتواترة امتنع اتفاقهم على مخالفة هذا النص فان مخالفته لو كان حقا من أعظم الاثم والعدوان (العاشر) أنه ليس أحد من الامامية ينقل هذا النص باسناد متصل فضلا عن أن يكون متواترا وهذه الالفاظ تحتاج الى تكرير فان لم يدرس ناقلوها عليها لم يحفظوها وأين العدد الكثير الذين حفظوا هذه الالفاظ كحفظ ألفاظ القرآن وحفظ التشهد والأذان جيلا بعد جيل الى الرسول ونحن اذا ادعينا التواتر في فضائل الصحابة ندعي تارة التواتر من جهة المعنى كتواتر خلافة الخلفاء الاربعة ووقعة الجمل وصفين وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة وعلي بفاطمة ونحو ذلك مما لا يحتاج فيه الى نقل لفظ معين يحتاج الى درس وكتواتر ما للصحابة من السابقة والاعمال وغير ذلك وتارة التواتر في نقل ألفاظ حفظها من يحصل العلم بنقله (الوجه الحادي عشر) أن المنقول بالنقل المتواتر عن أهل البيت يكذب مثل هذا النقل وانهم لم يكونوا يدعون أنه منصوص عليهم بل يكذبون من يقول ذلك فضلا عن أن يثبتوا النص على اثني عشر (الوجه الثاني عشر) أن الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدد الاثني عشر مما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن سمرة قال دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول لا يزال أمر الناس ماضيا ولهم اثنا عشر رجلا ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عني فسألت أبي ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قال قال كلهم من قريش وفي لفظ لا يزال هذا الامر عزيزا الى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة لم أفهمها قلت لابي ما قال قال كلهم من قريش وفي لفظ لا يزال هذا الامر عزيزا الى اثني عشر خليفة والذي في التوراة يصدق هذا وهذا النص لا يجوز أن يراد به هؤلاء الاثنا عشر لانه قال لا يزال الاسلام عزيزا ولا يزال هذا الامر عزيزا ولا يزال أمر الناس ماضيا وهذا يدل على أنه يكون أمر الاسلام قائما في زمن ولايتهم ولا يكون قائما اذا انقضت ولايتهم وعند الاثني عشرية لم يقم أمر الامة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر بل ما زال أمر الامة فاسدا منتقضا يتولى عليهم الظالمون المعتدون بل المنافقون الكافرون وأهل الحق أذل من اليهود وأيضا فان عندهم ولاية المنتظر دائمة الى آخر الدهر وحينئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الاثني عشر واذا كان كذلك لم يبق الزمان نوعين نوع يقوم فيه أمر الامة ونوع لا يقوم بل هو قائم في الازمان كلها وهو خلاف الحديث الصحيح (١) وأيضا فالامر الذي لا يقوم بعد ذلك الا اذا قام المهدي اما المهدي الذي يقر به أهل السنة واما مهدي الرافضة ومدته قليلة لا ينتظم فيها أمر الامة وأيضا فانه قال

* قلت ولقائل أن يقول هذا الوجه أيضا فاسد من وجوه أحدها أن يقال لم لا يجوز أن تكون تلك الاجزاء كلها واجبة قوله على ما سيأتي تحقيقه في مسئلة التوحيد يقال له الذي ذكرته فيما بعد في مسئلة التوحيد هي الطريقة المعروفة لابن سينا وأتباعه من الفلاسفة وهي وجهان أحدهما مبناه على أن المركب يفتقر الى أجزائه وهذا هو الوجه الذي ذكرته هنا فصار مدارهذا الوجه الثاني على الاول فلم يذكر الا الاول وقد تبين فساده الوجه الثاني الذي ذكرته في التوحيد مبناه على كون الوجوب يصير معلولا وهذا هو الذي ذكرته في كون الوجود الواجب لا يزيد على الماهية لئلا يكون معلولا للماهية وأنت قد أفسدت هذا الوجه وبما أفسدته به يفسد الآخر أيضا فتبين أن ما ذكرته في مسئلة

(١) قوله وأيضا فالامر الذي الخ في العبارة نقص ظاهر وحرر كتبه مصححه

في الحديث كلهم من قريش ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به ألا ترى انه لم يقل كلهم من ولد اسمعيل ولا من العرب وان كانوا كذلك لانه قصد القبيلة التي يمتازون بها فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم أو من قبيل علي مع علي لذكروا بذلك فلما جعلهم من قريش مطلقا علم أنهم من قريش بل لا يختصون بقبيلة بل بنو تيم و بنو عدي و بنو عبد شمس و بنو هاشم فان الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل

﴿فصل﴾ وأما الحديث الذي رواه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدي ﷺ فالجواب ان الاحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مسعود لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة وأيضا فيه المهدي من عترتي من ولد فاطمة ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد وفيه يملك الارض سبع سنين ورواه عن علي رضي الله عنه أنه نظر الى الحسن وقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الارض قسطا وهذه الاحاديث غلط فيها طوائف طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وهذا الحديث ضعيف وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي وهو ممن لا يحتج به وليس هذا في مسند الشافعي وقد قيل ان الشافعي لم يسمعه من الجندي وان يونس لم يسمعه من الشافعي (الثاني) أن الاثني عشرية الذين ادعوا أن هذا هو مهديهم مهديهم اسمه محمد ابن الحسن والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبد الله ولهذا حذفت طائفة لفظ الأب حتى لا يناقض ما كذبت وطائفة حرفته فقالت جده الحسين وكنيته أبو عبد الله فمعناه محمد بن أبي عبد الله وجعلت الكنية اسما وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سماه غاية السول في مناقب الرسول ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يفهم أحد من قوله يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي الا أن اسم أبيه عبد الله وهل يدل هذا اللفظ على أن جده كنيته أبو عبد الله ثم أي تمييز يحصل له بهذا فكم من ولد الحسين من اسمه محمد وكل هؤلاء يقال في أجدادهم محمد ابن أبي عبد الله كما قيل في هذا وكيف يعدل من يريد البيان الى من اسمه محمد بن الحسن فيقول اسمه محمد بن عبد الله و يعني بذلك ان جده أبو عبد الله وهذا كان تعريفه بأنه محمد بن الحسن أو ابن أبي الحسن لان جده علي كنيته أبو الحسن أحسن من هذا وأبين لمن يريد الهدى والبيان وأيضا فان المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين كما تقدم لفظ حديث علي (الثالث) أن طوائف ادعى كل منهم أن المهدي المبشر به مثل مهدي القرامطة الباطنية الذي أقام دعوتهم بالمغرب وهم من ولد ميمون القداح وادعوا أن ميمونا هذا من ولد محمد بن اسمعيل والى ذلك انتسب الاسمعيلية وهم ملاحدة في الباطن خارجون عن جميع الملل أكفر من

التوحيد يعود الى وجه واحد وأنت قد قدمت فساده فالحوالة على ما سيأتي وما سيأتي منه ما هو مكرر فكلاهما فاسد وهو دائما في كلامه يذكر فساد هذه الطريقة حتى انه لما استدلت الفلاسفة أتباع ابن سينا وغيرهم على أن الاجسام ممكنة بهذه الطريقة واستدل بها طائفة على حدوث العالم وهذا أول طريقة ذكرها في حدوث العالم فقال قد احتج الاصحاب بمسالك الاول قولهم العالم ممكن الوجود بذاته وكل ممكن بذاته فهو محدث وقرر الامكان بأن قال أجسام العالم مؤلفة ومركبة لما سبق بيانه في الاجسام وكل ما كان مؤلفا مركبا فهو مفتقر الى أجزائه وكل مفتقر الى غيره لا يكون واجبا بذاته فالاجسام ممكنة بذواتها والاعراض قائمة بالاجسام ومفتقرة اليها والمفتقر الى الممكن أولى أن يكون ممكنا ثم ضعف هذا المسلك قال وقولهم ان العالم مركب مسلم ولكن ما المانع أن

الغالية كالنصيرية ومذهبهم مركب من مذهب المجوس والصابئة والفلاسفة مع اظهار التشيع وجدهم رجل يهودى كان ربيبا لرجل مجوسى وقد كانت لهم دولة وأتباع وقد صنف العلماء كتبا فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم مثل كتاب القاضى أبى بكر الباقلانى والقاضى عبد الجبار الهمدانى وكتاب الغزالى ونحوهم ومن ادعى أنه المهدى ابن التومرت الذى خرج أيضا بالمغرب وسمى أصحابه الموحدين وكان يقال له فى خطبهم الامام المعصوم والمهدى المعلوم الذى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وهذا ادعى أنه من ولد الحسن دون الحسين فانه لم يكن رافضيا وكان له من الخبرة بالحديث ما ادعى به دعوى تطابق الحديث وقد علم بالاضطرار أنه ليس هو الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم ومثل عدة آخرين ادعوا ذلك منهم من قبل ومنهم من ادعى ذلك فيه أصحابه وهؤلاء كثيرون لا يحصى عددهم الا الله وربما حصل بأحدهم نفع لقوم وان حصل به ضرر لآخرين كما حصل بمهدى المغرب انتفع به طوائف وانضر به طوائف وكان فيه ما يحمد وكان فيه ما يذم وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدى الرافضة الذى ليس له عين ولا أثر ولا يعرف له حس ولا خبر لم ينتفع به أحد لا فى الدنيا ولا فى الدين بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد ما لا يحصيه الا رب العباد وأعرف فى زماننا غير واحد من المشايخ الذين فيهم زهد وعبادة يظن كل منهم أنه المهدى وربما يخاطب أحدهم بذلك مرات متعددة ويكون المخاطب له بذلك الشيطان وهو يظن أنه خطاب من قبل الله ويكون أحدهم اسمه أحمد بن ابراهيم فيقال له محمد وأحمد سواء وابراهيم الخليل هو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوك ابراهيم فقد واطأ اسمك اسمه واسم أبيك اسم أبيه ومع هذا فهؤلاء مع ما وقع لهم من الجهل والغلط كانوا خيرا من منتظر الرافضة ويحصل بهم من النفع ما لا يحصل بمنتظر الرافضة ولم يحصل بهم من الضرر ما حصل بمنتظر الرافضة بل ما حصل بمنتظر الرافضة من الضرر أكثر منه

(فصل) قال الرافضى الثانى أنا قد بينا أنه يجب فى كل زمان امام معصوم ولا معصوم غير هؤلاء اجماعا

(والجواب) من وجوه أحدها منع المقدمة الاولى كما تقدم والثانى منع طوائف لهم المقدمة الثانية (١) الثانى القول بالموجب (الثالث) أن هذا المعصوم الذى يدعونه فى وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمائة وخمسين سنة فانه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين ولم يظهر عنه شئ مما يفعله أقل الناس تأميرا مما يفعله آحاد الولاة والقضاة والعلماء فضلا عما يفعله الامام المعصوم فأى منفعة للوجود فى مثل هذا لو كان موجودا فكيف اذا كان معدوما والذين آمنوا بهذا المعصوم أى لطف وأى منفعة حصلت لهم به نفسه فى دينهم أو دنياهم وهل هذا الا أفسد مما يدعيه كثير من العامة فى القطب والغوث ونحو ذلك من أسماء يعظمون مسماها ما هو أعظم من رتبة النبوة من غير تعيين لشخص معين يمكن أن ينتفع به الانتفاع المذكور فى مسمى هذه الاسماء وكما يدعى كثير منهم حياة الخضر مع أنهم لم يستفيدوا بهذه الدعوى منفعة لا فى دينهم ولا فى دنياهم وانما غاية من يدعى ذلك أنه يدعى جريان بعض ما يقدر الله على يدى مثل هؤلاء وهذا مع أنهم لا حاجة لهم الى معرفته ولم ينتفعوا بذلك لو كان حقا فكيف اذا كان ما يدعونه باطلا ومن هؤلاء من يتمثل له الجنى فى صورة ويقول أنا الخضر ويكون كاذبا وكذلك الذين يذكرون رجال الغيب

تكون أجزاؤه واجبة وما ذكروه من الدلالة فقد بينا ضعفها فى مسئلة الوحدانية فهنا لما احتجوا بهذه الدلالة على حدوث العالم ذكر ضعفها وأحال على ما ذكره فى الوحدانية فكيف يحتج بها بعينها فى مثل هذا المطلوب بعينه وهو كون الاجسام ممكنة لأنها مركبة ويحيل على ما ذكره فى التوحيد ومعلوم أنه لو أبطلها حيث تعارض نصوص الكتاب والسنة واعتمد عليها حيث لا تناقض ذلك لكان مع ما فيه من التناقض أقرب الى العقل والدين من أن يحتج بها فى نفى لوازم نصوص الكتاب والسنة ويبطلها حيث لا تخالف نصوص الانبياء الوجه الثانى أن يقال أنت أيضا قد بينت فى الكلام على اثبات وحدانية الله تعالى فساد

(١) قوله الثانى القول بالموجب كذا فى الاصل وتأمل فان الثانى تقدم والثالث الذى بعده فيه الجواب بالتسليم فلعله من زيادة الناسخ أو فى الكلام نقص اه كتبه مصححه

ورؤيتهم اياها أو الجن وهم رجال غائبون وقد يظنون أنهم انس وهذا قد بيناه فى مواضع تطول حكاياتها مما تواتر عندنا وهذا الذى تدعيه الرافضة اما مفقود عندهم واما معدوم عند العقلاء وعلى التقديرين فلا منفعة لاحد به لا فى دين ولا فى دنيا فمن علق دينه بالمجهولات التى لا يعلم موتها كان ضالا فى دينه لان ما علق به دينه لم يعلم صحته ولم يحصل له به منفعة فهل يفعل مثل هذا الا جاهل لكن الذين يعتقدون حياة الخضر لا يقولون انه يجب على الناس طاعته مع أن الخضر كان حيا موجودا

﴿فصل﴾ قال الرافضى الثالث الفضائل التى اشتمل كل واحد منهم عليها الموجبة لكونه اماما

(والجواب) من وجوه أحدها أن تلك الفضائل غايتها أن يكون صاحبها أهلا أن تعقد له الامامة لكنه لا يصير اماما بمجرد كونه أهلا كما أنه لا يصير الرجل قاضيا بمجرد كونه أهلا لذلك (الثانى) أن أهلية الامامة ثابتة لآخرين من قريش كثبوتها لهؤلاء وهم أهل أن يتولوا الامامة فلا موجب للتخصيص ولم يصيروا بذلك أئمة (الثالث) أن الثانى عشر منهم معدوم عند جمهور العقلاء فامتنع أن يكون اماما (الرابع) أن العسكريين ونحوهما من طبقة أمثالهما لم يعلم لهما تبريز فى علم أو دين كما عرف لعلى بن الحسين وأبى جعفر وجعفر بن محمد

﴿باب﴾ قال الرافضى الفصل الخامس أن من تقدمه لم يكن اماما ويدل عليه وجوه

(قلت والجواب) أنه ان أريد بذلك أنهم لم يتولوا على المسلمين ولم يبايعهم المسلمون ولم يكن لهم سلطان يقيمون به الحدود ويوفون به الحقوق ويجاهدون به العدو ويصلون بالمسلمين الجمع والاعياد وغير ذلك مما هو داخل فى معنى الامامة فهذا بهت ومكابرة فان هذا أمر معلوم بالتواتر والرافضة وغيرهم يعلمون ذلك ولو لم يتولوا الامامة لم تقدح فيهم الرافضة لكن هم يطلقون ثبوت الامامة وانتفاءها ولا يفصلون هل المراد ثبوت نفس الامامة ومباشرتها أو نفس استحقاق ولاية الامامة ويطلقون لفظ الامام على الثانى ويوهمون أنه يتناول النوعين وان أريد بذلك أنهم لم يكونوا يصلحون للامامة وأن عليا كان يصلح لها دونهم أو أنه كان أصلح لها منهم فهذا كذب وهو مورد النزاع ونحن نجيب فى ذلك جوابا عاما كليا ثم نجيب بالتفصيل أما الجواب العام الكلى فنقول نحن عالمون بكونهم أئمة صالحين للامامة علما يقينيا قطعيا وهذا لا يتنازع فيه اثنان من طوائف المسلمين غير الرافضة بل أئمة الامة وجمهورها يقولون انا نعلم أنهم كانوا أحق بالامامة بل يقولون انا نعلم أنهم كانوا أفضل الامة وهذا الذى نعلمه ونقطع به ونجزم به لا يمكن أن يعارض بدليل قطعى ولا ظنى أما القطعى فلان القطعيات لا يتناقض موجبها ومقتضاها وأما الظنيات فلأن الظنى لا يعارض القطعى وجملة ذلك أن كل ما يورده القادح فلا يخلو عن أمرين اما نقل لا نعلم صحته أو لا نعلم دلالته على بطلان امامتهم وأى المقدمتين لم يكن معلوما لم يصلح لمعارضة ما علم قطعا واذا اقام الدليل القطعى على ثبوت امامتهم لم يكن علينا أن نجيب عن الشبه المفصلة كما أن ما علمناه قطعا لم يكن علينا أن نجيب عما يعارضه من الشبه السوفسطائية وليس لاحد أن يدفع ما علم يقينا بالظن سواء كان ناظرا أو مناظرا بل ان تبين له وجه فساد الشبهة وبينه لغيره كان ذلك زيادة علم ومعرفة وتأييد فى الحق فى النظر والمناظرة وان لم يتبين ذلك لم يكن له أن يدفع اليقين بالشك وسنبين ان شاء الله تعالى الادلة الكثيرة على استحقاقهم للامامة وأنهم كانوا أحق بها من غيرهم

هذه الطريقة التى سلكها ابن سينا وغيره من الفلاسفة التى أحلت عليها هنا وذلك انه قال الفصل الثانى فى امتناع وجود الهين لكل واحد منهما من صفات الالهية ما للآخر وقد احتج النافون للشركة بمسالك ضعيفة المسلك الاول هو ما ذكره الفلاسفة وذلك انهم قالوا لو قدر وجود واجبين كل واحد منهما واجب لذاته فلا يخلو اما أن يقال باتفاقهما من كل وجه أو باختلافهما من كل وجه أو باتفاقهما من وجه دون وجه فان كان الاول فلا تعدد فى مسمى واجب الوجود اذ التعدد والتغاير دون مميز محال وان كان الثانى فما اشتركا فى وجوب الوجود وان كان الثالث فما به الاشتراك غير ما به الافتراق وما به الاشتراك ان لم يكن هو وجوب الوجود فليسا واجبين بل أحدهما دون الآخر وان كان الاشتراك بوجوب الوجود فهو ممتنع لوجهين الاول هو أن ما به الاشتراك من وجوب الوجود اما أن يتم تحققه فى كل

(فصــل) قال الرافضى الاول قول أبى بكر ان لى شيطانا يعترينى فان استقمت فأعينونى وان زغت فقومونى ومن شأن الامام تكميل الرعية فكيف يطلب منهم الكمال

(والجواب) من وجوه أحدها أن المأثور عنه أنه قال ان لى شيطانا يعترينى يعنى الغضب فاذا اعترانى فاجتنبونى لا أوثر فى ابشاركم وقال أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم وهــذا الذى قاله أبو بكر رضى الله عنــه من أعظم ما يمدح به كما سنبينه ان شاء الله تعالى (الثانى) أن الشيطان الذى يعتريه قد فسر بأنه يعرض لابن آدم عند الغضب فخاف عند الغضب أن يعتدى على أحد من الرعية فأمرهم بمجانبته عند الغضب كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان فنهى عن الحكم فى الغضب وهذا هو الذى أراد أبو بكر أراد أن لا يحكم وقت الغضب وأمرهم أن لا يطلبوا منه حكما أو يحملوه على حكم فى هــذه الحال وهــذا من طاعته لله ورسوله (الثالث) أن يقال الغضب يعترى بنى آدم كلهم حتى قال سيد ولد آدم اللهم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وانى اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه أيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة وأخرجه مسلم عن عائشة قالت دخل رجلان على النبى صلى الله عليه وسلم فأغضباه فسبهما ولعنهما فلما خرجا قلت يا رسول الله من أصاب من الخير ما أصاب هــذان الرجلان قال وما ذاك قلت لعنتهما وسببتهما قال أو ما علمت ما شارطت عليه ربى قلت انما أنا بشر فأى المسلمين سببته أو لعنته فاجعله له زكاة وأجرا وفى رواية أنس انى اشترطت على ربى فقلت انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة وأيضا فموسى رسول كريم وقد أخبر الله عن غضبه بما ذكره فى كتابه فاذا كان مثل هــذا لا يقدح فى الرسالة فكيف يقدح فى الامامة مع أن النبى صلى الله عليه وسلم شبه أبا بكر بابراهيم وعيسى فى لينه وحلمه وشبه عمر بنوح وموسى فى شدته فى الله فاذا كانت هذه الشدة لا تنافى الامامة فكيف تنافيها شدة أبى بكر (الرابع) أن يقال أبو بكر رضى الله عنــه قصد بذلك احترازا أن يؤذى أحدا منهــم فأيما أكمل هــذا أو غيره ممن غضب على من عصاه وقاتلهــم وقاتلوه بالسيف وسفك دماءهم فان قيــل كانوا يستحقون القتال بمعصية الامام واغضابه قيــل ومن عصى أبا بكر وأغضبه كان أحق بذلك لكن أبو بكر ترك ما يستحقه ان كان على يستحق ذلك والا فيمتنع أن يقال من عصى عليا وأغضبه جاز له أن يقاتله ومن عصى أبا بكر لم يجز له تأديبه فدل على أن ما فعله أبو بكر أكبر من الذى فعله على وفى المسند وغيره عن أبى برزة أن رجــلا أغضب أبا بكر قال فقلت له أتأذن لى أن أضرب عنقــه يا خليفــة رسول الله قال فأذهبت كلمتى غضبــه ثم قال ما كانت لأحد بعــد رسول الله صــلى الله عليه وســلم فلم يستحل أن يقتل مسلما بمجرد مخالفة أمره والعلماء فى حديث أبى برزة على قولين منهم من يقول مراده أنه لم يكن لأحد أن يقتل أحدا سبه الا الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهــم من يقول ما كان لأحد أن يحكم بعلمه فى الدماء الا الرسول وقد تخلف عن بيعته سعد بن عبادة فما آذاه بكلمة فضلا عن فعل وقد قيل ان عليا وغيره امتنعوا عن بيعته ستة أشهر فما أزعجهم وما ألزمهم بيعته فهل هذا كله الا من كمال ورعه عن أذى الامة وكمال عدله وتقواه وهكذا قوله فاذا اعترانى فاجتنبونى (الخامس) ان فى الصحيح عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد الا وكل به قرينه من الجن

قالوا

واحد من الواجبــين بدون ما به الافتراق أولا يتم دونه فان كان الاول فهو محال والا كان المعنى المشترك المطلق متحققا فى الاعيان من غير مخصص وهو محال وان كان الثانى كان وجوب الوجــود ممكنا لافتقاره فى تحققه الى غيره فالموصوف به وهو ما قيل بوجوب وجــوده به أولى أن يكون ممكنا الوجــه الثانى ان مسمى واجب الوجود اذا كان مركبا من أمرين وهو وجوب الوجود المشترك وما به الافــتراق فيكون مفتقرا فى وجوده الى كل واحد من مفرديه وكل واحــد من المفردين مغاير للجملة المركبة منهما ولهذا يتصور تعقل كل أحــد من الافراد مع الجهل بالمركب منها والمعلوم غيــر المجهول وكل ما كان مفتقــرا الى غــيره فى وجــوده كان ممكنا لا واجبا لذاته اذ لا معنى لواجب الوجود لذاته الا ما لا يفتقــر فى وجوده الى غيره وهذه المحالات انما لزمت من القــول بتعــدد واجب الوجود لذاته فيكون محالا قال

قالوا واياك يارسول الله قال واياى ولكن ربى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بخير وفى الصحيح عن عائشة قالت يارسول الله أومعى شيطان قال نعم قالت ومع كل انسان قال نعم قالت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن ربى أعانني عليه حتى أسلم والمراد فى أصح القولين استسلم وانقاد لى ومن قال حتى أسلم أنا فقد حرف معناه ومن قال الشيطان صار مأمونا فقد حرف لفظه وقد قال موسى لما قتل القبطى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين وقال فتى موسى وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وذكر الله فى قصة آدم وحواء فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقوله فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما فاذا كان عرض الشيطان لا يقدح فى نبوة الانبياء عليهم السلام فكيف يقدح فى امامة الخلفاء وان ادعى مدع أن هذه النصوص مؤولة قيل له فيجوز لغيرك أن يتأول قول الصديق لما ثبت بالدلائل الكثيرة من ايمانه وعلمه وتقواه وورعه فاذا ورد لفظ مجمل يعارض ماورد وجب تأويله وأما قوله فان استقمت فأعينوني وان زغت فقوموني فهذا من كمال عدله وتقواه وواجب على كل امام أن يقتدى به فى ذلك وواجب على الرعية أن تعامل الأئمة بذلك فان استقام أعانوه على طاعة الله تعالى وان زاغ وأخطأ بينوا له الصواب ودلوه عليه وان تعمد ظلما منعوه منه بحسب الامكان فاذا كان منقادا للحق كأبى بكر فلا عذر لهم فى ترك ذلك وان كان لا يمكن دفع الظلم الا بما هو أعظم فسادا منه لم يدفعوا الشر القليل بالشر الكثير * وأما قول الرافضى ومن شأن الامام تكميل الرعية فكيف يطلب منهم التكميل فعنه أجوبة أحدها انا لا نسلم ان الامام يكملهم وهم لا يكملونه أيضا بل الامام والرعية يتعاونون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان بمنزلة أمير الجيش والقافلة والصلاة والحج والدين قد عرف بالرسول فلم يبق عند الامام دين ينفرد به ولكن لابد من الاجتهاد فى الجزئيات فان كان الحق فيها بينا أمر به وان كان متبينا للامام دونهم بينه لهم وكان عليهم أن يطيعوه وان كان مشتبها عليهم اشتوروا فيه حتى يتبين لهم وان تبين لاحد من الرعية دون الامام بينه له وان اختلف الاجتهاد فالامام هو المتبع فى اجتهاده اذ لابد من الترجيح والعكس ممتنع وهذا كما تقوله الرافضة الامامية فى نواب المعصوم فانه وان تبين لهم الكليات فلابد فى تبيين الجزئيات من الاجتهاد وحينئذ فكل امام هو نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاريب فى عصمته ونوابه أحق بالاتباع من نواب غيره والمراد بكونهم نوابه أن عليهم أن يقوموا بما قام به ليس المراد استخلافهم فان طاعة الرسول واجبة على كل متول سواء ولاة الرسول أو غيره وطاعته بعد موته كطاعته فى حياته ولو ولى هو رجلا لوجب عليه وعلى غيره ما يجب على غيره من الولاة (الوجه الثانى) أن كلا من المخلوقين قد استكمل بالآخر كالمتناظرين فى العلم والمتشاورين فى الرأى والمتعاونين المتشاركين فى مصلحة دينهما ودنياهما وانما يمتنع هذا فى الخالق سبحانه لانه لابد أن يكون للممكنات المحدثات فاعل مستغن بنفسه غير محتاج الى أحد لئلا يفضى الى الدور فى المؤثرات والتسلسل فيها وأما المخلوقان فكلاهما يستفيد حوله وقوته من الله تعالى لا من نفسه ولا من الآخر فلا دور فى ذلك (الوجه الثالث) أنه مازال المتعلمون ينبهون معلمهم على أشياء ويستفيدها المعلم منهم مع أن عامة ماعند المتعلم من الاصول تلقاها من معلمه وكذلك فى الصناع وغيرهم (الوجه الرابع) ان موسى صلى الله عليه وسلم قد استفاد من الخضر ثلاث مسائل وهو أفضل منه وقد قال الهدهد لسليمان أحطت بما لم تحط به وليس الهدهد قريبا من سليمان ونبينا صلى الله عليه وسلم

وربما استروح بعض الاصحاب فى اثبات الوحدانية الى هذا المسلك أيضا وهو ضعيف اذ لقائل أن يقول وان سلمنا الاتفاق بينهما من وجه والافتراق من وجه وأن مابه الاتفاق هو وجوب الوجود ولكن لم قلتم بالامتناع وماذكرتموه فى الوجه الاول انما يلزم أن لو كان مسمى وجوب الوجود معنى وجوديا وأما بتقدير أن يكون أمرا سلبيا ومعنى عدميا وهو عدم افتقار الوجود الى علة خارجة فلا فلم قلتم بكونه أمرا وجوديا ثم بسط الكلام فى كونه عدميا بما ليس هذا موضع الكلام فيه قال وعلى هذا فقد بطل القول بالوجه الثانى فانه اذا كان حاصل الوجوب يرجع الى صفة سلب فلا يوجب ذلك التركيب من ذات واجب الوجود والا لما وجد بسيط أصلا فانه مامن بسيط الا ويتصف بسلب غيره عنه وان سلمنا ان وجوب الوجود أمر وجودى ولكن ماذكرتموه من لزوم التركيب فهو لازم وان كان واجب الوجود

كان يشاور أصحابه وكان احيانا يرجع اليهم فى الرأى قال له الحباب يوم بدر يارسول الله أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلكه الله تعالى فليس لنا أن نتعداه أم هو الحرب والرأى والمكيدة فقال هو الحرب والرأى والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل قتال فرجع الى رأى الحباب وكذلك يوم الخندق كان قد رأى أن يصالح غطفان على نصف تمر المدينة وينصرف عن القتال فجاءه سعيد فقال يارسول الله ان كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة أو كما قال وان كنت انما فعلت هذا لمصلحتنا فلقد كانوا فى الجاهلية وما ينالون منها تمرة الا بشراء أو قراء فلما أعزنا الله بالاسلام نعطيهم تمرنا مانعطيهم الا السيف أو كما قال فقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وعمر أشار عليه لما أذن لهم فى غزوة تبوك فى نحر الركاب أن يجمع ازوادهم ويدعو فيها بالبركة فقبل منه وأشار عليه بأن يرد أباهريرة لما أرسله بنعليه يبشر من لقيه وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله الا الله بالجنة لما خاف أن يتكلوا فقبل منه وأبو بكر لم يكن يرجع اليهم فيما ليس فيه نص من الله ورسوله بل كان اذا تبين له ذلك لم يبال بمن خالفه ألا ترى أنه لما نازعه عمر فى قتال أهل الردة لأجل الخوف على المسلمين ونازعوه فى قتال مانعى الزكاة ونازعوه فى ارسال جيش أسامة لم يرجع اليهم بل بين لهم دلالة النص على مافعله وأما فى الامور الجزئية التى لا يجب أن تكون منصوصة بل يقصد بها المصلحة فهذه ليس هو فيها باعظم من الانبياء (الخامس) أن هذا الكلام من أبى بكر مازاده عند الامة الا شرفا وتعظيما ولم تعظم الامة أحدا بعد نبيها كما عظمت الصديق ولا أطاعت أحدا كما أطاعته من غير رغبة أعطاهم اياها ولا رهبة أخافهم بها بل الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة بايعوه طوعا مقرين بفضيلته واستحقاقه ثم مع هذا لم نعلم أنهم اختلفوا فى عهده فى مسئلة واحدة فى دينهم الا وأزال الاختلاف ببيانه لهم ومراجعتهم له وهذا أمر لا يشركه فيه غيره وكان عمر أقرب اليه فى ذلك ثم عثمان وأما على فقاتلهم فقاتلوه فلا قوّمهم ولا قوّموه فأى الامامين حصل به مقصود الامامة أكثر وأى الامامين أقام الدين ورد المرتدين وقاتل الكافرين واتفقت عليه كلمة المؤمنين هل يشبه هذا بهذا الا من هو فى غاية النقص من العقل والدين

﴿فصل﴾ قال الرافضى (الثانى) قول عمر كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه وكونها فلتة يدل على أنها لم تقع عن رأى صحيح ثم سأل وقاية شرها ثم أمر بقتل من يعود الى مثلها وكان ذلك يوجب الطعن فيه

(والجواب) أن لفظ عمر ماثبت فى الصحيحين عن ابن عباس من خطبة عمر التى قال فيها انه قد بلغنى أن قائلا منكم يقول والله لومات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول انما كانت بيعة أبى بكر فلتة ألا وانها قد كانت كذلك ولكن قد وقى الله شرها وليس فيكم من تقطع اليه الاعناق مثل أبى بكر من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا وانه كان من خيرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وفيه أن الصديق قال وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فيضرب عنقى لا يقربنى من اثم أحب الىّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم الا أن تسوّل لى نفسى شيأ عند الموت لا أجده الآن وقد تقدم الحديث بكماله ومعنى ذلك أنها وقعت فجأة لم نكن قد استعددنا لها ولا تهيأنا لان أبا بكر كان متعينا لذلك فلم يكن يحتاج فى ذلك الى أن يجتمع لها الناس اذ كلهم يعلمون أنه أحق بها

وليس

واحدا من حيث ان مسمى واجب الوجود مركب من الذات المتصفة بالوجوب ومن الوجوب الذاتى فما هو العذر عنه مع اتحاد واجب الوجود فهو العذر مع تعدده * قلت الوجه الاول ذكره الرازى قبله فى ابطال هذا والوجه الثانى ذكره الرازى كما ذكره الشهرستانى قبله وهو أن هذا منقوض بمشاركة واجب الوجود لسائر الموجودات فى مسمى الوجود وامتيازه عنها بوجوب الوجود فقد صار فيه على أصلكم مابه الاشتراك ومابه الامتياز والآمدى يقول ان وجوب الوجود بالاشتراك اللفظى وقاله قبله الشهرستانى والرازى مع تناقضهما فى ذلك وقولهما فى موضع آخر خلاف ذلك والمقصود هنا ان ماذكروه فى ابطال تعدد واجب الوجود وافساد طرق ابن سينا وأتباعه فى ذلك يبين بطلان ما أحال عليه فى قوله لا يجوز أن تكون الاجزاء كلها واجبة على ماسيأتى تحقيقه فى مسئلة التوحيد ومن أعجب خذلان

وليس بعد أبي بكر من يجتمع الناس على تفضيله واستحقاقه كما اجتمعوا على ذلك في أبي بكر فمن أراد أن ينفرد ببيعة رجل دون ملأ من المسلمين فاقتلوه وهو لم يسأل وقاية شرها بل أخبر أن الله وقى شر الفتنة بالاجماع

(فصل) قال الرافضي (الثالث) قصورهم في العلم والتجاؤهم في أكثر الاحكام الى علي

(والجواب) أن هذا من أعظم البهتان أما أبو بكر فما عرف أنه استفاد من علي شيأ أصلا وعلي قد روى عنه واحتذى حذوه واقتدى بسيرته وأما عمر فقد استفاد علي منه أكثر مما استفاد عمر منه وأما عثمان فقد كان أقل علما من أبي بكر وعمر ومع هذا فما كان يحتاج الى علي حتى ان بعض الناس شكا الى علي بعض سعاة عمال عثمان فأرسل اليه بكتاب الصدقة فقال علي لا حاجة لنا به وصدق عثمان وهذه فرائض الصدقة ونصبها التي لا تعلم الا بالتوقيف فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي من أربع طرق أصحها عند علماء المسلمين كتاب أبي بكر الذي كتبه لانس بن مالك وهذا هو الذي رواه البخاري وعمل به أكثر الائمة وبعده كتاب عمر وأما الكتاب المنقول عن علي ففيه أشياء لم يأخذ بها أحد من العلماء مثل قوله في خمس وعشرين شاة فان هذا خلاف النصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا كان ما روى عن علي اما منسوخ واما خطأ في النقل والرابع كتاب عمرو بن حزم كان قد كتبه لما بعثه الى نجران وكتاب أبي بكر هو آخر الكتب فكيف يقول عاقل انهم كانوا يلجؤن اليه في أكثر الاحكام وقضاته لم يكونوا يلتجؤن اليه بل كان شريح وعبيدة السلماني ونحوهما من القضاة الذين كانوا في زمن علي يقضون بما تعلموه من غير علي وكان شريح قد تعلم من معاذ بن جبل وغيره من الصحابة وعبيدة تعلم من عمر وغيره وكانوا لا يشاورونه في عامة ما يقضون به استغناء بما عندهم من العلم فكيف يقال ان عمر وعثمان كانا يلتجئان اليه في أكثر الاحكام وقد قال علي كان رأيي ورأي عمر في أمهات الاولاد أن لا يبعن والآن قد رأيت أن يبعن فقال له عبيدة السلماني رأيك مع عمر في الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك في الفرقة فهذا قاضيه لا يرجع الى رأيه في هذه المسئلة مع أن أكثر الناس انما منع بيعها تقليدا لعمر ليس فيها نص صريح صحيح فاذا كانوا لا يلتجؤن اليه في هذه المسئلة فكيف يلتجؤن اليه في غيرها وفيها من النصوص ما يشفي ويكفي وانما كان يقضي ولا يشاور عليا وربما قضى بقضية أنكرها علي لمخالفتها قول جمهور الصحابة كابني عم أحدهما أخ لأم قضى له بالمال فأنكر ذلك علي وقال بل يعطى السدس ويشتركان في الباقي وهذا قول سائر الصحابة زيد وغيره فلم يكن الناس مقلدين في ذلك أحدا وقول علي في الجد لم يقل به أحد من العلماء الا ابن أبي ليلى وأما قول ابن مسعود فقال به أصحابه وهم أهل الكوفة وقول زيد قال به خلق كثير وأما قول الصديق فقال به جمهور الصحابة وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتابا كبيرا فيما لم يأخذ به المسلمون من قول علي لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب والسنة وكان المرجوح من قوله أكثر من المرجوح من قول أبي بكر وعمر وعثمان والراجح من أقاويلهم أكثر فكيف انهم كانوا يلتجؤن اليه في أكثر الاحكام

(فصل) قال الرافضي (الرابع) الوقائع الصادرة عنهم وقد تقدم أكثرها

(قلنا الجواب) قد تقدم عنها مجملا ومفصلا وبيان الجواب عما ينكر عليهم أيسر من الجواب عما ينكر على علي وانه لا يمكن أحدا له علم وعدل أن يجرحهم ويزكي عليا بل متى زكى عليا كانوا

المخالفين للسنة وتضعيفهم للحجة اذا نصر بها حق وتقويتها اذا نصر بها باطل أن حجة الفلاسفة على التوحيد قد أبطلها لما استدلوا بها على أن الاله واحد والمدلول حق لا ريب فيه وان قد ضعف الحجة ثم انه احتج بها بعينها على نفي لوازم علو الله على خلقه بل ما يستلزم تعطيل ذاته فجعلها حجة فيما يستلزم التعطيل ويبطلها اذا احتج بها على التوحيد وأيضا فما ذكره في ابطال هذه الحجة يبطل الوجه الاول أيضا فانه اذا لم يمتنع واجبان بأنفسهما فأن لا يمتنع جزآن كل منهما واجب بنفسه بطريق الاولى والأحرى واعلم أن الوجهين اللذين أبطلا بهما الحجة أحدهما منع كون الوجوب أمرا ثبوتيا والثاني المعارضة أما المعارضة فواردة على هؤلاء الفلاسفة لا مندوحة لهم عنها ومعارضة الشهرستاني والرازي وأظن الغزالي أجود من معارضة الآمدي ومن اعتذر عن ذلك بان الواجب لفظ مشترك لزم بطلان توحيد الفلاسفة

أولى بالتزكية وان جرحهم كان قد طرق الجرح الى على بطريق الاولى والرافضة ان طردت قولها لزمها جرح على أعظم من جرح الثلاثة وان لم تطرده تبين فساده وتناقضه وهو الصواب كما يلزم مثل ذلك اليهود والنصارى اذا قدحوا فى نبوة محمد دون نبوة موسى وعيسى فما يورد الكتابى على نبوة محمد سؤالا الا ورد على نبوة موسى وعيسى أعظم منه وما يورد الرافضى على امامة الثلاثة الاورد على امامة على ماهو أعظم منه وما يورد الفيلسوف على أهل الملل يرد عليه ماهو أعظم منه وهكذا كل من كان أبعد عن الحق من غيره يرد عليه أعظم مما يرد على الاقرب ومن الطرق الحسنة فى مناظرة هذا أن يورد عليه من جنس مايورده على أهل الحق وما هو أغلظ منه فان المعارضة نافعة وحينئذ فان فهم الجواب الصحيح علم الجواب عما يورد على الحق وان وقع فى الحيرة والعجز عن الجواب اندفع شره بذلك وقيل له جوابك عن هذا هو جوابنا عن هذا

(فصل) قال الرافضى (الخامس) قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين أخبر بأن عهد الامامة لا يصل الى الظالم والكافر ظالم لقوله والكافرون هم الظالمون ولا شك فى ان الثلاثة كانوا كفارا يعبدون الاصنام الى ان ظهر النبى صلى الله عليه وسلم

(والجواب) من وجوه أحدها أن يقال الكفر الذى يعقبه الايمان الصحيح لم يبق على صاحبه منه ذم هذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام بل من دين الرسل كلهم كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله وفى لفظ يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله (الثانى) أنه ليس كل من ولد على الاسلام بأفضل ممن أسلم بنفسه بل قد ثبت بالنصوص المستفيضة أن خير القرون القرن الاول وعامتهم أسلموا بانفسهم بعد الكفر وهم أفضل من القرن الثانى الذين ولدوا على الاسلام ولهذا قال أكثر العلماء انه يجوز على الله أن يبعث ممن آمن بالانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فانه اذا جاز أن يبعث نبيا من ذرية ابراهيم وموسى فمن الذين آمنوا بهما أولى وأحرى كما قال تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وقال تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وقال تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا الآية وطرد هذا من باب الذنب وغفر انه له لم يقدح فى علو درجته كائنا من كان والرافضة لهم فى هذا الباب قول فارقوا به الكتاب والسنة واجماع السلف ودلائل العقول والتزموا لاجل ذلك ما يعلم بطلانه بالضرورة كدعواهم ايمان آزر وأبوى النبى وأجداده وعمه أبى طالب وغير ذلك (الثالث) أن يقال قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد مؤمنا من قريش لا رجل ولا صبى ولا امرأة ولا الثلاثة ولا على واذا قيل عن الرجال انهم كانوا يعبدون الاصنام والصبيان كذلك على وغيره وان قيل كفر الصبى ليس مثل كفر البالغ قيل ولا ايمان الصبى مثل ايمان البالغ فأولئك يثبت لهم حكم الايمان والكفر وهم بالغون وعلى يثبت له حكم الكفر والايمان وهو دون البلوغ والصبى المولود بين أبوين كافرين يجرى عليه حكم الكفر فى الدنيا باتفاق المسلمين واذا أسلم قبل البلوغ على قولين للعلماء بخلاف البالغ فانه يصير مسلما باتفاق المسلمين فكان اسلام الثلاثة مخرجا لهم من الكفر باتفاق المسلمين وأما اسلام على فهل يكون

بطريق الاولى فانه لا محذور وحينئذ فى اثبات أمور متعددة كل منها يقال له واجب الوجود بمعنى غير ما يقال للآخر فبكل حال يلزم اما لزوم التركيب واما بطلان توحيدهم وأيهما كان لازما لزم الآخر فانه اذا لزم التركيب بطل توحيدهم واذا بطل توحيدهم أمكن تعدد الواجب وهذا يبطل امتناع التركيب ولا ريب أن أصل كلامهم بل وكلام نفاة العلو والصفات مبنى على ابطال التركيب واثبات بسيط كلى مطلق مثل الكليات وهذا الذى يثبتونه لا يوجد الا فى الاذهان والذى أبطلوه هو لازم لكل الاعيان فأثبتوا ممتنع الوجود فى الخارج وأبطلوا واجب الوجود فى الخارج ونحن نبين بطلان ذلك بغير ما ذكره هؤلاء فنقول قول القائل اما أن يقال باتفاقهما من كل وجه أو اختلافهما من كل وجه أو اتفاقهما من وجه دون وجه ان أريد به أنهما يتفقان فى شئ بعينه موجود فى الخارج فليس فى الموجودات شيآن ما يتفقان فى شئ بعينه موجود

مخرجاً له من الكفر على قولين مشهورين ومذهب الشافعي ان اسلام الصبي غير مخرج له من الكفر وأما كون صبي من الصبيان قبل النبوة سجد لصنم أولم يسجد فهو لم يعرف فلا يمكن الجزم بأن عليا أوالزبير أونحوهما لم يسجد والصنم كما أنه ليس معنا نقل بثبوت ذلك بل ولا معنا نقل معين عن أحد من الثلاثة أنه سجد لصنم بل هذا يقال لان من عادة قريش قبل الاسلام أن يسجدوا للاصنام وحينئذ فهذا ممكن في الصبيان كما هو العادة في مثل ذلك (الرابع) أن أسماء الذم كالكفر والظلم والفسق التي في القرآن لا تتناول الا من كان مقيما على ذلك وأما من صار مؤمنا بعد الكفر وعادلا بعد الظلم وبرا بعد الفجور فهذا تتناوله أسماء المدح دون أسماء الذم باتفاق المسلمين فقوله عز وجل لا ينال عهدي الظالمين أي ينال العادل دون الظالم فاذا قدر أن شخصا كان ظالما ثم تاب وصار عادلا يتناوله العهد كما يتناوله سائر آيات المدح والثناء كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وقوله ان المتقين في جنات ونعيم (الخامس) أن من قال ان المسلم بعد ايمانه كافر فهو كافر باجماع المسلمين فكيف يقال عن أفضل الخلق ايمانا انهم كفار لاجل ما تقدم (السادس) انه قال لموسى اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم (السابع) أنه قال انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الآية فقد أخبر الله عن جنس الانسان أنه ظلوم جهول واستثنى من العذاب من تاب ونصوص الكتاب صريحة في أن كل بني آدم لابد أن يتوب وهذه المسئلة متعلقة بمسئلة العصمة هل الانبياء معصومون من الذنوب أم لا فيحتاجون الى التوبة والكلام فيها مبسوط قد تقدم

(فصل) قال الرافضي (السادس) قول أبي بكر أقيلوني فلست بخيركم ولو كان اماما لم يجز له طلب الاقالة

(والجواب) أن هذا أولا كان ينبغي أن يبين صحته والا فما كل منقول صحيح والقدح بغير الصحيح لا يصح وثانيا ان صح هذا عن أبي بكر لم تجز معارضته بقول القائل الامام لا يجوز له طلب الاقالة فان هذه دعوى مجردة لا دليل عليها فلم لا يجوز له طلب الاقالة ان كان قال ذلك بل ان كان قاله لم يكن معنا اجماع على نقيض ذلك ولا نص فلا يجب الجزم بانه باطل وان لم يكن قاله فلا يضر تحريم هذا القول وأما تثبيت كون الصديق قاله والقدح في ذلك بمجرد الدعوى فهو كلام من لا يبالي ما يقول وقد يقال وهذا يدل على الزهد في الولاية والورع فيها وخوف الله أن لا يقوم بحقوقها وهذا يناقض ما يقوله الرافضة انه كان طالبا للرياسة راغبا في الولاية

(فصل) قال الرافضي (السابع) قول أبي بكر عند موته ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل للانصار في هذا الامر حق وهذا يدل على شكه في صحة بيعة نفسه مع أنه الذي دفع الانصار يوم السقيفة لما قالوا منا أمير ومنكم أمير بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش

(والجواب) أما قول النبي صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش فهو حق ومن قال ان الصديق شك في هذا أو في صحة امامته فقد كذب ومن قال ان الصديق قال ليتني كنت سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل للانصار في الخلافة نصيب فقد كذب فان المسألة عنده وعند الصحابة

في الخارج ولكن يشتبهان من بعض الوجوه مع أن كلا منهما مختص بما قام به نفسه كالبياضين أوالابيضين المشتبهين مع أنه ليس في أحدهما شيء مما في الآخر وان أراد بقوله أواختلافهما من كل وجه أنهما لا يشتبهان في شيء ما ولا يشتركان في شيء ما فليس في الوجود شيآن الا بينهما اشتراك في شيء وتشابه في شيء ما ولو أنه مسمى الوجود وان أراد امتياز أحدهما عن الآخر فكل منهما ممتاز عن الآخر من وجه وان كانا مشتركين في شيء بمعنى اشتباههما لا بمعنى أن في الخارج شيأ بعينه اشتركا فيه كما يشترك الشركاء في العقار واذا عرف أن هذه الالفاظ مجملة فنقول هما مشتبهان مشتركان في وجوب الوجود كما أن كل متفقين في اسم متواطئ بالمعنى العام سواء كان متماثلا وهو التواطؤ الخاص او مشككا وهو المقابل للتواطئ الخاص كالموجودين والحيوانين والانسانين والسوادين اشتركا في مسمى اللفظ الشامل لهما مع أن

أظهر من أن يشك فيها لكثرة النصوص فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على بطلان هذا النقل وإن قدر صحته ففيه فضيلة للصديق لانه لم يكن يعرف النص واجتهد فوافق اجتهاده النص ثم من اجتهاده وورعه تمنى أن يكون معه نص بعينه على الاجتهاد فهذا يدل على كمال علمه حيث وافق اجتهاده النص ويدل على ورعه حيث خاف أن يكون مخالفا النص فأى قدح في هذا

(فصل) قال الرافضي (الثامن) قوله في مرض موته ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكبسه وليتني كنت في ظلة بني ساعدة ضربت على يد أحد الرجلين وكان هو الأمير وكنت الوزير وهذا يدل على اقدامه على بيت فاطمة عند اجتماع أمير المؤمنين والزبير وغيرهما فيه

(والجواب) أن القدح لا يقبل حتى يثبت اللفظ باسناد صحيح ويكون دالا دلالة ظاهرة على القدح فاذا انتفت احداهما انتفى القدح فكيف اذا انتفى كل منهما ونحن نعلم يقينا أن أبا بكر لم يقدم على علي والزبير بشئ من الاذى بل ولا على سعد بن عبادة المتخلف عن بيعته أولا وآخرا وغاية ما يقال انه كبس البيت لينظر هل فيه شئ من مال الله الذى يقسمه وان يعطيه لمستحقه ثم رأى أنه لو تركه لهم لجاز فانه يجوز أن يعطيهم من مال الفئ وأما اقدامه عليهم أنفسهم بأذى فهذا ما وقع فيه قط باتفاق أهل العلم والدين وانما ينقل مثل هذا جهال الكذابين ويصدقه حمقى العالمين الذين يقولون ان الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى اسقطت وهذا كله دعوى مختلق وافك مفترى باتفاق أهل الاسلام ولا يروج الا على من هو من جنس الأنعام وأما قوله ليتني كنت ضربت على يد أحد الرجلين فهذا لم يذكر له اسنادا ولم يبين صحته فان كان قاله فهو يدل على زهده وورعه وخوفه من الله تعالى

(فصل) قال الرافضي (التاسع) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جهزوا جيش أسامة وكرر الامر وكان فيهم أبو بكر وعمر وعثمان ولم ينفذ أمير المؤمنين لأنه أراد منعهم من الوثب على الخلافة بعده فلم يقبلوا منه

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة بصحة النقل فان هذا لا يروى باسناد معروف ولا صححه أحد من علماء النقل ومعلوم أن الاحتجاج بالمنقولات لا يسوغ الا بعد قيام الحجة بثبوتها والا فيمكن أن يقول كل أحد ما شاء (الثاني) أن هذا كذب باجماع علماء النقل فلم يكن في جيش أسامة لا أبو بكر ولا عثمان وانما قد قيل انه كان عمر وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استخلف أبا بكر على الصلاة حتى مات وصلى أبو بكر رضي الله عنه الصبح يوم موته وقد كشف سجف الحجرة فرآهم صفوفا خلف أبي بكر فسر بذلك فكيف يكون مع هذا قد أمره أن يخرج في جيش أسامة (الثالث) أن النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد تولية علي لكان هؤلاء أعجز أن يدفعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكان جمهور المسلمين أطوع لله ورسوله من أن يدعوا هؤلاء يخالفون أمره لا سيما وقد قاتل ثلث المسلمين أو أكثر مع علي لمعاوية وهم لا يعلمون أن معه نصا فلو كان معه نص لقاتل معه جمهور المسلمين (الرابع) أنه أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ولم يأمر عليا فلو كان علي هو الخليفة لكان يأمره بالصلاة بالمسلمين فكيف ولم يؤمر عليا على أبي بكر قط بل في الصحيحين أنه لما ذهب يصلح بين بني عمرو بن عوف قال لبلال اذا حضرت الصلاة فرأبا بكر أن يصلي بالناس وكذلك في مرضه ولما أراد اقامة الحج أمر أبا بكر أن

كلا منهما متميز في الخارج عن الآخر من كل وجه فهما لم يشتركا في أمر يختص بأحدهما بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه وانما اشتركا في مطلق الوجود والوجود المطلق المشترك الكلي لا يكون كليا الا في هذا ولا في هذا بل هو كلي في الأذهان مختص في الاعيان واذا قيل الكلي الطبيعي موجود فمعناه أن ما كان كليا في الذهن يوجد في الخارج لكن لا يتصور اذا وجد أن يكون كليا كما يقال العام موجود في الخارج وهو لا يوجد عاما وقوله اما أن يختلفا من كل وجه أو يتفقا من كل وجه قلنا اذا أريد بالاختلاف ضد الاشتباه فقد يقال ليسا مختلفين من كل وجه وان أريد الامتياز فهما مختلفان من كل وجه وقوله اذا كانا متفقين من كل وجه زال الامتياز يصح اذا أريد بالاختلاف ضد الامتياز فانهما اذا لم يتميز أحدهما عن الآخر بوجه بطل الامتياز واما اذا أريد بالاتفاق التشابه والتماثل فقد يكونان متماثلين

يحج وأردفه بعلى تابعاله وأبو بكر هو الامام الذى يصلى بالناس بعلى وغيره ويأمر عليا وغيره فيطيعونه وقد أمر أبابكر على على فى حجة سنة تسع وكان أبو بكر مؤمرا عليهم اماما لهم

(فصــل) قال الرافضى (العاشر) أنه لم يول أبابكر شيأ من الأعمال وولى عليه

(والجواب) من وجوه أحدها أن هذا باطل بل الولاية التى ولاها أبا بكر لم يشركه فيها أحد وهى ولاية الحج وقد ولاه غير ذلك (الثانى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قد ولى من هو باجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبى بكر مثل عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وخالد ابن الوليد فعلم انه لم يترك ولايته لكونه ناقصا عن هؤلاء (الثالث) أن عدم ولايته لا يدل على نقصه بل قد يترك ولايته لانه عنده أنفع له منه فى تلك الولاية وحاجته اليه فى المقام عنده وغنائه عن المسلمين أعظم من حاجته اليه فى تلك الولاية فانه هو وعمر كانا مثل الوزيرين له يقول كثيرا دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر وكان أبو بكر يسمر عنده عامة ليله وعمر لم يكن يولى أهل الشورى عثمان وطلحة والزبير وغيرهم وهم عنده أفضل ممن ولاه مثل عمرو بن العاص ومعاوية وغيرهما لان انتفاعه بهؤلاء فى حضوره أكمل من انتفاعه بواحد منهم فى ولاية يكفى فيها من دونهم وأبو بكر كان يدخل مع النبى صلى الله عليه وسلم ويليه عمر وقال لهما اذا اتفقتما على شئ لم أخالفكما واذا قدم عليه الوفد شاورهما فقد يشير هذا بشئ ويشير هذا بشئ ولذلك شاورهما فى اسرى بدر وكان مشاورته لابى بكر أغلب فاجتماعه به أكثر هذا أمر يعلمه من تدبر الاحاديث الصحيحة التى يطول ذكرها

(فصــل) قال الرافضى (الحادى عشر) أنه صلى الله عليه وسلم انفذه لاداء سورة براءة ثم أنفذ عليا وأمره برده وأن يتولى هو ذلك ومن لا يصلح لاداء سورة أو بعضها فكيف يصلح للامامة العامة المتضمنة لاداء الاحكام الى جميع الامة

(والجواب) من وجوه أحدها أن هذا كذب باتفاق أهل العلم وبالتواتر العام فان النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع لم يرده ولا رجع بل هو الذى أقام للناس الحج ذلك العام وعلى من جملة رعيته يصلى خلفه ويدفع بدفعه ويأتمر بأمره كسائر من معه وهذا من العلم المتواتر عند أهل العلم لم يختلف اثنان فى أن أبا بكر هو الذى أقام الحج ذلك العام بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فكيف يقال انه أمره برده ولكن أردفه لينبذ الى المشركين عهدهم لان عادتهم كانت جارية أن لا يعقد العهود ولا يحلها الا المطاع أو رجل من أهل بيته فلم يكونوا يقبلون ذلك من كل أحد وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال بعثنى أبو بكر الصديق فى الحجة التى أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى وأمره أن يؤذن ببراءة فأذن على معنا فى أهل منى يوم النحر ببراءة وبان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ أبو بكر الى الناس فى ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع التى حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك قال أبو محمد بن حزم وما حصل فى حجة الصديق كان من أعظم فضائله لانه هو الذى خطب بالناس فى ذلك الموسم والجمع العظيم والناس منصتون لخطبته يصلون خلفه وعلى من جملتهم وفى السورة فضل أبى بكر وذكر الغار فقرأها على على الناس فهذا مبالغة فى فضل أبى بكر وحجة قاطعة وتأميره لابى بكر على على هذا كان بعد قوله

من كل وجه كتماثل أجزاء الماء الواحد والتماثل لا يوجب أن يكون أحد المثلين هو الآخر بل لابد أن يكون غيره وحينئذ فقوله مابه الاشتراك غير مابه الامتياز قلنا لم يشتركا فى شئ خارجى حتى يحوجهما الاشتراك فيه الى الامتياز بل هما ممتازان بأنفسهما وانما تشابها أو تماثلا فى شئ والمتماثلان لا يحوجهما التماثل الى مميز بين عينيهما بل كل منهما ممتاز عن الآخر بنفسه وقوله مابه الاشتراك اما وجوب الوجود أو غيره قلنا كل منهما مختص بوجوب وجوده الذى يخصه كما هو مختص بسائر صفاته التى تخص نفسه وهو أيضا مشابه الآخر فى وجوب الوجود فما اشتركا فيه من الكلى لا يقبل الاختصاص وما اختص به كل منهما عن الآخر لا يقبل الاشتراك فضلا عن أن يكون ما اشتركا فيه محتاجا الى مخصص وما اختص به كل منهما يقارنه فيه مشترك وحينئذ فالاشتراك فى وجوب الوجود المشترك والامتياز

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ولا ريب أن هذا الرافضي ونحوه من شيوخ الرافضة من أجهل الناس بأحوال الرسول وسيرته وأموره ووقائعه يجهلون من ذلك ما هو متواتر معلوم لمن له أدنى معرفة بالسيرة ويجيئون الى ما وقع فيقلبونه و يزيدون فيه وينقصون وهذا القدر وان كان الرافضي لم يفعله فهو فعل شيوخه وسلفه الذين قلدهم ولم يحقق ما قالوه ويراجع ما هو المعلوم عند أهل العلم المتواتر عندهم المعلوم لعامتهم وخاصتهم (الثاني) قوله الامامة العامة متضمنة لاداء جميع الاحكام الى الامة قول باطل فالاحكام كلها قد تلقتها الامة عن نبيها لا تحتاج فيها الى الامام الا كما تحتاج الى نظائره من العلماء وكانت عامة الشريعة التي يحتاج الناس اليها عند الصحابة معلومة ولم يتنازعوا زمن الصديق في شئ منها الا واتفقوا بعد النزاع بالعلم بالذي كان يظهره بعضهم لبعض وكان الصديق يعلم عامة الشريعة واذا خفي عنه الشئ اليسير سأل عنه الصحابة ممن كان عنده علم ذلك كما سألهم عن ميراث الجد فأخبره من أخبره منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه السدس ولم يعرف لأبي بكر فتيا ولا حكم خالف نصا وقد عرف لعمر وعثمان وعلي من ذلك شئ والذي عرف لعلي أكثر مما عرف لهما مثل قوله في الحامل المتوفى عنها زوجها انها تعتد أبعد الاجلين وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسبيعة الاسلمية لما وضعت بعد وفاة زوجها بثلاث ليال حللت فانكحي من شئت ولما قالت له ان أبا السنابل قال ما أنت بناكحة حتى يمضي عليك آخر الاجلين قال كذب أبو السنابل وقد جمع الشافعي في كتاب خلاف علي وعبد الله من أقوال علي التي تركها الناس لمخالفتها النص أو معنى النص جزأ كبيرا وجمع بعده محمد بن نصر المروزي أكثر من ذلك فانه كان اذا ناظره الكوفيون يحتج بالنصوص فيقولون نحن أخذنا بقول علي وابن مسعود فجمع لهم أشياء كثيرة من قول علي وابن مسعود تركوه وتركه الناس يقول اذا جاز لكم خلافهما في تلك المسائل لقيام الحجة على خلافهما فكذلك في سائر المسائل ولم يعرف لابي بكر مثل هذا (الثالث) أن القرآن بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم كل أحد من المسلمين فيمتنع أن يقال ان أبا بكر لم يكن يصلح لتبليغه (الرابع) أنه لا يجوز أن يظن أن تبليغ القرآن يختص بعلي فان القرآن لا يثبت بخبر الآحاد بل لابد أن يكون منقولا بالتواتر (الخامس) أن الموسم ذلك العام كان يحج فيه المسلمون والمشركون وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن ينادي في الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان كما ثبت في الصحيحين فأي حاجة كانت بالمشركين الى أن يبلغوا القرآن والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) قال الرافضي (الثاني عشر) قول عمر ان محمدا لم يمت وهذا يدل على قلة علمه وأمر برجم حامل فنهاه علي فقال لولا علي لهلك عمر وغير ذلك من الاحكام التي غلط فيها وتلون فيها

(والجواب) أن يقال أولا ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر ومثل هذا لم يقله لعلي وأنه قال رأيت اني أتيت بقدح فيه لبن فشربت حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم فعمر كان أعلم الصحابة بعد أبي بكر وأما كونه ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت فهذا كان ساعة ثم تبين له موته ومثل هذا يقع كثيرا قد يشك الانسان في موت ميت ساعة وأكثر ثم يتبين له موته وعلي قد تبين له أمور بخلاف ما كان يعتقده فيها أضعاف ذلك

بوجوب الوجود المختص والاشتراك أيضا في كل مشترك والامتياز بكل مختص وقوله وان كان الاشتراك بوجوب الوجود فهو ممتنع لوجهين أحدهما أن المشترك اما أن يتم بدون ما به الافتراق وذلك محال والا كان المطلق متحققا في الاعيان من غير مختص وان لم يتم الا بما به الافتراق كان وجوب الوجود ممكنا لافتقاره في تحققه الى غيره * قلنا ان أريد بالمشترك بينهما المعنى المطلق الكلي فذلك لا يفتقر الى ما به الامتياز وليس له ثبوت في الاعيان حتى يقال انه يلزم أن يكون المطلق في الاعيان من غير مختص وان أريد به ما يقوم بكل منهما من المشترك وهو ما يوجد في الاعيان من الكلي فذلك لا اشتراك فيه في الاعيان فان كل ما لاحدهما فهو مختص به لا اشتراك فيه وحينئذ فالموجود من الوجوب هو مختص بأحدهما بنفسه لا يفتقر الى مخصص فلا يكون الوجوب الذي لكل منهما في الخارج مفتقرا الى مخصص واذا

بل ظن كثيرا من الاحكام على خلاف ماهى عليه ومات على ذلك ولم يقدح ذلك فى امامته كفتياه فى المفوضة التى ماتت ولم يفرض لها وأمثال ذلك مما هو معروف عند أهل العلم وأما الحامل فان كانت لم يعلم انها حامل فهو من هذا الباب فانه قد يكون أمر برجمها ولم يعلم أنها حامل فأخبره على أنها حامل فقال لولا أن عليا أخبرنى بها لرجمتها فقتلت الجنين فهذا هو الذى خاف منه وان قدر أنه كان يظن جواز رجم الحامل فهذا مما قد يخفى فان الشرع قد جاء فى موضع بقتل الصبي والحامل تبعا كما اذا احوصر الكفار فان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر أهل الطائف ونصب عليهم المنجنيق وقد يقتل النساء والصبيان وفى الصحيح أنه سئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وصبيانهم فقال هم منهم وقد ثبت عنه أنه نهى عن قتل النساء والصبيان وقد اشتبه هذا على طائفة من أهل العلم فمنعوا من البيات خوفا من قتل النساء والصبيان فكذلك قد يشتبه على من ظن جواز ذلك ويقول ان الرجم حد واجب على الفور فلا يجوز تأخيره لكن السنة فرقت بين ما أمكن تأخيره كالحد وبين ما يحتاج اليه كالبيات والحصار وعمر رضى الله عنه كان يراجعه آحاد الناس حتى فى مسئلة الصداق قالت امرأة أمنك نسمع أم من كتاب الله فقال من كتاب الله فقالت ان الله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال امرأة أصابت ورجل أخطأ وكذلك كان يرجع الى عثمان وغيره وهو أعلم من هؤلاء كلهم وصاحب العلم العظيم اذا رجع الى من هو دونه فى بعض الامور لم يقدح هذا فى كونه أعلم منه فقد تعلم موسى من الخضر ثلاث مسائل وتعلم سليمان من الهدهد خبر بلقيس وكان الصحابة فيهم من يشير على النبى صلى الله عليه وسلم وكان عمر أكثر الصحابة مراجعة للنبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بموافقته فى مواضع كالحجاب وأسارى بدر واتخاذ مقام ابراهيم مصلى وقوله عسى ربه ان طلقكن وغير ذلك وهذه الموافقة والمراجعة لم تكن لعثمان ولا لعلى وفى الترمذى لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر ولو كان بعدى نبى لكان عمر

(فصل) قال الرافضى (الثالث عشر) أنه ابتدع التراويح مع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الصلاة بالليل فى شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة وصلاة الضحى بدعة فان قليلا فى سنة خير من كثير فى بدعة ألا وان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار وخرج عمر فى شهر رمضان ليلا فرأى المصابيح فى المساجد فقال ماهذا فقيل له ان الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع فقال بدعة ونعمت البدعة فاعترف بأنها بدعة

(فيقال) ما روى فى طوائف أهل البدع والضلال أجرأ من هذه الطائفة الرافضة على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولها عليه ما لم يقله والوقاحة المفرطة فى الكذب وان كان فيهم من لا يعرف أنها كذب فهو مفرط فى الجهل كما قال

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

(والجواب) من وجوه أحدها المطالبة فيقال ما الدليل على صحة هذا الحديث وأين اسناده وفى أى كتاب من كتب المسلمين روى هذا ومن قال من أهل العلم بالحديث ان هذا صحيح (الثانى) أن جميع أهل المعرفة بالحديث يعلمون علما ضروريا أن هذا من الكذب الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدنى من له معرفة بالحديث يعلم أنه كذب لم يروه أحد من

لم يكن ذلك بطل ما احتجوا به على كونه ممكنا وأما المشترك الكلى المطلق من الوجوب فذلك ليس موجودا لهذا ولا لهذا ولا متحققا فى الاعيان وحينئذ فلا يلزم أن الكلى يتحقق فى الاعيان بلا مخصص وأيضا فيقال هب أن المشترك لا يتحقق فى الاعيان الا بالمخصص فهذا لا يمنع وجوب وجوده اذ الواجب هو ما لا فاعل له ليس هو ما لا لازم له ولا ملزوم له وهذا الآمدى ذكر هذا فيما تقدم وبين أن الوجود الواجب لا يمتنع توقفه على القابل وانما يمتنع توقفه على الفاعل وبهذا يبطل الوجه الثانى وهو كون الوجود الواجب مركبا مما به الاشتراك وما به الامتياز ولكن كل منهما موصوف بصفة يشابه بها الآخر وهو الوجوب واتصاف الموصوف بصفة يشابه بها غيره من وجه وأمر يختص به انما يوجب ثبوت معان تقوم به وأن ذاته مستلزمة لتلك المعانى وهذا لا ينافى وجوب الوجود بل لا يتم وجوب

المسلمين فى شئ من كتبه لا كتب الصحيح ولا السنن ولا المسانيد ولا المعجمات ولا الاجزاء ولا يعرف له اسناد لا صحيح ولا ضعيف بل هو كذب بين (الثالث) أنه قد ثبت أن الناس كانوا يصلون بالليل فى رمضان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وثبت أنه صلى بالمسلمين جماعة ليلتين أو ثلاثا ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى صلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق رجال يقولون الصلاة فلم يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد فانه لم يخف على مكانكم ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك وذلك فى رمضان وعن أبى ذر قال صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا شيأ من الشهر حتى بقى سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فقلت يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة قال ان الرجل اذا صلى مع الامام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة فلما كانت الليلة الرابعة لم يقم بنا فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قلت وما الفلاح قال السحور ثم لم يقم بنا بقية الشهر رواه أحمد والترمذى والنسائى وأبو داود وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة و يقول من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر وخرج البخارى عن عبد الرحمن ابن عبد القارى قال خرجت مع عمر ليلة من رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه و يصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر إنى لأرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعمت البدعة هذه والتى تنامون عنها أفضل من التى تقومون يريد بذلك آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وهذا الاجتماع العام لما لم يكن قد فعل سماه بدعة لان ما فعل ابتداء يسمى بدعة فى اللغة وليس ذلك بدعة شرعية فان البدعة الشرعية التى هى ضلالة هى ما فعل بغير دليل شرعى كاستحباب ما لم يحبه الله وايجاب ما لم يوجبه الله وتحريم ما لم يحرمه الله فلا بد مع الفعل من اعتقاد يخالف الشريعة والا فلو عمل الانسان فعلا محرما يعتقد تحريمه لم يقل انه فعل بدعة (الرابع) أن هذا لو كان قبيحا منهيا عنه لكان على أبطله لما صار أمير المؤمنين وهو بالكوفة فلما كان جاريا فى ذلك مجرى عمر دل على استحباب ذلك بل روى عن على أنه قال نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا وعن أبى عبد الرحمن السلمى أن عليا دعا القراء فى رمضان فأمر رجلا منهم يصلى بالناس عشرين ركعة وكان على يوتر بهم وعن عرفجة الثقفى قال كان على يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال اماما وللنساء اماما قال عرفجة فكنت أنا امام النساء رواهما البيهقى فى سننه وقد تنازع العلماء فى قيام رمضان هل فعله فى المسجد جماعة أفضل أم فعله فى البيت أفضل على قولين مشهورين هما قولان للشافعى وأحمد وطائفة يرجحون فعلها فى المسجد جماعة منهم الليث وأما مالك وطائفة فيرجحون فعلها فى البيت ويحتجون بقول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة المرء

الوجود الابه ولو سلم أن مثل هذا تركيب فلا نسلم أن مثل هذا التركيب ممتنع كما تقدم بيانه فقد تبين بطلان الوجه الاول من وجهين و بطلان الوجه الثانى من وجهين غير ما ذكروه والله أعلم والوجه الاول من الوجهين هو الذى اعتمده ابن سينا فى اشاراته وقد بسطنا الكلام عليه فى جزء مفرد شرحنا فيه أصول هذه الحجة التى دخل منها عليهم التلبيس فى منطقهم والهياتهم وعلى من اتبعهم كالرازى والسهروردى والطوسى وغيرهم وقد ذكرنا عنه هنالك جوابين أحدهما أن هؤلاء عمدوا الى الصفات المتلازمة فى العموم والخصوص ففرضوا بعضها مختصا وبعضها عاما بمجرد التحكم كالوجود والثبوت والحقيقة والماهية ونحو ذلك فاذا قيل الواجب والممكن كل منهما يشارك الآخر فى الوجوب و يفارقه بحقيقته أو ماهيته قيل لهم معنى الوجود يعمهما ومعنى الحقيقة يعمهما وكل منهما يمتاز عن الآخر

فى بيته الا المكتوبة أخرجاه فى الصحيحين وأحمد وغيره احتجوا بقوله فى حديث أبى ذر الرجل اذا قام مع الامام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة وأما قوله أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة فالمراد بذلك مالم تشرع له الجماعة أما ماشرعت له الجماعة كصلاة الكسوف ففعلها فى المسجد أفضل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة واتفاق العلماء قالوا فقيام رمضان انما لم يجمع النبى صلى الله عليه وسلم الناس عليه خشية أن يفترض وهذا قد أمن بموته فصار هذا كجمع المصحف وغيره واذا كانت الجماعة مشروعة فيها ففعلها فى الجماعة أفضل وأما قول عمر رضى الله عنه والتى تنامون عنها أفضل يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله فهذا كلام صحيح فان آخر الليل أفضل كما أن صلاة العشاء فى أوله أفضل والوقت المفضول قد يختص العمل فيه بما يوجب أن يكون أفضل منه فى غيره كما أن الجمع بين الصلاتين بعرفة ومزدلفة أفضل من التفريق بسبب أوجب ذلك وان كان الاصل أن الصلاة فى وقتها الحاضر أفضل والابراد بالصلاة فى شدة الحر أفضل وأما يوم الجمعة فالصلاة عقب الزوال أفضل ولا يستحب الابراد بالجمعة لما فيه من المشقة على الناس وتأخير العشاء الى ثلث الليل أفضل الا اذا اجتمع الناس وشق عليهم الانتظار فصلاتها قبل ذلك أفضل وكذلك الاجتماع فى شهر رمضان فى النصف الثانى اذا كان يشق على الناس وفى السنن عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب الى الله ولهذا كان الامام أحمد فى احدى الروايتين يستحب اذا أسفر بالصبح أن يسفر بها لكثرة الجمع وان كان التغليس أفضل فقد ثبت بالنص والاجماع أن الوقت المفضول قد يختص بما يكون الفعل فيه أحيانا أفضل وأما الضحى فليس لعمر فيها اختصاص بل قد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة من كل شهر وركعتى الضحى وأن أوتر قبل أن أنام وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء مثل حديث أبى هريرة وفى صحيح مسلم عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى

(فصل) قال الرافضى (الرابع عشر) أن عثمان فعل أمورا لا يجوز فعلها حتى أنكر عليه المسلمون كافة واجتمعوا على قتله أكثر من اجتماعهم على امامته وامامة صاحبيه

(والجواب) من وجوه أحدها أن هذا من أظهر الكذب فان الناس كلهم بايعوا عثمان فى المدينة وفى جميع الامصار لم يختلف فى امامته اثنان ولا تخلف عنها أحد ولهذا قال الامام أحمد وغيره انها كانت أوكد من غيرها باتفاقهم عليها وأما الذين قتلوه فنفر قليل قال ابن الزبير يعيب قتلة عثمان خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية فقتلهم الله كل قتلة ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب يعنى هربوا ليلا ومعلوم بالتواتر أن أهل الامصار لم يشهدوا قتله فلم يقتله بقدر من بايعه وأكثر أهل المدينة لم يقتلوه ولا أحد من السابقين الاولين دخل فى قتله كما دخلوا فى بيعته بل الذين قتلوه أقل من عشر معشار من بايعه فكيف يقال ان اجتماعهم على قتله كان أكثر من اجتماعهم على بيعته لا يقول هذا الا من هو من أجهل الناس بأحوالهم وأعظمهم تعمدا للكذب عليهم (الثانى) أن يقال الذين أنكروا على على وقاتلوه أكثر بكثير من

بوجوده المختص به كما يمتاز عنه بحقيقته التى تختص به فليس جعل هذا مشتركا وهذا مختصا باولى من العكس وهكذا اذا قدر واجبان لكل منهما حقيقة فهما مشتركان فى مطلق الوجوب ومطلق الحقيقة وكل منهما يمتاز عن الآخر بما يخصه من الوجوب والحقيقة فما قلتم به الامتياز متلازم وما قلتم به الاشتراك متلازم ولا يفتقر ما جعلتم به الاشتراك الى ما جعلتم به الامتياز ولا ما جعلتم به الامتياز الى ما جعلتم به الاشتراك بل كل منهما موصوف بما به الامتياز وهو ما يخصه وتلك الخصائص تشابه خصائص الآخر من بعض الوجوه فذلك القدر المشترك الذى لا يختص بأحدهما هو ما به الاشتراك فاذا قيل هذا لون وهذا لون كانت لونية كل

الذين أنكروا على عثمان وقتلوه فان عليا قاتله بقدر الذين قتلوا عثمان أضعافا مضاعفة وقطعه كثير من عسكره خرجوا عليه وكفروه وقالوا أنت ارتددت عن الاسلام لا نرجع الى طاعتك حتى تعود الى الاسلام ثم ان واحدا من هؤلاء قتله قتل مستحل لقتله متقرب الى الله بقتله معتقدا فيه أقبح مما اعتقده قتلة عثمان فيه فان الذين خرجوا على عثمان لم يكونوا مظهرين لكفره وانما كانوا يدعون الظلم وأما الخوارج فكانوا يجهرون بكفر علي وهم أكثر من السرية التي قدمت المدينة لحصار عثمان حتى قتل فان كان هذا حجة في القدح في عثمان كان ذلك حجة في القدح في علي بطريق الاولى والتحقيق ان كليهما حجة باطلة لكن القادح في عثمان بمن قتله أدحض حجة من القادح في علي بمن قاتله فان المخالفين لعلي المقاتلين له كانوا أضعاف المقاتلين لعثمان بل الذين قاتلوا عليا كانوا أفضل باتفاق المسلمين من الذين حاصروا عثمان وقتلوه وكان في المقاتلين لعلي أهل زهد وعبادة ولم يكن قتلة عثمان لا في الديانة ولا في اظهار تكفيره مثلهم ومع هذا فعلي خليفة راشد والذين استحلوا دمه ظالمون معتدون فعثمان أولى بذلك من علي (الثالث) أن يقال قد علم بالتواتر أن المسلمين كلهم اتفقوا على مبايعة عثمان لم يتخلف عن بيعته أحد مع أن بيعة الصديق تخلف عنها سعد بن عبادة ومات ولم يبايعه ولا بايع عمر ومات في خلافة عمر ولم يكن تخلف سعد عنها قادحا فيها لان سعدا لم يقدح في الصديق ولا في أنه أفضل المهاجرين بل كان هذا معلوما عندهم لكن طلب أن يكون من الانصار أمير وقد ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الائمة من قريش فكان ما ظنه سعد خطأ مخالفا للنص المعلوم فعلم أن تخلفه خطأ بالنص لم يحتج فيه الى الاجماع وأما بيعة عثمان فلم يتخلف عنها أحد مع كثرة المسلمين وانتشارهم من أفريقية الى خراسان ومن سواحل الشام الى أقصى اليمن ومع كونهم كانوا ظاهرين على عدوهم من المشركين وأهل الكتاب يقاتلونهم وهي في زيادة فتح وانتصار ودوام دولة ودوام المسلمين على مبايعته والرضا عنه ست سنين نصف خلافته معظمين له مادحين له لا يظهر من أحد منهم التكلم فيه بسوء ثم بعد هذا صار يتكلم فيه بعضهم وجمهورهم لا يتكلم فيه الا بخير وكانت قد طالت عليهم امارته فانه بقي اثنتي عشرة سنة لم تدم خلافة أحد من الاربعة ما دامت خلافته فان خلافة الصديق كانت سنتين وبعض الثالثة وخلافة عمر عشر سنين وبعض الاخرى وخلافة علي أربع سنين وبعض الخامسة ونشأ في خلافته من دخل في الاسلام كرها فكان منافقا مثل ابن سبا وأمثاله وهم الذين سعوا في الفتنة بقتله وفي المؤمنين من يسمع المنافقين كما قال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم أي وفيكم من يسمع منهم فيستجيب لهم ويقبل منهم لانهم يلبسون عليه وهكذا فعل أولئك المنافقون لبسوا على بعض من كان عندهم يحب عثمان ويبغض من كان يبغضه حتى تقاعد بعض الناس عن نصره وكان الذين اجتمعوا على قتله عامتهم من أوباش القبائل ممن لا يعرف له في الاسلام ذكر بخير ولولا الفتنة لما ذكروا وأما علي فمن حين تولى تخلف عن بيعته قريب من نصف المسلمين من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وغيرهم ممن قعد عنه فلم يقاتل معه ولا قاتله مثل أسامة بن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة ومنهم من قاتله ثم كثير من الذين بايعوه رجعوا عنه منهم من كفره واستحل دمه ومنهم من ذهب الى معاوية كعقيل أخيه وأمثاله ولم تزل شيعة عثمان القادحين في علي تحتج بهذا على أن عليا

منهما مختصة به واللونية العامة مشتركة بينهما وكذلك اذا قيل هذا حيوان وهذا حيوان وهذا انسان وهذا انسان وهذا أسود وهذا أسود وأمثال ذلك فليس شئ من الموجودات في الخارج مركبا من نفس ما به الاشتراك وما به الامتياز بل هو مختص بوصف وذلك الوصف يشابه غيره لكن هو مشتمل على صفات بعضها أعم من بعض أي بعضها يوجد نظيره في غيره أكثر مما يوجد نظير الآخر وأما هو نفسه فلا يوجد في غيره

(وأما الجواب الثاني) فلا ريب ان كلا منهما فيه وجوب وفيه معنى آخر غير الوجوب بل نفس الواجب الواحد فيه الوجوب وفيه ذاته وهذا هو النقض الذي عارضهم به الآمدي لكن قول

لم يكن خليفة راشدا وما كانت حجتهم أعظم من حجة الرافضة واذا كانت حجتهم داحضة وعلى قتل مظلوما فعثمان أولى بذلك

(باب) قال الرافضي الفصل السادس في حجتهم على امامة أبي بكر احتجوا بوجوه الاول الاجماع والجواب منع الاجماع فان جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك وجماعة من أكابر الصحابة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص حتى ان أباه أنكر ذلك وقال من استخلف على الناس فقالوا ابنك فقال وما فعل المستضعفان اشارة الى علي والعباس قالوا اشتغلوا بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا ابنك أكبر سنا وبنو حنيفة كافة ولم يحملوا الزكاة اليه حتى سماهم أهل الردة وقتلهم وسباهم فأنكر عمر عليه ورد السبايا أيام خلافته

(والجواب) بعد أن يقال الحمد لله الذي أظهر من أمر هؤلاء اخوان المرتدين ما تحقق به عند الخاص والعام أنهم اخوان المرتدين حقا وكشف أسرارهم وهتك أستارهم بألسنتهم فان الله لا يزال يطلع على خائنة منهم تبين عداوتهم لله ورسوله ولخيار عباد الله وأوليائه المتقين ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ فنقول من كان له أدنى علم بالسيرة وسمع مثل هذا الكلام جزم بأحد أمرين اما بأن قائله من أجهل الناس بأخبار الصحابة واما أنه من أجرإ الناس على الكذب فظني أن هذا المصنف وأمثاله من شيوخ الرافضة ينقلون ما في كتب سلفهم من غير اعتبار منهم لذلك ولا نظر في أخبار الاسلام وفي الكتب المصنفة في ذلك حتى يعرف أحوال الاسلام فيبقى هذا وأمثاله في ظلمة الجهل بالمنقول والمعقول ولا ريب أن المفترين للكذب من شيوخ الرافضة كثيرون جدا وغالب القوم ذوو هوى أوجهل فمن حدثهم بما يوافق هواهم صدقوه ولم يبحثوا عن صدقه وكذبه ومن يحدثهم بما يخالف أهواءهم كذبوه ولم يبحثوا عن صدقه وكذبه ولهم نصيب وافر من قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه كما أن أهل العلم والدين لهم نصيب وافر من قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ومن أعظم ما في هذا الكلام من الجهل والضلال جعله بني حنيفة من أهل الاجماع فانهم لما امتنعوا عن بيعته ولم يحملوا اليه الزكاة سماهم أهل الردة وقتلهم وسباهم وقد تقدم مثل هذا في كلامه وبنو حنيفة قد علم الخاص والعام أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة باليمامة وادعى أنه شريك النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة وادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم هو والاسود العنسي بصنعاء اليمن وكان اسمه عبهلة واتبع الاسود أيضا خلق كثير ثم قتله الله بيد فيروز الديلمي ومن أعانه على ذلك وكان قتله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة قتل وقال قتله رجل صالح من بيت صالحين والاسود ادعى الاستقلال بالنبوة ولم يقتصر على المشاركة وغلب على اليمن وأخرج منها عمال النبي صلى الله عليه وسلم حتى قتله الله ونصر عليه المسلمون بعد أن جرت أمور وقد نقل في ذلك ما هو معروف عند أئمة العلم وأما مسيلمة فانه ادعى المشاركة في النبوة وعاش الى خلافة أبي بكر وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت في منامي كأن في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فقيل لي انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وأمر مسيلمة وادعاؤه النبوة واتباع بني حنيفة له أشهر وأظهر من أن يخفى إلا على من هو من أبعد الناس عن المعرفة والعلم وهذا أمر قد علمه اليهود

القائل وجوب الوجود حينئذ يكون ممكنا الافتقاره في تحققه الى غيره فالموصوف به أولى أن يكون ممكنا كلام مجمل فانه يقال ما تعني بكون الوجوب مفتقرا الى غيره أتعني به أنه مفتقر الى مؤثر أم مستلزم لغيره فان عنيت الاول فهو باطل فانه لا يحتاج الوجوب سواء فرض مختصا أو مشتركا الى فاعل ولكن لا بد له من محل يتصف به فان الوجوب لا يكون الا لواجب وافتقار الوجوب الى محله الموصوف به لا يمنع المحل أن يكون واجبا بل ذلك يستلزم كونه واجبا وقول القائل ان الوجوب يكون ممكنا ان أراد به افتقاره الى محل فهذا حق لكن هذا لا يستلزم كونه لا يفتقر الى فاعل ولا كون المحل مفتقرا الى فاعل فقوله وان كان الثاني كان الوجوب ممكنا

والنصارى فضلا عن المسلمين وقرآنه الذى قرأه قد حفظ الناس منه سورا الى اليوم مثل قوله ياضفدع بنت ضفدعين نقى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك فى الماء وذنبك فى الطين ومثل قوله الفيل وما أدراك ما الفيل له زلوم طويل ان ذلك من خلق ربنا القليل ومثل قوله انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ولا تطع كل ساحر وكافر ومثل قوله والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا إهالة وسمنا ان الارض بيننا وبين قريش نصفين ولكن قريشا قوم لا يعدلون وأمثال هذا الهذيان ولهذا لما قدم وفد بنى حنيفة على أبى بكر بعد قتل مسيلمة طلب منهم أبو بكر أن يسمعوه شيأ من قرآن مسيلمة فلما أسمعوه قال لهم ويحكم أين يذهب بعقولكم ان هذا كلام لم يخرج من إل أى من رب وكان مسيلمة قد كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى كنت قد أشركت فى الامر معك فكتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ولما جاء رسوله الى النبى صلى الله عليه وسلم قال له أتشهد أن مسيلمة رسول الله قال نعم قال لولا ان الرسل لا تقتل لضربت عنقك ثم بعد هذا أظهر أحد الرسولين الردة بالكوفة فقتله ابن مسعود وذكره بقول النبى صلى الله عليه وسلم هذا وكان مسيلمة قدم فى وفد بنى حنيفة الى النبى صلى الله عليه وسلم وأظهر الاسلام ثم لما رجع الى بلده قال لقومه ان محمدا قد أشركنى فى الامر معه واستشهد رجلين أحدهما الرجال بن عنفوة فشهد له بذلك ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لثلاثة أحدهم أبو هريرة والثانى الرجال هذا ان أحدكم ضرسه فى النار أعظم من كذا وكذا فاستشهد الثالث فى سبيل الله وبقى أبو هريرة خائفا حتى شهد هذا لمسيلمة بالنبوة واتبعه فعلم انه هو كان المراد بخبر النبى صلى الله عليه وسلم وكان مؤذن مسيلمة يقول أشهد أن محمدا ومسيلمة رسولا الله ومن أعظم فضائل أبى بكر عند الامة أولهم وآخرهم أنه قاتل المرتدين وأعظم الناس ردة كان بنو حنيفة ولم يكن قتاله لهم على منع الزكاة بل قاتلهم على أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب وكانوا فيما يقال نحو مائة ألف والحنفية أم محمد بن الحنفية سرية على كانت من بنى حنيفة وبهذا احتج من جوز سبى المرتدات اذا كان المرتدون محاربين فاذا كانوا مسلمين معصومين فكيف استجاز على أن يسبى نساءهم ويطأ من ذلك السبى وأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فأولئك ناس آخرون ولم يكونوا يؤدونها وقالوا لا نؤديها اليك بل امتنعوا من أدائها بالكلية فقاتلهم على هذا لم يقاتلهم ليؤدوها اليه وأتباع الصديق كأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرهما يقولون اذا قالوا نحن نؤديها ولا ندفعها الى الامام لم يجز قتالهم لعلمهم بأن الصديق انما قاتل من امتنع من أدائها جملة لا من قال أنا أؤديها بنفسى ولو عد هذا المفترى الرافضى من المتخلفين عن بيعة أبى بكر المجوس واليهود والنصارى لكان ذلك من جنس عده لبنى حنيفة بل كفر بنى حنيفة من بعض الوجوه كان أعظم من كفر اليهود والنصارى والمجوس فان أولئك كفار أصليون وهؤلاء مرتدون وأولئك يقرون بالجزية وأولئك لهم كتاب أو شبهة كتاب وهؤلاء اتبعوا مفتريا كذابا لكن كان مؤذنه يقول أشهد أن محمدا ومسيلمة رسولا الله وكانوا يجعلون محمدا ومسيلمة سواء وأمر مسيلمة مشهور فى جميع الكتب الذى يذكر فيها مثل ذلك من كتب الحديث والتفسير والمغازى والفتوح والفقه والاصول والكلام وهذا أمر قد خلص الى العذارى فى خدورهن بل قد أفرد الاخباريون لقتال أهل الردة كتبا سموها كتب الردة والفتوح كسيف بن عمر والواقدى وغيرهما يذكرون فيها من

فالموصوف به أولى مغلطة فان الامكان الذى يوصف به الوجوب انما هو افتقاره الى محل لا الى فاعل ومعلوم أنه اذا كانت صفة الموصوف تفتقر اليه لكونه محلا لها لا فاعلا لم يلزم أن يكون الموصوف أولى بأن يكون محلا ولو قدر بأن الوجوب يفتقر الى مميز غير المحل فهو من افتقار الشرط الى المشروط والملازم الى الملازم ليس هو من باب افتقار المعلول الى العلة الفاعلة ومثل هذا لا يمتنع على وجوب الوجود بل لا بد لوجوب الوجود من ذلك اذ وجوب الوجود ليس هو الواجب الوجود بل هو صفة له مع أن الواجب الوجود له لوازم وملزومات وذلك لا يوجب افتقاره الى المؤثر فالوجوب أولى أن لا يفتقر الى مؤثر لاجل ماله من اللوازم والملزومات فهذان وجهان غير ما ذكره هو وأمثاله

تفاصيل أخبار أهل الردة وقتالهم مايذكرون كما قد أوردوا مثل ذلك في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوح الشام فمن ذلك ماهو متواتر عند الخاصة والعامة ومنه مانقله الثقات ومنه أشياء مقاطيع ومراسيل يحتمل أن تكون صدقا وكذبا ومنه مايعلم أنه ضعيف وكذب لكن تواتر ردة مسيلمة وقتال الصديق وحربه له كتواتر هرقل وكسرى وقيصر ونحوهم ممن قاتله الصديق وعمر وعثمان وتواتر كفر من قاتله النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والمشركين مثل عتبة وأبي بن خلف وحيي بن أخطب وتواتر نفاق عبد الله بن أبي ابن سلول وأمثال ذلك بل تواتر ردة مسيلمة وقتال الصديق له أظهر عند الناس من قتال الجمل وصفين ومن كون طلحة والزبير قاتلا عليا ومن كون سعد وغيره تخلفوا عن بيعة علي وفي الصحيحين عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته فقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله واني لأراك الذي رأيت فيك مارأيت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسألت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيك مارأيت فأخبرني أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي الله الي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء أي والآخر مسيلمة وأما قول الرافضي ان عمر أنكر قتال أهل الردة فمن أعظم الكذب والافتراء على عمر بل الصحابة كانوا متفقين على قتال مسيلمة وأصحابه ولكن كانت طائفة أخرى مقرين بالاسلام وامتنعوا عن أداء الزكاة فهؤلاء حصل لعمر أولا شبهة في قتالهم حتى ناظره الصديق وبين له وجوب قتالهم فرجع اليه والقصة في ذلك مشهورة وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن عمر قال لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال أبو بكر ألم يقل الا بحقها فان الزكاة من حقها والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ماهو الا ان رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق وعمر احتج بما بلغه أو سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فبين له الصديق أن قوله بحقها يتناول الزكاة فانها حق المال وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها فهذا اللفظ الثاني الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين فقه أبي بكر وهو صريح في القتال على أداء الزكاة وهو مطابق للقرآن قال تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فعلق تخلية السبيل على الايمان واقام الصلاة وايتاء الزكاة والاخبار المنقولة عن هؤلاء أن منهم من كان قبض الزكاة ثم أعادها الى أصحابها لما بلغه موت النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يتربص ثم هؤلاء الذين قاتلهم الصديق عليها لما قاتلهم صارت العمال الذين كانوا على الصدقات زمن النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم يقبضونها كما كانوا

هنا (الوجه الرابع) أن يقال لم لا يجوز أن يكون بعض تلك الاجزاء واجبا وبعضها ممكنا قوله الموقوف على الممكن أولى بالامكان قيل متى اذا كان الجزء الممكن من مقتضيات الجزء الواجب أو بالعكس وهذا كما أن مجموع الوجود بعضه واجب لنفسه وبعضه ممكن والممكن منه من مفعولات الواجب لنفسه ولا يلزم من ذلك أن يكون مجموع الموجودات أولى بالامكان من الموجودات الممكنة وهذا الجواب يقوله من يقوله في مواضع أحدها في الذات مع الصفات فاذا قيل له الذات والصفات مجموع مركب من أجزاء فاما أن تكون واجبة كلها أو بعضها واجب وبعضها ممكن أمكنه أن يقول الذات واجبة والصفات ممكنة بنفسها وهي واجبة بالذات كما

يقبضونها فى زمنه و يصرفونها كما كانوا يصرفونها وكتب الصديق لمن كان يستعمله كتابا للصدقة فقال بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى أمر بها وبهذا الكتاب ونظائره يأخذ علماء المسلمين كلهم فلم يأخذ لنفسه منها شيأ ولا ولى أحدا من أقاربه لا هو ولا عمر بخلاف عثمان وعلى فانهما وليا أقاربهما فان جاز أن يطعن فى الصديق والفاروق أنهما قاتلا لاخذ المال فالطعن فى غيرهما أوجه فاذا وجب الذب عن عثمان وعلى فهو عن أبى بكر وعمر أوجب وعلى يقاتل ليطاع و يتصرف فى النفوس والاموال فكيف يجعل هذا قتالا على الدين وأبو بكر يقاتل من ارتد عن الاسلام ومن ترك ما فرض الله ليطيع الله ورسوله فقط ولا يكون هذا قتالا على الدين وأما الذين عدهم هذا الرافضى أنهم تخلفوا عن بيعة الصديق من أكابر الصحابة فذلك كذب عليهم الا على سعد ابن عبادة فان مبايعة هؤلاء لأبى بكر وعمر أشهر من أن تنكر وهذا مما اتفق عليه أهل العلم بالحديث والسير والمنقولات وسائر أصناف أهل العلم خلفا عن سلف وأسامة بن زيد ما خرج فى السرية حتى بايعه ولهذا يقول له يا خليفة رسول الله وكذلك جميع من ذكره بايعه لكن خالد بن سعيد كان نائبا للنبى صلى الله عليه وسلم فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم قال لا أكون نائبا لغيره فترك الولاية والا فهو من المقرين بخلافة الصديق وقد علم بالتواتر أنه لم يتخلف عن بيعته الا سعد بن عبادة وأما على و بنو هاشم فكلهم بايعه باتفاق الناس لم يمت أحد منهم الا وهو مبايع له لكن قيل على تأخرت بيعته ستة أشهر وقيل بل بايعه ثانى يوم و بكل حال فقد بايعوه من غير اكراه ثم جميع الناس بايعوا عمر الا سعدا لم يتخلف عن بيعة عمر أحد لا بنو هاشم ولا غيرهم وأما بيعة عثمان فاتفق الناس كلهم عليها وكان سعد قد مات فى خلافة عمر فلم يدركها وتخلف سعد قد عرف سببه وأنه كان يطلب أن يصير أميرا ويجعل من المهاجرين أميرا ومن الانصار أميرا وما طلبه سعد لم يكن سائغا بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين واذا ظهر خطأ الواحد المخالف للاجماع ثبت أن الاجماع كان صوابا وأن ذلك الواحد الذى عرف خطؤه بالنص شاذ لا يعتد به بخلاف الواحد الذى يظهر حجة شرعية من الكتاب والسنة فان هذا يسوغ خلافه وقد يكون الحق معه و يرجع اليه غيره كما كان الحق مع أبى بكر فى تجهيز جيش أسامة وقتال مانعى الزكاة وغير ذلك حتى تبين صواب رأيه فيما بعد وما ذكره عن أبى قحافة فمن الكذب المتفق عليه ولكن أبو قحافة كان بمكة وكان شيخا كبيرا أسلم عام الفتح أتى به أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم ورأسه ولحيته مثل الثغامة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أقررت الشيخ مكانه لأتيناه اكراما لابى بكر وليس فى الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده وأدركوا النبى صلى الله عليه وسلم وأدركه أيضا بنو أولاده الا أبو بكر من جهة الرجال والنساء فمحمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى قحافة هؤلاء الاربعة كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنين وعبد الله بن الزبير ابن أسماء بنت أبى بكر كلهم أيضا آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصحبوه وأم الخير آمنت بالنبى صلى الله عليه وسلم فهم أهل بيت ايمان ليس فيهم منافق ولا يعرف فى الصحابة مثل هذا الغير بيت أبى بكر وكان يقال للايمان بيوت وللنفاق بيوت فبيت أبى بكر من بيوت الايمان من المهاجرين وبنو النجار من بيوت الايمان من الانصار وقوله انهم قالوا لابى قحافة ان ابنك أكبر الصحابة سنا كذب ظاهر وفى الصحابة خلق كثير أسن من أبى بكر مثل العباس فان العباس كان أسن من النبى صلى الله عليه

وسلم

يجيب بمثل ذلك طائفة من الناس فاذا قيل المجموع متوقف على الممكن قال ان ذلك الممكن من مقتضيات الواجب بنفسه وهذا يقوله هؤلاء اذا فسر امكان الصفات بانها تفتقر الى محل فالذات لا تفتقر الى محل فالذات لا تفتقر الى فاعل ولا محل والصفات لا بد لها من محل وان فسر الواجب بما لا يفتقر الى موجب فالصفات أيضا لا تفتقر الى موجب لكنه قد يسلم لهم هؤلاء ان الصفات لها موجب وهو الذات وقولهم ان الشئ الواحد لا يكون فاعلا وقابلا من أفسد الكلام كما قد بسط فى موضعه فيقول هؤلاء الذات موجبة للصفات ومحل لها والذات واجبة بنفسها والصفات واجبة بها والمجموع واجب وان توقف على الممكن بنفسه الواجب بغيره لان الواجب

وسلم بثلاث سنين والنبى صلى الله عليه وسلم كان أسن من أبى بكر قال أبو عمر بن عبد البر لا يختلفون أنه يعنى أبا بكر مات وسنه ثلاث وستون سنة وأنه استوفى سن النبى صلى الله عليه وسلم الا ما لا يصح لكن المأثور عن أبى قحافة أنه لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة فسمع ذلك أبو قحافة فقال ما هذا قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمر جليل فمن ولى بعده قالوا ابنك قال فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف و بنو المغيرة قالوا نعم قال لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وحينئذ فالجواب عن منعه الاجماع من وجوه أحدها ان هؤلاء الذين ذكرهم لم يتخلف منهم الا سعد بن عبادة والا فالبقية كلهم بايعوه باتفاق أهل النقل وطائفة من بنى هاشم قد قيل انها تخلفت عن مبايعته أولا ثم بايعته بعد ستة أشهر من غير رهبة ولا رغبة والرسالة التى يذكر بعض الكتاب أنه أرسلها الى على كذب مختلق عند أهل العلم بل على أرسل الى أبى بكر أن ائتنا فذهب هو اليهم فاعتذر على اليه وبايعه ففى الصحيحين عن عائشة قالت أرسلت فاطمة الى أبى بكر رضى الله عنهما تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر فقال أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة وانما يأكل آل محمد من هذا المال وانى والله لا أغير شيأ من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليه فى عهده وانى لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به انى أخشى ان تركت شيأ من أمره أن أزيغ فوجدت فاطمة على أبى بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها على وكان لعلى وجه من الناس حياة فاطمة فلما ماتت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الاشهر فأرسل الى أبى بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهة محضر عمر فقال عمر لابى بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر ما عساهم أن يفعلوا بى والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد على ثم قال انا قد عرفنا فضلك يا أبا بكر وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك استبددت بالامر علينا وكنا نرى أن لنا فيه حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر فلما تكلم أبو بكر قال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى أن أصل من قرابتى وأما الذى شجر بينى و بينكم من هذه الامور فانى لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها الا صنعته فقال على لابى بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر وتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره الذى اعتذر به ثم استغفر وتشهد على فعظم حق أبى بكر وانه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ولا انكار للذى فضله الله به ولكنا كنا نرى ان لنا فى الامر نصيبا فاستبد علينا به فوجدنا فى أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون الى على قريبا حين راجع الامر بالمعروف ولا ريب ان الاجماع المعتبر فى الامامة لا يضر فيه تخلف الواحد والاثنين والطائفة القليلة فانه لو اعتبر ذلك لم يكد ينعقد اجماع على امامة فان الامامة أمر معين فقد يتخلف الرجل لهوى لا يعلم كتخلف سعد فانه كان قد استشرف الى أن يكون هو أميرا من جهة الأنصار فلم يحصل له ذلك فبقى فى نفسه بقية هوى ومن ترك الشئ لهوى لم يؤثر تركه بخلاف الاجماع على الاحكام العامة كالايجاب والتحريم والاباحة فان هذا

بنفسه مستلزم للصفات ولاجتماع المجموع وأيضا فيقوله من يقول انه يقوم بذاته أمور متعلقة بمشيئته وقدرته فان تلك ممكنة بنفسها وقد تدخل فى مسمى أسمائه ففى الجملة ليس معهم حجة تمنع كون المجموع فيه ما هو واجب موجب لغيره واذا قيل المحتاج الى الغير أولى بالاحتياج قيل هب أن الامر كذلك لكن اذا كان الغير من لوازم الجزء الواجب بنفسه كان المجموع من لوازم الجزء الواجب بنفسه وحاصله أن فى الامور المجتمعة ما هو مستلزم لسائرها واذا قيل فحينئذ لا يكون الواجب بنفسه الا ذلك الملزوم قيل هذا نزاع لفظى فان الممكنات لا بد لها من فاعل غنى عن الفاعل والدليل دل على هذا وليس فيما ذكرتموه ما ينفى أن تكون ذاته مستلزما لامور لازمة له واسمه

لو خالف فيه الواحد أو الاثنان فهل يعتد بخلافهما فيه قولان للعلماء وذكر عن أحمد في ذلك روايتان احداهما لا يعتد بخلاف الواحد والاثنين وهو قول طائفة كمحمد بن جرير الطبري والثاني يعتد بخلاف الواحد والاثنين في الاحكام وهو قول الاكثرين والفرق بينه وبين الامامة أن الحكم أمر عام يتناول هذا وهذا فان القائل بوجوب الشئ يوجبه على نفسه وعلى غيره والقائل بتحريمه يحرمه على نفسه وعلى غيره فالمنازع فيه ليس متهما ولهذا تقبل رواية الرجل الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصة وان كان خصمافيها لأن الحديث عام يتناولها ويتناول غيرها وان كان المحدث اليوم محكوماله بالحديث فغدا يكون محكوما عليه بخلاف شهادته لنفسه فانها لا تقبل لانه خصم والخصم لا يكون شاهدا فالاجماع على امامة المعين ليس حكما على أمر عام كلي كالاحكام على أمر خاص معين وأيضا فالواحد اذا خالف النص المعلوم كان خلافه شاذا كخلاف سعيد بن المسيب في أن المطلقة ثلاثا اذا نكحت زوجا غيره أبيحت للاول بمجرد العقد فان هذا لما جاءت السنة الصحيحة بخلافه لم يعتد به وسعد كان مراده أن يولوا رجلا من الانصار وقد دلت النصوص الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الامام من قريش فلو كان المخالف قرشيا واستقر خلافه لكان شبهة بل علي كان من قريش وقد تواتر أنه بايع الصديق طائعا مختارا (الثاني) أنه لو فرض خلاف هؤلاء الذين ذكرهم وبقدرهم مرتين لم يقدح ذلك في ثبوت الخلافة فانه لا يشترط في الخلافة الا اتفاق أهل الشوكة والجمهور الذين يقام بهم الامر بحيث يمكن أن يقام بهم مقاصد الامامة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وقال ان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أقرب وقال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم والذئب انما يأخذ القاصية وقال عليكم بالسواد الاعظم ومن شذ شذ في النار (الثالث) أن يقال اجماع الامة على خلافة أبي بكر كان أعظم من اجتماعهم على مبايعة علي فان ثلث الامة أو أقل أو أكثر لم يبايعوا عليا بل قاتلوه والثلث الآخر لم يقاتلوا معه وفيهم من لم يبايعه أيضا والذين لم يبايعوه منهم من قاتله ومنهم من لم يقاتله فان جاز القدح في الامامة بتخلف بعض الامة عن البيعة كان القدح في امامة علي أولى بكثير وان قيل جمهور الامة لم تقاتله أو قيل بايعه أهل الشوكة والجمهور أو نحو ذلك كان هذا في حق أبي بكر أولى وأحرى واذا قالت الرافضة امامته ثبتت بالنص فلا يحتاج الى الاجماع والمبايعة قيل النصوص انما دلت على خلافة أبي بكر لا على خلافة علي كما تقدم التنبيه عليه وكما سنذكره ان شاء الله تعالى ونبين أن النصوص دلت على خلافة أبي بكر الصديق وعلى أن عليا لم يكن هو الخليفة في زمن الخلفاء الثلاثة فخلافة أبي بكر لا تحتاج الى الاجماع بل النصوص دالة على صحتها وعلى انتفاء ما يناقضها (الرابع) أن يقال الكلام في امامة الصديق اما أن يكون في وجودها واما أن يكون في استحقاقه لها أما الاول فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس بأنه تولى الامر وقام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه في أمته وأقام الحدود واستوفى الحقوق وقاتل الكفار والمرتدين وولى الاعمال وقسم الاموال وفعل جميع ما فعل الامام بل هو أول من باشر الامامة في الامة وأما ان أريد بامامته كونه مستحقا لذلك فهذا عليه أدلة كثيرة غير الاجماع فلا طريق يثبت بها كون علي مستحقا للامامة الا وتلك الطرق يثبت بها ان أبا بكر مستحق للامامة وأنه أحق بالامامة من علي وغيره وحينئذ فالاجماع لا يحتاج اليه لا في الاولى ولا في الثانية وان كان الاجماع حاصلا

يتناول الملزوم واللازم جميعا وان سمي الملزوم واجبا بنفسه واللازم واجبا بغيره كما قاله من قاله في الذات والصفات فيقول المنازع له فهذه مجموع الادلة التي ذكرها هو وغيره على نفي كون الواجب بنفسه جسما أو جوهرا قد تبين أنه لا دلالة في شئ منها بل هي على نقيض مطلوبهم أدل منها على المطلوب وهذا ذكرناه لما أحال عليه قوله ان الحروف اذا قام كل منها بمحل غير الآخر يلزم التركيب وقد أبطلناه في ابطال التجسيم ثم قال الوجه الثاني انه قال ليس اختصاص بعض الاجزاء ببعض الحروف دون البعض أولى من العكس ولقائل أن يقول هذا الوجه في غاية الضعف وذلك انه اذا كانت الحروف مقدورة له حادثة بمشيئته كما ذكرنه عن منازعيه فتخصيص كل منها بمحله

﴿فصـــل﴾ قال الرافضى أيضا الاجماع ليس أصلا فى الدلالة بل لابد أن يستند المجمعون الى دليل على الحكم حتى يجتمعوا عليه والا كان خطأ وذلك الدليل اماعقلى وليس فى العقل دلالة على امامته واما نقلى وعندهم أن النبى صلى الله عليه وسلم مات من غير وصية ولا نص على امام والقرآن خال منه فلو كان الاجماع متحققا كان خطأ فتنتفى دلالته

(والجواب) من وجوه أحدها أن قوله الاجماع ليس أصلا فى الدلالة ان أراد به ان أمر المجتمعين لاتجب طاعته لنفسه وانما تجب لكونه دليلا على أمر الله ورسوله فهذا صحيح ولكن هذا لا يضر فان أمر الرسول كذلك لم تجب طاعته لذاته بل لان من أطاع الرسول فقد أطاع الله ففى الحقيقة لا يطاع أحد لذاته الا الله له الخلق والامر وله الحكم وليس الحكم الالله وانما وجب طاعة الرسول لان طاعته طاعة الله ووجبت طاعة المؤمنين المجتمعين لان طاعتهم طاعة الله والرسول ووجب تحكيم الرسول لان حكمه حكم الله وكذلك تحكيم الامة لان حكمها حكم الله وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى أميرى فقد عصانى وقد قامت الأدلة الكثيرة على أن الامة لاتجتمع على ضلالة بل ما أمرت به الامة فقد أمر الله به ورسوله والامة أمرت بطاعة أبى بكر فى امامته فعلم أن الله ورسوله أمرا بذلك فمن عصاه كان عاصيا لله ورسوله وان أراد به أنه قد يكون موافقا للحق وقد يكون مخالفا له وهذا هو الذى أراده فهذا قدح فى كون الاجماع حجة ودعوى أن الامة قد تجتمع على الضلالة والخطا كما يقول ذلك من يقوله من الرافضة الموافقين للنظام وحينئذ فيقال كون على اماما معصوما وغير ذلك من الاصول الامامية أثبتوه بالاجماع اذ عمدتهم فى أصول دينهم على ما يذكرونه من العقليات وعلى الاجماع وعلى ما ينقلونه فهم يقولون علم بالعقل أنه لابد للناس من امام معصوم وامام منصوص عليه وغير على ليس معصوما ولا منصوصا عليه بالاجماع فيكون المعصوم هو عليا وغير ذلك من مقدمات حججهم فيقال لهم ان لم يكن الاجماع حجة فقد بطلت تلك الحجج فبطل ما بنوه على الاجماع من أصولهم فبطل قولهم واذا بطل ثبت مذهب أهل السنة وان كان الاجماع حقا فقد ثبت أيضا مذهب أهل السنة وهو المطلوب وان قالوا نحن ندع الاجماع ولا نحتج به فى شئ من أصولنا وانما عمدتنا العقل والنقل عن الائمة المعصومين قيل لهم اذا لم تحتجوا بالاجماع لم يبق معكم حجة سمعية غير النقل المعلوم عن النبى صلى الله عليه وسلم فان ما ينقلونه عن على وغيره من الائمة لا يكون حجة حتى نعلم عصمة الواحد من هؤلاء وعصمة الواحد من هؤلاء لا تثبت الا بنقل عمن علم عصمته والمعلوم عصمته هو الرسول فما لم يثبت نقل معلوم عن الرسول بما يقولونه لم يكن معهم حجة سمعية أصلا لا فى أصول الدين ولا فى فروعه وحينئذ فيرجع الامر الى دعوى خلافة على بالنص فان أثبتم النص بالاجماع فهو باطل لنفيكم كون الاجماع حجة وان لم تثبتوه الا بالنقل الخاص الذى يذكره بعضكم فقد تبين بطلانه من وجوه وتبين ان ما ينقله الجمهور وأكثر الشيعة مما يناقض هذا القول يوجب علما يقينيا بان هذا كذب وهذه الامور من تدبرها تبين له أن الامامية لا يرجعون فى شئ مما ينفردون به عن الجمهور الى حجة أصلا لا عقلية ولا سمعية ولا نص ولا اجماع وانما عمدتهم دعوى نقل مكذوب يعلم انه كذب أو دعوى دلالة نص أو قياس يعلم انه لا دلالة له وهم وسائر أهل البدع كالخوارج والمعتزلة وان كانوا عند التحقيق لا يرجعون الى حجة صحيحة لا عقلية ولا سمعية وانما لهم شبهات لكن حججهم أقوى من حجج الرافضة السمعية والعقلية أما

كتخصيص جميع الحوادث بما اختصت به من الصفات والمقادير والامكنة والازمنة وهذا اما ان يرد الى محض المشيئة واما الى حكمة جلية أو خفية وقد تنازع الناس فى الحروف التى فى كلام الآدميين هل بينها وبين المعانى مناسبة تقتضى الاختصاص على قولين مشهورين وأما اختصاصها بمحالها فى حق الآدميين بسبب يقتضى الاختصاص فهذا لا نزاع فيه فعلم أن الاختصاص منه بالمحل أولى منه بالمعنى وأما قوله ان قالوا باجتماع الحروف بذاته مع اتحاد الذات فيلزم منه اجتماع المتضادات فى شئ واحد فهذا قد تقدم أن الناس فيه قولين وأن القائلين باجتماع ذلك ان كان قولهم فاسدا فقول من يقول باجتماع المعانى المتعاقبة وانها شئ واحد وان الصفات

السمعيات فانهم لا يتعمدون الكذب كما تتعمده الرافضة ولهم في النصوص الصحيحة شبهة أقوى من شبه الرافضة وأيضا فان سائر أهل البدع أعلم بالحديث والآثار منهم والرافضة أجهل الطوائف بالاحاديث والآثار وأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا يوجد في كتبهم وكلامهم من الجهل والكذب في المنقولات مالا يوجد في سائر الطوائف وكذلك لهم في العقليات مقاييس هي مع ضعفها وفسادها أجود من مقاييس الرافضة وأيضا فنحن نشير على مايدل على أن الاجماع حجة بالدلالة المبسوطة في غير هذا الموضع ولكل مقام مقال ونحن لانحتاج في تقرير امامة الصديق رضي الله عنه ولا غيره الى هذا الاجماع ولا نشترط في امامة أحد هذا الاجماع لكن هو لما ذكر أن أهل السنة اعتمدوا على الاجماع تكلمنا على ذلك فنشير الى بعض مايدل على صحة الاجماع فنقول أولا مامن حكم اجتمعت الامة عليه الا وقد دل عليه النص فالاجماع دليل على نص موجود معلوم عند الائمة ليس مما درس علمه والناس قد اختلفوا في جواز الاجماع عن اجتهاد ونحن نجوز أن يكون بعض المجتمعين قال عن اجتهاد لكن لا يكون النص خافيا على جميع المجتهدين ومامن حكم يعلم أن فيه اجماعا الا وفي الامة من يعلم أن فيه نصا وحينئذ فالاجماع دليل على النص ولهذا قال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين مع العلم بأن مجرد مشاقة الرسول توجب الوعيد ولكن هما متلازمان ولهذا علقه بهما كما يعلقه بمعصية الله ورسوله وهما متلازمان أيضا وخلافة الصديق من هذا الباب فان النصوص الكثيرة دلت على أنها حق وصواب وهذا مما لم يختلف العلماء فيه واختلفوا هل انعقدت بالنص الذي هو العهد كخلافة عمر أو بالاجماع والاختيار وأما دلالة النصوص على أنها حق وصواب فما علمت أحدا نازع فيه من علماء السنة كلهم يحتج على صحتها بالنصوص اذا كنا نبين أن ما انعقد عليه الاجماع فهو منصوص عليه كان ذكر الاجماع لانه دليل على النص لا يفارقه البتة ومع هذا فنحن نذكر بعض مايستدل به على الاجماع مطلقا ويستدل به على من يقول قد لا يكون معه نص كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا يقتضي أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر ومن المعلوم أن ايجاب ما أوجبه الله وتحريم ماحرمه الله هو من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل هو نفسه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجب أن يوجبوا كل ما أوجبه الله ورسوله ويحرموا كل ماحرمه الله ورسوله وحينئذ فيمتنع أن يوجبوا حراما ويحرموا واجبا بالضرورة فانه لا يجوز عليهم السكوت عن الحق من ذلك فكيف نجوز السكوت عن الحق والتكلم بنقيضه من الباطل ولو فعلوا ذلك لكانوا قد أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف وهو خلاف النص فلو كانت ولاية أبي بكر حراما وطاعته حراما منكرا لوجب أن ينهوا عن ذلك ولو كانت مبايعة علي واجبة لكان ذلك من أعظم المعروف الذي يجب أن يأمروا به فلما لم يكن كذلك علم أن مبايعة هذا اذ ذاك لم تكن معروفا ولا واجبا ولا مستحبا ومبايعة ذلك لم تكن منكرا وهو المطلوب وأيضا فقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والاستدلال به كما تقدم وأيضا فقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ومن جعلهم الرب شهداء على الناس فلا بد أن يكونوا عالمين بما يشهدون به ذوي عدل في شهادتهم فلو كانوا يحللون ماحرم الله ويحرمون ماحلل الله ويوجبون ماعفا الله عنه ويسقطون

المتنوعة شئ واحد أعظم فسادا وأما قوله وان لم يقولوا باجتماع حروف القول في ذاته فيلزمه مناقضة أصلهم في أن ما اتصف به الرب يستحيل عروه عنه فكلام صحيح ولكن تناقضهم لا يستلزم صحة قول منازعيهم اذا كان ثم قول ثالث وهذا اللازم فيه نزاع معروف وقد حكى النزاع عنهم أنفسهم فمن قال ان ما اتصف به من الاصوات والافعال ونحو ذلك يجوز عروه عنه لم يكن متناقضا والذين قالوا منهم انه لا يجوز عروه عما اتصف به عمدتهم أنه لو جاز عروه عنه لم يمكن ذلك الا بحدوث ضد ثم ذلك الضد الحادث لا يزول الا بضد حادث فيلزم تسلسل الحوادث بذاته وهذا يجيب عنه بعضهم بأنه يجوز عدمه بدون حدوث ضد ويجيب عنه بعضهم بالتزام التسلسل في مثل ذلك في المستقبل

ما أوجبه الله لم يكونوا كذلك وكذلك اذا كانوا يجرحون الممدوح ويمدحون المجروح فاذا
شهدوا أن أبا بكر أحق بالامامة وجب أن يكونوا صادقين فى هذه الشهادة عالمين بما شهدوا به
وكذلك اذا شهدوا أن هذا مطيع لله وهذا عاص لله وهذا فعل ما يستحق عليه الثواب وهذا فعل
ما يستحق عليه العقاب وجب قبول شهادتهم فان الشهادة على الناس تتناول الشهادة بما فعلوه
من مذموم ومحمود والشهادة بان هذا مطيع وهذا عاص هى تتضمن الشهادة بأفعالهم وأحكام
أفعالهم وصفاتها وهو المطلوب وفى الصحيحين عن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم مر عليه
بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت ومر عليه بجنازة فأثنوا عليها شرا فقال وجبت فقيل
يارسول الله ما قولك وجبت قال هذه الجنازة أثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنة وهذه
الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله فى الارض وأيضا فقوله ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية فانه توعد
على المشاقة للرسول واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك يقتضى أن كلا منهما مذموم فان مشاقة
الرسول وحدها مذمومة بالاجماع فلو لم يكن الآخر مذموما لكان قد رتب الوعيد على وصفين
مذموم وغير مذموم وهذا لا يجوز ونظير هذا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم
القيامة ويخلد فيه مهانا فانه يقتضى ان كل واحد من الخصال الثلاثة مذموم شرعا وحينئذ فاذا
كان المؤمنون قد أوجبوا أشياء وحرموا أشياء فخالفهم مخالف وقال ان ما أوجبوه ليس بواجب
وما حرموه ليس بحرام فقد اتبع غير سبيلهم لان المراد بسبيلهم اعتقاداتهم وأفعالهم واذا كان
كذلك كان مذموما ولو لم يكن سبيلهم صوابا وحقا لم يكن المخالف لهم مذموما وأيضا فقوله تعالى
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ورد
معلقا بالتنازع والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه فعلم أنه عند انتفاء التنازع لا يجب الرد
الى الله ورسوله فدل على أن اجماعهم انما يكون على حق وصواب فانه لو كان على باطل وخطا
لم يسقط عنهم وجوب الرد الى الكتاب والسنة لاجل باطلهم وخطئهم ولان أمر الله ورسوله حق
حال اجماعهم ونزاعهم فاذا لم يجب الرد عليه عند الاجماع دل على أن الاجماع موافق له
لا مخالف له فلما كان المستدل بالاجماع متبعا له فى نفس الامر لم يحتج الى الرد اليه وأيضا قوله
تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا أمرهم بالاجتماع ونهاهم عن الافتراق فلو كانوا فى
حال الاجتماع قد يكونون مطيعين لله تارة وعاصين له أخرى لم يجز أن يأمر به الا اذا كان اجتماعا
على طاعة والله أمر به مطلقا ولأنه لو كان كذلك لم يكن فرق بين الاجتماع والافتراق لان
الافتراق اذا كان معه طاعة كان مأمورا به مثل أن يكون الناس نوعين نوع يطيع الله ورسوله
ونوع يعصيه فانه يجب أن يكون مع المطيعين وان كان فى ذلك فرقة فلما أمرهم بالاجتماع دل
على انه مستلزم لطاعة الله وأيضا فانه قال انما وليكم الله ورسوله فجعل موالاتهم كموالاة الله
ورسوله وموالاة الله ورسوله لا تتم الا بطاعة أمره وكذلك المؤمنون لا تتم موالاتهم الا بطاعة
أمرهم وهذا لا يكون الا اذا كان أمرهم أمرا متفقا فان أمر بعضهم بشئ وأمر آخر بضده
لم يكن موالاة هذا بأولى من موالاة هذا فكانت الموالاة فى حال النزاع بالرد الى الله والرسول وأيضا
قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أحاديث كثيرة متعددة الامر بالاعتصام بالجماعة
والمدح لها وذم الشذوذ وأن الخير والهدى والرحمة مع الجماعة وان الله لم يكن ليجمع هذه الامة

(قال الآمدى) السابع فى تناقض الكرامية أنهم جوزوا اجتماع الارادة الحادثة مع الارادة القديمة ومنعوا ذلك فى العلم والقدرة ولو سئلوا عن الفرق لكان متعذرا

* قلت ولقائل أن يقول ان كانوا هم فرقوا فغيرهم لم يفرق بل جوز تجدد علوم وقدر وحينئذ فهم اعتمدوا فى الفرق على ما اعتمدت عليه المعتزلة فى الفرق بين كونه عالما قادرا وبين كونه متكلما مريدا حيث قالوا العلم والقدرة عام فى كل معلوم ومقدور فانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير والارادة والكلام ليسا عامين فى كل مراد ومقول بل لا يقول الا الصدق ولا يأمر الا بالخير ولا يريد الا ما وجد ولا يريد ارادة محبة الا المأمور فهذا انما احتجوا به على حدوث كونه مريدا متكلما

على ضلالة وانه لن يزال فيها طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم
ولا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعة الله وان خير هذه الامة القرن الاول
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد روى الحاكم وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبدا ويد الله على الجماعة وعن أبي ذر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف جماعة المسلمين شبرا فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه امام جماعة فان ميتته ميتة جاهلية
وعن الحرث الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمركم بخمس كلمات أمرني الله
بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من رأسه الا أن يرجع وعن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق
الجماعة شبرا دخل النار وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من فارق
أمته أو عاد أعرابيا بعد هجرته فلا حجة له وعن ربعي قال أتيت حذيفة ليالي سار الناس الى عثمان
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من فارق الجماعة واستذل الامارة لقي الله
ولا حجة له وعن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسئل عنهم رجل فارق
الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فذكر الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة المكتوبة الى التي بعدها كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة
والشهر الى الشهر يعني رمضان كفارة لما بينهما قال بعد ذلك الا من ثلاث فعرفت أن ذلك من
أمر حدث فقال إلا من الاشراك بالله ونكث الصفقة وترك السنة وأن تبايع رجلا بيمينك
ثم تخالف تقاتله بسيفك وترك السنة الخروج من الجماعة وعن النعمان بن بشير قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحملها فرب حامل فقه
غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن اخلاص العمل
لله ومناصحة ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين روى هذه الاحاديث الحاكم في المستدرك
وذكر أنها على شرط الصحيح وذلك يقتضي أن اجتماع الأمة لا يكون إلا على حق وهدى
وصواب وأن أحق الامة بذلك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يقتضي أن
مافعلوه من خلافة الصديق كان حقا وهدى وصوابا وأيضا فان السلف كان يشتد انكارهم
على من يخالف الاجماع ويعدونه من أهل الزيغ والضلال فلو كان ذلك شائعا عندهم لم
ينكروه وكانوا ينكرون عليه انكارا هم قاطعون به لا يسوغون لاحد أن يدع الانكار عليه
فدل على أن الاجماع عندهم كان مقطوعا به والعقول المتباينة لا تتفق على القطع من غير تواطؤ
ولا تشاعر الا لما يوجب القطع والا فلو لم يكن هنالك ما يوجب القطع بل لا يوجب الظن لم تكن
الطوائف الكثيرة مع تباين هممهم وقرائحهم وعدم تواطئهم يقطعون في موضع لا قطع فيه فعلم
أنه كان عندهم أدلة قطعية توجب كون الاجماع حجة يجب اتباعها ويحرم خلافها وأيضا
فان السنة والشيعة اتفقوا على أنه اذا كان علي معهم كان اجماعهم حجة ولا يجوز أن يكون ذلك
لاجل عصمة علي لان عصمته لم تثبت الا بالاجماع فان عمدتهم في ذلك الاجماع على انتفاء العصمة
من غيره اذ ليس في النص ولا المعقول ما ينفي العصمة من غيره وهذا مما يبين تناقض الرافضة
فان أصل دينهم بنوه على الاجماع ثم قدحوا فيه والقدح فيه قدح في عصمة علي فلا يبقى لهم

دون كونه عالما قادرا قالوا لان
الاختصاص يتعلق بالمحدثات
بخلاف العموم فانه يكون للقديم
(فصل) ومما يبين الامر
في ذلك وأن الادلة التي يحتج بها
هؤلاء على نفي لوازم علو الله على
خلقه هم يقدحون فيها ويبينون
فسادها في موضع آخر أن عامة
هذه الحجج التي احتج بها الآمدي
وغيره على نفي كونه جسما هم
أنفسهم أبطلوها في موضع آخر
والمقصود هنا ذكر ما قاله الآمدي
وذلك أنه لما ذكر مسالك الناس في
اثبات حدوث الاجسام أبطل
عامتها واختار الطريقة المبنية على
أن الجسم لا يخلو من الاعراض
وأن العرض لا يبقى زمانين فتكون
الاعراض حادثة ويمتنع حدوث
ما لا نهاية له وما لا يخلو عن الحوادث
التي لها أول فله أول وذكر أن هذه

ما يعتمدون عليه وهذا شأنهم في عامة أقوالهم التي ينفردون بها ولهذا قال فيهم الشعبي يأخذون بأعجاز لا صدور لها أي بفروع لا أصول لها فان كان الاجماع ليس بحجة لم تثبت عصمته وان كان حجة لم يحتج الى عصمته فثبت أنه على التقديرين لا يجوز أن يكون قولهم حجة والالزم بطلان قول السنة والشيعة

(فصل) قال الرافضي وأيضا الاجماع اما أن يعتبر فيه قول كل الامة ومعلوم أنه لم يحصل بل ولا اجماع أهل المدينة أو بعضهم وقد أجمع أكثر الناس على قتل عثمان

(والجواب) أن يقال أما الاجماع على الامامة فان أريد به الاجماع الذي ينعقد به الامامة فهذا يعتبر فيه موافقة أهل الشوكة بحيث يكون متمكنا بهم من تنفيذ مقاصد الامامة حتى اذا كان رؤس الشوكة عددا قليلا ومن سواهم موافق لهم حصلت الامامة بمبايعتهم له هذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة وهو مذهب الائمة كأحمد وغيره وأما أهل الكلام فقدرها كل منهم بعدد وهي تقديرات باطلة وان أريد به الاجماع على الاستحقاق والاولوية فهذا يعتبر فيه اما الجميع واما الجمهور وهذه الثلاثة حاصلة في خلافة أبي بكر وأما عثمان فلم يتفق على قتله الا طائفة قليلة لا يبلغون نصف عشر عشر عشر الامة كيف وأكثر جيش علي والذين قاتلوه والذين قعدوا عن القتال لم يكونوا من قتلة عثمان وانما كان قتلة عثمان فرقة يسيرة من عسكر علي والامة كانوا في خلافة عثمان مئي ألوف والذين اتفقوا على قتله الالف أو نحوهم وقد قال عبد الله بن الزبير يعيب قتلة عثمان خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية وقتلهم الله كل قتلة ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب

(فصل) قال الرافضي وأيضا كل واحد من الامة يجوز عليه الخطأ فأي عاصم لهم عن الكذب عند الاجماع

(والجواب) أن يقال من المعلوم أن الاجماع اذا حصل من الصفات ما ليس في الآحاد لم يجز أن يجعل حكم الواحد حكم الاجتماع فان كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط والكذب فاذا انتهى المخبرون الى حد التواتر امتنع عليهم الكذب والغلط وكل واحد من اللقم والجرع والأقداح لا يشبع ولا يروي ولا يسكر فاذا اجتمع من ذلك عدد كثير أشبع وأروى وأسكر وكل واحد من الناس لا يقدر على قتال العدو فاذا اجتمع طائفة كثيرة قدروا على القتال والكثرة تؤثر في زيادة القوة وزيادة العلم وغيرهما ولهذا قد يخطئ الواحد والاثنان في مسائل الحساب فاذا كثر العدد امتنع ذلك فيما لم يكن يمتنع في حال الانفراد ونحن نعلم بالاضطرار أن علم الاثنين أكثر من علم أحدهما اذا انفرد وقوتهما أكثر من قوته فلا يلزم من وقوع الخطا حال الانفراد وقوعه حال الكثرة قال تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى والناس في الحساب قد يخطئ الواحد منهم ولا تخطئ الجماعة كالهلال فقد يظنه الواحد هلالا وليس كذلك فأما العدد الكثير فلا يتصور فيهم الغلط ونعلم أن المسلمين اذا اجتمعوا وكثروا يكون داعيهم الى الفواحش والظلم أقل من داعيهم اذا كانوا قليلا فانهم في حال الاجتماع لا يجتمعون على مخالفة شرائع الاسلام كما يفعله الواحد والاثنان فان الاجتماع والتمدن لا يمكن الا مع قانون عدلي فلا يمكن أهل مدينة أن يجتمعوا على اباحة ظلم بعضهم بعضا مطلقا لانه لا حياة لهم مع ذلك بل نجد الامير اذا ظلم بعض الرعية فلا بد أن يكون بعض أصحابه لا يظلم حين يظلم الرعية وما استووا

الطريقة هي المسلك المشهور للاشعرية وعليه اعتماده والرازي وأمثاله لم يعتمدوا على هذا المسلك لانه مبني على أن الاعراض ممتنعة البقاء وهذه مقدمة خالف فيها جمهور العقلاء وقالوا ان قائليها مخالفون للحس ولضرورة العقل فرأى ان الاعتماد عليها في حدوث الاجسام في غاية الضعف والآمدي قدح في الطرق التي اعتمد عليها الرازي كلها والمقصود هنا ذكر طعن الآمدي في حجج نفسه التي احتج بها على نفي كونه جسما ونفي قيام الحوادث به وقد تقدم أن حجته المبنية على تماثل الجواهر والاجسام قد قدح فيها وبين أنه لا دليل لمن أثبت ذلك وحجته المبنية على التركيب قد قدح هو فيها في غير موضع كما ذكر بعضه وأما حجته المبنية على نفي

كلهم فليس فيه ظلم من بعضهم لبعض ومعلوم أن المجموع قد خالف حكمه حكم الافراد سواء كان اجتماع أعيان أو اعراض ومن الامثال التى يضرب بها المطاع لاصحابه ان السهم يمكن كسره واذا اجتمعت السهام لا يمكن كسرها والانسان قد يغلبه عدوه ويهزمه فاذا صار واعددا كثيرا لم يمكن ذلك كما كان يمكنه حال الانفراد وأيضا فان كان الاجماع قد يكون خطأ لم يثبت ان عليا معصوم فانه انما علمت عصمته بالاجماع على أنه لا معصوم سواه فاذا جاز كون الاجماع أخطأ أمكن أن يكون فى الامة معصوم غيره وحينئذ فلا يعلم انه هو المعصوم فتبين أن قدحهم فى الاجماع يبطل الاصل الذى اعتمدوا عليه فى امامة المعصوم واذا بطل أنه معصوم بطل أصل مذهب الرافضة فتبين أنهم ان قدحوا فى الاجماع بطل أصل مذهبهم وان سلموا أنه حجة بطل مذهبهم فتبين بطلان حجتهم على التقديرين

﴿فصل﴾ قال الرافضى وقد بينا ثبوت النص الدال على امامة أمير المؤمنين فلو أجمعوا على خلافه لكان خطأ لان الاجماع الواقع على خلاف النص يكون عندهم خطأ

(والجواب) من وجوه أحدها أنه قد تقدم بيان بطلان كل ما دل على أنه امام قبل الثلاثة (الثانى) ان النصوص انما دلت على خلافة الثلاثة قبله (الثالث) أن يقال الاجماع المعلوم حجة قطعية لاسيما مع النصوص الكثيرة الموافقة له فلو قدر ورود خبر يخالف الاجماع كان باطلا اما لكون الرسول لم يقله واما لكونه لا دلالة فيه (الرابع) أنه يمتنع تعارض النص المعلوم والاجماع فان كلاهما حجة قطعية والقطعيات لا يجوز تعارضها لوجوب وجود مدلولاتها فلو تعارضت لزم الجمع بين النقيضين وكل من ادعى اجماعا يخالف نصا فأحد الامرين لازم اما بطلان اجماعه واما بطلان نصه وكل نص اجتمعت الامة على خلافه فقد علم النص الناسخ له وأما أن يبقى فى الامة نص معلوم والاجماع مخالف له فهذا غير واقع وقد دل الاجماع المعلوم والنص المعلوم على خلافة الصديق رضى الله عنه و بطلان غيرها ونص الرافضة مما نحن نعلم كذبه بالاضطرار وعلى كذبه أدلة كثيرة

﴿فصل﴾ قال الرافضى (الثانى) ما رووه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر والجواب المنع من الرواية ومن دلالتها على الامامة فان الاقتداء بالفقهاء لا يستلزم كونهم أئمة وأيضا فان أبا بكر وعمر قد اختلفا فى كثير من الاحكام فلا يمكن الاقتداء بهما وأيضا فانه معارض لما رووه من قوله أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم مع اجماعهم على انتفاء امامتهم

(والجواب) من وجوه أحدها أن يقال هذا الحديث باجماع أهل العلم بالحديث أقوى من النص الذى يروونه فى امامة على فان هذا أمر معروف فى كتب أهل الحديث المعتمدة ورواه أبو داود فى سننه وأحمد فى مسنده والترمذى فى جامعه وأما النص على على فليس فى شئ من كتب أهل الحديث المعتمدة وأجمع أهل الحديث على بطلانه حتى قال أبو محمد بن حزم ما وجدنا قط رواية عن أحد فى هذا النص المدعى الا رواية واهية عن مجهول الى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى الخلق فيمتنع أن يقدح فى هذا الحديث مع تصحيح النص على على وأما الدلالة فالحجة فى قوله باللذين من بعدى أخبر أنهما من بعده وأمر بالاقتداء بهما فلو كانا ظالمين فى كونهما بعده لم يأمر بالاقتداء بهما فانه لا يأمر بالاقتداء بالظالم فان الظالم لا يكون قدوة يؤتم به

بدليل

المقدار والشكل وأنه لابد له من مخصص وكل ما له مخصص فهو محدث فانه قال المقدمة الاولى وان كانت مسلمة غير أن الثانية وهى ان كل مفتقر الى المخصص محدث وما ذكر فى تقريرها باطل بما سبق فى المسلك الاول قال و بتقدير تسليم حدوث ما أشير اليه من الصفات فلا يلزم أن تكون الاجسام حادثة لجواز أن تكون هذه الصفات المتعاقبة عليها الى غير النهاية الا بالتفات الى ما سبق من بيان امتناع حوادث متعاقبة لا أول لها تنتهى اليه فقد ذكرنا أنه وان كان لابد للمختص من مخصص فلا يلزم أن يكون حادثا بل جاز أن يكون قديما فى ذاته وصفاته أو قديما فى الذات مع تعاقب الصفات الحادثة من المقادير وغيرها عليه الا اذا قيل ببطلان

بدليل قوله لا ينال عهدى الظالمين فدل على ان الظالم لا يؤتم به والائتمام هو الاقتداء فلما أمر بالاقتداء بمن بعده والاقتداء هو الائتمام مع اخباره أنهما يكونان بعده دل على أنهما امامان بعده وهذا هو المطلوب وأما قوله اختلفا فى كثير من الاحكام فليس الامر كذلك بل لا يكاد يعرف اختلاف أبى بكر وعمر الا فى الشئ اليسير والغالب أن يكون عن أحدهما فيه روايتان كالجد مع الاخوة فان عمر عنه فيه روايتان احداهما كقول أبى بكر وأما اختلافهما فى قسمة الفئ هل يسوى فيه بين الناس أو يفضل فالتسوية جائزة بلا ريب كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقسم الفئ والغنائم فيسوى بين الغانمين ومستحقى الفئ والنزاع فى جواز التفضيل وفيه للفقهاء قولان هما روايتان عن أحمد والصحيح جوازه للمصلحة فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفضل أحيانا فى قسمة الغنائم والفئ وكان يفضل السرية فى البدأة الربع بعد الخمس وفى الرجعة الثلث بعد الخمس فما فعله الخليفتان فهو جائز مع أنه قد روى عن عمر أنه اختار فى آخر عمره التسوية وقال لئن عشت الى قابل لاجعلن الناس ببانا واحدا وروى عن عثمان التفضيل وعن على التسوية ومثل هذا لا يسوغ فيه انكار الا أن يقال فضل من لا يستحق التفضيل كما أنكر على عثمان فى بعض قسمه وأما تفضيل عمر فما بلغنا ان أحدا ذمه فيه وأما تنازعهما فى تولية خالد وعزله فكل منهما فعل ما كان أصلح فكان الاصلح لابى بكر تولية خالد لان أبا بكر ألين من عمر فينبغى لنائبه أن يكون أقوى من نائب عمر فكانت استنابة عمر لأبى عبيدة أصلح له واستنابة أبى بكر لخالد أصلح له ونظائر هذا متعددة وأما الاحكام التى هى شرائع كلية فاختلافهما فيها اما نادر واما معدوم واما الاحدهما فيه قولان وأيضا فيقال النص يوجب الاقتداء بهما فيما اتفقا عليه وفيما اختلفا فيه فتسويغ كل منهما المصير الى قول الآخر متفق عليه بينهما فانهما اتفقا على ذلك وأيضا فاذا كان الاقتداء بهما يوجب الائتمام بهما فطاعة كل منهما اذا كان اماما وهذا هو المقصود واما بعد زوال امامته فالاقتداء بهما انهما اذا تنازعا رد ما تنازعا فيه الى الله والرسول وأما قوله أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم فهذا الحديث ضعيف ضعفه أهل الحديث قال البزار هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو فى كتب الحديث المعتمدة وأيضا فليس فيه لفظ بعدى والحجة هناك قوله بعدى وأيضا فليس فيه الامر بالاقتداء بهم وهذا فيه الامر بالاقتداء بهم

﴿فصل﴾ قال الرافضى (الثالث) ما ورد فيه من الفضائل كآية الغار وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى وقوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد والداعى هو أبو بكر كان أنيس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش يوم بدر وأنفق على النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم فى الصلاة (قال) والجواب أنه لا فضيلة له فى الغار لجواز أن يستصحبه حذرا منه لئلا يظهر أمره وأيضا فان الآية تدل على نقيضه لقوله لا تحزن فانه يدل على خوفه وقلة صبره وعدم يقينه بالله تعالى وعدم رضاه بمساواته النبى صلى الله عليه وسلم وبقضاء الله وقدره ولان الحزن ان كان طاعة استحال أن ينهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم وان كان معصية كان ما ادعوه من الفضيلة رذيلة وأيضا فان القرآن حيث ذكر انزال السكينة على رسول الله أشرك معه المؤمنين الا فى هذا الموضع ولا نقيص أعظم منه وأما سيجنبها الاتقى فان المراد أبو الدحداح حيث اشترى نخلة شخص لاجل جاره وقد عرض النبى صلى الله عليه وسلم على صاحب النخلة نخلة فى الجنة فأبى فسمع أبو الدحداح فاشتراها ببستان له ووهبها الجار فجعل النبى

حوادث لا تتناهى وحينئذ فيقال القديم اما واجب بنفسه واما واجب بغيره فان كان واجبا بنفسه بطلت حجته وان كان واجبا بغيره لزم من كون المعلول مختصا أن تكون علته مختصة أيضا والا فبتقدير أن تكون العلة الموجبة وجودا مطلقا لا تختص بشئ من الاشياء كما يقوله من يقول هو وجود مطلق تكون نسبته الى جميع أجناس الموجودات ومقاديرها وصفاتها نسبة واحدة وحينئذ فلا يختص مقدار دون مقدار بالاقتضاء والايجاب الا أن يقال لا يمكن غير ذلك المقدار واذا قيل ذلك لزم أن يكون من المقادير ما هو واجب لا يمكن غيره فاذا قيل هذا فى الممكن ففى الواجب بنفسه أولى فان تطرق الجواز الى الممكن بنفسه أولى من تطرقه الى الواجب

صلى الله عليه وسلم عوضه الله بستانا فى الجنة وأما قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون
ريد سندعوكم الى قوم فانه أراد الذين تخلفوا عن الحديبية والتمس هؤلاء أن يخرجوا الى غنيمة
خيبر فنعهم الله تعالى بقوله قل لن تتبعونا لانه تعالى جعل غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ثم قال
قل للمخلفين من الاعراب ستدعون يريد سندعوكم فيما بعد الى قتال قوم أولى بأس شديد وقد
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوات كثيرة كموتة وحنين وتبوك وغيرها فكان
الداعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا جاز أن يكون على هو الداعى حيث قاتل الناكثين
والقاسطين والمارقين وكان رجوعهم الى طاعته لقوله عليه الصلاة والسلام يا على حربك
حربى وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر وأما كونه أنيسه فى العريش يوم بدر فلا
فضل فيه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان أنسه بالله تعالى مغنياله عن كل أنيس لكن لما عرف
النبى صلى الله عليه وسلم ان أمره لابى بكر بالقتال يؤدى الى فساد الحال حيث هرب عدة مرات
فى غزواته وأيما أفضل القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه فى سبيل الله وأما انفاقه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب لانه لم يكن ذا مال فان أباه كان فقيرا فى الغاية وكان
ينادى على مائدة عبد الله بن جدعان لمد كل يوم يقتات به فلو كان أبو بكر غنيا لكفى أباه
وكان أبو بكر فى الجاهلية معلما للصبيان وفى الاسلام كان خياطا ولما ولى أمر المسلمين منعه
الناس عن الخياطة فقال انى محتاج الى القوت فجعلوا له فى كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال
والنبى صلى الله عليه وسلم كان قبل الهجرة غنيا بمال خديجة ولم يحتج الى الحرب وتجهيز
الجيوش وبعد الهجرة لم يكن لابى بكر البتة شئ ثم لو أنفق لوجب أن ينزل فيه قرآن كما
نزل فى على هل أتى ومن المعلوم أن النبى أشرف من الذين تصدق عليهم أمير المؤمنين والمال
الذى يدعون انفاقه أكثر فحيث لم ينزل فيه قرآن دل على كذب النقل وأما تقدمه فى الصلاة
فخطأ لأن بلالا لما أذن بالصلاة أمرته عائشة أن يقدم أبا بكر ولما أفاق النبى صلى الله عليه
وسلم سمع التكبير فقال من يصلى بالناس فقالوا أبو بكر فقال أخرجونى فخرج بين على والعباس
فنحاه عن القبلة وعزله عن الصلاة وتولى هو الصلاة (قال الرافضى) فهذه حال أدلة القوم فلينظر
العاقل بعين الانصاف وليقصد اتباع الحق دون اتباع الهوى ويترك تقليد الآباء والاجداد
فقد نهى الله تعالى عن ذلك ولا تلهيه الدنيا عن ايصال الحق مستحقه ولا يمنع المستحق عن حقه
فهذا آخر ما أردنا اثباته فى هذه المقدمة

(والجواب) أن يقال فى هذا الكلام من الاكاذيب والبهت والفرية مالا يعرف مثله لطائفة
من طوائف المسلمين ولاريب أن الرافضة فيهم شبه قوى من اليهود فانهم قوم بهت يريدون أن
يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وظهور فضائل شيخى
الاسلام أبى بكر وعمر أظهر بكثير عند كل عاقل من فضل غيرهما فيريد هؤلاء الرافضة قلب
الحقائق ولهم نصيب من قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه وقوله
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ونحو هذه الآيات وان
القوم من أعظم الفرق تكذيبا بالحق وتصديقا بالكذب وليس فى الامة من يماثلهم فى ذلك أما
قوله لافضيلة له فى الغار فالجواب أن الفضيلة فى الغار ظاهرة بنص القرآن لقوله تعالى اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأخبر الرسول ان الله معه ومع صاحبه كما قال لموسى وهرون اننى
معكما أسمع وأرى وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث أنس عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال

بنفسه فاذا قدر فى الممكن مقدار
لا يمكن وجود ماهو أكبر منه
فتقديرذلك فى الواجب بنفسه
أولى ونكتة الجواب ان الموجب
الذى يسمونه علة ان كان له مقدار
بطل أصل قولكم وان لم يكن له
مقدار فاما أن يكون جميع
المقادير ممكنة بالنسبة اليه واما
أن لا يكون كذلك فان كان
الاول لم يخص بعضها دون بعض
بلا مخصص لما فى ذلك من ترجيح
أحد المتماثلين على الآخر بلا
مرجح وان لم يمكن الا بعضها كما
يقوله من يقوله من المتفلسفة
فحينئذ لزم أن يكون من المقادير
ماهو ممتنع لنفسه بل منها ماهو
متعين لا يمكن وجود غيره واذا جاز
أن يمتنع بعضها لنفسه فوجوب
بعضها لنفسه أولى وأحرى واذا جاز
أن يتعين ممكن من المقادير دون

قال نظرت الى أقدام المشركين على رؤسنا ونحن فى الغار فقلت يارسول الله لوأن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق فلم يختلف فى ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على معناه يقول اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا والمعية فى كتاب الله على وجهين عامة وخاصة فالعامة كقوله تعالى هو الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم الآية وقوله ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم فهذه المعية عامة لكل متناجين وكذلك الاولى عامة لجميع الخلق ولما أخبر سبحانه فى المعية أنه رابع الثلاثة وسادس الخمسة قال النبى صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما فانه لما كان معهما كان ثالثهما كما دل القرآن على معنى الحديث الصحيح وان كانت هذه معية خاصة وتلك عامة وأما المعية الخاصة فكقوله تعالى لما قال لموسى وهرون لاتخافا اننى معكما أسمع وأرى فهذا تخصيص لهما دون فرعون وقومه فهو مع موسى وهرون دون فرعون وكذلك لما قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر لاتحزن ان الله معنا كان معناه ان الله معنا دون المشركين الذين يعادونهما ويطلبونهما كالذين كانوا فوق الغار ولو نظر أحدهم الى قدميه لأبصرما تحت قدميه وكذلك قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فهذا تخصيص لهم دون الجازعين وكذلك قوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى الآية وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا فى ذكره سبحانه للمعية عامة تارة وخاصة أخرى مايدل على أنه ليس المراد بذلك أنه بذاته فى كل مكان أو أن وجوده عين وجود المخلوقات ونحو ذلك من مقالات الجهمية الذين يقولون بالحلول العام والاتحاد العام أو الوحدة العامة لانه على هذا القول لايختص بقوم دون قوم ولامكان دون مكان بل هو فى الحشوش على هذا القول وأجواف البهائم كما هو فوق العرش فاذا أخبر أنه مع قوم دون قوم كان هذا مناقضا لهذا المعنى لانه على هذا القول لايختص بقوم دون قوم ولامكان دون مكان بل هو فى الحشوش على هذا القول كما هو فوق العرش والقرآن يدل على اختصاص المعية تارة وعمومها أخرى فعلم أنه ليس المراد بلفظ المعية اختلاطه وفى هذا أيضا رد على من يدعى أن ظاهر القرآن هو الحلول لكن يتعين تأويله على خلاف ظاهره ويجعل ذلك أصلا يقيس عليه مايتأوله من النصوص فيقال له قولك ان القرآن يدل على ذلك خطأ كما أن قول قرينك الذى اعتقد هذا المدلول خطأ وذلك لوجوه أحدها ان لفظ مع فى لغة العرب انما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ولاتدل على أن الاول مختلط بالثانى فى عامة موارد الاستعمال كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وكذلك قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وكذلك قوله عن نوح وما آمن معه الاقليل وقوله عن نوح أيضا فأنجيناه والذين معه فى الفلك الآية وقوله عن هود فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقول قوم شعيب لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وقوله الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك

غيره لنفسه فتعين مقدار واجب لنفسه أولى وأحرى وهذا كلام لامحيص لهم عنه فان العالم ان كان واجبا بنفسه فقد ثبت ان الواجب بنفسه يختص بمقدار وان كان ممكنا فوجود ماهو أكبر منه أو أصغر اما ان يكون فى نفسه ممكنا واما أن لايكون فان لم يكن ممكنا ثبت امتناع بعض المقادير لنفسه دون بعض فى الممكنات ففى الواجب أولى وحينئذ فبطل قول القائل ما من مقدار الاويمكن ماهو أكبر منه وأصغر وان كان غير هذا المقدار ممكنا فتخصيص أحد الممكنين بالوجود يفتقر الى مخصص والوجود المطلق لااختصاص له بممكن دون ممكن فلابد أن يكون المخصص أمرا فيه اختصاص وذلك الاختصاص واجب بنفسه واذا كان الواجب

مع المؤمنين وقوله وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقوله ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم وقوله ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم وقوله عن نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم وقوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وقوله فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وقوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وقال لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ومثل هذا كثير في كلام الله تعالى وسائر الكلام العربي واذا كان لفظ مع اذا استعملت في كون المخلوق مع المخلوق لم تدل على اختلاط ذاته بذاته فهي أن لا تدل على ذلك في حق الخالق بطريق الاولى فدعوى ظهورها في ذلك باطل من وجهين أحدهما ان هذا ليس معناها في اللغة ولا اقترن بها في الاستعمال ما يدل على الظهور فكان الظهور منتفيا من كل وجه الثاني أنه اذا انتفى الظهور فيما هو أولى به فانتفاؤه فيما هو أبعد عنه أولى (الثاني) أن القرآن قد جعل المعية خاصة أكثر مما جعلها عامة ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات لكانت عامة لا تقبل التخصيص (الثالث) أن سياق الكلام أوله وآخره يدل على معنى المعية كما قال تعالى في آية المجادلة ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم فافتتحها بالعلم وختمها بالعلم فعلم أنه أراد عالم بهم لا يخفى عليه منهم خافية وهكذا فسرها السلف الامام أحمد ومن قبله من العلماء كابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وفي آية الحديد قال ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فختمها أيضا بالعلم وأخبر أنه مع استوائه على العرش يعلم هذا كله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه فهنالك أخبر بعموم العلم لكل نجوى وهنا أخبر أنه مع علوه على عرشه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وهو مع العباد أينما كانوا يعلم أحوالهم والله بما يعملون بصير وأما قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فقد دل السياق على أن المقصود ليس مجرد علمه وقدرته بل هو معهم في ذلك بتأييده ونصره وانه يجعل للمتقين مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون وكذلك قوله لموسى وهرون انني معكما أسمع وأرى فانه معهما بالتأييد والنصر والاعانة على فرعون وقومه كما اذا رأى الانسان من يخاف فقال له من ينصره نحن معك أي معاونوك وناصروك على عدوك وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه ان الله معنا يدل على أنه موافق لهما بالمحبة والرضا فيما فعلاه وهو مؤيدهما ومعينهما وناصرهما وهذا صريح في مشاركة الصديق للنبي في هذه المعية التي اختص بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق والمقصود هنا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ان الله معنا هي معية الاختصاص التي تدل على أنه معهم بالنصر والتأييد والاعانة على عدوهم فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك يا أبا بكر على عدونا ويعيننا عليهم ومعلوم أن نصر الله نصر اكرام ومحبة كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وهذا غاية المدح لابي بكر اذ دل على أنه ممن شهد له الرسول بالايمان المقتضي نصر الله له مع رسوله في مثل هذه

الحال

لنفسه فيه اختصاص واجب لم يمكن أن يقال كل اختصاص فلا بدله من مخصص اذ الاختصاص ينقسم الى واجب لنفسه وممكن يوضح هذا أن المتفلسف اذا قال ان الموجب لتخصيص الفلك بمقدار دون مقدار كون الهيولى لا تقبل الا ذلك المقدار مثلا أو امتناع بعد وراء العالم أو ما قيل من الاسباب قيل له ما ذكرته من الهيولى وامتناع وجود موجود وراء العالم وان كان باطلا فيقال ما الموجب لكون الهيولى لا تكون على غير تلك الصفة ولم لا كانت الهيولى غير هذه بحيث تقبل شكلا أكبر من هذا ثم اذا زعمت أن الممكن له مقدار لا يمكن أن يكون أكبر منه لعدم القابل مع أنه لا يعلم وجود مخصص لمقدار دون مقدار ولا يكون حيز هذا المقدار يقبل الوجود

الحال التي بين الله فيها غناه عن الخلق فقال إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره ان الله عاتب الخلق جميعهم فى نبيه الا أبا بكر وقال من أنكر صحبة أبى بكر فهو كافر لأنه كذب القرآن وقال طائفة من أهل العلم كأبى القاسم السهيلى وغيره هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبى بكر وكذلك قوله ما ظنك باثنين الله ثالثهما بل ظهر اختصاصهما فى اللفظ كما ظهر فى المعنى فكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله فلما تولى أبو بكر بعده صاروا يقولون خليفة رسول الله فيضيفون الخليفة الى رسول الله المضاف الى الله والمضاف الى المضاف الى الله مضاف الى الله تحقيقا لقوله ان الله معنا ما ظنك باثنين الله ثالثهما ثم لما تولى عمر بعده صاروا يقولون أمير المؤمنين فانقطع الاختصاص الذى امتاز به أبو بكر عن سائر الصحابة ومما يبين هذا أن الصحبة فيها عموم وخصوص فيقال صحبه ساعة ويوما وجمعة وشهرا وسنة وصحبه عمره كله وقد قال تعالى والصاحب بالجنب قيل هو الرفيق فى السفر وقيل الزوجة وكلاهما تقل صحبته وقد سمى الله الزوجة صاحبة فى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولهذا قال أحمد بن حنبل فى الرسالة التى رواها عبدوس بن مالك عنه من صحب النبى صلى الله عليه وسلم سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه مؤمنا به فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وهذا قول جماهير العلماء من الفقهاء وأهل الكلام وغيرهم يعدون فى أصحابه من قلت صحبته ومن كثرت وفى ذلك خلاف ضعيف والدليل على قول الجمهور ما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من صحب النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم وهذا لفظ مسلم وله فى رواية أخرى يأتى على الناس زمان يبعث منهم البعث فيقولون انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجد الرجل فيفتح لهم به ثم يبعث البعث الثانى فيقولون هل فيكم من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم به ثم يبعث البعث الثالث فيقال انظروا هل ترون فيكم من رأى من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم ثم يكون البعث الرابع فيقال هل ترون فيكم أحدا رأى من رأى أحدا رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجد الرجل فيفتح لهم به ولفظ البخارى ثلاث مراتب كالرواية الاولى لكن لفظه يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس وكذلك قال فى الثانية والثالثة وقال فيها كلها صحب واتفقت الروايات على ذكر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون الثلاثة وأما القرن الرابع فهو فى بعضها وذكر القرن الثالث ثابت فى المتفق عليه من غير وجه كما فى الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتى القرن الذين يلوننى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته وفى الصحيحين عن عمران أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدرى أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وفى رواية ويحلفون ولا يستحلفون فقد شك عمر فى القرن الرابع

دون الحيز الذى يجاوره فان الأحياز المجردة المحضة متشابهة أبلغ من تشابه المقادير فاذا ادعيت التخصيص فى هذا فنى الواجب بنفسه أولى وأحرى ثم بتقدير أن تكون المقادير والصفات حادثة فالحجة المبنية على نفى حوادث لا تتناهى قد عرف ضعفها وقد أبطل هو جميع أدلة الناس التى ذكرها الا حجة واحدة اختارها وهى أضعف من غيرها كما قد ذكر غير مرة واذا كانت هذه الحجة لا تمنع جواز تعاقب الحوادث على القديم لم يمتنع كون القديم محلا للحوادث فبطل استدلالهم على نفى ذلك بمثل هذه الحجة فهذه الحجج الثلاث قد قدح هو فيها وأما الرابعة وهى تعدد الصفات فالقدح فيها تبع للقدح فى هذه الثلاث فانها مبنية عليها اذ عمدة النفاة

وقوله يشهدون ولا يستشهدون حمله طائفة من العلماء على مطلق الشهادة حتى كرهوا ان يشهد الرجل بحق قبل ان يطلب منه المشهود له اذا علم الشهادة وجمعوا بذلك بين هذا وبين قوله ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسئلها وقال طائفة أخرى انما المراد ذمهم على الكذب أي يشهدون بالكذب كما ذمهم على الخيانة وترك الوفاء فان هذه من آيات النفاق التي ذكرها في قوله آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان أخرجاه في الصحيحين وأما الشهادة بالحق اذا أداها الشاهد لمن علم أنه محتاج اليها ولم يسأله ذلك فقد قام بالقسط وأدى الواجب قبل أن يسئله وهو أفضل ممن لا يؤديه الا بالسؤال كمن له عند غيره أمانة فأداها قبل أن يسأله أداءها حيث يحتاج اليها صاحبها وهذا أفضل من أن يحوج صاحبها الى ذل السؤال وهذا أظهر القولين وهذا يشبه اختلاف الفقهاء في الخصم اذا ادعى ولم يسأل الحاكم سؤال المدعى عليه هل يسأله الجواب والصحيح أنه يسأله الجواب ولا يحتاج ذلك الى سؤال المدعي لان دلالة الحال تغني عن السؤال ففي الحديث الاول هل فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هل فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على أن الرائي هو الصاحب وهكذا يقول في سائر الطبقات هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ثم يكون المراد بالصاحب الرائي وفي الرواية الثانية هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقال في الثالثة هل فيكم من رأى من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان كان الحكم لصاحب الصاحب معلقا بالرؤية ففي الذي صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والاحرى ولفظ البخاري قال فيها كلها صحب وهذه الالفاظ ان كانت كلها من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي نص في المسئلة وان كان قد قال بعضها والراوي مثل أبي سعيد روى اللفظ بالمعنى فقد دل على أن معنى أحد اللفظين عندهم هو معنى الآخر وهم أعلم بمعاني ما سمعوه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا فان كان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم رأى فقد حصل المقصود وان كان لفظه صحب في طبقة أو طبقات فان لم يرد به الرؤية لم يكن قد بين مراده فان الصحبة اسم جنس ليس لها حد في الشرع ولا في اللغة والعرف فيها مختلف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقيد الصحبة بقيد ولا قدرها بقدر وعلق الحكم بمطلقها ولا مطلق لها الا الرؤية وأيضا فانه يقال صحبه ساعة وصحبه سنة وشهرا فتقع على القليل والكثير فاذا أطلقت من غير قيد لم يجز تقييدها بغير دليل بل تحمل على المعنى المشترك بين سائر موارد الاستعمال ولا ريب أن مجرد رؤية الانسان لغيره لا توجب أن يقال قد صحبه ولكن اذا رآه على وجه الاتباع له والاقتداء به دون غيره والاختصاص ولهذا لم يعتد برؤية من رأى النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار والمنافقين فانهم لم يروه رؤية من قصده أن يؤمن به ويكون من أتباعه وأعوانه المصدقين له فيما أخبر المطيعين له فيما أمر الموالين له المعادين لمن عاداه الذي هو أحب اليهم من أنفسهم وأموالهم وكل شئ وامتازا عن سائر المؤمنين بأن رآه وهذه حاله معه فكان صاحبا له بهذا الاعتبار ودليل ثان ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وددت أني رأيت اخواني قالوا يا رسول الله أولسنا اخوانك قال بل أنتم أصحابي واخواني الذين يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني ومعلوم أن قوله اخواني أراد به اخواني الذين ليسوا أصحابي وأما أنتم فلكم مزية في الصحبة ثم قال قوم يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني فجعل هذا حدا فاصلا بين اخوانه الذين ود أن يراهم وبين أصحابه فدل على ان من آمن به ورآه فهو من أصحابه لا من

هي هذه الثلاث وكلامهم كله يدور عليها حجة التركيب وحجة الاعراض ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث وحجة الاختصاص وحجة الاولى على نفي الجوهر مبنية على نفي تماثل الجواهر وهو قد بين أن جميع ما ذكروه فانه يرجع الى ما قاله وقال انه لا دليل فيه على نفي تماثلها وأما الثانية وهي قوله اما أن يكون مركبا فيكون جسما أولا يكون فيكون جوهرا فردا فمبنية على نفي التركيب وهو قد أفسد أدلة ذلك أو على نفي الجسم وقد عرف كلامه وقدحه في حجج نفي ذلك وأما حجته الثالثة فهي مبنية على تماثل الجواهر أيضا وهو قد أبطل أدلة ذلك ومبنية على امتناع حلول الحوادث به أيضا وقد أبطل هو أيضا جميع حجج ذلك واستدل بحجة الكمال والنقصان كما احتج

هؤلاء الاخوان الذين لم يرهم ولم يروه فاذا عرف ان الصحبة اسم جنس تم قليل الصحبة وكثيرها وأدناها ان يصحبه زمنا قليلا فمعلوم ان الصديق فى ذروة سنام الصحبة وأعلى مراتبها فانه صحبه من حين بعثه الله الى ان مات وقد أجمع الناس على انه أول من آمن به من الرجال الاحرار كما أجمعوا على ان أول من آمن به من النساء خديجة ومن الصبيان على ومن الموالى زيد بن حارثة وتنازعوا فى أول من نطق بالاسلام بعد خديجة فان كان أبو بكر أسلم قبل على فقد ثبت أنه أسبق صحبة كما كان أسبق ايمانا وان كان على أسلم قبله فلا ريب ان صحبة أبى بكر للنبى صلى الله عليه وسلم كانت أكمل وأنفع له من صحبة على ونحوه فانه شاركه فى الدعوة فأسلم على يديه أكابر أهل الشورى كعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وكان يدفع عنه من يؤذيه ويخرج معه الى القبائل ويعينه فى الدعوة وكان يشترى المعذبين فى الله كبلال وعمار وغيرهما فانه اشترى سبعة من المعذبين فى الله فكان أنفع الناس له فى صحبته مطلقا ولا نزاع بين أهل العلم بحال النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن مصاحبة أبى بكر له كانت أكمل من مصاحبة سائر الصحابة من وجوه أحدها أنه كان أدوم اجتماعا به ليلا ونهارا وسفرا وحضرا كما فى الصحيحين عن عائشة أنها قالت لم أعقل أبوىّ قط الا وهما يدينان الدين ولم يمض علينا يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا فيه طرفى النهار فكان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الامر يذهب الى أبى بكر طرفى النهار والاسلام اذ ذاك ضعيف والاعداء كثيرة وهذا غاية الفضيلة والاختصاص فى الصحبة وأيضا فكان أبو بكر يسمر عند النبى صلى الله عليه وسلم بعد العشاء يتحدث معه فى أمور المسلمين دون غيره من أصحابه وأيضا فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر فى الشورى وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره فيعمل برأيه وحده فاذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأى من يخالفه فالاول كما فى الصحيحين أنه شاور أصحابه فى أسارى بدر فتكلم أبو بكر أولا فروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس قال لما أسر الاسارى يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر ما ترون فى هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر هم بنو العم والعشيرة فأرى أن تقبل منهم الفدية فتكون لنا قوة على الكفار فقال عمر لا والله يارسول الله ما أرى ما رآى أبو بكر ولكن ان تمكننا فنضرب أعناقهم تمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكننى من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وأشار ابن رواحة بتحريقهم فاختلف أصحابه فمنهم من يقول الرأى ما رآى أبو بكر ومنهم من يقول الرأى ما رآى عمر ومنهم من يقول الرأى ما رآى ابن رواحة قال فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وذكر تمام الحديث وأما الثانى ففى يوم الحديبية لما شاورهم على أن يغير على ذرية الذين أعانوا قريشا أو يذهب الى البيت فمن صده قاتله والحديث معلوم عند أهل العلم أهل التفسير والمغازى والسير والفقه والحديث رواه البخارى ورواه أحمد فى مسنده حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل منهما صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه حتى اذا كانوا بذى الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى وأشعره وأحرم بعمرة وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريب من عسفان أتاه عينه الخزاعى فقال انى قد تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد جمعوا

بها الرازى وهو أيضا قد أبطل هذه الحجة لما استدل بها الفلاسفة على قدم العالم كما ذكرته وأما حجته الرابعة على نفى الجوهر فبناها على نفى التحيز وبنى نفى التحيز على حجتين على حجة الحركة والسكون وعلى تماثل الجواهر وهو قد بين أنه لا دليل على تماثل الجواهر وأبطل أيضا حجة الحركة والسكون لما احتج بها من احتج على حدوث الاجسام فانه قال المسلك السادس لبعض المتأخرين من أصحابنا يعنى به الرازى وهذا المسلك أخذه الرازى عن المعتزلة ذكره أبو الحسين وغيره أنه لو كانت الاجسام أزلية لكانت اما أن تكون متحركة أو ساكنة والقسمان باطلان فالقول بأزليتها باطل ثم اعترض عليه بوجوه متعددة قال ولقائل أن

لك الاحابيش قال أحمد وقال يحيى بن سعيد عن ابن المبارك قد جمعوا لك الاحابيش وجمعوا لك
جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا على أترون أن
أميل الى ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين وان نجوا يكن
عنقا قطعها الله أوترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر الله ورسوله أعلم
يانبي الله انما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه قال النبي
صلى الله عليه وسلم فروحوا اذا قال الزهري وكان ابوهريرة يقول مارأيت أحدا قط كان أكثر
مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزهري حديث المسور بن مخرمة ومروان
ابن الحكم فراحوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق ومن هنا رواه البخاري من طريق ورواه في
المغازي والحج وقال الزهري في حديث المسور الذي اتفق عليه أحمد والبخاري حتى اذا كانوا
ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة
فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش
وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال
الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي
بيده لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل
عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه
وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه
فيه فوالله مازال يجيش لهم حتى صدروا عنه فبينماهم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي ونفر
من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة وفي لفظ
لاحد مسلمهم ومشركهم فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية
ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا
ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا
والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي
ولينفذن الله أمره قال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من
عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة
لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذووا الرأى منهم هات ماسمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا
فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال أى قوم ألستم بالوالد
قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت
أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا قد عرض
عليكم خطة رشد فاقبلوها منه ودعوني آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه
وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم له نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أى محمد
أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت أحدا من العرب اجتاح أهله قبلك وان تكن الاخرى
فانى والله لأرى وجوها وانى لأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك ولفظ أحمد خلقاء
أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه

يقول اما أن تكون الحركة
عبارة عن الحصول في الحيز بعد
الحصول في حيز آخر والسكون
عبارة عن الحصول في الحيز بعد أن
كان في ذلك الحيز أولا يكون
كذلك فان كان الاول فقد بطل
الحصر بالجسم في أول زمان حدوثه
فانه ليس متحركا لعدم حصوله في
الحيز بعد أن كان فيه وان كان
الثاني فقد بطل ماذكره في تقرير
كون السكون أمرا وجوديا ولا
مخلص عنه * قلت هذه مسئلة نزاع
بين أهل النظر ان الجسم في أول
أوقات حدوثه هل يوصف بأحدهما
أويخلو عنهما والذي قاله الرازي هو
قول أبي هاشم وغيره من المعتزلة
ومضمونه انه في أول أوقات
حدوثه ليس متحركا ولا ساكنا
واعترض عليه بتقسيم حاصر
فقال ان كانت الحركة عبارة

فقال

فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف و يقول أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من ذا قالوا المغيرة بن شعبة قال أى غدر أولست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه قومه وأصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في يد رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهذا أن يصد عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصد عن البيت فقام رجل يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز بن حفص وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر عن الزهري في حديثه فجاء سهيل فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها قال النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين المسجد الحرام نطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب وقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده الي قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال

عن الانتقال من حيز الى حيز والسكون البقاء في حيز بعد حيز فالجسم في أول أوقات حدوثه لا متحرك ولا ساكن وان لم يكن الامر كذلك فقد بطل ما ذكره من كون السكون أمرا وجوديا فانه اعتمد في ذلك على أن السكون عبارة عن الحصول في الحيز بعد أن كان في ذلك الحيز

(قال الآمدي) فان قيل الكلام انما هو في الجسم في الزمان الثاني والجسم في الزمان الثاني لا يخلو عن الحركة والسكون بالتفسير المذكور فهذا قول ظاهر الاحالة فانه اذا كان الكلام في الجسم انما هو في الزمان الثاني فوجود الجسم بالزمان الثاني ليس هو حاله الاولية وعند ذلك فلا يلزم أن يكون الجسم أزلا لا يخلو عن الحركة والسكون * قلت بل بتقدير قدمه

فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معاشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وقد كان عذب عذابا شديدا في الله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا فقال بلى قال قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال فأخبرتك انك آتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فهو والله على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك أخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك فنحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الى قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله اني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر اليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء أبو بصير رضي الله عنه فقال يا نبي الله لقد وفى الله ذمتك فلقد رددتني اليهم ثم أنجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل رضي الله عنه فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل أسلم الا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة قال فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت رواه البخاري عن عبد الله بن محمد المسندي عن عبد الرزاق ورواه أحمد عن عبد الرزاق وهو أجل قدرا من المسندي شيخ البخاري فما فيه من زيادة هي أثبت مما في البخاري وفي الصحيحين

لا يخلو عن الحركة والسكون لانه حينئذ اما أن يبقى في حيز أو ينتقل عنه والاول السكون والثاني الحركة وما ذكره الآمدي من جواز خلوه عنهما على أحد التقديرين فانما هو بتقدير حدوثه ومعلوم أنه اذا كان بتقدير قدمه لا يخلو عنهما وكلاهما ممتنع كان بتقدير قدمه مستلزما لامر ممتنع وهو الجمع بين النقيضين فانه اذا صحت المقدمتان لزم أن يكون حادثا بتقدير قدمه وهو أنه لو كان قديما لم يخل من حادث وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وما ذكره الآمدي انما يتوجه اذا قيل الجسم مطلقا لا يخلو عن الحركة والسكون وحينئذ فاما أن يخلو عنهما أو لا يخلو فان خلا عنهما لم يكن ذلك الا حال حدوثه فيكون حادثا وان لم يخل عنهما لزم أن

عن البراء بن عازب قال كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبية فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا تكتب رسول الله لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه قال ما أنا بالذي أمحوه قال فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده قال وكان فيما اشترطوا عليه أن يدخلوا فيقيموا ثلاثا ولا يدخلوا بسلاح الا جلبان السلاح قال شعبة قلت لأبي اسحق وما جلبان السلاح قال القراب وما فيه وفي الصحيحين عن أبي وائل قال قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال يا أيها الناس اتهموا أنفسكم وفي لفظ اتهموا رأيكم على دينكم لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وجاء عمر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل قال بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل قال بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا قال فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح فأرسل الى عمر فأقرأه اياه فقال يا رسول الله أوفتح هو قال نعم وفي لفظ مسلم فطابت نفسه ورجع وفي لفظ لمسلم أيضا أيها الناس اتهموا رأيكم لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله لرددته وفي رواية والله ورسوله أعلم والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا الى أمر قط الا أسهلن بنا الى أمر نعرفه الا أمركم هذا ما نسد منه خصما الا انفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له يعني يوم صفين وقال ذلك سهل يوم صفين لما خرجت الخوارج على علي حين أمر بقتال معاوية وأصحابه وهذه الاخبار الصحيحة هي باتفاق أهل العلم بالحديث في عمرة الحديبية تبين اختصاص أبي بكر بمنزلة من الله ورسوله لم يشركه فيها أحد من الصحابة لا عمر ولا علي ولا غيرهما وانه لم يكن فيهم أعظم ايمانا وموافقة وطاعة لله ورسوله منه ولا كان فيهم من يتكلم بالشورى قبله فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصدر عن رأيه وحده في الامور العظيمة وانه يبدأ بالكلام بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم معاونة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يفتي بحضرته وهو يقره على ذلك ولم يكن هذا لغيره فانه لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم جاسوسه الخزاعي وأخبره أن قريشا قد جمعوا له الأحابيش وهي الجماعات المستجمعة من قبائل والتحبش التجمع وانهم مقاتلوه وصادوه عن البيت استشار أصحابه أهل المشورة مطلقا هل يميل الى ذراري الاحابيش أو ينطلق الى مكة فلما أشار عليه أبو بكر أن لا يبدأ أحدا بالقتال فانا لم نخرج الا للعمرة لا للقتال فان منعنا أحد من البيت قاتلناه لصده لنا عما قصدنا لا مبتدين له بقتال قال النبي صلى الله عليه وسلم روحوا اذا ثم انه لما تكلم عروة بن مسعود الثقفي وهو من سادات ثقيف وحلفاء قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأخذ يقول له عن أصحابه انهم أشواب أي أخلاط وفي المسند أوباش يفرون عنك ويدعونك قال له الصديق رضي الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال له عروة ولما يجاوبه عن هذه الكلمة لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أحسن اليه قبل ذلك فرعى حرمته ولم يجاوبه عن هذه الكلمة ولهذا قال

يكون حادثا فيلزم حدوثه على كل تقدير ونحن نذكر ما يقدح به الآمدي وأمثاله في حججهم التي احتجوا بها في موضع آخر وان كان بعض ذلك القدح ليس بحق ولكن يعطى كل ذي حق حقه قولا بالحق واتباعا للعدل وقد ذكرنا كلام الآمدي على سائر ما ذكره في امتناع كون الحركة أزلية مثل قوله لم قلتم بامتناع كون الحركة أزلية وما ذكروه من الوجه الاول فانما يلزم أن لو قيل بأن الحركة الواحدة بالشخص أزلية وليس كذلك بل المعنى بكون الحركة أزلية أن أعداد أشخاصها المتعاقبة لا أول لها وعند ذلك فلا منافاة بين كون كل واحدة من آحاد الحركات الشخصية حادثة ومسبوقة بالغير وبين كون جملة آحادها أزلية بمعنى أنها متعاقبة الى غير نهاية الى آخر

من قال من العلماء ان هذا يدل على جواز التصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة وليس من الفحش المنهى عنه كما فى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه هن أبيه ولا تكنوا رواه أحمد فسمع أبى بن كعب رجلا يقول يافلان فقال اعضض أير أبيك فقيل له فى ذلك فقال بهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه لما صالح النبى صلى الله عليه وسلم قريشا كان ظاهر الصلح فيه غضاضة وضيم على المسلمين وفعله النبى صلى الله عليه وسلم طاعة لله وثقة بوعده له وان الله سينصره عليهم واغتاظ من ذلك جمهور الناس وعز عليهم حتى على مثل عمر وعلى وسهل بن حنيف ولهذا كبر عليه على عليه السلام لما مات تبيينا لفضله على غيره يعنى سهل بن حنيف فعلى أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يمحوا اسمه من الكتاب فلم يفعل حتى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الكتاب ومحاه بيده وفى صحيح البخارى انه قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وسهل بن حنيف يقول لو استطعت أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته وعمر يناظر النبى صلى الله عليه وسلم ويقول اذا كنا على الحق وعدونا على الباطل وقتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار وأنت رسول الله حقا فعلام نعطى الدنية فى ديننا ثم انه رجع عن ذلك وعمل له أعمالا وأبو بكر أطوعهم لله ورسوله لم يصدر عنه مخالفة فى شئ قط بل لما ناظره عمر بعد مناظرته للنبى صلى الله عليه وسلم أجابه أبو بكر بمثل ما أجابه النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يسمع جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أبين الامور دلالة على موافقته للنبى صلى الله عليه وسلم ومناسبته له واختصاصه به قولا وعملا وعلما وحالا اذ كان قوله من جنس قوله وعمله من جنس عمله وفى المواطن التى ظهر فيها تقدمه على غيره فى ذلك فأين مقامه من مقام غيره هذا يناظره ليرده عن أمره وهذا يأمره ليمحوا اسمه فلا يمحوه وهذا يقول لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته وهو يأمر الناس بالحلق والنحر فيتوقفون ولا ريب أن الذى حملهم على ذلك حب الله ورسوله وبغض الكفار ومحبتهم أن يظهر الايمان على الكفر وأن لا يكون قد دخل على أهل الايمان غضاضة وضيم من أهل الكفر ورأوا أن قتالهم لئلا يضاموا هذا الضيم أحب اليهم من هذه المصالحة التى فيها من الضيم ما فيها لكن معلوم وجوب تقديم النص على الرأى والشرع على الهوى فالاصل الذى افترق فيه المؤمنون بالرسل والمخالفون لهم تقديم نصوصهم على الآراء وشرعهم على الاهواء وأصل الشر من تقديم الرأى على النص والهوى على الشرع فمن نور الله قلبه فرأى ما فى النص والشرع من الصلاح والخير والا فعليه الانقياد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس له معارضته برأيه وهواه كما قال صلى الله عليه وسلم انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى فبين أنه رسول الله يفعل ما أمره به مرسله لا يفعل من تلقاء نفسه وأخبر أنه يطيعه لا يعصيه كما يفعل المتبع لرأيه وهواه وأخبر أنه ناصره فهو على ثقة من نصر الله فلا يضره ما حصل فان فى ضمن ذلك من المصلحة وعلو الدين ما ظهر بعد ذلك وكان هذا فتحا مبينا فى الحقيقة وان كان فيه ما لم يعلم حسن ما فيه كثير من الناس بل رأى ذلك ذلا وعجزا وغضاضة وضيما ولهذا تاب الذين عارضوا ذلك رضى الله عنهم كما فى الحديث رجوع عمر وكذلك فى الحديث أن سهل بن حنيف اعترف بخطئه حيث قال والله ورسوله أعلم وجعل رأيهم عبرة لمن بعدهم فأمرهم أن يتهموا رأيهم على دينهم فان الرأى يكون خطأ كما كان رأيهم

كلامه والمقصود هنا التنبيه على أنه نقض فى موضع آخر عامة ما احتج به هنا

(فصل) ومما ينبغى معرفته فى هذا الباب أن القائلين بنفى علو الله على خلقه الذين يستدلون على ذلك أو عليه وعلى غيره بنفى التجسيم ينقضون الحجج التى يحتجون بها فتارة ينقض أحدهم الحجج التى يحتج (١) كالرازى والآمدى من حذاق النظار الذين جمعوا خلاصة ما ذكره النفاة من أهل الفلسفة والكلام بل يعارضون به لله بما يعلم بصريح العقل أنه خطأ بل يعارضون السمعيات التى يعلم أن العقل الصريح يوافقها بما يعلم العقلاء كل طائفة تبطل الطريقة

(١) بياض بالأصل فى هذه المواضع

يوم

يوم الحديبية خطأ وكذلك على الذي لم يفعل ما أمر به والذين لم يفعلوا ما أمروا به من الحلق
والنحر حتى فعل هو ذلك قد تابوا من ذلك والله يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات
والقصة كانت عظيمة بلغت منهم مبلغا عظيما لا تحمله عامة النفوس الا من هم خير الخلق وأفضل
الناس وأعظمهم علما وايمانا وهم الذين بايعوا تحت الشجرة وقد رضي الله عنهم وأثنى عليهم وهم
السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والاعتبار في الفضائل بكمال النهاية لا بنقص
البداية وقد قص الله علينا من توبة أنبيائه وحسن عاقبتهم وما آل اليه أمرهم من علي
الدرجات وكرامة الله لهم بعد أن جرت لهم أمور ولا يجوز أن يظن بغضهم لاجلها اذا كان
الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية وهكذا السابقون الاولون من ظن بغضهم لاجلها اذا
كان الاعتبار بكمال النهاية كما ذكر فهو جاهل لكن المطلوب أن الصديق أكمل القوم وأفضلهم
وأسبقهم الى الخيرات وأنه لم يكن فيهم من يساويه وهذا أمر بين لا يشك فيه إلا من كان جاهلا
بحالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو كان صاحب هوى صده اتباع هواه عن معرفة الحق
والا فمن كان له علم وعدل لم يكن عنده في ذلك شك كما لم يكن عند أهل العلم والايمان شك بل كانوا
مطبقين على تقديم الصديق وتفضيله على من سواه كما اتفق على ذلك علماء المسلمين وخيارهم
من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو مذهب مالك وأصحابه والشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه
وداود وأصحابه والثوري وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والليث وأصحابه وسائر العلماء الذين لهم في
الامة لسان صدق ومن ظن ان مخالفة من خالف أمر الرسول يوم الحديبية أو غيره لم تكن من
الذنوب التي تجب التوبة منها فهو غالط كما قال من أخذ يعتذر لمن خالف أمره عذرا اما يقصد به رفع
الملام بأنهم انما تأخروا عن النحر والحلق لانهم كانوا ينتظرون النسخ ونزول الوحي بخلاف ذلك
وقول من يقول انما تخلف من تخلف عن طاعته اما تعظيما لمرتبته أن يمحو اسمه أو يقول
مراجعة من راجعه في مصالحة المشركين انما كانت قصد الظهور أهل الايمان على الكفر
ونحو ذلك فيقال الامر الجازم من الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أراد به الايجاب موجب
لطاعته باتفاق أهل الايمان وانما نازع في الامر المطلق بعض الناس لاحتمال انه ليس بجازم
أراد به الايجاب وأما مع ظهور الجزم والايجاب فلم يسترب أحد في ذلك ومعلوم أن أمره بالنحر
والحلق كان جازما وكان مقتضاه الفعل على الفور بدليل انه ردده ثلاثا فلما لم يقم أحد دخل
على أم سلمة فذكر لها مالقي من الناس وروى أنه غضب وقال مالي لا أغضب وأنا آمر بالامر ولا
يتبع وروى أنه قال ذلك لما أمرهم بالتحلل في حجة الوداع ومعلوم أن الامر من التحلل
بهذه العمرة التي أحصروا فيها كان أوكد من الامر بالتحلل في حجة الوداع وأيضا فانه كان محتاجا
الى محو اسمه من الكتاب ليتم الصلح ولهذا محاه بيده والامر بذلك كان جازما والمخالف لامره
ان كان متأولا فهو ظان أن هذا لا يجب لما فيه من قلة احترام الرسول صلى الله عليه وسلم أو لما
فيه من انتظار العمرة وعدم اتمام ذلك الصلح فحسب المتأول أن يكون مجتهدا مخطئا فانه مع جزم
النبي صلى الله عليه وسلم وتشكيه ممن لم يمتثل أمره وقوله مالي لا أغضب وأنا آمر بالمعروف
ولا أتبع لا يمكن تسويغ المخالفة لكن هذا مما تابوا منه كما تابوا من غيره فليس لاحد أن يثبت
عصمة من ليس بمعصوم فيقدح بذلك في أمر المعصوم صلى الله عليه وسلم كما فعل ذلك في توبة
من تاب وحصل له بالذنب نوع من العقاب فأخذ ينفي عن الفعل ما يوجب الملام والله قد لامه لوم
المذنبين فيزيد تعظيم البشر فيقل في رب العالمين ومن علم أن الاعتبار بكمال النهاية وأن التوبة

العقلية التي اعتمدت عليها
الاخرى بما يظهر به بطلانها
بالعقل الصريح وليسوا متفقين
على طريقة واحدة وهذا يبين
خطأهم كلهم من وجهين من جهة
العقل الصريح الذي يبين به كل
قوم فساد ما قاله الآخرون ومن
جهة أنه ليس معهم معقول
اشتركوا فيه فضلا عن أن يكون
من صريح المعقول بل المقدمة
التي تدعي طائفة من النظار صحتها
تقول الاخرى هي باطلة وهذا
بخلاف مقدمات أهل الاثبات
الموافقة لما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم فانها من العقليات التي
اتفقت عليها فطر العقلاء السليمة
الفطرة التي لا ينازع فيها الا من
يلقى النزاع تعليما من غيره لا من
موجب فطرته فانما يقدح فيها
بمقدمة تقليدية أو نظرية لا ترجع

تنقل العبد الى مرتبة أكمل مما كان عليه علم أن ما فعله الله بعباده المؤمنين كان من أعظم نعمة الله عليهم وأيضا في المواضع التي لا يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة الا واحد كان يكون هو ذلك الواحد مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه الا أبو بكر ومثل خروجه الى قبائل العرب يدعوهم الى الاسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر وهذا الاختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأما من كان جاهلا بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم أو كذابا فيخاطب خطاب مثله فقوله تعالى في القرآن اذ يقول لصاحبه لا يختص بمصاحبته في الغار بل هو صاحبه المطلق الذي كمل في الصحبة كمالا لم يشركه فيه غيره فصار مختصا بالاكملية من الصحبة كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس اعرفوا لأبي بكر حقه فانه لم يسؤني قط أيها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعلي وفلان وفلان فقد تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه دون غيره مع أنه قد جعل غيره من أصحابه أيضا لكن خصه بكمال الصحبة ولهذا قال من قال من العلماء ان فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره ومن أراد أن يعرف فضائلهم ومنازلهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فليتدبر الاحاديث الصحيحة التي صححها أهل العلم بالحديث الذين كملت خبرتهم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ومحبتهم له وصدقهم في التبليغ عنه وصار هواهم تبعا لما جاء به فليس لهم غرض الا معرفة ما قاله وتمييزه عما يخلط بذلك من كذب الكاذبين وغلط الغالطين كأصحاب الصحيح مثل البخاري ومسلم والاسمعيلي والبرقاني وأبي نعيم والدارقطني ومثل صحيح ابن خزيمة وابن منده وأبي حاتم البستي والحاكم وما صححه أئمة أهل الحديث الذين هم أجل من هؤلاء وأمثالهم من المتقدمين والمتأخرين مثل مالك وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك وأحمد وابن معين وابن المديني وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين وخلائق لا يحصى عددهم الا الله تعالى فاذا تدبر العاقل الاحاديث الصحيحة الثابتة عند هؤلاء وأمثالهم عرف الصدق من الكذب فان هؤلاء من أكمل الناس معرفة بذلك وأشدهم رغبة في التمييز بين الصدق والكذب وأعظمهم ذبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم المهاجرون الى سنته وحديثه والانصار له في الدين يقصدون ضبط ما قاله وتبليغه للناس وينفون عنه ما كذبه الكذابون وغلط فيه الغالطون ومن شركهم في علمهم علم ما قالوه وعلم بعض قدرهم والا فليسلم القوس الى باريها كما يسلم الى الاطباء طبهم والى النحاة نحوهم والى الفقهاء فقههم والى أهل الحساب حسابهم مع أن جميع هؤلاء قد يتفقون على خطأ في صناعتهم الا الفقهاء فيما يفتون به من الشرع وأهل الحديث فيما يفتون به من النقل فلا يجوز أن يتفقوا على التصديق بكذب ولا على التكذيب بصدق بل اجماعهم معصوم في التصديق والتكذيب باخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما ان اجماع الفقهاء معصوم في الاخبار عن الفعل بدخوله في أمره أو نهيه أو تحليله أو تحريمه ومن تأمل هذا وجد فضائل الصديق التي في الصحاح كثيرة وهي خصائص مثل حديث الخالة وحديث ان الله معنا وحديث انه أحب الرجال الى النبي صلى الله عليه وسلم وحديث الاتيان اليه بعده وحديث كتابة العهد اليه بعده وحديث تخصيصه بالصديق ابتداء والصحبة وتركه له وهو قوله فهل أنتم تاركو لي صاحبي وحديث دفعه عنه عقبة بن أبي معيط لما وضع الرداء في عنقه حتى خلصه أبو بكر وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وحديث استخلافه في الصلاة وفي الحج

الى (١) وهو يدعي أنها عقلية فطرية ومن كان له خبرة بحقيقة هذا الباب تبين له أن جميع المقدمات العقلية التي ترجع اليها براهين المعارضين للنصوص النبوية انما ترجع الى تقليدهم لأسلافهم لا الى ما يعلم بضرورة العقل ولا الى فطرة فهم يعارضون ما قامت الادلة العقلية على وجوب تصديقه وسلامته من الخطا بما قامت الادلة العقلية على أنه لا يجب تصديقه بل قد علم جواز الخطا عليه وعلم وقوع الخطا منه فيما هو دون الالهيات فضلا عن الالهيات التي يتيقن خطأ من خالف الرسل فيها بالادلة المجملة والمفصلة والمقصود هنا التنبيه على جوامع قدح كل طائفة في طريق الطائفة الاخرى من نفاة العلو أو العلو

(١) بياض بالأصل

وصبره وثباته بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وانقياد الامة له وحديث الخصال التى اجتمعت فيه فى يوم وما اجتمعت فى رجل الا وجبت له الجنة وأمثال ذلك ثم له مناقب يشركه فيها عمر كشهادته بالايمان له ولعمر وحديث على حيث يقول كثيرا ما كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول خرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وحديث استقائه من القليب وحديث البقرة التى يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم أومن بها أنا وأبو بكر وعمر وأمثال ذلك وأما مناقب على التى فى الصحاح فأصحها قوله يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقوله فى غزوة تبوك ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدى ومنها دخوله فى المباهلة وفى الكساء ومنها قوله أنت منى وأنا منك وليس فى شئ من ذلك خصائص وحديث لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق ومنها ما تقدم من حديث الشورى واخبار عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم توفى وهو راض عن عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن فمجموع ما فى الصحيح لعلى نحو عشرة أحاديث ليس فيها ما يختص به ولابى بكر فى الصحاح نحو عشرين حديثا أكثرها خصائص وقول من قال صح لعلى من الفضائل ما لم يصح لغيره كذب لا يقوله أحمد وغيره من أئمة الحديث لكن قد يقال روى له ما لم يرو لغيره لكن أكثر ذلك من نقل من علم كذبه أو خطؤه ودليل واحد صحيح المقدمات سليم عن المعارضة خير من عشرين دليلا مقدماتها ضعيفة بل باطلة وهى معارضة بأصح منها يدل على نقيضها والمقصود هنا بيان اختصاصه فى الصحبة الايمانية بما لم يشركه مخلوق لا فى قدرها ولا فى صفتها ولا فى نوعها. فانه لو أحصى الزمان الذى كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم والزمان الذى كان يجتمع به فيه عثمان أو على أو غيرهما من الصحابة لوجد ما يختص به أبو بكر أضعاف ما اختص به واحد منهم لا أقول ضعفه وأما المشترك بينهم فلا يختص به واحد وأما كمال معرفته ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وتصديقه له فهو مبرز فى ذلك على سائرهم تبريزا باينهم فيه مباينة لا تخفى على من كان له معرفة بأحوال القوم ومن لا معرفة له بذلك لم تقبل شهادته وأما نفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاونته له على الدين فكذلك فهذه الامور التى هى مقاصد الصحبة ومحامدها ويستحق الصحابة أن يفضلوا بها على غيرهم لابى بكر فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيه أحد ويدل على ذلك ما رواه البخارى عن أبي الدرداء قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال انى كان بينى وبين ابن الخطاب شئ فأسرعت اليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل أثم أبو بكر قالوا لا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى مرتين فما أوذى بعدها وفى رواية كانت بين أبى بكر وعمر محاورة فأغضبه أبو بكر فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجهه فأقبل أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم الحديث قال وغضب النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انى قلت يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت

وغيره من الصفات بناء على نفى التجسيم ففحول أهل الكلام كأبى على وأبى هاشم والقاضى عبد الجبار وأبى الحسن الاشعرى والقاضى أبى بكر وأبى الحسين البصرى ومحمد بن الهيضم وأبى المعالى الجوينى وأبى الوفاء بن عقيل وأبى حامد الغزالى وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التى بنوا عليها النفى منهم من يبطل أصولهم المنطقية وتقسيمهم الصفات الى ذاتى وعرضى وتقسيم العرضى الى لازم للماهية وعارض لها ودعواهم أن الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتى داخل فى الماهية ومنها ما هو عرضى خارج عن الماهية وبناءهم توحيد واجب الوجود الذى مضمونه نفى الصفات على هذه الاصول وهم فى هذا التقسيم جعلوا الماهيات النوعية

وقال أبو بكر صدقت فهذا الحديث الصحيح فيه تخصيصه بالصحبة فى قوله فهل أنتم تاركو لى صاحبى و بين فيه من أسباب ذلك أن الله لما بعثه الى الناس قال انى رسول الله اليكم جميعا قالوا كذبت وقال أبو بكر صدقت فهذا يبين فيه انه لم يكذبه قط وأنه صدقه حين كذبه الناس طرا وهذا ظاهر فى أنه صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة وهذا حق فانه أول ما بلغ الرسالة آمن وهذا موافق لما رواه مسلم عن عمرو بن عبسة قلت يارسول الله من معك على هذا الامر قال حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال وأما خديجة وعلى وزيد فهؤلاء كانوا من عيال النبى صلى الله عليه وسلم وفى بيته وخديجة عرض عليها أمره لما جاءه الوحى وصدقته ابتداء قبل أن يؤمر بالتبليغ وذلك قبل أن يجب الايمان به فانه انما يجب اذا بلغ الرسالة فأول من صدق به بعد وجوب الايمان به أبو بكر من الرجال فانه لم يجب عليه أن يدعو عليا الى الايمان لان عليا كان صبيا والقلم عنه مرفوع ولم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالايمان وبلغه الرسالة قبل أن يأمر أبا بكر ويبلغه ولكنه كان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فيمكن انه آمن به لما سمعه يخبر خديجة وان كان لم يبلغه فان ظاهر قوله يا أيها الناس انى أتيت اليكم فقلت انى رسول الله اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت كما فى الصحيحين يدل على أن كل من بلغه الرسالة كذبه أولا الا أبا بكر ومعلوم أن خديجة وعليا وزيدا كانوا فى داره وخديجة لم تكذبه فلم تكن داخلة فيمن بلغ وقوله فى حديث عمرو بن عبسة قلت يارسول الله من معك على هذا الامر قال حر وعبد والذى فى صحيح مسلم موافق لهذا أى اتبعه من المبلغين المدعوين ثم ذكر قوله وواسانى بنفسه وماله وهذه خاصة لم يشركه فيها أحد وقد ذكر هذا النبى صلى الله عليه وسلم فى أحاديث المخالة التى هى متواترة عنه كما فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الحياة الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام ومودته وفى رواية الا خلة الاسلام وفيه قال فعجبنا له وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه الله من زهرة الحياة الدنيا و بين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا وفى رواية و بين ما عنده فاختار ما عنده وفيه فقال لاتبك ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام ومودته لا يبقين فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر وروى البخارى من حديث ابن عباس قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال انه ليس أحد من الناس أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة ولو كنت متخذا من الاسلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر وفى رواية لو كنت متخذا من هذه الامة خليلا لاتخذته ولكن أخوة الاسلام أفضل وفى رواية ولكن أخى وصاحبى ورواه البخارى عن ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من هذه الامة خليلا لاتخذته يعنى أبا بكر و رواه مسلم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

زائدا فى الخارج على الموجودات العينية وليس هذا قول من قال المعدوم شئ فان أولئك يثبتون ذواتا معينة ثابتة فى العدم تقبل الوجود المعين وهؤلاء يثبتون ماهيات حسية لامعينة وأرسطو وأتباعه انما يثبتونها مقارنة للموجودات المعينة لامفارقة لها وأما شيعة أفلاطن فيثبتونها مفارقة ويدعون أنها أزلية أبدية وشيعة فيثاغورس تثبت أعدادا مجردة وما يثبته هؤلاء انما هو فى الاذهان ظنوا ثبوته فى الخارج وتقسيمهم الحد الى حقيقى ذاتى ورسمى أو لفظى أو تقسيم المعرف الى حد ورسم هو بناء على هذا التقسيم وعامة نظار أهل الاسلام وغيرهم ردوا ذلك عليهم وبينوا فساد كلامهم وان الحد انما يراد به التمييز بين المحدود وغيره وانه

لو

لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وفي رواية لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة ولكن صاحبكم خليل الله وفي أخرى الا اني أبرأ الى كل خل من خله ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ان صاحبكم خليل الله فهذه النصوص كلها مما تبين اختصاص أبي بكر من فضائل الصحبة ومناقبها والقيام بحقوقها بما لم يشركه فيه أحد حتى استوجب أن يكون خليله دون الخلق لو كانت المخالة ممكنة وهذه النصوص صريحة بأنه أحب الخلق اليه وأفضلهم عنده كما صرح بذلك في حديث عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت فمن الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر وعد رجالا وفي رواية للبخاري قال فسكت مخافة أن يجعلني آخرهم

(فصل) ومما يبين من القرآن فضيلة أبي بكر في الغار أن الله تعالى ذكر نصره لرسوله في هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق الا من نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار أي أخرجوه في هذه القلة من العدد لم يصحبه الا الواحد فان الواحد أقل ما يوجد فاذا لم يصحبه الا الواحد دل على أنه في غاية القلة ثم قال اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وهذا يدل على أن صاحبه كان مشفقا عليه محبا له ناصرا له حيث حزن وانما يحزن الانسان حال الخوف على من يحبه وأما عدوه فلا يحزن اذا انعقد سبب هلاكه فلو كان أبو بكر مبغضا كما يقول المفترون لم يحزن ولم ينه عن الحزن بل كان يضمر الفرح والسرور ولا كان الرسول يقول له لا تحزن ان الله معنا فان قال المفتري انه خفي على الرسول حاله لما أظهر له الحزن وكان في الباطن مبغضا قيل له فقد قال ان الله معنا فهذا اخبار ان الله معنا ولا يجوز للرسول أن يخبر بنصر الله لرسوله وللمؤمنين وانه معهم ويجعل ذلك في الباطن منافقا فانه معصوم في خبره عن الله لا يقول عليه الا الحق وان جاز أن يخفى عليه حال بعض الناس فلا يعلم انه منافق كما قال وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم فلا يجوز أن يخبر عنهم بما يدل على ايمانهم ولهذا لما جاءه المخلفون عام تبوك جعلوا يحلفون ويعتذرون وكان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله لا يصدق أحدا منهم فلما جاءه كعب وأخبره بحقيقة أمره قال أما هذا فقد صدق أو قال صدقكم وأيضا فان سعد بن أبي وقاص قال للنبي صلى الله عليه وسلم أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن قال أو مسلم مرتين أو ثلاثا فأنكر عليه اخباره بالايمان ولم يعلم منه الا ظاهر الاسلام فكيف يشهد لابي بكر بان الله معهما وهو لا يعلم ذلك والكلام بلا علم لا يجوز وأيضا فان الله أخبر بهذا عن الرسول اخبار مقرر له لا اخبار منكر له فعلم أن قوله ان الله معنا من الخبر الصدق الذي أمره الله به ورضيه لا مما أنكره وعابه وأيضا فمعلوم أن أضعف الناس عقلا لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي يعاديه فيه الملأ الذين هو بين أظهرهم ويطلبون قتله وأولياؤه هنالك لا يستطيعون نصره فكيف يصحب واحدا ممن يظهر له موالاته دون غيره وقد أظهر له هذا حزنه وهو مع ذلك عدو له في الباطن والمصحوب يعتقد أنه وليه وهذا لا يفعله الا أحمق الناس وأجهلهم فقبح الله من نسب رسوله الذي هو أكمل الخلق عقلا وعلما وخبرة الى مثل هذه الجهالة والغباوة ولقد بلغني عن ملك المغول خربنداء الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الامامة ان الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام ان أبا بكر كان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم وكان عدوه ويقولون

يحصل بالخواص التي هي لازمة ملزومة لا تحتاج الى ذكر الصفات التامة بل منعوا أن يذكر في الحد الصفات المشتركة بينه وبين غيره بل وأكثرهم منعوا تركيب الحد كما هو مبسوط في موضعه وقد صنف في ذلك متكلمو الطوائف كأبي هاشم وغيره من المعتزلة وابن النوبخت وغيره من الشيعة والقاضي أبي بكر وغيره من مثبتة الصفات وأما أبو حامد الغزالي فانه وان وافقهم على صحة الاصول المنطقية وخالف بذلك فحول النظر الذين هم أسند بتحقيق النظر في الالهيات ونحوه من أهل المنطق واتبعه على ذلك من سلك سبيله كالرازي وذويه وأبي محمد ابن البغدادي صاحب ابن المنى وذويه فقد بين في كتابه تهافت الفلاسفة وغيره من كتبه فساد

مع هذا انه صحبه فى سفر الهجرة الذى هو أعظم الاسفار خوفا قال كامة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها لكن ذكرها على من افترى الكذب الذى أوجب أن يقال فى الرسول مثلها حيث قال كان قليل العقل ولا ريب ان من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل وقد برأ الله رسوله وصديقه من كذبهم وتبين أن قولهم يستلزم القدح فى الرسول

(فصل) ومما يبين أن الصحبة فيها خصوص وعموم كالولاية والمحبة والايمان وغير ذلك من الصفات التى تتفاضل فيها الناس فى قدرها ونوعها وصفتها ما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى قال كان بين خالد بن الوليد و بين عبد الرحمن بن عوف شئ فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أحدا من أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه انفرد مسلم بذكر خالد وعبد الرحمن دون البخارى فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول لخالد ونحوه لا تسبوا أصحابى يعنى عبد الرحمن بن عوف وأمثاله لان عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الاولون وهم الذين أسلموا قبل الفتح وقاتلوا وهم أهل بيعة الرضوان فهؤلاء أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان وهم الذين أسلموا بعد الحديبية و بعد مصالحة النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة ومنهم خالد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبى طلحة وأمثالهم وهؤلاء أسبق من الذين تأخر اسلامهم الى أن فتحت مكة وسموا الطلقاء مثل سهيل بن عمرو والحرث بن هشام وأبى سفيان بن حرب وابنيه يزيد ومعاوية وأبى سفيان بن الحرث وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وغيرهم مع أنه قد يكون فى هؤلاء من برز بعلمه على بعض من تقدمه كثيرا كالحرث بن هشام وأبى سفيان بن الحرث وسهيل بن عمرو وعلى بعض من أسلم قبلهم ممن أسلم قبل الفتح وقاتل وكما برز عمر بن الخطاب على أكثر الذين أسلموا قبله والمقصود هنا انه نهى لمن صحبه آخرا أن يسب من صحبه أولا لامتيازهم عنه فى الصحبة بما لا يمكنه أن يشركهم فيه حتى قال لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فاذا كان هذا حال الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا وهم من أصحابه التابعين للسابقين مع من أسلم من قبل الفتح وقاتل وهم أصحابه السابقون فكيف يكون حال من ليس من أصحابه بحال مع أصحابه وقوله لا تسبوا أصحابى قد ثبت فى الصحيحين من غير وجه منها ما تقدم ومنها ما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه

(فصل) وأما قول الرافضى يجوز أن يستصحبه معه لئلا يظهر أمره حذرا منه

(فالجواب) أن هذا باطل من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها (أحدها) أنه قد علم بدلالة القرآن موالاته له ومحبته لا عداوته فبطل هذا (الثانى) أنه قد علم بالتواتر المعنوى أن أبا بكر كان محبا للنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من أعظم الخلق اختصاصا به أعظم مما تواتر من شجاعة عنترة ومن سخاء حاتم ومن موالاة على ومحبته له ونحو ذلك من التواترات المعنوية التى اتفق فيها الاخبار الكثيرة على مقصود واحد والشك فى محبة أبى بكر كالشك فى غيره وأشد ومن الرافضة من ينكر كون أبى بكر وعمر مدفونين فى الحجرة النبوية و بعض غلاتهم ينكر أن يكون هو صاحبه الذى كان معه فى الغار وليس هذا من بهتانهم ببعيد فان القوم قوم بهت يجحدون المعلوم ثبوته بالاضطرار ويدعون ثبوت ما يعلم انتفاؤه بالاضطرار فى العقليات والنقليات ولهذا قال من قال لو قيل من أجهل الناس لقيل الرافضة حتى فرضها بعض الفقهاء

قولهم فى الالهيات مع وزنه لهم بموازينهم المنطقية حتى بين أنه لا حجة لهم على نفى التجسيم بمقتضى أصولهم المنطقية فضلا عن أن يكون لهم حجة على نفى الصفات مطلقا وان كان أبو حامد قد يوجد فى كلامه ما يوافقهم عليه تارة أخرى وبهذا تسلط عليه طوائف من علماء الاسلام ومن الفلاسفة أيضا كابن رشد وغيره حتى أنشد فيه

يوما يمان اذا ما جئت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنانى

فالاعتبار من كلامه وكلام غيره بما يقوم عليه الدليل وليس ذلك الا فيما وافق فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يقوم دليل صحيح على مخالفة الرسول البتة وهذا كما أن ابن عقيل يوجد فى كلامه ما يوافق المعتزلة والجهمية تارة وما يوافق به

مسألة فقهية فيما اذا أوصى لأجهل الناس قال هم الرافضة لكن هذه الوصية باطلة فان الوصية والوقف لا يكونان معصية بل على جهة لا تكون مذمومة فى الشرع والوقف والوصية لأجهل الناس فيه جعل الأجهلية والبدعة موجبة للاستحقاق فهو كما لو أوصى لأكفر الناس أو للكفار دون المسلمين بحيث يجعل الكفر شرطا فى الاستحقاق فان هذا لا يصح وكون أبى بكر كان مواليا للنبى صلى الله عليه وسلم أعظم من غيره أمر علمه المسلمون والكفار والفجار والابرار حتى انى أعرف طائفة من الزنادقة كانوا يقولون ان دين الاسلام اتفق عليه فى الباطن النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وثالثهما عمر لكن لم يكن عمر مطلعا على سرهما كله كما وقعت دعوة الاسمعيلية الباطنية والقرامطة وكان كل من كان أقرب الى امامهم كان أعلم بباطن الدعوة وأكتم لباطنها من غيره ولهذا جعلوهم مراتب فالزنادقة المنافقون لعلمهم بأن أبا بكر أعظم موالاة واختصاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم من غيره جعلوه ممن يطلع على باطن أمره ويكتمه عن غيره ويعاونه على مقصوده بخلاف غيره فمن قال انه كان فى الباطن عدوا كان من أعظم أهل الارض فرية ثم ان قائل هذا اذا قيل له مثل هذا فى على وقيل انه كان فى الباطن معاديا للنبى صلى الله عليه وسلم وانه كان عاجزا فى ولاية الخلفاء الثلاثة عن افساد ملته فلما ذهب أكابر الصحابة وبقى هو طلب حينئذ افساد ملته واهلاك أمته ولهذا قتل من المسلمين خلقا كثيرا وكان مراده اهلاك الباقين لكن عجز وانه بسبب ذلك انتسب اليه الزنادقة المنافقون المبغضون للرسول كالقرامطة والاسمعيلية والنصيرية فلا تجد عدوا للاسلام الا وهو يستعين على ذلك باظهار موالاة على استعانة لا تمكنه باظهار موالاة أبى بكر وعمر فالشبهة فى دعوى موالاة على للرسول أعظم من الشبهة فى دعوى معاداة أبى بكر وكلاهما باطل معلوم الفساد بالاضطرار لكن الحجج الدالة على بطلان هذه الدعوى فى أبى بكر أعظم من الحجج الدالة على بطلانها فى حق على فاذا كانت الحجة على موالاة على صحيحة والحجة على معاداته باطلة فالحجة على موالاة أبى بكر أولى بالصحة والحجة على معاداته أولى بالبطلان (الوجه الثالث) ان قوله استصحبه حذرا من أن يظهر أمره كلام من هو من أجهل الناس بما وقع فان أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة ظاهر عرفه أهل مكة وأرسلوا الطلب فانه فى الليلة التى خرج فيها عرفوا فى صبيحتها أنه خرج وانتشر ذلك وأرسلوا الى أهل الطرق يبذلون الدية فيه وفى أبى بكر بذلوا الدية لمن يأتى بأبى بكر فأى شئ كان يخاف وكون المشركين بذلوا الدية لمن يأتى بأبى بكر دليل على أنهم كانوا يعلمون موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان عدوهم فى الباطن ولو كان معهم فى الباطن لم يفعلوا ذلك (الرابع) أنه اذا كان خرج ليلا كان وقت الخروج لم يعلم به أحد فما يصنع بأبى بكر وأصحابه معه فان قيل فاماه علم خروجه دون غيره قيل أولا قد كان يمكنه ان يخرج فى وقت لا يشعر بخروجه كما خرج فى وقت لم يشعر به المشركون (١) وكان يمكنه أن يعينه فكيف وقد ثبت فى الصحيحين ان أبا بكر استأذنه فى الهجرة فلم يأذن له حتى هاجر معه والنبى صلى الله عليه وسلم أعلمه بالهجرة فى خلوة ففى الصحيحين عن البراء بن عازب قال جاء أبو بكر الى أبى فى منزله فاشترى منه رحلا فقال لعازب ابعث ابنك معى يحمله الى منزلى فحمله وخرج أبى معه ينتقد ثمنه فقال أبى يا أبا بكر حدثنى كيف صنعتما ليلة سريت مع النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم سرينا ليلتنا كلها ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يمر بنا فيه أحد حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت

المثبتة للصفات بل للصفات الخبرية أخرى فالاعتبار من كلامه وكلام غيره بما يوافق الدليل وهو الموافق لما جاء به الرسول والمقصود هنا أن نبين أن فحول النظار بينوا فساد طرق من نفى الصفات أو العلو بناء على نفى التجسيم وكذلك فحول الفلاسفة كابن سينا وأبى البركات وابن رشد وغيرهم بينوا فساد طرق أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والاشعرية التى نفوا بها التجسيم حتى ابن رشد فى تهافت التهافت بين فساد ما اعتمد عليه هؤلاء

(١) قوله وكان يمكنه أن يعينه كذا فى الاصل والظاهر أن لا سقطت من الناسخ والأصل وكان يمكنه أن لا يعينه تأمل كتبه مصححه

بيدى مكانا ينام فيه النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ثم بسطت عليه فروة ثم قلت نم يارسول الله وأنا أنفض لك ماحولك فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها وخرجت أنفض ماحوله فاذا أنا براع مقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذى أردنا فلقيته فقلت لمن أنت ياغلام فقال لرجل من أهل المدينة يريد مكة لرجل من قريش سماه فعرفته فقلت له أفى غنمك لبن فقال نعم قلت أفتحلب لى قال نعم فأخذ شاة فقلت انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى فحلب لى فى قعب معه كثبة من لبن قال ومعى اداوة أروى فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها و يتوضأ قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أن أوقظه من نومه فوافيته قد استيقظ فصببت على اللبن الماء حتى برد أسفله فقلت يارسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب حتى رضيت ثم قال ألم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد مازالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك قال ونحن فى جلد من الارض فقلت يارسول الله أوتينا فقال لاتحزن ان الله معنا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها فقال انى قد علمت أنكما دعوتما على فادعوا الله لى فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع لايلقى أحدا الا قال قد كفيتم ماهنا ولا يلقى أحدا الا رده وقال خذ سهما من كنانتى فانك تمر بابلى وغلمانى فخذ منها حاجتك فقال لاحاجة لى فى إبلك قال فقدمنا المدينة فتنازعوا أيهم ينزل عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون يامحمد يارسول الله يامحمد يارسول الله وروى البخارى عن عائشة قالت لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا الى الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد ياأبا بكر قال أخرجنى قومى فأنا اريد أن أسيح فى الارض وأعبد ربى قال ابن الدغنة ان مثلك لايخرج ولايخرج فانك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فاعبد ربك ببلدك فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبى بكر فطاف فى أشراف كفار قريش فقال لهم ان أبا بكر لايخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فأنفذ قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابى بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بالصلاة والقراءة فى غير داره ثم بدا لأبى بكر فابتنى بفناء داره مسجدا وبرز فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فتتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا بكاء لايملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه فى داره وانه جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن بالصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإلا فان أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك جوارك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذى عقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترد الى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب

كما بين أبو حامد فى التهافت فساد ما اعتمد عليه الفلاسفة ولهذا كان فى عامة طوائف النظار من يوافق أهل الاثبات على اثبات الصفات بل وعلى قيام الامور الاختيارية فى ذاته وعلى العلو كما يوجد فيهم من يوافقهم على أن الله خالق أفعال العباد فأحذق متأخرى المعتزلة هو أبو الحسين البصرى ومن عرف حقيقة كلامه علم أنه يوافق على اثبات كونه حيا عالما قادرا وعلى أن كونه حيا ليس هو كونه عالما وكونه عالما ليس هو كونه قادرا لكنه ينازع مثبتة الاحوال الذين يقولون ليست موجودة ولا معدومة وهذا الذى اختاره هو قول أكثر مثبتة الصفات فنزاعه معهم نزاع لفظى كما انه

أني أخفرت في رجل عقدت له قال أبو بكر إني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسول الله يومئذ بمكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر الى المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي وأمي يارسول الله قال فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحابة يارسول الله قال نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت يارسول الله احدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحب الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ولا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من الليل فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل وأخذ بهما طريق الساحل قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي ثم خرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء

يوافق على أن الله يخلق الداعي في العبد وعند وجود الداعي والقدرة يجب وجود المقدور وهذا قول أئمة أهل الاثبات وحذاقهم الذين يقولون ان الله خالق افعال العباد وهو أيضا يقول انه سبحانه مع علمه بما سيكون فانه اذا كان يعلمه كائنا فعالميته متجددة وابن عقيل يوافق على ذلك وكذلك الرازي وغيره وهذا موافق لقول من يقول بقيام الحوادث به وبعض حذاق المعتزلة نصر القول بعلو الله ومباينته لخلقه بالادلة العقلية وأظنه من أصحاب أبي الحسين وقد حكى ابن رشد ذلك عن أئمة الفلاسفة وأبو البركات وغيره من الفلاسفة يختارون قيام الحوادث به كارادات وعلوم متعاقبة وقد ذكروا ذلك وما هو أبلغ منه

مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوجه الخامس) أنه لما كان فى الغار كان يأتيه بالاخبار عبد الله بن أبى بكر وكان معهما عامر بن فهيرة كما تقدم ذلك فكان يمكنه أن يعلمهم بخبره (السادس) أنه اذا كان كذلك والعدو قد جاء الى الغار ومشوا فوقه كان يمكنه حينئذ أن يخرج من الغار و ينذر العدو به وهو وحده ليس معه أحد يحميه منه ومن العدو فمن يكون مبغضا الشخص طالبا لاهلاكه ينتهز الفرصة فى مثل هذه الحال التى لا يظفر فيها عدو بعدوه الا أخذه فانه وحده فى الغار والعدو قد صاروا عند الغار وليس لمن فى الغار هنالك من يدفع عنه وأولئك هم العدو الظاهرون الغالبون المتسلطون بمكة ليس بمكة من يخافونه اذا أخذوه فان كان أبو بكر معهم مباطنا لهم كان الداعى الى أخذه تاما والقدرة تامة واذا اجتمع القدرة التامة والداعى التام وجب وجود الفعل فحيث لم يوجد دل على انتفاء الداعى أو انتفاء القدرة والقدرة موجودة فعلم انتفاء الداعى وأن أبا بكر لم يكن له غرض فى أذاه كما يعلم ذلك جميع الناس الامن أعمى الله قلبه ومن هؤلاء المفترين من يقول ان أبا بكر كان يشير باصبعه الى العدو و يدلهم على النبى صلى الله عليه وسلم فلدغته حية فردها حتى كفت عنه الالم وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ان نكثت نكث بدلك وانه نكث بعد ذلك فمات منها وهذا يظهر كذبه من وجوه نبهنا على بعضها ومنهم من قال أظهر كعبه ليشعروا به فلدغته الحية وهذا من نمط الذى قبله

(فصل) وأما قول الرافضى الآية تدل على نقصه لقوله تعالى لا تحزن ان الله معنا فانه يدل على خوره وقلة صبره وعدم يقينه وعدم رضاه بمساواته للنبى صلى الله عليه وسلم و بقضاء الله وقدره

(فالجواب) أولا أن هذا يناقض قولكم انه استصحبه حذرا منه لئلا يظهر أمره فانه اذا كان عدوه وكان مباطنا للعداه الذين يطلبونه كان ينبغى أن يفرح ويسر و يطمئن اذا جاء العدو وأيضا فالعدو قد جاؤا ومشوا فوق الغار فكان ينبغى أن ينذرهم به وأيضا فكان الذى يأتيه بأخبار قريش ابنه عبد الله فكان يمكنه أن يأمر ابنه أن يخبر قريشا وأيضا فغلامه عامر بن فهيرة هو الذى كان معه رواحلهما فكان يمكنه أن يقول لغلامه أخبرهم به فكلامهم فى هذا يبطل قولهم انه كان منافقا و يثبت أنه كان مؤمنا به (واعلم) أنه ليس فى المهاجرين منافق وانما كان النفاق فى قبائل الانصار لان أحدا لم يهاجر الا باختياره والكافر بمكة لم يكن يختار الهجرة ومفارقة وطنه وأهله لنصر عدوه وانما يختارها الذين وصفهم الله تعالى بقوله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون وقوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله وأبو بكر أفضل هؤلاء كلهم واذا كان هذا الكلام يستلزم ايمانه فمعلوم أن الرسول لا يختار لمصاحبته فى سفر هجرته الذى هو أعظم الاسفار خوفا وهو السفر الذى جعل مبدأ التاريخ لجلالة قدره فى النفوس ولظهور أمره فان التاريخ لا يكون الا بأمر ظاهر معلوم لعامة الناس لا يستصحب الرسول فيه من يختص بصحبته الا وهو من أعظم الناس طمأنينة اليه ووثوقا به و يكفى هذا فى فضائل الصديق وتميزه على

عن متقدمى الفلاسفة كما ذكرت أقوالهم فى غير هذا الموضع والمقصود هنا أن جميع ما احتج به النفاة قدح فيه بعض النفاة قدحا يبين بطلانه كما بين غير واحد فساد طرق الفلاسفة * قال أبو حامد مسئلة فى تعجيزهم عن اقامة الدليل على أن الاول ليس بجسم فنقول هذا لا يستقيم لمن يرى أن الجسم حادث من حيث انه لا يخلو عن الحوادث وكل حادث فيفتقر الى محدث فاما أنتم اذا عقلتم جسما قديما لا أول لوجوده مع انه لا يخلو عن الحوادث فلم يمتنع أن يكون الاول جسما اما الشمس واما الفلك الاقصى واما غيره فان قيل لان الجسم لا يكون الا مركبا منقسما الى جزأين بالكمية والى الهيولى

غيره وهذا من فضائل الصديق التي لم يشركه فيها غيره ومما يدل على أنه أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده

﴿فصـل﴾ وأما قوله انه يدل على نقصه فنقول أولا النقص نوعان نقص ينافي ايمانه ونقص عمن هو أكمل منه فان أراد الاول فهو باطل فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقال للمؤمنين عامة ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم فقد نهى نبيه عن الحزن في غير موضع ونهى المؤمنين جملة فعلم أن ذلك لا ينافي الايمان وان أراد بذلك أنه ناقص عمن هو أكمل منه فلا ريب أن حال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من حال أبي بكر وهذا لا ينازع فيه أحد من أهل السنة ولكن ليس في هذا ما يدل على أن عليا أو عثمان أو عمر أو غيرهم أفضل منه لانهم لم يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال ولو كانوا معه لم يعلم أن حالهم يكون أكمل من حال الصديق بل المعروف من حالهم دائما وحاله أنهم وقت المخاوف يكون الصديق أكمل منهم كلهم يقينا وصبرا وعند وجود أسباب الريب يكون الصديق أعظم يقينا وطمأنينة وعندما يتأذى منه النبي صلى الله عليه وسلم يكون الصديق أتبعهم لمرضاته وأبعدهم عما يؤذيه هذا هو المعلوم لكل من استقرأ أحوالهم في محيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته حتى انه لما مات وموته كان أعظم المصائب التي تزلزل بها الايمان حتى ارتد الاعراب واضطرب لها عمر الذي كان أقواهم ايمانا وأعظمهم يقينا كان مع هذا تثبيت الله تعالى للصديق بالقول الثابت أكمل وأتم من غيره وكان في يقينه وطمأنينته وعلمه وغير ذلك أكمل من عمر وغيره فقال الصديق رضي الله عنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ الآية وفي البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي الا ذلك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين قال فنشج الناس يبكون وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سمع خطبة عمر الاخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر صامت لا يتكلم قال كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا يريد بذلك أن يكون آخرهم فان يك محمد قد مات فان الله قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به وبه هدى الله محمدا وان أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين وانه أولى المسلمين بأمورهم فقوموا فبايعوه وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر وفي طريق أخرى في البخاري أما بعد فاختار الله لرسوله الذي عنده على الذي عندكم وهذا

والصورة بالقسمة المعنوية والى أوصاف يختص بها بالامحالة حتى يباين سائر الاجسام والا فالاجسام متساوية في أنها أجسام وواجب الوجود واحد لا يقبل القسمة بهذه الوجوه قلنا وقد أبطلنا هذا عليكم وبينا أنه لا دليل لكم عليه سوى أن المجتمع اذا افتقر بعض أجزائه الى البعض كان معلولا وقد تكلمنا عليه وبينا أنه اذا لم يبعد تقدير موجود لا موجد له لم يبعد تقدير مركب لا مركب له وتقدير موجودات لا موجد لها اذ انتفى العدد والتثنية بنيتموه على نفي التركيب ونفي التركيب على نفي الماهية سوى الوجود وما هو الاساس الاخير فقد استأصلناه وبينا تحكمكم فيه فان قيل

الكتاب الذى هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا وانما هدى الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ذكره البخارى فى كتاب الاعتصام بالسنة وروى البخارى أيضا عن عائشة فى هذه القصة قالت ما كان من خطبتهما من خطبة الا نفع الله بها لقد خوف الله عمر الناس وان فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم وأيضا فقصة يوم بدر فى العريش ويوم الحديبية فى طمأنينته وسكينته معروفة برز بذلك على سائر الصحابة فكيف ينسب الى الجزع وأيضا فقيامه بقتال المرتدين ومانعى الزكاة وتثبيت المؤمنين مع تجهيز أسامة مما يبين أنه أعظم الناس طمأنينة ويقينا وقد روى أنه قيل له لقد نزل بك ما لو نزل بالجبال لهاضها وبالبحار لغاضها وما نراك ضعفت فقال ما دخل قلبى رعب بعد ليلة الغار فان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى حزنى أو كما قال قال لا عليك يا أبا بكر فان الله قد تكفل لهذا الامر بالتمام ثم يقال من شبه يقين أبى بكر وصبره بغيره من الصحابة عمر أو عثمان أو على فانه يدل على جهله والسنى لا ينازع فى فضله على عمر وعثمان ولكن دعوى الرافضى الذى ادعى أن عليا كان أكمل من الثلاثة فى هذه الصفات هى بهت وكذب وفرية فان من تدبر سيرة عمر وعثمان علم أنهما كانا فى الصبر والثبات وقلة الجزع فى المصائب أكمل من على فعثمان حاصروه وطلبوا خلعه من الخلافة أو قتله ولم يزالوا به حتى قتلوه وهو يمنع الناس من مقاتلتهم الى أن قتل شهيدا وما دافع عن نفسه فهل هذا الا من أعظم الصبر على المصائب ومعلوم أن عليا لم يكن صبره كصبر عثمان بل كان يحصل له من اظهار التأذى من عسكره الذين يقاتلون معه ومن العسكر الذين يقاتلهم ما لم يكن يظهر مثله لا من أبى بكر ولا عمر ولا عثمان مع كون الذين يقاتلونهم كانوا كفارا وكان الذين معهم بالنسبة الى عدوهم أقل من الذين مع على بالنسبة الى من يقاتله فان الكفار الذين قاتلهم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا أضعاف المسلمين ولم يكن جيش معاوية أكثر من جيش على بل كانوا أقل منه ومعلوم أن خوف الامام من استيلاء الكفار على المسلمين أعظم من خوفه من استيلاء بعض المسلمين على بعض فكان ما يخافه الأئمة الثلاثة أعظم مما يخافه على والمقتضى للخوف منهم أعظم ومع هذا فكانوا أكمل يقينا وصبرا مع أعدائهم ومحاربتهم من على مع أعدائه ومحاربته فكيف يقال ان يقين على وصبره كان أعظم من يقين أبى بكر وصبره وهل هذا إلا من نوع السفسطة والمكابرة لما علم بالتواتر خلافه

((فصل)) وقول الرافضى ان الآية تدل على خوره وقلة صبره وعدم يقينه بالله وعدم رضاه بمساواته للنبى صلى الله عليه وسلم وبقضاء الله وقدره فهذا كله كذب منه ظاهر ليس فى الآية ما يدل على هذا وذلك من وجهين (أحدهما) أن النهى عن شئ لا يدل على وقوعه بل يدل على أنه ممنوع منه لئلا يقع فيما بعد كقوله تعالى يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فهذا لا يدل على أنه كان يطيعهم وكذلك قوله ولا تدع مع الله الها آخر فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن مشركا قط لا سيما بعد النبوة فالامة متفقة على انه معصوم من الشرك بعد النبوة وقد نهى عن ذلك بعد النبوة ونظائره كثيرة فقوله لا تحزن لا يدل على أن الصديق قد حزن لكن من الممكن فى العقل انه يحزن فقد ينهى عن ذلك لئلا يفعله (الثانى) أنه بتقدير أن يكون حزن فكان حزنه على النبى صلى الله عليه وسلم لئلا يقتل ويذهب الاسلام وكان يود أن يفدى النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا لما كان معه فى سفر الهجرة كان يمشى أمامه تارة ووراءه تارة فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أذكر الرصد فأكون أمامك

الجسم ان لم يكن له نفس لا يكون فاعلا وان كان له نفس فنفسه علة له فلا يكون الجسم أولا قلنا أنفسنا ليست علة لوجود أجسامنا ولا نفس الفلك بمجردها علة لوجود جسمه عندكم بل هما يوجدان بعلة سواهما فاذا جاز وجودهما قديما جاز أن لا يكون لهما علة فان قيل كيف اتفق اجتماع النفس والجسم قلنا هو كقول القائل كيف اتفق وجود الاول فيقال هذا سؤال عن حادث فأما ما لم يزل موجودا فلا يقال كيف اتفق فكذلك الجسم ونفسه اذا لم يزل كل واحد منهما موجودا لم يبعد أن يكون صانعا فان قيل لان الجسم من حيث انه جسم لا يخلق غيره والنفس المتعلقة

وأذكر الطلب فأكون وراءك رواه أحمد فى كتاب مناقب الصحابة فقال حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه أبو بكر فأخذ طريق ثور قال فجعل أبو بكر يمشى خلفه ويمشى أمامه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مالك قال يارسول الله أخاف أن تؤتى من خلفك فأتأخر وأخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدم قال فلما انتهينا الى الغار قال أبو بكر يارسول الله كما أنت (١) حتى أعه قال نافع حدثنى رجل عن ابن أبى مليكة أن أبا بكر رأى جحرا فى الغار فألقمها قدمه وقال يارسول الله ان كانت لسعة أو لدغة كانت بى وحينئذ لم يكن يرضى بمساواة النبى صلى الله عليه وسلم لا بالمعنى الذى أراده الكاذب المفترى عليه انه لم يرض بأن يموتا جميعا بل كان لا يرضى بأن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعيش بل كان يختار أن يفديه بنفسه وأهله وماله وهذا واجب على كل مؤمن والصديق أقوم المؤمنين بذلك قال تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وفى الصحيحين عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وحزنه على النبى صلى الله عليه وسلم يدل على كمال موالاته ومحبته ونصحه له واحتراسه عليه وذبه عنه ودفع الأذى عنه وهذا من أعظم الايمان وان كان مع ذلك يحصل له بالحزن نوع ضعف فهذا يدل على أن الاتصاف بهذه الصفات مع عدم الحزن هو المأمور به فان مجرد الحزن لا فائدة فيه ولا يدل ذلك على ان هذا ذنب يذم به فان من المعلوم ان الحزن على الرسول أعظم من حزن الانسان على ابنه فان محبة الرسول أوجب من محبة الانسان لابنه ومع هذا فقد أخبر الله عن يعقوب أنه حزن على ابنه يوسف وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وأنهم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله الآية فهذا اسرائيل نبى كريم قد حزن على ابنه هذا الحزن ولم يكن هذا مما يسب عليه فكيف يسب أبو بكر اذا حزن على النبى صلى الله عليه وسلم خوفا أن يقتل وهو الذى علقت به سعادة الدنيا والآخرة ثم ان هؤلاء الشيعة وغيرهم يحكون عن فاطمة من حزنها على النبى صلى الله عليه وسلم ما لا يوصف وانها بنت بيت الاحزان ولا يجعلون ذلك ذما لها مع انه حزن على أمر فائت لا يعود وأبو بكر انما حزن عليه فى حياته خوف أن يقتل وهو حزن يتضمن الاحتراس ولهذا لما مات لم يحزن هذا الحزن لانه لا فائدة فيه فحزن أبى بكر بلا ريب أكمل من حزن فاطمة فان كان مذموما على حزنه ففاطمة أولى بذلك والا فأبو بكر أحق بأن لا يذم على حزنه على النبى صلى الله عليه وسلم من حزن غيره عليه بعد موته وان قيل أبو بكر انما حزن على نفسه لا يقتله الكفار قيل فهذا يناقض قولكم انه كان عدوه وكان استصحبه لئلا يظهر أمره وقيل هذا باطل بما علم بالتواتر من حال أبى بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم وبما أوجبه الله على المؤمنين ثم يقال هب أن حزنه كان عليه وعلى النبى صلى الله عليه وسلم أفيستحق أن يشتم على ذلك ولو قدر أنه حزن خوفا أن يقتله عدوه لم يكن هذا مما يستحق به هذا السب ثم ان قدر أن ذلك ذنب فلم يصر عنه بل لما نهاه عنه انتهى فقد نهى الله تعالى الانبياء عن أمور كثيرة انتهوا عنها ولم يكونوا مذمومين بما فعلوه قبل النهى وأيضا فهؤلاء ينقلون عن على وفاطمة من الجزع والحزن على فوت مال فدك وغيرها من الميراث ما يقتضى أن صاحبه انما يحزن على فوت الدنيا وقد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فقد دعا الناس الى أن لا يأسوا على ما فاتهم من الدنيا ومعلوم أن الحزن على الدنيا أولى بأن ينهى عنه من الحزن على الدين وان قدر أنه حزن

بالجسم لا تفعل الا بواسطة الجسم ولا يكون الجسم واسطة للنفس فى خلق الاجسام ولا فى ابداع النفوس والاشياء لا تناسب الاجسام قلنا ولم لا يجوز أن يكون فى النفوس نفس تختص بخاصية يتهيأ بها لأن توجد الاجسام وغير الاجسام منها فاستحالة ذلك لا يعرف ضرورة ولا برهان يدل عليه الا انه لم يشاهد من هذه الاجسام المشاهدة وعدم المشاهدة لا يدل على الاستحالة فقد أضافوا الى

---

(١) قوله حتى أعه كذا فى الاصل ولعله تصحيف من الناسخ والحديث فى رواية المواهب حتى أستبرئه وحرر كتبه مصححه

على الدنيا لحزن الانسان على نفسه خوفا أن يقتل أولى أن يعذر به من حزنه على مال لم يحصل له وهؤلاء الرافضة من أجهل الناس يذكرون فيمن يوالونه من أخبار المدح وفيمن يعادونه من أخبار الذم ماهو بالعكس أولى فلا تجدهم يذمون أبا بكر وأمثاله بأمر الا ولو كان ذلك الامر ذما لكان على أولى بذلك ولا يمدحون عليا بمدح يستحق أن يكون مدحا الا وأبو بكر أولى بذلك فانه أكمل في المادح كلها وأبرأ من المذام كلها حقيقها وخيالها

(فصل) وأما قوله انه يدل على قلة صبره فباطل بل ولا يدل على انعدام شئ من الصبر المأمور به فان الصبر على المصائب بالكتاب والسنة ومع هذا الحزن القلب لا ينافي ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا يعني اللسان أو يرحم وقوله انه يدل على عدم يقينه بالله كذب وبهت فان الانبياء قد حزنوا ولم يكن ذلك دليلا على عدم يقينهم بالله كما ذكر الله عن يعقوب وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه ابراهيم قال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون وقد نهى الله عن الحزن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ولا تحزن عليهم وكذلك قوله يدل على الخور وعدم الرضا بقضاء الله وقدره هو باطل كما تقدم نظائره

(فصل) وقوله وان كان الحزن طاعة استحال نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه وان كان معصية كان ما ادعوه فضيلة رذيلة

(والجواب) أولا أنه لم يدع أحد أن مجرد الحزن كان هو الفضيلة بل الفضيلة ما دل عليه قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا الآية فالفضيلة كونه هو الذي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال واختص بصحبته وكان له كمال الصحبة مطلقا وقول النبي صلى الله عليه وسلم له ان الله معنا وما يتضمنه ذلك من كمال موافقته للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبته وطمأنينته وكمال معونته للنبي صلى الله عليه وسلم وموالاته في هذه الحال من كمال ايمانه وتقواه هو الفضيلة وكمال محبته ونصره للنبي صلى الله عليه وسلم هو الموجب لحزنه ان كان حزن مع أن القرآن لم يدل على أنه حزن كما تقدم (ويقال ثانيا) هذا بعينه موجود في قوله عز وجل لنبيه ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ونحو ذلك بل في قوله تعالى لموسى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى فيقال ان كان الخوف طاعة فقد نهي عنه وان كان معصية فقد عصى ويقال انه أمر أن يطمئن ويثبت لان الخوف يحصل بغير اختيار العبد اذا لم يكن له ما يوجب الأمن فاذا حصل ما يوجب الأمن زال الخوف فقوله لموسى لا تخف سنعيدها سيرتها الاولى هو أمر مقرون بخبره عما يزيل الخوف وكذلك قوله فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى هو نهي عن الخوف مقرون بما يوجب زواله وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه لا تحزن ان الله معنا نهي عن الحزن مقرون بما يوجب زواله وهو قوله ان الله معنا واذا حصل الخبر بما يوجب زوال الحزن والخوف زال والا فهو يهجم على الانسان بغير اختياره وهكذا قول صاحب مدين لموسى لما قص عليه القصص لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكذلك قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم

الموجود الاول ما لا يضاف الى موجود أصلا ولم يشاهد من غيره وعدم المشاهدة من غيره لا يدل على استحالته منه فكذا في نفس الجسم والجسم فان قيل الفلك الاقصى أو الشمس أو ما قدر من الاجسام فهو متقدر بمقدار يجوز أن يزيد عليه وينقص منه فيفتقر اختصاصه بذلك المقدار الجائز الى مخصص فلا يكون أولا قلنا بم تنكرون على من يقول ان ذلك الجسم يكون على مقدار يجب أن يكون عليه لنظام الكل ولو كان أصغر منه أو أكبر لم يجز كما انكم قلتم ان المعلول الاول يفيض الجرم الاقصى منه متقدرا بمقدار وسائر المقادير بالنسبة الى ذات المعلول الاول متساوية ولكن

الأعلون ان كنتم مؤمنين قرن النهى عن ذلك بما يزيله من اخباره أنهم هم الأعلون ان كانوا مؤمنين وكذلك قوله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون مقرون بقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واخبارهم بأن الله معهم يوجب زوال الضيق من مكر عدوهم وقد قال لما أنزل الله الملائكة يوم بدر وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (ويقال ثالثا) ليس فى نهيه عن الحزن ما يدل على وجوده كما تقدم بل قد ينهى عنه لئلا يوجد اذا وجد مقتضيه وحينئذ فلا يضرنا كونه معصية لو وجد وان وجد فالنهى قد يكون نهى تسلية وتعزية وتثبيت وان لم يكن المنهى عنه معصية بل قد يكون مما يحصل بغير اختيار المنهى وقد يكون الحزن من هذا الباب ولذلك قد ينهى الرجل عن افراطه فى الحب وان كان الحب مما لا يملك وينهى عن الغشى والصعق والاختلاج وان كان هذا يحصل بغير اختياره والنهى عن ذلك ليس لان المنهى عنه معصية اذا حصل بغير اختياره ولم يكن سببه محظورا فان قيل فيكون قد نهى عما لا يمكن تركه قيل المراد بذلك أنه مأمور بأن يأتى بالضد المنافى للحزن وهو قادر على اكتسابه فان الانسان قد يسترسل فى أسباب الحزن والخوف وسقوط بدنه فاذا سعى فى اكتساب ما يقويه ثبت قلبه وبدنه وعلى هذا فيكون النهى عن هذا أمرا بما يزيله وان لم يكن معصية كما يؤمر الانسان بدفع عدوه عنه وبازالة النجاسة ونحو ذلك مما يؤذيه وان لم يكن حصل بذنب منه والحزن انما حصل بطاعة وهو محبة الرسول ونصحه وليس هو بمعصية يذم عليه وانما حصل بسبب الطاعة لضعف القلب الذى لا يذم المرء عليه وأمر باكتساب قوة تدفعه عنه ليثاب على ذلك (ويقال رابعا) لو قدر أن الحزن كان معصية فهو فعله قبل أن ينهى عنه فلما نهى عنه لم يفعله وما فعل قبل التحريم فلا اثم فيه كما كانوا قبل تحريم الخمر يشربونها ويقامرون فلما نهوا عنها انتهوا ثم تابوا كما تقدم * قال أبو محمد بن حزم وأما حزن أبى بكر رضى الله عنه فانه قبل أن ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله تعالى فانه كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله معه والله لا يكون قط مع العصاة بل عليهم وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولو كان لهؤلاء الاراذل حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن أبى بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام عيبا لان الله تعالى قال لموسى سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ثم قال عن السحرة لما قالوا إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى الى قوله فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى فهذا موسى رسول الله وكليمه كان قد أخبره الله عز وجل بأن فرعون وملأه لا يصلون اليهما وأنه هو الغالب وأوجس فى نفسه خيفة بعد ذلك فايجاس موسى لم يكن الا لنسيانه الوعد المتقدم وحزن أبى بكر كان قبل أن ينهى عنه وأما محمد صلى الله عليه وسلم فان الله قال ومن كفر فلا يحزنك كفره وقال تعالى ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون وقال فلا يحزنك قولهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ووجدناه تعالى قد قال قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ونهاه عن ذلك فيلزمهم فى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذى أوردوا فى حزن أبى بكر سواء ونعلم أن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله قبل أن ينهاه الله كما كان حزن أبى بكر طاعة لله قبل أن ينهاه عنه وما حزن أبو بكر بعد ما نهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن الحزن فكيف وقد يمكن أن أبا بكر

يعين بعض المقادير ليكون النظام متعلقا به فيوجب المقدار الذى وقع ولم يجز خلافه فكذلك اذا قدر غير معلول بل لو أثبتوا فى المعلول الاول الذى هو علة الجرم الاقصى عندهم مبدأ للتخصيص مثل ارادة مثلا لم ينقطع السؤال أو يقال ولم أراد هذا المقدار دون غيره كما ألزموه على المسلمين فى اضافتهم الاشياء الى الارادة القديمة وقد قلبنا عليهم ذلك فى تعيين جهة حركة السماء وفى تعيين نقطتى القطبين فاذا ظهر أنهم مضطرون الى تجويز تمييز الشئ عن مثله فى الوقوع بعلة فتجويزه بغير علة

لم يكن حزن يومئذ لكن نهاه صلى الله عليه وسلم أن يكون منه حزن كما قال تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا

(فصل) قال شيخ الاسلام المصنف رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد زعم بعض الرافضة أن قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا لا يدل على ايمان أبي بكر فان الصحبة قد تكون من المؤمن والكافر كما قال تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا الى قوله قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة الآية فيقال معلوم أن لفظ الصاحب في اللغة يتناول من صحب غيره ليس فيه دلالة بمجرده هذا اللفظ على أنه وليه أو عدوه أو مؤمن أو كافر الا لما يقترن به وقد قال تعالى والصاحب بالجنب وابن السبيل وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة وليس فيه دلالة على ايمان أو كفر وكذلك قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وقوله وما صاحبكم بمجنون المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لكونه صحب البشر فانه اذا كان قد صحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاء من الوحي وما يسمعون به كلامه ويفقهون معانيه بخلاف الملك الذي لم يصحبهم فانه لا يمكنهم الأخذ عنه وأيضا قد تضمن ذلك أنه بشر من جنسهم وأخص من ذلك أنه عربي بلسانهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه وقال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فانه اذا كان قد صحبهم كان قد تعلم لسانهم وأمكنه أن يخاطبهم بلسانهم فيرسل رسولا بلسانهم ليتفقهوا عنه فكان ذكر صحبته لهم هنا دلالة على اللطف بهم والاحسان اليهم وهذا بخلاف اضافة الصحبة اليه كقوله تعالى لا تحزن ان الله معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقوله هل أنتم تاركو لي صاحبي وأمثال ذلك فان اضافة الصحبة اليه في خطابه وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة وذلك لا يكون الا بالايمان به فلا يطلق لفظ صاحبه على من صحبه في سفره وهو كافر به والقرآن يقول فيه اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه وهذه المعية تتضمن النصر والتأييد وهو انما ينصره على عدوه وكل كافر عدوه فيمتنع أن يكون الله مؤيدا له ولعدوه معا ولو كان مع عدوه لكان ذلك مما يوجب الحزن ويزيل السكينة فعلم أن لفظ صاحبه تضمن صحبة ولاية ومحبة تستلزم الايمان له وبه وأيضا فقوله لا تحزن دليل على أنه وليه وانه حزن خوفا من عدوهما فقال له لا تحزن ان الله معنا ولو كان عدوه لكان لم يحزن الا حيث يتمكن من قهره فلا يقال له لا تحزن ان الله معنا لان كونه مع نبيه مما يسر النبي وكونه مع عدوه مما يسوءه فيمتنع أن يجمع بينهما لا سيما مع قوله لا تحزن ثم قوله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ونصره لا يكون بأن يقترن به عدوه وحده وانما يكون باقتران وليه ونجاته من عدوه فكيف ينصر على الذين كفروا من يكون قد لزموه لم يفارقوه ليلا ولا نهارا وهم معه في سفره وقوله ثاني اثنين حال من الضمير في أخرجه أي أخرجوه في حال كونه نبيا ثاني اثنين فهو موصوف بأنه أحد الاثنين فيكون الاثنان مخرجين جميعا فانه يمتنع أن يخرج ثاني اثنين الا مع الآخر فانه لو أخرج دونه لم يكن قد أخرج ثاني اثنين فدل على أن الكفار أخرجوه

كتجويزه بعلة اذ لا فرق بين أن يتوجه السؤال في نفس الشيء فيقال لم اختص بهذا القدر وبين أن يتوجه في العلة فيقال ولم خصص هذا القدر عن مثله فان أمكن دفع السؤال عن العلة بان هذا المقدار ليس مثل غيره اذ النظام مرتبط به دون غيره أمكن دفع السؤال عن نفس الشيء ولم يفتقر الى علة وهذا لا مخرج عنه فان هذا المقدار المعين الواقع ان كان مثل الذي لم يقع فالسؤال متوجه أنه كيف ميز الشيء عن مثله خصوصا على أصلهم وهم ينكرون الارادة المميزة وان لم تكن مثلا له فلا يثبت

ثانى اثنين فأخرجوه مصاحبا لقرينه فى حال كونه معه فلزم أن يكونوا أخرجوهما وذلك هو الواقع
فان الكفار أخرجوا المهاجرين كلهم كما قال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم
وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله
على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله وقال انما ينهاكم
الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم وذلك
أنهم منعوهم أن يقيموا بمكة مع الايمان وهم لا يمكنهم ترك الايمان فقد أخرجوهم اذا كانوا
مؤمنين وهذا يدل على أن الكفار أخرجوا صاحبه كما أخرجوه والكفار انما أخرجوا
أعداءهم لا من كان كافرا منهم فهذا يدل على أن صحبته صحبة موالاة وموافقة على الايمان
لا صحبة مع الكفر واذا قيل هذا يدل على أنه كان مظهرا للموافقة وقد كان يظهر الموافقة له من
كان فى الباطن منافقا وقد يدخلون فى لفظ الاصحاب فى مثل قوله لما استؤذن فى قتل بعض
المنافقين قال لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه فدل على ان هذا اللفظ قد كان الناس
يدخلون فيه من هو منافق قيل قد ذكرنا فيما تقدم أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق وينبغى
أن يعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة الى المؤمنين وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم
القرآن وغير ذلك وان كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعرف كلا منهم بعينه فالذين باشروا
ذلك كانوا يعرفونه والعلم بكون الرجل مؤمنا فى الباطن أو يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أمر
لا يخفى مع طول المباشرة فانه ما أسر أحد سريرة الا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات
لسانه وقال تعالى ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم وقال ولتعرفنهم فى لحن القول
فالمضمر للكفر لا بد أن يعرف فى لحن القول وأما بالسيما فقد يعرف وقد لا يعرف وقد قال تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار والصحابة المذكورون فى الرواية عن النبى صلى الله عليه
وسلم والذين يعظمهم المسلمون على الدين كلهم كانوا مؤمنين به ولم يعظم المسلمون ولله الحمد
على الدين منافقا والايمان يعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه من موالاته ومعاداته وفرحه
وغضبه وجوعه وعطشه وغير ذلك فان هذه الأمور لها لوازم ظاهرة والامور الظاهرة تستلزم
أمورا باطنة وهذا أمر يعرفه الناس فيمن جربوه وامتحنوه ونحن نعلم بالاضطرار أن ابن عمر
وابن عباس وأنس بن مالك وأبا سعيد الخدرى وجابرا ونحوهم كانوا مؤمنين بالرسول محبين له
معظمين له ليسوا منافقين فكيف لا يعلم ذلك فى مثل الخلفاء الراشدين الذين أخبارهم وايمانهم
ومحبتهم ونصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد طبقت البلاد مشارقها ومغاربها فهذا مما
ينبغى أن يعرف ولا يجعل وجود قوم منافقين موجبا للشك فى ايمان هؤلاء الذين لهم فى الامة
لسان صدق بل نحن نعلم بالضرورة ايمان سعيد بن المسيب والحسن وعلقمة والأسود ومالك
والشافعى وأحمد والفضيل والجنيد ومن هو دون هؤلاء فكيف لا يعلم ايمان الصحابة ونحن
نعلم ايمان كثير ممن باشرناه من الاصحاب وقد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع وبين
أن العلم بصدق الصادق فى اخباره اذا كان دعوى نبوة أو غير ذلك وكذب الكاذب مما يعلم
بالاضطرار فى مواضع كثيرة بأسباب كثيرة واظهار الاسلام من هذا الباب فان الانسان اما
صادق واما كاذب فهذا يقال أولا ويقال ثانيا وهو ما ذكره أحمد وغيره ولا أعلم بين العلماء
فيه نزاعا ان المهاجرين لم يكن فيهم منافق أصلا وذلك لان المهاجرين انما هاجروا باختيارهم

الجواز بل يقال وقع كذلك قديما
كما وقعت بالعلة القديمة بزعمهم قال
وليستمد النظر فى هذا الكتاب
مما أوردناه لهم من توجيه السؤال
فى الارادة القديمة وقلبنا ذلك عليهم
فى نقطة القطب وجهة حركة
الفلك ويتبين بهذا أن من لا يصدق
بحدوث الاجسام فلا يقدر على
اقامة الدليل على أن الاول ليس
بجسم فهذا أبو حامد هو وغيره
يبينون فساد ما ذكروه من نفى
كون الاول جسما ويقولون لا
طريق الى ذلك الا الاستدلال
على حدوث الجسم ثم أبو حامد
وغيره من النظار يبينون أيضا

لما آذاهم الكفار على الايمان وهم بمكة لم يكن يؤمن أحدهم الا باختياره بل مع احتمال الاذى فلم يكن أحد يحتاج أن يظهر الايمان و يبطن الكفر لاسيما اذا هاجر الى دار يكون فيها سلطان الرسول عليه ولكن لما ظهر الاسلام فى قبائل الانصار صار بعض من لم يؤمن بقلبه يحتاج الى أن يظهر موافقة قومه لان المؤمنين صار لهم سلطان وعز ومنعة وصار معهم السيف يقتلون من كفر ويقال ثالثا عامة عقلاء بنى آدم اذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته فالرسول يصحب أبا بكر بمكة بضع عشرة سنة ولا يتبين له هل هو صديقه أو عدوه وهو يجتمع معه فى دار الخوف وهل هذا الا قدح فى الرسول ثم يقال جميع الناس كانوا يعرفون أنه أعظم أوليائه من حين المبعث الى الموت فانه أول من آمن به من الرجال الاحرار ودعا غيره الى الايمان به حتى آمنوا وبذل أمواله فى تخليص من كان آمن به من المستضعفين مثل بلال وغيره وكان يخرج معه الى الموسم فيدعو القبائل الى الايمان به ويأتى النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم الى بيته إما غدوة و إما عشية وقد آذاه الكفار على ايمانه حتى خرج من مكة فلقيه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب سيد القارة وقال الى أين وقد تقدم حديثه فهل يشك من له أدنى مسكة من عقل أن مثل هذا لا يفعله الا من هو فى غاية الموالاة والمحبة للرسول ولما جاء به وان موالاته ومحبته بلغت به الى أن يعادى قومه و يصبر على أذاهم و ينفق أمواله على من يحتاج اليه من اخوانه المؤمنين وكثير من الناس يكون مواليا لغيره لكن لا يدخل معه فى المحن والشدائد ومعاداة الناس واظهار موافقته على ما يعاديه الناس عليه فأما اذا أظهر اتباعه وموافقته له على ما يعاديه عليه جمهور الناس وقد صبر على أذى المعادين و بذل الاموال فى موافقته من غير أن يكون هناك داع يدعو الى ذلك من الدنيا الا أنه لم يحصل له بموافقته فى مكة شئ من الدنيا لا مال ولا رياسة ولا غير ذلك بل لم يحصل له من الدنيا الا ما هو أذى ومحنة و بلاء والانسان قد يظهر موافقته لغيره إما لغرض يناله منه أو لغرض آخر يناله بذلك مثل أن يقصد قتله أو الاحتيال عليه وهذا كله كان منتفيا بمكة فان الذين كانوا يقصدون أذى النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من أعظم الناس عداوة لأبى بكر لما آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن بهم اتصال يدعو الى ذلك البتة ولم يكونوا يحتاجون فى مثل ذلك الى أبى بكر بل كانوا أقدر على ذلك ولم يكن يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم أذى قط من أبى بكر مع خلوته به واجتماعه به ليلا ونهارا وتمكنه مما يريد المخادع من اطعام سم أو قتل أو غير ذلك وأيضا فكان حفظ الله لرسوله وحمايته له يوجب أن يطلعه على ضميره السوء لو كان مضمرا له سوأ وهو قد أطلعه الله على ما فى نفس أبى عزة لما جاء مظهرا للايمان بنية الفتك به وكان ذلك فى قعدة واحدة وكذلك أطلعه على ما فى نفس الحجبى يوم حنين لما انهزم المسلمون وهم بالسوأة وأطلعه على ما فى نفس عمير بن وهب لما جاء من مكة مظهرا للاسلام يريد الفتك به وأطلعه الله على المنافقين فى غزوة تبوك لما أرادوا أن يحلوا حزام ناقته وأبو بكر معه دائما ليلا ونهارا حضرا وسفرا فى خلوته وظهوره ويوم بدر يكون معه وحده فى العريش ويكون فى قلبه ضمير سوء للنبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم ضميره ذلك قط وأدنى من له نوع فطنة يعلم ذلك فى أقل من هذا الاجتماع فهل يظن ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم وصديقه الا من هو مع فرط جهله وكمال نقص عقله من أعظم الناس نقصا بالرسول وطعنا فيه وقدحا فى معرفته فان كان هذا الجاهل مع ذلك محبا للرسول فهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل ولا ريب أن كثيرا ممن يحب الرسول من بنى هاشم

فساد ما احتج به على حدوث الجسم وقد سبقهم الاشعرى الى بيان فساد ما احتجت به المعتزلة على حدوث الجسم والرازى وأتباعه يبينون حدوث الجسم فى كتبهم الكلامية كالاربعين ونهاية العقول والمحصل وغير ذلك ثم يبينون فساد كل ما يحتج به على حدوث الاجسام فى موضع آخر مثل المباحث المشرقية وكذلك فى المطالب العالية التى هى آخر كتبه بين فساد حجج من يقول بحدوثها وانه فعل بعد أن لم يكن فاعلا ويذكر حججا كثيرة على دوام الفاعلية ويورد عليها مع ذلك ما يدل

وغيرهم

على فسادها ويعترف بالحيرة فى هذه المواضع العظيمة فى مسائل الصفات وحدوث العالم ونحو ذلك وسبب ذلك انهم يقولون أقوالا تستلزم الجمع بين النقيضين تارة ورفع النقيضين تارة بل تستلزم كليهما والاصل العظيم الذى هو من أعظم أصول العلم والدين لا يذكرون فيه الاأقوالا ضعيفة والقول الصواب الموافق للميزان والكتاب لا يعرفونه كما فى مسئلة حدوث العالم فانهم لا يذكرون الاقول من يقول بقدم الافلاك وان كانت صادرة عن علة توجبها فالمعلول مقارن لعلته أزلا وأبدا

وغيرهم وقد تشيع قد تلقى من الرافضة ماهو من أعظم الامور قدحا فى الرسول فان أصل الرفض انما أحدثه زنديق غرضه ابطال دين الاسلام والقدح فى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد ذكر ذلك العلماء وكان عبد الله بن سبا شيخ الرافضة لما أظهر الاسلام أراد أن يفسد الاسلام بمكره وخبثه كما فعل بولص بدين النصارى فأظهر النسك ثم أظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى سعى فى فتنة عثمان وقتله ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو فى على والنص عليه ليتمكن بذلك من أغراضه وبلغ ذلك عليا فطلب قتله فهرب منه الى قرقيسيا وخبره معروف وقد ذكره غير واحد من العلماء والا فمن له أدنى خبرة بدين الاسلام يعلم أن مذهب الرافضة مناقض له ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم افساد الاسلام يأمرون باظهار التشيع والدخول الى مقاصدهم من باب الشيعة كما ذكر ذلك امامهم صاحب البلاغ الاكبر والناموس الاعظم قال القاضى أبو بكر بن الطيب قد اتفق جميع الباطنية وكل مصنف لكتاب ورسالة منهم فى ترتيب الدعوة المضلة على أن من سبيل الداعى الى دينهم ورجسهم المجانب لجميع أديان الرسل والشرائع أن يجتنب الداعى اليه الناس بما يبين وما يظهره له من أحوالهم ومذاهبهم وقالوا الكل داع لهم الى ضلالتهم ما أنا ماثل لالفاظهم وصيغة قولهم بغير زيادة ولا نقصان ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم بسائر الرسل والملل فقالوا للداعى (يجب عليك اذا وجدت من تدعوه مسلما أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف وقتلهم الحسين وسبيهم نساءه وذريته والتبرى من تيم وعدى ومن بنى أمية وبنى العباس وأن تكون قائلا بالتشبيه والتجسيم والبداء والتناسخ والرجعة والغلو وأن عليا يعلم الغيب مفوض اليه خلق العالم وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم فانهم أسرع الى اجابتك بهذا الناموس حتى تمكن منهم ما تحتاج اليه أنت ومن بعدك ممن تثق به من أصحابك فترقيهم الى حقائق الأشياء حالا فحالا ولا تجعل كما جعل المسيح ناموسه فى زمن موسى القول بالتوراة وحفظ السبت ثم عجل وخرج عن الحد وكان له ما كان يعنى من قتلهم له بعد تكذيبهم اياه وردهم عليه وتفرقهم عنه فاذا آنست من بعض الشيعة عند الدعوة اجابة ورشدا أوقفته على مثالب على وولده وعرفته حقيقة الحق لمن هو وفيمن هو وباطل بطلان كل ما عليه أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الرسل ومن وجدته صابئا فأدخله بالاسابيع وتعظيم الكواكب فان ذلك ديننا وجل مذهبنا فى أول أمرنا وأمرهم من جهة الاسابيع يقرب عليك أمره جدا ومن وجدته مجوسيا اتفقت معه فى الاصل فى الدرجة الرابعة من تعظيم النار والنور والشمس والقمر واتل عليهم أمر السابق وانه برمن الذى يعرفونه وثالثه المكنون من طيبه الجيد والظلمة المكتوبة فانهم مع الصابئين أقرب الامم الينا وأولاهم بنا ولا يسير صحفوه بجهلهم به) قالوا (وان ظفرت بيهودى فادخل عليه من جهة انتظار المسيح وانه المهدى الذى ينتظره المسلمون بعينه وعظم السبت عندهم وتقرب اليهم بذلك وأعلمهم أنه مثل يدل على ممثول وأن ممثوله يدل على السابع المنتظر يعنون محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه دوره وانه هو المسيح وهو المهدى عنده معرفته بكون الراحة من الاعمال وترك التكليفات كما أمروا بالراحة يوم السبت وان راحة السبت هو دلالة على الراحة من التكليف والعبادات فى دور السابع المنتظر وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال الحيارى الذين يزعمون أن عيسى لم يولد ولا أب له وقوى فى نفوسهم أن يوسف النجار أبوه وأن مريم أمه وان يوسف النجار كان ينال منها ما ينال الرجال

من النساء وماشا كل ذلك فانهم لن يلبثوا أن يتبعوك) قال (وان وجدت المدعى نصرانيا فادخل عليه بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا وصحة قولهم فى الثالوث وان الاب والابن وروح القدس صحيح وعظم الصليب عندهم وعرفهم تأويله وان وجدته متباينا فان المباينة تحرك الذى منه يعترف فداخلهم بالممازحة فى الباب السادس فى الدرجة السادسة من حدود البلاغ التى نصفها من بعد وامتزج بالنور وبالظلام فانك تملكهم بذلك واذا آنست من بعضهم رشدا فاكشف له الغطاء ومتى وقع اليك فيلسوف فقد علمت أن الفلاسفة هم العمدة لنا وقد أجمعنا نحن وهم على ابطال نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا بعضهم من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه فان وقع الاتفاق منهم على أنه لا مدبر للعالم فقد زالت الشبهة بيننا وبينهم واذا وقع لك ثنوى منهم فبخ بخ قد ظفرت يداك بمن يقل معه تعبك والمدخل عليه بابطال التوحيد والقول بالسابق والتالى ورتب له ذلك على ما هو مرسوم لك فى أول درجة البلاغ وثانيه وثالثه وسنصف لك عنهم من بعد واتخذ غليظ العهود وتوكيد الايمان وشدة المواثيق جنة لك وحصنا ولا تهجم على مستجيبك بالاستنادات الكبار التى يستبشعونها حتى ترقيهم الى أعلى المراتب حالا فحالا وتدرجهم درجة درجة على ما سنبينه من بعد وقف بكل فريق حيث احتمالهم فواحد لا تزيده على التشيع والائتمام بمحمد بن اسمعيل وأنه حى لا تجاوز به هذا الحد لاسيما ان كان مثله ممن يكثر به وبموضع اسمه وأظهر له العفاف عن الدرهم والدينار وخفف عليه وطأتك مرة بصلاة السبعين وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب النبيذ وعليك فى أمره بالرفق والمداراة له والتودد وتصبر له ان كان هواه متبعا لك تحظ عنده ويكون لك عونا على دهرك وعلى من لعله يعاديك من أهل الملل ولا تأمن أن يتغير عليك بعض أصحابك ولا تخرجه عن عبادة الهه والتدين بشريعة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم والقول بامامة على وبنيه الى محمد بن اسمعيل وأقم له دلائل الاسابيع فقط ودقه بالصوم والصلاة دقا وشدة الاجتهاد فانك بوشذان أومأت الى كريمته فضلا عن ماله لم يمنعك وان أدركته الوفاة فوض اليك ما خلفه وورثك اياه ولم ير فى العالم من هو أوثق منك وآخر ترقيه الى نسخ شريعة محمد وأن السابع هو الخاتم للرسل وانه ينطق كما ينطقون ويأتى بأمر جديد وأن محمدا صاحب الدور السادس وأن عليا لم يكن اماما وانما كان سوسا لمحمد وحسن القول فيه والاساسية فان هذا باب كبير وعمل عظيم منه ترقى الى ما هو أعظم منه وأكبر منه ويعينك على زوال ما جاء به من قبلك من وجوب زوال النبوات على المنهاج الذى هو عليه واياك أن ترتفع من هذا الباب الا الى من تقدر فيه النجابة وآخر ترقيه من هذا الى معرفة القرآن ومؤلفه وسببه واياك أن تغتر بكثير ممن يبلغ معك الى هذه المنزلة فترقيه الى غيرها (١) ان لا يغلطون المؤانسة والمدارسة واستحكام الثقة به فان ذلك يكون لك عونا على تعطيل النبوات والكتب التى يدعونها منزلة من عند الله وآخر ترقيه الى اعلامه أن القائم قد مات وانه يقوم روحانيا وأن الخلق يرجعون اليه بصور روحانية تفصل بين العباد بأمر الله عز وجل ويستصفى المؤمنين من الكافرين بصور روحانية فان ذلك يكون أيضا عونا لك عند ابلاغه الى ابطال المعاد الذى يزعمونه والنشور من القبر وآخر ترقيه من هذا الى ابطال أمر الملائكة فى السماء والجن فى الارض وانه كان قبل آدم بشر كثير وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة فى كتبنا فان ذلك مما يعينك وقت بلاغه على تسهيل التعطيل والوحى والارسال الى البشر بملائكة والرجوع الى الحق والقول بقدم العالم وآخر ترقيه الى أوائل درجة التوحيد وتدخل عليه بما

تضمنه

وقول من يقول بل تراخى المفعول عن المؤثر التام وأنه يمتنع أنه لم يزل متكلما اذا شاء ويفعل ما يشاء والقول الصواب الذى هو قول السلف والأئمة لا يعرفونه وهو القول بأن الاثر يتعقب التأثير التام فهو سبحانه اذا كون شيأ كان عقب تكوينه له كما قال تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وهذا هو المعقول كما يكون الطلاق والعتاق عقب التطليق والاعتاق والانكسار

(١) قوله أن لا يغلطون الخ كذا فى الأصل وحرر كتبه مصححه

تضمنه كتابهم المترجم بكتاب الدرس الشافى للنفس من انه لا اله ولا صفة ولا موصوف فان ذلك يعينك على القول بالالهية لمستحقها عند البلاغ والى ذلك يعنون بهذا ان كل داع منهم يترقى درجة درجة إلى أن يصير اماما ناطقا ثم ينقلب الهاروحانيا على ماسنشرح قولهم فيه من بعد) قالوا (ومن بلغته الى هذه المنزلة تعرفه حسب ماعرفناك من حقيقة أمر الامام وان اسمعيل وأباه محمدا كانا من نوابه وفى ذلك عون لك على ابطال امامة على وولده عند البلاغ والرجوع الى القول بالحق ثم لا يزال كذلك شيأ فشيأ حتى يبلغ الغاية القصوى على تدريج يصفه عنهم فيما بعد) قال القاضى فهذه وصيتهم جميعا المداعى الى مذاهبهم وفيها أوضح دليل لكل عاقل على كفر القوم وإلحادهم وتصريحهم بابطال حدوث العالم ومحدثه وتكذيب ملائكته ورسله وجحد المعاد والثواب والعقاب وهذا هو الاصل لجميعهم وانما يتمخرقون بذكر الاول والثانى والناطق والاساس الى غير ذلك ويخدعون به الضعفاء حتى اذا استجاب لهم مستجيب أخذوه بالقول بالدهر والتعطيل وسأصف من بعد من عظيم سبهم لجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وتجريدهم القول بالاتحاد وانه نهاية دعوتهم مايعلم به كل من قارن عظيم كفرهم وعنادهم للدين قلت وهذا بين فان الملاحدة من الباطنية الاسمعيلية وغيرهم والغلاة النصيرية وغير النصيرية انما يظهرون التشيع وهم فى الباطن أكفر من اليهود والنصارى فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق والصديق رضى الله عنه هو الامام فى قتال المرتدين وهؤلاء مرتدون فالصديق وحزبه هم أعداؤه والمقصود هنا أن الصحبة المذكورة فى قوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا صحبة موالاة للمصحوب ومتابعة له لا صحبة نفاق كصحبة المسافر للمسافر وهى من الصحبة التى يقصدها الصاحب لمحبة المصحوب كما هو معلوم عند جماهير الخلائق علما ضروريا بما تواتر عندهم من الامور الكثيرة أن أبا بكر كان فى الغاية من محبة النبى صلى الله عليه وسلم وموالاته والايمان به أعظم مما يعلمون أن عليا كان مسلما وأنه كان ابن عمه وقوله ان الله معنا لم يكن لمجرد الصحبة الظاهرة التى ليس فيها متابعة فان هذه تحصل للكافر اذا صحب المؤمن ليس الله معه بل انما كانت المعية للموافقة الباطنية والموالاة له والمتابعة ولهذا كل من كان متبعا للرسول كان الله معه بحسب هذا الاتباع قال الله تعالى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أى حسبك وحسب من اتبعك فكل من اتبع الرسول من جميع المؤمنين فانه حسبه وهذا معنى كون الله معه والكفاية المطلقة مع الاتباع المطلق والناقصة مع الناقص واذا كان بعض المؤمنين به المتبعين له قد حصل له من يعاديه على ذلك فالله حسبه وهو معه وله نصيب من معنى قوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فان هذا قلبه موافق للرسول وان لم يكن صحبه ببدنه والاصل فى هذا القلب كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر فهؤلاء بقلوبهم كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغزاة فلهم معنى صحبته فى الغزاة فالله معهم بحسب تلك الصحبة المعنوية ولو انفرد الرجل فى بعض الامصار والاعصار بحق جاء به الرسول ولم تنصره الناس عليه فان الله معه وله نصيب من قوله إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فان نصر الرسول هو نصر دينه الذى جاء به حيث كان ومتى كان ومن وافقه فهو صاحبه عليه فى المعنى فاذا قام به ذلك الصاحب كما أمر الله

والانقطاع عقب الكسر والقطع فهو سبحانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ويذكرون فى كونه موجبا بذاته وفاعلا بمشيئته وقدرته قولين فاسدين أحدهما قول من يقول من المتفلسفة هو موجب بذاته فى الازل وانه علة تامة فى الازل فيجب أن يستلزم معلوله وان معلوله يجب أن يكون مقارنا له فى الزمان أزلا وأبدا وهذا القول من أفسد أقوال بنى آدم فانه يستلزم أن لا يحدث فى العالم حادث فانه اذا كانت علة تامة أزلية ومعلولها معها والعالم كله معلوله اما بوسط وإما بغير وسط لزم أن لا يكون فى العالم شئ الا

فان الله مع ما جاء به الرسول ومع ذلك القائم به وهذا المتبع له حسبه الله وهو حسب الرسول كما قال تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

(فصل) وأما قول الرافضى ان القرآن حيث ذكر انزال السكينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شرك معه المؤمنين الا فى هذا الموضع ولا نقص أعظم منه

(فالجواب) ان هذا يوهم أنه ذكر ذلك فى مواضع متعددة وليس كذلك بل لم يذكر ذلك الا فى قصة حنين كما قال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها فذكر انزال السكينة على الرسول والمؤمنين بعد أن ذكر توليتهم مدبرين وقد ذكر انزال السكينة على المؤمنين وليس معهم الرسول فى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين الآية وقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ويقال ثانيا الناس قد تنازعوا فى عود الضمير فى قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه فمنهم من قال انه عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال انه عائد الى أبى بكر لانه أقرب المذكورين ولانه كان محتاجا الى انزال السكينة عليه كما أنزلها على المؤمنين الذين بايعوه تحت الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم كان مستغنيا عنها فى هذه لكمال طمأنينته بخلاف انزالها يوم حنين فانه كان محتاجا اليها لانهزام جمهور أصحابه واقبال العدو نحوه وسوقه ببغلته الى العدو وعلى القول الاول يكون الضمير عائدا الى النبى صلى الله عليه وسلم كما عاد الضمير اليه فى قوله وأيده بجنود لم تروها ولأن سياق الكلام كان فى ذكره وانما ذكر صاحبه ضمنا وتبعا لكن يقال على هذا لما قال لصاحبه ان الله معنا والنبى صلى الله عليه وسلم هو المتبوع المطاع وأبو بكر تابع مطيع وهو صاحبه والله معهما فاذا حصل للمتبوع فى هذه الحال سكينة وتأييد كان ذلك للتابع أيضا بحكم الحال فانه صاحب تابع لازم ولم يحتج أن يذكر هنا أبو بكر لكمال الملازمة والمصاحبة التى توجب مشاركة النبى صلى الله عليه وسلم فى التأييد بخلاف حال المنهزمين يوم حنين فانه لو قال فأنزل الله سكينته على رسوله وسكت لم يكن فى الكلام ما يدل على نزول السكينة عليهم لكونهم بانهزامهم فارقوا الرسول ولكونهم لم يثبت لهم من الصحبة المطلقة التى تدل على كمال الملازمة ما ثبت لأبى بكر وأبو بكر لما وصفه بالصحبة المطلقة الكاملة ووصفها فى أحق الاحوال أن يفارق الصاحب فيها صاحبه وهو حال شدة الخوف كان هذا دليلا بطريق الفحوى على أنه صاحبه وقت النصر والتأييد فان من كان صاحبه فى حال الخوف الشديد فلأن يكون صاحبه فى حال حضور النصر والتأييد أولى وأحرى فلم يحتج أن يذكر صحبته له فى هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليها واذا علم أنه صاحبه فى هذه الحال علم أن ما حصل للرسول من انزال السكينة والتأييد بانزال الجنود التى لم يرها الناس لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه وهذا كما فى قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه فان الضمير إن عاد الى الله فارضاؤه لا يكون الا بارضاء الرسول وان عاد الى الرسول فانه لا يكون ارضاؤه الا بارضاء الله فلما كان ارضاؤهما لا يحصل أحدهما الا مع الآخر وهما يحصلان بشئ واحد والمقصود بالقصد الاول ارضاء الله وارضاء الرسول تابع وحد الضمير فى قوله أحق أن يرضوه وكذلك وحد الضمير فى قوله فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها لأن نزول ذلك على أحدهما يستلزم مشاركة الآخر له اذ محال أن ينزل

أزليا فلا يكون فى العالم شئ من الحوادث وهو خلاف المشاهدة ثم انهم لما أثبتوا الواجب بالممكن انما استدلوا على الممكن بالحادث الذى يفتقر الى محدث فان لم يكن فى العالم حادث بطل الامكان الذى به أثبتوا الواجب ولزم اما أن لا يكون فى العالم واجب الوجود ولا ممكن الوجود وهو اخلاء للوجود عن النقيضين واما أن يكون جميعه واجب الوجود فيكون الحادث الذى كان بعد أن لم يكن واجب الوجود وأيضا فاذا كان المعلول لا يكون الا مع علة تامة لزم أن لا يحدث شئ من الحوادث الا مع

ذلك على الصاحب دون المصحوب أو على المصحوب دون الصاحب الملازم فلما كان لا يحصل ذلك الا مع الآخر وحد الضمير وأعاده الى الرسول فانه هو المقصود والصاحب تابع له ولو قيل فأنزل السكينة عليهما وأيدهما لأوهم أن أبا بكر شريك في النبوة كهرون مع موسى حيث قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا الآية وقال ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فذكرهما أولا وقومهما فيما يشاركونهما فيه كما قال فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اذ ليس في الكلام ما يقتضي حصول النجاة والنصر لقومهما اذا نصرا ونجيا ثم فيما يختص بهما ذكرهما بلفظ التثنية اذ كانا شريكين في النبوة لم يفرد موسى كما أفرد الرب نفسه بقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فلو قيل أنزل الله سكينته عليهما وأيدهما لأوهم الشركة بل عاد الضمير الى الرسول المتبوع وتأييده تأييد لصاحبه التابع له الملازم بطريق الضرورة ولهذا لم ينصر النبي صلى الله عليه وسلم في موطن الا كان أبو بكر رضي الله عنه أعظم المنصورين بعده ولم يكن أحد من الصحابة أعظم يقينا وثباتا في المخاوف منه ولهذا قيل لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الارض لرجح كما في السنن عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل رأى أحد منكم رؤيا فقال رجل أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فاستاء لها النبي صلى الله عليه وسلم فقال خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء وقال أبو بكر ابن عياش ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه

﴿فصل﴾ قال الرافضي وأما قوله وسيجنبها الأتقى فان المراد به أبو الدحداح حيث اشترى نخلة لشخص لأجل جاره وقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم على صاحب النخلة نخلة في الجنة فسمع أبو الدحداح فاشتراها ببستان له ووهبها الجار فجعل النبي صلى الله عليه وسلم له بستانا عوضها في الجنة

(والجواب) أن يقال لا يجوز أن تكون هذه الآية مختصة بأبي الدحداح دون أبي بكر باتفاق أهل العلم بالقرآن وتفسيره وأسباب نزوله وهذه السورة مكية باتفاق العلماء وقصة أبي الدحداح كانت بالمدينة باتفاق العلماء فانه من الانصار والانصار انما صحبوه بالمدينة ولم تكن البساتين وهي الحدائق التي تسمى بالحيطان الا بالمدينة فمن الممتنع أن تكون الآية لم تنزل الا بعد قصة أبي الدحداح بل ان كان قد قال بعض العلماء انها نزلت فيه فمعناه انه ممن دخل في الآية وممن شمله حكمها وعمومها فان كثيرا ما يقول بعض الصحابة والتابعين نزلت هذه الآية في كذا ويكون المراد بذلك أنها دالة على هذا الحكم وتناولته وأريد بها هذا الحكم ومنهم من يقول بل قد تنزل الآية مرتين مرة لهذا السبب ومرة لهذا السبب فعلى قول هؤلاء يمكن أنها نزلت مرة ثانية في قصة أبي الدحداح وقبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في قصة أبي بكر فذكر ابن جرير في تفسيره باسناده عن عبد الله بن الزبير وغيره أنها نزلت في أبي بكر وكذلك ذكر ابن أبي حاتم والثعلبي أنها نزلت في أبي بكر عن عبد الله وعن سعيد بن المسيب وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر العدني حدثنا سفيان حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال أعتق أبو بكر سبعة كلهم يعذب في الله

تمام علته ولم يحدث حين حدوثه ما وجب حدوث علة تامة له وان قدر حدوث ذلك لزم حدوث تمام علل ومعلولات في آن واحد وهو تسلسل في العلل وذلك معلوم الفساد بصريح العقل واتفاق العقلاء بخلاف تسلسل الحوادث المتعاقبة وهو أنه لا يكون حادث الا بعد حادث فهذا فيه نزاع مشهور والناس فيه على أربعة أقوال قيل

بلالا وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عميس وأمة بني المؤمل قال سفيان فأما زنيرة فكانت رومية وكانت لبني عبد الدار فلما أسلمت عميت فقالوا أعمتها اللات والعزى قالت فهي كافرة باللات والعزى فرد الله اليها بصرها وأما بلال فاشتراه وهو مدفون في الحجارة فقالوا لو أبيت الا أوقية لبعناكه فقال أبو بكر لو أبيتم الا مائة أوقية لأخذته قال وفيه نزلت وسيجنبها الأتقى الى آخر السورة وأسلم وله أربعون ألفا فأنفقها في سبيل الله ويدل على أنها نزلت في أبي بكر وجوه أحدها انه قال وسيجنبها الأتقى وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم فلابد أن يكون أتقى الامة داخلا في هذه الآية وهو أكرمهم عند الله ولم يقل أحد ان أبا الدحداح ونحوه أفضل وأكرم من السابقين الأولين من المهاجرين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم بل الامة كلهم سنيهم وغير سنيهم متفقون على أن هؤلاء وأمثالهم من المهاجرين أفضل من أبي الدحداح فلابد أن يكون الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى فيهم وهذا القائل قد ادعى أنها نزلت في أبي الدحداح فاذا كان القائل قائلين قائلا يقول نزلت فيه وقائلا يقول نزلت في أبي بكر كان هذا القائل هو الذي يدل القرآن على قوله وان قدر عموم الآية لهما فأبو بكر أحق بالدخول فيها من أبي الدحداح فكيف لا يكون كذلك وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نفعني مال قط كمال أبي بكر فقد نفى عن جميع مال الامة أن ينفعه كنفع مال أبي بكر فكيف تكون تلك الامور المفضولة دخلت في الآية والمال الذي هو أنفع الاموال له لم يدخل فيها (الوجه الثاني) انه اذا كان الأتقى هو الذي يؤتي ماله وأكرم الخلق أتقاهم كان هذا أفضل الناس والقولان المشهوران في هذه الآية قول أهل السنة ان أفضل الخلق أبو بكر وقول الشيعة علي فلم يجز أن يكون الأتقى الذي هو أكرم الخلق على الله واحدا غيرهما وليس منهما أحد يدخل في الأتقى واذا ثبت أنه لا بد من دخول أحدهما في الأتقى وجب أن يكون أبو بكر داخلا في الآية ويكون أولى بذلك من علي لأسباب أحدها أنه قال الذي يؤتي ماله يتزكى وقد ثبت في النقل المتواتر في الصحاح وغيرها أن أبا بكر أنفق ماله وانه مقدم في ذلك على جميع الصحابة كما ثبت في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة أبي بكر وفي الصحيحين عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس في صحبته وماله أبو بكر وفي البخاري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فما أوذي بعدها وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وعن عمر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله وجاء أبو بكر بماله كله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك الى شيء أبدا رواه أبو داود والترمذي وصححه فهذه النصوص الصحيحة المتواترة الصريحة تدل على أنه كان من أعظم الناس انفاقا لماله

يمتنع في الماضي والمستقبل كقول جهم وأبي الهذيل ولهذا قال الجهم بفناء الجنة والنار وقال أبو الهذيل بفناء حركاتهما وقيل يمتنع في الماضي دون المستقبل وهو قول كثير من طوائف أهل الكلام كأكثر المعتزلة والاشعرية والكرامية وغيرهم وقيل يجوز فيهما فيما هو مفتقر الى غيره كالفلك سواء قيل انه محتاج الى مبدع

فيما يرضى الله ورسوله وأما على فكان النبى صلى الله عليه وسلم عونه لما أخذه من أبى طالب لمجاعة حصلت بمكة ومازال على فقيرا حتى تزوج بفاطمة وهو فقير وهذا مشهور معروف عند أهل السنة والشيعة وكان فى عيال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ما ينفقه ولو كان له مال لأنفقه لكنه كان منفقا عليه لا منفقا ❊ السبب الثانى قوله ومالأحد عنده من نعمة تجزى وهذه لابى بكر دون على لان أبا بكر كان للنبى صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الايمان أن هداه الله به وتلك النعمة لا يجزى بها الخلق بل أجر الرسول فيها على الله كما قال تعالى قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وقال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وأما النعمة التى يجزى بها الخلق فهى نعمة الدنيا وأبو بكر لم تكن للنبى صلى الله عليه وسلم عنده نعمة دنيا بل نعمة دين بخلاف على فانه كان للنبى صلى الله عليه وسلم عنده نعمة دنيا يمكن أن تجزى ❊ الثالث ان الصديق لم يكن بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم سبب يواليه لاجله ويخرج ماله الا الايمان ولم ينصره كما نصره أبو طالب لاجل القرابة وكان عمله كاملا فى اخلاصه لله تعالى كما قال الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى وكذلك خديجة كانت زوجته والزوجة قد تنفق مالها على زوجها وان كان دون النبى صلى الله عليه وسلم وعلى لو قدر انه أنفق لكان أنفق على قريبه وهذه أسباب قد يضاف الفعل اليها بخلاف انفاق أبى بكر فانه لم يكن له سبب الا الايمان بالله وحده فكان من أحق المتقين بتحقيق قوله الا ابتغاء وجه ربه الأعلى وقوله وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ومالأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى استثناء منقطع والمعنى لا يقتصر فى العطاء على من له عنده نعمة يكافئه بذلك فان هذا من باب العدل الواجب للناس بعضهم على بعض بمنزلة المعاوضة فى المبايعة والمؤاجرة وهو واجب لكل أحد على أحد فاذا لم يكن لأحد عنده نعمة تجزى لم يحتج الى هذه المعاوضة فيكون عطاؤه خالصا لوجه ربه الأعلى بخلاف من كان عنده لغيره نعمة يحتاج أن يجزيه بها فانه يحتاج أن يعطيه مجازاة على ذلك وهذا الذى مالأحد عنده من نعمة تجزى اذا أعطى ماله (١) يتزكى فى معاملة الناس دائما يكافئهم ويعاوضهم ويجازيهم فحين اعطائه ماله يتزكى لم يكن لاحد عنده من نعمة تجزى وفيه أيضا ما يبين أن الفضل بالصدقة لا يكون الا بعد أداء الواجب من المعاوضات كما قال تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو فمن عليه ديون من أثمان وقرض وغير ذلك فلا يقدم الصدقة على قضاء هذه الواجبات ولو فعل ذلك فهل ترد صدقته لان الله تعالى انما أثنى على من آتى ماله يتزكى ومالأحد عنده من نعمة تجزى فاذا كان عنده نعمة تجزى فعليه أن يجزى بها قبل أن يؤتى ماله يتزكى فاذا آتى ماله يتزكى قبل أن يجزى بها لم يكن ممدوحا فيكون عمله مردودا لقوله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد الرابع ان هذه الآية اذا قدر أنه دخل فيها من دخل من الصحابة فأبو بكر أحق الامة بالدخول فيها فيكون هو الأتقى من هذه الامة فيكون أفضلهم وذلك لان الله تعالى وصف الأتقى بصفات أبو بكر أكمل فيها من جميع الامة وهو قوله الذى يؤتى ماله يتزكى وقوله ومالأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى أما ايتاء المال فقد ثبت فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن انفاق أبى بكر أفضل من انفاق غيره وان معاونته له بنفسه وماله أكمل من معاونة غيره وأما ابتغاء النعمة التى تجزى فأبو بكر لم يطلب من النبى صلى الله عليه وسلم مالا قط ولا حاجة دنيوية وانه كان يطلب منه العلم لقوله الذى ثبت فى الصحيحين أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال قل اللهم انى

كقول ابن سينا وأتباعه أو قيل انه محتاج الى ما يتشبه به كقول أرسطو وأتباعه وقيل يجوز فيهما لكن لا يجوز ذلك فيما سوى الرب فانه مخلوق مفعول وحوادثه القائمة به لا تحصل الامن غيره فهو محتاج فى نفسه وحوادثه الى غيره

(١) قوله يتزكى فى معاملة الناس دائما يكافئهم الخ كذا فى النسخة ولعل فى الكلام سقطا وحرر كتبه مصححه

ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم ولا أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مالا يخصه به قط بل ان حضر غنيمة كان كآحاد الغانمين وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ماله كله وأما غيره من المنفقين من الانصار وبني هاشم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم مالا يعطي غيرهم فقد أعطى بني هاشم و بني المطلب من الخمس مالا يعطي غيرهم واستعمل عمر وأعطاه عمالة وأما أبو بكر فلم يعطه شيأ فكان أبعد الناس من النعمة التي تجزى وأولاهم بالنعمة التي لا تجزى وأما اخلاصه في ابتغاء وجه ربه الأعلى فهو أكمل الامة في ذلك فعلم أنه أكمل من تناولته الآية في الصفات المذكورة كما أنه أكمل من تناوله قوله والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وأمثال ذلك من الآيات التي فيها مدح المؤمنين من هذه الامة فأبو بكر أكمل الامة في الصفات التي يمدح الله بها المؤمنين فهو أولاهم بالدخول وأكمل من دخل فيها فعلم انه أفضل الامة

(فصل) قال الرافضي وأما قوله قل للمخلفين من الأعراب فانه أراد الذين تخلفوا عن الحديبية والتمس هؤلاء أن يخرجوا الى غنيمة خيبر فمنعهم الله بقوله قل لن تتبعونا لانه تعالى جعل غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ثم قال تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوات كثيرة كموتة وحنين وتبوك وغيرها وكان الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا جاز أن يكون عليا حيث قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وكان رجوعهم الى طاعته اسلاما لقوله صلى الله عليه وسلم يا علي حربك حربي وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر

(فالجواب) أما الاستدلال بهذه الآية على خلافة الصديق ووجوب طاعته فقد استدل بها طائفة من أهل العلم منهم الشافعي والاشعري وابن حزم وغيرهم واحتجوا بأن الله تعالى قال فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا الآية قالوا فقد أمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا فعلم أن الداعي لهم الى القتال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجب أن يكون من بعده وليس الا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان الذين دعوا الناس الى قتال فارس والروم وغيرهم أو يسلمون حيث قال تقاتلونهم أو يسلمون وهؤلاء جعلوا المذكورين في سورة الفتح هم المخاطبين في سورة براءة ومن هنا صار في الحجة نظر فان الذين في سورة الفتح هم الذين دعوا زمن الحديبية ليخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يذهب الى مكة وصده المشركون وصالحهم عام حينئذ بالحديبية وبايعه المسلمون تحت الشجرة وسورة الفتح نزلت في هذه القصة وكان ذلك العام عام ست من الهجرة بالاتفاق وفي ذلك نزل قوله وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى وفيها نزلت فدية الأذى في كعب بن عجرة وهي قوله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة خرج الى خيبر ففتحها الله على المسلمين في أول سنة سبع وفيها أسلم أبو هريرة وقدم جعفر وغيره من مهاجرة الحبشة ولم يسهم النبي صلى الله عليه وسلم لأحد ممن شهد خيبر الا لأهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة الا أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر وفي ذلك نزل قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى

والمحتاج لا يكون الا مربوبا والمربوب لا يكون الا مخلوقا محدثا والمحدث لا يقوم به حوادث لا أول لها فان ما لم يسبق الحادث المعين والحوادث المحدودة فهو محدث مثلها باتفاق العقلاء اذ لو كان لم يسبقها فاما أن يكون معها أو بعدها وعلى التقديرين فهو حادث بخلاف الرب القديم الأزلي الواجب بنفسه فانه اذا كان لم يزل متكلما

مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا الى قوله تقاتلونهم أو يسلمون وقد دعا الناس بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عام ثمان من الهجرة وكانت خيبر سنة سبع ودعاهم عقب الفتح الى قتال هوازن بحنين ثم حاصر الطائف سنة ثمان وكانت هى آخر الغزوات التى قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا تبوك سنة تسع لكن لم يكن فيها قتال غزا فيها النصارى بالشأم وفيها أنزل سورة براءة وذكر فيها المخلفين الذين قال فيهم قل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وأما موتة فكانت سرية قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم أميركم زيد فان قتل فجعفر فان قتل فعبد الله بن رواحة وكانت بعد عمرة القضية وقبل فتح مكة فان جعفرا حضر عمرة القضية وتنازع هو وعلى وزيد فى بنت حمزة وقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لأسماء امرأة جعفر خالة البنت وقال الخالة بمنزلة الأم ولم يشهد زيد ولا جعفر ولا ابن رواحة فتح مكة لأنهم استشهدوا قبل ذلك فى غزوة موتة واذا عرف هذا فوجه الاستدلال من الآية أن يقال قوله تعالى ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون يدل على أنهم متصفون بأنهم أولو بأس شديد وبأنهم يقاتلون أو يسلمون قالوا فلا يجوز أن يكون دعاءهم الى قتال أهل مكة وهوازن عقيب عام الفتح لأن هؤلاء هم الذين دعوا اليهم عام الحديبية ومن لم يكن منهم فهو من جنسهم ليس هو أشد بأسا منهم كلهم عرب من أهل الحجاز وقتالهم من جنس واحد وأهل مكة ومن حولها كانوا أشد بأسا وقتالا للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر وأحد والخندق من أولئك وكذلك فى غير ذلك من السرايا فلا بد أن يكون هؤلاء الذين تقع الدعوة الى قتالهم لهم اختصاص بشدة البأس ممن دعوا اليه عام الحديبية كما قال تعالى أولى بأس شديد وهنا صنفان أحدهما بنو الاصفر الذين دعوا الى قتالهم عام تبوك سنة تسع فانهم أولو بأس شديد وهم أحق بهذه الصفة من غيرهم وأول قتال كان معهم عام موتة عام ثمان قبل تبوك فقتل فيها أمراء المسلمين زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة ورجع المسلمون كالمنهزمين ولهذا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لما رجعوا نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون أنا فئتكم وفئة كل مسلم ولكن قد عارض بعضهم هذا بقوله تقاتلونهم أو يسلمون وأهل الكتاب يقاتلون حتى يعطوا الجزية فتأول الآية طائفة أخرى فى المرتدين الذين قاتلهم الصديق أصحاب مسيلمة الكذاب فانهم كانوا أولى بأس شديد ولقى المسلمون فى قتالهم شدة عظيمة واستحر القتل يومئذ بالقراء وكانت من أعظم الملاحم التى بين المسلمين وعدوهم والمرتدون يقاتلون أو يسلمون لا يقبل منهم جزية وأول من قاتلهم الصديق وأصحابه فدل على وجوب طاعته فى الدعاء الى قتالهم والقرآن يدل والله أعلم على أنهم يدعون الى قوم موصوفين بأحد الامرين امامقاتلتهم لهم واما اسلامهم لا بد من أحدهما وهم أولو بأس شديد وهذا بخلاف من دعوا اليه عام الحديبية فانهم لم يوجد منهم لا هذا ولا هذا ولا أسلموا بل صالحهم الرسول بلا اسلام ولا قتال فبين القرآن الفرق بين من دعوا اليه عام الحديبية وبين من يدعون اليه بعد ذلك ثم اذا فرض عليهم الاجابة والطاعة اذا دعوا الى قوم أولى بأس شديد فلأن يجب عليهم الطاعة اذا دعوا الى من ليس بذى بأس شديد بطريق الاولى والأحرى فتكون الطاعة واجبة عليهم فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة وهوازن وثقيف ثم لما دعاهم بعد هؤلاء الى بنى الأصفر كانوا أولى بأس شديد والقرآن قد وكد الامر فى عام تبوك وذم المتخلفين عن الجهاد ذما عظيما كما تدل عليه سورة براءة وهؤلاء وجد فيهم أحد

اذا شاء فعالا لما يشاء كان ذلك من كماله وكان هذا كما قاله أئمة السنة والحديث والثانى قول من يقول انه فاعل مختار لكنه يفعل بوصف الجواز فيرجح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح انما هو لمجرد كونه قادرا أو لمجرد كونه قادرا عالما أو لمجرد ارادته القديمة التى ترجح مثلا على مثل بلا مرجح ويقولون ان الحوادث تحدث بعد أن لم تكن

الامرين القتال أو الاسلام وهو سبحانه لم يقل تقاتلونهم أو يسلمون أى الى أن يسلموا ولا قال قاتلوهم حتى يسلموا بل وصفهم بأنهم يقاتلون أو يسلمون ثم اذا قوتلوا فانهم يقاتلون كما أمر الله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فليس فى قوله تقاتلونهم ما يمنع أن يكون القتال الى الاسلام وأداء الجزية لكن يقال قوله ستدعون الى قوم أولى بأس شديد كلام حذف فاعله فلم يعين الفاعل الداعى لهم الى القتال فدل القرآن على وجوب الطاعة لكل من دعاهم الى قتال قوم أولى بأس شديد يقاتلونهم أو يسلمون ولا ريب أن أبا بكر دعاهم الى قتال المرتدين ثم قتال فارس والروم وكذلك عمر دعاهم الى قتال فارس والروم وعثمان دعاهم الى قتال البربر ونحوهم والآية تتناول هذا الدعاء كله أما تخصيصها بمن دعاهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم كما قال طائفة من المحتجين بها على خلافة أبى بكر فخطأ بل اذا قيل تتناول هذا وهذا كان هذا مما يسوغ ويمكن أن يراد بالآية ويستدل عليه بها ولهذا وجب قتال الكفار مع كل أمير دعا الى قتالهم وهذا أظهر الاقوال فى الآية وهو أن المراد تدعون الى قتال أولى بأس شديد أعظم من العرب لا بد فيهم من أحد أمرين اما أن يسلموا وإما أن يقاتلوا بخلاف من دعوا اليه عام الحديبية فان بأسهم لم يكن شديدا مثل هؤلاء (١) ودعوا اليهم فى ذلك لم يسلموا ولم يقاتلوا وكذلك عام الفتح فى أول الامر لم يسلموا ولم يقاتلوا لكن بعد ذلك أسلموا وهؤلاء هم الروم والفرس ونحوهم فانه لا بد من قتالهم اذا لم يسلموا وأول الدعوة الى قتال هؤلاء عام موتة وتبوك وعام تبوك لم يقاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلموا لكن فى زمن الصديق والفاروق كان لا بد من أحد الامرين اما الاسلام وإما القتال وبعد القتال أدوا الجزية لم يصالحوا ابتداء كما صالح المشركون عام الحديبية فتكون دعوة أبى بكر وعمر الى قتال هؤلاء داخلة فى الآية وهو المطلوب والآية تدل على أن قتال على لم تتناوله الآية فان الذين قاتلهم لم يكونوا أولى بأس شديد أعظم من بأس أصحابه بل كانوا من جنسهم وأصحابه كانوا أشد بأسا وأيضا فهم لم يكونوا يقاتلون أو يسلمون فانهم كانوا مسلمين وما ذكره فى الحديث من قوله حربك حربى لم يذكر له اسنادا فلا يقوم به حجة فكيف وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ومما يوضح الامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قبل نزول براءة وآية الجزية كان الكفار من المشركين وأهل الكتاب تارة يقاتلهم وتارة يعاهدهم فلا يقاتلهم ولا يسلمون فلما أنزل الله براءة وأمره فيها بنبذ العهد الى الكفار وأمره أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون صار حينئذ مأمورا بأن يدعو الناس الى قتال من لا بد من قتالهم واسلامهم واذا قاتلهم قاتلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية لم يكن له حينئذ أن يعاهدهم بلا جزية كما كان يعاهد الكفار من المشركين وأهل الكتاب كما عاهد أهل مكة عام الحديبية وفيها دعا الاعراب الى قتالهم وأنزل فيها سورة الفتح وكذلك دعا المسلمين وقال فيها قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون بخلاف هؤلاء الذين دعاهم اليهم عام الحديبية والفرق بينهما من وجهين أحدهما ان الذين يدعون الى قتالهم فى المستقبل أولو بأس شديد بخلاف أهل مكة وغيرهم من العرب والثانى انكم تقاتلونهم أو يسلمون ليس لكم أن تصالحوهم ولا تعاهدوهم بدون أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما قاتل أهل مكة وغيرهم والقتال الى أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وهذا يبين أن هؤلاء أولى البأس لم يكونوا ممن يعاهدون بلا جزية فانهم يقاتلون أو يسلمون ومن يعاهد بلا جزية له حال ثالث لا يقاتل فيها ولا يسلم وليسوا أيضا من جنس العرب الذين

حادثة من غير سبب يوجب الحدوث فيقولون بتراخى الأثر عن المؤثر التام وهذا وان كان خيرا من الذى قبله ولهذا ذهب اليه طوائف من أهل الكلام ففساده أيضا بين فانه اذا قيل ان المؤثر التام حصل مع تراخى الاثر عنه وعند حصول الاثر لم يحصل ما يوجب الحصول كان حاله بعد حصول الاثر وقبله واحدة متشابهة ثم اختص أحد

(١) قوله ودعوا اليهم فى ذلك الخ كذا فى الاصل وهو غير مستقيم فتأمله كتبه مصححه

قوتلوا

قوتلوا قبل ذلك فتبين أن الوصف لا يتناول الذين قاتلوهم بحنين وغيرهم فان هؤلاء بأسهم من جنس بأس أمثالهم من العرب الذين قوتلوا قبل ذلك فتبين أن الوصف يتناول فارس والروم الذين أمر الله بقتالهم أو يسلمون واذا قوتلوا فانهم يقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون واذا قيل انه دخل فى ذلك قتال المرتدين لانهم يقاتلون أو يسلمون كان أوجه من أن يقال المراد قتال أهل مكة وأهل حنين الذين قوتلوا فى حال كان يجوز فيها مهادنة الكفار فلا يسلمون ولا يقاتلون والنبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وحنين كان بينه وبين كثير من الكفار عهود بلا جزية فأمضاها لهم ولكن لما أنزل الله براءة بعد ذلك عام تسع سنة غزوة تبوك بعث أبا بكر بعد تبوك أميرا على الموسم فأمره أن ينادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وأن من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته وأردفه بعلى يأمره بنبذ العهود المطلقة وتأجيل من لا عهد له أربعة أشهر وكان آخرها شهر ربيع سنة عشر وهذه الحرم المذكورة فى قوله فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ليس المراد الحرم المذكورة فى قوله منها أربعة حرم ومن قال ذلك فقد غلط غلطا معروفا عند أهل العلم كما هو مبسوط فى موضعه ولما أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الجزية من المجوس واتفق المسلمون على أخذها من أهل الكتاب والمجوس وتنازع العلماء فى سائر الكفار على ثلاثة أقوال فقيل جميعهم يقاتلون بعد ذلك حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون اذا لم يسلموا وهذا قول مالك وقيل يستثنى من ذلك مشركو العرب وهو قول أبى حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه وقيل ذلك مخصوص بأهل الكتاب ومن له شبهة كتاب وهو قول الشافعى وأحمد فى رواية أخرى عنه والقول الاول والثانى متفقان فى المعنى فان آية الجزية لم تنزل الا بعد فراغ النبى صلى الله عليه وسلم من قتال مشركى العرب فان آخر غزواته للعرب كانت غزوة الطائف وكانت بعد حنين وحنين بعد فتح مكة وكل ذلك سنة ثمان وفى السنة التاسعة غزا النصارى عام تبوك وفيها نزلت سورة براءة وفيها أمر بالقتال حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعث أميرا على جيش أو سرية أمره أن يقاتلهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما رواه مسلم فى صحيحه وصالح النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران على الجزية وهم أول من أدى الجزية وفيهم أنزل الله صدر سورة آل عمران ولما كانت سنة تسع نفى المشركين عن الحرم ونبذ العهود اليهم وأمره الله تعالى أن يقاتلهم وأسلم المشركون من العرب كلهم فلم يبق معاهد بجزية ولا بغيرها وقبل ذلك كان يعاهدهم بلا جزية فعدم أخذ الجزية منهم هل كان لانه لم يبق فيهم من يقاتل حتى يعطوا الجزية بل أسلموا كلهم لما رأوا من حسن الاسلام وظهوره وقبح ما كانوا عليه من الشرك وأنفتهم من أن يؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون أولان الجزية لا يجوز أخذها منهم بل يجب قتالهم الى الاسلام فعلى الاول تؤخذ من سائر الكفار كما قاله أكثر الفقهاء وهؤلاء يقولون لما أمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ونهى عن معاهدتهم بلا جزية كما كان الامر أولا كان هذا تنبيها على أن من هو دونهم من المشركين أولى أن لا يهادن بغير جزية بل يقاتل حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب وصالح أهل البحرين على الجزية وفيهم مجوس واتفق على ذلك خلفاؤه وسائر علماء المسلمين وكان الامر فى أول الاسلام

الحالين بالاثر من غير ترجيح (١)
لحادث بلا سبب حادث وهذا
معلوم الفساد بصريح العقل
والقول الثالث قول أئمة (١) كان
وما لم يشأ لم يكن فما شاء الله وجب
بمشيئته وقدرته وما لم يشأ امتنع
لعدم (١) موجب (١) مشيئته
وقدرته لا بذات خالية عن الصفات
وهو موجب له اذا شاءه لا موجب
قال انما أمره اذا أراد شيأ أن

(١) بياض بالاصل فى المواضع الأربعة

أنه يقاتل الكفار و يهادنهم بلا جزية كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله قبل نزول براءة فلما نزلت براءة أمره فيها بنبذ هذه العهود المطلقة وأمره أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية فغيرهم أولى أن يقاتلوا ولا يعاهدوا (١) وقوله تعالى فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا ولم يقل قاتلوهم حتى يتوبوا وقوله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله حق فان من قال لا اله الا الله حق لم يقاتل بحال ومن لم يقلها قوتل حتى يعطي الجزية وهذا القول هو المنصوص صريحا عن أحمد والقول الآخر الذي قاله الشافعي ذكره الخرقي في مختصره ووافقه عليه طائفة من أصحاب أحمد ومما يبين ذلك أن آية براءة لفظها يخص النصارى وقد اتفق المسلمون على أن حكمها يتناول اليهود والمجوس والمقصود أنه لم يكن الامر في أول الاسلام منحصرا بين أن يقاتلهم المسلمون و بين اسلامهم اذ كان هنا قسم ثالث وهو معاهدتهم فلما نزلت آية الجزية لم يكن بد من القتال أو الاسلام والقتال اذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية فصار هؤلاء إما مقاتلين و إما مسلمين ولم يقل تقاتلونهم أو يسلمون ولو كان كذلك لوجب قتالهم الى أن يسلموا وليس الامر كذلك بل اذا أدوا الجزية لم يقاتلوا ولكنهم مقاتلين أو مسلمين فانهم لا يؤدون الجزية بغير القتال لأنهم أولو بأس شديد ولا يجوز مهادنتهم بغير جزية ومعلوم ان أبا بكر وعمر بل وعثمان في خلافتهم قوتل هؤلاء وضربت الجزية على أهل الشام والعراق والمغرب فأعظم قتال هؤلاء القوم وأشده كان في خلافة هؤلاء والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلهم في غزوة تبوك وفي غزوة موتة استظهروا على المسلمين وقتل زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة وأخذ الراية خالد وغايتهم أن نجوا والله أخبر أننا نقاتلهم أو يسلمون فهذه صفة الخلفاء الراشدين الثلاثة فيمتنع أن تكون الآية مختصة بغزوة موتة ولا يدخل فيها قتال المسلمين في فتوح الشام والعراق والمغرب ومصر وخراسان وهي الغزوات التي أظهر الله فيها الاسلام وظهر الهدى ودين الحق في مشارق الارض ومغاربها لكن قد يقال مذهب أهل السنة أنه يغزى مع كل أمير دعا الناس اليه لانه ليس فيها ما يدل على أن الداعي امام عدل فيقال هذا ينفع أهل السنة فان الرافضة لا ترى الجهاد الا مع أمير معصوم ولا معصوم عندهم من الصحابة الا علي فهذه الآية حجة عليهم في وجوب غزو الكفار مع جميع الامراء واذا ثبت هذا فأبو بكر وعمر وعثمان أفضل من غزا الكفار من الامراء بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم من المحال أن يكون كل من أمر الله المسلمين أن يجاهدوا معه الكفار بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ظالما فاجرا معتديا لا تجب طاعته في شيء من الاشياء فان هذا خلاف القرآن حيث وعد على طاعته بأن يؤتى أجرا حسنا ووعد المتولي عن طاعته بالعذاب الاليم وقد يستدل بالآية على عدل الخلفاء لانه وعد بالأجر الحسن على مجرد الطاعة اذا دعوا الى القتال وجعل المتولي عن ذلك كما تولى من قبل معذبا عذابا أليما ومعلوم ان الامير الغازي اذا كان فاجرا لا تجب طاعته في القتال مطلقا بل فيما أمر الله به و رسوله والمتولي عن طاعته لا يتولى كما تولى عن طاعة الرسول بخلاف المتولي عن طاعة الخلفاء الراشدين فانه قد يقال انه تولى كما تولى من قبل اذا كان أمر الخلفاء الراشدين مطابقا لامر الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الجملة فهذا الموضع في الاستدلال به نظر ودقة ولا حاجة بنا اليه ففي غيره ما يغني عنه ※ وأما قول الرافضي ان الداعي جاز أن يكون عليا دون من قبله من الخلفاء لما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين يعني أهل الجمل وصفين والحرورية والخوارج فيقال له هذا

باطل

يقول له كن فيكون وهذا الايجاب مستلزم لمشيئته وقدرته لا مناف لذاته بل هو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار فهو فاعل لما يشاؤه اذا شاءه وهو موجب له بمشيئته وقدرته والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) قوله وقوله تعالى فاذا انسلخ الى قوله ولم يقل الخ كذا في الاصل وحرره فانه سقيم غير مستقيم وقوله بعد ولكنهم مقاتلين أو مسلمين فانهم لا يؤدون الخ كذا في الأصل وانظر كتبه مصححه

باطل قطعا من وجوه أحدها أن هؤلاء لم يكونوا أشد بأسا من بنى جنسهم بل معلوم أن الذين قاتلوه يوم الجمل كانوا أقل من عسكره وجيشه كانوا أكثر منهم وكذلك الخوارج كان جيشه أضعافهم وكذلك أهل صفين كان جيشه أكثر منهم وكانوا من جنسهم فلم يكن فى وصفهم بأنهم أولو بأس شديد ما يوجب امتيازهم عن غيرهم ومعلوم أن بنى حنيفة وفارس والروم كانوا فى القتال أشد بأسا من هؤلاء بكثير ولم يحصل لأصحاب على من الخوارج من استحرار القتل ما حصل فى جيش الصديق الذين قاتلوا أصحاب مسيلمة وأما فارس والروم فلا يشك عاقل أن قتالهم كان أشد من قتال المسلمين العرب بعضهم بعضا وان كان قتال العرب الكفار فى أول الاسلام كان أفضل وأعظم فذلك لقلة المؤمنين وضعفهم فى أول الأمر لا لأن عدوهم كان أشد بأسا من فارس والروم ولهذا قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة الآية فان هؤلاء تجمعهم دعوة الاسلام والجنس فليس فى بعضهم لبعض من البأس ما كان فى فارس والروم والنصارى والمجوس للعرب المسلمين الذين لم يكونوا يعدونهم الا من أضعف جيرانهم ورعاياهم وكانوا يحتقرون أمرهم غاية الاحتقار ولولا أن الله أيد المؤمنين بما أيد به رسوله والمؤمنين على سنته الجميلة معهم لما كانوا ممن يثبت معهم فى القتال وبفتح البلاد وهم أكثر منهم عددا وأعظم قوة وسلاحا لكن قلوب المؤمنين أقوى بقوة الايمان التى خصهم الله بها (الوجه الثانى) أن عليا لم يدع ناسا بعيدين منه الى قتال أهل الجمل وقتال الخوارج ولما قدم البصرة لم يكن فى نيته قتال أحد بل وقع القتال بغير اختيار منه ومن طلحة والزبير وأما الخوارج فكان بعض عسكره يكفيهم لم يدع أحدا اليهم من أعراب الحجاز (الثالث) أنه لو قدر أن عليا تجب طاعته فى قتال هؤلاء فمن الممتنع أن يأمر الله بطاعة من يقاتل أهل الصلاة لردهم الى طاعة ولى الأمر ولا يأمر بطاعة من يقاتل الكفار ليؤمنوا بالله ورسوله ومعلوم أن من خرج من طاعة على ليس بأبعد عن الايمان بالله ورسوله ممن كذب الرسول والقرآن ولم يقر بشئ مما جاء به الرسول بل هؤلاء أعظم ذنبا ودعاؤهم الى الاسلام أفضل وقتالهم أفضل ان قدر أن الذين قاتلوا عليا كفار وان قدر أنهم مرتدون كما تقوله الرافضة فمعلوم أن من كانت ردته الى أن يؤمن برسول آخر غير محمد كأتباع مسيلمة الكذاب فهو أعظم ردة ممن لم يقر بطاعة الامام مع ايمانه بالرسول فبكل حال لا يذكر ذنب لمن قاتله على إلا وذنب من قاتله الثلاثة أعظم ولا يذكر فضل ولا ثواب لمن قاتل مع على إلا والفضل والثواب لمن قاتل مع الثلاثة أعظم هذا بتقدير أن يكون من قاتله على كافرا ومعلوم أن هذا قول باطل لا يقوله الا حثالة الشيعة والا فعقلاؤهم لا يقولون ذلك وقد علم بالتواتر عن على وأهل بيته أنهم لم يكونوا يكفرون من قاتل عليا وهذا كله اذا سلم أن ذلك القتال كان مأمورا به كيف وقد عرف نزاع الصحابة والعلماء بعدهم فى هذا القتال هل كان من باب قتال البغاة الذى وجد شرط وجوب القتال فيه أم لم يكن من ذلك لانتفاء الشرط الموجب للقتال والذى عليه أكابر الصحابة والتابعين أن قتال الجمل وصفين لم يكن من القتال المأمور به وأن تركه أفضل من الدخول فيه بل عدوه قتال فتنة وعلى هذا جمهور أهل الحديث وجمهور أئمة الفقهاء فمذهب أبى حنيفة فيما ذكره القدورى أنه لا يجوز قتال البغاة الا أن يبدؤا بالقتال وأهل صفين لم يبدؤا عليا بقتال وكذلك مذهب أعيان فقهاء المدينة والشام والبصرة وأعيان فقهاء الحديث كمالك وأيوب والاوزاعى وأحمد وغيرهم أنه لم يكن مأمورا به وأن تركه كان خيرا من فعله وهو قول جمهور أئمة السنة كما دلت على ذلك الاحاديث الصحيحة الصريحة فى هذا

الباب بخلاف قتال الحرورية والخوارج أهل النهروان فان قتال هؤلاء واجب بالسنة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم وباتفاق الصحابة وعلماء السنة في الصحيحين عن أسامة ابن زيد قال أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على أطم من آطام المدينة وقال هل ترون ما أرى قالوا لا قال فاني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر وفي السنن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار اللسان فيها أشد من وقع السيف وفي السنن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له واستشراف اللسان فيها كوقوع السيف وعن أم سلمة قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من يستشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به ورواه أبو بكرة في الصحيحين وقال فيه فاذا نزلت أو وقعت فمن كان له ابل فليلحق بابله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه قال فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له ابل ولا غنم ولا أرض قال يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع النجاء اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت فقال رجل يا رسول الله أرأيت ان أكرهت حتى ينطلق بي الى أحد الصفين أو احدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني فقال يبوء باثمه واثمك ويكون من أصحاب النار ومثل هذا الحديث معروف عن سعد بن أبي وقاص وغيره من الصحابة والذين رووا هذه الاحاديث من الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وأبي هريرة وغيرهم جعلوا قتال الجمل وصفين من ذلك بل جعلوا ذلك أول قتال فتنة كان في الاسلام وقعدوا عن القتال وأمروا غيرهم بالقعود عن القتال كما استفاضت بذلك الآثار عنهم والذين قاتلوا من الصحابة لم يأت أحد منهم بحجة توجب القتال لا من كتاب ولا من سنة بل أقروا أن قتالهم كان رأيا رأوه كما أخبر بذلك علي رضي الله عنه عن نفسه ولم يكن في العسكرين أفضل من علي (١) فيكون ممن هو دونه وكان علي أحيانا يظهر فيه الندم والكراهة للقتال مما يبين أنه لم يكن عنده فيه من الادلة الشرعية ما يوجب رضاه وفرحه بخلاف قتاله للخوارج فانه كان يظهر فيه من الفرح والرضا والسرور ما يبين أنه كان يعلم أن قتالهم كان طاعة لله ورسوله يتقرب به الى الله لان في قتال الخوارج من النصوص النبوية والادلة الشرعية ما يوجب ذلك ففي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق وفي لفظ مسلم قال ذكر قوما يخرجون في أمته يقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق سيماهم التحليق هم شر الخلق أو من شر الخلق قال أبو سعيد فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق ولفظ البخاري يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم وفي الصحيحين عن علي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل آيتهم أن فيهم رجلا له عضد ليس فيها ذراع على رأس عضده مثل حلمة

الثدى

(١) قوله فيكون ممن هو دونه كذا في الأصل ولعل فيه تحريفا وسقطا والأصل فيكون من هو دونه أولى أو نحو ذلك وحرر كتبه مصححه

الثدى عليه شعرات بيض (الوجه الرابع) أن الآية لا تتناول القتال مع على قطعا لانه قال تقاتلونهم أو يسلمون فوصفهم بأنهم لابد فيهم من أحد الامرين المقاتلة أو الاسلام ومعلوم أن الذين دعا اليهم على فيهم خلق لم يقاتلوه البتة بل تركوا قتاله فلم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه فكانوا صنفا ثالثا لا قاتلوه ولا قاتلوا معه ولا أطاعوه وكلهم مسلمون وقد دل على اسلامهم القرآن والسنة واجماع الصحابة على وغيره قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين فوصفهم بالايمان مع الاقتتال والبغى وأخبر أنهم اخوة وان الاخوة لا تكون إلا بين المؤمنين لا بين مؤمن وكافر وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى بكرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فأصلح الله به بين عسكر على وعسكر معاوية فدل على أن كليهما مسلمون ودل على أن الله يحب الاصلاح بينهما وأثنى على من فعل ذلك ودل على أن مافعله الحسن كان رضا الله و رسوله ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لم يكن تركه رضا الله ولرسوله وأيضا فالنقل المتواتر عن الصحابة أنهم حكموا فى الطائفتين بحكم الاسلام وورثوا بعضهم من بعض ولم يسبوا ذراريهم ولم يغنموا أموالهم التى لم يحضروا بها القتال بل كان يصلى بعضهم على بعض وخلف بعض وهذا أحد مانقمته الخوارج على على فان مناديه نادى يوم الجمل لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ولم يغنم أموالهم ولا سبى ذراريهم وأرسل ابن عباس الى الخوارج وناظرهم فى ذلك فروى أبو نعيم بالاسناد الصحيح عن سليمان بن الطبرانى عن محمد بن اسحق بن راهويه وسليمان عن على بن عبد العزيز أن أبا حذيفة وعبد الرزاق قالا حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا أبو زميل الحنفى عن ابن عباس قال لما اعتزلت الحرورية قلت لعلى يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة فلعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم قال انى أتخوفهم عليك قال قلت كلا ان شاء الله فلبست أحسن (١) عليه من هذه الثمانية ثم دخلت عليهم وهم قائلون فى نحر الظهيرة فدخلت على قوم لم أر قوما أشد اجتهادا منهم أيديهم كأنها ثفن الابل ووجوههم معلمة من آثار السجود قال فدخلت فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس ماجاء بك قال جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحى وهم أعلم بتأويله فقال بعضهم لا تحدثوه وقال بعضهم لنحدثنه قال قلت أخبرونى ماتنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمينه وأول من آمن به وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالوا ننقم عليه ثلاثا قلت ماهن قالوا أولهن أنه حكم الرجال فى دين الله وقد قال تعالى إن الحكم إلا لله قال قلت وماذا قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم وان كانوا مؤمنين فقد حرمت عليه دماؤهم قال قلت وماذا قالوا ومحا نفسه من أمير المؤمنين فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قال قلت أرأيتم ان قرأت عليكم كتاب الله المحكم وحدثتكم عن سنة نبيكم مالا تنكرون أترجعون قالوا نعم قال قلت أما قولكم انه حكم الرجال فى دين الله فان الله يقول يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم وقال فى المرأة وزوجها وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أنشدكم الله أفحكم الرجال فى حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم فى أرنب ثمنها ربع درهم فقالوا اللهم بل فى حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم أخرجت من هذه قالوا اللهم نعم قال وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم ثم تستحلون منها

(١) بياض بالاصل

ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم وان زعمتم أنها ليست أمكم فقد كفرتم وخرجتم من الاسلام ان الله يقول النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأنتم مترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم أخرجت من هذه قالوا اللهم نعم قال وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينهم وبينه كتابا فقال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله ورسول الله كان أفضل من علي أخرجت من هذه قالوا اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا * وأما تكفير هذا الرافضي وأمثاله لهم وجعل رجوعهم الى طاعة على اسلاما لقوله صلى الله عليه وسلم فيما زعمه يا علي حربك حربي فيقال من العجائب وأعظم المصائب على هؤلاء المخذولين أن يثبتوا مثل هذا الاصل العظيم بمثل هذا الحديث الذي لا يوجد في شئ من دواوين أهل الحديث التي يعتمدون عليها لا هو في الصحاح ولا السنن ولا المسانيد ولا الفوائد ولا غير ذلك مما يتناقله أهل العلم بالحديث ويتداولونه بينهم ولا هو عندهم لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو أخس من ذلك وهو من أظهر الموضوعات كذبا فانه خلاف المعلوم المتواتر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه جعل الطائفتين مسلمين وأنه جعل ترك القتال في تلك الفتنة خيرا من القتال فيها وأنه أثنى على من أصلح به بين الطائفتين فلو كانت احدى الطائفتين مرتدين عن الاسلام لكانوا أكفر من اليهود والنصارى الباقين على دينهم وأحق بالقتال منهم كالمرتدين أصحاب مسيلمة الكذاب الذين قاتلهم الصديق وسائر الصحابة واتفقوا على قتالهم وسبوا ذراريهم وتسرى على من ذلك السبي بالحنفية أم محمد بن الحنفية

(فصل) قال الرافضي وأما كونه أنيسه في العريش يوم بدر فلا فضل فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان أنسه بالله مغنيا له عن كل أنيس لكن لما عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن أمره لابي بكر بالقتال يؤدي الى فساد الحال حيث هرب عدة مرار في غزواته وأيما أفضل القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه في سبيل الله

(الجواب) أن يقال لهذا المفتري الكذاب ما ذكرته من أظهر الباطل بوجوه أحدها أن قوله هرب عدة مرار في غزواته يقال له هذا الكلام يدل على أن قائله من أجهل الناس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله والجهل بذلك غير منكر من الرافضة فانهم من أجهل الناس بأحوال الرسول وأعظمهم تصديقا بالكذب فيها وتكذيبا بالصدق منها وذلك ان غزوة بدر هي أول مغازي القتال لم يكن قبلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لابي بكر غزاة مع الكفار أصلا وغزوات القتال التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم تسع غزوات بدر وأحد والخندق وبني المصطلق وغزوة ذي قرد وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف وأما الغزوات التي لم يقاتل فيها فهي نحو بضعة عشر وأما السرايا فمنها ما كان فيه قتال ومنها ما لم يكن فيه قتال وبكل حال فبدر أول مغازي القتال باتفاق الناس وهذا من العلم الذي يعلمه كل من له علم بأحوال الرسول من أهل التفسير والحديث والمغازي والسير والفقه والتواريخ والاخبار يعلمون أن بدرا هي أول الغزوات التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم وليس قبلها غزوة ولا سرية كان فيها قتال الا قصة بني الحضرمي ولم يكن فيها أبو بكر فكيف يقال انه هرب

قبل ذلك عدة مرار في مغازيه (الثاني) أن أبا بكر رضي الله عنه لم يهرب قط حتى يوم أحد لم ينهزم لاهو ولا عمر وانما كان عثمان تولى وكان ممن عفا الله عنه وأما أبو بكر وعمر فلم يقل أحد قط انهما انهزما مع من انهزم بل ثبتا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين كما تقدم ذلك عن أهل السير لكن بعض الكذابين ذكر أنهما أخذا الراية يوم حنين فرجعا ولم يفتح عليهما ومنهم من يزيد في الكذب ويقول انهما انهزما وهذا كذب كله وقبل أن يعرف الانسان أنه كذب فمن أثبت ذلك عليهما هو المدعي لذلك فلا بد من اثبات ذلك بنقل يصدق ولا سبيل الى هذا فأين النقل المصدق على أبي بكر أنه هرب في غزوة واحدة فضلا عن أن يكون هرب عدة مرات (الثالث) أنه لو كان في الجبن بهذه الحالة لم يخصه النبي صلى الله عليه وسلم دون أصحابه بأن يكون معه في العريش بل لا يجوز استصحاب مثل هذا في الغزو فانه لا ينبغي للامام أن يقدمه على سائر أصحابه ويجعله معه في عريشه (الرابع) أن الذي في الصحيحين من ثباته وقوة يقينه في هذه الحال يكذب هذا المفتري ففي الصحيحين عن ابن عباس عن عمر قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الآية وذكر الحديث (الخامس) أن يقال قد علم كل من علم السيرة أن أبا بكر كان أقوى قلبا من جميع الصحابة لا يقاربه في ذلك أحد منهم فانه من حين بعث الله رسوله الى أن مات أبو بكر لم يزل مجاهدا مقداما شجاعا لم يعرف قط أنه جبن عن قتال عدو بل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفت قلوب أكثر الصحابة وكان هو الذي يثبتهم حتى قال أنس خطبنا أبو بكر ونحن كالثعالب فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود وروى أن عمر قال يا خليفة رسول الله تألف الناس فأخذ بلحيته وقال يا ابن الخطاب أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام علام أتألفهم على حديث مفترى أم على شعر مفتعل (السادس) قوله أيما أفضل القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه في سبيل الله فيقال بل كونه مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال هو من أفضل الجهاد فانه هو الذي كان العدو يقصده فكان ثلث العسكر حوله يحفظونه من العدو وثلثه اتبع المنهزمين وثلثه أخذوا الغنائم ثم ان الله قسمها بينهم كلهم (السابع) قوله ان أنس النبي صلى الله عليه وسلم بربه كان مغنيا له عن كل أنيس فيقال قول القائل انه كان أنيسه في العريش ليس هو من ألفاظ القرآن والحديث ومن قاله وهو يدري ما يقول لم يرد أنه يؤنسه لئلا يستوحش بل المراد أنه كان يعاونه على القتال كما كان من هو دونه يعاونه على القتال وقد قال تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وهو أفضل المؤمنين الذين أيده الله بهم وقال فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين وكان الحث على أبي بكر أن يعاونه بغاية ما يمكنه وعلى الرسول أن يحرضهم على الجهاد ويقاتل بهم عدوه بدعائهم ورأيهم وفعلهم وغير ذلك مما يمكن الاستعانة به على الجهاد (الثامن) أن يقال المعلوم لعامة العقلاء أن مقدم القتال المطلوب الذي قد قصده أعداؤه يريدون قتله اذا قام في عريش أو قبة أو حركاه أو غير ذلك مما يجنه ولم يستصحب معه

من أصحابه الا واحد اوسائرهم خارج ذلك العريش لم يكن هذا الا أخص الناس به وأعظمهم موالاة له وانتفاعا به وهذا النفع فى الجهاد لا يكون الا مع قوة القلب وثباته لا مع ضعفه وخوره فهذا يدل على أن الصديق كان أكملهم ايمانا وجهادا وأفضل الخلق هم أهل الايمان والجهاد فمن كان أفضل فى ذلك كان أفضل مطلقا قال تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله الى قوله وأولئك هم الفائزون فهؤلاء أعظم درجة عند الله من أهل الحج والصدقة والصديق أكمل فى ذلك وأما قتال على بيده فقد شاركه فى ذلك سائر الصحابة الذين قاتلوا يوم بدر ولم يعرف أن عليا قاتل أكثر من جميع الصحابة يوم بدر ولا أحد ولا غير ذلك ففضيلة الصديق مختصة به لم يشركه فيها غيره وفضيلة على مشتركة بينه وبين سائر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين (الوجه التاسع) أن النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر خرجا بعد ذلك من العريش ورماهم النبى صلى الله عليه وسلم الرمية التى قال الله فيها وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والصديق قاتلهم حتى قال له ابنه عبد الرحمن قد رأيتك يوم بدر فصدفت عنك فقال لكنى لو رأيتك لقتلتك

(فصل) قال الرافضى وأما انفاقه على النبى صلى الله عليه وسلم فكذب لانه لم يكن ذا مال فان أباه كان فقيرا فى الغاية وكان ينادى على مائدة عبد الله بن جدعان كل يوم بمد يقتات به ولو كان أبو بكر غنيا لكفى أباه وكان أبو بكر معلما للصبيان فى الجاهلية وفى الاسلام كان خياطا ولما ولى أمر المسلمين منعه الناس عن الخياطة فقال انى محتاج الى القوت فجعلوا له كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال

(والجواب) أن يقال أولا من أعظم الظلم والبهتان أن ينكر الرجل ما تواتر به النقل وشاع بين الخاص والعام وامتلأت به الكتب كتب الحديث الصحاح والمساند والتفسير والفقه والكتب المصنفة فى أخبار القوم وفضائلهم ثم يدعى شيأ من المنقولات التى لا تعلم بمجرد قوله ولا بنقله باسناد معروف ولا الى كتاب يعرف يوثق به ولا يذكر ما قاله فلو قدرنا انه ناظر أجهل الخلق لأمكنه أن يقول له بل الذى ذكرت هو الكذب والذى قاله منازعوك هو الصدق فكيف تخبر عن أمر كان بلا حجة أصلا ولا نقل يعرف به ذلك ومن الذى نقل من الثقات ما ذكره عن أبى بكر ثم يقال أما انفاق أبى بكر ماله فمتواتر منقول فى الحديث الصحيح من وجوه كثيرة حتى قال ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر وقال ان أمن الناس علينا فى صحبته وذات يده أبو بكر وثبت عنه أنه اشترى المعذبين من ماله بلالا وعامر بن فهيرة اشترى سبعة أنفس وأما قول القائل ان أباه كان ينادى على مائدة عبد الله بن جدعان فهذا لم يذكر له اسنادا يعرف به صحته ولو ثبت لم يضر فان هذا كان فى الجاهلية قبل الاسلام فان ابن جدعان مات قبل الاسلام وأما فى الاسلام فكان لأبى قحافة ما يعينه ولم يعرف قط أن أبا قحافة كان يسأل الناس وقد عاش أبو قحافة الى أن مات أبو بكر وورث السدس فرده على أولاده لغنائه عنه ومعلوم أنه لو كان محتاجا لكان الصديق يبره فى هذه المدة فقد كان الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابة بعيدة وكان ممن يتكلم فى الافك فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لى فأعاد عليه النفقة والحديث بذلك ثابت فى الصحيحين وقد اشترى بماله سبعة

من المعذبين في الله ولما هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم استصحب ماله فجاء أبو قحافة وقال
لأهله ذهب أبو بكر بنفسه فهل ترك ماله عندكم أو أخذه قالت أسماء فقلت بل تركه
ووضعت في الكوة شيأ وقلت هذا هو المال لتطيب نفسه أنه ترك ذلك لعياله ولم يطلب أبو قحافة
منهم شيأ وهذا كله يدل على غناه وقوله ان أبا بكر كان معلما للصبيان في الجاهلية فهذا من
المنقول الذي لو كان صدقا لم يقدح فيه بل يدل على أنه كان عنده علم ومعرفة وكان جماعة من
علماء المسلمين يؤدبون منهم أبو صالح الكلبي كان يعلم الصبيان وأبو عبد الرحمن السلمي وكان من
خواص أصحاب علي وقال سفيان بن عيينة كان الضحاك بن مزاحم وعبد الله بن الحرث يعلمان
الصبيان فلا يأخذان أجرا ومنهم قيس بن سعد وعطاء بن أبي رباح وعبد الكريم أبو أمية
وحسين المعلم وهو ابن ذكوان والقاسم بن عمير الهمداني وحبيب المعلم مولى معقل بن يسار
ومنهم علقمة بن أبي علقمة وكان يروي عنه مالك بن أنس وكان له مكتب يعلم فيه ومنهم
أبو عبيد القاسم بن سلام الامام المجمع على امامته وفضله فكيف اذا كان من الكذب المختلق
بل لو كان الصديق قبل الاسلام من الارذلين لم يقدح ذلك فيه فقد كان سعد وابن مسعود
وصهيب وبلال وغيرهم من المستضعفين وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم
فنهاه الله عن ذلك وأنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك
من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ الى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين
وقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك
عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا
وقال في المستضعفين من المؤمنين ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم
يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا
عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون الى آخر السورة
وقال زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
والله يرزق من يشاء بغير حساب وقال ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وقال وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار وقال عن قوم نوح قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون
وقال تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين
هم أراذلنا بادي الرأي وقال عن قوم صالح قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا
انا بالذي آمنتم به كافرون وفي الصحيحين أن هرقل سأل أبا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال هم أتباع الرسل فاذا
قدر أن الصديق كان من المستضعفين كعمار وصهيب وبلال لم يقدح ذلك في كمال ايمانه
وتقواه كما لم يقدح في ايمان هؤلاء وتقواهم وأكمل الخلق عند الله أتقاهم ولكن كلام
الرافضة من جنس كلام المشركين الجاهلية يتعصبون للنسب والآباء لا للدين ويعيبون الانسان
بما لا ينقص ايمانه وتقواه وكل هذا من فعل الجاهلية ولهذا كانت الجاهلية ظاهرة عليهم
فهم يشبهون الكفار من وجوه خالفوا بها أهل الايمان والاسلام وقوله ان الصديق كان

خياطا فى الاسلام ولما ولى أمر المسلمين منعه الناس عن الخياطة كذب ظاهر يعرف كل أحد أنه كذب وان كان لا غضاضة فيه لو كان حقا فان أبا بكر لم يكن خياطا وانما كان تاجرا تارة يسافر فى تجارته وتارة لا يسافر وقد سافر الى الشأم فى تجارته فى الاسلام والتجارة كانت أفضل مكاسب قريش وكان خيار أهل الاموال منهم أهل التجارة وكانت العرب تعرفهم بالتجارة ولما ولى أراد أن يتجر لعياله فمنعه المسلمون وقالوا هذا يشغلك عن مصالح المسلمين وكان عامة ملابسهم الاردية والازر فكانت الخياطة فيهم قليلة جدا وقد كان بالمدينة خياط عند النبى صلى الله عليه وسلم لا آل بيته وأما المهاجرون المشهورون فما أعلم فيهم خياطا مع أن الخياطة من أحسن الصناعات وأجلها وانفاق أبى بكر فى طاعة الله ورسوله هو من المتواتر الذى تعرفه العامة والخاصة وكان له مال قبل الاسلام وكان معظما فى قريش محببا مؤلفا خبيرا بأنساب العرب وأيامهم وكانوا يأتونه لمقاصد التجارة ولعلمه واحسانه ولهذا لما خرج من مكة قال له ابن الدغنة مثلك لا يخرج ولا يخرج ولم يعلم أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا نقصه ولا استرذله كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين ولم يكن له عندهم عيب الا ايمانه بالله ورسوله كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن قط به عيب عند قريش ولا نقص ولا يذمونه بشئ قط بل كان معظما عندهم بيتا ونسبا معروفا بمكارم الاخلاق والصدق والامانة وكذلك صديقه الاكبر لم يكن له عيب عندهم من العيوب وابن الدغنة سيد القارة احدى قبائل العرب كان معظما عند قريش يجيرون من أجاره لعظمته عندهم وفى الصحيحين أن أبا بكر لما ابتلى المسلمون خرج مهاجرا الى أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة فان مثلك لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا له فابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم اليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فجاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله وذكر الحديث فقد وصفه ابن الدغنة بحضرة أشراف قريش بمثل ما وصفت به خديجة النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل

عليه الوحى وقال لها لقد خشيت على عقلى فقالت له كلا والله لن يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فهذه صفة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل النبيين وصديقه أفضل الصديقين وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر وقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا و بين ما عند الله فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبك يا أبا بكر إن أمنّ الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر وفى الصحيحين عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه وذكر الحديث الى أن قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى مرتين و روى البخارى عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بخرقة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما من الناس أحد أمنّ علىّ فى ماله ونفسه من أبى بكر بن أبى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر وروى أحمد عن أبى معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر فبكى وقال وهل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مال رجل من المسلمين أنفع لى من مال أبى بكر ومنه أعتق بلالا وكان يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى الرجل فى مال نفسه

(فصل) وقوله وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة غنيا بمال خديجة ولم يحتج الى الحرب

(والجواب) أن انفاق أبى بكر لم يكن نفقة على النبي صلى الله عليه وسلم فى طعامه وكسوته فان الله قد أغنى رسوله عن مال الخلق أجمعين بل كان معونة له على اقامة الايمان فكان انفاقه فيما يحبه الله ورسوله لا نفقة على نفس الرسول فاشترى المعذبين مثل بلال وعامر ابن فهيرة وزنيرة وجماعة

(فصل) وقوله وبعد الهجرة لم يكن لأبى بكر شئ البتة فهذا كذب ظاهر بل كان يعين النبي صلى الله عليه وسلم بماله وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء بماله كله وأصحاب الصفة كانوا فقراء فحث النبي صلى الله عليه وسلم على طعمتهم فذهب بثلاثة كما فى الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبى بكر قال ان أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وان النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس وسادس أو كما قال وان أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق نبى الله صلى الله عليه وسلم بعشرة وذكر الحديث وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قال عمر أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك فقلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل مال عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك الى شئ أبدا رواه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح

﴿فصـــل﴾ وأما قوله ثم لو أنفق لوجب أن ينزل فيه قرآن كما أنزل في علي هـل أتى على الانسان حين

(فالجـواب) أما نزول هل أتى في علي فما اتفق أهل العلم بالحديث على أنه كذب موضوع وانما يذكره من المفسرين من جرت عادته بذكر أشياء من الموضوعات والدليـل الظاهر على أنه كذب أن سورة هل أتى مكية باتفاق الناس نزلت قبل الهـجرة وقبل أن يتزوج علي بفاطمة ويولد الحسن والحسين وقد بسط الكلام على هذه القضية في غير موضع ولم ينزل قط قرآن في إنفاق علي بخصوصه لانه لم يكن له مال بل كان قبل الهـجرة في عيال النبي صـلى الله عليه وسـلم وبعد الهـجرة كان أحيانا يؤجر نفســه كل دلو بتمرة ولما تزوج بفاطمة لم يكن له مال الا درعه وانما أنفق على العرس ما حصل له من غزوة بدر وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنـه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وأعطاني رسول الله صـلى الله عليه وسـلم شارفا من الخمس فلما أردت أن أبتني بفاطمة واعـدت رجـلا صواغا من بني قينقاع يرتحل معي فنأتي باذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسي فبينا أنا أجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناخان الى جانب بيت رجـل من الانصار قال وحمـزة يشرب في ذلك البيت وقينة تغنيـه فقالت * ألا يا حمـز للشرف النواء * فثار اليها حمزة فاجتب أسنمتها وبقر خواصرها وذكر الحديث قال البخاري وذلك قبـل تحريم الخمر وأما الصديق رضي الله عنه فكل آية نزلت في مدح المنفقين في سبيل الله فهو أول المرادين بها من الامة مثل قوله تعالى لا يسـتوي منكم من أنفق من قبـل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعـد وقاتلوا وأبو بكر أفضل هؤلاء وأولهم وكذلك قوله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهـم وأنفســهم وقوله وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى فذكر المفسرون مثـل ابن جرير الطبري وعبـد الرحمن بن أبي حاتم وغيرهما بالاسانيـد عن عروة بن الزبير وعبد الله بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهم أنها نزلت في أبي بكر

﴿فصـــل﴾ قال الرافضي وأما تقـديمه في الصـلاة فخطأ لان بلالا لما أذن بالصـلاة أمرت عائشة أن يقدم أبا بكر فلما أفاق رسول الله صـلى الله عليه وسـلم سمع التكبير فقال من يصلي بالناس فقالوا أبو بكر فقال أخرجوني فخرج بين علي والعباس فنحاه عن القبلة وعزله عن الصلاة وتولى هو الصلاة

(والجواب) ان هذا من الكذب المعلوم عند جميع أهـل العـلم بالحديث ويقـال له أولا من ذكر ما نقلته باسناد يوثق وهل هذا الا في كتب من نقله مرسلا من الرافضة الذين هم من أكذب الناس وأجهلهم بأحوال الرسول مثـل المفيـد بن النعـمان والكراجكي وأمثالهما من الذين هـم من أبعد الناس عن معرفة حال الرسول وأقواله وأعماله ويقال ثانيا هذا كلام جاهل يظن أن أبا بكر لم يصل بهم الا صلاة واحدة وأهل العلم يعلمون أنه لم يزل يصلي بهم حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسـلم باذنه واستخلافه له في الصـلاة بعد أن راجعته عائشة وحفصة في ذلك وصلى بهـم أياما متعددة وكان قد استخلفه في الصـلاة قبل ذلك لما ذهب الى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم ولم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسـلم استخلف في غيبته على الصـلاة في حال سفر وفي حال غيبته في مرضه الا أبا بكر ولكن عبد الرحمن بن عوف صلى بالمسلمين مرة صلاة الفجر في السـفر

عام تبوك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ذهب ليقضي حاجته فتأخر وقدم المسلمون عبد الرحمن بن عوف فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم ومعه المغيرة بن شعبة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد توضأ ومسح على خفيه فأدرك معه ركعة وقضى ركعة وأعجبه مافعله من صلاته لما تأخر فهذا اقرار منه على تقديم عبد الرحمن وكان اذا سافر عن المدينة استخلف من يستخلفه يصلي بالمسلمين كما استخلف ابن أم مكتوم تارة وعليا تارة في الصلاة واستخلف غيرهما تارة فأما في حال غيبته في مرضه فلم يستخلف الا أبا بكر لا عليا ولا غيره واستخلافه للصديق في الصلاة متواتر ثابت في الصحاح والسنن والمسانيد من غير وجه كما أخرج البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم من أهل الصحيح عن أبي موسى الاشعري قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فصلى بهم أبو بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري فيه مراجعة عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذا الذي فيه من أن أبا بكر صلى بهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الى أن مات مما اتفق عليه العلماء بالنقل فان النبي صلى الله عليه وسلم مرض أياما متعددة حتى قبضه الله اليه وفي تلك الايام لم يكن يصلي بهم الا أبو بكر وحجرته الى جانب المسجد فيمتنع والحال هذه أن يكون قد أمر غيره بالصلاة فصلى أبو بكر بغير أمره تلك المدة ولا مراجعة أحد في ذلك والعباس وعلي وغيرهما كانوا يدخلون عليه بيته وقد خرج بينهما في بعض تلك الايام وقد روى أن ابتداء مرضه كان يوم الخميس وتوفي بلا خلاف يوم الاثنين من الاسبوع الثاني فكان مدة مرضه فيما قيل اثنى عشر يوما وفي الصحيح عن عبيد الله بن عبد الله قال دخلت على عائشة فقلت لها ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بلى ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أصلى بالناس قلنا لا وهم ينتظرونك يارسول الله قال ضعوا الى ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوأ فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى بالناس قلنا لا وهم ينتظرونك يارسول الله قال ضعوا الى ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوأ فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس فقلنا لا وهم ينتظرونك يارسول الله قالت والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رجلا رقيقا ياعمر صل بالناس فقال عمر أنت أحق بذلك قالت فصلى بهم أبو بكر رضي الله عنه تلك الايام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتأخر وقال لهما أجلساني الى جنبه فأجلساه الى جنب أبي بكر فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد قال عبيد الله فدخلت على ابن عباس فقلت ألا أعرض عليك ماحدثتني عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هات فعرضت عليه حديثها فما أنكر منه شيأ غير أنه قال أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت لا قال هو علي بن أبي طالب فهذا الحديث الذي اتفقت فيه عائشة وابن عباس كلاهما يخبران بمرض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلاف

أبي بكر في الصلاة وانه صلى بالناس قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم أياما وأنه لما خرج لصلاة الظهر أمره أن لا يتأخر بل يقيم مكانه وجلس النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه والناس يصلون بصلاة أبي بكر وأبو بكر يصلي بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول وتفقهوا في مسائل فيه منها صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا وأبو بكر قائم هو والناس هل كان من خصائصه أو كان ذلك ناسخا لما استفاض عنه من قوله واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون أو يجمع بين الامرين ويحمل ذلك على ما اذا ابتدأ الصلاة قاعدا وهذا على ما اذا حصل القعود في أثنائها على ثلاثة أقوال للعلماء والاول قول مالك ومحمد بن الحسن والثاني قول أبي حنيفة والشافعي والثالث قول أحمد وحماد بن زيد والاوزاعي وغيرهما ممن يأمر المؤتمين بالقعود اذا قعد الامام لمرض وتكلم العلماء فيما اذا استخلف الامام الراتب خليفة ثم حضر الامام هل يتم الصلاة بهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وفعله مرة أخرى سنذكرها أم ذلك من خصائصه على قولين هما وجهان في مذهب أحمد وقد صدق ابن عباس عائشة فيما أخبرت به مع أنه كان بينهما بعض الشئ بسبب ما كان بينها وبين علي ولذلك لم تسمه وابن عباس يميل الى علي ولا يتهم عليه ومع هذا فقد صدقها في جميع ما قالت وسمى الرجل الآخر عليا فلم يكذبها ولم يخطئها في شئ مما روته وفي الصحيحين عن عائشة قالت لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته الا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا والا أني كنت أرى لن يقوم مقامه أحد الا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر قال البخاري ورواه ابن عمر وأبو موسى وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عنها قالت لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت يا رسول الله ان أبا بكر رجل أسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له ان أبا بكر رجل أسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقالت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فأمروا أبا بكر أن يصلي بالناس وفي رواية البخاري ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا ففي هذا أنها راجعته وأمرت حفصة بمراجعته وأن النبي صلى الله عليه وسلم لامهن على هذه المراودة وجعلها من المراودة على الباطل كمراودة صواحب يوسف ليوسف فدل هذا على أن تقديم غير أبي بكر في الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه كما ذم النسوة على مراودة يوسف هذا مع أن أبا بكر قد قال لعمر يصلي فلم يتقدم عمر وقال أنت أحق بذلك فكان في هذا اعتراف عمر له أنه أحق بذلك منه كما اعترف له بانه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة وأنه أفضلهم كما في البخاري عن عائشة لما ذكرت خطبة أبي بكر بالمدينة وقد تقدم ذلك قالت واجتمعت الانصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول والله ما أردت بذلك الا أني هيأت كلاما أعجبني خفت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه نحن الامراء وأنتم الوزراء فقال حباب بن المنذر لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر ولكنا الامراء

وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعرقهم أحسابا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح فقال
عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده
فبايعه وبايعه الناس فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله ففي هذا الخبر اخبار
عمر بين المهاجرين والانصار أن أبا بكر سيد المسلمين وخيرهم وأحبهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعل ذلك علة مبايعته فقال بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليبين بذلك أن المأمور به تولية الأفضل وأنت أفضلنا فنبايعك كما ثبت في
الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أحب الرجال اليك قال أبو بكر ولما قال لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وهذا مما يقطع أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله
عليه وسلم قاله وان كان من ليس له مثل علمهم لم يسمعه أو سمعه ولا يعرف أصدق هو أم كذب
فلكل علم رجال يقومون به وللحروب رجال يعرفون بها والدواوين حساب وكتاب وهؤلاء الثلاثة
هم الذين عنتهم عائشة فيما رواه مسلم عن أبي مليكة قال سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله
مستخلفا لو استخلف قالت أبو بكر فقيل لها من بعد أبي بكر قالت عمر قيل لها من بعد عمر قالت
أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت الى هذا والمقصود هنا أن استخلافه في الصلاة كان أياما متعددة كما
اتفق عليه رواية الصحابة ورواه أهل الصحيح من حديث أبي موسى وابن عباس وعائشة وابن
عمر وأنس ورواه البخاري من حديث ابن عمر وفيه قوله مروا أبا بكر فليصل بالناس ومراجعة
عائشة له في هذه القصة وذكر المراجعة مرتين وفيه قوله مروه فليصل بالناس فانكن صواحب
يوسف ولم يزل يصلي بهم باتفاق الناس حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآهم النبي
صلى الله عليه وسلم يصلون خلفه آخر صلاة في حياته وهي صلاة الفجر يوم الاثنين وسر بذلك
وأعجبه كما في الصحيحين عن أنس أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله
عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضاحكا فبهتنا ونحن في الصلاة من الفرح بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلاة
فأشار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم قال ثم دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأرخى الستر قال فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك وفي بعض
طرق البخاري قال فهم الناس أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
أن ذلك كان في صلاة الفجر وفي صحيح مسلم عن أنس قال آخر نظرة نظرتها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كشف الستارة يوم الاثنين وذكر القصة وفي الصحيحين عن أنس قال
لم يخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال
نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما نظرنا
منظرا قط أعجب الينا من وجهه حين وضح لنا قال فأومأ نبي الله صلى الله عليه وسلم بيده الى
أبي بكر أن يتقدم وأرخى نبي الله صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات فقد أخبر
أنس أن هذه الخرجة الثانية الى باب الحجرة كانت بعد احتباسه ثلاثا وفي تلك الثلاث كان يصلي
بهم أبو بكر كما كان يصلي بهم قبل خرجته الاولى التي خرج فيها بين علي والعباس وتلك كان
يصلي قبلها أياما فكل هذا ثابت في الصحيح كأنك تراه وفي حديث أنس انه أومأ الى أبي بكر

أن يتقدم فيصلى بهم هذه الصلاة الآخرة التي هي آخر صلاة صلاها المسلمون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهنا باشره بالاشارة اليه اما في الصلاة واما قبلها وفي أول الامر أرسل اليه رسلا فأمروه بذلك ولم تكن عائشة هي المبلغة لامره ولا قالت لابيها انه أمره كما زعم هؤلاء الرافضة المفترون فقول هؤلاء الكذابين ان بلالا لما أذن أمرته عائشة أن يقدم أبا بكر كذب واضح لم تأمره عائشة أن يقدم أبا بكر ولا تأمره بشيء ولا أخذ بلال ذلك عنها بل هو الذي آذنه بالصلاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل من حضره لبلال وغيره مروا أبا بكر فليصل بالناس فلم يخص عائشة بالخطاب ولا سمع ذلك بلال منها وقوله فلما أفاق سمع التكبير فقال من يصلى بالناس فقالوا أبو بكر فقال أخرجوني فهو كذب ظاهر فانه قد ثبت بالنصوص المستفيضة التي اتفق أهل العلم بالحديث على صحتها أن أبا بكر صلى بهم أياما قبل خروجه كما صلى بهم أياما بعد خروجه وأنه لم يصل بهم في مرضه غيره ثم يقال من المعلوم المتواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم مرض أياما متعددة عجز فيها عن الصلاة بالناس أياما فمن الذي كان يصلى بهم تلك الايام غير أبي بكر ولم ينقل أحد قط لا صادق ولا كاذب أنه صلى بهم غير أبي بكر لا عمر ولا علي ولا غيرهما وقد صلوا جماعة فعلم أن المصلي بهم كان أبا بكر ومن الممتنع أن يكون الرسول لم يعلم ذلك ولم يستأذنه المسلمون فيه فان مثل هذا ممتنع عادة وشرعا فعلم أن ذلك كان باذنه كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة وثبت أنه روجع في ذلك وقيل له لو أمرت غير أبي بكر فلام من راجعه وجعل ذلك من المنكر الذي أنكره لعلمه بأن المستحق لذلك هو أبو بكر لا غيره كما في الصحيحين عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا لابي بكر فاني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله ورسوله والمؤمنون الا أبا بكر وفي البخاري عن القاسم بن محمد قال قالت عائشة وارأساه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك فقالت عائشة واثكلاه والله اني لأظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وارأساه لقد هممت أن أرسل الى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ويدفع الله ويأبى المؤمنون وهذا الحديث الصحيح فيه همه بأن يكتب لابي بكر كتابا بالخلافة لئلا يقول قائل أنا أولى ثم قال يأبى الله ذلك والمؤمنون فلما علم الرسول أن الله تعالى لا يختار الا أبا بكر والمؤمنون لا يختارون الا اياه اكتفى بذلك عن الكتاب فأبعد الله من لا يختار ما اختاره الله ورسوله والمؤمنون وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مرتين في مرضه قال لعائشة ادعي لي أباك وأخاك وقال قبل ذلك لما اشتكت عائشة قال لقد هممت أن أكتب لابي بكر كتابا ثم انه عزم يوم الخميس في مرضه على الكتاب مرة أخرى كما في الصحيحين عن ابن عباس أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم الوجع فقال ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه هجر استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني اليه فأمرهم بثلاث فقال أخرجوا اليهود من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها وفي رواية في الصحيحين قال وفي البيت رجال فيهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم وفي رواية عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من

يقول قربوا يكتب لكم ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغط قال قوموا عنى قال عبيد الله الراوى عن الزهرى قال ابن عباس ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه فحصل لهم شك هل قوله أكتب لكم كتابا لا لن تضلوا بعده هو مما أوجبه المرض أوهو من الحق الذى يجب اتباعه واذا حصل الشك لهم لم يحصل به المقصود فأمسك عنه وكان لرأفته بالامة يحب أن يرفع الخلاف بينها ويدعو الله بذلك ولكن قد قدر الله قد مضى بأنه لابد من الخلاف كما فى الصحيح عنه أنه قال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لا يسلط على أمتى عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ولهذا قال ابن عباس ان الرزية كل الرزية ما حال بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الكتاب فان ذلك رزية فى حق من شك فى خلافة الصديق وقدح فيها اذ لو كان الكتاب الذى هم به أمضاه لكانت شبهة هذا المرتاب تزول بذلك ويقول خلافته ثبتت بالنص الصريح الجلى فلما لم يوجد هذا كان رزية فى حقه من غير تفريط من الله ورسوله بل قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين وبين الادلة الكثيرة الدالة على أن الصديق أحق بالخلافة من غيره وأنه المقدم وليست هذه رزية فى حق أهل التقوى الذين يهتدون بالقرآن وانما كانت رزية فى حق من فى قلبه مرض كما كان نسخ ما نسخه الله وانزال القرآن وانهزام المسلمين يوم أحد وغير ذلك من مصائب الدنيا رزية فى حق من فى قلبه مرض قال تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وان كانت هذه الامور فى حق من هداه الله مما يزيدهم الله به علما وايمانا وهذا كوجود الشياطين من الجن والانس يرفع الله به درجات الايمان بمخالفتهم ومجاهدتهم مع ما فى وجودهم من الفتنة لمن أضلوه وأغووه وهذا كقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا وقوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقول موسى ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله انا مرسلو الناقة فتنة لهم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم

(فصل) وقد تقدم التنبيه على أن النبى صلى الله عليه وسلم أرشد الامة الى خلافة الصديق ودلهم عليها وبين لهم أنه أحق بها من غيره مثل ما أخرجاه فى الصحيحين عن جبير بن مطعم أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فأمرها أن ترجع اليه فقالت يارسول الله أرأيت ان جئت فلم أجدك كأنها تعنى الموت قال فان لم تجدينى فأتى أبابكر والرسول علم أن الله لا يختار غيره والمؤمنون لا يختارون غيره ولذلك قال يأبى الله والمؤمنون الا أبابكر فكان فيما دلهم به من الدلائل الشرعية وما علم بأن الله سيقدره من الخير الموافق لامره ورضاه ما يحصل به تمام الحكمة فى خلقه وأمره قدرا وشرعا وقد ذكرنا أن ما اختاره الله كان أفضل فى حق الأمة من وجوه وأنهم اذا ولوا بعلمهم واختيارهم من علموا أنه الأحق بالولاية عند الله ورسوله كان فى ذلك من المصالح الشرعية ما لا يحصل بدون ذلك وبيان الاحكام يحصل تارة

بالنص الجلي المؤكد وتارة بالنص الجلي المجرد وتارة بالنص الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته وذلك كله داخل في البلاغ المبين فانه من شرط البلاغ المبين أن لا يشكل على أحد فان هذا لا ينضبط وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتا عظيما وفيهم من يبلغه العلم وفيهم من لا يبلغه اما لتفريطه واما لعجزه وانما على الرسول البلاغ المبين البيان الممكن وهذا ولله الحمد قد حصل منه صلى الله عليه وسلم فانه بلغ البلاغ المبين وترك الامة على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده الا هالك وما ترك من شئ يقرب الى الجنة الا أمر الخلق به ولا من شئ يقربهم من النار الا نهاهم عنه فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيا عن أمته وأيضا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالصلاة بالناس اذا غاب واقراره اذا حضر قد كان في صحته قبل هذه المرة كما في الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن الى أبي بكر فقال أتصلي بالناس فأقيم قال نعم فصلى أبو بكر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة فلما أكثر الناس من التصفيق التفت فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امكث مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم انصرف فقال يا أبا بكر ما منعك أن تثبت اذ أمرتك فقال أبو بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراكم أكثرتم التصفيق من نابه شئ في صلاته فليسبح فانه اذا سبح التفت اليه وانما التصفيق للنساء وفي رواية فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرق الصفوف حتى قام عند الصف المقدم وفيها ان أبا بكر رجع القهقرى وفي رواية للبخاري فجاء بلال الى أبي بكر فقال يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حبس وقد حانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس فقال نعم ان شئت وفي رواية أيها الناس مالكم حين نابكم شئ في صلاتكم أخذتم في التصفيق انما التصفيق للنساء من نابه شئ في صلاته فليقل سبحان الله فانه لا يسمعه أحد يقول سبحان الله الا التفت يا أبا بكر ما منعك أن تصلي بالناس حين أشرت اليك وفي رواية ان تلك الصلاة كانت صلاة العصر وان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بني عمرو بن عوف بعد ما صلى الظهر وفيه فلما أومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن امضه وأومأ بيده هكذا فلبث أبو بكر هنيهة يحمد الله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى القهقرى وفي رواية ان أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم فحضرت الصلاة ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم فأذن بالصلاة ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من أصح حديث على وجه الارض وهو مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول وفيه ان أبا بكر أمهم في مغيب النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرت صلاة العصر وهي الوسطى التي أمروا بالمحافظة عليها خصوصا وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشغولا اذ ذهب الى قباء ليصلح بين أهل قباء لما اقتتلوا وقد علموا من سنته أنه يأمرهم في مثل هذه الحال أن يقدموا أحدهم كما قدموا عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك لصلاة الفجر لما أبطأ النبي صلى الله عليه وسلم حين ذهب هو والمغيرة لقضاء حاجته وكان عليه جبة من صوف وبلال هو المؤذن الذي هو أعلم بذلك من غيره فسأل أبا بكر

أن يصلى بهم فصلى بهم لاسيما وقد أمرهم بتقديمه ففي الصحيحين عن سهل بن سعد قال كان قتال بين بني عمرو بن عوف فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم ليصلح بينهم بعد الظهر فقال لبلال ان حضرت الصلاة ولم آتك فمر أبا بكر فليصل بالناس وذكر الحديث ثم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى أبي بكر أن يتم بهم الصلاة فسلك أبو بكر مسلك الادب معه وعلم أن أمره أمر إكرام لا أمر إلزام فتأخر تأدبا معه لا معصية لأمره فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يقره في حال صحته وحضوره على اتمام الصلاة بالمسلمين التي شرع فيها و يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم كما صلى صلاة الفجر خلف عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك صلى احدى الركعتين وقضى الأخرى فكيف يظن به أنه في مرضه واذنه له في الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من امامته بالناس فهذا ونحوه مما يبين أن حال الصديق عند الله وعند رسوله والمؤمنين في غاية المخالفة لما هي عند هؤلاء الرافضة المفترين الكذابين الذين هم ردء المنافقين واخوان المرتدين والكافرين الذين يوالون أعداء الله و يعادون أولياءه ولا ريب أن أبا بكر وأعوانه هم أشد الامة جهادا للكفار والمنافقين والمرتدين وهم الذين قال الله فيهم فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فأعوانه وأولياؤه خير الأمة وأفضلها وهذا أمر معلوم في السلف والخلف لخيار المهاجرين والانصار الذين كانوا يقدمونه في المحبة على غيره ويرعون حقه ويدفعون عنه من يؤذيه مثال ذلك أن أمراء الانصار اثنان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن معاذ أفضلهما ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اهتز لموت سعد عرش الرحمن فرحا بقدوم روحه وحمله النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله ولما حكم في بني قريظة بحكم لم تأخذه في الله لومة لائم قال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات وقد عرف أنه وابن عمه أسيد بن حضير كانا من أعظم أنصار أبي بكر وابنته على أهل الافك ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح كان أبو بكر رأس المهاجرين عن يمينه وأسيد بن حضير رأس الانصار عن يساره فان سعد بن معاذ كان قد توفي عقب الخندق بعد حكمه في بني قريظة وقال أسيد بن حضير لما نزلت آية التيمم ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ما نزل بك ما تكرهينه الا جعل الله لك فيه فرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وعمر وأبو عبيدة وأمثالهما من خيار المهاجرين وكانا من أعظم أعوان الصديق وهؤلاء أفضل من سعد بن عبادة الذي تخلف عن بيعته وعن القيام على أهل الافك وعزله عن الامارة يوم فتح مكة وقد روى أن الجن قتلته وان كان مع ذلك من السابقين الاولين من أهل الجنة وكذلك عمر وعثمان أفضل من علي فانه لم يكن له في قصة الافك من نصرة الصديق وفي خلافة أبي بكر من القيام بطاعة الله ورسوله ومعاونة أبي بكر ما كان لغيره والله حكم عدل يجزي الناس بقدر أعمالهم وقد فضل الله النبيين بعضهم على بعض وفضل الرسل على غيرهم وأولو العزم أفضل من سائر الرسل وكذلك فضل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار على غيرهم وكلهم أولياء الله وكلهم في الجنة وقد رفع الله درجات بعضهم على بعض فكل من كان الى الصديق أقرب من المهاجرين والانصار كان أفضل فما زال خيار المسلمين قديما وحديثا وذلك لكمال نفسه وايمانه

وكان رضي الله عنه من أعظم المسلمين رعاية لحق قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فان كمال محبته للنبي صلى الله عليه وسلم أوجب سراية الحب لاهل بيته اذ كان رعاية أهل بيته مما أمر الله ورسوله به وكان الصديق رضي الله عنه يقول ارقبوا محمدا في آل بيته رواه عنه البخاري وقال والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي أن أصل من قرابتي وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه وسلم
مانقلت صحائف السرور غواديها وكتبت
أقلام النور على ورق الرياض حكمة
باريها والله سبحانه
وتعالى أعلم
تم

(وكتب بآخر الأصل تقريظا للكتاب ما نصه)

تم الكتاب المسمى بمنهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال لعلامة عصره فهامة الأنام أحمد بن تيمية شيخ الاسلام تغمده الله بالرحمة والغفران وأسكنه أعلى فراديس الجنان « برسم » سيدنا ومولانا قبلة قلوب العلماء أين خيموا ومعتقد أفئدة الرؤساء أين عموا كوكب الفضل الذي لاح في سماء الكمال ومعدن الفخر الذي حاز الجمال والجلال ذي الاخلاق السنية والافعال السديدة المرضية والاقوال المحررة والانفاس المطهرة والفضائل المشهورة والاسرار المعمورة ناصر السنة السنية على ألعن فرقة فلسفية ومشيد تخوت العدل بالديار الحجازية وانتشر فضل هذا الحبر بالاقطار اليوسفية أعني به من لم يسمح الزمان له بنظير وكل كامل وفاضل الى كماله وفضله يشير عين أعيان العلماء الاعلام وزبدة أهل الفضل والاحتشام مفتي مكة وخطيبها وامامها وأديبها لم لاوقد حاز مذهب الامام وصاحبيه وتصدى لحل المشكلات وصار الامر والنهي اليه كيف لاوقد أيد الله به السنة وشد أزرها وشيد أركانها وأعلى قدرها ألا وهو المحفوف بعناية المولى القادر « سيدنا ومولانا الشيخ عبد القادر » فتح الله له أبواب المآرب فتحا وشرح صدره بأنوار المواهب شرحا ماتلاطمت في الابحر الامواج وطاف بالبيت العتيق من كل فج عميق الحجاج لازالت آيات السعادة تتلى على سمعه من صحف البشائر ونفائس الكمالات تجري على ذاته في أسعد طالع وأيمن طائر

صديقك لا يثني عليك بطائل * فما ذا ترى فيك العدو يقول

فأسأل من هو الذي اذا سئل أجاب أن يكلأ بعين عنايته ذلك الجناب ويطاول بعمره الابد ويحرسه بسر قل هو الله أحد ولقد أحسن من قال وصدق في المقال

لله في الارض أجناد مجندة * أرواحها بيننا بالصدق تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

ولقد أنشدني العلامة المزبور من اسمه في النثر مذكور أعني به من الصديق جد أبيه

فالله

فالله تعالى يقر بطلعته البهية كل نبيه أبياتا يمدح بها المصنف شيخ الاسلام أحسن الله لنا وله الختام وها هي هذه الابيات جعل الله ناظمها من سعداء الدارين في الحياة والممات

لله درّ شهاب الدين أحمد من * دعى ابن تيمية ذى الفطنة اللسن
فقد أتى بالذى لا يستطاع له * دفع بتحريره بالمنهج الحسن
وأضحت السنة الغراء تزهر من * أنوار منهاجه فى واضح السنن
فالله يوسعه برا ويشكر ما * أبدى لنا معشر القرآن والسنن

وكان تمام الكتاب المبارك فى يوم الخميس سلخ شعبان المبارك من شهور سنة ١١٢٢ من الهجرة النبوية والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(يقول طه بن محمود قطريه رئيس التصحيح بالمطبعة الكبرى الاميريه)

بسم الله الرحمن الرحيم (نحمدك) اللهم يا من هدى السبيل وجعل الكائنات على وجوده أوضح دليل ونشكرك يا من هدى بكتابه الى محاسن الامور وأنقذ برسوله من الظلمات الى النور ونصلى ونسلم على أول الانبياء موجودا وآخرهم مولودا سيدنا محمد الذى بعثته بأقوم منهاج وقومت به القلوب والألسنة من الاعوجاج وعلى آله الابرار وصحبه الاخيار من المهاجرين والانصار الذين صدقوا فى محبته وبذلوا نفوسهم فى محبته فأيدت بهم الدين ووعدتهم الحسنى وجعلت مدحهم قرآنا يتلى وكفى به مقاما أسنى فاجزهم اللهم عن المسلمين خيرا واحشرنا فى زمرتهم وانفعنا بحبهم فى الدنيا والاخرى (أما بعد) فان من فضل الله العميم على كل من هدى الى صراط مستقيم طبع هذين الكتابين الجليلين اللذين هما لكل مسلم مسرة قلب وقرة عين الكتاب المسمى منهاج السنة النبويه فى نقض كلام الشيعة والقدريه وبهامشه الكتاب المسمى بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول كلاهما من مؤلفات الامام الهمام شيخ مشايخ الاسلام أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى الحنبلى رحمه الله وأكرم فى دار السلام قراه لقد قام فيهما أحسن قيام على قدم الجد والاهتمام بخدمة الشرع الشريف وميز الحق المتين من الباطل السخيف وتتبع الاهواء والعقائد الزائغه فصدعها بالحجج البالغه والبراهين الدامغه ولم يدع شيأ من كلام الملحدين وهمزات الشياطين الافل صفاته وكسر قناته حتى صار طائرهم مقصوص الجناح وذهب باطلهم أدراج الرياح وصب على الرافضة وابله فجرعهم الوبال وجر عليهم كلا كله فأذاقهم النكال وأحاط بما لديهم من الضلال وما قدموه من سيئ الاعمال حتى كأنه كاتب الشمال فلو رأوا كتابه وقد نشر مخازيهم فبددها وشتتها لصاحوا يقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فلله أبوه من عالم عامل وتقى كامل أعلى الله به كعب الحق وأرغم أنف الباطل لقد جاهد فى سبيل الله بكتابه وناضل عن سنة نبيه ونافح عن أكابر أصحابه وقام المقام الاكبر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فأثابه الله على هذا المقام وما أولاه بأن يكون قدوة حسنة للعلماء الاعلام

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

هـذا ولما كانت نسخ الكتابين نادرة والحاجة اليهما شديدة والرغبة فيهما زائدة أكيدة نهض بطبعهما حضرات الاماجد المحترمين الشيخ مصطفى البابى الحلبى وأخويه جعل الله أعمالهم صالحه وتجارتهم رابحه وقد بذلنا فى تصحيح كليهما المجهود وفقا فيه ولله الحمد المقام المحمود على ما فى نسخة الاصل من التحريف والسقم والتصحيف وطغيان القلم وما جاء بها من الزيادة والنقصان والبياض الذى ترك فى الاصل فذهب بحسن البيان وليس بيدنا ثانيـة تساعدنا عليها ويكون رجوعنا اذا أشكل أمر الاولى اليها بل هى واحدة على علاتها آمنة من علاتها وطالما عنانا تحريفها وأنصبنا تصحيفها لولا أن الله فرج الكرب وسهل الصعب فأصلحنا فيها مواطن كثيره بالرجوع الى كتب الحديث والسير الشهيره ومواطن أصلحناها مما تكرر ايراده فى الكتاب وأخرى نبهنا عليها بالتحرى الواقف عليها الصواب وهذا غاية ما فى الامكان ونهاية المستطاع لنوع الانسان

وما أبرئ نفسى اننى بشر * أسهو وأخطئ مالم يحمنى قدر

وكان طبعه بالمطبعة الكبرى الاميريه فى عهد الدولة الفخيمة الخديوية العباسيه مد الله ظلالها وألهم العدل والاصلاح رجالها فى أواخر ذى القعدة الحرام عام ١٣٢٢ من هجرة من هو للانبياء ختام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام

هذا ولما آذن طبعه بالكمال انطلق لسان الحال بهذه القافية فقال

بأقوم منهاج أتى القوم أحمد ... فما لى لا أثنى عليـه وأحمد
امام حباه الله علما وحكمة ... وقلبا تقيا نوره يتوقـد
فقام بأمر الحق فى الناس صادعا ... بأوضح برهان له العقل يشهد
وبدد أهـواء تجمع شملها ... بها ضل قوم والضلال مبدد
أتاهم وهم شتى المذاهب مالهم ... من العقل هاد أو من الدين مرشد
أتاهم وليل الرفض والنصب حالك ... وقاعدة الطغيان فيهم توطد
أتى معشرا للغى أهدى من القطا ... ولم يبصروا طرق الرشاد فيهتدوا
أتى أمـة بغض الصحابة دينهم ... وسب أبى بكر به قد تعبـدوا
فأنكر ما قد خالف الدين والتقى ... ومن ديننا انكار ماليس يحمد
وأفشى كتاب الله فيهم وانهم ... أباة عن الاذعان للحق شرد
وناضل عن صحب النبى وحزبه ... ومن لهم رأى وقول مسـدد
فهل مثل هذا الحبر أولى بشكره ... عـلى ما أتاه أم تراه يفنـد
ولكن أعـداء الفضائل جمة ... وهل ساد إلا ذو الأيادى المحسد
سأشكره دهرى عن الناس اذ غدا ... عليهم جميعا لابن تيميـة اليـد
فلو كان تأليف الفتى مخلدا له ... لكان من المنهاج والله مخلد
ولو كان فى الدنيا جزاء لمحسن ... لكان له فيها النعيم المؤبد
فأسأل اللهـم هتان رحمة ... على قبره مالاح فى الافق فرقد

(فهرست الجـزء الرابع من كتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لأبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي رحمه الله)

(تمت)

(فهرست كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول الموضوع بالهامش لابى العباس أحمد بن تيمية الحرانى الحنبلى رحمه الله)

(تمت)